سلسلة جواهر التاريخ

السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام

علي الكوراني العاملي

المجلد الثاني

طبعة مزيدة ومنقحة




بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام

علي الكوراني العاملي

المجلد الثاني

الطبعة الثانية- منقحة ومزيدة

١٤٣٨-2017

دار المعروف

شابک : ۹۷۸۶۰۰۶۶۱۲۸۸۱
شماره کتابشناسی ملی : ۷۷۹۳۱۶۸
عنوان و نام پدیدآور : السیرة النبویه عند اهل البیت علیهم السلام / علی الکورانی العاملی.
مشخصات نشر : قم: دار النشر المعروف، ۱۴۳۸ ق. = ۲۰۱۷ م.= ۱۳۹۶.
مشخصات ظاهری : ۲ ج. / یادداشت : عربی.
یادداشت : چاپ دوم. / یادداشت : ج.۲ (چاپ دوم: ۱۴۳۸ ق. = ۲۰۱۷ م.).
یادداشت : کتاب حاضر اولین بار در سال ۱۳۸۸ تحت عنوان «جواهرالتاریخ : السیرةالنبویه عند اهل البیت (ع)» توسط انتشارات باقیات منتشر شده است.
عنوان دیگر: جواهرالتاریخ : السیرةالنبویه عند اهل البیت (ع).
موضوع : محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. / موضوع : Muhammad, Prophet, d. ۶۳۲
موضوع : سنت نبوی / موضوع : Wonts of the Prophet*
موضوع : اسلام -- تاریخ -- از آغاز تا ۱۱ق / موضوع : Islam -- History -- To ۶۳۲
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳
رده بندی کنگره : ۱۳۹۶ ۸ج۹ک/ BP۲۲/۲۶
سرشناسه : کورانی، علی، ۱۹۲۲ - م. Kurani, Ali
وضعیت فهرست نویسی : فیپا

السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام (٢)

المؤلف: علي الكوراني

• الناشر: دار المعروف، قم المقدّسة.

• الطبعة: الأولى.

• تاريخ النشر: ذيقعدة ١٤٣٨ هـ ق - July 2017

• المطبعة: باقري - قم المقدّسة.

• عدد المطبوع: ٣٠٠٠ نسخة.

شابک: ۹۷۸-۶۰۰-۶۶۱۲-۸۸-۱

دار المعروف للطباعة والنشر

مركز النشر والتوزيع:

إيران - قم المقدّسة - شارع مصلّى القدس - رقم الدّار: ٦٨٢ . ص-ب: ١٥٨- ٣٧١٥٦ تلفون: ٣٢٩٢٦١٧٥ ٢٥(٠)٠٠٩٨

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للمؤلف

www.maroof.org
Email: nashremaroof@gmail.com

الفصل الأربعون

سورة الأنفال سورة بدر

الأنفال فضحت كثيراً من الصحابة البدريين!

اتفق الرواة على أن سورة الأنفال نزلت بعد معركة بدر، وهي خمس وسبعون آية. وأكثر آياتها في شأن بدر، وموقف الإسلام من قريش، وتوجيه المسلمين في جوانب من الحرب والسلم، وتشريع الخمس لآل النبيﷺ.

قال سعيد بن جبير: «قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة، بل هي الفاضحة! ما زالت تنزل ومنهم ومنهم. حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها! قلت: سورة الأنفال؟ قال: تلك سورة بدر. قلت: فالحشر؟ قال: نزلت في بني النضير». مسلم: ٢٤٥/٨.

وقد تقدمت بعض آيات السورة، وهذا نصها مع شرح مختصر لمضمون الآيات:

إختلافهم على الغنائم

١. يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ.١.

بدأت السورة حديثها عن أكبر معركة في تاريخ الإسلام، باختلاف المسلمين على الغنائم! لتقول لهم أيها المسلمون إن مشكلتكم الطمع بالماديات فانتبهوا!

المؤمنون حقاً لا يختلفون على غنائم!

٢. إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. ٢-٤.

عرَّضت هذه الآيات بقسم من الصحابة البدريين، فمدحت المؤمنين حقاً الذين لايختلفون على غنائم، لأنهم أصحاب إيمان عميق، ووصفتهم بأنهم ينفقون مما رزقهم الله، لأنهم ينتظرون مغفرته ورزقه في الآخرة!

صحابة يجادلون نبيهم وكأنهم يساقون إلى الموت!

٣. كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ. ٥-٨.

ثم وبَّخهم عز وجل بتذكيرهم كيف أخرج نبيه ﷺ من بيته بالحق، وقسم منهم خائفون يجادلون النبي ﷺ بالباطل، لأنه طرح عليهم احتمال الحرب وهم يريدون القافلة دون الحرب! فكانوا كمن يساقون إلى الموت سوقاً رغماً عنهم!

الإمداد الإلهي للمسلمين في بدر

٤. إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ. إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ. ٩-١٤.

ذكرت الآيات خوف المسلمين واستغاثتهم بربهم عندما واجهوا جيش قريش،

وكيف استجاب الله تعالى لهم وأمدهم بأنواع من المدد الغيبي، المعنوي والمادي المنظور وغير المنظور. وجعلت استغاثة النبيﷺ استغاثتهم، والإستجابة لنبيهﷺ استجابة لاستغاثة المسلمين.

الفرار إلى الصفوف الخلفية كالفرار من المعركة

٥. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.١٥-١٦.

وهذا أمرٌ مشددٌ بأن لايفروا في المعركة، وتهديدٌ لهم وتعريض بهم! ولم يُنقل فرار أحد منهم في بدر إلى خارج المعركة، فلا بد أنها تقصد فرارهم من الصفوف الأمامية إلى الخلفية، كما حدث عمر عن نفسه لما رأى العاص بن سعيد.

وتقدم قوله «ابن هشام: ٤٦٤/٢». «رأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه فإذا شدقاه قد أزبدا كالوزغ فهبته وزغت عنه! فقال: إلى أين يا ابن الخطاب! وصمد له علي فتناوله، فما رمت من مكاني حتى قتله»!

وهذا اعتراف بالفرار من الزحف!

قاتلَ النبيﷺ ورمى المشركين بكف حصى

٦. فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ.

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. ١٧-١٩.

أخبر الله عزوجل بأنه هو طرف المعركة، وهو الذي قتل المشركين، وهو الذي رمى بيد النبيﷺ، وهو الذي أجرى المعركة على يد المؤمنين ليمتحنهم ويجزيهم جزاء حسناً. وخاطب الكفار ودعاهم إلى التوبة، وتوعدهم إن عادوا بالهزيمة.

أمر الله المسلمين بطاعة الرسول ﷺ وذكرهم بنعمه عليهم

٧. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. ٢٠-٢٦.

ثم أكد عز وجل على حقيقة إيمانية عملية هي طاعة المؤمنين لنبيهم ﷺ طاعة كاملة، وفيه تعريض بالذين جادلوه بعد وضوح الأمر، خوفاً من المعركة، ثم لم يطيعوه واختلفوا في الغنيمة! وحذرهم من أن مخالفة النبي ﷺ ظلمٌ ينتج عنه فتنة لا تختص بفاعلها، فعليهم نهيه عن المنكر. ثم ذكَّرهم عز وجل بنعمته عليهم وأنه هيأ لهم المدينة موطناً ومأمناً وقاعدة، وأنعم عليهم بنصره ورزقه.

وحذرهم من خيانة الله ورسوله ﷺ وخيانة أنفسهم

٨. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. ٢٧-٢٩.

ثم حذرهم الله عز وجل من نوعين من الخيانة، خيانة الله ورسوله ﷺ بمخالفة أوامره. وخيانة أماناتهم بالتعدي على ما اؤتمن عليه أحدهم من حقوق الآخرين وأموالهم. وقد حدث ذلك في بدر ففي الطريق خان بعضهم الله ورسوله بجدلهم النبي ﷺ متعمدين! وفي بدر اتهموه ﷺ بأنه غلَّ وأخفى قطيفة من الغنائم فبرأه الله! وبعضهم خان الأمانة وغلَّ! وتحدثت الآية الثانية عن نعمة الفرقان بين الخير والشر والخطأ والصواب، كما كانت بدر فرقاناً ميزت بين المسلمين والمشركين.

وذكَّر قريشاً بتآمرهم على الرسول ﷺ وعملهم لقتله

٩. وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ. وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ. وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. ٣٠-٣٥.

وهذه الفقرة في تكذيب قريش للنبي ﷺ وتآمرهم عليه لقتله أو نفيه من مكة! وهي تؤكد أنهم فقدوا المنطق السَّليم بسبب تكبرهم، فطلبوا من الله أن يقتلهم بحجارة من السماء إن كان محمد ﷺ صادقاً! وهي حالة من العناد وعبادة الذات تجعل صاحبها عدوانياً وتعميه عن الإيمان! وتعميهم حتى عن الإيمان بالكعبة التي يعيشون ببركتها، ولذلك استحقوا العذاب الإلهي!

وذكَّر قريشاً بتآمرهم ضد الإسلام وهددهم

١٠. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ. لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ. وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. ٣٦-٤٠.

خصص الله هذه الفقرة لنشاط القرشيين ومن وراءهم، وإنفاقهم الأموال لعداء النبي ﷺ، وأخبر أنهم سيغلبون في هذا الصراع لأنه إرادة ربانية لفرز الأخيار من الأشرار. وأنذرهم بالهزيمة إن واصلوا معاركهم مع النبي ﷺ،

وأطمعهم بالعفو عما أسلفوا إن انتهوا، وأمر المسلمين بمواصلة قتالهم حتى يخمدوا فتنتهم ويزيحوهم من طريق انتشار الإسلام.

وشرَّع الله فريضة الخمس لبني هاشم لأنهم أسسوا الأمة والدولة

١١. وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأمر وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمور. ٤١-٤٤.

يقول الله بذلك للمسلمين: أيها المختلفون على الغنائم، المتهمون لنبيهم ﷺ بأنه سرق منها! إنكم مدينون بانتصاركم لمحمد ﷺ وقرابته عليهم السلام، فاعلموا أن لهم خمس ما غنمتم إن كنتم مؤمنين بالله تعالى وما عاينتم من فعله! ألا ترون أن الله خطط ووقت وأدار المعركة، ونصركم عليهم وحسم المعركة بالملائكة وبني هاشم، فلولاهم لما كنتم أمة ولا دولة؟ فأدوا اليهم المالية التي خصهم الله بها!

وأمر المسلمين بالثبات في الحرب وأن لا يبطروا كالمشركين

١٢. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ. وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ٤٥-٤٨.

أكدت الفقرة على خمسة أحكام وقواعد في الحرب: وجوب الثبات وحرمة الفرار، وذكر الله كثيراً في الحرب، وطاعة الرسول، والمحافظة على وحدة الجبهة الداخلية

وحرمة التنازع والإختلاف، وعدم الإعتداد بالنفس والبطر كحالة قريش في بدر، التي غشها الشيطان فأساءت تقدير المعركة وانهزمت!

وحذرهم من المنافقين ومرضى القلوب في داخلهم

١٣. إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. «٤٩». وهذه الآية ذكرت المسلمين بموقف المنافقين، ومرضى القلوب وهم أخطر المنافقين! فهؤلاء كانوا يتوقعون هزيمة المسلمين أمام قريش لأنها برأيهم أكثر وأقوى، ويصفون المؤمنين بأنهم مغرورون بدينهم ووعد نبيهم! ومعنى الآية: واذكروا إذ يقول هذان النوعان منكم إنكم مغرورون، فهم لضعف إيمانهم يرون التوكل على الله والإيمان بوعده غروراً، مع أنه إيمان ويقين!

وحذرهم من عاقبة أعداء الرسل عليهم السلام

١٤. وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ. ٥٠-٥٤.

صوَّرت هذه الفقرة حالة الكفار عند الموت وفي الآخرة، وذكرتهم بأنهم تجري عليهم سنة الله في عقوبة المكذبين للرسل، كآل فرعون ومن قبلهم، الذين انطبقت عليهم قاعدة تغيير النعم وسلبها، بسبب كفرانها وتغير أنفس أصحابها!

ونبه المسلمين إلى شرالدواب الخائنين

١٥. إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ. فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ

يَذَّكَّرُونَ. وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ. ٥٥-٥٨.

أنذرت هذه الفقرة الفئات اليهودية والقبائل التي عقد معها النبي ﷺ معاهدات تعايش وعدم اعتداء، ثم نقض بعضهم عهده واعتدى على المسلمين. وأمرت النبي ﷺ بمعالجة وضعهم والمبادرة إلى حربهم إن رأى بوادر الخيانة.

وعَلَّم المسلمين قواعد التعامل مع أعدائهم

١٦. وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ. وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ. وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ. وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ. الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ. ٥٩-٦٦.

وهنا أنذر الله تعالى الكافرين، وأمر المسلمين بأن يعدوا العدة لحربهم، وأن يسالموهم إن أرادوا السلم، ولا يخافوا من مناوراتهم السياسية.

وبيَّن للمسلمين أن وحدتهم والتفافهم حول نبيهم ﷺ نعمةٌ غير عادية، وهي من فعل الله تعالى ولطفه بهم فعليهم أن يعرفوا قيمتها ويؤدوا حقها.

وأمر النبي ﷺ بأن يقاتل الكفار بمن أطاعه من المؤمنين حتى لو كانوا قلة.

ثم كشف سبحانه تراجع في مستوى المسلمين في بدر! فقد أراد أن يكون المسلم الواحد منهم مقابل عشرة، لكنه بسبب ضعفهم في بدر، جعل الواحد منهم مقابل اثنين فقط! وقد ظهر هذا الضعف بجدلهم للنبي ﷺ واختلافهم في الغنائم، وخيانة بعضهم، وجبن آخرين.

١٧. مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. لَوْلا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. ٦٧-٧١.

وفي هذه الآية تفاسير تنشأ من معنى الإثخان، ومعنى عرض الدنيا الذي أراده الصحابة، وتكليف النبي ﷺ وموقفه بشأن الأسرى.

والتفسير الصحيح: أن معنى الإثخان في الأرض الإثخان في قتال المشركين، حيث نهاهم النبي ﷺ بعد هزيمة المشركين أن يأخذوا منهم أسرى قبل أن يثخنوهم قتلاً ويدمروا قوتهم القتالية، لكنهم أخذوا أسرى طمعاً في فدائهم!

وقد اختاره أبو الفتح الكراجكي ﷺ **في: التعجب من أغلاط العامة/٨٨، قال**: «وهم الذين كفوا عن الإثخان في القتل يوم بدر وطمعوا في الغنائم حتى نزل فيهم: مَاكَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا..».

فالآية تنهى عن الأسر قبل الإثخان، وقد أثخن النبي ﷺ في الأرض وقطع مسافة طويلة، لكن المسلمين لم يثخنوا في قتالهم ومطاردتهم، واكتفى الواحد منهم بأسير ليأخذ فديته! وهذا المعنى يتسق مع السياق: تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا، وقوله: وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ. **وقد اختاره السيد شرف الدين** ﷺ **في النص والإجتهاد /٣٢٣**

واختاره السيد الخوئي ﷺ **في البيان/٣٦٥، قال**: «المعروف بين الشيعة الإمامية أن الكافر المقاتل يجب قتله ما لم يسلم، ولا يسقط قتله بالأسر قبل أن يثخن المسلمون الكافرين ويعجز الكافرون عن القتال لكثرة القتل فيهم».

واختار شبيهه صاحب الصحيح من السيرة: ١١١/٥، قال: «كانت ثمة أوامر

خاصة بالنسبة لأسرى بدر بينها النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه، ولكنهم قد أصروا على مخالفتها فاستحقوا العذاب العظيم، ثم عفا الله عنهم رحمة بهم وتألفاً لهم».

وتوجد تفاسير أخرى تنفي اللوم عن النبي صلى الله عليه وآله. كقول السيد الميلاني إن النهي فيها يدل على الترفع ولا يدل على التحريم.

لكن عمر زعم أنه أصاب وأخطأ النبي صلى الله عليه وآله، وأن الله وافقه ونهى نبيه عن الأسر وأخذ الفداء، فخالف النبي صلى الله عليه وآله فنزلت الآية توبخه وتوبخ الأنصار لأنهم أخذوا الأسرى طمعاً بفدائهم! راجع رواياتهم في تفسير الطبري: ١٠/٥٥.

ويرده أن الآية الأخيرة تدل على صحة أسرهم، **وقد تقدم من الكافي**: ٨/٢٠٢: «نزلت في العباس وعقيل ونوفل وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم، وأبو البختري، فأسروا، فأرسل علياً فقال: أنظر من هاهنا من بني هاشم..فجيئ بالعباس فقيل له: إفد نفسك وافد ابن أخيك، فقال: يا محمد تتركني أسأل قريشاً في كفي؟ فقال: أعط مما خلفت عند أم الفضل وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شئ فأنفقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني به جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل فقال ومحلوفه: ما علم بهذا أحد إلا أنا وهي! أشهد أنك رسول الله، قال: فرجع الأسرى كلهم مشركين إلا العباس وعقيل ونوفل. وفيهم نزلت هذه الآية».

وأعلن الله وحدة الأمة من المهاجرين والأنصار

١٨. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ٧٢-٧٥.

أخبر الله أن بدر يوم الفرقان بين الحق والباطل وتمييز الأمة المسلمة عن غيرها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «هو اليوم الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل، وإنما كانا قبل ذلك اليوم هذا كذا ووضع كفيه أحدهما على الآخر». الأصول الستة عشر/٢٥٦٨.

وجاءت هذه الفقرة ختاماً للسورة، فبينت أن الأمة المسلمة أمة واحدة، مهاجروها وأنصارها، وأوجبت الهجرة إلى دولة الإسلام على كل مسلم، إلا من أجاز لهم النبي صلى الله عليه وآله، أو أمرهم بالبقاء في بلادهم، وقد استمرت هذه الفريضة حتى فتح مكة.

ثم أمر الله المسلمين أن يعتبروا الكفار أمة واحدة مهما كانت اختلافاتهم، وحذرهم من وقوع فساد كبير في الأرض، إن خالفوا ولم يوحدوا سياستهم تجاههم!

كثرة مكذوبات السلطة عن بدر!

تبين لك أن البدريين فيهم المميزون بإيمانهم وشجاعتهم، وفيهم المتوسطون، وفيهم المنافقون، ومرضى القلوب. لكن رواة السلطة أكثروا المكذوبات فيهم، ومنها ما يقصد به تنقيص مقام النبي صلى الله عليه وآله، ومنها ما يقصد به إثبات مناقب كاذبة لصحابة يحبونهم، ومنها للتغطية على مثالب آخرين يحبونهم!

فمن ذلك: قولهم إن النبي صلى الله عليه وآله نام يوم بدر: «فدنا القوم منهم، فجعل الصديق يوقظه ويقول: يارسول الله دنوا منا، فاستيقظ»! الدر المنثور: ١٦٧/٣ وابن كثير: ٤٠٥/٢.

ومنها: قولهم إن أول قتيل كان مهجع غلام لعمر! ومستندهم في ذلك «يقال»! ولم يبينوا متى قتل ومن قتله! راجع الصحيح: ٦٥/٥.

ومنها: قول عمر إنه قتل خاله هشام بن العاص، وقد قتله علي عليه السلام. «الواقدي: ١٤٩/١». على أن خالد بن الوليد كان لا يقبل أنه خاله وأن أم عمر من بني مخزوم.

ومن مكذوباتهم قولهم إن النبي صلى الله عليه وآله أعطى سهماً من غنائم بدر لعثمان، لأنه تخلف لتمريض زوجته بنت النبي صلى الله عليه وآله! وأنه أعطى لطلحة بن عبيدالله ولسعيد ابن عم عمر صاحب حديث العشرة المبشرة، لأن النبي صلى الله عليه وآله بعثهما في استطلاع قافلة قريش، والصحيح أنهما كانا في تجارة بالشام! راجع الصحيح: ٩٨/٥.

إلى كثير من المكذوبات في مناقب أبي بكر وعمر وعثمان وسعد بن أبي وقاص، ومن على شاكلتهم، للتعويض عن دورهم في المعركة!

الصحابة الأبرار الذين استشهدوا في بدر

في الصحيح من السيرة: ٥٧/٥: «واستشهد من المسلمين، قيل تسعة، وقيل أحد عشر، وقيل أربعة عشر، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار».

والمشهور أربعة عشر، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار. البحار: ٢٠٦/١٩، شرح النهج: ٢٠٧/١٤، الطبري: ١٧١/٢، الطبقات: ١٧/٢، النهاية: ٣٦٦/٣ والإمتاع: ١١٩/١.

وعدهم ابن هشام: ٥٢٤/٢: عبيدة بن الحارث بن المطلب، وعمير بن أبي وقاص، وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة، وعاقل بن البكير، ومهجع مولى عمر، وصفوان بن بيضاء، وسعد بن خيثمة، ومبشر بن عبدالمنذر بن زنبر، ويزيد بن الحارث «ابن فسحم» وعمير بن الحمام، ورافع بن المعلى، وحارثة بن سراقة بن الحارث، وعوف ومعوذ، ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد، ابنا عفراء.

سورة الروم بشرت بالنصر في معركة بدر

كانت الدولتان الكبيرتان في عصر النبي صلى الله عليه وآله فارس والروم. وقد مد الروم نفوذهم إلى مصر وبلاد الشام، وكان النصارى في الجزيرة على ارتباط بهم، خاصة نجران، وكانت الحبشة قاعدتهم في أفريقيا.

ومد الفرس نفوذهم إلى العراق والبحرين واليمن، وكانت بلاد الشام ومصر محل صراع بينهم وبين الروم، وقد حكمها الفرس لمدة قرنين قبل المسيحية، حتى غلبهم عليها الروم سنة ٢٣١ قبل الميلاد. وحاول الفرس في عهد كسرى أن يستعيدوا السيطرة عليها، فكانت معارك بينهم وبين الروم، ومنها معركة أذرعات وهي درعا الواقعة على الحدود السورية الأردنية، فانتصر فيها الفرس وفرح مشركوا قريش الذين كانوا يتعاطفون مع الفرس لأنهم وثنيون مثلهم، بينما تعاطف المسلمون مع الروم لأنهم أهل كتاب، فنزلت سورة الروم تبشرهم بأن الروم سيغلبون الفرس وأن المؤمنين سيفرحون بنصر الله أي نصرهم في بدر.

قال الله تعالى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الَمِ. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ

سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ. الروم: ١-٧.

قال في مجمع البيان: ٤٣/٨ **والطبري:** ٢٢/٢١: «هذه من الآيات الدالة على أن القرآن من عند الله عز وجل، لأن فيها أنباء ما سيكون، وما يعلم ذلك إلا الله عز وجل. قال عطية: سألت أبا سعيد الخدري عن ذلك، فقال: التقينا رسول الله ﷺ ومشركوا العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على المجوس، ففرحنا بنصر الله إيانا على مشركي العرب ونصر أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله: وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ».

وفسر أهل البيت عليهم السلام فرح المؤمنين بفرحهم بانتصارهم على الفرس وفتحهم لبلادهم. «الكافي ٢٦٩/٨» وفرحهم «بنصر الله عند قيام القائم عليه السلام» «تأويل الآيات: ٤٣٤/١» وفرحهم في القيامة: «يعني نصر فاطمة لمحبيها». «معاني الأخبار/٣٩٧».

وعليه يكون معنى قوله تعالى: وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ، فرحهم بأول النصر في بدر، ثم بمراحل انتصار المؤمنين في الدنيا والآخرة.

بدأ تدهور الأمبراطورية الفارسية من أيام بدر!

قال اليعقوبي: ٤٦/٢: «أعز الله نبيه وقتل من قريش من قتل، فأوفدت العرب وفودها إلى رسول الله ﷺ، وحاربت ربيعة كسرى وكانت وقعتهم بذي قار «الناصرية» فقالوا: عليكم بشعار التهامي فنادوا: يا محمد يا محمد! فهزموا جيوش كسرى وقتلوهم! فقال رسول الله ﷺ: اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبي نصروا. وكان يوم ذي قار بعد وقعة بدر بأشهر أربعة، أو خمسة».

وقال اليعقوبي: ٢٢٥/١: «وأما يوم ذي قار، فإنه لما قتل كسرى أبرويز النعمان بن المنذر بعث إلى هانئ بن مسعود الشيباني أن ابعث إليَّ ما كان عبدي النعمان استودعك من أهله وماله وسلاحه. وكان النعمان أودعه ابنته وأربعة آلاف درع، فأبى هانئ وقومه أن يفعلوا، فوجه كسرى بالجيوش من العرب والعجم،

فالتقـوا بذي قار فأتاهم حنظلة بن ثعلبـة العجلي فقلدوه أمرهم، فقالوا لهانئ: ذمتك ذمتنـا ولا نخفر ذمتنـا! فحاربوا الفرس فهزموهم ومن معهـم من العرب، وكان مع الفـرس إياس بن قبيصة الطائي وغيره من إخوة معد وقحطان، فأتى عمرو بن عدي بن زيد كسرى وأخبره الخبر فخلع كتفه فمات! فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم». راجع: المعارف لابن قتيبة/٦٠٣ والطبري: ٦٠٠/١.

وقـال ابـن خلـدون: ٢ ق: ٣٠٢/١: «وأما بنو عجـل بن لجيم بن صعـب، وهم الذين هزموا الفرس بمؤتة يوم ذي قار، فمنازلهم من اليمامة إلى البصرة، وقد دثروا وخلفهم اليـوم في تلـك البـلاد بنو عامر المنتفـق بن عقيل بن عامـر، وكان منهـم بنو أبي دلف العجلي، كانت لهم دولة بعراق العجم».

وفي الإصابة: ١١٧/٢، أن رئيس ربيعة حنظلة بن سيار، بلغه انتصار النبيﷺ في بدر ونزول سورة الأنفال، فأرسل خمس غنائمه من الفرس إلى النبيﷺ وقال:

ونحن بعثنا الوفد بالخيل ترتمي ... بهـم قُلُـصٌ نحـو النـبيّ محمـدِ

بمـا لـقي الهرمـوز والقـوم إذ غزوا ... وما لـقيَ النعمـان عنـد التورد»



الفصل الحادي والأربعون

«الخلافة الإسلامية»
تثأر من بني هاشم لقتلى بدر!

١. تعصب قريش القبلي أشد من تعصب اليهود القومي

خسرت قريش في معركة بدر نحو سبعين من شخصياتها على يد النبي صلى الله عليه وآله، فرفعت شعار» قتلى بدر«وأقامت عليهم أكبر مناحة في التاريخ! فلا توجد معركة أعمق تأثيراً في التاريخ من بدر، وما زالت نتائجها ممتدةً في حياتنا إلى اليوم!

وإذا قارنا توظيف قريش لشعار قتلى بدر، بتوظيف اليهود للهولوكوست، نجد أن القرشيين فاقوا اليهود بالإبتزاز كثيراً! وأول ابتزازهم سيطرتهم على الدولة بعد النبي صلى الله عليه وآله وعزلهم عترته أهل بيته عليهم السلام.

قال عثمان لعلي عليه السلام: «ما أصنع إن كانت قريش لاتحبكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كأن وجوههم شنوف الذهب، تشرب أنوفهم قبل شفاههم»!

أي وجوههم جميلة كأقراط الذهب وأنوفهم طويلة جميلة. نثرالدرر/٢٥٩، ابن حمدون/١٥٦٧، شرح النهج: ٢٢/٩ والمناقب: ٢١/٣.

فقريش لايمكنها أن تحب بني هاشم أبداً، لأنهم قتلوا ساداتها! فهي صاحبة ثأر عند النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وجميع بني هاشم، إلى يوم القيامة!

وقد أخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن قريشاً لن تنسى هزيمة بدر وقتل نخبة قادتها وفرسانها! وبالفعل جعلتها كمحرقة اليهود! واخترعت مبررات للإنتقام من بني هاشم وشيعتهم، وعزلت

بني هاشم عن الخلافة، لأن في أعناقهم دماء قريش والعرب وقد أخذوا النبوة وهي كافية عليهم، فالخلافة يجب أن تكون لبقية قبائل قريش!

لذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك، فإنها ضغائن في صدور قوم، أحقاد بدر وتراتُ أحد! وإن موسى أمر هارون حين استخلفه في قومه إن ضلوا ثم وجد أعواناً أن يجاهدهم بهم، فإن لم يجد أعواناً أن يكف يده ويحقن دمه ولا يفرق بينهم، فافعل أنت كذلك، إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً فاكفف يدك واحقن دمك». كتاب سُلَيم/٣٠٥.

٢. تأسست الخلافة القرشية على الثأر من بني هاشم!

اعترف ابن أبي الحديد، وهو سني معتزلي متعصب لأبي بكر وعمر، أن ثارات بدر وأحُد أوجبت قيام خلافة قرشية على أساس الثأر من بني هاشم، وقال إن بغض القرشيين للنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وبني هاشم طبيعي حتى بعد أن أسلموا!

قال في شرح النهج: ١٣/٢٩٩: «ولست ألوم العرب لا سيما قريشاً في بغضها له»علي«وانحرافها عنه، فإنه وترها وسفك دماءها، وكشف القناع في منابذتها! ونفوس العرب وأكبادهم كما تعلم! وليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس، كما نشاهده اليوم عياناً، والناس كالناس الأوَل، والطبائع واحدة! فاحسب أنك كنت من سنتين أو ثلاث جاهلياً أو من بعض الروم، وقد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك، ثم أسلمت، أكان إسلامك يُذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل وشنآنه؟ كلا، إن ذلك لغير ذاهب، هذا إذا كان الإسلام صحيحاً والعقيدة محققة، لا كإسلام كثير من العرب! فبعضهم أسلم تقليداً، وبعضهم للطمع والكسب، وبعضهم خوفاً من السيف، وبعضهم على طريق الحمية والإنتصار، أو لعداوة قوم آخرين من أضداد الإسلام وأعدائه!

واعلم أن كل دم أراقه رسول الله صلى الله عليه وآله بسيف علي عليه السلام وبسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته صلى الله عليه وآله عصبت تلك الدماء بعلي بن أبي طالب وحده، لأنه لم يكن في رهطه من

يستحق في شرعهم وسنتهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا بعلي وحده! وهـذه عادة العرب إذا قتـل منها قتلى طالبت بتلك الدمـاء القاتل، فإن مات أو تعذرت عليها مطالبته، طالبت بها أمثل الناس من أهله!

لَمَّا قَتَلَ قومٌ من بني تميم أخاً لعمرو بن هند، قال بعض أعدائه يحرض عَمْراً عليهم:

من مُبْلغٌ عَمْراً بأن المَرْ ء لـم يُخلـق صَبـارهْ
فاقتـــل زرارة لا أرى في القوم أمثلَ من زرارهْ!

فأمره أن يقتل زرارة رئيس بني تميم، ولم يكن قاتلاً أخ الملك ولا حاضراً قتله»!

أقول: يخاطب الشـاعر الملك هند بن عمرو ملك الحيرة، بأن الإنسـان لم يخلق صَبَارة، أي حجراً، بل له إحساسات ومنها غريزة الثأر، فيجب عليك أن تأخذ ثأرك من بني تميم الذين قتل أحدهم أخاك حتى لو كان قتل خطأ، وكان رئيسهم زرارة بن عدس غائباً عن قتله، لكنه أنسب شخصية لتقتله بثأرك.

فأطاع الملك الشاعر وهاجم بني تميم وقتل رئيسهم زرارة، وقتل معه أكثر من مئتين، وبقر بطون نسـائهم وأحرقهـم! فالقاعدة عند القبائل أن الثأر لا ينسـى بحـال من الأحوال والأزمان! وقريش لها ثأر عنـد محمدﷺ وأعظمه ثأرها في بدر وأُحُد، ولا يجوز أن تنساه حتى لو أسلمت!

وهـذا اعتراف جـرئ من ابن أبي الحديـد، وهو عالم متعصب للشـيخين، بأن خلافـة قريش قامت على الثأر من بني هاشـم، وأن بطـون قريش عصبت دماء قتلاهـا بعلي عليه السلام. أمـا وصية النبيﷺ بعترته وجعلهم كالقرآن، فلا يسـقط ثأر قريش عندهم! وأول الثأر أن تأخذ منهم دولة النبيﷺ وتعزلهم.

وعلى المسلم المنصف أن يفهم النتيجة الضخمة لذلك، على الإسلام كله.

ولذلك كانت أصوات علماء السـلطة أنفسـهم ترتفع أحيانـاً، كما فعل قتادة!

قال أبان بن عثمان: «حدثني فضيل البرجمي قال: كنت بمكة وخالد بن عبدالله القشـيري أمير «من قبل عبدالملك بن مروان» وكان في المسجد عند زمزم فقال: أدعـوا لي قتـادة، قال: فجاء شـيخ أحمر الرأس واللحية، فدنوت لأسـمع، فقال

خالـد: يـا قتادة أخبرني بأكـرم وقعة كانـت في العرب، وأعز وقعة كانـت في العرب، وأذل وقعـة كانت في العـرب! فقال: أصلح الله الأمير، أخـبرك بأكرم وقعة كانت في العـرب وأعز وقعة كانت في العرب، وأذل وقعة كانت في العرب، وهي واحدة! قال خالد: ويحك واحدة! قال: نعم أصلح الله الأمير. قال: أخبرني؟ قال: بدر.

قـال: وكيـف ذا؟ قال: إن بـدراً أكرم وقعـة كانت في العرب بها أكـرم الله عز وجل الإسلام وأهله، وهي أعز وقعة كانت في العرب بها أعز الله الإسلام وأهله، وهي أذل وقعـة كانـت في العرب، فلما قتلت قريش يومئذ ذلت العـرب. فقال له خالد: كذبت لعمر الله إن كان في العرب يومئذ من هو أعز منهم.

ويلك يا قتادة أخبرني ببعض أشعارهم؟ قال: خرج أبوجهل يومئذ وقد أعلم ليرى مكانه وعليه عمامة حمراء وبيده ترس مذهب وهو يقول:

ماتنقم الحرب الشموس مني بازلُ عامين حديثُ السـن

لمثـل هـذا ولدتنـي أمـي

فقـال: كـذب عدو الله إن كان ابن أخي لأ فرس منـه، يعني خالد بن الوليد وكانت أمه قشـيرية»من عشـيرته«فقال: ويلك يا قتادة من الذي يقول: أُوفي بميعادي وأحمي عن حسب؟ فقال: أصلح الله الأمير ليس هذا يومئذ، هذا يوم أحد خرج طلحة بن أبي طلحـة وهو ينادي من يبارز؟ فلم يخرج إليـه أحد فقال: إنكم تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار، ونحن نجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فليبرزن إلي رجل يجهزني بسيفه إلى النار، وأجهزه بسيفي إلى الجنة! فخرج إليه علي وهو يقول:

أنـا ابـن ذي الحوضـين عبـدِ المطلبْ وهاشـمِ المطعـمِ في العـامِ السَّـغِبْ

أوفي بميعادي وأحمي عن حَسَبْ

فقال خالد: كذب لعمري، والله أبو تراب ما كان كذلك! فقال الشـيخ: أيها الأمير إئذن لي في الإنصراف، قال: فقام الشـيخ يفرج الناس بيده وخرج وهو يقول: زنديقٌ ورب الكعبـة، زنديـقٌ ورب الكعبـة»! الكافي: ١١١/٨. فالسـلطة تريد إنـكار بطولات علي عليه السلام وكل تاريخه!

٣. ودون الرواة صفحات طويلة في حزن قريش على قتلى بدر

فقد حرَّمت قريش البكاء والزينة، حتى أخذت بثارها نسبياً في معركة أحد!

قال ابن هشام: ٤٧٤/٢: «ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم. وكان الأسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من ولده: زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيه، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل فقال لغلام له، وقد ذهب بصره: أنظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ، هل بكت قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة، يعني زمعة، فإن جوفي قد احترق. قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته، قال: فذاك حين يقول الأسود:

أتبكي أن يضل لها بعير ... ويمنعها من النوم السهود

فلا تبكي على بكر ولكن ... على بدر تقاصرت الجدود

على بدر سراة بني هصيص ... ومخزوم ورهط أبي الوليد

وبكي إن بكيت على عقيل ... وبكي حارثا أسد الأسود

وبكيهم ولا تسمي جميعاً ... وما لأبي حكيمة من نديد

وفي ديوان الحماسة للمرزوقي: ٦١٧/١: «**على بدر تقاصرت الجدود:** يريد أن الذي يجب البكاء له ما جرى على رؤساء قريش وأرباب الجدود فيهم ببدر، وأن الحيف العظيم والخسران المبين والغبن الشديد في ذاك، لا في ضلال بَكر، أي بعير».

ونظم شعراء قريش قصائد كثيرة في رثاء قتلى بدر، نشروها بين العرب، خاصة من شعر ابن الزِّبَعْرَى، وضرار بن الخطاب، والحاخام كعب بن الأشرف، وكلها هجاء للنبي ﷺ والأنصار، ومدح لمشركي قريش، فكانت تقرأ في مجالس الأمراء، وصارت ثقافة لمجالس الخمر، حتى تأثر بها بعض المسلمين!

وسيأتي أن بعض الصحابة شربوا الخمر في المدينة، وتغنوا بالنوح على قتلى بدر! ومن شعر ضرار، سيرة ابن هشام: ٥٣٩/٢:

عجبت لفخر الأوس والحين دائر — عليهم غدا، والدهر فيه بصائر
وفخربني النجار أن كان معشر — أصيبوا ببدر كلهم تَمَّ صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا — فإنا رجال بعدهم سنغادر
وتردى بنا الجرد العناجيج وسطكم — بني الأوس حتى يشتفي النفس ثائر

ومن شعر عبدالله بن الزبعرَى السهمي «ابن هشام: ٥٤١/٢»:

ماذا على بدر وماذا حوله — من فتية بيض الوجوه كرام
تركوا نبيهاً خلفهم ومنبهاً — وابني ربيعة خيرخصم فئام
والحارث الفياض يبرق وجهه — كالبدر جلى ليلة الأظلام
والعاصي بن منبه ذا مرة — رمحاً تميماً غيرذي أوصام
تنمى به أعراقه وجدوده — ومآثر الأخوال والأعمام...

واشتهرت قصيدته في أُحُد أكثر من غيرها:

يا غراب البين أسمعت فقل — إنما تنطق شيئاً قد فعل
أبلغن حسان عني آية — فقريض الشعريشفي ذاالغلل
كم قتلنا من كريم سيد — ماجد الجدين مقدام بطل
فسل المهراس من ساكنه؟ — بين أقحاف وهام كالحجل
ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسل
حين حكت بقباء بركها — واستحر القتل في عبدالأشل
فقتلنا الضعف من أشرافهم — وعدلنا ميل بدر فاعتدل
بسيوف الهند تعلوهامهم — عَلَلاً تعلوهمُ يعد نهل

فأجابه حسان بن ثابت:

ذهبتْ يا بن الزبعرى وقعةٌ — كان منا الفضل فيها لوعدل

ولقد نلتم ونلنا منكم وكذاك الحرب أحياناً دول
نضع الأسياف في أكتافكم حيث نهوى عللاً بعد نهل

ومن شعر كعب بن الأشرف اليهودي، «ابن هشام ٢/٥٦٤»:

«طحنت رحى بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم لا تبعدوا، إن الملوك تصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد ذي بهجة يأوى إليه الضيع..

وقال أياس بن زنيم يحرض مشركي قريش على قتل علي عليه السلام:

في كل مجمع غاية أخزاكم جذعٌ أبرُّعلى المذاكي القرَّح
لله دركم ألمَّا تنكروا قد ينكر الحرُّ الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ذبحاً وقتلاً قعصةً لم يذبح
أين الكهول وأين كل دعامة في المعضلات وأين زين الأبطح
أفناهم قعصاً وضرباً يفتري بالسيف يعمل حده لم يصفح
أعطوه خرجاً واتقوا بمصيبة فعل الذليل وبيعة لم تربحِ»

الإصابة: ١/٢٣١، أنساب الأشراف/١٨٨ وتاريخ دمشق: ٨/٤٢.

٤. الشيخان يشربان الخمر وينوحان على قتلى بدر!

بلغ من تأثير الإعلام القرشي، أن مجالس الخمر والسمر في المدينة كان يقرأ فيها شعر الرثاء والنياحة على قتلى بدر! وقد رووا أن مجلساً ضم أحد عشر صحابياً فيهم الشيخان أبو بكر وعمر، شربوا الخمر وغنوا بالنوح على قتلى بدر!

فجاء النبي صلى الله عليه وآله وبيده سعفة أو مكنسة يريد أن يضربهم!

وتتفاجأ بأن هذا الحديث صحيح عندهم، فقد رواه تمام الرازي المتوفى: ٤١٤، في **كتابه الفوائد: ٢/٢٢٨، برقم: ١٥٩٣** وطبعة: ٣/٤٨١، بسند صحيح عن عوف، عن أبي القموص قال: «شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم فأخذت فيه، فأنشأ يقول:

تَحَيَّ بالسلامة أمَّ بكرٍ وهل لك بعد رهطك من سلامِ
ذريني أصطبح يا بكرإني رأيت الموت نقَّبَ عن هشام
فودَّ بنو المغيرة أن فدوْهُ بألف من رجال أو سوام
فكائن بالطويّ طويّ بدر من القينات والخيل الكرام
فكائن بالطويّ طويّ بدر من الشيزى تُكلل بالسنام

فبلغ ذلك النبيﷺ فقام معه جريدة يجر إزاره حتى دخل عليه، فلما نظر إليه قال: أعوذ من سخط الله ومن سخط رسوله، والله لا يلج لي رأساً أبداً! فذهب عن رسول الله ما كان فيه، وخرج ونزل عليه: فَهَلْ أنتمْ مُنْتَهُون؟! فقال عمر: انتهينا والله».

ورواه الثعلبي في تفسيره: ١٤٢/٢ دون أن يسميهما قال: «وكان قوم يشربونها ويجلسون في بيوتهم، وكانوا يتركونها أوقات الصلاة، ويشربونها في غير حين الصلاة، إلى أن شربها رجل من المسلمين فجعل ينوح على قتلى بدر، ويقول... فبلغ ذلك رسول الله فخرج مسرعاً يجر رداءه حتى انتهى إليه، ورفع شيئاً كان بيده «سعفة» ليضربه، فلما عاينه الرجل قال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله، والله لا أطعمها أبداً».

ورواها ابن هشام: ٥٤٩/٢ بأطول منه، وفيها أبيات أبي بكر في إنكار الآخرة قال:

«يخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداءٍ وهامِ»!

وفي الصحيح من السيرة: ٣٠١/٥:

أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداءٍ وهامِ
أيعجز أن يرد الموت عني وينشرني إذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمان عني بأني تارك شهر الصيام
فقل الله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي»

وروى ابن حجر في الإصابة: ٣٩/٧ عن الفاكهي في كتاب مكة أن الرجل كان

أبابكر! وفيه: «شرب أبو بكر الخمر فأنشأ يقول: فذكر الأبيات. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام يجر إزاره حتى دخل فتلقاه عمر وكان مع أبي بكر، فلما نظر إلى وجهه محمراً، قال: نعوذ بالله من غضب رسول الله! والله لا يلج لنا رأسا أبداً! فكان أول من حرمها على نفسه! واعتمد نفطويه على هذه الرواية فقال: شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم، ورثى قتلى بدر من المشركين»!

وذكر ابن حجر في فتح الباري: ٣١/١٠، أن تلك الجلسة كانت حفلة خمر في بيت أبي طلحة، وكانوا أحد عشر صحابياً، وكان ساقيهم أنس بن مالك! ثم قال: «ولأحمد عن يحيى القطان عن حميد عن أنس: كنت أسقي أبا عبيدة وأبي بن كعب وسهيل بن بيضاء، ونفراً من الصحابة عند أبي طلحة. ووقع عند عبدالرزاق عن معمر بن ثابت وقتادة وغيرهما عن أنس، أن القوم كانوا أحد عشر رجلاً، وقد حصل من الطرق التي أوردتها تسمية سبعة منهم، وأبهمهم في رواية سُلَيْمان التيمي عن أنس. ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان عن أنس، أن أبابكر وعمر كانا فيهم! وهو منكر، مع نظافة سنده، وما أظنه إلا غلطاً»!

يقصد أن سند الحديث صحيح وكان فيهم أبو بكر وعمر، لكن مكانتهما كثيرة فهو حديث مستنكر! لكن مذهبه إذا صح الحديث فلا قيمة لاستغراب معناه!

والأدهى من ذلك أن القصة كانت عند تواصل نزول سورة المائدة، أي قبل وفاة النبي ﷺ بشهر أو شهرين! لأن آية: فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ. «المائدة: ٩١». من سورة المائدة، وهي آخر سورة نزلت من القرآن، قبيل وفاة النبي ﷺ!

كما نلاحظ أن القصة انتشرت بين المسلمين، وقالوا إن القصيدة لأبي بكر! فنفت عائشة أن يكون أبوها نظم هذا الشعر، ولم تنف مشاركته في الحفلة وإنشاده!

فقد روى بخاري في صحيحه: ٢٦٣/٤ دفاعها فقال: «عن عائشة أن أبابكر تزوج امرأة من كلب يقال لها أم بكر، فلما هاجر أبو بكر طلقها فتزوجها ابن

عمها هذا الشاعر، الذي قال هذه القصيدة، ورثى كفار قريش:

وماذا بالقليب قليب بدر ... من الشيزى تزين بالسنام

وماذا بالقليب قليب بدر ... من القينات والشرب الكرام

تحيّ بالسلامة أم بكر ... وهل لي بعد قومي من سلام

يحدثنا الرسول بأن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام»

لكن عائشة لم تحل المشكلة، لأنها نفت أن أباها نظم القصيدة ولم تنف إنشاده لها! فالمهم عندها نفي نظمها لأنها تثبت كفر ناظمها وإنكاره النبوة والآخرة، أما إنشادها فهو أقل مصيبةً!

وروى ابن حجر في الإصابة: ٣٩/٧ أنها كانت غاضبة لأن الناس لم يصدقوها! «كانت تدعو على من يقول إن أبابكر الصديق قال هذه القصيدة ثم تقول: والله ما قال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الإسلام، ولكن تزوج امرأة من بني كنانة ثم بني عوف فلما هاجر طلقها فتزوجها ابن عمها هذا الشاعر، فقال هذه القصيدة يرثي كفار قريش الذين قتلوا ببدر، فتحامى الناس أبابكر من أجل المرأة التي طلقها، وإنما هو أبو بكر بن شعوب».

تقصد أن أم بكر المخاطبة بالقصيدة هي زوجة أبيها لكنه طلقها عندما هاجر، وتزوجها ابن شعوب وهو الذي نظم القصيدة! راجع في الموضوع: أمالي الطوسي/٧٣٧، رواها بسبعة أبيات، ابن هشام: ٥٤٩/٢ ورواها بتسعة أبيات، الغدير: ٩٦/٢٥١،٧/٦ و٩٥/٧، فتح الباري: ٣٠/١٠. **قد أطال في الموضوع ودافع بما يستطيع، لكن كلامه فيه تعجب وتحير**، وسيرة ابن كثير: ٥٣٥/٢، مستدرك الوسائل: ٨٣/١٧، السقيفة أم الفتن/٧٤، فيض القدير: ١/ ١١٧، الإصابة: ٣٨/٧، الصحيح من السيرة: ٣٠١/٥ و٣٠٤، مجمع الزوائد: ٥١/٥، الهداية الكبرى/١٠٦، أمالي المرتضى: ١٨/٢، النص والإجتهاد/٣١١، أحاديث الشعر للمقدسي/٥٧، النهاية: ٤١٢/٣، تفسير الثعلبي: ١٤٢/٢ والإصابة: ٣٨/٧.

٥. دين قريش القبول بالتناقض!

مـن تناقض القرشـيين أنهم أرادوا خلافـة النبيﷺ، وبنفـس الوقت أرادوا أن يأخذوا منه ثأر بدر! وقد ظهرت «مناحتهم» على قتلى بدر على ألسـنة «خلفاء النبيﷺ»! الذين يعرفون جيداً أنه لولا معركة بدر لما كان إسـلامٌ، ولا خلافةٌ يجلسـون عـلى كرسـيها! ويعرفـون أن الـذي يجلـس عـلى كرسي خلافـة محمد يفـترض أنه مسـلم، وأنه إلى جانـب النبيﷺ في معركة بدر، وضـد من قتلهم من المشركين! لكن تعقيد الشـخصية القرشية جعلتهم يتبنون نتيجة معركة بدر التي منها الخلافة، ويتبنون «مناحة قومهم» على قتلى بدر، لأنها تنفعهم ضد بني هاشم وتساعدهم في إبعادهم عن الخلافة!

قال عمر لابن عباس في محاورته الشهيرة في الخلافة: «كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فتجحفوا جحفاً «تكبراً» فنظرت قريش لنفسـها فاختارت ووفقت فأصابت.. أبت قلوبكم يا بني هاشـم إلا غشـاً في أمر قريش لايزول»!

تاريخ الطبري: ٣/٢٨٨، شرح النهج: ٦/٥٠، جمهرة الأمثال: ١/٣٣٩ والعقد الفريد/١٣٧٨.

وقـال عبـدالله بن عمـر لعليعليه السلام: «كيف تحبـك قريش وقد قتلـت في يوم بدر وأحُد من ساداتهم سبعين سيداً، تشرب أنوفهم الماء قبل شفاهم»! المناقب: ٣/٢١.

وتقدم قول عثمان لعليعليه السلام مثل ذلك.

فالخليفـة المحـترم يعـرف أنه لـولا قتل بني هاشـم لمشركي قريـش في بدر، لما كانـت دولة النبيﷺ التي يتنعـم بحكمها! ويعرف أن قتلى بـدر طغاة، عملوا لقتـل النبيﷺ في بدر وقبلها. ويعرف أن قريشـاً أعلنت إسـلامها والمفروض أنها تبرأت من الشرك والمشركين!

ومع ذلك يعطي قريشـاً الحق في كره بني هاشـم ومطالبتهم بدماء مشـركيها! فاعجب لخليفةٍ يدين منطق الإسلام الذي يلبس ثوبه ويحكم بإسمه!

وعندمـا تقـوم «الخلافة» على أسـاس الثأر من بني هاشـم، فمـن الطبيعي أن تقوم بقتل الأئمة من عترة النبيﷺ وتقمع شـيعتهم، وتشـوه سمعتهم، وتبيد

المصادر الثقافية لمذهبهم! وما زالت هذه السياسة سارية في العالم الإسلامي إلى اليوم!

لاحظ جواب الزهراء لأم سلمةعليها السلام«المناقب: ٤٩/٢»: «كيف أصبحت يابنت رسول الله؟ فقالت: أصبحت بين كمد وكرب! فُقِدَ النبيﷺ وظُلِمَ الوصي، وهُتك والله حجابه، وأصبحت إمامته مقتصة على غير ما شرع الله في التنزيل، وسنها النبيﷺ في التأويل! ولكنها أحقاد بدرية وترات أحدية كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الآثار من مخيلة الشقاق».

وقال عليعليه السلام **لقريش**: «وإني لصاحبكم بالأمس، لعمر أبي وأمي لن تحبوا أن يكون فينا الخلافة والنبوة، وأنتم تذكرون أحقاد بدر وثارات أحد! أما والله لو قلت ما سبق الله فيكم، لتداخلت أضلاعكم في أجوافكم، كتداخل أسنان دوارة الرحى! فإن نطقت يقولون حسداً! وإن أسكت فيقال ابن أبي طالب جزع من الموت! هيهات هيهات، الساعة يقال لي هذا؟! وأنا المميت المائت، وخواض المنايا في جوف ليل حالك». الإحتجاج: ١٢٧/١.

وقال عبدالرحمن بن جندب: «لما بويع عثمان، سمعت المقداد بن الأسود الكندي يقول لعبدالرحمن بن عوف: والله يا عبدالرحمن ما رأيت مثل ما أُتِيَ إلى أهل هذا البيت بعد نبيهمﷺ! فقال له عبدالرحمن: وما أنت وذاك يا مقداد؟ قال: إني والله أحبهم لحب رسول الله لهم ويعتريني والله وجد لا أبثه بثة، لتشرُّف قريش على الناس بشرفهم واجتماعهم على نزع سلطان رسول اللهﷺ من أيديهم!

فقال له عبدالرحمن: ويحك والله لقد اجتهدت نفسي لكم! فقال له المقداد: أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم يوم بدر وأحد!

فقال له عبدالرحمن: ثكلتك أمك يا مقداد لا يسمعن هذا الكلام منك الناس، أما والله إني لخائف أن تكون صاحب فرقة وفتنة. قال جندب: فأتيته بعد ما انصرف من مقامه وقلت له: يا مقداد أنا من أعوانك، فقال: رحمك الله إن الذي نريد لايغني فيه الرجلان والثلاثة. فخرجت من عنده فدخلت على عليعليه السلام فذكرت له ما قال وما قلت. قال: فدعا لنا بالخير». أمالي المفيد/١٦٩.

وقال في الصحيح من السيرة: ١٥٤/٦: «ولم تستطع قريش أن تنسى ثارات بدر وأحُد وسائر المعارك، حتى أن حرب صفين كما قالت أم الخير بنت الحريش: كانت لإحن بدرية وأحقاد جاهلية وضغائن أحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس! بل إن مجزرة كربلاء وفاجعة قتل الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه كانت لها دوافع بدرية وإحن أحدية أيضاً، فقد قال اللعين يزيد بن معاوية: **ليت أشياخي ببدر شهدوا**... ولما وصل رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة رمى مروان بالرأس نحو قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد يوم بيوم بدر»!

وفي تاريخ الطبري: ١٨٧/٨: «طلب يزيد بثارات المشركين عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها، ولا أفحش مما ارتكب من الصالحين فيها! وشفى بذلك حقد نفسه وغليله، وظن أن قد انتقم من أولياء الله وبلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره، ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتكم	وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل!

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه»!

وقد أجابت زينب عليها السلام **يزيداً في مجلسه فقالت له**: «أتقول: **لبت أشياخي ببدر شهدوا**.. غير متأثم ولا مستعظم، وأنت تنكث ثنايا أبي عبدالله بمخصرتك! ولم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإهراقك دماء ذرية رسول الله ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب. ولتردنَّ على الله وشيكاً موردهم، ولتودن أنك عميت وبكمت، وأنك لم تقل: **فاستهلوا وأهلوا فرحاً**.. اللهم خذ بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا». بلاغات النساء لابن طيفور/٢٠.

وقال الإمام الصادقعليه السلام: «لقي المنهال بن عمرو علي بن الحسين بن علي عليه السلام فقال له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: ويحك أما آن لك أن تعلم كيف أصبحت؟ أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا! وأصبح خير البرية بعد محمد صلى الله عليه وآله يلعن على المنابر! وأصبح عدونا يعطى المال والشرف، وأصبح من يحبنا محقوراً منقوصاً حقه، وكذلك لم يزل المؤمنون! وأصبحت العجم تعرف للعرب حقها بأن محمداً منها، وأصبحت قريش تفتخر على العرب بأن محمداً منها، وأصبحت العرب تعرف لقريش حقها بأن محمداً منها، وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منها! وأصبحنا أهل البيت لا يُعرف لنا حق! فهكذا أصبحنا يا منهال»! تفسير القمي: ٢/١٣٤.

الفصل الثاني والأربعون

النبي ﷺ والعرب من غزوة بدر إلى أحد

١- ثلاث غزوات وعدة سرايا في سنة واحدة!

ينبغي التذكير بأن النبي ﷺ مسدد من ربه، لاينطق عن الهوى ولا يفعل إلا ما يؤمر به. ومن ذلك خروجه بنفسه لحرب عدوه، أو إرساله سرايا.

«رجع النبي ﷺ من بدر في الثاني والعشرين من رمضان في السنة الثانية للهجرة وكانت حرب أُحُد في الرابع عشر من شوال سنة ثلاث للهجرة». المحبر/١١١.

وفي هذه السنة بعث النبي ﷺ عدة سرايا في مهمات دفاعية أو هجومية، وشارك بنفسه في ثلاث غزوات، وعدها بعضهم ستاً. عيون الأثر: ٣٨٢/١.

والصحيح أنها ثلاثة، لكن تسميات الرواة لها متعددة.

كما بعث سرايا في مهمات خاصة لاغتيال يهود ناشطين في عداء الإسلام، منها سرية سالم بن عمير لقتل أبي عفك اليهودي، وسرية أخرى لقتل كعب بن الأشرف. «الطبقات: ٢٧/٢» وسرية لقتل عصماء بنت مروان.

٢. غزوة بني سُلَيْم

غزوة بني سُلَيْم وبني غطفان بناحية نجد، وسماها بعضهم غزوة قرقرة الكَدَر لأنهم مروا فيها عليها، والقرقرة الأرض الملساء، والكَدَر اللون غير النقي. وهي نفسها غزوة الفرع، وغزوة بحران، وهو معدن بالحجاز، «ابن هشام: ١٨/٦» قرب الفرع، «الطبري: ٢٤٠٤» وهي

نفسها غزوة ذي أمر، لوحدة أحداثهما.

«ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من بدر لم يُقم بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سُلَيْم، حتى بلغ ماء من مياههم يقال له الكَدَر، فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً. فأقام بها بقية شوال وذا القعدة، وفادى في إقامته جل أسارى بدر من قريش». إعلام الورى: ١٧٢/١.

٣. غزوة ذات السويق

ثم كانت غزوة السويق، وذلك أن أبا سفيان نذر أن لا يمس رأسه من جنابة حتى يغزو محمداً ﷺ وكان العرب مع عبادتهم الأصنام فيهم بقايا شريعة إبراهيم الحنيفية ومنها غسل الجنابة. فخرج أبو سفيان في مائة راكب من قريش ليبرَّ يمينه، حتى إذا كان على بريد من المدينة أتى بني النضير ليلاً، فضرب على حيي بن أخطب بابه فأبى أن يفتح له، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير، فاستأذن عليه فأذن له وسارَّه، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه. وبعث رجلاً من قريش إلى المدينة فأتوا ناحية يقال لها العريض، فوجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له فقتلوهما ثم انصرفوا.

ونذر بهم الناس أحسُّوا فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكَدَر، فرجع وقد فاته أبو سفيان، ورأوا زاداً من أزواد القوم قد طرحوها يتخففون منها للنجاء. فقال المسلمون حين رجع رسول الله بهم: يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة؟ فقال: نعم». إعلام الورى: ١٧٣/١.

وفي إمتاع الأسماع: ١٢٣/١، عن ابن إسحاق أنه ﷺ غزا قريشاً حتى بلغ بحران معدناً بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً».

والمرجح أنها نفس غزوة السويق، وهي تدل على أن أبا سفيان لم يستطع تجنيد أكثر من مئتي راكب، فجاء بهم خفية إلى قرب المدينة، وتسلل ليلاً مع بضعة أشخاص

إلى حلفائه يهود بني النضير في ضاحية المدينة، فخاف رئيسهم حي بن أخطب أن يفتح له وينقض عهده مع النبيﷺ فذهب أبوسفيان إلى رئيس آخر من بني النضير هو ابن مشكم، ففتح له وتداول معه في حرب النبيﷺ وشرب معه الخمر، ونصحه أن يرجع قبل أن يكتشف محمدﷺ وجوده، فرجع تلك الليلة، لكنه أراد أن يقوم بعمل ما، فأرسل بضعة نفر إلى مزرعة معبد بن عمرو الأنصاري المنفردة عن المدينة، فقتلوه مع أجيره وأحرقوا زرعه ونخله!

فتبعهم النبيﷺ بأصحابه فأسرعوا وتخففوا من زادهم ورموه عن جمالهم، وكان السويق وهو الحنطة المحمصة المطحونة، يضاف اليها زيت أو سكر. فسميت غزوة السويق أو ذات السويق.

٤. غزوة ذي أمر

بعد غزوة السويق أقامﷺ بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم، وكانت غزوة ذي أمر، وذلك لما بلغه أن جمعاً من غطفان تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة، عليهم رجل يقال له: دعثور بن الحارث بن محارب، فخرج في أربع مائة وخمسين رجلاً ومعهم أفراس، وهرب منه الأعراب فوق ذرى الجبال ونزلﷺ ذا أمر وعسكر به، وأصابهم مطر، فذهب النبيﷺ لحاجته فأصابه المطر فبلَّ ثوبه، فنزع ثيابه ونشرها لتجف وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها، وكان وادي أمر بينه وبين أصحابه، والأعراب ينظرون إلى ما يفعل، فقالت الأعراب لدعثور وكان سيدهم وأشجعهم: قد أمكنك محمد وقد انفرد من بين أصحابه، فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً، ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على رأس رسول اللهﷺ بالسيف مشهوراً فقال: يا محمد من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله! ودفع جبرئيل في صدره فوقع السيف من يده، فأخذه رسول اللهﷺ وقام على رأسه وقال: من يمنعك مني؟ قال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والله لا أكثِّر عليك جمعاً أبداً! فأعطاه

رسول الله سيفه وأدبر، ثم أقبل بوجهه وقال: والله لأنت خير مني! قال رسول الله: أنا أحق بذلك منك. فأتى قومه فقيل له: أين ماكنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك؟ قال: قد كان والله ذلك، ولكني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك وشهدت أن محمداً رسول الله. والله لا أكثّرُ عليه! وجعل يدعو قومه إلى الإسلام ونزلت هذه الآية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ...».

أقول: وردت روايات أخرى في قصة دعثور «راجع الصحيح: ١٧/٦» وكان اليهود وقريش يحركون بعض قبائل نجد مثل بني سُلَيْم للغارة على المدينة، وكانت لهم سابقة في غزو المدينة، ومعارك مع الأوس والخزرج، فبادر النبي صلى الله عليه وآله إلى غزوهم لدفع شرهم، فتفرقوا ولم يواجهوه، وهدى الله رئيسهم.

٥. سرية حارثة بن زيد لاعتراض قافلة قريش

وأشهر سرايا النبي صلى الله عليه وآله بعد بدر، سرية زيد بن حارثة لاعتراض قافلة قريش الذاهبة إلى الشام عن طريق العراق، وقد سميت غزوة قرقرة الكَدَر، لأنهم مروا عليها، وغزوة بني سُلَيْم لأنهم مروا عليهم، وغزوة القِرَدَة، باسم ماء في نجد. كما سميت غزوة مع أنها سرية وإسم الغزوة خاص بالتي يشارك فيها النبي صلى الله عليه وآله.

قال في إعلام الورى: ١٧٤/١: «بعث رسول الله صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة بعد رجوعه من بدر إلى المدينة بستة أشهر، فأصابوا عيراً لقريش على القردة فيها أبوسفيان ومعه فضة كثيرة، وذلك لأن قريشاً قد خافت طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر، فسلكوا طريق العراق واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيان يدلهم على الطريق، فأصاب زيد بن حارثة تلك العير وأعجزته الرجال هرباً. وفي رواية الواقدي: أن ذلك العير مع صفوان بن أمية، وأنهم قدموا بالعير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأسروا رجلاً أو رجلين، وكان فرات بن حيان أسيراً فأسلم، فتُرِكَ من القتل».

فأعطى النبيﷺ خمسها لبني هاشم، فبلغ عشرين ألف درهم، وقسم الباقي بين المقاتلين. الإمتاع: ١٢٩/١.

وفي الطبقات: ٣٦/٢: «كانت لهلال جمادى الآخرة.. والقردة من أرض نجد بين الربذة والغمرة. وأسر فرات بن حيان فأتي به النبيﷺ فقيل له إن تسلم تترك، فأسلم فتركه رسول الله».

٦. محاولة قريش قتل النبي ﷺ ثأراً ببدر

كان صفوان بن أمية زعيم كنانة المتحالفة مع مشركي قريش، وكان ثرياً فجَنَّدَ شخصاً لقتل النبيﷺ، وأرسله متخفياً إلى المدينة.

ففي الخرائج: ١١٩/١ من حديث عليعليه السلام مع اليهودي عن معجزات النبيﷺ قال: «ومنها: أن المشركين لما رجعوا من بدر إلى مكة أقبل عمير بن وهب الجمحي حتى جلس إلى صفوان بن أمية بن خالد الجمحي، فقال صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر! قال عمير: أجل والله ما في العيش بعدهم خير، ولولا دَيْنٌ عليَّ لا أجد له قضاء، وعيال لا أدع لهم شيئاً، لرحلت إلى محمد حتى أقتله إن ملأت عيني منه، فإنه بلغني أنه يطوف في الأسواق، وإن لي عندهم علة، أقول قدمت على ابني هذا الأسير. ففرح صفوان بقوله وقال: يا أبا أمية هل نراك فاعلاً؟ قال: إي ورب البنية. قال صفوان: فعليَّ دينك وعيالك أسوة عيالي، وأنت تعلم أن ليس بمكة رجل أشد توسعاً على عياله مني. فقال عمير: قد عرفت بذلك يا أبا وهب. قال: صفوان: فإن عيالك مع عيالي لن يسعني شيء ويعجز عنهم، ودَيْنك عليَّ. فحمله صفوان على بعيره وجهزه وأجرى على عياله ما يجري على عيال نفسه، وأمر عمير بسيفه فشُحذ وسُمَّ، ثم خرج إلى المدينة، وقال لصفوان: أكتم عليَّ أياماً حتى أقدمها. فلم يذكرها صفوان، فقدم عمير فنزل على باب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فتقلده، ثم عمد نحو رسول الله، فلما رآه النبيﷺ قال له: ما أقدمك يا عمير؟ قال: قدمت في أسيري

عندكم تفادوننا وتحسنون إلينا فيه فإنكم العشيرة. قال النبيﷺ: فما بال السيف؟ قال: قبحها الله من سيوف وهل أغنت من شئ! إنما نسيته حين نزلتُ وهو في رقبتي!

فقال له رسول اللهﷺ: فما شرطت لصفوان في الحجر؟ ففزع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ قال: تحملت له بقتلي على أن يقضي دينك ويعول عيالك، والله حائل بيني وبين ذلك! قال عمير: أشهد أنك رسول الله وأنك صادق، وأن لا إله إلا الله، كنا يا رسول الله نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان شيئاً بيني وبين صفوان كما قلت، لم يطلع عليه غيري وغيره، وقد أمرته أن يكتم عليَّ أياماً فأطلعك الله عليه، فآمنت بالله وبرسوله وشهدت أن ما جئت به صدق وحق!

قالﷺ: علموا أخاكم القرآن، وأطلقوا له أسيره.

فقال عمير: «إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله وقد هداني الله فله الحمد، فأذن لي لألحق قريشاً فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام، فأذن له فلحق بمكة، وكان صفوان يسأل عن عمير فقيل له: إنه أسلم، فطرح عياله! وقدم عمير فدعاهم إلى الله وأخبرهم بصدق رسول اللهﷺ فأسلم معه نفر كثير». **ورواه في مغازي الواقدي**/٧١، **في الإحتجاج**: ٣٣٣/١، **مختصراً ورواه ابن هشام**: ٤٨٥/٢، **لكن زاد فيه منقبة لعمر بأنه هو الذي اكتشف عميراً وحذر منه النبيﷺ!**



الفصل الثالث والأربعون

النبي ﷺ واليهود من غزوة بدر الى أحد

١- حاخامات اليهود في زمن النبي ﷺ

يتشابه زعماء بطون قريش مع أقاربهم اليهود إلى حد كبير، في عدائهم للنبي وعنادهم! فقد كذَّبوه وآذوه، وحاولوا قتله طول ثلاث عشرة سنة، وبعدها!

ثم هاجر ﷺ عنهم وطلب منهم أن يتركوه والعرب ويقفوا على الحياد، فلم يفعلوا، وأصروا على حربه، فحاربوه في بدر وانهزموا، ولم يأخذوا العبرة. ثم أُحد والخندق، ولم يأخذوا العبرة. وابتلاهم الله بالقحط والسنوات العجاف فكانوا كما قال الله عنهم: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ. وباغتهم النبي ﷺ في مكة ففتحها وأجبرهم على خلع سلاحهم فلم يعتبروا!

وكذلك اليهود في إصرارهم على عداوته ﷺ وحماقتهم وفتح الحروب عليه! فقد جاؤوا بعد المسيح عليه السلام إلى جزيرة العرب، وسكنوا في تيماء وأم القرى وخيبر والمدينة ومكة، ينتظرون النبي الموعود ﷺ، وكانوا يتوعدون به العرب وأنه سيأتي ويكونون معه، وبذلك هيؤوا أهل المدينة للإيمان به! ولما بعثه الله تعالى كفروا به، لأنه من أولاد إسماعيل عليه السلام وليس من أولاد إسحاق عليه السلام! وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوبِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ. البقرة: ٨٩-٩٠.

وكان اليهود مجموعات قبلية يرأسهم حاخاماتهم. وقد جاؤوا لهدف ديني هو انتظار بعثة النبي الموعود ومعهم كتبهم، وتحالفوا في المدينة مع الأوس والخزرج واشتغلوا بالزراعة والتجارة والصياغة.

وكان لهم في كل منطقة مدرستان: المدراس لتدريس التوراة وتسمى الفهر، «لسان العرب: ٦٦/٥» والمشناة، التي لتدريس التلمود أو الشريعة.

وكان أسوأ حاخاماتهم: كعب بن الأشرف رئيس بني النضير، وخليفته حيي بن أخطب، فقد أفرطا في عداء النبيﷺ وتحريك قريش والعرب ضده!

وذكر ابن هشام: ٣٥٨/٢ أسماء اليهود الذين نصبوا العداء للنبيﷺ وكان ابن إسحاق خبيراً بهم، قال: «ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول اللهﷺ العداوة بغياً وحسداً وضغناً..وكانت أحبار يهودهم الذي يسألون رسول اللهﷺ ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل، فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه.. منهم: حيي بن أخطب، وأخواه أبو ياسر بن أخطب، وجدي بن أخطب، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وسلام بن أبي الحقيق، وأخوه سلام بن الربيع.. والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف، وهو من طيئ، ثم أحد بني نبهان، وأمه من بني النضير، والحجاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، وكردم ابن قيس، حليف كعب بن الأشرف، فهؤلاء من بني النضير.

ومن بني ثعلبة بن الفطيون: عبدالله بن صوريا الأعور، ولم يكن بالحجاز في زمانه أعلم بالتوراة منه، وابن صلوبا، ومخيريق، وكان حبرهم، أسلم.

ومن بني قينقاع: زيد بن اللصيت.. وسعد بن حنيف، ومحمود بن سيحان، وعزيز بن أبي عزيز، وعبدالله بن صيف. قال ابن إسحاق: وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفنحاص، وأشيع، ونعمان بن أضا، وبحري بن عمرو، وشاس بن عدي، وشاس بن قيس، وزيد بن الحارث، ونعمان بن عمرو، وسكين بن أبي سكين، وعدي بن زيد، ونعمان بن أبي أوفى، أبو أنس، ومحمود بن دحية، ومالك بن صيف.. وكعب بن راشد، وعازر، ورافع بن أبي رافع، وخالد، وإزار بن أبي إزار.. ورافع بن حارثة،

ورافع بن حريملة، ورافع بن خارجة، ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وعبدالله بن سلام بن الحارث، وكان حبرهم وأعلمهم، وكان اسمه الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبدالله، فهؤلاء من بني قينقاع.

ومن بني قريظة: الزبير بن باطا بن وهب، وعزال بن شمويل، وكعب بن أسد، وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقضه عام الأحزاب، وشمويل بن زيد، وجبل بن عمرو بن سكينة، والنحام بن زيد، وقردم بن كعب، ووهب بن زيد، ونافع بن أبي نافع، وأبو نافع، وعدي بن زيد، والحارث بن عوف، وكردم بن زيد، وأسامة بن حبيب، ورافع بن رميلة، وجبل بن أبي قشير، ووهب بن يهوذا، فهؤلاء من بني قريظة.

ومن يهود بني زريق: لبيد بن أعصم، وهو الذي أخذ رسول الله ﷺ عن نسائه. ومن يهود بني حارثة: كنانة بن صورياء. ومن يهود بني عمرو بن عوف: قردم بن عمرو. ومن يهود بني النجار: سلسلة بن برهام.

فهؤلاء أحبار اليهود، وأهل الشرور والعداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه».

ومعنى قوله عن لبيد بن الأعصم بأنه أخذ رسول الله ﷺ عن نسائه، أنه سحر النبي ﷺ كما زعمت عائشة فصار يتصور أنه قاربها ولم يقاربها! وهذا عندنا من المكذوبات على رسول الله ﷺ كما بينا في محله.

قال في الصحيح: ٢١/٦: «اليهود شعب عنصري مؤمن بتفوق عنصره على البشر كافة! والناس عندهم لا قيمة لهم ولا اعتبار، وإنما خلقوا لخدمة الإسرائيليين وحسب! فكل الناس إذن يجب أن يكونوا في خدمتهم وتحت سلطتهم كما يقول لهم تلمودهم. فقد جاء في التلمود ما ملخصه: إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وإن اليهودي جزء من الله، ومن ضرب يهودياً فكأنه ضرب العزة الإلهية، والشعب المختار هم اليهود فقط، وأما باقي الشعوب فهم حيوانات. ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم. ويلزم التلمود الإسرائيليين بأن يكونوا دنسين مع الدنسين، ويمنع

من تحية غير اليهودي إلا أن يخشوا ضررهم، ولا يجيزون الصدقة على غير اليهودي ويجوز لهم سرقة ماله وغشه. كما أن على الأمميين أن يعملوا ولليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل. ويجيز التلمود التعدي على عرض الأجنبي لأن المرأة إن لم تكن يهودية فهي كالبهيمة. ولليهودي الحق في اغتصاب غير اليهوديات. ويحرم على اليهودي أن يُنجي غيره. إلى آخر ما هنالك».

ولم يسلم منهم إلا النادر مثل الحاخام مخيريق، وكان صادقاً، واستشهد مع النبي صلى الله عليه وآله في أحُد، ورووا أن عبدالله بن سلام أسلم، ولا أظنه صادقاً!

٢. كعب بن الأشرف رئيس بني النضير

في **المناقب**: ٤٨/١: «قال كعب بن الأشرف ومالك بن الضيف ووهب بن يهودا وفنحاص بن عازورا: يا محمد إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا فِي التوراة أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ، فإن زعمت أن الله بعثك الينا فجئنا به نصدقك، فنزلت: وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ. **البقرة**: ٨٩-٩٠.

وقوله: قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. أراد زكريا ويحيى وجميع من قتلهم اليهود».

وفي **مجمع البيان**: ٣٤٧/٣ أن كعباً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله عند هجرته وطلب منه معجزة فأراه، فاستكبر ولم يؤمن! وسألوه عندما خرج من عند النبي صلى الله عليه وآله: «أهو نبي؟ فقال: هو هو! فقيل: ماله عندك؟ فقال: العداوة إلى الموت»!

وفي **تفسير الإمام العسكري** عليه السلام/٩٢، **عن الإمام الباقر** عليه السلام **قال**: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة وظهرت آثار صدقه وآيات حقه، وبينات نبوته، كادته اليهود أشد كيد، وقصدوه أقبح قصد، يقصدون أنواره ليطمسوها، وحججه ليبطلوها! فكان ممن قصده للرد عليه وتكذيبه: مالك بن الصيف، وكعب بن الأشرف، وحيي بن

أخطب، وجدي بن أخطب، وأبو ياسر بن أخطب، وأبو لبابة بن عبدالمنذر، وشعبة. فقال مالك لرسول الله ﷺ: يا محمد تزعم أنك رسول الله؟

قال رسول الله ﷺ: كذلك قال الله خالق الخلق أجمعين.

قال: يا محمد لن نؤمن لك أنك رسول الله حتى يؤمن لك هذا البساط الذي تحتنا! ولن نشهد أنك عن الله جئتنا حتى يشهد لك هذا البساط. وقال أبولبابة بن عبدالمنذر: لن نؤمن لك يا محمد أنك رسول الله، ولا نشهد لك به حتى يؤمن ويشهد لك هذا السوط الذي في يدي. وقال كعب بن الأشرف: لن نؤمن لك أنك رسول الله ولن نصدقك به حتى يؤمن لك هذا الحمار الذي أركبه!

فقال رسول الله ﷺ: إنه ليس للعباد الإقتراح على الله تعالى، بل عليهم التَّسْليم لله والانقياد لأمره والاكتفاء بما جعله كافياً. أما كفاكم أنه أنطق التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم بنبوتي ودل على صدقي؟ وبين لكم فيها ذكر أخي ووصيي وخليفتي وخير من أتركه على الخلائق من بعدي علي بن أبي طالب، وأنزل عليَّ هذا القرآن الباهر للخلق أجمعين، المعجز لهم عن أن يأتوا بمثله وأن يتكلفوا شبهه. وأما هذا الذي اقترحتموه فلست أقترحه على ربي عزوجل، بل أقول إنما أعطاني ربي تعالى من دلالة هو حسبي وحسبكم، فإن فعل عزوجل ما اقترحتموه فذاك زائد في تطوله علينا وعليكم، وإن منعنا ذلك فلعلمه بأن الذي فعله كاف فيما أراده منا. قال: فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه هذا أنطق الله البساط فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً حياً قيوماً أبداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يشرك في حكمه أحداً، وأشهد أنك يا محمد عبده ورسوله، أرسلك بالهدى ودين الحق ليظهرك على الدين كله ولو كره المشركون. وأشهد أن علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف أخوك ووصيك، وخليفتك في أمتك.. فعجب القوم وقال بعضهم لبعض: ما هذا إلا سحر مبين! فاضطرب البساط وارتفع.. وأنطق الله سوط أبي لبابة، ثم أنطق حمار كعب بن الأشرف، فقال: هذا سحر!

فقال رسول الله ﷺ: ياكعب بن الأشرف حمارك خير منك! فلما انصرف القوم من عند رسول الله ولم يؤمنوا أنزل الله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ..».

وكان كعب يقود الحاخامات ضد النبي ﷺ ويتصلون بالمؤمنين من الأنصار ويلقون عليهم الشبهات ليكفروا، ونزلت فيهم آيات كقوله تعالى: الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. آل عمران: ١٨٣.

وقد وقع اليهود بطوائفهم الثلاث: قينقاع والنضير وقريظة، معاهدات تعايش مع النبي ﷺ لكنهم كانوا يتعاونون خفيةً مع قريش، وعندما انهزمت في بدر أصابهم الذهول، وقصد كعب وابن أخطب مكة يحرضانهم على النبي ﷺ!

وفي شرح النهج: ١٩٦/١٤ عن الواقدي، قال: «وفرق الله عز وجل ببدر بين الكفر والإيمان، وأذل رقاب المشركين والمنافقين واليهود، ولم يبق بالمدينة يهودي ولا منافق إلا خضعت عنقه! وقال قوم من المنافقين ليتنا خرجنا معه حتى نصيب غنيمة! وقالت يهود فيما بينها: هو الذي نجد نعته في كتبنا والله لاترفع له راية بعد اليوم إلا ظهرت! وقال كعب بن الأشرف: بطن الأرض اليوم خير من ظهرها! هؤلاء أشراف الناس وساداتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أصيبوا! وخرج إلى مكة فنزل على أبي وداعة بن ضبيرة، وجعل يرسل هجاء المسلمين، ورثى قتلى بدر من المشركين فقال:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله	ولمثل بدر يستهل ويدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم	لا تبعدوا، إن الملوك تُصرَّع
نبئت أن الحارث بن هشامهم	في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما	يسعى على الحسب القديم الأروع

قال الواقدي.. فلما أرسل كعب هذه الأبيات أخذها الناس بمكة عنه وأظهروا المراثي، وقد كانوا حرَّموها كيلا يشمت المسلمون بهم! وجعل الصبيان والجواري ينشدونها بمكة، فناحت بها قريش على قتلاها شهراً، ولم تبق دار بمكة إلا فيها النوح،

وجَزَّ النساء شعورهن، وكان يؤتى براحلة الرجل منهم أو بفرسه فتوقف بين أظهرهم فينوحون حولها! وخرجن إلى السكك وضربن الستور في الأزقة، فخرجن إليها ينحن»! ورواه ابن هشام بنحوه: ٥٦٤/٢ والمقريزي في الإمتاع: ١٧٩/١٢ باثني عشر بيتاً.

وفي أسباب النزول/٦٢: «وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه، فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا: لتكونن كلمتنا واحدة، ثم رجعوا إلى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآية: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ..».

٣. غزوة النبي ﷺ ليهود بني قينقاع بضاحية المدينة

كان بنو قينقاع صاغة يعملون بالذهب، وليس عندهم بساتين، ولهم سوق الذهب المعروف قرب المدينة. وكان بنو النضير أصحاب زراعة وبساتين، ويشبههم بنو قريظة. وعددهم جميعاً بضعة آلاف نسمة.

قال في إعلام الورى: ١٥٧/١: «قال علي بن إبراهيم بن هاشم: جاءته اليهود قريظة والنضير والقينقاع «كل يهود المدينة» فقالوا: يا محمد إلى مَ تدعو؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وإني الذي تجدوني مكتوباً في التوراة، والذي أخبركم به علماؤكم أن مخرجي بمكة ومهاجري في هذه الحرة، وأخبركم عالم منكم جاءكم من الشام. فقال: تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور، لنبي يبعث في هذه الحرة، مخرجه بمكة ومهاجره هاهنا، وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، يركب الحمار، ويلبس الشملة، ويجتزئ بالكسرة، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، ويضع سيفه على عاتقه، لايبالي من لاقى، وهو الضحوك القتال، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر.

فقالوا له: قد سمعنا ما تقول، وقد جئناك لنطلب منك الهدنة، على أن لا نكون لك ولاعليك ولا نعين عليك أحداً، ولا نتعرض لأحد من أصحابك، ولا تتعرض لنا ولا لأحد من أصحابنا، حتى ننظر إلى ما يصير أمرك وأمر قومك!

فأجابهم رسول الله ﷺ إلى ذلك وكتب بينهم كتاباً: أن لا يعينوا على رسول الله ولا على أحد من أصحابه، بلسان ولايد ولا بسلاح ولا بكراع في السر والعلانية لا بليل ولا بنهار، والله بذلك عليهم شهيد. فإن فعلوا فرسول الله ﷺ في حل من سفك دمائهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، وأخذ أموالهم!

وكتب لكل قبيلة منهم كتاباً على حدة، وكان الذي تولى أمر بني النضير حيي بن أخطب. فلما رجع إلى منزله قال له أخواه جدي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب: ما عندك؟ قال: هو الذي نجده في التوراة، والذي بشرنا به علماؤنا، ولا أزال له عدواً، لأن النبوة خرجت من ولد إسحاق وصارت في ولد إسماعيل، ولا نكون تبعاً لولد إسماعيل أبداً!

وكان الذي ولي أمر قريظة كعب بن أسد، والذي تولى أمر بني قينقاع مخيريق وكان أكثرهم مالاً وحدائق، فقال لقومه: تعلمون أنه النبي المبعوث فهلمَّ نؤمن به ونكون قد أدركنا الكتابين! فلم تجبه قينقاع إلى ذلك».

قال الشافعي في الأم: ١٨١/٤: «ولم تخرج «اليهود» إلى شئ من عداوته ﷺ بقول يظهر ولا فعل حتى كانت وقعة بدر، فكلم بعضها بعضاً بعداوته والتحريض عليه». **لكن في الصحيح**: ٣٦/٦: «بدأ اليهود قبل بدر بالتحريض على الرسول والمسلمين والتعرض لهم بمختلف أنواع الأذى، فكان أبو عفك اليهودي يحرض على رسول الله ﷺ ويقول فيه الشعر، فنذر سالم بن عمير أن يقتله أو يموت دونه، فذهب إليه فقتله..ثم كانت حرب بدر ونتائجها المذهلة، فزاد ذلك من مخاوف اليهود والمشركين والمنافقين على حد سواء، فصعَّدوا من نشاطاتهم». **وعدَّد أنشطتهم ضد المسلمين فقال**: ٣٠/٦:

«١ - قد أشار الجاحظ إلى أنهم شبَّهوا على العوام واستمالوا الضعفة، ومالؤوا الأعداء والحسدة، ثم جاوزوا الطعن وإدخال الشبهة.الخ...

٢ - طرح الأسئلة الإمتحانية على النبي ﷺ بهدف تعجيزه! ويلاحظ أن هذه المحاولات كانت تبذل من قبل مختلف قبائل اليهود.

٣ - ولما فشلوا في محاولاتهم محاربة الإسلام على صعيد الفكر، اتجهوا نحو أسلوب الضغط الإقتصادي على المسلمين فيذكرون أن رجالاً من أهل الجاهلية باعوا يهوداً بضاعة ثم أسلموا وطلبوا من اليهود دفع الثمن فقالوا: ليس علينا أمانة، ولا قضاء عندنا، لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه! وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم! فجاء في الآية المباركة الرد عليهم: وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ.

٤ - ممالأة أعداء الإسلام ومساعدتهم بكل ما أمكنهم، ولو بالتجسس.

٥ - محاربة الإسلام أيضاً عن طريق إثارة الفتن بين المسلمين، ولا سيما بين الأوس والخزرج، ونذكر على سبيل المثال قضية شاس بن قيس.

٦ - تآمرهم على حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وتحريضهم الناس عليه.

٧ - محاولات إثارة البلبلة وتشويش الأوضاع، بإشاعة الأكاذيب وتخويف ضعاف النفوس من المسلمين.

٨- تآمرهم مع المنافقين على الإسلام، وممالأتهم قريشاً على حرب الرسول صلى الله عليه وآله.

٩- تآمرهم لمنع المسلمين من الخروج للحرب، وكانوا يجتمعون في بيت سويلم اليهودي لأجل تثبيط الناس عن الرسول صلى الله عليه وآله. وقد صبر الرسول عليهم، تفادياً لحرب أهلية في مقره الجديد.. حتى طفح الكيل وبلغ السيل الزبى».

أقول: من طريف أخبار اليهود أن بني قريظة والنضير كانوا حلفاء الأوس، وبني قينقاع حلفاء الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حرب، فكانت كل فئة من اليهود تحارب مع حلفائها فتقاتل إخوانها وتقتل منهم! فوبخهم الله تعالى وقال لهم: وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاتُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالآثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ

وَهُوَمُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَاوَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. البقرة: ٨٤-٨٥.

٤. سارع بنو قينقاع بعد بدر إلى نقض عهدهم

كانت هزيمة قريش في بدر صاعقة على اليهود، فأسرع الحاخام كعب بن الأشرف إلى مكة لتقوية قلوب القرشيين، ونشط في عداء النبيﷺ وهجائه حتى أمر النبيﷺ بقتله! كما أعلن بنو قينقاع نقض عهدهم مع النبيﷺ وأخذوا يستعدون لحربه، وكانوا صاغة اليهود وأكثرهم ثروة، ولهم سوق الذهب في ضاحية المدينة، المعروف باسم: سوق بني قينقاع. الحموي: ٤٢٤/٤.

وكان رئيس بني قينقاع الحاخام مخيريق رضي الله عنه، ورأَّسوه عليهم لأنه من بني النضير وهم وقريظة من ذرية هارونعليه السلام، لكنهم لم يطيعوه لما دعاهم إلى الإيمان بالنبيﷺ، ونصحهم بعدم نقض عهدهم معه.

وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج وطرف حلفهم عبادة بن الصامت، وكان من النقباء وخيار الصحابة، وعبدالله بن سلول، وكان رأس المنافقين من أهل المدينة ومن الذين في قلوبهم مرض، أي الطبقة السياسية في المنافقين.

وكانت قريش تراسل ابن سلول وبني قينقاع قبل بدر، تحثهم على حرب النبيﷺ، ومما كتبته اليهم: «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم»!

فلما بلغ ذلك النبيﷺ لقيهم فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ماكانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم! فلما سمعوا ذلك من النبيﷺ تفرقوا. فبلغ ذلك كفار قريش فكتبوا إلى اليهود بعد وقعة بدر: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا. أبوداود: ٣٣/٢.

هنا سارع بنو قينقاع فنقضوا عهدهم وأخذوا يستعدون للحرب، فنزل قوله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ.

وفي تفسير القمي: ٩٧/١: «لما رجع رسول الله ﷺ من بدر أتى بني قينقاع وهو يناديهم، وكان بها سوق يسمى سوق النبط، فأتاهم رسول الله فقال: يا معشر اليهود قد علمتم ما نزل بقريش، وهم أكثر عدداً وسلاحاً وكراعاً منكم، فادخلوا في الإسلام فقالوا: يا محمد أإنك تحسب حربنا مثل حرب قومك؟! والله لو لقيتنا للقيت رجالاً! فنزل عليه جبرئيل فقال: يامحمد: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ». ونحوه ابن إسحاق: ٢٩٤/٣.

وفي إعلام الورى: ١٧٥/١: «كانت غزوة بني قينقاع يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة. وروي أن رسول الله ﷺ حاصرهم ستة أيام حتى نزلوا على حكمه..خرجوا من المدينة، ونزلوا أذرعات».

فكانت غزوتهم بعد بضعة وعشرين يوماً من رجوع النبي ﷺ من معركة بدر.

وفي سيرة ابن إسحاق: ٢٩٥/٣: «كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله وحاربوا فيما بين بدر وأحد، فحاصرهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه، فقام اليه عبدالله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في مواليَّ، وكانوا حلفاء الخزرج، فأبطأ عنه رسول الله فقال: يا محمد أحسن، فأعرض عنه رسول الله، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله وغضب رسول الله ثم قال: ويحك أرسلني، فقال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليَّ، أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع، منعوني من الأحمر والأسود وتحصدهم في غداة واحدة! إني والله امرؤ أخشى الدوائر! فقال رسول الله ﷺ: هم لك»!

وفي الطبري: ١٧٣/٢: «فقال النبي ﷺ: خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم، فأرسلوهم، ثم أمر بإجلائهم وغَنَّمَ الله عزوجل رسوله والمسلمين ما كان لهم

من مال، ولم تكن لهم أرضون إنما كانوا صاغة فأخذ رسول الله ﷺ لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم، وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت فمضى بهم حتى بلغ بهم ذباب وهو يقول: الأقصى فالأقصى».

ونحوه الطبقات: ٢٩/٢، وفيه: «وجدوا في حصنهم سلاحاً كثيراً وآلة الصياغة، فأخذ رسول الله ﷺ صفيه والخمس، وفض أربعة أخماس على أصحابه، فكان أول خمسٍ خُمِّسَ بعد بدر».

٥. رئيس بني قينقاع خيربني يهود

كان الحاخام مخيريق رضي الله عنه أغنى اليهود، وقد وفقه الله للإسلام فقصد النبي ﷺ عند وصوله إلى قباء وأسلم على يده، ودعا قومه إلى الإسلام وأن ينصروه في أحد فأبوا، فذهب إلى أحد بعد أن أوصى للنبي ﷺ بكل أمواله وكانت بساتين كبيرة وقاتل واستشهد في أحد رضي الله عنه.

قال في المناقب: ١٤٦/١: «وكان مخرنق أحد بني النضير حبراً عالماً أسلم وقاتل مع رسول الله ﷺ وأوصى بماله لرسول الله وهو سبع حوائط وهي: المينب، والصايفة، والحسنى، ويرقد، والعواف، والكلاء، ومشربة أم إبراهيم».

وفي الإصابة: ٤٦/٦: «كان عالماً وكان أوصى بأمواله للنبي ﷺ وهي سبع حوائط... وشهد أحداً فقتل بها فقال رسول الله ﷺ: مخيريق سابق يهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة... فلما خرج النبي ﷺ إلى أُحد قال لليهود: ألا تنصرون محمداً؟ والله إنكم لتعلمون أن نصرته حق عليكم! فقالوا: اليوم يوم السبت! فقال: لا سبت لكم! وأخذ سيفه ومضى إلى النبي ﷺ فقاتل حتى أثبتته الجراحة، فلما حضره الموت قال: أموالي إلى محمد يضعها حيث شاء..».

وفي سيرة ابن هشام: ٣٦٢/٢: «قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله. وقبض رسول الله ﷺ أمواله فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها».

وقد أرى الله نبيه ﷺ أن يوقف أموال مخيريق، ويجعل ولايتها لابنته فاطمة الزهراء وذريتها عليها السلام، وكذا نخل بني النضير الذي أفاءه الله على نبيه ﷺ ولم يوجف عليه بخيل ولا ركاب.

قال في فتح الباري: ١٤٠/٦: «فكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها... وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها». لكن أبابكر وعمر صادراه من الزهراء عليها السلام وصادر افدكاً، بحجة أنها وليا النبي ﷺ وقالا إنهما يعطيان المأكل والمشرب لعترة النبي ﷺ!

٦. غزوة بني النضير

لم يكتف بنو النضير وسيدهم كعب بخيانة النبي ﷺ، بل حاولوا اغتياله! فأمره الله تعالى أن يقتل كعباً وبعض شرارهم لينذرهم بذلك، ثم يغزوهم.

«أجمعت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبراً، حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم: إنكم والله لا تأمنون عندي، إلا بعهد تعاهدوني عليه». سنن أبي داود: ٣٣/٢.

وفي الصحيح: ٥٨/٦: «فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوقهم، فجلست عند صائغ منهم لأجل حلي لها، فأرادوها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ أو رجل آخر إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي لا تشعر! فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها، فصاحت فوثب مسلم على من فعل ذلك فقتله، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستنصر أهل المسلم بالمسلمين فغضب المسلمون، وقال ﷺ: ماعلى هذا أقررناهم! فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم، وقال: يا رسول الله أتولى الله ورسوله وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار».

٧. حاصر النبي صلى الله عليه وآله بني النضير وانتصر عليهم بعلي عليه السلام

قال المفيد في الإرشاد: ٩٢/١ ونحوه المناقب: ٣٣٢/٢: «لما توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بني النضير عمل على حصارهم، فضرب قبته في أقصى بني خطمة من البطحاء فلما أقبل الليل رماه رجل من بني النضير بسهم فأصاب القبة، فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن تحول قبته إلى السفح، وأحاط به المهاجرون والأنصار. فلما اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام فقال الناس: يا رسول الله لا نرى علياً؟

فقال صلى الله عليه وآله: أراه في بعض ما يصلح شأنكم! فلم يلبث أن جاء برأس اليهودي الذي رمى النبي صلى الله عليه وآله وكان يقال له عزورا، فطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله فقال له النبي صلى الله عليه وآله: كيف صنعت؟ فقال: إني رأيت هذا الخبيث جريئاً شجاعاً، فكمنت له وقلت ما أجرأه أن يخرج إذا اختلط الظلام يطلب منا غِرة، فأقبل مصلتاً سيفه في تسعة نفر من أصحابه اليهود، فشددت عليه فقتلته، وأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً، فابعث معي نفراً فإني أرجو أن أظفر بهم!

فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبي صلى الله عليه وآله، فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة، وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير. وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف..«غير كعب المعروف».

وفيما كان من أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة وقتله اليهودي، ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه وآله برؤوس التسعة النفر، يقول حسان:

لله أي كريهـــة أبليتَهـــا ببني قريظة والنفوس تطلَّعُ
أردى رئيسهم وآبَ بتسعة طوراً يشلهم وطوراً يدفع»

وفي الصحيح: ٩٢/٨ تحت عنوان: الفتح على يد علي عليه السلام: ما حاصله:

«كان لهذه الضربة تأثير كبير على معنويات بني النضير، وضج الرعب في قلوبهم فإن تصدي رجل واحد من المسلمين لعشرة منهم، ثم قتل العشرة جميعاً، يؤذن بأن

المسلمين قادرون على إبادتهم، واستئصال شأفتهم بسهولة ويسر!

ويلاحظ أن شعر حسان ذكر أن هذه القضية وقعت في بني قريظة، لكن الرواية تنص على حدوث ذلك في بني النضير، فيكون الخلل في الرواية لشعر حسان».

٨. غرور بني النضير عند جلائهم!

حكم النبي ﷺ على بني النضير بالجلاء عن المدينة بسبب خيانتهم وحربهم، فهاجروا إلى درعا، وتعمدوا أن يخرجوا بمظاهر الزينة والإحتفال!

قال في الصحيح، ملخصاً: ١٧٤/٨: «فخرجوا ومعهم الدفوف والمزامير تجلداً.. ثم شقوا سوق المدينة والنساء في الهوادج، عليهن الحرير والديباج، وقطف الخز الخضر والحمر، قد صف لهم الناس فجعلوا يمرون قطاراً في إثر قطار، فحملوا على ست مائة بعير. ومروا يضربون بالدفوف ويزمرون بالمزامير. ونادى أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ورفع مسك الجمل: إن هذا المسك مملوء من الحلي.. نعده لخفض الأرض ورفعها، فإن يكن النخل تركناه فإنا نقدم على نخل بخيبر.

فقد كان بنو النضير أهل جبروت وقسوة وبغي وعنجهية واعتداد بالنفس، حتى إنهم ليظلمون إخوانهم من بني قريظة، وهم أيضاً من بني هارون ظلماً فاحشاً، ومخالفاً لأحكام التوراة الصريحة، وحتى لأحكام أهل الجاهلية! واستقبلهم يهود خيبر بالنساء والأبناء والأموال، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر، مارؤي مثله من حي من الناس في زمانهم».

وفي الصحيح: ١٤٢/٨: «تنص الروايات على أن الرجل من بني النضير كان يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به»!

٩. بداية حشر اليهود بإجلاء بني النضير

في تفسير القمي: ٣٥٨/٢: «سورة الحشر مدنية آياتها أربع وعشرون: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض وَهُوَالْعَزِيزُالْحَكِيمُ. هُوَالَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا...

سبب نزول ذلك أنه كان بالمدينة ثلاثة أبطن من اليهود: بنو النضير وقريظة وقينقاع، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدة فنقضوا عهدهم، وكان سبب ذلك من بني النضير في نقض عهدهم أنه أتاهم رسول الله ﷺ يستسلفهم دية رجلين قتلهما رجل من أصحابه غيلة، يعني يستقرض، وكان قصد كعب بن الأشرف فلما دخل على كعب قال: مرحباً يا أبا القاسم وأهلاً! وقام كأنه يضع له الطعام وحدث نفسه أن يقتل رسول الله ﷺ ويتبع أصحابه، فنزل جبرئيل فأخبره بذلك، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وقال لمحمد بن مسلمة الأنصاري: إذهب إلى بني النضير فأخبرهم أن الله عز وجل قد أخبرني بما هممتم به من الغدر، فإما أن تخرجوا من بلدنا وإما أن تأذنوا بحرب!

فقالوا: نخرج من بلادك. فبعث إليهم عبدالله بن أبيّ ألا تخرجوا وتقيموا وتنابذوا محمداً الحرب، فإني أنصركم أنا وقومي وحلفاي، فإن خرجتم خرجت معكم وإن قاتلتم قاتلت معكم. فأقاموا وأصلحوا حصونهم وتهيؤوا للقتال، وبعثوا إلى رسول الله ﷺ إنا لا نخرج فاصنع ما أنت صانع. فقام رسول الله ﷺ وكبر وكبر أصحابه، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: تقدم إلى بني النضير، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الراية وتقدم، وجاء رسول الله ﷺ وأحاط بحصنهم. وغدر بهم عبدالله بن أبيّ! وكان رسول الله ﷺ إذا ظهر بمقدم بيوتهم حصنوا ما يليهم وخربوا ما يليه، وكان الرجل منهم ممن كان له بيت حسن خربه، وقد كان رسول الله ﷺ أمر بقطع نخلهم فجزعوا من ذلك، وقالوا يا محمد: إن الله يأمرك بالفساد؟ إن كان لك هذا فخذه وإن كان لنا فلا تقطعه.

فلما كان بعد ذلك قالوا: يا محمد نخرج من بلادك وأعطنا ما لنا. فقال: لا، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل، فلم يقبلوا ذلك فبقوا أياماً، ثم قالوا: نخرج ولنا ما حملت الإبل، فقال: لا، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه، فخرجوا على ذلك، ووقع قوم منهم إلى فدك ووادي القرى، وخرج منهم قوم إلى الشام، فأنزل الله فيهم: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ

لَمْ يَحْتَسِبُوا.. إلى قوله: شديد العقاب.

وأنزل الله عليه فيما عابوه من قطع النخل: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ.. إلى قوله: رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ.

وأنزل الله عليه في عبدالله بن أبيّ وأصحابه: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ.. إلى قوله: ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ. ثم قال: مَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، يعني بني قينقاع، قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. ثم ضرب في عبدالله بن أبيّ وبني النضير مثلاً، فقال: كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ...

فقال رسول الله ﷺ للأنصار: «إن شئتم دفعت إليكم فَيْء المهاجرين منها، وإن شئتم قسمتها بينكم وبينهم وتركتهم معكم؟ قالوا: قد شئنا أن تقسمها فيهم، فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ودفعها عن الأنصار، ولم يعط من الأنصار إلا رجلين: سهيل بن حنيف وأبو دجانة، فإنهما ذكرا حاجة».

وتقدم أن بني النضير أخذوا ما حملت الإبل، فلا بد أن يكون هؤلاء بنو قريظة.

وفي هذا الموضوع أربع مسائل:

المسألة الأولى: معنى حشر اليهود وهو موضوع السورة:

فقد سماه الله تعالى الحشر الأول، ولا تجد في كلام المفسرين ما يقنعك بحشرهم الأول والثاني! وغاية ما ذكروه أن الحشر الأول إجلاؤهم من الحجاز إلى الشام والثاني حشرهم في الآخرة من بلاد الشام أيضاً أو من عدن! ورتبوا عليهما ما رووه من أن الشام أرض المحشر والمنشر، وأن الناس يحشرون من عدن بنار تسوقهم إلى الشام أرض المحشر.

لكن يردُّه أن سورة الحشر نزلت في حشر بني النضير، وقد بدأ حشر اليهود ببني قينقاع الذين أجلاهم النبي ﷺ قبلهم؟ وأجابوا بأن بني النضير أول من

حشروا إلى الشام، ولا يصح ذلك لأن بني قينقاع ذهبوا إلى أذرعات الشام، وهي المعروفة اليوم بدرعا، بينما ذهب أكثر بني النضير إلى خيبر وقليل منهم إلى الشام!

والجواب المقنع: أن حشر اليهود الثاني يكون عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ويعبر عنه بيوم الرجعة، أي رجعة أهل البيت عليهم السلام. التفسير الأصفى: ١٢٨١/٢.

ويرتبط حشرهم بآيات إفسادهم في الأرض مرتين، وقد كان إفسادهم الأول قبل الإسلام وانتهى بهزيمتهم وحشرهم الأول على يد النبي صلى الله عليه وآله، ثم كان إفسادهم الثاني بعد الإسلام وينتهي بحشرهم الثاني الذي قال عنه الله تعالى: وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأرض فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا. الإسراء: ١٠٤.

أما لماذا جعل الله تعالى إجلاء بني النضير أول حشر اليهود وليس بني قينقاع؟ فقد يكون السبب أن بني النضير كانت لهم أراض وبساتين فأجلاهم منها، بينما كان بنو قينقاع صاغة وتجار ذهب، وأن بني النضير من ذرية هارون دون بني قينقاع. فقد يكون للأرض، أو لقادة بني إسرائيل، دخلاً في بدء الإجلاء.

والجواب الأقوى: أن إجلاء اليهود وحشرهم بدأ ببني قينقاع وتواصل ببقيتهم لكن الحكمة اقتضت تأخير نزول السورة التي ذكرت حشرهم إلى ما بعد إجلاء بني النضير، كما أجمع المفسرون، أو بعد إجلاء بني قريظة كما هو محتمل، ولعلها لو نزلت بعد إجلاء بني قينقاع، لأضر ذلك بخطة إجلاء الباقين.

المسألة الثانية: هل قطع النبي صلى الله عليه وآله نخل بني النضير أو أحرقه؟

ذكرت مصادر الجميع أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بقطع بعض النخلات من بساتين بني النضير، وقد تكون نخلات ملتفة تقع بين معسكره وحصونهم، كانوا يتخذونها مخبأ لعمليات ليلية، فقطع منها أو من سعفها الملتف بقدر الضرورة، ويؤيده أنهم سموها البويرة أي الأرض الصغيرة التي كانت بوراً غير مغروسة ثم غرست.

لاحظ قول ابن شهر اشوب في المناقب: ١٧٠/١: «ثم حاصرهم نيفاً وعشرين يوماً وأمر بقطع نخلات، قوله: مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ، وهي البويرة في قول حسان».

فالمقطوع هو نخلات قطعها المسلمون بإجازة النبيﷺ لغرض مشروع! لكن رواة السلطة بالغوا في المسألة وصوروا الأمر كأنه إبادة منطقة نخيل واسعة، وغرضهم أن يبرروا ماارتكبه بعضهم في الفتوحات أو الحروب الداخلية من إحراق أشجار وبيوت! **لاحظ تضخيم البخاري**: ٢٣/٥: «حرق رسول اللهﷺ نخل بني النضير وقطعه، وهي البويرة، فنزل: مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ». وغرضه إثبات منقبة لبعض الصحابة كانوا بزعمه أعقل من النبيﷺ وأرحم فنهوه عن ذلك!

قال السرخسي في المبسوط: ٣٢/١٠: «وأمر بقطع النخيل بخيبر حتى أتاه عمر فقال: أليس أن الله تعالى وعدك خيبر؟ فقال: نعم. فقال: إذاً تقطع نخيلك ونخيل أصحابك! فأمر بالكف عن ذلك! ولما حاصر ثقيفاً أمر بقطع النخيل والكروم، حتى شق ذلك عليهم»!

وفي السير الكبير: ٥٥/١: «قال الراوي: فأخبرني رجال رأوا السيوف في نخيل النطاة وقيل لهم: هذا مما قطع رسول الله! والنطاة اسم حصن من حصون خيبر»!

وفي دلائل النبوة للبيهقي: ١٥٧/٥ **وسننه**: ٩٠/٩: «وزاد عروة في روايته قال: وأمر رسول الله المسلمين حين حاصروا ثقيفاً أن يقطع كل رجل من المسلمين خمس نخلات أو حبلات من كرومهم! فأتاه عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله إنها عفاء لم تؤكل ثمارها! فأمرهم أن يقطعوا ما أكلت ثماره الأول فالأول»!

كما رووا أن أبابكر كان أعقل من النبيﷺ أيضاً فأوصى بأن لايقطع الشجر! فهي روايات موظفة لمدح عمر وأبي‌بكر ولو بالطعن بالنبيﷺ! تعويضاً لهما عن عدم مشاركتهما في قتال! وهذا كافٍ لإسقاط الرواية.

المسألة الثالثة: لماذا جعل الله أرض بني النضير ملكاً خاصاً للنبي ﷺ ؟

نص القرآن على أن البلاد التي تفتح بدون قتال تكون ملكاً خاصاً للنبيﷺ، قال تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ

رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. الحشر: ٦.

وفي المقنعة للمفيد/٢٧٨: «الأنفال لرسول الله ﷺ خاصة في حياته، وهي للإمام القائم مقامه من بعده خالصة، كما كانت له عليه وآله السلام في حياته، قال الله عز وجل: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ. وماكان للرسول من ذلك فهو لخليفته القائم في الأمة مقامه من بعده. والأنفال كل أرض فتحت من غير أن يوجف عليها بخيل ولا ركاب، والأرضون الموات، وتركات من لا وارث له من الأهل والقرابات، والآجام، والبحار، والمفاوز، والمعادن، وقطايع الملوك. **روي عن الصادق عليه السلام أنه قال**: نحن قوم فرض الله تعالى طاعتنا في القرآن، لنا الأنفال، ولنا صفو الأموال. يعني بصفوها ما أحب الإمام من الغنائم واصطفاه لنفسه قبل القسمة، من الجارية الحسناء والفرس الفارِهِ والثوب الحسن، وما أشبه ذلك من رقيق أو متاع، على ما جاء به الأثر من هذا التفسير عن السادة عليهم السلام». **وجواهر الكلام**: ١٦/٧، ١١٧، ١٣٧ و ٢١/١٦٩.

وقد اتفق المسلمون على أن أراضي بني النضير خاصة للنبي ﷺ دون غيره. ففي سنن أبي داود: ٢/٣٣، **تاريخ المدينة**: ١/١٧٣ **وفتح الباري**: ٦/١٤٠: «فكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها.. وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها».

وقال المفيد في الإرشاد: ١/٩٢ **ونحوه المناقب**: ٢/٣٣٢: «واصطفى رسول الله ﷺ أموال بني النضير، فكانت أول صافية قسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين الأولين، وأمر علياً عليه السلام فحاز ما لرسول الله منها فجعله صدقة، فكان في يده أيام حياته، ثم في يد أمير المؤمنين عليه السلام بعده، وهو في ولد فاطمة عليها السلام حتى اليوم».

أقول: يضاف إلى ما أجمع عليه فقهاؤنا ما روته مصادرنا: أن الله تعالى مَلَّكَ الأرض كلها لنبيه ﷺ وبعده للإمام من أهل بيته عليهم السلام كقول الإمام الباقر عليه السلام قال: «قال رسول الله: خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطيعة، فما كان لآدم فلرسول الله ﷺ وماكان لرسول الله فهو للأئمة من آل محمد عليهم السلام». **الكافي**: ١/٤٠٩.

وفي الكافي: ١/٤٠٧، **عن أبي خالد الكابلي عن الإمام الباقر عليه السلام قال**: «وجدنا في كتاب

علي عليه السلام أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض، ونحن المتقون والأرض كلها لنا، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فليعمرها وليؤد خراجها إلى الإمام من أهل بيتي وله ما أكل منها. فإن تركها أو أخربها وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرها وأحياها، فهو أحق بها من الذي تركها، يؤدي خراجها إلى الامام من أهل بيتي وله ما أكل منها حتى يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف، فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها كما حواها رسول الله صلى الله عليه وآله».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله». الكافي: ٤٠٨/١.

وقد صادروها بعد النبي صلى الله عليه وآله، ثم ردها عمر، ثم صادروها وادعوا أنهم أولى بها..الخ.

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه الخطط السياسية/٣١١:

١ - ترك رسول الله الحوائط السبعة اللاتي وهبهن له مخيريق.

٢ - ما وهبه الأنصار إياه، وهو كل ما ارتفع من أراضيهم الزراعية.

٣ - أراضي بني النضير الزراعية ونخيلها.

٤ - ثمانية أسهم من مجموع: ٣٦ سهماً من أراضي خيبر.

٥ - أراضي وادي القرى الزراعية.

وبعد وفاة الرسول استولى عليها أبو بكر. جاء في مجمع الزوائد: ٣٩/٩ عن عمر، أنه «لما قبض رسول الله جئت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله! قال فقلت: والذي بخيبر؟ قال: والذي بخيبر. قلت: والذي بفدك؟ قال: والذي بفدك. فقلت: أما والله حتى تحزوا رقابنا بالمناشير!

قرارات إقتصادية لا بد منها: لإجبار الآل الكرام على الإحتكام للسلطة، بغض النظر عن طبيعة القرارات التي ستصدر عنها.

١ - تجريد الآل الكرام من سلاح خطير وهو المال، فإذا استعمله الآل الكرام، فقد يؤلفون به قلوب المسلمين ويستميلونهم لصالح قضيتهم.

٢ - ربط الآل الكرام بالسلطة الحاكمة، وجعل رغيفهم بيد هذه السلطة، لتضمن السيطرة الكاملة عليهم وتحييدهم وإلغاء دورهم كقيادة سياسية شرعية.

٣ - عزل الآل الكرام شعبياً حتى تميل عنهم أعين الناس.

٤ - الحيلولة العملية بين الآل الكرام والمطالبة بالجمع بين النبوة والخلافة.

تحقيق هذه الأهداف:

فقد فاوض الآل الكرام واحتكموا إلى السلطة، فحكمت السلطة بتنفيذ قراراتها الإقتصادية، وحرمانهم من التركة ومن المنح ومن سهم ذوي القربى! وبموت فاطمة انصرف الناس عن علي فشق بنفسه طريق المصالحة وبايع هو وبنو هاشم وسلموا بالأمر الواقع! فعساه أن يتمكن يوماً من اطلاع الأمة على الحقيقة المرة وأن يبصر الناس بالتقاطيع الأساسية للمنظومة السياسية الإلهية فيقارنوا بينها وبين ما حدث في التاريخ»!

من أين يأكلون بحق السماء؟!

قال في الخطط السياسية/٣٢١، تحت هذا العنوان: مشكلة الآل الكرام الحقيقية أنه محظور عليهم أن يأخذوا الصدقة فهي محرمة عليهم، لذلك خصهم الله تعالى بسهم ذوي القربى لتغطية هذه الناحية. هل يعيش الآل الكرام وأهل البيت عيش السوقة؟ هل يتسولون الناس؟ من أين يأكلون؟

عن أنس بن مالك أن أبابكر قال لفاطمة عندما سألته عن سهم ذوي القربى: أَفَلَكِ هو ولأقربائك؟ قالت نعم، قال: لا، أنفق عليكم منه. وقال مرة: السهم لكم في حال حياة النبي، وبعد موته ليس لكم. و«في سنن الترمذي: ١١١/٧» أن أبابكر قال: إني أعول من كان يعول رسول الله، وأنفق على من كان رسول الله ينفق عليه!

فالدولة إذاً هي تنفق على أهل بيت محمد بدليل قول أبي بكر: إن رسول الله قال لانورث ما تركناه فهو صدقة، أن يأكل آل محمد من هذا المال، ليس لهم أن

يزيدوا على المأكل. فالحاكم يقدم لهم المأكل ولا يزيدون على المأكل! فطوال التاريخ يجب على أهل البيت أن يرتبطوا بالحاكم الذي يقدم لهم المأكل، ومن الحشمة وحسن الخلق أن يطيع الإنسان من يطعمه»! راجع البخاري: ٢/٢٠٠، أبا داود: ٢/٤٩ والنسائي: ٢/ ١٧٩.

المسألة الرابعة: مسجد الفضيخ وتحريم الخمر

قال في الصحيح: ٨/١٨٦ ما حاصله: «قال اليعقوبي وغيره: في هذه الغزوة شرب المسلمون الخمر فسكروا فنزل تحريم الخمر.. قال في الروضة: إن غزوة بني النضير سنة ثلاث: وإن تحريم الخمر بعد غزوة أحد. وروى القمي أنه لما نزل تحريم الخمر خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فقعد فيه، ثم دعا بآنيتهم التي كانوا ينتبذون فيها فأكفأها كلها وقال: هذه كلها خمر وقد حرمها الله. وكان أكثر شي أكفئ يومئذ من الأشربة الفضيخ فلذلك سمي المسجد بمسجد الفضيخ.

وأكثر من ذلك كله جرأة على الله ورسوله ﷺ ما رووه عن ابن عمر: أن النبي أتي بجرة فضيخ فلذلك سمي مسجد الفضيخ! والفضيخ: عصير العنب وشراب يتخذ من التمر. ومسجد الفضيخ هو المعروف بمسجد رد الشمس.

ونقول: إن تحريم الخمر كان في مكة، فإن صح شئ من هذه الرواية فلابد أن يكون الصحابة خالفوا حكم الله فيها وارتكبوا الحرام فنهاهم رسول الله ﷺ.. وقد يكون أتيَ به فرفضه ونهى عنه».

الفصل الرابع والأربعون

تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة

١- مكة قبل بيت المقدس قبلة آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام

منذ أن أسكن الله آدم عليه السلام وبنيه في الأرض، أمرهم أن يتجهوا في صلاتهم إلى مركز في الأرض يسمى القبلة، فكانوا يصلون إلى الكعبة، فهي كما قال الله تعالى: إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. ثم جعل الله بيت المقدس قبلة لإبراهيم عليه السلام، وأمره في نفس الوقت أن يجدد بناء الكعبة.

وعندما بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله أمره أن يتجه إلى قبلة جده إبراهيم عليه السلام لحكمة، ثم أمره بعد هجرته أن يتجه إلى القبلة الأولى لأجداده آدم والأنبياء عليهم السلام، وأنزل عليه: وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ.

وقد جعل اليهود قبلة إبراهيم عليه السلام قبلة قومية وتعصبوا لها وفضلوها على الكعبة، مع أن الكعبة أقدم منها، وقد جدد إبراهيم عليه السلام بناءها.

في **الكافي**: ٢٣٩/٤ قال **زرارة** رحمه الله: «كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفر عليه السلام وهو محتبٍ مستقبل الكعبة فقال: أما إن النظر إليها عبادة، فجاءه رجل من بجيلة يقال له: عاصم بن عمر فقال لأبي جعفر: إن كعب الأحبار كان يقول: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة! فقال أبو جعفر: فما تقول فيما قال كعب؟ فقال: صدق، القول ما قال كعب!

فقال أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك، وغضب! قال زرارة: ما رأيته

استقبل أحداً بقول كذبت غيره! ثم قال: ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض أحب إليه منها، ثم أومأ بيده نحو الكعبة، ولا أكرم على الله عز وجل منها، لها حرَّم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض، ثلاثة متوالية للحج: شوال وذو العقدة وذو الحجة، وشهر مفرد للعمرة رجب».

٢. الكعبة والأمة الوسط

قال الله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ. قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ. وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ.. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ.

وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. البقرة: ١٤٣-١٥٠.

قال المحقق البحراني في الحدائق الناضرة: ٣٦٨/٦: «في الكافي في الصحيح أو الحسن عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي إلى بيت المقدس؟ قال نعم. فقلت أكان يجعل الكعبة خلف ظهره؟ فقال أما إذا كان بمكة فلا، وأما إذا هاجر إلى المدينة فنعم، حتى حُوِّل إلى الكعبة.

وروى الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمي بإسناده إلى الصادق أن

النبيﷺ صلى بمكة إلى بيت المقدس ثلاث عشرة سنة، وبعد هجرتهﷺ صلى بالمدينة سبعة أشهر، ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة، وذلك أن اليهود كانوا يعيرون رسول اللهﷺ ويقولون له أنت تابعٌ لنا تصلي إلى قبلتنا، فاغتم رسول اللهﷺ من ذلك غماً شديداً، وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك أمراً، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين، فنزل عليه جبرئيلعليه السلام فأخذ بعضديه وحوله إلى الكعبة وأنزل عليه: قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ. الآية. فصلى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة. وقال الصدوق في الفقيه.. ثم أخذ بيد النبيﷺ فحول وجهه إلى الكعبة وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال، فكان أول صلاته إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة. وبلغ الخبر مسجداً بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو القبلة، فكانت أول صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين. فقال المسلمون: صلاتنا إلى بيت المقدس تضيع يا رسول اللهﷺ فأنزل الله عز وجل: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ. يعني صلاتكم إلى بيت المقدس».

أقول: وروينا، أن تحويل القبلة كان في النصف من رجب في السنة الثانية للهجرة **كما في مسارّ الشيعة للمفيد/٥٧، إقبال الأعمال: ٢٥٤/٣ وغيرهما.**

وفي تهذيب الأحكام: ٤٣/٢: «إن بني عبدالأشهل أتوْهم وهم في الصلاة وقد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس فقيل لهم: إن نبيكم قد صرف إلى الكعبة، فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين. فلذلك سمي مسجدهم مسجد القبلتين».

وروى في تفسير الإمام العسكريعليه السلام/٤٩١، مناقشة اليهود للنبيﷺ في تغيير القبلة إلى الكعبة، وفيه: «وجاء قوم من اليهود إلى رسول اللهﷺ فقالوا: يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشرة سنة ثم تركتها الآن، أفحقاً كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل، فإن ما يخالف الحق فهو باطل. أو باطلاً كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة، فما يؤمننا أن تكون إلى الآن على باطل؟

فقال رسول الله ﷺ: «بل ذلك كان حقاً وهذا حق، يقول الله: قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به، وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به، وإن عرف صلاحكم في غيرهما أمركم به، فلا تنكروا تدبير الله تعالى في عباده وقصده إلى مصالحكم. ثم قال لهم رسول الله ﷺ: لقد تركتم العمل يوم السبت، ثم عملتم بعده من سائر الأيام، ثم تركتموه في السبت ثم عملتم بعده، أفتركتم الحق إلى الباطل أو الباطل إلى حق، أو الباطل إلى باطل أو الحق إلى حق؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمد وجوابه لكم! قالوا: بل ترك العمل في السبت حق والعمل بعده حق. فقال رسول الله ﷺ: فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق».

٣. ترك بنو أمية الكعبة وحججوا الناس إلى بيت المقدس!

لما سيطر ابن الزبير على الحجاز، استغل موسم الحج لنشر أحاديث النبي ﷺ في بني مروان ولعنهم، فخاف عبدالملك بن مروان من ذلك فمنع الحج، وأمر الناس أن يحجوا بدل مكة إلى بيت المقدس!

قال اليعقوبي: ٢٦١/٢: «فضج الناس وقالوا: تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا؟! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس. وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام. وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة! فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية»!!

فانظر إلى جرأة حكومات الخلافة على تحريف الإسلام، والى ضعف دين المسلمين ومطاوعتهم لها! وفي مقابل ذلك قام الإمام زين العابدين عليه السلام بنشاط واسع لتركيز مكانة الكعبة الشريفة، وإحياط عمل السلطة، كما وثقناه في سيرته عليه السلام.

الفصل الخامس والأربعون

زواج النبي صلى الله عليه وآله بعائشة وحفصة

زوجات الأنبياء عليهم السلام فيهم الصالحات والطالحات

اعتقادنا أن كل أعمال النبي صلى الله عليه وآله بأمر ربه، فكما أنه لا ينطق عن الهوى، لايفعل عن الهوى، وزواجه صلى الله عليه وآله كله بأمر ربه، وحِكْمَته وأغراضه متعددة، لجلب منفعة للرسالة أو دفع مفسدة عنها. لكنه لايدل على اختيار إلهي لتلك الزوجة وأسرتها، إلا إذا نص النبي صلى الله عليه وآله على ذلك. فلا قيمة لما تخيله البعض أو زعموه.

وقد بين الله عزوجل ذلك في المثل الذي ضربه لنساء النبي صلى الله عليه وآله بزوجتي نوح ولوط، فقال:: ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ. وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ .التحريم: ١٠-١٢.

فلا يصح الإستدلال على مدح نساء النبي صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ، لأن الآية تقصد أهل الجنة، لا أهل الدنيا.

وقد روت عائشة في مدح نفسها كثيراً، وادعت أن جبرئيل جاء النبي صلى الله عليه وآله بصورتها على منديل حرير، وقال له: «هذه زوجك في الدنيا والآخرة».«تاريخ بغداد: ٢٢١/١١». ورووا أن جبرئيل طبع صورتها على كف النبي صلى الله عليه وآله ! وشهد الذهبي بأنه مكذوب، ميزان الإعتدال: ٤٤/٣.

وقال الشيخ أبو رية في كتابه أبو هريرة شيخ المضيرة/١٣٥: « أسرع أبو هريرة فتبرع بحديث من كيسه يقول فيه: إن طول تلك الخرقة ذراعان وعرضها شبر»!

ونحن لانثق بأحاديث عائشة، وحفصة خاصة في مدح نفسيهما وأسرتيهما، ونعتقد أنه تزوجهما لمصلحة، وأنهما عملتا ضد النبي ﷺ وتظاهرتا عليه بنص القرآن، فأنزل الله فيهما: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَمَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ. عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا.

وأنهما عصتا الله ورسوله ﷺ وشقتا عصا المسلمين، وخرجت عائشة على إمامها عليه السلام، وسببت قتل ألوف المسلمين، وانقسام الأمة!

عائلتا عائشة وحفصة

إسمها عائشة بنت أبي بكر وإسمه عتيق بن أبي قحافة، وقبيلته بنو تيم بن مرة. وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل، وقبيلته بنو عَدِيّ، وهما من القبائل الصغيرة، ولعل عدد تيم عند بعثة النبي ﷺ نحو ثلاث مئة نفر، وعدد قبيلة عدي لا يبلغ مئة. ولم يكن لهما موقع بين قبائل مكة، ولذلك قال أبوسفيان لعلي عليه السلام عندما تفاجأ ببيعة أبي بكر كما في تاريخ الطبري: ٤٤٩/٢: « ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً »!

وذكر المؤرخ ابن حبيب في المنمق/٨٠، أن بني عدي سرقوا ناقة لبني عبد شمس فطردوهم من مكة! «فارتحلوا، وتعرض بنو سهم لهم وأنزلوهم بين أظهرهم، وقالوا: والله لاتخرجون! وأم سهم بن عمرو الأَلُوف بنت عدي بن كعب، فأقاموا وهم حلف بني سهم».

وقال ابن حبيب/١٢٩، إنهم لقلتهم لم يكن لهم رئيس: «ولم يكن من قريش قبيلة إلا وفيها سيد يقوم بأمرها ويطلب بثأرها، إلا عدي بن كعب».

وكان مسكنهم خارج مكة في الخيمات، وقد رأيت الخيمات قريباً من غار ثور،

وهي صخرات سوداء كبار ليس بينها فسحة لنصب خيمة كبيرة.

قال البكري في معجمه: ٤٢٥/٢: «الحثمة بفتح أوله وإسكان ثانيه: صخرات بأسفل مكة بها رَبْعُ عمر بن الخطاب». **ومعجم البلدان**: ٢١٨/٢ **ولسان العرب**: ١١٥/١٢.

وعليه، فقد ولدت عائشة وحفصة ونشأتا في بيت عادي فقير، ولا صحة لزعم عائشة بأن أباها كان ثرياً، وأنه كان ينفق على النبي ﷺ!

مبالغة عائشة في فضائل أبيها وثروته

أكثروا من روايات عائشة عن هجرة أبيها وثروته الطائلة، وعن هجرتها وفضائلها هي. مع أن النبي ﷺ صادف أبابكر في طريق هجرته فأخذه معه، وأمر علياً عليه السلام في الغار أن يشتري منه بعيراً لدليله ابن أريقط، فاشتراه من أبي بكر ونقَّده الثمن أربع مئة درهم أو ثمان مئة كما روى ابن حجر، ثم مات البعير في الطريق فاستأجر النبي ﷺ بعيراً لدليله لبقية الطريق!

وعندما وصل النبي ﷺ إلى قباء أصرَّ عليه أبو بكر أن يدخل إلى المدينة فأبى، فتركه من عصر ذلك اليوم وذهب إلى السنح فلا تسمع له خبراً في الهجرة!

أما عن ثروة أبي بكر: فكان في الجاهلية معلم صبيان وصار خياطاً. ولما ولي أمر المسلمين، قال لهم: «إني أحتاج إلى القوت فجعلوا له في كل يوم ثلاثة دراهم من بيت المال. والنبي ﷺ كان قبل الهجرة غنياً بمال خديجة ولم يحتج إلى الحرب وتجهيز الجيوش، وبعد الهجرة لم يكن لأبي بكر شئ البتة. منهاج الكرامة/١٨٧.

وعندما استُخلف أبو بكر قال: «إن حرفتي لم تكن لتعجز عن مؤونة أهلي، وقد شغلت بأمر المسلمين وسأحترف للمسلمين في مالهم، وسيأكل آل أبي بكر من هذا المال». «الطبقات: ١٨٤/٣». **فجعلوا له كل يوم درهمين ونصف شاة**. «مغني ابن قدامه: ٣٧٧/١١». ثم جعلوا له ألفي درهم في السنة: «فقال زيدوني فإن لي عيالاً، وقد شغلتموني عن التجارة، فزادوه خمس مائة». **الطبقات**: ١٨٤/٣.

وفي الطبقات: ١٨٦/٣: «فأقام هناك بالسنح بعدما بويع له ستة أشهر، يغدو على

رجليه إلى المدينة، وربما ركب على فرس له، وعليه إزار ورداء ممشق، فيوافي المدينة فيصلي الصلوات بالناس، فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح. فكان إذا حضر صلى بالناس وإذا لم يحضر صلى عمر بن الخطاب. وكان يقيم يوم الجمعة في صدر النهار بالسنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقدر الجمعة فيُجَمِّع بالناس. وكان رجلاً تاجراً، فكان يغدو كل يوم السوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج هو نفسه فيها».

قال في منهاج الكرامة/١٨٧: «أما إنفاقه على رسول الله ﷺ فكذب، لأنه لم يكن ذا مال، فإن أباه كان فقيراً في الغاية وكان ينادي على مائدة عبدالله بن جدعان بمد في كل يوم يقتات به! فلو كان أبو بكر غنياً لكفى أباه».

أقول: تبارت أسماء بنت أبي بكر مع أختها عائشة في الحديث عن ثروة أبيهما التي حرمهم إياها وأنفقها على رسول الله ﷺ! فقالت أسماء «مسند أحمد: ٣٥٠/٦»: «لما خرج رسول الله وخرج معه أبو بكر، احتمل أبو بكر ماله كله معه، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم، قالت: وانطلق بها معه، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه! قالت قلت: كلا يا أبت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت فأخذت أحجاراً فتركتها فوضعتها في كوة لبيت كان أبي يضع فيها ماله، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال! قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس، إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا لكم بلاغ. قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني قد أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك»! **ورواه الحاكم: ٥/٣ والزوائد: ٥٩/٦ وصححاه، واعتمده أئمتهم كالشاطبي، فقال في الإعتصام: ٢٠١/٢: «فإنه هاجر بجميع ماله وكان خمسة آلاف».**

ثم إن أسماء بنت أبي بكر كانت عند الهجرة في المدينة، فقد هاجرت مع زوجها الزبير وكانت حاملاً بعبدالله، وولدته في قباء عندما وصل النبي ﷺ.

ومن جهة أخرى: رووا في صحيح مسلم: ١١٧/٦: «بينا أبو بكر قاعد وعمر

معه إذ أتاهما رسول الله ﷺ فقال: ما أقعدكما هاهنا؟ قالا: أخرجنا الجوع من بيوتنا»

وفي الترغيب والترهيب: ٣ / ١٤٨: «فانطلقوا حتى أتوا باب أبي أيوب الأنصاري فأطعمهم»! **وقال الرازي في تفسيره**: ٤ / ١٦٩: «وأما الجوع فقد أصابهم في أول مهاجرة النبي إلى المدينة لقلة أموالهم».

فأين صارت ثروة أبي بكر جد الفخر الرازي، وهل ضاعت في طريق الهجرة؟! فالصحيح أن الجائعين كانا الشيخين وكان النبي ﷺ مدة سنة في بيت أبي أيوب رضي الله عنه.

أما عائشة فرفعت سقف ثروة أبيها وجعلتها خيالية فتحير فيها علماء السلطة! **قالت كما في سنن النسائي**: ٥/ ٣٥٨«: «فخرتُ بمال أبي في الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية! فقال النبي ﷺ أسكتي يا عائشة فإني كنت لك كأبي زرع لأم زرع! ثم أنشأ رسول الله ﷺ يحدث أن إحدى عشرة امرأة اجتمعن في الجاهلية، فتعاهدن لتخبرن كل امرأة بما في زوجها ولا تكذب، فتحدثت كل منهن بمدح أو ذم، وكانت آخرهم أم زرع فمدحته، وذكرت أنه تزوج عليها ثم طلقها فتزوجت شاباً وأعطاها كثيراً، لكنها بقيت تمدح أبا زرع وتفضله عليه، فقالت عائشة في آخر الحديث: «قلت: يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع». **وروته مصادرهم ووثقه علماؤهم أو صححوه، كتهذيب الكمال: ٢٣ / ٣٩٢، ميزان الإعتدال: ٣/ ٣٧٥، مجمع الزوائد: ٤/ ٣١٧، فتح الباري: ٩ / ٢٢٢، تاريخ بخاري الكبير: ١/ ٢٢٤، تهذيب الكمال: ٢١ / ٤١٦، تهذيب التهذيب: ٨ / ٣٢٥، سنة ابن أبي عاصم/ ٢٢٥، إعانة الطالبين: ٤/ ١٩٩ والطبراني الكبير: ٢٣ / ١٧٤.**

وتبلغ الأوقية في ذلك الوقت أربعين درهماً، وفي زمن الإمام الصادق عليه السلام ألف درهم، «الأوزان والمقادير/١٦» فتكون ثروة أبي بكر حسب قول عائشة ألف مليون درهم، وهو أمرٌ غير معقول! ولهذا اضطر الذهبي إلى معالجة هذه الكذبة فحذف منها صفراً! **قال في سيره**: ٢/ ١٨٥: «وأعتقد لفظة ألف الواحدة باطلة فإنه يكون أربعين ألف درهم، وفي ذلك مفخر لرجل تاجر، وقد أنفق ماله في ذات الله، ولما هاجر كان قد بقي معه ستة آلاف درهم، فأخذها صحبته. أما ألف ألف أوقية فلا تجتمع إلا لسلطان كبير».

والصحيح أن الألف الثانية أيضاً زائدة، ولا يمكن فصلها عن أختها لأن علماءهم

تلقوا الخبر وصححوه برواية: ألف ألف أوقية!

كما تبرع الذهبي بأن أبابكر أنفق المليون درهم على النبي ﷺ في مكة، لأن ذلك لم يروه أحد حتى في صاع حنطة في سنوات حصارهم في الشعب! ولا بدراهم يسيرة أعطاها لمسلم، إلا ما زعموه من شرائه لبلال، ولم يثبت، أما ما زعموه من إنفاقه على ابن خالته مسطح، فقد كان يعمل معه.

قال الأميني رحمه الله في الغدير: ٨ / ٥٠: ونضدت له «عائشة» ثلاث مائة وستين كرسياً في داره، وأسدلت على كل كرسي حلة بألف دينار، كما سمعته عن الشيخ محمد زين العابدين البكري، وأنت تعلم ما يستتبع هذا التجمل من لوازم وآثار وأثاث ورياش، ومناضد وأواني وفرش، لا تقصر عنها في القيمة! وما يلزم من خدم وحشم، وقصور شاهقة وغرف مشيدة، وما يلازم هذه البسطة في المال من خيل وركاب وأغنام ومواش وضيع وعقار، إلى غيرها من توابع!

من أي حرفة أو مهنة أو صنعة أو ضياع حصل الرجل على مليون أوقية من النقود؟ وكان يومئذ يوم فاقة لقريش، وكانوا كما وصفتهم الصديقة الطاهرة في خطبتها مخاطبة أبابكر والقوم معه: كنتم تشربون الطَّرَق، وتقتالون الوَرق، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله برسوله ﷺ»!

وقال المفيد رحمه الله في الإفصاح/٢٢٩، ما خلاصته: «لو كان للرجلين فضل حسب ما ادعيتموه لوجب أن تأتي به الأخبار وترويه نقلة السير والآثار، بل وجب أن يظهر على حد يوجب علم اليقين، لأن جميع الدواعي إلى انتشار فضائل الرجلين متوفرة! ألا ترى أنها كانا أميري الناس، وكان المُظهر لولايتهما من زمانهما إلى هذه الحال هو الظاهر على عدوه، والمظهر لعداوتهما مهدور الدم أو خائفاً مطروداً عن البلاد! حتى صار القتل مسنوناً لمن أظهر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وإن كان مظهراً لمحبة أبي بكر وعمر! ومن تبرأ من أمير المؤمنين عليه السلام حكموا له باعتقاد السنة وولاية أبي بكر وعمر وعثمان، ونال القضاء والشهادات والإمارات، وقربت منازلهم من خلفاء بني أمية وبني العباس بالعصبيه لهؤلاء والدعاء إلى

إمامتهم، والتخرص بما يضيفونه إليهم من الفضل الذي يخالف القرآن وتنفيه السنة، ويستحيل في العقول»!

وأما عمر فكان أفقر من أبي بكر: فقد حدث عن نفسه أنه كان يرعى بعيراً لأبيه ولا يعطيه قوته! قال عمر، تاريخ المدينة لابن شبة ٦٥٥/٢: «لقد رأيتني وإني لأرعى على الخطاب في هذا المكان، وكان والله ما علمت فظاً غليظاً.. وأنا في إبل للخطاب، أحتطب عليها مرة وأحتبط عليها أخرى! آتي بالخَبْط وهو ورق الشجر.»

وفي كنز العمال: ٥٨٩/٤: « أخذ عمر يحدث عن نفسه فقال: لقد رأيتني وأختاً لي نرعى على أبوينا ناضحنا قد ألبستنا أمنا نقبتها، وزودتنا من الهينة فنخرج بناضحنا فإذ طلعت الشمس ألقيت النقبة إلى أختي وخرجت أسعى عرياناً فنرجع إلى أمنا وقد جعلت لنا لعبة من ذلك الهينة فياخصباه»!

أي صنعت لهم طعاماً عصيدة من حب الحنظل على شكل هِينَة، وهي الزَّنَمَة المدلاة تحت فم الماعز كالأصابع. **الفائق**: ٤٠٥/٣ **وشرح النهج**: ٢٠/١٢.

وعندما كبر عمر صار مبرطشاً. **ففي النهاية لابن الأثير**: ١١٩/١: «وهو الدلال أو الساعي بين البائع والمشتري، وورد في الحديث كان عمر رضي الله تعالى عنه في الجاهلية مبرطشاً، أي كان يكتري للناس الإبل والحمير ويأخذ عليه جعلاً، أو هو بالسين المهملة كما ذهب إليه ابن دريد». **وتاج العروس**: ٥٨/٩ **ولسان العرب**: ٢٦/٦.

كم كان عمر عائشة لما تزوجها النبي ﷺ

روت في زواجها لاتصح، فقد قالت إن النبي ﷺ عقد زواجه عليها وعمرها ست سنين، وتزوجها وعمرها تسع سنين، لكنهم قالوا إنها أصغر من أختها أسماء بعشر سنين: «عن ابن أبي الزناد أن أسماء بنت أبي بكر كانت أكبر من عائشة بعشر سنين». **البيهقي**: ٢٠٤/٦، **سير أعلام النبلاء**: ٣٨٠/٣، **تاريخ دمشق**: ١٠/٦٩ **وسبل السلام**: ٣٩/١.

وفي تهذيب الأسماء: ٥٩٧/٢. «ولدت أسماء قبل هجرة رسول الله ﷺ بسبع وعشرين سنة، وكان لأبيها أبي بكر حين ولدت إحدى وعشرون سنة».

ومعناه أن عمر عائشة كان سبع عشرة سنة، فأين الست سنين والتسع؟!

ومن ناحية ثانية، كان عمر أبيها لما ولدت أسماء إحدى وعشرون سنة، فعمره لما ولدت عائشة إحدى وثلاثون، وعمره لما هاجر ست وخمسون لأنهم قالوا إنه أكبر من النبي ﷺ بثلاث سنين، فيكون عمر عائشة عند الهجرة خمساً وعشرين. فأين الست سنين والتسع؟!

ومما يؤيد أن سن عائشة أكبر مما قالت سن أمها أم رومان فقد كانت في الجاهلية زوجة ابن سخبرة وولدت له الطفيل، وجاؤوا من الأردن مع ابنها وغلامها ابن فهيرة وسكنوا في مكة، ومات زوجها ابن سخبرة، فتزوجها أبو بكر وولدت له ولدين: عبدالرحمن وعائشة ولم تلد له بعدهما ويبدو أنها بلغت سن اليأس، وكان عبدالرحمن في بدر مع المشركين فطلب أن يبارزه أبوه فقال له رسول الله ﷺ كما رووا: متعنا بنفسك يا أبابكر. فلا بد أن يكون عبدالرحمن في العشرينات أو الثلاثينات، وعائشة بعده مباشرة، فأين الست سنوات والتسع؟!

النهاية: ٩٥/٨، الحاكم: ٤٧٤/٣، الحلبية: ٤١٤/٢، البيهقي: ١٨٦/٨ و٢٠٤/٦، الإستيعاب ٨٢٤/٢ و٦١٦ وسبل السلام: ٣٩/١. راجع في ابن سخبرة: الطبقات: ٨ / ٢٧٦، التعديل والتجريح: ١١٥٥/٣، تهذيب الكمال: ٣٨٩/١٣، تهذيب التهذيب: ١٤٩/٨ والإصابة: ٤٢١/٣، ١١٧/٤ و٣٩١/٨.

ادعت عائشة أنها لم تتزوج قبل النبي ﷺ

لكن روى ابن سعد: ٥٩/٨ بسند صحيح عندهم: «خطب رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر الصديق فقال: إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جبير، فدعني حتى أسلها منهم، فاستسلها منهم فطلقها، فتزوجها رسول الله».

وفي الطبراني الكبير: ٢٦/٢٣: «وكان أبو بكر قد زوجها جبير بن مطعم فخلعها منه».

وفي صفة الصفوة: ١٥/٢ والمنتظم: ٣٠٢/٥: «دعني حتى أسلها من جبير سلاً رفيقاً».

يضاف اليه أنها كانت تكنى أم عبدالله، فقد يكون لها ولد من مطعم بن جبير إسمه عبدالله ومات. **روى البيهقي: ٣١١/٩:** «أنها قالت: يا رسول الله ألا تكنيني

فكل نسائك لها كنية؟ فقال: بلى إكتني بابنك عبدالله، فكانت تكنى أم عبدالله. وفسروا ذلك بأن النبي صلى الله عليه وآله قصد ابن أختها عبدالله بن الزبير، لكن لم يعهد أن امرأة من العرب تكنت بابن أختها! وروي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لها تَكَنَّيْ، والصحيح أنها هي التي طلبت منه كنية، وغرضها أن يسمي لها النبي صلى الله عليه وآله ولداً حتى ترزقه! أحمد: ١٨٦/٦، الحاكم: ٢٧٨/٤، الطبراني الكبير: ١٨/٢٣، الطبقات: ٦٦/٨، مفرد البخاري/١٨٣ وغيرها.

عائشة أكثر نساء النبي صلى الله عليه وآله كلاماً

وأكثرهن إثارة للجدل! فقد أثارت بأقوالها وأفعالها إشكالات وأسئلة عجز عن جوابها محبوها، ومن أولها خروجها على الخليفة الشرعي وشقها عصا المسلمين، وإشعالها حرب الجمل التي قتل فيها ألوف بدون سبب، وقد هزمت فيها شر هزيمة ورجعت مملوءة غيظاً! وكانت تقول: «إن يوم الجمل لمعترض في حلقي، ليتني متُّ قبله أو كنت نسياً منسياً»! مسند ابن راهويه: ٣٤/٢.

ثم يعجزون عن تبرير إرسالها بضعة رجال إلى أختها وزوجة أخيها، لترضع الواحد منهم، فيصير محرماً عليها كما تزعم، ويدخل عليها مع أنه أجنبي!

وكانت تحتجب عن الحسن والحسين عليهما السلام مع أنهما من محارمها! ولم تزر فاطمة عليها السلام في مرضها، وقد زارها أبو بكر وعمر!

ثم يعجزون عن تفسير مدحها المفرط لنفسها، وحديثها عن ملبسها ومأكلها ونومها ويقظتها وجمالها وفضلها على نساء النبي صلى الله عليه وآله، وادعت أنها كانت أحبهن اليه صلى الله عليه وآله، كما تحدثت بابتذال عن أمورها الشخصية مع النبي صلى الله عليه وآله!

ثم مدحت أمها بأن النبي صلى الله عليه وآله دعا المسلمين إلى أن يتفرجوا عليها، فقال: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين، فلينظر إلى أم رومان! الطبقات: ٢٧٧/٨.

وقال الحشوية إنها تقصد أن يتأملها بعين البصيرة لا البصر. فيض القدير: ١٩٧/٦.

وقد رأت عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله تولى دفن فاطمة بنت أسد ونزل في قبرها وقال إنها أمي! فقالت إن النبي صلى الله عليه وآله نزل في قبر أمها أم رومان! الإصابة: ٣٩٢/٨.

حَكَمَتْ عائشة في دولة أبيها!

وصادرت قبر النبي ﷺ وقالت إنه أعطاها المكان الذي دفن فيه، فهو غرفتها. وأخذت امتيازات مالية ومعنوية كثيرة، واستمرت على هذه الحالة في حكم عمر فكان يعطيها سنوياً مبلغاً كبيراً، ويهديها هدايا كثيرة، فصارت من أثرياء الصحابة واشترت بيتاً كبيراً في المدينة، ثم باعته إلى معاوية بمئة وثمانين ألف درهم وقيل بمئتي ألف، الطبقات: ١٦٥/٨. راجع جواهر التاريخ: ٣.

قطع عثمان مخصصاتهما فثارتا عليه

ولما قطع عثمان مخصصاتهما جاءتاه معترضتين فقال: «لا أجد لك موضعاً في الكتاب ولا في السنة، وإنما كان أبوك وعمر بن الخطاب يعطيانك بطيبة من أنفسهما، وأنا لا أفعل! قالت له: فأعطني ميراثي من رسول الله». أمالي المفيد/١٢٥.

«وكان متكئاً فجلس وقال: ستعلم فاطمة أي ابن عم لها أنا اليوم! ثم قال لهما: ألستما اللتين شهدتما عند أبويكما ولفقتما معكما أعرابياً يتطهر ببوله، مالك بن أوس بن الحدثان، فشهدتما معه أن النبي قال: لانورث». المسترشد/٥٠٨.

وفي كتاب سُليم بن قيس/٢٤٢: «لا والله ولا كرامة لكما ولا نَعِمْتُ عنه! ولكن أجيز شهادتكما على أنفسكما، فإنكما شهدتما عند أبويكما أنكما سمعتما من رسول الله يقول: النبي لايورث، ما ترك فهو صدقة! ثم لقنتما أعرابياً جلفاً يبول على عقبيه ويتطهر ببوله» مالك بن أوس بن الحدثان «فشهد معكما! ولم يكن في أصحاب رسول الله من المهاجرين ولا من الأنصار أحد شهد بذلك غيركما وغير أعرابي. «أما والله ما أشك أنه قد كذب على رسول الله وكذبتما عليه معه، ولكني أجيز شهادتكما على أنفسكما فاذهبا فلا حق لكما! فانصرفتا من عنده تلعنانه وتشتمانه»!

وفي رواية الجوهري في السقيفة: ٨٢، وشرح النهج: ٥/٩، أنهما تكلمتا في المسجد تحركان الناس على عثمان فقال: «إن هاتين لفتانتان يحل لي سبهما، وأنا بأصلهما

عالم! فقال له سعد بن أبي وقاص: أتقول هذا لحبائب رسول الله؟ فقال: وفيم أنت وما هاهنا، ثم أقبل نحو سعد عامداً ليضربه، فانسل سعد من المسجد».

وأصرت عائشة وحفصة على ادعاء إرثهما من النبي ﷺ لتبرير دفن أبويهما في ملكه ﷺ! فكان الشيعة يحتجون عليها. ومن أمثلة احتجاجهم ما رواه في **الفصول المختارة/٧٤**، أن الفضال بن الحسن بن فضال مرَّ على أبي حنيفة: «وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه، فقال لصاحب كان معه: والله لا أبرح أو أخجل أبا حنيفة! فقال صاحبه: إن أبا حنيفة ممن قد علمت حاله ومنزلته وظهرت حجته، فقال: مه هل رأيت حجة كافر علت على مؤمن؟ ثم دنا منه فسلم عليه فرد ورد القوم بأجمعهم السلام. فقال: يا أبا حنيفة رحمك الله إن لي أخاً يقول: إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأنا أقول: إن أبابكر خير الناس بعد رسول الله ﷺ وبعده عمر، فما تقول أنت رحمك الله؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال: كفى بمكانهما من رسول الله كرماً وفخراً، أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره، فأي حجة أوضح لك من هذه؟ فقال له فضال: إني قد قلت ذلك لأخي فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله دونهما، فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله ﷺ لقد أساءا وما أحسنا إليه، إذ رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما! فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال قل له: لم يكن لهما ولا له خاصة، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما. فقال له فضال: قد قلت له ذلك فقال: أنت تعلم أن النبي مات عن تسع حشايا، فنظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله ﷺ وفاطمة ابنته تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة: يا قوم نحوه عني فإنه والله رافضي خبيث»!

زعمت أن النبي ﷺ جعل الخلافة لأبيها وأولاده!

فقد وضعت حديثاً مقابل حديث: إيتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً.. فقالت: «قال لي رسول الله في مرضه: أدعي لي أبابكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى». مسلم: ١١٠/٧ وأحمد: ١٤٤/٦.

ورواه بخاري: ٨/٧ و ١٢٦/٨ بلفظ: «أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون».

وقال ابن حجر: ١٨٦/١ و ١٧٧/١٣: «أفرط المهلب فقال فيه دليل قاطع في خلافة أبي بكر، والعجب أنه قرر بعد ذلك أنه ثبت أن النبي ﷺ لم يستخلف»!

أما عبدالرحمن بن أبي بكر فصرح أكثر من أخته فقال: «قال رسول الله: إئتوني بكتاب وكتف أكتب لكم كتاباً لاتضلون بعده أبداً». مجمع الزوائد: ١٨١/٥.

أي ليكتب الخلافة لأبي بكر وبنيه! ولم يذكروا سبباً مقنعاً لعدم كتابة النبي ﷺ الخلافة لهم! ولم يذكروا هل قال أحدٌ إن نبيكم يهجر، لاتقربوا له شيئاً، حسبنا كتاب الله! ولم يذكروا أن الصحابة لغطوا واختلفوا، فطردهم النبي ﷺ فقال: قوموا عني!

إن حديث عائشة في مسلم والبخاري يفسر لنا المقصود النبوي بالحديث المتواتر: إيتوني بدواة وقرطاس. ولا يدع مجالاً للشك بأن هذه الأحاديث وضعوها مقابله!

وقد عملت عائشة ليكون أخوها عبدالرحمن خليفة، فقتله معاوية، ثم عملت ليكون ابن عمها طلحة خليفة، فقتله مروان في معركة الجمل.

ثم كانت تمدح موسى بن طلحة، الذي ادعى أنه المهدي الموعود، وأنه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ولكنه لم يصل إلى شيء، ولم يملأ شيئاً!

واشتهرت عائشة بجرأتها على النبي ﷺ

من ذلك قولها له ﷺ: «ما أرى ربك إلا يسارع لك في هواك»! البخاري: ٢٤/٦.

وقالت له مرة في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنك نبي الله! وقالت

له مرة: ما تشبع من أم سلمة! وكانت تتفقده وتعقبته ليلة لما ذهب إلى زيارة البقيع.

وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي وهي نائمة معترضة بين يديه، أو مادة رجلها.

وزعمت أن النبي صلى الله عليه وآله سُحر فكان يتخيل أنه قاربها ولم يقاربها!

وقالت: مرض النبي صلى الله عليه وآله في بيتي فمرضته وقبض ولم يشهده غيري والملائكة!

وقالت: سلَّمَ جبرئيل عليَّ وبلغني سلام الله!

وقالت: إنها رأت جبرئيل عليه السلام، ولم تره امرأة غيرها.

وقالت: نزل الوحي على رسول الله وهي معه في لحاف واحد.

وقالت: صُوِّرت لرسول الله قبل أن أصور في رحم أمي!

وقالت: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يقاربها وهي حائض!

وقالت إن آية رضاع الكبير كانت تحت سريرها فأكلتها السخلة.

وكانت تكره علياً والعباس فقالت: قال النبي صلى الله عليه وآله: من أراد أن ينظر إلى رجلين من أهل النار فلينظر اليهما! راجع المراجعات/٣٢٥.

وكانت معجبة بطلحة التيمي وابنه موسى

كان طلحة يأتيها فيجلس معها فنهاه النبي صلى الله عليه وآله فأجابه طلحة بخشونة وجاهلية! ثم قال: لئن مات محمد لأتزوجن عائشة! «فقال النبي صلى الله عليه وآله لا تقومن هذا المقام بعد يومك هذا! فقال: يا رسول الله إنها ابنة عمي والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي! قال النبي: قد عرفت ذلك. إنه ليس أحد أغْيَرُ من الله وإنه ليس أحد أغْيَر مني! فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي لأتزوجنها من بعده! فأنزل الله هذه الآية: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا». سنن البيهقي: ٦٩/٧، الدر المنثور: ٢١٤/٥.

ثم عملت ليكون طلحة الخليفة بعد عثمان، فتفاجأت ببيعة المسلمين لعلي عليه السلام! فقالت: وددتُ أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا! وكانت في الطريق إلى المدينة فرجعت إلى مكة وضربت خيمتها في حجر إسماعيل، وأخذت تُخذِّلُ الناس

عن بيعة علي عليه السلام، وأعلنت أن عثمان قتل مظلوماً وأنها ستطلب بدمه! والتحق بها طلحة والزبير في مكة، وأرسلوها لأم سلمة لتخرج معهم على علي عليه السلام! فنهتها أم سلمة وحذرتها وأقامت عليها الحجة فوعدتها أن لاتذهب، ثم ذهبت راكبةً على الجمل الأدبب كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله حتى وصلت إلى الحوأب فنبحتها كلابها كما أخبر صلى الله عليه وآله فقالت ردوني فشهدوا لها بأن المكان ليس الحوأب!

وروى الجميع تحذيرات النبي صلى الله عليه وآله للمسلمين من فتنتها، فقد روى البخاري أنه صلى الله عليه وآله أشار إلى بيتها وقال: هاهنا الفتنة! وقال لها عند ما شكت من وجع رأسها: ماضرك لو متِّ قبلي! وحذرها أن تكون التي تخرج فتنبحها كلاب الحوأب. وكان سعيد بن العاص معها فلما نبحتها كلاب الحوأب رجع.

أدارت عائشة معركة الجمل سبعة أيام

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن جند المرأة، والقاسطين، وأهل النهروان، ملعونون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله. وأرسل ابن عباس وزيد بن صوحان إلى عائشة للمفاوضة، فقالت ليس بيني وبينه إلا السيف، مغترة بكثرة جيشها وقلة جيش علي عليه السلام. وخرجت راكبة الجمل الأدبب تعبئ أصحابها! وانسحب الزبير وقتل طلحة قبل بدء المعركة، وبقيت وحدها، وأدارت المعركة سبعة أيام! وفي اليوم السابع نشر علي عليه السلام راية رسول الله صلى الله عليه وآله فهزمهم وسقط الجمل، فأرسل أخاها محمداً فحملها من ساحة المعركة، وأعلن العفو العام ومنع أن يُعتدى على أحد، وزارها في منزلها،ثم أعادها إلى المدينة يحرسها نساء ملثمات وهي تحسبهن رجالاً!

وقالوا إنها ندمت وتابت، ومدحت علياً عليه السلام لكن لما جاءها خبر قتله سجدت شكراً لله! فاستنكرت عليها زينب بنت أم سلمة فقالت: إذا نسيت فذكروني!

قتل معاوية أخويها وسَكَّتَها

لما جاءها خبر قتل معاوية لأخيها محمد بن أبي بكر في مصر وإحراق جثته، بكت عليه ولعنت معاوية وعمرو بن العاص! وزاد من غيظها أن ضرتها أم

حبيبة أخت معاوية أرسلت لها كبشاً مشوياً وقالت: هكذا فعلنا بأخيك محمد! فلم تأكل عائشة شواء كل عمرها!

لكن معاوية استرضاها بالمال فسكتت عن قتله لأخيها، ثم ساءت علاقتها به لما أراد أن يأخذ البيعة ليزيد، ودعا مروان في مسجد النبي ﷺ إلى بيعة يزيد فوقف عبدالرحمن بن أبي بكر في وجهه وتشاتما، فأمر مروان الشرطة بأخذه فهرب إلى غرفة عائشة، فخرجت إلى المسجد وشتمت مروان، وهرَّبت أخاها من المدينة، فقتلوه بالسم قرب مكة.

ثم أرضاها معاوية بالمال فسكتت عن قتله لأخيها الثاني، وفي **مسند أحمد**: ٩٢/٤: «عن سعيد بن المسيب أن معاوية دخل على عائشة فقالت له: أما خفت أن أُقعد لك رجلاً فيقتلك؟ فقال: كيف أنا في الذي بيني وبينك، حوائجك؟ قالت: صالح. قال: فدعينا وإياهم حتى نلقى ربنا عزوجل».

وتوفيت في عهد معاوية سنة٥٧، وقيل قتلها بالسم، وقيل وقعت في بئر حفره لها في طريقها، وكانت تصيح وهي تحتضر: إني أحدثت بعد رسول الله فلا تدفنوني عنده! يا ليتني لم أخلق، لوددت أني كنت مدرة، ولم أكن شيئاً مذكوراً! ودفنت في البقيع، وصلى عليها أبو هريرة.

نقاط عن حفصة زوجة النبي ﷺ

كان أبو بكر وعمر يعملان للتقرب السياسي من النبي ﷺ أكثر من جميع أصحابه، ولكن الله عزوجل أمره أن لايصطدم بأصحابه، وأن يترك الأمور تجري بشكل طبيعي، لتجري مقادير الله وقوانينه في هداية الأمم وضلالها.

وقد رأى عمر أن زواج النبي ﷺ من عائشة امتيازٌ مهم لأبي بكر، ولم تكن عنده بنت ليعرضها على النبي ﷺ إلا حفصة وهي أرملة كبيرة السن غير جميلة! لذلك لم يعرضها عليه وعرضها على عثمان وأبي بكر فرفضا!

ففي **مسند أحمد**: ٢٧/٢: «عن ابن عمر قال: لما تأيَّمَتْ حفصة وكانت تحت خنيس

بـن حذافـة، ولقي عمر عثـمان فعرضها عليه فقال عثمان: مالي في النسـاء حاجة وسـأنظر! فلقي أبابكر فعرضها عليه فسكت! فوجد عمر في نفسه على أبي بكر، فإذا رسـول الله قد خطبها، فلقي عمر أبابكر فقال: إني كنت عرضتها على عثمان فردني وإني عرضتها عليك فسكتَّ عني، فلأنا عليك كنت أشد غضباً مني على عثمان وقد ردني! فقال أبو بكر إنه قد كان ذكر من أمرها وكان سراً، فكرهت أن أفشي السر». **وفي الإصابة**: ٨/٨٥، أن عمر عرضها على أبي بكر أولاً!

وفي الطبقـات: ٨/٨٣ و١٨٩، أن عمر شـكى أبابكـر وعثمان للنبيﷺ فخطبها منه ففرح فرحاً شديداً! ولهذا لما طلقها النبيﷺ قال عمر: « يا ويح حفصة».

وفي البخاري: ٣/١٠٣ **وأحمد**: ١/٣٣: «**قد خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا كائناً**»!

وعندماتـزوج النبيﷺ بحفصة اكتفى بوليمة عاديـة كبقية زوجاته: «تزوج حفصة أو بعض أزواجه فأولم عليها بتمر وسويق». مكارم الأخلاق/٢١٢ والمنتق/١٨١.

أما عرس عائشة فكان بدون وليمة، **ففي مسند أحمد**: ٦/٤٣٨: «عن أسماء بنت يزيد قالت: كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول اللهﷺ ومعي نسـوة قالـت: فـوالله مـا وجدنـا عنـده قـرى إلا قدحـاً مـن لبـن»! أمـا عرس الزهراءعليها السلام فأقام لها أوسع مراسم أقامها نبي في تزويج ابنته، كما بينا في محله!

وكان زواج النبيﷺ بحفصـة: «في شـعبان عـلى رأس ثلاثـين شـهراً قبـل أحد»«الطبقـات: ٨/٨٣». أي قبل ولادة الحسـن بشـهر وأيـام، لأنه ولد منتصف شهر رمضان سنة ثلاث. وأما مهرها فكان أربع مئة درهم.«ابن هشام: ٤/١٠٥٩».

وفي الطبقات: ٨/٨٦: «توفيت حفصة في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سـفيان وهي يومئذ ابنة سـتين سنة». **وقد صغروا من عمرها لأنهم نصوا على أنها ولدت قبل البعثة بخمس سنين وأكثر**. الحاكم: ٤/١٥.

كانت حفصة أكبر أولاد أبيها، وقد اشـتق كنيته من إسمها فتكنى بأبي حفص، **وكانت معتمدته في أموره**، فكان يضع نسخة القرآن التي يريد أن ينشرها **عندها**،

قال البخاري: ٦/٥، ٢١١/٩٨ و ١١٩/٨: «وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر».

وعندما وحَّد عثمان نسخة القرآن حاول أن يأخذها منها فلم تعطها، لأن فيها اجتهادات عمر الكثيرة المخالفة للقرآن المعروف! فلما ماتت أخذها مروان وأحرقها!

قال ابن شبة في تاريخ المدينة: ١٠٠٣/٣: «عن ابن شهاب قال: حدثني أنس قال: لما كان مروان أمير المدينة أرسل إلى حفصة يسألها عن المصاحف ليمزقها، وخشي أن يخالف الكتاب بعضه بعضاً فمنعتها إياه! قال الزهري: فحدثني سالم قال: لما توفيت حفصة أرسل مروان إلى ابن عمر بعزيمة ليرسلن بها، فساعة رجعوا من جنازة حفصة أرسل بها ابن عمر فشققها ومزقها، مخافة أن يكون في شيء من ذلك خلاف لما نسخ عثمان»!

وكانت حفصة قوية الشخصية جداً، وجعلها عمر وصيته: «وقال أحمد بن حنبل: إن عمر أوصى إلى حفصة». «الأم للشافعي: ٢٣٦/٧». وخصها بالولاية على ما أوقفه على ذريته، وأهمها بساتين خيبر «ثمغ» التي أهداها له اليهود في زمن النبي ﷺ!

وكان لها مخصصات من الخليفة، فأوقفت ذهباً على نساء عشيرتها: «ابتاعت حفصة حلياً بعشرين ألفاً فحبسته على نساء آل الخطاب». المجموع: ٣٢٥/١٥.

اعترف محبوها أنها كانت تؤذي النبي ﷺ

كانت حفصة تؤمن بنبوة النبي ﷺ لكن ذلك لم يمنعها من مخالفته، وحتى مقاطعته وأذيته! قال عمر: «فدخلت على حفصة فقلت: أتغاضب إحداكن رسول الله اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم». صحيح بخاري: ١٠٣/٣.

قال عمر: «وكان بيني وبين امرأتي كلام فأغلظت لي فقلت لها وإنك لهناك؟ قالت: تقول هذا لي وابنتك تؤذي النبي ﷺ!» صحيح بخاري: ٤٧/٧.

وكانت تعرف حرص عمر على استمرار زواجها من النبي ﷺ وأنه يغضب من سوء أخلاقها معه ﷺ، لكنها مع ذلك كانت تخالفه وتؤذيه!

ففي السيرة، الحلبي: ٤٠٦/٣: «شجر بين النبي ﷺ وبين حفصة أمر فقال لها: إجعلي

بني وبينك رجلاً. قالت: نعم. قال: فأبوك إذن، فأرسلت إلى عمر فجاء، فلما دخل عليها قال لها النبي ﷺ تكلمي. فقالت: بل أنت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقاً! فرفع عمر يده فوجأها في وجهها فقال له النبي: كف يا عمر، فقال عمر: يا عدوة الله النبي لايقول إلا الحق، والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي!» وتفسير السمعاني: ٢٧٦/٤، مجمع البيان: ١٥١/٨، عن الواحدي، عن ابن عباس.

وفي الكافي: ١٣٨/٦، **عن الإمام الصادق** عليه السلام: «أن زينب قالت لرسول الله ﷺ: لاتعدل وأنت رسول الله! وقالت حفصة: إن طلقنا وجدنا أكفاءنا في قومنا! فاحتبس الوحي عن رسول الله ﷺ عشرين يوماً، قال: فأنف الله عزوجل لرسوله فأنزل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً..الى قوله: أَجْرًا عَظِيمًا. قال: فاخترن الله ورسوله ولواخترن أنفسهن لبنّ».

وقد طلق النبي ﷺ حفصة مرتين ورجع اليها، وكانت الثانية في السنة التاسعة قبيل غزوة تبوك، كما نص أبوها ورواه البخاري وغيره. أما الأولى فيبدو أنها في نفس سنة زواجه بها، **كما في الطبقات**: ٨٤/٨ **والحاكم**: ١٥/٤: «عن قيس بن زيد أن رسول الله ﷺ طلق حفصة بنت عمر، فأتاها خالاها عثمان وقدامة ابنا مظعون فبكت وقالت: والله ما طلقني رسول الله عن شبع، فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها فتجلببت، فقال رسول الله: إن جبريل أتاني فقال لي أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة». وتوفي خالها عثمان بن مظعون بعد رجوعه من بدر. الطبري: ١٧٧/٢.

وفي الإصابة: ٨٦/٨: «طلق رسول الله حفصة بنت عمر فبلغ ذلك عمر، فحثا التراب على رأسه وقال: مايعبأ الله بعمر وابنته بعدها! فنزل جبريل من الغد على النبي ﷺ فقال إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر».

والصحيح أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بزواجها ثم بطلاقها ثم بإرجاعها، لمصالح لاتتعلق بأبيها ولا بإيمانها وعبادتها كما زعموا، فقد ضرب الله لها ولعائشة مثلاً بامرأتي نوح ولوط وهما كافرتان. بل لتحزبها مع عائشة وعملهما

ضد النبيﷺ كما نصت سورة التحريم. قالت عائشة: « إن نساء رسول اللهﷺ كنَّ حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة. والحزب الآخر: أم سلمة وسائر نساء رسول الله». بخاري:١٣٢/٣.

نزلت فيها وفي عائشة آية النهي عن السخرية

ولم تكن صفية من حزبهما، **قال المجموع**: ٣٥٣/١٥: «بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبيﷺ وهي تبكي وقالت: قالت لي حفصة: أنت ابنة يهودي! فقال النبيﷺ إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي فبمَ تفتخر عليك؟ ثم قال: إتقي الله يا حفصة».

وروى الجميع أن آية: لا يسخر قوم من قوم، نزلت في حفصة وعائشة! لسخريتهما من صفية بنت حيي، **ففي تفسير القمي**: ٣٢١/٢: « نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب وكانت زوجة رسول اللهﷺ وذلك أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها يا بنت اليهودية! فشكت ذلك إلى رسول اللهﷺ فقال لها: ألا تجيبنهما؟ فقالت بماذا يا رسول الله؟ قال قولي: أبي هارون نبي الله، وعمي موسى كليم الله، وزوجي محمد رسول الله، فما تنكران مني؟ فقالت لهما فقالتا: هذا علمك رسول الله! فأنزل الله في ذلك: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمان وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. والحاكم:٢٩/٤، عمدة القاري /١٢٢، الأحوذي: ٢٦٧/١٠، أوسط الطبراني: ٢٣٦/٨.

وفي أسباب النزول للواحدي/٢٦٣، أن سبب نزول الآية أن حفصة وعائشة سخرتا من أم سلمة«وذلك أنها ربطت حقويها بسبنية وهي ثوب أبيض وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره، فقالت عائشة لحفصة: أنظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب..»!

واتفقت حفصة مع عائشة على الكذب والحيلة! **ففي الكافي**: ٥٦٨/٥، **عن الإمام الباقر**ﷺ **قال**: «جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول اللهﷺ فدخلت عليه وهو في

منزل حفصة والمرأة متلبسة متمشطة، فدخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن المرأة لا تخطب الزوج وأنا امرأة أيِّم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد، فهل لك من حاجة، فإن تك فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني، فقال لها رسول الله ﷺ: خيراً ودعا لها ثم قال: يا أخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله خيراً فقد نصرني رجالكم ورغبت فيَّ نساؤكم، فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك وأجراك وأنهمك للرجال! فقال لها رسول الله ﷺ: كفي عنها يا حفصة فإنها خير منك، رغبت في رسول الله فلمتها وعيبتها، ثم قال للمرأة: إنصرفي رحمك الله فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فيَّ وتعرضك لمحبتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله، فأنزل الله عز وجل: وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ. «الأحزاب: ٥٠» قال: فأحل الله عز وجل هبة المرأة نفسها لرسول الله ﷺ، و لا يحل ذلك لغيره».

وفي الخصال/٤١٩، أن اسمها: خولة بنت حكيم السلمي. وروي أنها أسدية.

وفي الحدائق: ٢٣/٩٨: «الظاهر أنه بعد نزول الآية على أثر هذه الواقعة، نكح النبي ﷺ المرأة ولا إيجاب هنا ولا قبول».

كانت حفصة عنيفة فقتلت امرأتين!

قتلت عائشة امرأة واحدة، زعمت أنها كتبت لها سحراً، أماحفصة فقتلت امرأتين زعمت أنهما كتبتا لها سحراً! «المحلى: ١١/٣٩٥». **وروى في الطبقات**: ٣/٣٥٦، أنها دفعت عبيدالله بن عمر لقتل الهرمزان وجفينة طفلة أبي لؤلؤة، على أثر قتل عمر! قال أخوها عبدالله: «يرحم الله حفصة فإنها ممن شجع عبيدالله على قتلهم»!

كانت حفصة وعائشة حليفتين

وكان تحالفهما كتحالف أبويهما، وكانت حفصة تقلد عائشة في كثير من الأمور، وقد أخذت برأيها في رضاع الكبير، فكانت ترسل الأجنبي إلى أختها لترضعه خمس رضعات ويدخل عليها! الأم للشافعي: ٧/٢٣٦.

«وأرسلت عائشة إلى حفصة وغيرها من أمهات المؤمنين كما نص عليه غير واحد من أثبات أهل الأخبار، تسألهن الخروج معها إلى البصرة، فما أجابها إلى ذلك منهن إلا حفصة، لكن أخاها عبدالله أتاها فعزم عليها بترك الخروج، فحطت رحلها بعد أن همت». النص والإجتهاد/٤٣٢.

تهديد الله تعالى لعائشة وحفصة!

اتفق الجميع على أن نزول سورة التحريم كان بسبب أن النبي صلى الله عليه وآله ائتمن حفصة على سره فأذاعته، وتآمرت على النبي صلى الله عليه وآله هي وعائشة! فهددهما الله تعالى بأشد تهديد وضرب الله لهما مثلاً بكافرتين من زوجات الأنبياء عليهم السلام خانتا زوجيهما في أمر الرسالة، وأمر رسوله صلى الله عليه وآله أن يشدد على المنافقين والمنافقات، فقال تعالى: يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ.

قال المفيد في المسائل العكبرية/٧٧: «جاء في حديث الشيعة عن جعفر بن محمد عليه السلام أن السر الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بعض أزواجه إخباره عائشة أن الله أوحى إليه أن يستخلف أمير المؤمنين عليه السلام وأنه قد ضاق ذرعاً بذلك، لعلمه بما في قلوب قريش له من البغضاء والحسد والشنآن، وأنه خائف منهم فتنة عاجلة تضر بالدين، وعاهدها أن تكتم ذلك ولا تبديه وتستره وتخفيه. فنقضت عهد الله سبحانه عليها في ذلك وأذاعت سره إلى حفصة، وأمرتها أن تعلم أباها ليعلمه صاحبه، فيأخذ القوم لأنفسهم ويحتالوا في بعض ما يثبته رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل له أسباب مذكورة. ففعلت ذلك حفصة واتفق القوم على عقد بينهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله لم يورثوا أحداً من أهل بيته ولا يؤتوهم مقامه، واجتهدوا في تأخيرهم والتقدم عليهم، فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله بذلك وأعلمه ماصنع القوم وتعاهدوا عليه، وأن الأمر يتم لهم محنة من الله تعالى للخلق بهم. فأوقف النبي صلى الله عليه وآله عائشة على ذلك وعرفها ما كان منها من إذاعة السر، وطوى عنها الخبر بما علمه من تمام الأمر لهم، لئلا تتعجل إلى

المسرة به وتلقيه إلى أبيها فيتأكد طمع القوم فيما عزموا عليه، وهو قوله تعالى: عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ، فالبعض الذي عرفه ما كان منها من إذاعة سره، والبعض الذي أعرض عنه ذكر تمام الأمر لهم».

وروى الطبراني في الكبير: ٩١/١٢، عن ابن عباس: «فقال لها رسول الله: لاتخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة، فإن أباك يلي من بعد أبي بكر إذا أنا مت، ويلي عمر من بعده، فذهبت حفصة فأخبرت عائشة!»

وقد بحثنا ذلك في اتهامهم لمارية القبطية رضي الله عنها، ونزول براءتها.

هذا، وقد انفردت حفصة بأحاديث لم يروها غيرها! مثل حديث أن أهل بدر كلهم في الجنة، وأهل بيعة الرضوان كلهم في الجنة، وحديث: «إقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر». فهي متهمة بوضعها! راجع: الإفصاح للمفيد/٢١٩.

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها

في مناقب آل أبي طالب: ١٣٨/١: «وميمونة بنت الحارث الهلالية خالة ابن عباس، وكانت عند عمير بن عمرو الثقفي، ثم عند أبي زيد بن عبدالعامري، خطبها للنبي صلى الله عليه وآله جعفر بن أبي طالب، وكان تزويجها وزفافها وموتها وقبرها بسَرَف، وهو على عشرة أميال من مكة.» تزوجها «في سنة سبع، وماتت في سنة ست وثلاثين. وأفضلهن خديجة، ثم أم سلمة، ثم ميمونة».

وفي الكافي: ٣٦٨/٥، **عن الإمام الصادق عليه السلام قال**: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين تزوج ميمونة بنت الحارث أوْلَمَ عليها وأطعم الناس الحَيْس.» وهو التمر بالسمن.

وذكر في الإصابة: ٣٢٨/٨، أنها آخر من مات من أزواج النبي صلى الله عليه وآله. لكن يظهر أن أم سلمة ماتت بعدها، فقد عاشت إلى خلافة يزيد ووقعة الحرة سنة ٦٣.

وروى ابن عبدالبر في الإستيعاب: ١٩١٧/٤، أن العباس اقترح على النبي صلى الله عليه وآله الزواج بها: «فقال له العباس: يا رسول الله تأيمت ميمونة بنت الحارث بن حزن بن أبي رهم بن عبدالعزى، هل لك في أن تزوجها؟ فتزوجها

رسول الله ﷺ وهو مُحرم. فلما أن قدم مكة أقام ثلاثاً فجاءه سهيل بن عمرو في نفر من أصحابه من أهل مكة فقال: يا محمد أُخرج عنا، اليوم آخر شرطك! فقال ﷺ لبلال عليه السلام دعوني أبتني بامرأتي وأصنع لكم طعاماً. فقال: لا حاجة لنا بك ولا بطعامك، أخرج عنا»! فأجابه سعد بن عبادة بشتيمة فهدأه النبي ﷺ. وهذا يدل على فظاظة سهيل بن عمرو وعدائه للنبي ﷺ والإسلام! ولهذه الصفات اختارته قريش لقيادتها بعد فتح مكة وعزلت أبا سفيان واتهمته بأنه خضع لمطلب النبي ﷺ بخلع سلاحها! ويدل على أن النبي ﷺ أراد أن يتأخر في مكة ويدعو القرشيين إلى وليمة عرسه، ليخفف العداء ويهدئ الأجواء المتوترة بينهم، ولو قبلوا بذلك لكان خيراً لهم، لأن نجمهم كان في أفول ونجم النبي ﷺ في صعود.

وغطى ابن هشام:٨٢٩/٣ فظاظة سهيل بن عمرو مع النبي ﷺ وزعم أن الذي جاء إلى النبي ﷺ حويطب بن عبدالعزى في نفر من قريش.

وفي الحدائق: ٣/٢٢ **وقاموس الرجال:** ٣٤٥/١٢: «بلغ سعيد ابن المسيب أن عكرمة قال: تزوجها وهو محرم فقال: كذب عكرمة! قدم وهو محرم فلما حل تزوجها. فخرج وخلف أبا رافع وقال: إلحقني بميمونة، فحملها على قلوص، فجعل أهل مكة ينفرون بها ويقولون: لا بارك الله لك! فوافى النبي بسرف وهو على أميال من مكة، فبنى بها بسرف. ودفنت بسرف سنة ٦١».

أم المؤمنين ميمونة من أهل الجنة

وردت أحاديث في مدح ميمونة رضي الله عنها وفي بعضها شهادة لها بالجنة. واتفقت أحاديثنا على أنها كانت موالية لأمير المؤمنين عليه السلام.

ففي الأصول الستة عشر/٦٢، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: «قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: لا ينجو من النار وشدة تغيظها وزفيرها وقرنها وحميمها من عادى علياً وترك ولايته وأحب من عاداه! فقالت ميمونة زوج النبي ﷺ: والله ما أعرف من أصحابك يا رسول الله من يحب علياً إلا قليلاً منهم! فقال لها رسول الله ﷺ: القليل

من المؤمنين كثير، ومن تعرفين منهم؟ قالت: أعرف أباذر والمقداد وسلمان، وقد تعلم أني أحب علياً بحبك إياه ونصيحته لك. قال فقال لها رسول الله ﷺ: صدقت، إنك صديقة، امتحن الله قلبك للإيمان.»

وفي أمالي الطوسي/٥٠٥، عن: «يزيد بن الأصم قال: قدم شقير بن شجرة العامري المدينة، فاستأذن على خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ وكنت عندها فقالت: إئذن للرجل، فدخل فقالت: من أين أقبل الرجل؟ قال: من الكوفة. قالت: فمن أي القبائل أنت؟ قال: من بني عامر. قالت: حُيِّيت، إزدد قرباً، فما أقدمك؟ قال: يا أم المؤمنين، رهبت أن تكبسني الفتنة لما رأيت من اختلاف الناس فخرجت. قالت: فهل كنت بايعت علياً؟ قال: نعم. قالت: فارجع فلا تزولن عن صفِّه، فوالله ما ضل ولا ضُلَّ به. قال: يا أماه فهل أنت محدثتي في علي بحديث سمعته من رسول الله ﷺ؟ قالت: اللهم نعم، سمعت رسول الله يقول: علي آية الحق، ورواية الهدى، علي سيف الله يسله على الكفار والمنافقين، فمن أحبه فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه، ومن أبغضني أو أبغض علياً لقي الله عزوجل ولا حجة له»!

ورواه في شرح الأخبار/٢٥٦، عن أبي قتادة بسنده عن أبي إسحاق، وفيه: «فأردت الخروج معه فوجدت في نفسي من ذلك وجئت أسألك. قالت: أخرج معه فإنه لن يضل ولن يُضل به. قال أبو إسحاق: وما شك في علي إلا فاسق».

وقد وبخت ميمونة عائشة لما أرادت الخروج وذكرتها بحديث النبي ﷺ: يا حميراء إنك لتقاتلين علياً وأنت ظالمة له! قالت نعم. الجمل لابن شدقم/١٠٦.

وفي الخصال/٣٦٣، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «رحم الله الأخوات من أهل الجنة فسماهن: أسماء بنت عميس الخثعمية وكانت تحت جعفر بن أبي طالب، وسلمى بنت عميس الخثعمية وكانت تحت حمزة. وخمس من بني هلال: ميمونة بنت الحارث كانت تحت النبي ﷺ، وأم الفضل عند العباس إسمها هند، والغميصاء أم خالد بن الوليد، وعزة كانت في ثقيف تحت الحجاج

بن علاط. وحميدة ولم يكن لها عقب».

وفي **مقاتل الطالبيين**/١١٧، أن هنداً أم ميمونة قيل فيها: «الجرشية أكرم الناس أحماءً«أصهاراً» وجرش من اليمن، وابنتها أسماء بنت عميس تزوجها جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر، ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وابنتها الأخرى ميمونة أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ. وابنتها الأخرى لبابة أم الفضل أخت ميمونة أم ولد العباس بن عبد المطلب. وابنتها الأخرى سلمى بنت عميس أم ولد حمزة بن عبد المطلب. وأحماء هذه الجرشية: رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحمزة، والعباس، وجعفر، وأبو بكر. ومن أحمائها أيضاً الوليد بن المغيرة المخزومي». فأم خالد بن الوليد أخت أسماء بنت عميس، ومن هنا كانت نجابة بعض أولاد خالد كالمهاجر بن خالد رضي الله عنه.



الفصل السادس والأربعون

غزوة أحد

١. استعداد قريش لحرب أحُد

تلقى زعماء قريش ضربة شديدة في بدر، فقد خسروا سبعين فارساً وسبعين أسيراً! وانهزمت بقيتهم إلى مكة في حالة من الذل والغيظ! وكانت قافلتهم التي نجت من النبي ﷺ محتبسة في دار الندوة فقالوا لأصحابها: يا معشر قريش إن محمداً قد وتَرَكم وقتل خياركم، فأعينوا بهذا المال على حربه فلعلنا ندرك منه ثأرنا! وكانوا يربحون بالدينار ديناراً فبلغ المال خمسين ألف دينار. وقيل نزل يومها قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ. «نزلت في أبي سفيان، أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية، وكانت الأوقية اثنين وأربعين مثقالاً». عين العبرة /٥٣.

«وكانت وقعة أحد في شوال، بعد بدر بسنة». تاريخ اليعقوبي: ٤٧/٢.

وبعثت قريش رسلها إلى قبائل كنانة وتهامة يستنصرونهم، وبرز أبوسفيان زعيماً لقريش بلا منازع، بعد أن قُتل منافساه عتبة بن ربيعة الأموي وأبوجهل المخزومي، فقام لإثبات زعامته بغارة على ضواحي المدينة في مئتي راكب، ليَبِرَّ يمينه! ووصل إلى ضواحي المدينة ليلاً، والتقى بأحد زعماء اليهود، وأغار على مزرعة للأنصار فقتل رجلين، وعندما قصده النبي ﷺ سارع بالهرب وتخفف أصحابه من مؤونتهم، فأخذها المسلمون وسميت غزوة ذات السويق!

وخلال سنة حشدت قريش ثلاثة آلاف مقاتل، فيهم سبع مائة دارع ومئتا فارس وتوجهوا إلى المدينة ومعهم فتيانٌ بالمعازف وغلمان بالخمور، وخمس عشرة امرأة من نساء شخصياتهم، فيهن هند زوجة أبي سفيان، يغنين ويضربن بالدفوف ليحمسنهم للثأر لقتلى بدر، ومعهم أبو عامر الفاسق الذي ترك المدينة كراهيةً لمحمد، وسكن مكة مع خمسين رجلاً من الأوس، وكان يحرض قريشاً ويقول لهم إنهم على الحق ومحمد على الباطل، ويزعم لهم أن أهل المدينة معه!

وفي مقابل هؤلاء كان المسلمون سبع مئة مقاتل، فيهم مائتا دارع، وفارسان. الصحيح من السيرة: ٧٧/٦، النص والإجتهاد/٣٤١ وابن هشام: ٥٨١/٣.

ولما وصل القرشيون إلى الأبواء وفيها قبر أم النبي ﷺ اقترحت عليهم هند أن ينبشوه ويأخذوا رمتها رهينة، ليأخذوا فداءها من النبي ﷺ! قالت: «فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير، إنه كان بها براً». الصحيح: ٨٥/٦.

فتشاوروا ثم أعرضوا عن ذلك، خوفاً من أن تنبش قبور موتاهم في مناطق المسلمين وحلفائهم! ووصلوا إلى ذي الحليفة قبل المدينة بقليل، فتركوا خيولهم وإبلهم ترعى زروع أهل المدينة، وأرسل النبي ﷺ من يخمِّن عددهم وعُدتهم، ثم واصلوا مسيرهم حتى نزلوا في آخر وادي قُبا عند جبل أحد، قبالة المدينة.

٢. رؤيا النبي ﷺ واستعداده للدفاع

عندما بلغ أهل المدينة تحرك قريش لحربهم قال قسم منهم نتحصن في المدينة ونرد هجوم قريش من مداخلها وسككها وأزقتها، وقال آخرون بل نخرج اليهم فنقاتلهم خارجها، لأنه ما غُزِيَ قومٌ في عقر دارهم إلا ذلوا!

قال ابن إسحاق: ٣٠٣/٣: «قال رسول الله ﷺ للمسلمين: إني قد رأيت بقراً، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة وتأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث قد نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها. وكان رأي عبدالله بن أبي سلول مع رسول الله. فقال رجال من

المسلمين ممن كان فاتته بدر: يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم أو رضخنا». وابن هشام: ٥٨٣/٣، تفسير الطبري: ٩٤/٤.

وقال علي بن إبراهيم في تفسيره: ١١٠/١: «كان سبب غزوة أحد أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، لأنه قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون، فلما رجعوا إلى مكة قال أبو سفيان: يا معشر قريش لا تدعوا النساء تبكي على قتلاكم، فإن البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمد! ويشمت بنا محمد وأصحابه! فلما غزوا رسول الله ﷺ يوم أحد أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح.

فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحُد ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها فجمعوا الجموع والسلاح. فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك جمع أصحابه وأخبرهم أن الله قد أخبره أن قريشاً قد تجمعت تريد المدينة، وحث أصحابه على الجهاد والخروج، فقال عبدالله بن أبي سلول وقومه: يا رسول الله لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح، فما أرادنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا، وما خرجنا إلى أعدائنا قط إلا كان الظفر لهم. فقام سعد بن معاذ ﷺ وغيره من الأوس فقالوا: يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا! لا، حتى نخرج إليهم فنقاتلهم، فمن قتل منا كان شهيداً، ومن نجا منا كان قد جاهد في سبيل الله، فقبل رسول الله قوله وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضع القتال كما قال الله: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

والظاهر أن رأي سعد بن معاذ كان سبب قبول النبي ﷺ بالخروج اليهم، لأن سعداً أكبر زعيم عند الأنصار.

٣. النبي ﷺ يختار مكان معسكره

لم يكن للعدو طريق لمهاجمة المدينة إلا من وادي قباء وهي غربي المدينة وتمتد من الجنوب إلى الشمال. أما الجهات الأخرى فمرتفعات أو بساتين يصعب النفوذ منها، لذلك هاجمت قريش المدينة في أحُد من وادي قباء. وينتهي الوادي بجبل أحد الذي يعترضه ويمتد بعكسه من الشرق إلى الغرب، ويوجد قبله جبلٌ صغير إسمه: جبل عَيْنَيْن، وهو جبل الرماة، ويسمى يوم أحد يوم عَينين أيضاً.

ويظهر أن النبي ﷺ خرج صبح الجمعة أو قبله واختار مكاناً لمعسكره، كما قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ، أي خرجت غدوةً صباحاً، ثم تابع النبي ﷺ مشاورة أصحابه في الخروج أو البقاء في المدينة، واتخذ قراره بالخروج، وصلى بهم الجمعة وخرج بهم بعد الصلاة وباتوا في أحد، وكانت المعركة صبيحة السبت.

وعسكر المشركون في الوادي مقابل جبل عينين، فاختار النبي ﷺ غربي قبر حمزة ليكون ظهرهم محمياً بجبل أحد ووجههم إلى المشركين، فكان جبل عينين عن يسارهم. وكان المسلك الوحيد للإلتفاف عليهم من خلف جبل عَينين من جهة المدينة، وهو معبر ضيق تجري فيه عين المِهْراس التي تنبع من آخر الوادي من جهة أحد. لذلك أمر النبي ﷺ خمسين من الرماة أن يتخذوا مواقعهم في أصل جبل الرماة من جهة المدينة، وشدد عليهم أن لا يتركوا مواقعهم!

وقد رأيت عين المهراس سنة ١٩٦١ ميلادية، بين قبر حمزة والمسجد الذي في شرقيه، وهي نبع على عمق بضعة أمتار، ينزل اليه في درج واسع، لكن الوهابيين ردموها وأزالوها. ويسمى يوم أحُد يوم المِهْراس أيضاً، وسيأتي أن علياً عليه السلام كان يأتي بالماء من المهراس وفاطمة عليها السلام تغسل جراح النبي ﷺ. أمالي الطوسي/٥٥١.

٤. انتصار المسلمين الكاسح في الجولة الأولى

في صبيحة يوم السبت منتصف شوال سنة ثلاث للهجرة صفَّ النبيﷺ المسلمين في أُحد، ووضع الرماة الخمسين شرقي جبل عينين. ابن إسحاق: ٣٠١/٣.

وفي تفسير القمي: ١١٢/١: «وكانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري فبرز ونادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إليَّ! فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

ياطلحُ إن كنت كما تقولُ ... لنا خيولٌ ولكم نَصول

فائبت لننظر أينا المقتول ... وأينا أولى بما تقول

فقد أتاك الأسد الصؤول ... بصارم ليس به فلول

ينصره القاهر والرسول

فقال طلحة: من أنت يا غلام؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: قد علمتُ يا قُضَيْم أنه لا يَجسر عليَّ أحد غيرك! فشد عليه طلحة فضربه فاتقاه أمير المؤمنين بالجحفة، ثم ضربه على فخذيه فقطعهما جميعاً فسقط على ظهره وسقطت الراية! فذهب علي عليه السلام ليجهز عليه فحلَّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألا أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً!

وأخذ الراية أبو سعيد بن أبي طلحه فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية على الأرض.

فأخذها مسافع بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام، فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام، فسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي عليه السلام، فسقطت الراية إلى الأرض.

وأخذها أبو عذير بن عثمان فقتله علي عليه السلام، وسقطت الراية إلى الأرض.

فأخذها عبدالله بن أبي جميلة بن زهير فقتله علي عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض!

فقَتل أمير المؤمنين عليه السلام التاسع من بني عبدالدار! وهو أرطأة بن شرحبيل مبارزةً وسقطت الراية إلى الأرض! فأخذها مولاهم صواب فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلى الأرض، فأخذها بشماله فضربه أمير المؤمنين على شماله فقطعها وسقطت الراية إلى الأرض، فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثم قال: يا بني عبدالدار هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله، وسقطت الراية إلى الأرض!

فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فقبضتها!

وحدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن معنى قول طلحة بن أبي طلحة لما بارزه علي: يا قُضَيْم؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بمكة لم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، وأغروا به الصبيان وكانوا إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يرمونه بالحجارة والتراب فشكى ذلك إلى علي عليه السلام فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إذا خرجت فأخرجني معك فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين عليه السلام فتعرض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم فحمل عليهم أمير المؤمنين وكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم فكانوا يرجعون باكين إلى آبائهم ويقولون قضمنا عليٌّ! قضمنا عليٌّ! فسمي لذلك: القَضِيم»!

وقال ابن هشام: ٥٩٣/٣: «وأرسل رسول الله إلى علي بن أبي طالب: أن قدم الراية فتقدم عليٌّ فقال: أنا أبو القُضَم، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القضم في البراز من حاجة؟ قال: نعم، فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه عليٌّ فصرعه ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله».

وفي الكافي: ١١١/٨ أن خالد بن عبدالله القشيري أمير مكة سأل قتادة: «من الذي يقول: أوفي بميعادي وأحمي عن حسب؟! فقال: أصلح الله الأمير ليس هذا يومئذ، هذا يوم أحد خرج طلحة بن أبي طلحة وهو ينادي من يبارز؟ فلم يخرج إليه أحد

فقال: إنكم تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النار ونحن نجهزكم بأسيافنا إلى الجنة، فليبرزن إلي رجل يجهزني بسيفه إلى النار وأجهزه بسيفي إلى الجنة، فخرج إليه علي بن أبي طالب وهو يقول:

أنا ابن ذي الحوضين عبدالمطلب وهاشم المطعم في العام السغب

أوفي بميعادي وأحمي عن حسب

فقال خالد: كذب لعمري، والله أبو تراب ما كان كذلك! فقال الشيخ: أيها الأمير إئذن لي في الإنصراف، قال: فقام الشيخ يفرج الناس بيده وخرج وهو يقول: زنديق ورب الكعبة، زنديق ورب الكعبة»!

أقول: هذا يدل على حرص السلطة على إخفاء دور علي عليه السلام. وقد ارتاعت قريش بقتل طلحة وأصحاب الألوية، وتزعزعت صفوفها، فلم يتقدم لحمل رايتهم بعدهم، إلا امرأة جمعتها عن الأرض ولم ترفعها! فأصدر النبي صلى الله عليه وآله أمره بالحملة فتقدم علي وحمزة وأبو دجانة وفرسان المسلمين وحملوا عليهم، فكانت هزيمة المشركين: «فانكشف الكفار حينئذ عن المسلمين هاربين على غير انتظام، ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون ما تركوه من أسلحة وأمتعة وذخائر ومؤن. فلما نظر الرماة إلى المسلمين وقد أكبوا على الغنائم دفعهم الطمع في النهب إلى مفارقة محلهم الذي أمروا أن لا يفارقوه، فنهاهم أميرهم عبدالله بن جبير فلم ينتهوا وقالوا: ما مقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون! فقال عبدالله: والله لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وآله! وثبت مكانه مع أقل من عشرة، فنظر خالد بن الوليد المخزومي إلى قلة من في الجبل من الرماة، فكرَّ بالخيل عليهم ومعه عكرمة بن أبي جهل فقتلوهم، ومثلوا بعبدالله بن جبير فأخرجوا حشوة بطنه! وهجموا على المسلمين وهم غافلون وتنادوا بشعارهم يا للعزى يا هُبل، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون فكان البلاء، وقتل حمزة سيد الشهداء وسبعون من صناديد المهاجرين والأنصار، وأصيب النبي بأبي هو وأمي بجروح يقرح

القلـوب ذكرها ويهيـج الأحزان بيانها، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته. وإنما كان هذا البلاء كله لمخالفة أوامره ونواهيه». الفصول المهمة/١١٤.

٥. هزيمة المسلمين بعد انتصارهم!

قال علي بن إبراهيم في تفسيره: ١١١/١: «أَمَّرَ رسول الله على الرماة وهم خمسون رجلاً عبدالله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف، وهو يومئذ معلم بثياب بياض وقال: اِنضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا أثبت مكانك لا نؤتين من قبلك. إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تخرجوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة، فلا تبرحوا والزموا مراكزكم. ووضع أبوسفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، وقال لهم إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم. فحملت الأنصار على مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة، ووقع أصحاب رسول الله ﷺ في سوادهم...

فانهزم أصحاب رسول الله هزيمة قبيحة وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كل وجه، فلما رأى رسول الله ﷺ الهزيمة كشف البيضة عن رأسه وقال: إني أنا رسول الله، إلى أين تفرون عن الله وعن رسوله»!

وفي تفسير فرات/٩٤: «عن حذيفة قال: «رفع البيضة عن رأسه وجعل ينادي: أيها الناس أنا لم أمت ولم أقتل، وجعل الناس يركب بعضهم بعضاً لايلوون على رسول الله ﷺ ولا يلتفتون إليه: فلم يزالوا كذلك حتى دخلوا المدينة، فلم يكتفوا بالهزيمة حتى قال أفضلهم رجلاً في أنفسهم: قتل رسول الله، فلما آيس رسول الله ﷺ من القوم رجع إلى موضعه الذي كان فيه فلم يزل علي بن أبي طالب وأبو دجانة الأنصاري، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا دجانة ذهب الناس فالحق بقومك! فقال أبو دجانة: يا رسول الله ما على هذا بايعناك وبايعنا الله، ولا على هذا خرجنا يقول الله: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ. فقال رسول الله ﷺ: يا أبا دجانة أنت في حل من بيعتك فارجع، فقال أبو دجانة: يا رسول الله لاتحدث نساء

الأنصار في الخدور أني أسلمتك ورغبت نفسي عن نفسك يا رسول الله، لا خير في العيش بعدك. قال: فلم يلبث أبو دجانة إلا يسيراً حتى أثخن جراحةً فتحامل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبه مثخناً لا حراك به. قال: وعلي لا يبارز فارساً ولا راجلاً إلا قتله الله على يديه حتى انقطع سيفه، فلما انقطع سيفه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله انقطع سيفي ولا سيف لي، فخلع رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار فقلده علياً، ومشى إلى جمع المشركين، فكان لا يبرز إليه أحد إلا قتله، فلم يزل على ذلك حتى وهت دراعته، فنظر رسول الله إلى السماء وقال: اللهم إن محمداً عبدك ورسولك جعلت لكل نبي وزيراً من أهله لتشد به عضده وتشركه في أمره، وجعلت لي وزيراً من أهلي، علي بن أبي طالب أخي، فنعم الأخ ونعم الوزير، اللهم وعدتني أن تمدني بأربعة آلاف من الملائكة مردفين، اللهم وعدك وعدك، إنك لا تخلف الميعاد، وعدتني أن تظهر دينك على الدين كله ولو كره المشركون.

قال: فبينما رسول الله ﷺ يدعو ربه ويتضرع إليه، إذ سمع دوياً من السماء فرفع رأسه فإذا جبرئيل عليه السلام على كرسي من ذهب ومعه أربعة آلاف من الملائكة مردفين وهو يقول: **لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار**، فهبط جبرئيل على الصخرة وحفت الملائكة برسول الله فسلموا عليه، فقال جبرئيل: يا رسول الله والذي أكرمك بالهدى لقد عجبت الملائكة المقربون لمواساة هذا الرجل لك بنفسه. فقال: يا جبرئيل ما يمنعه يواسيني بنفسه وهو مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما، حتى قالها ثلاثاً. ثم حمل علي، وحمل جبرئيل والملائكة، ثم إن الله تعالى هزم جمع المشركين وتشتت أمرهم».

وفي إمتاع الأسماع: ١٤٤/١: «انكشف المشركون منهزمين لا يلوون، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفاف والفرح، ولكن المسلمين أُتُوا من قبل الرماة. وبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والغنائم، إذ دخلت الخيول تنادي فرسانها بشعارهم: يا للعزى يا لهبل! ووضعوا في المسلمين السيوف وهم آمنون وكل

منهم في يده أو حضنه شئ قد أخذه، فقتلوا فيهم قتلاً ذريعاً، وتفرق المسلمون في كل وجه! وتركوا ما انتهبوا وخلوا من أسروا.

ونادى إبليس عند جبل عينين وقد تصور في صورة جعال بن سراقة: إن محمداً قد قتل: ثلاث صرخات، فما كانت دولة أسرع من دولة المشركين! واختلط المسلمون وصاروا يقتلون ويضرب بعضهم بعضاً ما يشعرون من العجلة والدهش، وجرح أسيد بن حضير جرحين ضربه أحدهما أبو برده بن نيار وما يدري! وضرب أبو زعنة أبا بردة ضربتين وما يشعر! والتقت أسياف المسلمين على اليمان حسيل بن جابر وهم لا يعرفونه حين اختلطوا وحذيفة يقول: أبي أبي»!

وفي تفسير الطبري: ١٩٤/٤، **عن السدي قال**: «لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله ﷺ أصحابه فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها. عن ابن إسحاق قال: فرَّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان حتى بلغوا الجلعب، جبل بناحية المدينة مما يلي الأعوص، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: لقد ذهبتم فيها عريضة»!

قال ابن إسحاق: ٣٠٦/٣: «قال الزبير: لقد رأيتني أنظر إلى خدم «خلاخيل» هند ابنة عتبة وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير! إذ مالت الرماة عن العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب، وخلوا ظهورنا للخيل فأُتينا من أدبارنا، وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل! فانكفأنا وانكفؤوا علينا بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم! فانكشف المسلمون فأصاب منهم العدو فكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم بالشهادة».

٦- ثبت مع النبي ﷺ أول الأمر بضعة أشخاص

روى المفيد في الإرشاد: ٨٠/١، **عن زيد بن وهب قال**: «وجدنا من عبدالله بن مسعود يوماً طِيبَ نفس فقلنا له: لو حدثتنا عن يوم أُحُد وكيف كان؟ فقال: أجل ثم ساق الحديث حتى انتهى إلى ذكر الحرب فقال: قال رسول الله ﷺ: «أخرجوا إليهم على اسم الله فخرجنا، فصفَّنا لهم صفاً طويلاً، وأقام على الشعب خمسين رجلاً من الأنصار

وأمَّر عليهم رجلاً منهم وقال: لاتبرحوا عن مكانكم هذا وإن قتلنا عن آخرنا، فإنما نؤتى من موضعكم هذا! إلى أن قال: وثبت أمير المؤمنين عليه السلام، وأبو دجانة الأنصاري، وسهل بن حنيف يدفعون عن النبي صلى الله عليه وآله وكثر عليهم المشركون، ففتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه فنظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقد كان أغمي عليه مما ناله فقال: يا علي ما فعل الناس؟ قال: نقضوا العهد وولوا الدبر، فقال له: فاكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكشفهم، ثم عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية أخرى فكر عليهم فكشفهم، وأبو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه صلى الله عليه وآله بيد كل واحد منهما سيفه ليذب عنه. قال زيد بن وهب: قلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله حتى لم يبق معه إلا علي بن أبي طالب وأبو دجانة وسهل بن حنيف؟! قال: انهزم الناس إلا علي بن أبي طالب وحده، وثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله نفر، وكان أولهم عاصم بن ثابت، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف، ولحقهم طلحة بن عبيدالله.

فقلت له: فأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا ممن تنحى. قال قلت. فأين كان عثمان؟ قال: جاء بعد ثلاثة من الوقعة، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد ذهبت فيها عريضة! قال فقلت له: فأين كنت أنت؟ قال: كنت فيمن تنحى! قال فقلت له: فمن حدثك بهذا؟ قال: عاصم وسهل بن حنيف. قال قلت له: إن ثبوت علي في ذلك المقام لعجب! فقال: إن تعجبت من ذلك لقد تعجبت منه الملائكة، أما علمت أن جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي! فقلت له: فمن أين علم ذلك من جبرئيل؟ فقال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبي صلى الله عليه وآله عنه فقال: ذاك جبرئيل.

وفي حديث عمران بن حصين قال: لما تفرق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم أحد، جاء علي متقلداً سيفه حتى قام بين يديه، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إليه فقال له: ما لك لم تفر مع الناس؟ فقال: يا رسول الله أأرجع كافراً بعد إسلامي! فأشار له إلى قوم انحدروا من الجبل فحمل عليهم فهزمهم، ثم أشار له إلى قوم آخرين

فحمل عليهم فهزمهم، ثم أشار إلى قوم فحمل عليهم فهزمهم! فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله، لقد عجبت الملائكة من حسن مواساة علي لك بنفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما يمنعه من هذا، وهو مني وأنا منه! فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما».

وزعموا أن أبابكر ثبت في أحد ولم يهرب **فقال ابن سعد**: ٤٢/٢: «وثبت معه عصابة من أصحابه أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق وسبعة من الأنصار» **لكنهم كذَّبوا أنفسهم فقالوا كان في أوائل من رجع من الهزيمة! قال ابن سعد**: ٣/ ١٥٥: «عن عائشة قالت: حدثني أبو بكر قال: كنت في أول من فاء إلى رسول الله يوم أحد».

٧- بقي النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وحدهما

فبعد جرح أبي دجانة ونسيبة، لم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا علي عليه السلام! قال الإمام الصادق عليه السلام كما في الكافي: ١١٠/٨: «انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله فغضب غضباً شديداً قال: وكان إذا غضب انحدر عن جبينيه مثل اللؤلؤ من العرق، قال: فنظر فإذا علي عليه السلام إلى جنبه فقال له: إلحق ببني أبيك مع من انهزم عن رسول الله! فقال: يا رسول الله لي بك أسوة! قال: فاكفني هؤلاء، فحمل فضرب أول من لقي منهم. فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل على كرسي من ذهب بين السماء والأرض وهو يقول: **لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**».

وفي الإرشاد: ٨٩/١: «فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أبشر يا علي، فإن الله منجز وعده، ولن ينالوا منا مثلها أبداً». **وفي تفسير القمي**: ١١٥/١: «ولم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة وأمير المؤمنين عليه السلام، فكلما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم فيدفعهم عن رسول الله ويقتلهم، حتى انقطع سيفه. وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نسيبة بنت كعب وكانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه فقالت: يا بني إلى أين تفر عن الله وعن رسوله؟! فردته فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها فحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بارك الله عليك

يا نسيبة، وكانت تقي رسول الله ﷺ بصدرها وثدييها ويديها، حتى أصابتها جراحات كثيرة!

وحمل ابن قميئة على رسول الله ﷺ فقال: أروني محمداً لانجوتُ إن نجا! فضربه على حبل عاتقه، ونادى قتلت محمداً واللات والعزى!

ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل من المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة فناداه: يا صاحب الترس ألق ترسك، ومُرَّ إلى النار! فرمى بترسه فقال رسول الله ﷺ: يا نسيبة خذي الترس فأخذت الترس، وكانت تقاتل المشركين فقال رسول الله ﷺ: لَمَقَامُ نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان!

ولم يكن يحمل على رسول الله ﷺ أحد إلا يستقبله أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا رأوه رجعوا! فانحاز رسول الله ﷺ إلى ناحية أُحُد فوقف. فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة فتحاموه! وسمعوا منادياً ينادي من السماء: **لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي**. وتراجعت الناس فصارت قريش على الجبل، فقال أبوسفيان وهو على الجبل: أعلُ هبل! فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين قل له: الله أعلى وأجل. فقال: يا علي إنه قد أنعم علينا! فقال علي عليه السلام: بل الله أنعم علينا.

ثم قال أبوسفيان: يا علي أسألك باللات والعزى هل قتل محمد؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: لعنك الله ولعن الله اللات والعزى معك! والله ما قتل محمد ﷺ وهو يسمع كلامك! فقال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميئة زعم أنه قتل محمداً».

أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى!

في **كشف اليقين/٥٩**: «خرج رسول الله ﷺ يوماً فرحاً مسروراً وقال: **أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى!** أما أنه الفتى فلأنه سيد العرب. وأما ابن الفتى فلأنه ابن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام الذي نزل في حقه: قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. وأما أنه أخو الفتى، فلأنه أخو علي عليه السلام الذي قال جبريل عنه أنه: إنه لا فتى إلا علي».

٨- نزل جبرئيل عليه السلام وبقي مع النبي صلى الله عليه وآله حتى انسحب المشركون

يفهم من حديث دعائم الإسلام: ١/٣٧٤، عن الإمام الباقر عليه السلام أن جبرئيل عليه السلام بقي مع النبي صلى الله عليه وآله حتى انسحب المشركون، قال: «لما كان يوم أحد وافترق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وثبت معه علي عليه السلام وكان من أمر الناس ما كان، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إذهب يا علي، فقال: كيف أذهب يا رسول الله وأدعك! بل نفسي دون نفسك ودمي دون دمك، فأثنى عليه خيراً. ثم نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كتيبة قد أقبلت فقال: إحمل عليها يا علي، فحمل عليها ففرقها وقتل هشام بن أمية المخزومي، ثم جاءت كتيبة أخرى فقال: إحمل عليها يا علي، فحمل عليها ففرقها وقتل عمر بن عبدالله الجمحي، ثم أقبلت كتيبة أخرى قال: إحمل عليها يا علي. فحمل عليها ففرقها وقتل شيبة بن مالك أخا بني عامر بن لؤي، وجبرئيل مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال جبرئيل: يا محمد إن هذه للمواساة! فقال: يا جبرئيل، إنه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما يا محمد».

٩- ركز المشركون على قتل النبي صلى الله عليه وآله في أحُد فأصابته جراحات

«لما اشتد البلاء وعظم الخطب بفرار المسلمين، أرهف المشركون لقتل رسول الله غِرار عزمهم، وأرصدوا لذلك جميع أهبهم، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك، كانوا كالفدائية في هذا السبيل وهم: عبدالله بن شهاب الزهر «والد الزهري المعروف وهو يهودي حداد حليف بني زهرة» وعتبة بن أبي وقاص، وابن قميئة الليثي أبيٌّ بن خلف، وعبدالله بن حميد الأسدي القرشي، لعنهم الله وأخزاهم، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميمونة، وأما عتبة فرماه - تبَّت يداه- بأربعة أحجار فكسر رباعيته وشق شفته، وأما ابن قميئة قاتله الله فكمَّ وجنته ودخل من خلف المغفر فيها وعلاه بالسيف - شُلَّت يداه - فلم يطق أن يقطع فسقط صلى الله عليه وآله إلى الأرض. وأما أبيٌّ بن خلف فشد عليه بحربته فأخذها رسول الله منه وقتله بها، وأما عبدالله بن حميد فقتله أبو دجانة الأنصاري شكر الله سعيه وأعلى في الجنان مقامه، فإنه ممن أبلى يومئذ بلاء حسناً. ثم حمل ابن قميئة على مصعب

بن عمير وهو يظنه رسول الله ﷺ فقتله، ورجع إلى قريش يبشرهم بقتل محمد، فجعل الناس يقولون: قتل محمد قتل محمد! فانخلعت قلوب المسلمين جزعاً وكادت نفوسهم أن تزهق هلعاً، وأوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين، لا يرتابون في قتل رسول الله ﷺ وقد أسقط في أيديهم». الفصول المهمة للسيد شرف الدين/١١٨.

وفي المناقب: ١٦٦/١: « فرماه ابن قمئة بقذافة فأصاب كفه، ورماه عبدالله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه، وضربه عتبة بن أبي وقاص أخو سعد على وجهه، فشج رأسه فنزل عن فرسه، ونهبه ابن قمئة، وقد ضربه على جنبه»!

وروى ابن هشام: ٥٩٧/٣، نحوه وذكر أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبدالله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، ووقع رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون، فأخذ علي بن أبي طالب بيده!

وفي تفسير فرات/٩٣: «إنتهى رسول الله ﷺ إلىٰ صخرة فاستتر بها، ليتقي بها من السهام سهام المشركين».

«فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي عليه السلام حتى ملأ درقته من المهراس فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحاً فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه». والمناقب: ٩٦،١٠٢/١ والخرائج /٦٢.

وقد كسر خوذته عبدالله بن شهاب جد الزهري فجُرح في رأسه، وأدمى وجهه فوق حاجبه عبدالله أو عمرو بن قمئة وجرحه في وجنته، وكسر رباعيته عتبة بن أبي وقاص، وجرح شفته السفلى من داخل فمه الشريف. «مقدمة فتح الباري/٢٨٧».

وفي فتح الباري: ٢٨٦/٧: (شُجَّ وجهه وكسرت رباعيته، وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها، ووهى منكبه من ضربة ابن قمئة وجحشت ركبته).

وفي صحيح البخاري: ١٩/٧: (عن سهل بن سعد الساعدي قال: لما كسرت على رأس رسول الله ﷺ البيضة وأدمي وجهه وكسرت رباعيته وكان علي يختلف بالماء

في المجن، وجاءت فاطمة تغسل عن وجهه الدم، فلما رأت فاطمة عليها السلام الدم يزيد على الماء كثرة عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرح رسول الله صلى الله عليه وآله فرقأ الدم).

وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٥٨٦/٤: (شُجَّ النبي صلى الله عليه وآله وكسرت رباعيته، وذلق من العطش حتى جعل يقع على ركبتيه وتركه أصحابه، فجاء أبي بن خلف يطلب بدم أخيه أمية بن خلف فقال: أين هذا الذي يزعم أنه نبي فليبرز لي فإن كان نبياً قتلني! فأخذ صلى الله عليه وآله الحربة ثم مشى إليه فطعنه فصرعه عن دابته، وحمله أصحابه فاستفردوه فقالوا: ما نرى بك بأساً! فقال: إنه قد استسقى الله دمي، إني لأجد لها ما لو كان على مضر وربيعة لوسعتهم).

وفي الدرر لابن عبدالبر/١٤٨: (فقاتل دونه مصعب بن عمير حتى قتل. وجُرح رسول الله صلى الله عليه وآله في وجهه، وكُسرت رباعيته اليمنى السفلى بحجر، وهشمت البيضة على رأسه.. وكان الذي تولى ذلك من النبي عمرو بن قمئة الليثي وعتبة بن أبي وقاص، وقد قيل إن عبدالله بن شهاب جد الفقيه محمد بن مسلم بن شهاب هو الذي شج رسول الله في جبهته، وأكبت الحجارة على رسول الله حتى سقط في حفرة كان أبو عامر الراهب قد حفرها مكيدة للمسلمين فخر على جنبه فأخذ علي بيده).

وفي شرح الأخبار: ٩٤/١: (عن عمر بن علاء، قال: لما كان يوم أحد وتفرق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله ضُرب رسول الله صلى الله عليه وآله ستين ضربة بالسيف، وعليه يومئذ درعان قد تظاهر بينهما، وكسرت رباعيته وشج في وجهه وتفرق الناس عنه، وبقي معه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له رسول الله: إرجع يا علي، فقال: إلى أين أرجع عنك يا رسول الله؟ أرجع كافراً بعد أن أسلمت! وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كردوس من المشركين. فقال لعلي: فاحمل إذن على هؤلاء، فحمل عليهم ففرجهم وأصاب منهم. فقال جبرائيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا محمد إن هذه للمواساة. فقال: يا جبرائيل: إنه مني وأنا منه. فقال جبرائيل: وأنا منكما).

وفي النص والإجتهاد/٣٤٣: (وقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ قتالاً شديداً، فرمى بالنبل حتى فني نبله، وانكسرت سية قوسه وانقطع وتره، وأصيب بجرح في وجنته، وآخر

في جبهته، وكسرت رباعيته السفلى، وشقت بأبي هو وأمي شفته وعلاه ابن قمئة بالسيف. وقاتل دونه علي ومعه خمسة من الأنصار استشهدوا في الدفاع عنه رضي الله عنهم وأرضاهم، وترس أبو دجانة رسول الله ﷺ بنفسه، فكان يقع النبل بظهره وهو منحن عليه، وقاتل مصعب بن عمير فاستشهد، قتله ابن قمئة الليثي وهو يظنه رسول الله ﷺ فرجع إلى قريش يقول لهم: قتلت محمداً، فجعل الناس يقولون: قتل محمد، قتل محمد! فأوغل المسلمون في الهرب على غير رشد، وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك، فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله حي لم يقتل، فأشار إليه ﷺ أن أنصت). **لئلا يعرفوا مكانه.**

وروينا عن الإمام الصادق عليه السلام «إعلام الورى: ١٧٩/١»: (فلما دنت فاطمة عليها السلام من رسول الله ﷺ ورأته قد شُج في وجهه وأدميَ فوه إدماءً، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله! وكان رسول الله يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء، فلا يتراجع منه شيء! قال الصادق عليه السلام: والله لو سقط منه شيء على الأرض لنزل العذاب.

قال أبان بن عثمان: حدثني بذلك عنه الصباح بن سيابة قال قلت: كسرت رباعيته كما يقوله هؤلاء؟ قال: لا والله ما قبضه الله إلا سليماً، ولكنه شُجَّ في وجهه. قلتُ: فالغار في أحُد الذي يزعمون أن رسول الله عليه السلام صار إليه؟ قال: والله ما برح مكانه، وقيل له: ألا تدعو عليهم؟ قال: اللهم اهد قومي)!

١٠- أشد الأيام على النبي ﷺ

«رويَ عن علي بن الحسين عليه السلام: أنه نظر يوماً إلى عبيدالله بن العباس بن علي فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله ﷺ من يوم أحُد، قتل فيه عمه حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب. ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام: ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل

يزعمون أنهم من هذه الأمة،كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه!وهو يذكرهم بالله فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً»! مقتل الحسين عليه السلام مخنف/ ١٧٦.

١١- أصعب اللحظات في حياة علي عليه السلام

وصف علي أصعب اللحظات في أُحُد،كما في الإرشاد: ٨٦/١ والمناقب: ٣١٥/٢،

قال: «لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحقني من الجزع عليه ما لم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه فرجعت أطلبه فلم أره، فقلت: ما كان رسول الله ليفر وما رأيته في القتلى، وأظنه رفع من بيننا إلى السماء، فكسرت جفن سيفي وقلت في نفسي: لأقاتلن به عنه حتى أقتل، وحملت على القوم فأفرجوا فإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله قد وقع على الأرض مغشياً عليه، فقمت على رأسه فنظر إليَّ وقال: ما صنع الناس يا علي؟ فقلت: كفروا يا رسول الله وولوا الدبر وأسلموك! فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال لي: رد عني يا علي هذه الكتيبة فحملت عليها بسيفي أضربها يميناً وشمالاً حتى ولوا الأدبار.

فقال لي النبي صلى الله عليه وآله: أما تسمع يا علي مديحك في السماء، إن ملكاً يقال له رضوان ينادي: لاسيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي. فبكيت سروراً وحمدت الله سبحانه على نعمته».

وتقدم من الإرشاد: ٨٠/١، قوله: «وقد كان أغمي عليه صلى الله عليه وآله مما ناله»! لما جرح ووقع في الحفرة وتكاثر عليه المشركون، وجاء علي وجبرئيل فأخذاه إلى الصخرة.

وفي المناقب لابن سُلَيْمان: ٤٦٦/١، عن ابن أبي ليلى قال: «لم يمر على الناس يوم مثل يوم أحد أشد منه! جرح النبي صلى الله عليه وآله وقتل حمزة، وانكشف الناس عن النبي صلى الله عليه وآله فتركوه وهو يقول: **أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب..الخ.**».

١٢- قميص النبي صلى الله عليه وآله الذي أصيب به في أحد

في الكافي: ٢٣٦/١، «عن الإمام الصادق عليه السلام من حديث، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما حضرته الوفاة عرض على عمه العباس أن يأخذ تراثه ويقضي دينه ومواعيده، فاعتذر بأنه

لايطيق، فعرض ذلك على عليعليه السلام فقبله فأعطاه تراثه، وفيه: والقميص الذي أسري به فيه، والقميص الذي جرح فيه يوم أحد».

وروى ابن عقدة في فضائل أمير المؤمنينعليه السلام/٨٨، أن المهديعليه السلام عندما يظهر: «يكون عليه قميص رسول اللهصلى الله عليه وآله الذي كان عليه يوم أحد».

١٣- لماذا انسحبت قريش ولم تهاجم المدينة؟!

كان القرشيون يقولون: نقتل محمداً ونردف الكواعب من المدينة، أي نأتي بالسبايا من الأنصار! «ندموا على انصرافهم عن المسلمين، وتلاوموا فقالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم»! **مجمع البيان**:٤٤٦/٢.

وفي مناقب آل أبي طالب: ١٠٩/١: «لما ارتحل أبوسفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة قالوا: ما صنعنا! قتلناهم حتى لم يبق منهم إلا الشريد وتركناهم إذ هم! وقالوا: إرجعوا فاستأصلوهم، فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا».

لكن الذي حدث أن قائدهم أبا سفيان أصابه الذعر من عليعليه السلام وكان يرى جبرئيلعليه السلام معه راكباً فرساً أشقر، فقرر العودة إلى مكة!

فاعجب من أن النبيصلى الله عليه وآله أرسل علياًعليه السلام وحده خلفهم وهم ثلاثة آلاف، فذهب غير هيَّاب، ولما فاجأهم من أمامهم قالوا هذا الذي فعل فينا الأفاعيل! وصاح أبوسفيان بأنا منسحبون فلماذا تتبعنا!

قال الإمام الصادقعليه السلام «الكافي: ٣١٨/٨»: «لما رأى النبيصلى الله عليه وآله اختلاج ساقيه من كثرة القتال، رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال: يا رب وعدتني أن تظهر دينك وإن شئت لم يُعْبك. فأقبل عليعليه السلام إلى النبيصلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أسمع دوياً شديداً وأسمع أقدم حيزوم، وما أهمُّ أضرب أحداً إلا سقط ميتاً قبل أن أضربه! فقال هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة.. فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا علي إمض بسيفك حتى تعارضهم، فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص «الإبل» وجنبوا

الخيل فإنهم يريدون مكة، وإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وهم يجنبون القلاص فإنهم يريدون المدينة، فأتاهم علي عليه السلام فكانوا على القلاص فقال أبوسفيان لعلي: يا علي ما تريد! هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك! فأتبعهم جبرئيل فكلما سمعوا وقع حافر فرسه جدوا في السير! وكان يتلوهم، فإذا ارتحلوا قالوا: هو ذا عسكر محمد قد أقبل! فدخل أبوسفيان مكة فأخبرهم الخبر، وجاء الرعاة والحطابون فدخلوا مكة فقالوا: رأينا عسكر محمد كلما رحل أبوسفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم»!

١٤- علي عليه السلام بطل أحُد وصاحب انتصاراتها

قال ابن هشام: ٦٥٥/٣: «أنشدني أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمي، يمدح علي بن أبي طالب، ويذكر قتله طلحة بن أبي طلحة بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار، صاحب لواء المشركين يوم أحد:

لله أي مذبَّبٍ عن حرمة ... أعني ابن فاطمةَ المُعِمَّ المُخْولا

سبقت يداك له بعاجل طعنة ... تركتْ طليحة للجبين مجدَّلا

وشددت شدةَ باسلٍ فكشفتهم ... بالسفح إذ يَهْوُون أخولَ أخولا

وعللت سيفك بالدماء ولم يكن ... لتردَّه ظمآنَ حتى ينهلا»

والإرشاد: ٩٠/١، رسائل المرتضى: ١٢٥/٤ والنهاية: ٣٧٢/٧.

وقال المفيد في الإرشاد: ٩٠/١: «ذكر أهل السير قتلى أحُد من المشركين، فكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام فروى عبدالملك بن هشام قال..كان صاحب لواء قريش يوم أحُد طلحة بن أبي طلحة بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار، قتله علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة، وقتل أخاه كلدة بن أبي طلحة، وقتل عبدالله بن حميد بن زهرة بن الحارث بن أسد بن عبدالعزى، وقتل أبا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي، وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أخاه أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وقتل أرطاة بن شرحبيل، وقتل هشام بن أمية، وعمرو بن

عبدالله الجمحي، وبشر بن مالك، وقتل صواباً مولى بني عبدالدار، فكان الفتح لـه ورجوع الناس من هزيمتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله بمقامـه يذب عنه دونهم! وتوجه العتاب من الله تعالى إلى كافتهم لهزيمتهم يومئذ سـواه ومن ثبت معه من رجال الأنصار، وكانوا ثمانية نفر وقيل: أربعة أو خمسة».

وقـال العلامـة في كشـف اليقـين/١٣١: «وكان جمهـور قتـلى أحُـد مقتولـين بسـيف أمير المؤمنـين عليه السلام وكان الفتـح ورجـوع النـاس إلى النبي صلى الله عليه وآله بثبـات أمير المؤمنين عليه السلام».

وفي الثاقب في المناقب/٦٣، عن الإمام الصادق عليه السلام: «قَتَل علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أحد أربعة عشر رجلاً، وقتل سـائر الناس سبعة، وأصابه يومئذ ثمانون جراحة، فمسحها رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم ينفح منها شئ».

وفي المناقـب: ٣٨٥/١ و ٧٨/٢: «عـن أبـان بـن عثمان، أنه أصاب عليـاً يوم أحد ستون جراحة، وأصاب علياً يوم أحد ستة عشر ضربة، وهو بين يدي رسول الله يذب عنه في كل ضربة يسقط إلى الأرض، فإذا سقط رفعه جبرئيل..

أصابني يوم أحد سـت عشرة ضربة سـقطت إلى الأرض في أربع منهن فأتاني رجل حسن الوجه حسن اللمة طيب الريح فأخذ بضبعي فأقامني، ثم قال: أقبل عليهـم فإنك في طاعة الله وطاعة رسـول الله وهما عنـك راضيان، قال علي عليه السلام: فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال: ياعلي أقر الله عينك، ذاك جبرئيل».

وفي المناقـب: ٨٥/٣، **عـن زيد بن علي قال**: «كسرت زند عـلي يوم أحد وفي يده لواء رسول الله صلى الله عليه وآله فسـقط اللواء من يده، فتحاماه المسـلمون أن يأخذوه، فقال رسـول الله صلى الله عليه وآله: فضعوه في يده الشـمال فإنه صاحب لوائـي في الدنيا والآخرة. وفي رواية غيره: فرفعه المقداد وأعطاه علياً». ورواه السرخسي في المبسوط: ٧٣/١.

وفي تحفـة الفقهـاء للسـمرقندي: ٩٠/١، أنـه كسر زنـداه يومئـذ! ولم يذكر متى، ولعلـه في الجولـة الأولى بعد قتله أصحاب الألوية، وقـد واصل جهاده وكأنه لم يصبه شئ فقد مسح النبي صلى الله عليه وآله جراحه!

وفي المناقب: ٣٤١/١: «المعروفون بالجهاد: علي، وحمزة، وجعفر، وعبيدة بن الحارث، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، وسعد بن أبي وقاص، والبراء بن عازب وسعد بن معاذ، ومحمد بن مسلمة. وقد أجمعت الأمة على أن هؤلاء لا يقاسون بعلي عليه السلام في شوكته وكثرة جهاده. فأما أبو بكر وعمر فقد تصفحنا كتب المغازي فما وجدنا لهما فيه أثراً البتة. وقد أجمعت الأمة على أن علياً عليه السلام كان المجاهد في سبيل الله والكاشف الكروب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، المقدم في ساير الغزوات إذا لم يحضر النبي صلى الله عليه وآله وإذا حضر فهو تاليه وصاحب الراية واللواء معاً، وما كان قط تحت لواء أحد، ولا فر من زحف! وإنهما فرَّا في غير موضع، وكانا تحت لواء جماعة».

فأعطى النبي صلى الله عليه وآله ذا الفقار يومها إلى علي عليه السلام وكان نزل في بدر فأعطاه علياً عليه السلام في بدر وقاتل به، أما يوم أحد فأعطاه إياه عندما تقطع سيفه فصار له، ونادى جبرئيل في أُحُد بندائه يوم بدر.

أقول: مع كل هذا ترى رواة السلطة ينتقصون علياً عليه السلام ويذمونه، فقد قالوا إنه أعطى سيفه لفاطمة عليها السلام لتغسله وافتخر فقال: «خذيه فلقد أحسنت به القتال»! فوبخه النبي صلى الله عليه وآله وقال له: «إن كنت قد أحسنت القتال اليوم، فلقد أحسن سهل بن حنيف وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وأبو دجانة». «الحاكم ٤٠٩/٣ والحلبية ٥٤٧/٢».

وهذا من الحقد القرشي على علي عليه السلام!

١٥- حب علي عليه السلام فريضة لا رخصة فيها

في الجواهر السنية/٣٠١، عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «هبط جبرائيل عليه السلام يوم أحد وقد انهزم المسلمون ولم يبق غير علي عليه السلام، وقد قتل الله على يده يومئذ من المشركين من قتل فقال جبرئيل: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: أخبر علياً أني عنه راض، وأني آليت على نفسي أن لا يحبه عبد إلا أحببته، ومن أحببته لم أعذبه بناري، ولا يبغضه عبد إلا أبغضته، ومن أبغضته ما له في الجنة من نصيب! قال: وهبط عليَّ جبرئيل عليه السلام يوم الأحزاب لما قتل علي بن أبي طالب عمرواً فارسهم فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني افترضت الصلاة

على عبادي فوضعتها عن العليل الذي لا يستطيعها، وافترضت الزكاة فوضعتها عن المقل، وافترضت الصيام فوضعته عن المسافر، وافترضت الحج فوضعته عن المعدم ومن لا يجد السبيل إليه، وافترضت حب علي بن أبي طالب ومودته على أهل السماوات وأهل الأرض، فلم أعذر فيه أحداً! فمر أمتك بحبه فمن أحبه فبحبي وحبك أحبه، ومن أبغضه فببغضي وبغضك أبغضه»!

١٦- جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام منقضة كالصقر إلى قلب المعركة!

في **إعلام الورى**: ١٧٧/١: «ذهبت صيحة إبليس حتى دخلت بيوت المدينة فصاحت فاطمة عليها السلام، ولم تبق هاشمية ولا قرشية إلا وضعت يدها على رأسها، وخرجت فاطمة عليها السلام تصرخ! **قال الإمام الصادق** عليه السلام: فلما دنت فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وآله ورأته قد شج في وجهه وأدمي فوهُ إدماءً، صاحت وجعلت تمسح الدم وتقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله! وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتناول في يده ما يسيل من الدم فيرميه في الهواء فلا يتراجع منه شئ!

قال الصادق عليه السلام: والله لو سقط منه شئ على الأرض لنزل العذاب!

قال أبان بن عثمان: حدثني بذلك عنه الصباح بن سيابة قال قلت: كسرت رباعيته كما يقوله هؤلاء؟ قال عليه السلام: لا والله ما قبضه الله إلا سَليماً ولكنه شُجَّ في وجهه. قلت: فالغار في أحد الذي يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله صار إليه؟ قال: والله ما برح مكانه، وقيل له صلى الله عليه وآله: ألا تدعو عليهم؟ قال: اللهم اهد قومي».

وفي **المناقب**: ١٦٦/١: «وصاح إبليس من جبل أحد: ألا إن محمداً قد قتل! فصاحت فاطمة عليها السلام ووضعت يدها على رأسها، وخرجت تصرخ»!

وفي **تفسير القمي**: ١٢٤/١: «خرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تعدو على قدميها حتى وافت رسول الله صلى الله عليه وآله وقعدت بين يديه، فكان إذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكت لبكائه، وإذا انتحب انتحبت»! وكان بكاؤه صلى الله عليه وآله حباً وشكراً لفاطمة عليها السلام، وبكاؤها تأثراً لوحدته وجراحه!

ومعنى ذلك أنها حضرت عندما جاء علي وجبرئيل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله إلى ظل الصخرة، بعد أن جرح ووقع في حفرة، فجاء بها الله تعالى لتغسل جراحه وتكون إلى جنبه! فجاءت ركضاً تمشي في سفوح وادي قُبا الشرقية، لأن الوادي كانت بيد جيش قريش، ولو رأوها لأخذوها أسيرة، وكان ذلك نصراً عظيماً لهم!

ويظهر أنها جاءت وحدها، فلم تذكر المصادر أحداً معها!

كما أن النبي صلى الله عليه وآله لما أرسل علياً عليه السلام خلف جيش قريش، بقيت فاطمة معه وحدهما، وهذا خطر آخر تعرض له النبي صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام!

وقد طمس رواة السلطة دورها عليها السلام في أُحُد، ولم يشيدوا بمجيئها إلى المعركة والناس فارُّون! وغاية ماروووه أنها وعلياً عليه السلام غسلا جرح النبي صلى الله عليه وآله!

قال بخاري في صحيحه: ٢٢٧/٣: «لما كسرت بيضة النبي صلى الله عليه وآله على رأسه وأدميَ وجهه وكسرت رباعيته، كان عليٌّ يختلف بالماء في المجن وكانت فاطمة عليها السلام تغسله، فلما رأت الدم يزيد على الماء كثرة عمدت إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرحه يعني رمادها، فرقأ الدم».

١٧- الصحابة الهاربون على جبل أحد

في سيرة ابن إسحاق: ٣٠٩/٣، وغيره، أن أنس بن النضر: «انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم «انهاروا» فقال: ما يجلسكم؟! قالوا: قتل رسول الله! قال: فما تظنون بالحياة بعده؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله! ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل رحمه الله».

وفي الطبري: ٢٠١/٢: «فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أبيّ فيأخذ لنا أَمَنَةً من أبي سفيان! يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم! قال أنس بن النضر: يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد! اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء! ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل».

وهـذا يدل عـلى أن همهم كان تدبير سـلامتهم، وأخذ الأمان من أبي سـفيان، ويدل قولهم فارجعوا إلى قومكم أو إلى دين قومكم، على أنهم قرشيون!

١٨- نادى النبي صلى الله عليه وآله الفارين بأسمائهم

في شرح النهـج: ٢٤/١٥، **عـن محمد بن مسـلمة قال**: «سـمعت أذناي وأبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم أحد وقد انكشف الناس إلى الجبل وهو يدعوهم وهم لايلوون عليه، سـمعته يقول: إليَّ يا فلان، إليَّ يا فلان، أنا رسـول الله صلى الله عليه وآله! فما عرج عليه واحد منهما ومضيا، فأشـار ابن معد إليَّ أي إسـمع، فقلت: وما في هذا؟ قال: هذه كناية عنهما. فقلت: ويجوز أن لايكون عنهما لعله عن غيرهما.

قال: ليس في الصحابة من يحتشم من ذكره بالفرار وما شابهه من العيب فيضطر القائل إلى الكناية إلا هما. قلت له: هذا ممنوع. فقال:« دعنا من جدلك ومنعك، ثـم حلف أنه مـا عنى الواقدي غيرهمـا، وأنه لو كان غيرهمـا لذكرهما صريحاً».

وروى الطبري في تفسيره: ١٩٣/٤: «خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران قال: لمـا كان يوم أحد ففـررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتنـي أنزو كأنني أروى، والناس يقولون: قتل محمد»! **والأروى: العنزة الجبلية التي تجيد تسـلق الصخور!**

ونص الرواة على أن طلحة كان مع الفارين في الجبل عند الصخرة. وذكر ابن مسعود أنه كان من أول الراجعين، لكن بعد انتهاء المعركة!

وقد كثرت مكذوبات رواة السلطة في ادعاء حضور فلان وفلان بعد فرارهم، وكـذا الحوار الذي اخترعوه بين أبي سـفيان وعمر وأبي بكر! مـع أنهم كانوا على الصخرة فوق جبل أُحُد يريدون إرسال أحد إلى أبي سفيان ليأخذوا منه الأمان، فلو كان يسمع صوتهم لما احتاجوا إلى إرسال أحد اليه! راجع الصحيح من السيرة: ٢٠٣/٦.

١٩- ولحقهم علي عليه السلام في أول فرارهم ووبخهم!

في تفسـير القمـي: ١١٤/١: «وروي عـن أبي واثلة شـقيق بن سـلمة قـال: كنت أماشي فلاناً «عمر» إذ سمعت منه همهمة فقلت له مه، ماذا يا فلان؟ قال ويحك

أما ترى الهزير القضم ابن القضم. فالتفتُّ فإذا هو علي بن أبي طالب، فقلت له: يا هذا هو علي بن أبي طالب! فقال: أدن مني أحدثك عن شجاعته وبطولته، بايعنا النبي يوم أحد على أن لا نفر ومن فر منا فهو ضال، ومن قتل منا فهو شهيد والنبي زعيمه، إذ حمل علينا مائة صنديد تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون فأزعجونا عن طحونتنا، فرأيت علياً كالليث يتقي الدر، وإذ قد حمل كفاً من حصى فرمى به في وجوهنا ثم قال: شاهت الوجوه وقطَّت وبطَّت ولطَّت، إلى أين تفرون، إلى النار؟! فلم نرجع، ثم كر علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت فقال: بايعتم ثم نكثتم؟ فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل! فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً، أو كالقدحين المملوين دماً، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن الله الله، فإن العرب تكر وتفر وإن الكرة تنفي الفرة، فكأنه استحيا فولى بوجهه عني، فما زلت أسكن روعة فؤادي! فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة»!

٢٠- بعض الصحابة الهاربين كفروا وشبعوا كفراً!

قال أحد الهاربين يوم أحد: «والذي نفسي بيده لئن كان قتل النبي لنعطينهم بأيدينا! إنهم لعشائرنا وإخواننا! وقالوا: لو أن محمداً كان نبياً لم يهزم ولكنه قد قتل! فترخصوا في الفرار حينئذ»! الدر المنثور: ٢ / ٨٠.

وقال مرضى القلوب منهم: «قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فرَّ الناس عن النبي: قد قتل محمد، فالحقوا بدينكم الأول»! تفسير الطبري: ٤ / ١٥١.

قال السيوطي في الدر المنثور: ٢/٨٠: «وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نادى منادي يوم أحد حين هزم أصحاب محمد: ألا إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى دينكم الأول.. وأخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس أن رسول الله اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة والناس يفرون ورجل قائم على الطريق يسألهم: ما فعل رسول الله؟ وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون: والله ما ندري ما فعل! فقال: والذي نفسي بيده لئن كان قتل النبي لنعطينهم بأيدينا إنهم لعشائرنا وإخواننا وقالوا: لو أن محمداً كان نبياً لم يهزم ولكنه قد قتل! فترخصوا في الفرار».

٢١- قالوا كل التقصير من النبي صلى الله عليه وآله!

قال عمر: «فلما كان عام أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون، وفرَّ أصحاب رسول الله عن النبي، فكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وأنزل الله: وَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ **بأخذكم الفداء**»!«مجمع الزوائد: ٦ /١١٥». **وصححه ابن حجر في العجاب**:٢/٧٨٠.

وهو معنى قوله تعالى: يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمرمِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لايُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمرشَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا..

٢٢- شهادة حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله

في تفسير القمي: ١/١١٧: «وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر، فكلما انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلاً ومكحلة وقالت: إنما أنت امرأة فاكتحل بهذا، وكان حمزة بن عبدالمطلب يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له واحد. وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطيتك رضاك. وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم، حبشياً، فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الإلتفات فلم أطمع فيه.

قال: فكمنت لحمزة فرأيته يهدُّ الناس هدّاً فمر بي فوطأ على جرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهززتها ورميته فوقعت في خاصرته وخرجت من مثانته مغمسة بالدم، فسقط، فأتيته فشققت بطنه وأخذت كبده وأتيت بها إلى هند فقلت لها: هذه كبد حمزة! فأخذتها في فيها فلاكتها فجعلها الله في فيها مثل الداغصة فلفظتها ورمت بها! فبعث الله ملكاً فحملها وردها إلى موضعها!

فقال أبو عبدالله عليه السلام: يأبى الله أن يدخل شيئاً من بدن حمزة النار، فجاءت إليه هند فقطعت مذاكيره، وقطعت أذنيه، وجعلتهما خرصين وشدتهما في عنقها، وقطعت يديه ورجليه»! ونحوه الإرشاد:١/٨٣.

وفي المناقب: ١٦٦/١: «قال الصادق عليه السلام: فزرقه وحشي فوق الثدي فسقط، وشدوا عليه فقتلوه، فأخذ وحشي الكبد فشد بها إلى هند، فأخذتها فطرحتها في فيها فصارت مثل الداغصة فلفظتها! ورأى الحليس بن علقمة أباسفيان وهو يشد الرمح في شدق حمزة فقال: أنظروا إلى من يزعم أنه سيد قريش ما يصنع بعمه الذي صار لحماً؟! وأبوسفيان يقول: ذق يا عقق. وأتت هند وجدعت أنفه وأذنه، وجعلت في مخنقتها بالذريرة مدة».

وفي رسائل المرتضى: ١٢٥/٤، أن هنداً نذرت يوم بدر أن تأكل كبد حمزة عليه السلام.

وفي شرح الأخبار: ٢٦٨/١: «قال وحشي: رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق يهد الناس بسفيه هداً ما يقوم له أحد، فاسترت بشجرة أو قال بحجر منه ليدنو إلي فأرميه بالحربة من حيث لا يراني، إذ لم أكن أقدر على مواجهته، فإني على ذلك إذ بسباع بن عبدالعزى قد سبقني إليه يريد نزاله.. ثم حمل عليه حمزة حملة أسد فضربه بالسيف، فكأنما أخطى رأسه ووقف عليه وقد خر ميتاً وهو لا يراني، وأرسلت الحربة إليه، فأصبته في مقتل فسقط ميتاً! يخبر وحشي بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جاء مسلماً وسأله عن ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا وحشي غيب عني وجهك، فلا أراك»!

وفي تفسير القمي: ١٢٣/١: «فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف عليه فلما رأى ما فعل به بكى ثم قال: والله ما وقفت موقفاً قط أغْيَظَ عليَّ من هذا المكان! لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلاً منهم! فنزل عليه جبرئيل فقال: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل أصبر.. فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة بُردة كانت عليه فكانت إذا مدها على رأسه بدت رجلاه وإذا مدها على رجليه بدا رأسه، فمدها على رأسه وألقى على رجليه الحشيش وقال: لولا أني أحذر نساء بني عبدالمطلب لتركته للعادية والسباع حتى يحشر يوم القيامة من بطون السباع والطير! وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالقتل فجمعوا فصلى عليهم ودفنهم في مضاجعهم، وكبر على حمزة سبعين تكبيرة».

وفي تاريخ اليعقوبي: ٤٩/٢: «فجزع عليه رسول الله جزعاً شديداً وقال: لن أصاب بمثلك وكبَّر عليه خمساً وسبعين تكبيرة».

وقال ابن هشام: ٦٠٧/٣: «أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسجّي ببردة، ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة. قال ابن إسحاق: وقد أقبلت فيما بلغني صفية بنت عبدالمطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: إلقها فأرجعها لا ترى ما بأخيها فقال لها: يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مُثِّل بأخي وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله.

فلما جاء الزبير إلى رسول الله فأخبره بذلك، قال: خل سبيلها، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن».

«عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد قتل من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة». «مسند أحمد: ١٣٥/٥». **وروي أن النبي ﷺ قال**: «أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفس محمد بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة». مجمع الزوائد: ٦٠/٣.

وفي كشف الغمة: ١٨٩/١، أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل على منبر الكوفة عن قوله تعالى: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ. فقال: اللهم غفراً، هذه الآية نزلت فيَّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وأما عمي حمزة فإنه قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه، وأومى بيده إلى لحيته ورأسه، عهدٌ عهده إليّ حبيبي أبو القاسم ﷺ!

وفي شرح الأخبار: ٢٨٢/١: «ثم انصرف ﷺ راجعاً إلى المدينة وانصرف الناس معه، فلما دخل المدينة مر على دور الأنصار وهم يبكون قتلاهم، فذرفت عيناه ﷺ فبكى ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له! فأمر الأنصار نساءهم أن يبكين عليه ففعلن، فخرج رسول الله ﷺ وهن يبكين حمزة على باب المسجد فقال: إرجعن رحمكن الله، فقد آسيتن بأنفسكن، ونهاهن عن النوح وقال: كل نادبة

كاذبة إلا نادبة حمزة». وقد روته مصادرهم، كمسند أحمد: ٤٦٣/١ وفتح الباري: ٢٧٢/٧.

وفي الطرائف/٥٠٣: «قيل لعبدالله بن يحيى: هل تصلي مع معاوية؟ قال: لا والله لا أجد فرقاً بين الصلاة خلفه وبين الصلاة خلف امرأة يهودية حائض، ولذا لو صليت خلفه تقية أعدتها! وسئل شريك عن فضائل معاوية فقال: إن أباه قاتلَ النبيﷺ، وهو قاتلَ وصي النبيﷺ، وأمه أكلت كبد حمزة عم النبيﷺ، وابنه قتل سبط النبيﷺ. وهو ابن زنا! فهل تريد له منقبة بعد ذلك»!

٢٣- شهادة الحاخام مخيريق أفضل بني إسرائيل

في المناقب: ١٤٦/١: «أسلم وقاتل مع رسول اللهﷺ وأوصى بماله لرسول اللهﷺ وهو سبع حوائط وهي: المينب، والصايفه، والحسنى، ويرقد، والعواف، والكلاء، ومشربة أم إبراهيم». **وقد ذكرناه في اليهود بعد بدر.**

وفي سيرة ابن هشام: ٣٦٢/٢: «وكان من حديث مخيريق وكان حبراً عالماً، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول اللهﷺ بصفته وما يجد في علمه، وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك، حتى إذا كان يوم أحُد وكان يوم أحُد يوم السبت قال: يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون إن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول اللهﷺ بأحد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد يصنع فيها ما أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول اللهﷺ فيما بلغني يقول: مخيريق خير يهود. وقبض رسول الله أمواله فعامة صدقات رسول اللهﷺ بالمدينة منها».

٢٤- جهاد أبي دجانة الأنصاري رضي الله عنه

في شرح الأخبار: ٢٧٣/١: «أخذ رسول اللهﷺ سيفاً بيده فهزه وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقال الزبير بن العوام: أنا يا رسول الله، فأعرض عنه رسول الله وقال: من يأخذ بحقه؟ فقام إليه أبو دجانة الأنصاري وكان من أبطال الأنصار فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: ألا يقف به في الكبول يعني أواخر الصفوف وأن يضرب به

في العدو حتى ينحني. فقال: أنا آخذه يا رسول الله فدفعه إليه، فأخذه أبو دجانة وهو مالك بن حرشة أخو بني سعدة من الأنصار، ثم أخرج عصابة معه حمراء فتعصب بها فقالت الأنصار: تعصب أبو دجانة عصابته قد نزل الموت، وكان ذلك من فعله. ثم خرج يتبختر بين الصفين ويقول:

إني امرؤٌ عاهدني خليلي ونحن بالسفح لذي النخيل
ألا أقوم الدهر في الكبول أضرب بسيف الله والرسول

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنها مشية يبغضها الله عز وجل إلا في مثل هذا المقام. قال الزبير: فقلت: منعني رسول الله السيف وأعطاه أبا دجانة، والله لأتبعنه حتى لأنظر ما يصنع، فاتبعته حتى هجم في المشركين فجعل لا يلقى منهم أحداً إلا قتله، فقلت: الله ورسوله أعلم! قال: وكان في المشركين رجل قد أبلى ولم يدع منا جريحاً إلا دق عليه أي قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا واختلفا بضربتين فضرب المشرك أبا دجانة ضربة بسيفه فاتقاها أبو دجانة بدرقته فعضب السيف، وضربه أبو دجانة فرمى برأسه!

ثم رأيته حمل السيف على مفرق رأس هند ابنة عتبة ثم عدله عنها! فقيل: لأبي دجانة في ذلك! فقال: رأيت إنساناً يخمِّش الناس خمشاً شديداً يعني يحركهم القتال فصدرت إليه يعني قصدته فلما حملت السيف على رأسه لأضربه وَلْوَلَ، فإذا به امرأة فأكرمت سيف رسول الله من أن أضرب به امرأة»! ومسلم: ١٥١/٧.

وفي علل الشرائع: ٧/١، **عن الإمام الصادق** عليه السلام **قال**: «لما كان يوم أحد انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لم يبق معه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة سماك بن خرشة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا دجانة أما ترى قومك؟ قال: بلى. قال: إلحق بقومك قال: ما على هذا بايعت الله ورسوله! قال: أنت في حل. قال: والله لا تتحدث قريش بأني خذلتك وفررت حتى أذوق ما تذوق! فجزَّاه النبي خيراً، وكان علي كلما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله استقبلهم وردهم حتى أكثر فيهم القتل والجراحات حتى انكسر سيفه، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا

رسول الله إن الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي، فأعطاه عليه السلام سيفه ذا الفقار، فما زال يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أثّر وانكسر، فنزل عليه جبرئيل وقال: يا محمد، إن هذه لهي المواساة من عليٍّ لك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنه مني وأنا منه، فقال جبرئيل: وأنا منكما».

قال: مصنف هذا الكتاب رحمه الله: قول جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما تمنٍّ منه لأن يكون منهما، فلو كان أفضل منهما لم يقل ذلك ولم يتمن أن ينحط عن درجته إلى أن يكون ممن دونه، وإنما قال: وأنا منكما، ليصير ممن هو أفضل منه فيزداد محلاً إلى محله وفضلاً إلى فضله».

ورواه فرات في تفسيره/٩٣، عن حذيفة وفيه: «فلما سمع رسول الله كلامه ورغبته في الجهاد إنتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صخرة فاستتر بها ليتقي بها من السهام سهام المشركين، فلم يلبث أبو دجانة إلا يسيراً حتى أثخن جراحة فتحامل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس إلى جنبه مثخناً لاحراك به».

وفي الإرشاد: ٣٨٦/٢، عن المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يُخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالكاً الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً». ومعجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ١٢٢/٥.

٢٥- جهاد نسيبة أم عمارة بنت كعب المازنية

في تفسير القمي: ١١٥/١: «وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نسيبة بنت كعب المازنية، وكانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته تداوي الجرحى، وكان ابنها معها فأراد أن ينهزم ويتراجع فحملت عليه فقالت: يا بني إلى أين تفر عن الله وعن رسوله؟! فردته فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها فحملت على الرجل فضربته على فخذه فقتلته! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بارك الله عليك يا نسيبة. وكانت تقي رسول الله صلى الله عليه وآله بصدرها ويديها حتى أصابتها جراحات كثيرة!

وحمل ابن قميئة على رسول الله ﷺ فقال: أروني محمداً لا نجوت إن نجا، فضربه على حبل عاتقه، ونادى قتلت محمداً واللات والعزى.

ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل من المهاجرين قد ألقى ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة فناداه: يا صاحب الترس ألق ترسك ومُرَّ إلى النار! فرمى بترسه فقال رسول الله ﷺ: يا نسيبة خذي الترس فأخذت الترس وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله ﷺ: لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان».

وقال ابن هشام: ٥٩٩/٣: «وقاتلت أم عمارة، نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد. فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة، فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليَّ، قالت: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قمئة أقمأه الله! لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله فضربني هذه الضربة فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان».

وفي قاموس الرجال: ٣٤٧/١٢: «شهدت نسيبة العقبة مع زوجها، وشهدت أحداً وشهدت اليمامة. قاتلت حين كر المشركون فضربها ابن قميئة ضربة بالسيف على عاتقها، وقاتلت نسيبة يوم اليمامة فقطعت يدها وهي تريد مسيلمة لتقتله».

٢٦- دخل الجنة ولم يصلِّ ركعة

كان عمرو بن قيس قد تأخر إسلامه، فلما بلغه أن رسول الله ﷺ في الحرب أخذ سيفه وترسه وأقبل كالليث العادي يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم خالط القوم فاستشهد، فمر به رجل من الأنصار فرآه صريعاً بين القتلى فقال: «يا عمرو أنت على دينك الأول؟ فقال معاذ الله، والله إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم مات! فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله إن عمرو بن قيس قد أسلم فهو شهيد؟ فقال: إي والله إنه شهيد، ما رجل لم يصل لله ركعة دخل الجنة غيره».

٢٧- شهادة حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه

في شرح الأخبار: ٢٦٩/١: «وبارز يومئذ أبوسفيان حنظلة بن أبي عامر الغسيل من الأنصار، فصرع حنظلة أبا سفيان وعلاه ليقتله، فرآه شداد بن الأسود فجاءه من خلفه فضربه فقتله، وقام أبوسفيان من تحته، وقال: حنظلة بحنظلة! يعني ابنه حنظلة المقتول ببدر، الذي ذكر أن علياً عليه السلام قتله يومئذ.

ولما انهزم المشركون عن أحد وقف رسول الله ﷺ على قتلى المسلمين، وأمر بدفنهم في مصارعهم، ورد من حمل منهم فدفن هناك، وأمر بدفنهم في ثيابهم وبدمائهم من غير أن يغسلوا كما يفعل بالشهداء، فرأى الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر الأنصاري. فلما قدم المدينة قال: سلوا عنه امرأته. فقالت: فلما سمع بخروج رسول الله ﷺ خرج مبادراً وهو جنب من قبل أن يغتسل. فقال رسول الله ﷺ: فلذلك ما رأيت من غسل الملائكة إياه». ونحوه ابن هشام: ٥٩٢/٣.

وفي تفسير القمي: ١١٢/١: «وكان حنظلة بن أبي عامر رجل من الخزرج، قد تزوج في تلك الليلة التي كان في صبيحتها حرب أحد، بنت عبدالله بن أبي سلول ودخل بها في تلك الليلة..فأصبح وخرج وهو جنب، فحضر القتال فبعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار لما أراد حنظلة أن يخرج من عندها وأشهدت عليه أنه قد واقعها، فقيل

لها: لم فعلت ذلك؟ قالت رأيت في هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفرجت فوقع فيها حنظلة ثم انضمت، فعلمت أنها الشهادة، فكرهت أن لا أشهد عليه فحملت منه. فلما حضر القتال نظر حنظلة إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكرين فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه فاكتسعت الفرص وسقط أبوسفيان إلى الأرض وصاح: يا معشر قريش أنا أبوسفيان، وهذا حنظلة يريد قتلي، وعدا أبوسفيان ومر حنظلة في طلبه، فعرض له رجل من المشركين فطعنه، فمشى المشرك في طعنته فضربه فقتله، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبدالله بن حزام وجماعة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: رأيت الملائكة يغسلون حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب، فكان يسمى غسيل الملائكة».

٢٨- جهاد رُشَيْد الهَجَري في أحُد

واسمه عبدالرحمن بن عقبة، قال: «شهدت مع نبي الله يوم أحد فضربت رجلاً من المشركين فقلت: خذها مني وأنا الغلام الفارسي، فبلغت النبي ﷺ فقال: هلا قلت: خذها مني وأنا الغلام الأنصاري». أحمد: ٢٩٥/٥، راجع: جواهر التاريخ: ٤٠٦/٢.

٢٩- أبو عزة الذي أراد اغتيال النبي ﷺ

في الخرائج: ١٤٩/١: «كان أبو عزة الشاعر، حضر مع قريش يوم بدر يحرض قريشاً بشعره على القتال، فأسر في السبعين الذين أسروا. فلما وقع الفداء على القوم قال أبو عزة: يا أبا القاسم تعلم أني رجل فقير فامنن على بناتي، فقال ﷺ: إن أطلقتك بغير فداء أتكثر علينا بعدها؟ قال: لا والله. فعاهده أن لا يعود، فلما كانت حرب أحد دعته قريش إلى الخروج معها ليحرض الناس بشعره على القتال، فقال: إني عاهدت محمداً ألا أكثر عليه بعدما من علي. قالوا: ليس هذا من ذاك، إن محمداً لا يسلم منا في هذه الدفعة، فقلبوه عن رأيه فلم يؤسر يوم أحد من قريش غيره، فقال رسول الله ﷺ: ألم تعاهدني؟ قال: إنما غلبوني

على رأيي فامنن على بناتي. قال: لا، تمشي بمكة وتحرك كتفيك فتقول: سخرت من محمد مرتين! المؤمن لا يلسع من جحر مرتين! يا علي إضرب عنقه». والخلاف: ١٩٣/٤ وابن إسحاق: ٣٠٢/٣.

٣٠- النبي صلى الله عليه وآله يُشفي عين قتادة من أجل عروسه

في كشف الغمة: ١٨٧/١: «أصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، قال: فجئت إلى النبي صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله إن تحتي امرأة شابة جميلة أحبها وتحبني، وأنا أخشى أن تقذر مكان عيني! فأخذها رسول الله صلى الله عليه وآله فردها فأبصرت وعادت كما كانت لم تؤله ساعة من ليل أو نهار، فكان يقول: بعد أن أسن هي أقوى عينيَّ، وكانت أحسنهما». ونحوه الإحتجاج: ٣٣٢/١ والثاقب في المناقب/٦٤.

٣١- عندما اضطرب المسلمون قتلوا والد حذيفة خطأ!

«اختلفت سيوف المسلمين على اليمان أبي حذيفة يوم أحد ولا يعرفونه، فقتلوه، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يَدِيَه فتصدق حذيفة بديته على المسلمين». أحمد: ٤٢٩/٥.

٣٢- لعن النبي صلى الله عليه وآله أبا سفيان يوم أحُد

روى في الخصال/٣٩٧، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: «إن رسول لله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن في كلهن لا يستطيع إلا أن يلعنه، أولهن: يوم لعنه الله ورسوله وهو خارج من مكة إلى المدينة مهاجراً وأبوسفيان جائي من الشام، فوقع فيه أبوسفيان يسبه ويوعده وهمَّ أن يبطش به فصرفه الله عن رسوله.

والثانية: يوم العير إذا طردها ليحرزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلعنه الله و رسوله.

والثالثة: يوم أحد قال أبوسفيان: أُعل هبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله أعلى وأجل فقال أبوسفيان: لنا عزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله مولانا ولا مولى لكم.

والرابعة: يوم الخندق يوم جاء أبوسفيان في جميع قريش فرد هم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً، وأنزل الله عزوجل في القرآن آيتين في سورة الأحزاب فسمى أبا سفيان وأصحابه كفاراً، ومعاوية مشرك عدو لله ولرسوله.

والخامسة: يوم الحديبية والهدي معكوفاً أن يبلغ محله، وصد مشركوا قريش رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام وصدوا بُدْنَهُ أن تبلغ المنحر، فرجع رسول الله ﷺ لم يطف بالكعبة ولم يقض نسكه، فلعنه الله ورسوله.

والسادسة: يوم الأحزاب يوم جاء أبوسفيان بجمع قريش وعامر بن الطفيل بجمع هوازن وعيينة بن حصن بغطفان، وواعد لهم قريظة والنضير أن يأتوهم فلعن رسول الله ﷺ القادة والأتباع وقال: أما الأتباع فلا تصيب اللعنة مؤمناً، وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا نجيب ولا ناج.

والسابعة: «يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة وهم اثنا عشر رجلاً من بني أمية وخمسة من سائر الناس فلعن رسول الله ﷺ من على العقبة غير النبي ﷺ وناقته وسائقه وقائده. **قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: جاء هذا الخبر هكذا. والصحيح أن أصحاب العقبة كانوا أربعة عشر**». والإحتجاج: ٤٠٨/١ وشرح الأخبار: ١٦٥/٢.

٣٣- لماذا قرر المشركون أن يبقوا عمر بن الخطاب ولا يقتلوه؟

قال ابن هشام: ٢٨٢/٢: «وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد، فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: أنج يا ابن الخطاب. لا أقتلك! فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه»! **وقد عقد في الصحيح من السيرة**: ٢٣٥/٦ فصلاً، لمعرفة سبب قول ضرار بن الخطاب لعمر بن الخطاب: «والله ما كنت لأقتلك»! وكان ضرار بن الخطاب مقرباً من أبي سفيان، وهو من فرسان قريش وشعرائها، وشعره في هجاء النبي ﷺ مشهور!

وكذا جرى لعمر في غزوة الخندق وتعمد المشركين تركه وعدم المساس به!

٣٤- فداءً لك يا رسول الله!

«**عن أنس قال**: «لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة فقالوا: قتل محمد! حتى كثرت الصوارخ في نواحي المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متحزنة فاستقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها، لا أدري أيهم استقبلت أولاً، فلما

مرت على آخرهم قالت: من هذا؟ قالوا: أخوك وأبوك وزوجك وابنك! قالت: ما فعل النبي؟ قالوا: أمامك، فمشت حتى جاءت إليه فأخذت بناحية ثوبه وجعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب»مسكن الفؤاد/٧٢.

٣٥- بركة النبي صلى الله عليه وآله على تمر جابر الأنصاري

في الخرائج: ١٥٤/١، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «استشهد والدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد وهو ابن مائتي سنة، وكان عليه دين، فلقيني رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فقال: ما فعل دين أبيك؟ قلت: على حاله. فقال: لمن هو؟ قلت: لفلان اليهودي. قال: متى حينه؟ قلت: وقت جفاف التمر. قال: إذا جففت التمر فلا تحدث فيه حتى تعلمني واجعل كل صنف من التمر على حدة. ففعلت ذلك وأخبرته صلى الله عليه وآله، فصار معي إلى التمر وأخذ من كل صنف قبضة بيده وردها فيه، ثم قال: هات اليهودي. فدعوته فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إختر من هذا التمر أي صنف شئت فخذ دينك منه. فقال اليهودي: وأي مقدار لهذا التمر كله حتى آخذ صنفاً منه؟ ولعل كله لا يفي بديني! فقال: إختر أي صنف شئت فابتدئ به، فأومى إلى صنف الصيحاني فقال: أبتدئ به؟ فقال: إفعل باسم الله، فلم يزل يكيل منه حتى استوفى منه دينه كله، والصنف على حاله ما نقص منه شئ! ثم قال صلى الله عليه وآله: يا جابر هل بقي لأحد عليك شئ من دينه؟ قلت: لا. قال: فاحمل تمرك بارك الله لك فيه، فحملته إلى منزلي وكفانا السنة كلها، فكنا نبيع لنفقتنا ومؤونتنا ونأكل منه، ونهب منه ونهدي، إلى وقت التمر الحديث، والتمر على حاله إلى أن جاءنا الجديد».

٣٦- قزمان مثلٌ لسيئ التوفيق

في سيرة بن هشام: ٣٦٨/٢ و٦٠٥: «قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: كان فينا رجل أتى لا يدرى ممن هو يقال له قزمان، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إذا ذكر له: إنه لمن أهل النار! قال: فلما كان يوم أحد قاتل قتالاً شديداً فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين وكان ذا بأس، فأثبتته الجراحة فاحتمل إلى دار بني

ظفر. قال: فجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر. قال: بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ولولا ذلك ما قاتلت. قال: فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهماً من كنانته فقتل به نفسه»!

٣٧- عثمان يؤوي عمه المشرك القاتل!

كان معاوية بن المغيرة بن العاص الأموي ابن عم عثمان بن عفان، شديد العداء للنبي صلى الله عليه وآله حتى هدر دمه، وهو جدُّ عبدالملك بن مروان لأمه.

وكان مع أبي سفيان في جيش أحد، ولما انهزم القرشيون أمام المسلمين في الجولة الأولى هرب ابن المغيرة فدخل المدينة وآوى إلى بيت ابن عمه عثمان، فتشفع فيه عثمان وألح على النبي صلى الله عليه وآله فأمهله ثلاثاً على أن لا يراه في المدينة ولا حولها، ولعن من أعانه وجهزه فجهزه عثمان، وتأخر في المدينة ليأخذ أخبار النبي صلى الله عليه وآله لقريش! فنزل جبرئيل وأخبر النبي صلى الله عليه وآله بمكانه أيام حمراء الأسد، فأرسل علياً وعماراً فقتلاه! وحكى الإمام الصادق عليه السلام قصته كما في الكافي: ٢٥١/٣ قال: «إن الفاسق آوى عمه المغيرة بن أبي العاص وكان ممن هدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه، فقال لابنة رسول الله: لا تخبري أباك بمكانه كأنه لا يوقن أن الوحي يأتي محمداً! فقالت: ما كنت لأكتم رسول الله عدوه! فجعله بين مشجب له ولحفه بقطيفة، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي فأخبره بمكانه فبعث إليه علياً عليه السلام وقال: إشتمل على سيفك وائت بيت ابنة ابن عمك، فإن ظفرت بمعاوية بن المغيرة فاقتله!

فأتى البيت فجال فيه فلم يظفر به فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره فقال: يا رسول الله لم أره، فقال: إن الوحي قد أتاني فأخبرني أنه في المشجب! ودخل عثمان بعد خروج علي فأخذ بيد عمه فأتى به النبي صلى الله عليه وآله فلما رآه أكب عليه ولم يلتفت إليه! وكان نبي الله صلى الله عليه وآله حيياً كريماً فقال: يا رسول الله هذا عمي، هذا المغيرة بن أبي العاص وقد والذي بعثك بالحق آمنته. قال أبو عبدالله عليه السلام: وكذب، والذي بعثه بالحق ما آمنه! فأعادها ثلاثاً أني آمنته، وأعادها أبو عبدالله عليه السلام ثلاثاً، إلا أنه يأتيه

عن يمينه ثم يأتيه عن يساره، فلما كان في الرابعة رفع رأسه إليه فقال له: قد جعلته لك ثلاثاً فإن قدرتُ عليه بعد ثالثة قتلته، فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم العن المغيرة بن أبي العاص، والعن من يؤويه، والعن من يحمله، والعن من يطعمه، والعن من يسقيه، والعن من يجهزه، والعن من يعطيه سقاء أو حذاء أو رشاء أو وعاء، وهو يعدهن بيمينه!

وانطلق به عثمان فآواه وأطعمه وسقاه وحمله وجهزه، حتى فعل جميع ما لعن عليه النبي صلى الله عليه وآله من يفعله به! ثم أخرجه في اليوم الرابع يسوقه فلم يخرج من أبيات المدينة حتى أعطب الله راحلته ونقب حذاه وورمت قدماه، فاستعان بيديه وركبتيه وأثقله جهازه حتى وجس به، فأتى شجرة فاستظل بها، لو أتاها بعضكم ما أبهره ذلك! فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله الوحي فأخبره بذلك فدعا علياً عليه السلام فقال: خذ سيفك وانطلق أنت وعمار وثالث لهم فأت المغيرة بن أبي العاص تحت شجرة كذا وكذا، فأتاه علي فقتله.

فضرب عثمان بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أنت أخبرت أباك بمكانه! فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تشكو ما لقيت، فأرسل إليها رسول الله صلى الله عليه وآله إقني حياءك، ما أقبح بالمرأة ذات حسب ودين في كل يوم تشكو زوجها! فأرسلت إليه مرات كل ذلك يقول لها ذلك، فلما كان في الرابعة دعا علياً عليه السلام وقال: خذ سيفك واشتمل عليه ثم ائت بيت ابنة ابن عمك فخذ بيدها، فإن حال بينك وبينها أحد فاحطمه بالسيف، وأقبل بها إلى رسول الله! فلما نظرت إليه رفعت صوتها بالبكاء واستعبر رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى، ثم أدخلها منزله وكشفت عن ظهرها، فلما أن رأى ما بظهرها قال: ثلاث مرات: ماله قتلك قتله الله! وكان ذلك يوم الأحد، وبات عثمان ملتحفاً بجاريتها فمكث الإثنين والثلاثاء وماتت في اليوم الرابع، فلما حضر أن يخرج بها أمر رسول الله عليه السلام فاطمة عليها السلام فخرجت ونساء المؤمنين معها، وخرج عثمان يشيع جنازتها، فلما نظر إليه النبي صلى الله عليه وآله قال: من أطاف البارحة بأهله أو بفتاته فلا يتبعن جنازتها! قال ذلك ثلاثاً، فلم ينصرف فلما كان في الرابعة قال: لينصرفن أو لأسمين باسمه، فأقبل عثمان متوكئاً على مولى له ممسك ببطنه فقال: يا رسول الله إني أشتكى بطني، فإن رأيت أن تأذن لي أنصرف، قال: إنصرف. وخرجت فاطمة عليها السلام ونساء المؤمنين

والمهاجرين فصلين على الجنازة». راجع الصحيح من السيرة: ٢٠٦/٦، الخرائج: ٩٤/١، الدرر/١٥٨ وابن هشام: ٦١٧/٣.

٣٨- أسماء شهداء أحُد وقتلى المشركين فيها

في سيرة ابن هشام: ٦٣٥/٣: » قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله ﷺ من المهاجرين من قريش، ثم من بني هاشم بن عبدمناف: حمزة بن عبدالمطلب بن هشام رضي الله عنه، قتله وحشي، غلام جبير بن مطعم. ومن بني أمية بن عبد شمس: عبدالله بن جحش، حليف لهم، من بني أسد بن خزيمة. ومن بني عبدالدار بن قصي: مصعب بن عمير قتله ابن قمئة الليثي. ومن بني مخزوم بن يقظة: شماس بن عثمان. أربعة نفر. ومن الأنصار، ثم من بني عبدالأشهل: عمرو بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أنس بن رافع، وعمارة بن زياد بن السكن. قال ابن هشام: السكن: ابن رافع بن امرئ القيس، ويقال: السكن. قال ابن إسحاق: وسلمة بن ثابت بن وقش، وعمرو بن ثابت بن وقش. رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة: أن أباهما ثابتاً قتل يومئذ. ورفاعة بن وقش، وحسيل بن جابر، أبو حذيفة وهو اليمان، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه.

وصيفي بن قيظي، وحباب بن قيظي، وعباد بن سهل، والحارث بن أوس بن معاذ. اثنا عشر رجلاً. ومن أهل راتج: إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبدالأعلم بن زعوراء بن جشم بن عبدالأشهل، وعبيد بن التيهان.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التيهان وحبيب بن يزيد بن تيم. ثلاثة نفر. ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع. رجل ومن بني عمرو بن عوف، ثم من بني ضبيعة بن زيد: أبوسفيان بن الحارث ابن قيس بن زيد، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن نعمان بن مالك بن أمة، وهو غسيل الملائكة، قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثي. رجلان.

قال ابن هشام: قيس: ابن زيد بن ضبيعة، ومالك: ابن أمة بن ضبيعة.

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. رجل. ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حية، وهو أخو سعد بن خثيمة لأمه. قال ابن هشام: أبو حية: ابن عمرو بن ثابت. قال ابن إسحاق: وعبدالله بن جبير النعمان وهو أمير الرماة. رجلان. ومن بني السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس: خيثمة أبو سعد بن خيثمة. رجل. ومن حلفائهم من بني العجلان: عبدالله بن سلمة رجل. ومن بني معاوية بن مالك: سبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة. رجل.

قال ابن هشام: ويقال. سويبق بن الحارث بن حاطب بن هيشة.

قال ابن إسحاق: ومن بني النجار، ثم من بني سواد بن مالك بن غنم: عمرو بن قيس، وابنه قيس بن عمرو. قال ابن هشام: عمرو بن قيس: ابن زيد بن سواد.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زيد، وعامر بن مخلد. أربعة نفر. ومن بني مبذول: أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول، وعمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو. رجلان. ومن بني عمرو بن مالك: أوس بن ثابت بن المنذر. رجل.

قال ابن هشام: أوس بن ثابت، أخو حسان بن ثابت. قال ابن إسحاق: ومن بني عدي بن النجار: أنس بن النضر بن ضمضم ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. رجل، قال ابن هشام: أنس بن النضر، عم أنس بن مالك: خادم رسول الله ﷺ. ومن بني مازن بن النجار: قيس بن مخلد، وكيسان، عبد لهم. رجلان. ومن بني دينار بن النجار: سليم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. رجلان. ومن بني الحارث بن الخزرج: خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير، دفنا في قبر واحد، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب. ثلاثة نفر. ومن بني الأبجر، وهم بنو خدرة: مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر، وهو أبو أبي سعيد الخدري. قال ابن هشام: اسم أبي سعيد الخدري: سنان، ويقال: سعد. قال ابن إسحاق: وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عباد بن

الأبجر، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر. ثلاثة نفر. ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد ابن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة، وثقف بن فروة بن البدي. رجلان. ومن بني طريف، رهط سعد بن عبادة: عبدالله بن عمرو بن وهب ابن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف، وضمرة، حليف لهم من بني جهينة. رجلان. ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني سالم، ثم من بني مالك بن العجلان ابن زيد بن غنم بن سالم: نوفل بن عبدالله، وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك ابن العجلان، ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم، والمجذر بن زياد، حليف لهم من بلي، وعبادة بن الحسحاس. دفن النعمان بن مالك، والمجذر، وعبادة، في قبر واحد. خمسة نفر. ومن بني الحبلى: رفاعة بن عمرو. رجل، ومن بني سلمة، ثم من بني حرام: عبدالله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، وعمرو بن الجموح بن زيد بن حرام، دفنا في قبر واحد، وخلاد بن عمرو بن الجموح، وأبو أيمن، مولى عمرو بن الجموح. أربعة نفر. ومن بني سواد بن غنم: سليم بن عمرو بن حديدة، ومولاه عنترة، وسهل ابن قيس بن أبي كعب بن القين. ثلاثة نفر. ومن بني زريق بن عامر: ذكوان بن عبد قيس وعبيد بن المعلى بن لوذان. رجلان. قال ابن إسحاق: فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول‌الله من المهاجرين والأنصار خمسة وستون رجلاً.

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس، ثم من بني معاوية بن مالك: بن تميلة، حليف لهم من مزينة. ومن بني خطمة - واسم خطمة: عبدالله بن جشم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة. ومن بني الخزرج، ثم من بني سواد بن مالك: مالك بن إياس. ومن بني عمرو بن مالك بن النجار: إياس بن عدي. ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

الفصل السابع والأربعون

آيات معركة أحد كشفت أكثرية الصحابة!

ستون آية في معركة أحد

نزلت في معركة أحد أكثر من ستين آية، فيها حقائق مهمة عملَ رواة الحكومة القرشية على إخفائها أو تحريفها، لمدح بعض الصحابة أو التغطية عليهم، وسلب مناقب آخرين! ونورد فيما يلي نص الآيات، وفهرساً لأهم موضوعاتها:

قال الله تعالى في سورة آل عمران: «وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا وَاللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ. لَيْسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ. وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرض يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ. وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا

عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ.

وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ. وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ.

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ.

وبعدها آية الإنقلاب والكفر الذي حصل في الصحابة لخبر قتل النبي ﷺ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ.

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. بَلِ اللهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ.

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ. وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ

صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ. إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاتَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْ لا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأمرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأمرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لايُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأرضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ. وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ.

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ. إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ. وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لايُظْلَمُونَ.

أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ. لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ.

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ. وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَالَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ. الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

وَلاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ. الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ. مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ. الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ. لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ. رَبَّنَا أَنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ. رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاتُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاتُخْلِفُ الْمِيعَادَ. فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاأُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ. آل عمران: ١٢١-١٩٥.

أهم موضوعات آيات أحد

١. ذكرت الآية الأولى ذهاب النبي صلى الله عليه وآله صباحاً ليختار مكاناً لمعسكر المسلمين في أُحُد، ثم ذكَّرهم الله تعالى بحركة النبي صلى الله عليه وآله بعد صلاة الجمعة إلى أحد، وكيف تخلف عنه المنافقون وهم ثلث الجيش بقيادة رئيسهم ابن سلول، فهمت طائفتان من غيرهم أن تتخلفا، وهم بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس، لكن الله عصمهم. البحار: ٢٠/١٧.

٢. وجاءت الآيات السبع بعدها تذكيراً ببدر: وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ. إلى قوله: غَفُورٌ رَحِيمٌ. فذكرهم بنصره إياهم وقد كانوا قلة ضعفاء، وأخبرهم أنه عز وجل هو الذي يدير الصراع مع المشركين، وفق المصلحة التي تهدف إلى نصرة نبيه وتثبيت دينه، والمغفرة لمن يشاء من عباده وتعذيب بعض من يستحق.

٣. وجاءت الآيات التسع بعدها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً.. إلى قوله: وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، توجيهات إقتصادية واجتماعية وتربوية للمسلمين.

٤. والآيات الثلاث بعدها: ولاتَهِنُوا وَلاتَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ.. إلى قوله: يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ، توجيه للمسلمين أن لايضعفوا لما أصابهم في معركة أحد من قتل وجراح وهزيمة، وأخبرهم بأن الله تعالى أذن بذلك ليحقق أربعة أهداف: تمييز المؤمنين، واتخاذ الشهداء منهم، وتمحيص المؤمنين، ومحق الكافرين.

٥. ثم نبهت الآية بعدها: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.. المسلمين أن لا يتصوروا أنهم يمكنهم أن يدخلوا الجنة بدون أن يثبتوا عملياً جهادهم وصبرهم!

٦. ثم وبختهم الآية: وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ.. بأنهم كانوا قبل أُحُد يتمنون الموت في سبيل الله، لكنهم عندما رأوا الموت والشهادة هرب أكثرهم!

٧. وبعدها آية الإنقلاب: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.. تحدثت عن انقلاب الصحابة عندما شاع خبر قتل النبي ﷺ! وقال بعضهم: لوكان نبياً ما قتل! وقال بعضهم: إرجعوا إلى دينكم الأول! وقال بعضهم: من يذهب ويأخذ لنا أماناً من أبي سفيان!

٨. وقررت الآية بعدها: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ.. أن تعريض الإنسان نفسه للشهادة لايُقصِّر عمره، لأن الموت حتى لو تمت شروطه الظاهرة لايتحقق إلا بإذن خاص من الله تعالى! وهو إذن يتبع قانون الثواب والعقاب، وهو قانونٌ يتبع إرادة الإنسان ونيته!

٩. ثم مدح الله عزوجل في الآيات الثلاث التي بعدها من سماهم الرِّبِّيين: وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ. وهم الذين ثبتوا في المعركة ولم يضعفوا ولم يستكينوا، فهو نص بمدح علي وأبي دجانة ونسيبة، ومن ثبت من الصحابة واستشهد في الجولة الثانية، وأولهم حمزة.

١٠. ثم كشف عزوجل في الآيتين بعدها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا.. عن تأثير الكفار على بعض الصحابة لأنهم يتولونهم! وحذرهم من أن موالاتهم تجرهم إلى الإنقلاب على أعقابهم، وأن عليهم أن يتولوا بدلهم الله تعالى ومن أمرهم بموالاته: بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ!

١١. وفي الخمس آيات التي تلتها: سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ.. إلى قوله: إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ، تحدث عزوجل عن معركة أحد وانتصارهم فيها أولاً، ثم انهيارهم وفرارهم المعيب، وتركهم النبي ﷺ لهجوم المشركين وسيوفهم،

وهروبهم إلى جبل أحُد وغيره، والنبي ﷺ يناديهم فلا يرجعون!

ومع ذلك فقد وعدهم بأنه سيلقي الرعب في قلوب الكفار في المعركة القادمة وذكرهم بأنه صدقهم وعده في أحُد، ولكنهم لما رأوا النصر والغنائم نسوا ربهم وأرادوا الدنيا فابتلاهم بالهزيمة، وقلَّ منهم الربيون الذين ثبتوا وأرادوا الآخرة.

١٢. وفي الآيات الثلاث التي تلتها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا.. إلى قوله: لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ، صحح الله عز وجل نظرتهم إلى الموت، ونهاهم عن نظرة الكفار التي ابتلاهم الله بها لتكون حسرة في قلوبهم. بينما النظرة الإسلامية للموت بأنه مجرد انتقال إلى الأحسن، وحشرٌ إلى الله تعالى.

١٣. وفي الآيات الثلاث التي تلتها: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ.. إلى قوله: وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ، أخبر نبيه ﷺ بأن لينه مع المسلمين كان من أسباب نجاحه وإلا لنفروا منه وعنه، وأوصاه أن يواصل هذا اللين ويطيب خاطرهم ويعفو عن أخطائهم ويستغفر الله لهم، ويشاورهم فيما يناسب من الأمور، فإذا عزم حسب أمر ربه، فليتوكل عليه ولا يهتم بمن خالفه.

ثم وبَّخ الذين اتهموه ﷺ بأنه غلَّ قطيفة من الغنائم، وأوضح لهم أن الغل لا وجود له عند الأنبياء عليهم السلام لأنهم يريدون الآخرة، أما الذين يريدون الدنيا ويخونون المال العام، فهم غير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وخيار المؤمنين!

١٤. وفي الأربع التي تلتها: أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ إلى قوله: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ نبه المسلمين إلى عدم الخلط في المقاييس ونوعيات الناس، وأن لا يجعلوا الذين اتبعوا رضوان الله كمن خانوا الله ورسوله والمسلمين، فغلوا أو نقضوا بيعتهم وفروا من المعركة! ونبههم إلى أن درجات هؤلاء متفاوتة عند الله تعالى.

١٥. وفي الآيات السبع التي تلتها: وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا إلى قوله: وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أخبر عز وجل عن حياة الشهداء عند ربهم ونعيمهم، وأنهم يستبشرون بمن بقي منهم حياً من الربيين: الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ.. وخرجوا

في اليوم التالي لتعقب المشركين وإبلاغهم رسالة قوة. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ..

١٦. وفي الآيات الأربع: وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ...الى قوله: فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ، عزّى الله تعالى نبيه ﷺ عن خسارة الذين كانوا «مسلمين» فسارعوا بالكفر واشتروه بالإيمان وكفروا بالكامل، فهددهم بالعذاب الأليم، وأخبرهم بأنه يملي لهم ويمهلهم إلى مدة، فلا يغتروا بذلك!

ثم بيَّن عزوجل أن «المؤمنين» من الصحابة وغيرهم فيهم الخبيث والطيب، وأن القانون الإلهي يعمل فيهم لفرزهم: حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وأن هذا القانون وانطباقاته من غيب الله تعالى الذي لايطلع عليه المؤمنين!

١٧. ثم تحدث عزوجل في الآيات الخمس التي تلتها: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ.. إلى قوله: وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ، عن بخل بعض الأغنياء عن الإنفاق في سبيل الله، وأشار إلى منطق البخل عند جيرانهم اليهود الذين قالوا إن الله فقير يطلب منا الإنفاق، وقالوا إن محمداً ﷺ لم يأتنا بالآية المكتوبة عندنا.

١٨. ثم بين تعالى في خمس آيات أن الدنيا كلها موقتة وعمر الإنسان فيها محدود: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ.. والجزاء على العمل يوم القيامة.

ونبه المسلمين على أن ابتلاءات وخسارات في الأنفس والأموال تنتظرهم، وأذى من أهل الكتاب والمشركين. فلا يكونوا كأهل الكتاب الذين نبذوا الكتاب وحرفوه لأغراض دنيوية. ثم حذر الذين يفرحون بقدراتهم ويحبون أن تنسب اليهم مناقب كاذبة، بأنهم سيصيبهم العذاب!

١٩. وختم عزوجل آياته عن معركة أحد بلوحة من خمس آيات: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأرض.. رسمت المؤمنين الرِّبيين، المهاجرين منهم خاصة، في مستواهم الفكري الرفيع ومعرفتهم بالله تعالى ومفاهيمهم عنه، وعبادتهم له وتضرعهم اليه بأن يختم لهم مع الأبرار. فاستجاب لهم بأنه سيجزيهم رجالاً ونساءً ثواباً

حسناً، لإيمانهم، وهجرتهم، وإخراجهم من ديارهم، وتحملهم الأذى، وقتالهم وشهادتهم في سبيله! وهذا لا ينطبق إلا على قلة قليلة من المهاجرين، وعمدتهم عترة النبي صلى الله عليه وآله وأبرار بني هاشم.

حقائق مهمة في آيات أحُد

في هذه الآيات أبحاث مهمة نشير إلى أكثرها مساساً بأحُد وسيرة النبي صلى الله عليه وآله.

أ. قلنا إن النبي صلى الله عليه وآله ذهب صباح الجمعة أو الخميس سراً واستطلع معسكر قريش واختار مكان معسكره، بدليل قوله تعالى: وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ.. وكتم ذلك كما كتمه الله تعالى وأشار له بخفاء. وهذا من الحكمة النبوية واللين بالمسلمين.

ب. نزلت آيات بدر ضمن آيات أحُد لتذكير المسلمين بنصر الله لهم، وأن قانونه في ذلك لم يتغير وإنما تغير المسلمون بحبهم للغنيمة ثم تركوها وانهزموا! وقال لهم في سورة الأنفال وهي سورة بدر: ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. «الأنفال: ٥٣». فالتغيير إلى الأسوأ بسلب النعمة الموجودة مشروط بتغير المسلمين إلى الأسوأ. أما التغيير إلى الأحسن وإعطاء النعمة، فلا يتوقف على تغيير الناس إلى الأحسن!

ج. الأهداف المذكورة في قوله تعالى: وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ. وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ. وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ. إنما تتحقق بقانون مداولة الأيام بين خيار الناس وشرارهم، وقوانين صراع الهدى الإلهي والضلال البشري، والتدخلات الإلهية لمصلحة المؤمنين تحصل أحياناً بقوانين، وستتحقق غلبة الخير على يد المهدي الموعود عجل الله فرجه وتقوم دولة العدل وتنتهي دولة الشر إلى يوم القيامة، وهي بقانون أيضاً.

د. يبدو من قوله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ.. أن من شروط دخول المسلم الجنة الجهاد والصبر وعدم الفرار من المعركة، أو الوصول إلى هذا المستوى الإيماني، وهو أمر صعب، والمؤكد أنه شرط في أصحاب

النبيﷺ الذين عاصروه.

هـ. دلت آية الإنقلاب على أن الإرتداد حصل من عدد من الصحابة يوم أحُد! فقد قال بعضهم قتل محمدﷺ ولو كان نبياً ما قتل، إرجعوا إلى دينكم الأول، وبحثوا عمن يذهب إلى ابن سلول ليأخذ لهم أماناً من أبي سفيان. الخ.

و. من المسائل المهمة في أحُد وغيرها حكم الفارين بعد بيعتهم النبيﷺ على عدم الفرار، وبعد نداء النبيﷺ فيهم بالرجوع وإمعانهم في الصعود على جبل أحُد، كما وصفهم الله تعالى! وقد نص القرآن على أن مأواهم جهنم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. الأنفال: ١٦.

وفي علل الشرائع: ٢٠٣/١، أن عبدالله بن يزيد الأباضي قال لهشام بن الحكم: «من أين زعمت يا هشام أنه لابد أن يكون «الإمام» أعلم الخلق؟ قال إن لم يكن عالماً لم يؤمن أن يقلب شرايعه وأحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع! وتصديق ذلك قول الله عز وجل: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ... قال له: فمن أين زعمت أنه لا بد أن يكون أشجع الخلق؟ قال لأنه قيمهم الذي يرجعون إليه في الحرب، فإن هرب فقد باء بغضب من الله، ولا يجوز أن يبوء الإمام بغضب من الله، وذلك قوله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ. الآية». وعليه، فكل من فرَّ فقد استحق غضب الله وجهنم، إلا إذا ثبتت توبته. وقد يقال: إن الله تعالى عفا عنهم فقال: ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ. وقال: إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ. فهذا العفو يعني غفران الله لذنبهم مهما كان عظيماً، ومن عفا الله عن ذنبه فلا ذنب له.

والجواب: أن عثمان أجاب بذلك عبدالرحمن بن عوف عندما عيره بفراره يوم أحد فقال له: «وأما قولك فررت يوم أحد.. وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ.. فلم تعيرني بذنب

قد عفا الله عنه!». مجمع الزوائد: ٩/ ٨٥ وحسنه.

لكـن الصحابـة قالوا إن العفو في آيـات أحُد خاص بالرمـاة، أو بالذين رجعوا من هربهم! ففي الحاكم: ٢٩٦/٢ و الطبراني الكبير: ٣٠١/١٠: «وإنما عنى بهذا الرماة».

بـل فسره عدد مـن أئمتهم بأنه ليس عفـواً عن ذنب بل عفوٌ تكويني بأنه لم يسـمح باسـتئصالهم. ففي عمـدة القـاري: ١٤١/١٧: «قال ابـن جريج: ولقد عفـا عنكم بأن لم يستأصلكم، وكذا قال محمد بن إسحاق، رواه ابن جرير».

وفي تفسير الطبري: ١٧٥/٤، أن الحسن البصري كان يستنكر تفسيرهم هذا العفو بالعفو عن ذنبهم: «قال الحسن وصفق بيديه: وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون، وقتل عم رسـول الله ﷺ وكسرت رباعيته وشـج في وجهه؟! قال الله عزوجل: قد عفوت عنكم إذ عصيتموني أن لا أكون استأصلتكم».

فالعفو في آيات أحد خاص بمن رجع من هروبه، وهم قلة، أو بالرماة وهم أقل، أو هو عفو تكويني وليس عفواً عن الفرار وترك الرسول ﷺ.

ولـو سـلمنا أنه عفو عن ذنب مضى، فقد كان بعـده ذنب مثله، وهو الفرار في غزوة الخندق وخيبر وحنين!

وقـد يقال: إن الله تعالى رضي عـن الصحابة الذين بايعوا تحت الشـجرة بقوله: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيباً. «الفتح: ١٨». وهو يعني غفران ذنوبهم قبل بيعة الشجرة.

والجـواب: أنـه تعـالى قـال: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ، ولم يقل: رضي عـن الذيـن يبايعونـك! فقيَّـد الرضـا بظـرفٍ وبالإيـمان، ولـو سـلمنا إطلاقـه فقـد كان ذلـك في الحديبيـة في السـنة السـابعة، وقـد بايعـوا النبي ﷺ عـلى أن لايفروا في معركـة، ثـم فروا بعدها بسـنة في حنين فنقضوا بيعتهم! فلا يشـملهم العفو السـابق.

ز. لم يقتـصر أمـر هؤلاء الصحابـة على الفرار، بل ارتدوا وصاحـوا داعين إلى الردة والإستسـلام! ووقف أحدهم على تل يدعو المنهزمين للتَّسـليم إلى أبي سفيان! وروى أتباع السلطة كل ذلك لكنهم أخفوا أبطال القصة فقالوا: نادى مناد: ألا إن محمداً قد

قتل فارجعوا إلى دينكم الأول! وقال أناس: لو كان نبياً ما قتل!

قال السيوطي في الدر المنثور: ٨٠/٢: «وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد: ألا إن محمداً قد قتل فارجعوا إلى دينكم الأول». إلى آخر ما تقدم.

وقال الفخر الرازي: ٢٢/٩: «وذلك أن المنافقين قالوا لضعفة المسلمين: إن كان محمد قتل فالحقوا بدينكم، فقال بعض الأنصار: إن كان محمد قتل فإن رب محمد لم يقتل». وهو أنس بن النضر. «ابن هشام: ٦٠٠/٣» وكان جواره مع عمر وطلحة وأصحاب الصخرة! ولم يرو أحدٌ أنهم جددوا إسلامهم!

ح. تدل آيات أُحد أن الصحابة كانوا أنواعاً: فمنهم المجاهدون الثابتون المحسنون، وهم الربيون الذين لايهنون ولا يحزنون. ومنهم المنافقون. ومنهم: المؤمنون أصحاب الذنوب، الذين استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فهربوا! وهؤلاء طائفتان: فمنهم: مؤمنون ضعفوا وفروا فأصابهم الغم والندم وأنزل الله عليهم النعاس: ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ. ومنهم من لم ينزل عليه النعاس، وبقيت عيونهم تبحلق!

ففي تفسير القمي: ١٢٠/١: «وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ المجروحون وغيرهم فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ فأحب الله أن يعرِّف رسوله الصادق منهم والكاذب، فأنزل الله عليهم النعاس في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون إلى الأرض وكان المنافقون الذين يكذبون لايستقرون، قد طارت عقولهم وهم يتكلمون بكلام لا يفهم».

والأسوأ من الجميع: وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ولم يهمهم الرسول ولا المسلمون ولم ينزل الله عليهم النعاس! وهؤلاء هم مرضى القلوب وأصحاب آية الإنقلاب! وقد ذكر الله تعالى لهم خمس صفات خطيرة:

١- أنهم طائفة مقابل المؤمنين، وإن اشتركوا مع الفارين منهم.

٢- أن ظنهم بالله جاهلي فهم كاليهود يتعاملون مع الله تعالى بميزان مادي كما

يتعامل المشركون مع أصنامهم! ولا يعتقدون بحكمته تعالى وإدارة رسوله ﷺ بل يرون أن قيادتهم أفضل، ويحملون النبي ﷺ مسؤولية الهزيمة: يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمر شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا!

٣- أنهم يظهرون للنبي ﷺ أنهم مؤمنون به وهم كاذبون، لأنهم يريدون الشراكة في القيادة مع النبي ﷺ أو بدونه! يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لاَيُبْدُونَ لَكَ، من رفضهم لقيادتك! وهم يتكلمون باسم المسلمين لأن غرضهم قيادتهم بدل النبي ﷺ! ويحاولون بهذا الكلام الخبيث تحريك المسلمين ضد النبي ﷺ، فهم كابن سلول بل أشد خطراً منه.

٤- مشكلتهم ومرضهم عبادة ذواتهم بدل الله تعالى، وإطاعة هواهم بدل النبي ﷺ ولذا كانت هذه الصفة أول صفاتهم: وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ، أما أمر الإسلام كدين وأمر المسلمين كأمة، فلا يهمهم إلا كأداة لهدفهم!

ط- وبهذا تعرف مشكلة النبي ﷺ مع هذه الطائفة من منافقي صحابته فهم في كمين له ينتظرون فرصة ليطرحوا أنفسهم بديلاً عنه ﷺ لقيادة المسلمين! فطمأنه الله مما يفعلونه وقال له: وَلاَيَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الأَخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

ي- سمى القرآن هذه الطائفة في مكة وفي بدر وفي الأحزاب «مرضى القلوب» وذكرهم في اثنتي عشرة آية، ووصفهم في أحُد بأشد أوصافهم ولم يسمهم باسمهم الرسمي، وكأن سبب ذلك أن مرض قلوبهم خرج إلى العلن، وصار كفراً وتحميلاً للنبي ﷺ مسؤولية الهزيمة وطرحوا أنفسهم بديلاً له لقيادة المسلمين!

وقد فسر الإمام الصادق عليه السلام مرض قلوبهم بأنه عداوة أهل البيت عليهم السلام فقال: عليه السلام: «والمرض والله عداوتنا». لأن هدفهم دولة النبي ﷺ والعقبة أمامهم هم العترة! غيبة النعماني/٢٦٧.

الفصل الثامن والأربعون

مختـارات من شـعر أحد

أكثرَالقرشيون والمسلمون من الشعرفي أحد

وهو كثيرٌ، نكتفي بمختارات نقلها ابن هشام: ٦٣٩/٣. منها لعبدالله بن الزِّبَعْرَى في يوم أحد:

يا غـرابَ البـين أسمعتَ فقل ... إنمـا تنطـق شـيئاً قـد فعـل
أبلغـن حسـان عـني آيـة ... فقريض الشعريشفي ذا العلل
كـم تـرى بالجـرمـن جمجمة ... وأكـف قـد أتـرَّت ورجـل
كـم قتلنـا مـن كـريم سـيد ... ماجـد الجديـن مقداماً بطل
فسـل المهـراس من سـاكنه ... بين أقحـاف وهـام كالحجل
ليت أشـياخي ببدر شـهدوا ... جـزع الخزرج من وقع الأسـل
حـين حكـت بقبـاء بركهـا ... واسـتحرالقتل في عبدالأشل
تم خفـوا عنـد ذاكـم رُقَّصـاً ... رقَـصَ الحفَّان يعلـوفي الجبل
فقتلنا الضعف من أشـرافهم ... وعدلنـا مَيْـلَ بـدر فاعتدل

فأجابه حسان بن ثابت:

ذهبَتْ يا ابن الزِبَعْرى وقعةٌ ... كان منا الفضل فيها لوعدل
ولقـد نلـتم ونلنـا منكـم ... وكـذاك الحـرب أحيانـاً دول

نضع الأسياف في أكتافكم حيث تهوي علاً بعد نهل
إذ تولون على أعقابكم هرباً في الشعب أشباه الرَّسَل
إذ شددنا شدة صادقة فأجأناكم إلى سفح الجبل
برجال لستم أمثالهم أيدوا جبريل نصراً فنزل
وعلونا يوم بدر بالتقى طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم وقتلنا كل جحجاحٍ رفل
وتركنا في قريش عورة يوم بدر وأحاديثَ المثل
ورسول الله حقاً شاهد يوم بدر والتنابيل الهبل
نحن لا أمثالكم ولد استها نحضر البأس إذا البأس نزل

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة وقتلى المسلمين:

نشجتَ وهل لك من منشجٍ وكنتَ متى تدكرْ تلجَجِ
تذكر قوماً أتاني لهم أحاديث في الزمن الأعوج
وقتلاهم في جنان النعيم كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء لواء الرسول بذي الأضوج
غداة أجابت بأسيافها جميعاً بنو الأوس والخزرج
وأشياع أحمد إذ شايعوا على الحق ذي النور والمنهج
فما برحوا يضربون الكماة ويمضون في القسطل المرهج
كذلك حتى دعاهم مليك إلى جنة دوحة المولج
فكلهم مات حر البلاء على ملة الله لم يُحرج
كحمزة لما وفى صادقاً بذي هبة صارم سلجج...
أولئك لا من ثوى منكم من النار في الدرك المرتج

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري فقال:

أيجزع كعب لأشياعه ... ويبكي من الزمن الأعوج
فقولا لكعب يثني البكا ... وللئ من لحمه ينضج
فياليت عمراً وأشياعه ... وعتبة في جمعنا السورج
فيشفوا النفوس بأوتارها ... بقتلى أصيب من الخزرج
ومقتل حمزة تحت اللواء ... بمطرد مارن مخلج
وحيث انثنى مصعب ثاوياً ... بضربة ذي هبة سلجج
بأحد وأسيافنا فيهم ... تلهب كاللهب الموهج

وقالت صفية بنت عبدالمطلب تبكي أخاها حمزة:

أسائلة أصحاب أحد مخافة ... بنات أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى ... وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ... إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجي ونرتجي ... لحمزة يوم الحشر خير مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا ... بكاء وحزناً محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مدرها ... يذود عن الإسلام كل كفور
فياليت شلوي عند ذاك وأعظمي ... لدى أضبع تعتادني ونسور
أقول وقد أعلى النعي عشيرتي ... جزى الله خيراً من أخ ونصير

وقال عبدالله بن رواحة يبكي حمزة:

بكت عيني وحق لها بكاها ... وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعاً ... هناك وقد أصيب به الرسول

أبا يعلى لك الأركان هدت ... وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك في جنان ... مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبراً ... فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم ... بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عني لؤياً ... فبعد اليوم دائلة تدول
وقبل اليوم ما عرفوا وذاقوا ... وقائعنا بها يشفي الغليل
نسيتم ضربنا بقليب بدر ... غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبوجهل صريعاً ... عليه الطير حائمة تجول
وعتبة وابنه خرا جميعاً ... وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركنا أمية مجلعباً ... وفي حيزومه لدن نبيل
وهام بني ربيعة سائلوها ... فني أسيافنا منها فلول
ألا يا هند فابكي لا تملي ... فأنت الوالة العبرى الهبول
ألا يا هند لا تبدي شماتاً ... بحمزة إن عزكم ذليل

وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة:

أتعرف الدار عفا رسمها ... بعدك صوب المسبل الهاطل
ساءلتها عن ذاك فاستعجمت ... لم تدر ما مرجوعة السائل؟
دع عنك دارا قد عفا رسمها ... وابك على حمزة ذي النائل
المالئ الشيزى إذا أعصفت ... غبراء في ذي الشبَم الماحل
والتارك القرن لدى لبدة ... يعثر في ذي الخرص الذابل
واللابس الخيل إذ أجحمت ... كالليث في غابته الباسل
أبيض في الذروة من هاشم ... لم يمر دون الحق بالباطل

مـال شـهيداً بـين أسـيافكم شـلت يـدا وحـشي مـن قاتل
أظلمـت الأرض لفقدانـه واسـود نـور القمـر الناصـل
صـلى عليـه الله في جنـة عاليـة مكرمـة الداخـل
كنـا نـرى حمـزة حـرزاً لنـا في كل أمـر نابنـا نـازل
وكان في الإسـلام ذا تـدرأ يكفيـك فقـد القاعـد الخاذل
لا تفرحـي يـا هند واستحلبي دمعـاً واذري عبـرة الثـاكل
وابكـي عـلى عتبـة إذ قطـه بالسـيف تحت الرهـج الجائل
إذ خـرَّ في مشـيخة منكـم مِـن كل عـات قبلـه جاهـل
أرداهـــم حمـــزة في أســـرة يمشـون تحـت الحلـق الفاضل
غـداة جبريـل وزيـر لـه نعـم وزيـر الفـارس الحامـل

وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة:

يـا مـيُّ قومـي فاندبـنْ بسـحيرة شـجو النوائـح
كالحامـلات الوقـر بالثقل الملحـــات الدوالـــح
المعـولات الخامشـات وجـوه حـرات صحائـح
وكأن سيل دموعها الأنصاب تخضـب بالذبائـــح
ينقضـن أشـــعاراً لهـن هنـاك باديـة المسـائح
وكأنهـا أذنـاب خيـل بالضحـى شمـس روامـح
ولقـد أصـاب قلوبهـا مجـل لـه جلـب قـوارح
إذ أقصـد الحدثـان مـن كنـا نرجّـي إذ نشـايح
أصحـاب أحُـد غالهـم دهـر ألَمَّ لـه جـوارح
مـــن كان فارســـنا وحامينا إذا بعث المسالح

يـا حمـزُ لا والله لا أنسـاك مـا صـر اللقائـح
ذكرتـني أسْـد الرسـول وذاك مدرهنـا المنافـح
يعلـو القماقـم جهـرة سـبط اليدين أغر واضح
لا طائـش رعـش ولا ذو علـة بالحمـل آنـح
بحـر فليـس يغـب جـاراً منـه سـيب أو منـادح
لهـفي لشـبان رزئناهـم كأنهـم المصـابـح
شـم بطارقـة غطارفـة خضارمـة مسـامح
المشـترون الحمد بالأموال إن الحمـد رابـح
والجامـزون بلجمهـم يومـا إذا ما صـاح صائح
يـا حمـز قـد أوحدتـني كالعـود شـذبه الكوافـح
أشكو إليك وفوقك الترب المكـور والصفـائـح



وقال حسان يذكر قتل علي عليه السلام أصحاب اللواء يوم أحد:

منـع النـوم بالعشـاء الهمـوم وخيـال إذا تغـور النجـوم..
من حبيب أضـاف قلبك منه سـقم فهـو داخـل مكتـوم
يـا لقومي هل يقتـل المرء مثلي واهـن البطش والعظام سـؤوم
وأنا الصقر عند باب ابن سلمى يـوم نعمـان في الكبول سـقيم
تلـك أفعالنـا وفعـل الزبعرى خامـل في صديقـه مذمـوم
رب حلـم أضاعـه عـدم المال وجهـل غطـى عليـه النعـيم
مـا أبـالي أنـب بالحـزن تيس أم لحـاني بظهـر غيـب لئـيم
ولي البـأس منكـم إذ رحلـتم أسـرة مـن بـني قـصي صمـيم
تسـعة تحمـل اللـواء وطـارت في رعـاع مـن القنـا مخـزوم
وأقامـوا حـتى أبيحـوا جميعـاً في مقـام وكلهـم مذمـوم

وقريش تفر منا لواذا أن يقيموا وخف منها الحلوم
لم تطق حمله العواتق منهم إنما يحمل اللواء النجوم

واعتبرها ابن هشام أحسن ما قيل مع أنها ليست كذلك! وقال: «قال حسان هذه القصيدة منع النوم بالعشاء الهموم، ليلاً، فدعا قومه فقال لهم: خشيت أن يدركني أجلي قبل أن أصبح فلا تروها عني». ولعلها كانت أطول من ذلك فحذفوا منها مدحه لعليعليه السلام! فقد روى ابن هشام: ٦٥٥/٣ مدح الحجاج السلمي لعليعليه السلام لقتله أصحاب الألوية، قال:

لله أي مذبِّبٍ عن حرمة أعني ابن فاطمة المعمَّ المُخولا
سبقت يداك له بعاجل طعنة تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم بالجر إذ يهوون أخول أخولا

وقال عائذ بن عمران بن مخزوم:

ما بال همٍّ عميدٍ بات يطرقني بالود من هند إذ تعدو عواديها
باتت تعاتبني هند وتعذلني والحرب قد شغلت عني مواليها
سقناكنانة من أطراف ذي يمن عرض البلاد على ما كان يزجيها
قالت كنانة أنى تذهبون بنا؟ قلنا: النخيل فأموها ومن فيها
نحن الفوارس يوم الجر من أحد هابت معد فقلنا نحن نأتيها

فأجابه حسان بن ثابت:

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم إلى الرسول فجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها والقتل لاقيها
جمعتموها أحابيشاً بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها

وقال عبدالله بن الزبعرى يبكي قتلى المشركين:

ألا ذرفت من مقلتيك دموع ... وقد بان من حبل الشباب قطوع

وشط بمن تهوى المزار وفرقت ... نوى الحي دار بالحبيب فجوع

فذر ذا، ولكن هل أتى أم مالك ... أحاديث قومي والحديث يشيع

عشية سرنا في لهام يقودنا ... ضرور الأعادي للصديق نفوع

فلما رأونا خالطتهم مهابة ... وعاينهم أمر هناك فظيع

وودوا لو ان الأرض ينشق ظهرها ... بهم وصبور القوم ثم جزوع

بأيماننا نعلو بها كل هامة ... ومنها سمام للعدو ذريع

فغادرن قتلى الأوس عاصبة بهم ... ضباع وطير يعتفين وقوع

وجمع بني النجار في كل تلعة ... بأبدانهم من وقعهن نجيع

ولولا علو الشعب غادرن أحمداً ... ولكن علا والسمهري شروع

فأجابه حسان بن ثابت فقال:

أشاقك من أم الوليد ربوع ... بلاقع ما من أهلهن جميع

عفاهن صيئ الرياح وواكف ... من الدلو رجَّاف السحاب هموع

فلم يبق إلا موقد النار حوله ... رواكد أمثال الحمام كنوع

فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم ... وكان لهم ذكر هناك رفيع

وحامى بنو النجار فيه وصابروا ... وما كان منهم في اللقاء جزوع

أمام رسول الله لا يخذلونه ... لهم ناصر من ربهم وشفيع

وفوا إذ كفرتم يا سخين بربكم ... ولا يستوي عبد وفى ومضيع

بأيديهم بيض إذا حمش الوغى ... فلا بد أن يردى لهن صريع

أولئك قوم سادة من فروعكم ... وفى كل قوم سادة وفروع

بهن نعز الله حتى يعزنا ... وإن كان أمر ياسخين فظيع

فـلا تذكـروا قتـلى وحمـزة فيهم ... قتيـل ثـوى لله وهـو مطيـع
فـإن جنـان الخلـد منزلـة لـه ... وأمـر الذي يقضى الأمور سـريع
وقتلاكـم في النار أفضل رزقهم ... حمـيم معـاً في جوفهـا وضريـع

وقال عمرو بن العاص في يوم أحد:

خرجنـا مـن الفيفـا عليهـم كأننـا ... مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق
تمنـت بنـو النجـار جهـلاً لقاءنـا ... لـدى جنـب سـلع والأمـاني تصدق
فـا راعهـم بالشـر إلا فجـاءة ... كراديـس خيـل في الأزقـة تمـرق
أرادوا لكيمـا يسـتبيحوا قبابنـا ... ودون القبـاب اليـوم ضـرب محـرق
كأن رؤوس الخزرجيـين غـدوة ... وأيمانهـم بالمشـرفية بـروق

فأجابه كعب بن مالك:

ألا أبلغـا فهـراً عـلى نـأي دارهـا ... وعندهـم من علمنا اليـوم مصدق
بأنـا غـداة السـفح مـن بطـن يثـرب ... صبرنـا ورايـات المنيـة تخفـق
صبرنـا لهـم والصبـر منـا سـجية ... إذا طـارت الأبـرام نسـمو ونرتـق
لنـا حومـةٌ لا تسـتطاع يقودهـا ... نـبي أتى بالحـق عـفٌّ مصـدق
ألا هـل أتى أفنـاء فهـر بـن مالـك ... مقطـع أطـراف وهـام مفلـق

وقال ضرار بن الخطاب:

لمـا أتـت مـن بـني كعـب مزينـة ... والخزرجيـة فيهـا البيـض تأتلـق
وجـردوا مشـــرفيات مهنـدة ... ورايـة كجنـاح النسـر تختفـق
فقلـت يـوم بأيـــام ومعركـة ... تنبي لماخلفها ماهزهـز الورق...الخ.

وقال عمرو بن العاص:

لما رأيت الحرب ينزو شررها بالرضف نزوا
وتناولت شهباء تلحو الناس بالضراء لحوا...الخ.

فأجابها كعب بن مالك:

أبلغ قريشاً وخير القول أصدقه والصدق عنه ذوي الألباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلانا سراتكم أهل اللواء ففيما يكثر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل
وإن تروا أمرنا في رأيكم سفهاً فرأى من خالف الإسلام تضليل..الخ

وقال كعب أيضاً يبكي حمزة:

صفية قومي ولا تعجزي وبكّي النساء على حمزة
ولاتسأمي أن تطيلي البكا على أسد الله في الهزة
فقد كان عزاً لأيتامنا وليث الملاحم في البزة
يريد بذاك رضا أحمد ورضوان ذي العرش والعزة

وقد رووا لكعب بن مالك قصائد في رثاء حمزة وشهداء أُحُد، فيها:

رقت همومك فالرقاد مسهد وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة ظلت بنات الجوف منها ترعد
قرم تمكن في ذؤابة هاشم حيث النبوة والندى والسودد
والعاقر الكوم الجلاد إذ غدت ريح يكاد الماء منها يجمد
والتارك القرن الكمي مجدلاً يوم الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل في الحديد كأنه ذو لبدة شثن البراثن أربد

عـم النـبي محمـــد وصفيـه ... ورد الحمـام فطـاب ذاك المـورد
وأتى المنيـة معلمـاً في أســـرة ... نصـروا النـبي ومنهم المستشـهد
شـتان مـن هـو في جهـنم ثاويـاً ... أبـداً ومـن هـو في الجنـان مخلـد

ومن مقطوعاته:

فـإن تسـألي ثم لاتُكـذبي ... يخبرك من قـد سـألت اليقينا
بأنـا ليـالي ذات العظـام ... كنـا ثمـالاً لمـن يعترينـا
تلـوذ النجـود بأذرائنـــا ... مـن الضـر في أزمات السـنينا
ويـــوم لـه رهـــج دائم ... شـديد التهاول حامـى الارينا
شـــهدنا فكنـــا أولي بأسـه ... وتحـت العمايـة والمعلمينـا
وعلمنـا الضـرب آباؤنـا ... وسـوف نعلـم أيضـا بنينـا
سـألت بك ابن الزبعـرى فلم ... أنبئـك في القـوم إلا هجينـا
خبيثـاً تطيـف بـك المنديات ... مقيمـاً على اللـؤم حينا فحينا
تبجسـت تهجو رسـول المليك ... قاتلـك الله جلفـــا لعينـا
تقـول الخنـا ثم ترمـي بـه ... نقـي الثيـاب تقيـــا أمينـا

ومنها:

سائل قريشاً غداة السفح من أحد ... مـاذا لقينا ومـا لاقَوْا مـن الهرب
فكـم تركنـا بهـا من سـيد بطل ... حامـي الذمـار كريـم الجد والحسـب
فينـا الرسـول شـهابٌ ثم يتبعه ... نور مضيٌّ له فضل على الشهب
الحـق منطقـه والعـدل سـيرته ... فمـن يجبـه إليـه ينـجُ مـن تبب
يمضي ويذمرنا عـن غير معصية ... كأنه البدر لم يطبع على الكذب
بـدا لنـا فاتبعنـاه نصدقـه ... وكذبـوه فكنـا أسـعد العـرب
جالوا وجلنا فما فـاءوا وما رجعوا ... ونحـن نثفنهم لم نـأل في الطلب
ليـس سـواء وشـتى بـين أمرهما ... حـزب الإله وأهل الشـرك والنصب

ومنها:

ألا هـل أتى غسـان عنـا ودونهم ... مـن الأرض خرق سـيره متنعنع

صحـار وأعـلام كأن قتامهـا ... مـن البعـد نقـع هامـد متقطـع

مجالدنـا عـن ديننـا كل فخمـة ... مذربـة فيهـا القوانـس تلمـع

ولمـا ابتنـوا بالعرض قال سـراتنا ... عـلامَ إذا لم نمنـع العـرض نـزرع

وفينـا رسـول الله نتبـع أمـره ... إذا قـال فينـا القـول لا نتطلـع

تدلى عليـه الروح مـن عند ربه ... ينـزل مـن جـو السـماء ويرفـع

نشـاوره فيمـا نريـد وقصرنـا ... إذا ما اشـتهى أنا نطيع ونسـمع

وقـال رسـول الله لمـا بـدوا لنـا ... ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا

وكونوا كمن يشـرى الحيـاة تقرباً ... إلى ملـك يحيـا لديـه ويرجـع

ولكـن خـذوا أسـيافكم وتوكلوا ... عـلى الله إن الأمـر لله أجمـع

فسـرنا إليهـم جهـرة في رحالهـم ... ضحياً علينا البيض لا نتخشـع

فجئنا إلى موج من البحروسـطه ... أحابيـش منهـم حاسـرومقنـع

ثلاثـة آلاف ونحـن نصيـة ... ثـلاث مئـين إن كثرنـا وأربـع

فلمـا تلاقينا ودارت بنـا الرحى ... وليـس لأمـر حمسـه الله مدفـع

ضربناهـم حـتى تركنـا سـراتهم ... كأنهـم بالقـاع خشـب مصـرع

وراحـوا سـراعاً موجفـين كأنهم ... جهـام هراقت مـاءه الريح مقلع

فنلنـا ونـال القـوم منـا، وربمـا ... فعلنا، ولكن ما لدى الله أوسـع

ونحـن أناس لا نرى القتل سـبة ... على كل من يحمي الذمار ويمنع

بنوالحرب إن نظفرفلسنا بفحش ... ولا نحـن مـن إظفارهـا نتوجـع



الفصل التاسع والأربعون

غزوة حمراء الأسد خاصة بجرحى أُحد!

التدخل الإلهي في انسحاب قريش

لا نجد سبباً مادياً لسحب قريش جيشها من أُحد قبل أن تحقق هدفها في قتل النبي صلى الله عليه وآله واحتلال المدينة، إلا التدخل الإلهي! فقد بعث الله الملائكة فقاتلوا مع علي عليه السلام حتى انسحب المشركون، ثم بعث علياً عليه السلام لاعتراضهم ليتأكد من أن وجهتهم مكة وليست المدينة!

غزوة حمراء الأسد خاصة بالمجروحين في أُحد

قال القمي في تفسيره: ١/١٢٤: «فلما دخل رسول الله المدينة نزل عليه جبرئيل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولا يخرج معك إلا من به جراحة! فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله منادياً ينادي يا معشر المهاجرين والأنصار من كانت به جراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم، فأقبلوا يضمدون جراحاتهم ويداوونها! فأنزل الله على نبيه: وَلاتَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لايَرْجُونَ.. فخرجوا على ما بهم من الألم والجراح، فلما بلغ رسول الله بحمراء الأسد وقريش قد نزلت الروحاء، قال عكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وعمرو بن عاص، وخالد بن الوليد: نرجع فنغير على المدينة فقد قتلنا سراتهم وكبشهم يعني حمزة، فوافاهم رجل خرج من المدينة فسألوه الخبر فقال: تركت محمداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جد الطلب فقال أبوسفيان: هذا النكد والبغي قد ظفرنا بالقوم وبغينا! والله ما أفلح قوم قط بغوا». **أي إرجعوا يكفينا انتصارنا.**

وفي شرح الأخبار: ٢٨٢/١: «وخرجوا معه ﷺ من غد يوم الإثنين حتى انتهى إلى حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال، فأقام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء، ومر به معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عَيْبَة نصح لرسول الله ﷺ بتهامة لايخفون عنه شيئاً بها، ومعبد يؤمئذ مشرك، فقال: يا محمد والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله عز وجل عافاك فيهم، ثم مضى يريد مكة ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، فلقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجتمعوا للرجوع إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وذلك أنهم اجتمعوا هنالك وقالوا: والله ما صنعنا شيئاً، أصبنا جل القوم وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! فلما رأى أبو سفيان معبداً قال له: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً، وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ذلك وندموا على ما صنعوا، وبهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط!

قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترحل حتى نرى نواصي الخيل! قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم حتى نستأصل بقيتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك، فوالله لقد حملني ما رأيت أن قلت أبياتاً أردت أن أبعث بها إليك، ثم جئت بنفسي. قال: وما قلت؟ قال:

كادت تهد من الأصوات راحلتي ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل

تردي بأسد كرام لا تنابلةٍ ... عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل

فظلت عدواً أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول

وقلت ويلُ ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمت البطحاء بالجيل

إني نذير لأهل الحزم ضاحية ... لكل ذي إربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا أحصي قنابله ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

فساء ذلك أبا سفيان ومن معه! وقال لهم صفوان بن أمية بن خلف: إن القوم قد

حزبوا أي غضبوا، وقد خشيت إن عاودتموهم أن يكون لهم قتال غير الذي كان، وقد أصبتم ما أصبتم فارجعوا! فرجعوا.

ولقي أبوسفيان ركباً من عبدالقيس يريدون المدينة يمتارون منها، فقال: هل تبلغون عني محمداً رسالة، وأنا أحمل لكم جمالكم إذا انصرفتم زبيباً بعكاظ؟

قالوا: نعم. قال: تخبروه أنا أزمعنا الرجوع إليه وإلى أصحابه لنستأصل شأفتهم، فمروا برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فقالوا ذلك، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لقد سومت لهم حجارة لو صبحوا بها لكانوا كالأمس الذاهب وانصرف إلى المدينة». ونحوه البحار: ٢٠/١١٠، عن تفسير النعماني.

أقول: أخذ النبي ﷺ معه دليلاً وأرسل أمامه ثلاثة رجال لاستطلاع العدو، فأمسك المشركون اثنين وقتلوهم فدفنهم النبي ﷺ لما وصل اليهم ونجا الثالث.

كما استعمل النبي ﷺ إيقاد النيران المتعددة العالية لنشر خبر مسيره وتخويف المشركين، وروي أنهم أشعلوا خمس مئة نار، مع أنهم كانوا نحو سبعين! وهذا يكشف عدد الثابتين مع النبي ﷺ وبضمنهم الذين رجعوا من الفرار وشاركوا في دفن شهداء أحُد، وهم عشر السبع مئة الذين ذهبوا إلى أحُد.

هذا، وقد ذكر رواة السلطة أسماء صحابة في حمراء الأسد، وجعلوا فيهم فارين ولم يكونوا جرحى! راجع: الصحيح: ٦/٣٠٢، المناقب: ١/١٦٧ والطبقات: ٢/٤٩ وعيون الأثر: ٢/٧.

وفي هذه الغزوة نزل قوله تعالى: «الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ. إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ». آل عمران: ١٧٢-١٧٥.

الفصل الخمسون

أهم الأحداث بين غزوة أحد وغزوة الأحزاب

١- سرية جبل قَطَن

جبل قطن في نجد في ديار بني أسد وعبس« معجم البلدان: ٣٧٥/٤». ويقع: «غرب القصيم على بعد ١٧٠ كم من مدينة بريدة». موقع: http: //www.harb-tribe.net/showtopic.asp?id=79

قال في الصحيح من السيرة: ١٤٣/٧، ملخصاً: «كان بين أحد والخندق عدد من السرايا والغزوات وكان لها نتائج إيجابية على الصعيد السياسي والإجتماعي والعسكري. وكثير منها يحتاج إلى بحث وتمحيص، وهي حسب الترتيب الزمني: سرية أبي سلمة إلى قطن في أول محرم بعد أُحُد وكانت أُحُد في شوال، وكان مع أبي سلمة مئة وخمسون رجلاً من الأنصار والمهاجرين، منهم أبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن خضير، وسالم مولى أبي حذيفة، وغيرهم.

وسببها أن رجلاً من طيء قدم المدينة فأخبر صهره أن طليحة وسلمة ابني خويلد سارا في قومهما ومن أطاعهما وقالوا: نسير إلى محمد في عقر داره ونصيب من أطرافه، ونخرج على متون الخيل والنجائب المخبورة، فإن أصبنا نهباً لم ندرك وإن لاقينا جمعهم كنا قد أخذنا للحرب عدتها، معنا خيل ولا خيل معهم، والقوم منكوبون قد أوقعت بهم قريش.

فقال رجل منهم اسمه قيس بن الحارث: يا قوم، إن دارنا لبعيدة من يثرب، وقد مكثت قريش دهراً تسيِّر في العرب تستنصرها ولهم وتر يطلبونه، وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل سوى

أتباعهم وإنما جهدكم أن تخرجوا في ثلاث مئة رجل، فلا آمن أن تكون الدائرة عليكم. فقال النبيﷺ لأبي سلمة: سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغر عليهم قبل أن تلاقى عليك جموعهم. فخرج وكان الطائي دليلاً خريتاً أي ماهراً، فأغذ السير فسار بهم أربعاً إلى قطن، وسلك بهم غير الطريق وسار بهم ليلاً ونهاراً، فأغار أبو سلمة على سرحهم ودوابهم وأصابوا ثلاثة أعبد كانوا رعاة، وهرب الباقون، وأخبروا بمجيء أبي سلمة فخافوا وهربوا عن منازلهم في كل وجه، فجمعوا ما قدروا عليه من الأموال ورجعوا إلى المدينة».

٢- سرية يوم الرجيع

الرجيع وبئر معونة: إسمان لمكانين بين مكة والمدينة، وبئر معونة أقرب إلى المدينة. البكري: ٦٤١/٢ و١٢٤٦/٤ وعمدة القاري: ١٦٣/١٧.

وروت مصادر السيرة أنه وقعت فيهما غزوتان، وفي روايتهم تعارض وتهافت، ولم يصلنا فيهما شيء يذكر عن أهل البيتعليهم السلام، والمرجح أنهما حادثتان صغيرتان ضخموهما لمدح شخص أو جماعة.

قال ابن هشام: ٦٦٧/٣: «**يوم الرجيع في سنة ثلاث**» **وسماه ابن سعد في الطبقات**: ٥٥/٢: «سرية مرثد بن أبي مرثد». وخلاصة ماذكراه: أنه قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من قبيلتي عضل والقارة وقالوا له: يا رسول الله إن فينا إسلاماً، فابعث نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، فبعث نفراً ستة هم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبدالمطلب، وخالد بن البكير الليثي، حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف من الأوس، وخبيب بن عدي من الأوس أيضاً، وزيد بن الدثنة من بني بياضة من الخزرج، وعبدالله بن طارق حليف الأوس، وأميرهم مرثد، حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز غدرت بهم هذيل وقالوا لهم ما نريد قتلكم ولكن نبيعكم إلى قريش! فقاتلهم خمسة فقتلوا وهم

عاصم ومرثد وخالد ومعتب وعبدالله بن طارق، واستأسر زيد وخبيب فأخذوهم وباعوهما إلى أهل مكة فقتلوهما، وأرادوا أن يأخذوا رأس عاصم ليبيعوه من سلافة بنت سعد زوجة طلحة بن أبي طلحة وكانت معه في أحد، وقالوا إن عاصماً قتل زوجها وأبناءها، فنذرت أن تشرب برأسه خمراً! ولما أرادوا قطع رأسه جاءت الزنابير وحمته منهم، وجاء سيل في الليل فأخذ جثته. **واستقرب صاحب الصحيح من السيرة: ١٦٧/٧، أن يكون النبي ﷺ أرسل هؤلاء أو بعضهم عيوناً على قريش، فأمسكوا منهم زيداً وخبيباً وقتلوهما.**

قال: «وما عدا ذلك فهو مشكوك فيه، إن لم نقل إن فيه الكثير مما نقطع بأنه مكذوب وموضوع أو محرف عن عمد، أو عن غير عمد».

٣- سرية بئر معونة

وهي تشبه غزوة الرجيع وغزوة بني لحيان، وسماها **ابن هشام**: ٦٧٧/٣: حديث بئر معونة في صفر سنة أربع. ونقل عن ابن إسحاق أن الزعيم النجدي أبا براء عامر بن مالك ملاعب الأسنة، جاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يبعث رجالاً من أصحابه إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام، فقال له النبي ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار، فبعث أربعين رجلاً، وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو من بني ساعدة، ومنهم الحارث بن الصمة، وحرام بن ملحان، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، في رجال من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب النبي ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فقتله عامر واستعان بقبائل من بني سُلَيْم هم: عصية ورعل وذكوان، فقصدوهم وقتلوهم عن آخرهم!

وقالوا إن عمرو بن أمية الضمري أراد الثأر لهم، فقتل رجلين من قوم متحالفين مع النبي ﷺ فالتزم ﷺ بإعطاء ديتهما. وأكثروا من مناقب شهداء بئر معونة خاصة عامر بن فهيرة غلام أبي بكر وزعموا أنه رفع إلى السماء، وأنه نزل فيهم قرآن ونسخ! فقد

روى بخاري في صحيحه: ٣/٢٠٤/٢٠٨، ٣٥/٤ و ٤٢/٥، روايات في أنه نزلت آية: ألا بلغوا قومنا بأنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا! في شهداء بئر معونة الذين غدر بهم أهل نجد من قبائل رعل وذكوان وعصية من بني لحيان، وأن المسلمين قرؤوا هذه الآية! ومسلم: ١٣٥/٢ وأحمد بروايات: ٣/١٠٩، ٢١٠، ٢١٥، ٢٥٥ و٢٨٩ والبيهقي: ١٩٩/٢.

وذكروا في أكثرها أنها نسخت بعد ذلك، أو رفعت! وكله غير صحيح!

وقال ابن سعد في الطبقات: ٥٣/٢: «وجاء رسول الله ﷺ خبر أهل بئر معونة وجاءه تلك الليلة أيضاً مصاب خبيب بن عدي، ومرثد بن أبي مرثد، وبعث محمد بن مسلمة فقال رسول الله ﷺ هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً.

ودعا رسول الله على قتلتهم بعد الركعة من الصبح فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف. اللهم عليك ببني لحيان، وعضل، والقارة وزغب، ورعل، وذكوان، وعصية، فإنهم عصوا الله ورسوله.

وأقبل عمرو بن أمية سار أربعاً على رجليه، فلما كان بصدور قناة لقي رجلين من بني كلاب قد كان لهما من رسول الله ﷺ أمان فقتلهما وهو لا يعلم ذلك، ثم قدم على رسول الله ﷺ فأخبره بمقتل أصحاب بئر معونة، فقال رسول الله ﷺ أبْتَ من بينهم. وأخبر النبي ﷺ بقتل العامريين فقال: بئس ما صنعت، قد كان لهما مني أمان وجوار، لأدينهما، فبعث بديتهما إلى قومهما». «وإعلام الورى ١٨٦/١ والمناقب١٦٨/١». راجع أيضاً غزوة بني لحيان: ١٨٨/١ و١٧٠/١، فيبدو أنهما متحدتان.

٤- غزوة بدر الموعد

وتسمى بدر الصغرى، وبدر الصفراء، وبدر الثانية، وبدر الآخرة، وكانت في شوال بعد أحد بسنة، لأن أبا سفيان قال في أحُد: موعدنا معكم العام القادم في بدر الصفراء، فقبل النبي ﷺ، وبدر الصفراء قرية قرب ينبع بين مكة والمدينة، وفيها سوق سنوي للعرب. سبل الهدى: ٢٨٢/٤.

قال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه القيم: المواجهة مع رسول الله ﷺ/٢٤١:
«عممت قريش موعد اللقاء وأخذت تستعدي على النبي ﷺ وتجمع الأموال استعداداً للخروج، وفرضت ضريبة على سكان مكة ولأول مرة في تاريخها، ولم يترك أحد إلا وينبغي أن يدفع مالاً لايقل عن «أوقية» مساهمة بالمجهود الحربي، فجمعوا الأموال العظيمة ورصدوها لحرب محمد وآله ومن والاهم.

ومع اقتراب الموعد كره أبوسفيان قائد تحالف البطون هذا الخروج، وندم على قوله وتحديده الموعد، وتعرض لملامة الكثير من قومه، وتمنى عدم خروج الرسول للموعد لأن العام جدب: «والأرض مثل ظهر الترس ليس فيها لبعير شئ» ولكن البطون كرهت أن يخرج محمد ولايخرجون، فيجترئ عليها فأحبت أن يكون الخلف من قبله. وفي غمرة حيرتها قدم نعيم بن مسعود الأشجعي مكة فاتفقوا معه على أن يعطوه عشرين ناقة، مقابل أن يُخَذِّل أصحاب محمد!

ورجع الرجل وأخذ يشيع بأن أبا سفيان قد جمع الجموع وأجلب العرب وجاء محمد وأصحابه بما لا قبل لهم به! وأشار على أهل المدينة أن يبقوا في المدينة ولايخرجوا، لأنهم إن خرجوا فلن يفلت منهم أحد هذه المرة!

ونجح الرجل بغرس كراهية الخروج في قلوب الكثير من أصحاب محمد ﷺ! وفرح المنافقون واليهود وتصوروا أن محمداً لن يفلت من هذه الجموع التي يصفها نعيم بن مسعود! ونجح نعيم بتثبيط بعض الصحابة وإلقاء الرعب في قلوبهم! قال عثمان بن عفان يصف حالته وأمثاله ممن أصغوا لنعيم: لقد رأيتنا وقد قذف الرعب في قلوبنا فما أرى أحداً له نية في الخروج». مغازي الواقدي: ٣٨٧/١.

كان الرسول ﷺ يرصد آثار دعاية نعيم فجمع الناس وحثهم على الخروج، ثم قال: والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد! عندئذ تشجع من وَهَنَ من المسلمين وخرج مع النبي ١٥٠٠ مقاتل ومعهم عشرة أفراس، فأعطى النبي ﷺ رايته لعلي بن أبي طالب عليه السلام. وغاية المسلمين من الخروج كانت ملاقاة البطون على الموعد، ومع هذا تزودوا ببضائع، وأقاموا في بدر الصفراء ثمانية أيام ورجعوا بخير وفضل

من الله، وربح الدينار ديناراً.

أما أبوسفيان فقد أطلع قريش على الخطة التي رسمها لنعيم، وبيَّن لهم أن العام عام جدب، واقترح عليهم أن يسيروا يومين فيرجعوا، فخرجت البطون وهم ألفان، ومعهم خمسون فرساً، وانتهوا إلى مجنة فشربوا السويق وعادوا، بعد أن بلغهم خروج النبيﷺ. وقال صفوان بن أمية لأبي سفيان: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجترؤوا علينا ورأوا أنا قد أخلفناهم وإنما خلفنا الضعف عنهم! وأخذوا يعدون العدة لغزو النبيﷺ فيما بعد». الواقدي: ٣٨٤/١.

أقول: كان نعيم بن مسعود يسكن في المدينة، ولا بد أن يكون تثبيطه للصحابة استغرق أياماً فعمل النبيﷺ لإحباطه، حيث ورد في نصوصه: «وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب في قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية في الخروج واستبشر المنافقون واليهود». الصحيح من السيرة: ٣٧٢/٨.

لكن رواة السلطة لا يذكرون ذلك، لأنه يكشف الصحابة الذين جَبَّنوا المسلمين! وذكروا طرفاً منه في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ..﴾.

راجع: الصحيح من السيرة: ٣٦٢/٨، ابن هشام: ٦٩٧/٣، الطبقات: ٥٩/٢، اليعقوبي: ٦٧/٢، تفسير الطبري: ٢٣٠/٢، تفسير مقاتل: ٢٠٤/١، الثعلبي: ٢٠٩/٣ والعجاب لابن حجر: ٧٩٣/٢.

وروى ابن هشام: ٦٩٨/٣، قصيدة لحسان، وقصيدة لكعب بن مالك، وفيها:

وعدنا أبا سفيان بدراً، فلم نجد ... لميعاده صدقاً، وما كان وافيا

فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبت ذميماً وافتقدت الموالیا

تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعمراً أباجهل تركناه ثاويا

عصيتم رسول الله، أفٍّ لدينكم ... وأمركم الشيء الذي كان غاويا

فإني وإن عنفتموني لقائل ... فدى لرسول الله أهلي وماليا

أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديا».

٥- غزوة دومة الجندل

دُومة الجندل بضم الدال وبفتحه، هي مدينة الجوف، والآن محافظة في شمال المملكة السعودية. قال ابن هشام:٦٩٩/٣: «ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل في شهر ربيع الأول.. قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيداً فأقام بالمدينة بقية سنته».

وهذا اختصار مخل لأنه رويَ أن الأكيدر ملك دومة الجندل وحاكمها من قبل هرقل الروم كان يجمع الجيش لغزو المدينة وكان يظلم «الضافطة» أي التجار جالبي البضائع، وأن النبي ﷺ باغتهم فكان يسير بجيشه ليلاً ويكمن نهاراً ووصل إلى دومة الجندل، فهرب الأكيدر ومن جمعهم ولم يقابلوه، وغنم من مواشيهم وأموالهم، ورجع سالماً.

وأهم أهداف غزوة دومة الجندل: ردع الذين يتصورون أن قريشاً هزمت المسلمين في أُحد فصار بإمكانهم غزوهم. وردع الروم عن التفكير بحشد جيش لحاكم دومة الجندل ليغزو المدينة. وتقوية قلوب المسلمين وإفهامهم أن هزيمتهم في أُحد كانت نشازاً،وأن وعد الله تعالى لهم بالنصر والتمكين مازال قائماً، وسيأخذون بلاد كسرى وقيصر لامحالة! وسيأتي ذكرها في غزوة تبوك.

٦- غزوة ذات الرقاع

في الصحيح من السيرة: ٢٦٥/٨، ملخصاً: «بلغ النبي ﷺ أن أنماراً وثعلبة وغطفاناً قد جمعوا جموعاً بقصد غزو المسلمين، فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربع مئة وقيل في سبع مئة، حتى أتى وادي الشقرة من أرض غطفان من نجد فأقام بها يوماً، وبث السرايا فرجعوا إليه مع الليل وأخبروه أنهم لم يروا أحداً، فسار حتى أتى محالهم فلما عاينوهم هربوا إلى الجبال والأودية ولم يكن قتال. ورجع ﷺ إلى المدينة فوصل إلى صرار يوم الأحد لخمس ليال بقين من المحرم. وهو بئر جاهلية على ثلاثة أميال من المدينة في طريق العراق. وكانت غيبته ﷺ خمس عشرة ليلة، وتسمى هذه

الغزوة أيضاً بغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من أمور عجيبة، وتسمى أيضاً بغزوة محارب، وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار. وقيل إنها في السنة الرابعة في شهر ربيع الآخر بعد غزوة بني النضير بشهرين وعشرين يوماً، وقيل في محرم، وقيل كانت في سنة خمس».

وفي إعلام الورى: ١٨٨/١ **والمناقب**: ١٧٠/١: «لقي بها جمعاً من غطفان ولم يكن بينهما حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً حتى صلى رسول الله ﷺ صلاة الخوف ثم انصرف بالناس..وقيل إنما سميت بذلك لأن أقدامهم نقبت فيها، فكانوا يلفون على أرجلهم الخرق».

وفي الكافي: ١٢٧/٨، **عن الإمام الصادق** عليه السلام **قال**: «نزل رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع تحت شجرة على شفير واد، فأقبل سيل فحال بينه وبين أصحابه، فرآه رجل من المشركين والمسلمون قيام على شفير الوادي ينتظرون متى ينقطع السيل فقال رجل من المشركين لقومه: أنا أقتل محمداً! فجاء وشد على رسول الله ﷺ بالسيف ثم قال: من ينجيك مني يا محمد؟ فقال: ربي وربك! فنسفه جبرئيل عليه السلام عن فرسه فسقط على ظهره! فقام رسول الله ﷺ وأخذ السيف وجلس على صدره، وقال: من ينجيك مني يا غورث؟ فقال جودك وكرمك يا محمد! فتركه فقام وهو يقول: والله لأنت خير مني وأكرم».

وفي الكافي: ٤٥٦/٣، **عن الإمام الصادق** عليه السلام: «صلى رسول الله ﷺ بأصحابه في غزوة ذات الرقاع صلاة الخوف ففرق أصحابه فرقتين، أقام فرقة بإزاء العدو وفرقة خلفه فكبر وكبروا، فقرأ وأنصتوا وركع فركعوا وسجد فسجدوا، ثم استتم رسول الله قائماً وصلوا لأنفسهم ركعة ثم سلم بعضهم على بعض، ثم خرجوا إلى أصحابهم فقاموا بإزاء العدو. وجاء أصحابهم فقاموا خلف رسول الله ﷺ فصلى بهم ركعة ثم تشهد وسلم عليهم فقاموا فصلوا لأنفسهم ركعة ثم سلم بعضهم على بعض».

وفي بصائر الدرجات: ٣٧٠/ : «عن جابر بن عبد الله قال: لما أقبل رسول الله ﷺ من

غزوة ذات الرقاع وهي غزوة بني ثعلبة غطفان، حتى إذا كان قريباً من المدينة إذا بعير حل يرقل حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ فوضع جرانه على الأرض ثم خرخر فقال رسول الله ﷺ: هل تدرون ما يقول هذا البعير؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إنه أخبرني أن صاحب عمل عليه حتى إذا أكبره وأدبره وأهزله أراد أن ينحره ويبيع لحمه! ثم قال رسول الله ﷺ: يا جابر إذهب به إلى صاحبه فأتني به. فقلت: لا أعرف صاحبه. قال: هو يدلك. قال: فخرجت معه حتى انتهيت إلى بني واقف فدخل في زقاق فإذا بمجلس فقالوا: يا جابر كيف تركت رسول الله وكيف تركت المسلمين؟ قلت صالحون، ولكن أيكم صاحب هذا البعير؟ قال بعضهم: أنا، فقلت أجب رسول الله. قال: مالي؟ قلت: استعدى عليك بعيرك! قال: فجئت أنا وهو والبعير إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بعيرك أخبرني أنك عملت عليه حتى إذا أكبرته وأدبرته وأهزلته أردت نحره وبيع لحمه. قال الرجل: قد كان ذلك يا رسول الله. قال: بعه مني. قال: بل هو لك يا رسول الله. قال: بل بعه مني، فاشتراه رسول الله ﷺ ثم ضرب على صفحته فتركه يرعى في ضواحي المدينة، فكان الرجل منا إذا أراد الروحة والغدوة منحه رسول الله ﷺ. فقال جابر: رأيته وقد ذهب عنه دبره وصلح»!

وروى ابن هشام: ٦٩٢/٣ هذه الغزوة بنحو ما تقدم، وروى ابن إسحاق قصة الجمل، قال جابر: «خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل على جمل لي ضعيف، فلما قفل رسول الله قال: جعلت الرفاق تمضي وجعلت أتخلف حتى أدركني رسول الله ﷺ فقال: مالك يا جابر؟ قال قلت: يا رسول الله، أبطأ بي جملي هذا، قال: أنخه، قال: فأنخته، وأناخ رسول الله ثم قال: أعطني هذه العصا من يدك أو اقطع لي عصاً من شجرة، قال: ففعلت. قال: فأخذها رسول الله فنخسه بها نخسات، ثم قال: إركب، فركبت، فخرج والذي بعثه بالحق يواهق ناقته مواهقة. قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ فقال لي: أتبيعني جملك هذا يا جابر؟ قال قلت: يا رسول الله بل أهبه لك، قال: لا، ولكن بعنيه. قال قلت: فسُمنيه قال: قد أخذته بدرهم، قال قلت: لا، إذن تغبنني يا رسول الله، قال: فبدرهمين، قال قلت: لا، قال: فلم يزل يرفع لي

رسول الله ﷺ حتى بلغ الأوقية قال فقلت: أفقد رضيت يا رسول الله؟ قال: نعم، قلت: فهو لك، قال: قد أخذته، قال ثم قال: يا جابر تزوجت بعد؟ قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: أثيباً أم بكراً؟ قال: قلت: لا بل ثيباً قال: أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك! قال قلت: يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعاً، فنكحت امرأة جامعة تجمع رؤوسهن وتقوم عليهن، قال: أصبت إن شاء الله، أما إنا لو قد جئنا صراراً أمرنا بجزور فنحرت وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعتْ بنا فنفضت نمارقها. قال: قلت: والله يا رسول الله مالنا من نمارق، قال: إنها ستكون، فإذا أنت قدمت فاعمل عملاً كيساً، قال: فلما جئنا صراراً أمر رسول الله ﷺ بجزور فنحرت وأقمنا عليها ذلك اليوم، فلما أمسى رسول الله دخل ودخلنا، قال: فحدثت المرأة الحديث، وما قال لي رسول الله ﷺ قالت: فدونك فسمع وطاعة.

قال: فلما أصبحت أخذت برأس الجمل فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله قال: ثم جلست في المسجد قريباً منه، قال وخرج رسول الله ﷺ فرأى الجمل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر، قال: فأين جابر؟ قال: فدعيت له، قال: فقال: يا بن أخي خذ برأس جملك، فهو لك، ودعا بلالاً فقال له: إذهب بجابر فأعطه أوقية.

قال: فذهبت معه فأعطاني أوقية وزادني شيئاً يسيراً. قال فوالله ما زال ينمى عندي ويرى مكانه من بيتنا، حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا، يعني يوم الحرة».

الفصل الحادي والخمسون

غزوة الأحزاب أو الخندق

١- تحالف أحزاب العرب واليهود ضد النبي ﷺ

سماها الله تعالى حرب الأحزاب، لأن أحزاب العرب واليهود تحالفوا فيها على غزو المدينة، لقتل النبي ﷺ، واستئصال بني عبدالمطلب!

كان ذلك في شهر شوال من السنة الرابعة، كما اختاره عدد من المؤرخين ومنهم صاحب الصحيح، وهو الأقرب، والمشهور أنها في السنة الخامسة. ويظهر أنها كانت في أواخر شوال، لأن محاصرة بني قريظة التي كان بعدها مباشرة لمدة أسبوعين، كانت في أواخر ذي القعدة وأوائل ذي الحجة.

وكانوا يحفرون الخندق من شهر رمضان فقد كان خوات بن جبير صائماً وأغمي عليه وهو يعمل في الخندق، فنزلت فيه الآية: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ.. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ. الكافي: ٩٨/٤.

وكان عدد جيش الأحزاب عشرة آلاف على أقل تقدير، وروي بضعاً وعشرين ألفاً، وكانوا عدة فرق: جيش قريش، وجيش هوازن، وبني سُلَيْم، وبني مرة، وبني أشجع، وبني أسد، ثم يهود قريظة في شرقي المدينة.

وكان عدد المسلمين المدافعين عن المدينة تسع مئة، إلى ألف مقاتل.

واستمر الحصار نحو شهر، حتى استطاع بعض فرسان المشركين بقيادة عمرو بن ود

العامري أن يعبروا الخندق، فبرز اليه علي عليه السلام وقتله وقتل بعض من عبر معه، وهرب الباقون. ثم أرسل الله عليهم ريحاً فاضطرب عسكرهم وانهزموا!

واتفقت المصادر على أن تجميع الأحزاب ضد النبي صلى الله عليه وآله فكرة يهودية، فبعد معركة بدر وأُحُد، وإجلاء النبي صلى الله عليه وآله بني النضير لنقضهم ميثاق التعايش، ذهب حاخامات اليهود وزعماؤهم وفداً إلى مكة برئاسة الحاخام كعب بن أسد، وكان هو الذي وقع عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله. «فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبي... فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمداً.. قال أبوسفيان: هذا الذي أقدمكم ونازعكم؟ قالوا: نعم جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله. قال أبوسفيان: مرحباً وأهلاً، أحبُّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد.

زاد في نص آخر قوله: ولكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا! قال النفر: فأخرج خمسين رجلاً من بطون قريش كلها أنت فيهم، وندخل نحن وأنت بين أستار الكعبة حتى نلصق أكبادنا بها، ثم نحلف بالله جميعاً: لايخذل بعضنا بعضاً، ولتكونن كلمتنا واحدة على هذا الرجل، ما بقي منا رجل! ففعلوا، فتحالفوا على ذلك وتعاقدوا، فاتعدوا لوقت وقّتوه.

فقال أبوسفيان: يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا فيه نحن ومحمد، ديننا خير أم دين محمد؟ فنحن عُمار البيت وننحر الكوم «الناقة السمينة» ونسقي الحجيج ونعبدالأصنام؟

قالوا: اللهم أنتم أولى بالحق، إنكم لتعظمون هذا البيت، وتقومون على السقاية وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه. فأنزل الله في ذلك: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً. النساء: ٥١.

فلما قالوا ذلك لقريش نشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله. فخرجت اليهود حتى أتت غطفان، وقيس عيلان، وأخذت قريش في الجهاز، وسيرت في

العرب تدعوهم إلى نصرها، وألَّبوا أحابيشهم ومن تبعهم.

ثم خرجت اليهود حتى جاؤوا بني سُلَيْم، فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش. ثم ساروا في غطفان فجعلوا لهم تمر خيبر سنة وينصرونهم ويسيرون مع قريش إلى محمد إذا ساروا، فأنعمت بذلك غطفان.

ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن..وذكر البعض أن كنانة بن أبي الحقيق جعل نصف تمر خيبر لغطفان في كل عام»! الصحيح من السيرة:٩/٢٥.

وفي سيرة ابن هشام: ٢/٤٠٢: «قال ابن إسحاق: وكان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة: حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق أبو رافع، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق أبو عمار، ووحوح بن عامر، وهوذة بن قيس».

أقول: لاحظ أن جولتهم شملت قبائل تهامة ونجد، وأنهم أعطوا للنجديين موسم ثمار خيبر أجرة على حربهم،كما تعهدوا أن يشاركوهم في المعركة.

وعندما وصل أبوسفيان بجيش الأحزاب إلى المدينة وحاصرها، تحرك اليهود في حصونهم، فقام كعب بنقض عهده مع النبيﷺ ومزق صحيفته، وجمع رؤساء قومه وهم: الزبير بن باطا، وشاس بن قيس، وعزال بن ميمون، وعقبة بن زيد، وأعلمهم بما صنع من نقض العهد! «الصحيح من السيرة: ٨/٤١» لكنهم جبنوا عن الخروج، فتصور أبوسفيان أنهم غدروا به، فساعد ذلك على هزيمته!

٢- كانت قريش تجمع الأحزاب والنبي ﷺ يحفر الخندق

رُوِيَ أن سلمان الفارسي رضي الله عنه اقترح على النبيﷺ أن يحفروا خندقاً حول المدينة لمنع الأحزاب من دخولها، فنزل جبرئيل عليه السلام وأمر النبيﷺ بذلك فخطَّ مكان الخندق وأمر المسلمين بحفره. **ففي رسائل المرتضى**: ٤/١١٧: «أمر النبيﷺ بحفر الخندق وكان قد أشار بحفره سلمان الفارسي، فلما رأته العرب قالوا: هذه مكيدة فارسية. واسم الموضع الذي حفر فيه الخندق المذاد».

ورجح صاحب الصحيح من السيرة: ٩/٧٩ قول الواقدي بأن النبيﷺ هو الذي

أشار بحفر الخندق، فاختلف فيه المسلمون، فتكلم سلمان عن الحكمة فيه، وأن الفرس يخندقون على مدنهم لصد هجوم العدو، فاقتنعوا بحفر الخندق.

ومن مصادرنا شرح الأخبار: ٢٨٧/٢ عن علي عليه السلام أن جبرئيل أمر النبي صلى الله عليه وآله بحفره.

٣- خطَّ النبي صلى الله عليه وآله مكان الخندق وقسَّم العمل فيه

قال في الصحيح من السيرة: ٨٨/٩، **ملخصاً:** إن النبي صلى الله عليه وآله ركب فرساً وخطَّ لهم موضع الخندق، ما بين جبل بني عبيد خَرْبَى إلى راتج، حسب قول الواقدي، وعند القمي: الخندق طولاً من أعلى وادي بطحان غربي الوادي مع الحرة إلى غربي مصلى العيد، ثم إلى مسجد الفتح، ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين في غربي الوادي. وكان طوله نحواً من خمسة آلاف ذراع وعرضه تسعة أذرع، وعمقه سبعة أذرع. وجعل له رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية أبواب، على كل باب رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار مع جماعة، يحفظونه من تسلل العدو.

وكان الخندق من الجهة الغربية الشمالية للمدينة، أما بقية الجهات فكان فيها حواجز طبيعية، تضاريس أو بيوت، يسهل منع العدو من النفوذ منها.

وجعل النبي صلى الله عليه وآله معسكره مقابل الخندق في سفح جبل سلع، فكان الجبل إلى يساره وخلفه، وعن يساره حرة الوبرة الوعرة، وعن يمينه حرة واقم الوعرة.

وتفاوتت الرواية في مدة الحفر ويبدو أنها نحو شهر، وقد عمل فيه المسلمون بسرعة ليتم قبل قدوم الأحزاب، وفرغوا منه قبل وصولهم بثلاثة أيام.

وقسَّم النبي صلى الله عليه وآله العمل فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذباب، والأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل بني عبيد، وجعل لكل قبيلة حداً، وجعل كل أربعين ذراعاً بين عشرة، وبدأ صلى الله عليه وآله بنفسه في حفر الخندق فأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين وعلي عليه السلام ينقل التراب، حتى عرق النبي صلى الله عليه وآله وهو يقول: **لا عيشَ إلا عيش الآخرة. اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين.**

فلما نظر الناس إلى رسول الله ﷺ يحفر، اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب، فلما كان في اليوم الثاني بكَّروا إلى الحفر، وكان ﷺ يحمل التراب على ظهره أو على عاتقه، ثم يجلس حتى يستريح، وجعل أصحابه يقولون: يا رسول الله نحن نكفيك فيقول: أريد مشاركتكم في الأجر. قال أبو واقد: ولقد رأيته يوماً بلغ منه فجلس، ثم اتكأ على حجر على شقه الأيسر.

وكان المسلمون في فقر شديد أيام حفر الخندق، حتى كان النبي ﷺ يشد على بطنه حجراً من الجوع.

وفي عيون أخبار الرضا: ١/٤٣، عن علي عليه السلام قال: «كنا مع النبي ﷺ في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة عليها السلام ومعها كسرة خبز، فدفعتها إلى النبي فقال النبي ﷺ: ما هذه الكسرة؟ قالت: قرصاً خبزتها للحسن والحسين، جئتك منه بهذه الكسرة، فقال النبي ﷺ: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث»!

٤- محاصرة الأحزاب للمدينة

أ. قال الله تعالى يصف جيش الأحزاب: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا. سورة الأحزاب ٩-١١.

في المناقب: ١/١٧٠: «إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ: أي من قبل المشرق. وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ: أي من المغرب.. فخرج إليه أبو سفيان بقريش، والحارث بن عوف في بني مرة، ووبرة بن طريف ومسعود بن جبلة في أشجع، وطليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد، وعيينة بن حصن الفزاري في غطفان وبني فزارة، وقيس بن غيلان وأبو الأعور السلمي في بني سُلَيْم. ومن اليهود حيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وسلام بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس الوالي في رجالهم، فكانوا ثمانية عشر ألف رجل، والمسلمون في ثلاثة آلاف. وكان الكفار على الخمر والغناء والمدد والشوكة، والمسلمون كأن على رؤسهم

الطير لمكان عمرو! والنبي جاثٍ على ركبتيه باسط يديه، باكية عيناه، ينادي بأشجى صوت: يا صريخ المكروبين يا مجيب دعوة المضطرين، إكشف همي وكربي، فقد ترى حالي».

وفي الصحيح من السيرة: ١٧٨/٩ **ملخصاً:** «ذكر ابن سعد أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً. وقال ابن إسحاق كان المسلمون سبع مئة، وقال البخاري كانوا ألفاً أو نحوها، ونرجح قول ابن إسحاق للأمور التالية:

١ - قصة إطعام جابر لأهل الخندق جميعاً وكانوا سبع مئة رجل أو ثمان مئة، أو ألف رجل.

٢ - روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنهم تسع مئة رجل، وقد تكون تسع تصحيفاً لسبع.

٣ - روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أكتبوا لي من تلفظ بالإسلام فكتب حذيفة ألفاً وخمس مئة رجل، وكان هذا عام الحديبية. وما جرى في الخندق يوضح أن عدد سكان المدينة لا يصل إلى الخمسة آلاف نسمة. ووافى المشركون المدينة وأحاطوا بها واختلفت الأقوال في عددهم، فقال المسعودي: سارت إليه قريش وغطفان وسُلَيْم وأسد وأشجع وقريظة ونضير، وغيرهم من اليهود، فكان عدة الجميع أربعة وعشرين ألفاً، منها قريش وأتباعها أربعة آلاف. وقال ابن شهرآشوب: كانوا ثمانية عشر ألف رجل.. وقال المسعودي إنه كان معهم ثلاث مئة فرس وألف وأربع مئة بعير، وقائدهم أبوسفيان صخر بن حرب».

ب. قال في شرح الأخبار: ١/ ٢٩٢: «**ونظر المشركون إلى الخندق فتهيبوا القدوم عليه ولم** يكونوا قبل ذلك رأوا مثله، وقالوا إن هذه لمكيدة ماكانت العرب تعرفها! فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم وخيلهم ورجلهم ويدعون المسلمين: ألا هلم للقتال والمبارزة، فلا يجيبهم أحد إلى ذلك ولا يرد عليهم فيه شيئاً. ولزموا مواضعهم كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله قد عسكروا في الخندق، وأظهروا العدة ولبسوا السلاح ووقفوا في مواقفهم، وتهيب المشركون أن يلجوا الخندق عليهم».

وجعلوا معسكراتهم بعيدة عن الخندق نسبياً حتى لايكونوا في مرمى المسلمين.

«أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد». البحار:٢٠/١٩٩.

«وكان المشركون يتناوبون بينهم فيغدو أبوسفيان بن حرب في أصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً، ويغدو ضرار بن الخطاب الفهري يوماً، فلا يزالون يجيلون خيلهم، ويتفرقون مرة ويجتمعون مرة أخرى، ويناوشون المسلمين ويقدمون رماتهم فيرمون، وإذْ أبوسفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق يطلب مضيقاً من الخندق، فرماهم المسلمون حتى رجعوا.. وكان أسيد بن حضير يحرس في جماعة، فإذا عمرو بن العاص في نحو المائة يريدون العبور من الخندق فرماهم حتى ولوا، وكان المسلمون يتناوبون الحراسة وكانوا في قَرٍّ شديد وجوع. وكان عمرو بن العاص وخالد كثيراً ما يطلبان غرة ومضيقاً من الخندق يقتحمانه، فكانت للمسلمين معهما وقائع في تلك الليالي..

وكان النبي صلى الله عليه وآله يشارك في دفع المشركين عندما يقصدون الخندق، ويوجه المسلمين إلى رميهم بالسهام أو الحجارة فيرجعون. وكان رماة المسلمين على أبواب الخندق وفي نقاط مناسبة، وعمدة سلاحهم الحجارة، وقد جمعوها أيام حفر الخندق: «ويخرج المهاجرون والأنصار في نقل التراب وعلى رؤوسهم المكاتل، ويرجعون بها بعد إلقاء التراب منها، وقد ملأوها حجارة من جبل سلع، وهي أعظم سلاحهم، يرمون بها». إمتاع الأسماع: ١/٢٢٥.

«ومضى على الفريقين قريب من شهر، لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة، حتى أنزل الله النصر». سعد السعود لابن طاووس/١٣٨.

ج. وقع حدثان في أيام الحصار أثّرا على معنويات المسلمين: الأول: نقض بني قريظة عهدهم مع النبي صلى الله عليه وآله وانضمامهم عملياً إلى قريش. والثاني: إصابة سعد بن معاذ

بسهم من المشركين إصابة شديدة! فقد كانت قريش ومن معها من الأحزاب يحاصرون المدينة من غربيها، وكانت مساكن بني قريظة شرقي المدينة «حَرَّة بني قريظة» فكانوا مع الأحزاب طوقاً شبه كامل عليها، وكان خطر بني قريظة يعادل خطر بقية الأحزاب! **قالت أم سلمة رضي الله عنها**: «شهدت معه مشاهد فيها قتال وخوف: المريسيع، وخيبر، وكنا بالحديبية، وفي الفتح، وحنين، ولم يكن من ذلك أتعب لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق! وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة «الطوق» وأن قريظة لا نأمنها على الذراري، فالمدينة تحرس حتى الصباح، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا». إمتاع الأسماع: ٢٣٥/١.

لذلك أمر النبي ﷺ بتجميع النساء والأطفال في «الآطام» أي المباني المحصنة المرتفعة، **قال في الصحيح**: ٢٦٩/٩: **«وكانت حراستهم تتركز على الأمور الرئيسية وهي: ١- مركز قيادة النبي ﷺ. ٢- العسكر. ٣- الخندق. ٤- المدينة. ٥- الرصد لتحركات العدو. ٦- النساء والذراري وتعاهدهم في الآطام. ٧- أبواب الخندق.**

قال النويري وغيره: كان رسول الله ﷺ يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة. وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله ﷺ مع غيره من الأنصار يحرسونه كل ليلة. وكانت المدينة تحرس حتى الصباح يسمع فيها التكبير حتى يصبحوا». والطبقات: ٦٧/٢.

وكان مسؤول الحراسة والعسكر كله علي عليه السلام، **ففي تفسير القمي**: ١٨٦/٢: «وكان رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله، بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم».

وعندما نقض بنو قريظة عهدهم ومزقوا نسخته وأعلنوا الحرب على المسلمين: «كان الخوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش وغطفان.. وهمت بنو قريظة أن يغيروا على المدينة ليلاً، وبعث حيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل ومن غطفان ألف، فيغيروا بهم فجاء الخبر

بذلك إلى رسول الله ﷺ فعظم البلاء». «الإمتاع: ٢٣٣/١». فأرسل النبي ﷺ اليهم «سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وخوات بن جبير، وعبدالله بن رواحة يستخبرون الأمر، فوجدوهم مكاشفين بالغدر والنيل من رسول الله ﷺ! فشاتمهم سعد بن معاذ وكانوا أحلافه وانصرفوا، وكان رسول الله ﷺ أمرهم إن وجدوا الغدر حقاً أن يخبروه تعريضاً لئلا يَفُتُّوا في أعضاد الناس». الصحيح: ١٩٧/٩.

ورفض ثلاثة أشخاص من بني قريظة نقض العهد وخرجوا إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وكانوا معه، وهم «بنو سَعْنة»: أسد وأسيد وثعلبة. الصحيح: ١٣٨/٨.

«وأرسلت قريظة إلى أبي سفيان ومن معه من الأحزاب يوم الخندق، أن أثبتوا فإنا سنغير على بيضة المسلمين من ورائهم». اللمع للسيوطي/٩٣.

وفي **الإمتاع**: ٢٤١/١، أن أبا سفيان ذهب إلى بني قريظة يحثهم على مهاجمة المدينة، فأبوا أن يقاتلوا حتى يأخذوا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً!

وأرسل النبي ﷺ زيد بن حارثة في ثلاث مئة، وأسلم بن حريش في مئتين تتقدمهم خيل المسلمين وأمرهم أن يظهروا التكبير، وشدد على حراسة المدينة من جهة قريظة، وكان يرسل مجموعات الإستطلاع والكمائن، فخافت قريظة!

ورووا قصة صفية عمة النبي ﷺ عندما كانت النساء والذراري في الآطام، قالت: «فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آتٍ، قالت فقلت: يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا ابنة عبدالمطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا! قالت: فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزت ثم أخذت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته. قالت: فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: يا حسان إنزل

إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل. قال: مالي بسلبه من حاجة».
ابن هشام: ٧١١/٣ وأمالي الطوسي/٢٦١.

د. كان الوقت يعمل لصالح المسلمين بسبب فقدان الأحزاب مصدر تموين جيشهم وعلف خيلهم وإبلهم، وبسبب تعدد قياداتهم واختلاف أمزجتهم، فالوقت آخر الصيف وقد أمر النبيﷺ أن يجمعوا غلالهم ولا يتركوا شيئاً خارج المدينة.

قال في إمتاع الأسماع: ٢٢٣/١: «خرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة، وحمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وقادوا معهم ثلاث مائة فرس وكان معهم ألف بعير وخمس مائة بعير.

ولاقتهم سُلَيْم بمر الظهران في سبع مائة يقودهم سفيان بن عبد شمس وهو أبو أبي الأعور السلمي، الذي كان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين، وخرجت بنو أسد وقائدها طليحة بن خويلد الأسدي، وخرجت بنو فزارة في ألف يقودهم عيينة بن حصن، وخرجت أشجع في أربع مائة يقودهم مسعود بن رحيلة.. وخرجت بنو مرة في أربع مائة يقودهم الحارث بن عوف...

وأقبلت قريش في أحابيشها ومن تبعها من بني كنانة حتى نزلت وادي العقيق، ونزلت غطفان بجانب أحد ومعها ثلاث مائة فرس، فسرحت قريش ركابها في عضاة وادي العقيق، ولم تجد لخيلها هناك شيئاً إلا ما حملت من علفها وهو الذرة. وسرحت غطفان إبلها إلى الغابة في أثلها وطرفائها. وكان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر، وأدخلوا حصادهم وأتبانهم. وكادت خيل غطفان وإبلها تهلك من الهزل، وكانت المدينة إذ ذاك جديبة».

هـ. قويت معنويات الأحزاب بنقض بني قريظة عهدهم وإصابة سعد، فكانوا ينتظرون حملة بني قريظة من الشرق، ويطمعون بعبور الخندق من الغرب، فيطبقوا على المسلمين ويستأصلوا النبيﷺ كما زعموا! وقد أرسل النبيﷺ نصف جيشه أو أكثر لحراسة المدينة من بني قريظة، وبقي في من

معـه يحرسـون الخندق الذي يبلغ طوله نحو ثلاث كيلـو مترات، ويصدون محاولات الأحزاب لعبوره. وكان بعضهم ضعافاً وبعضهم ينامون ولذا كان النبيﷺ يشـارك بنفسـه في حراسـة الخندق.«الصحيح: ١٥/٩». وفي ليلـة رد محاولـة للمشركين ثم رجع ونـام: «وإذا بضرار بن الخطـاب وعيينة بن حصن في عدة، فركبﷺ بسـلاحه ثانياً فرماهم المسلمون حتى ولوا وفيهم جراحات». الإمتاع: ٢٣٣/١.

٥- فرَّأكثرالمسلمين في حرب الخندق!

ووبَّخَهـم الله في آيات الأحزاب لخوفهم ونقص إيمانهم ويقينهم، وهدد الذين فروا منهـم ونقضوا عهدهم بأن لايفروا. وسـخرت الآيات مـن مرضى القلوب «المنافقين السياسـيين» لأنهم قالـوا: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُورًا ومدح المؤمنين الصادقين الذين لم ترتجف قلوبهم، لأنهم على يقين بالنصر: قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ.

لقد تجمعت عوامل على المسلمين: منها كثرة جيش الأحزاب، ومحاولاتهم المستمرة للنفـوذ من الخندق. وانضمام بني قريظة لهم، وتهديدهم بالهجوم على المدينة. والأزمة الإقتصادية الشـديدة عليهم. وإصابة سعد بن معاذ. وفعالية قريش واليهود داخل مجتمع المسلمين.

لكـن أكثـر ما أضعفهـم أن بعضهم أخـذ يسـتأذن النبيﷺ ليتفقد بيتـه بحجة أنه قريب من قريظة فيذهب ولايعود! وبعضهم هرب بدون استئذان!

هـذه هي الصورة الصحيحـة للصحابة في غزوة الأحزاب، لكن رواة قريش أخفوا مرضى القلوب، والكاذبين في الإستئذان، والمتخلفين عن العودة. وفرار هؤلاء مخفي لكنه فرار كامل الشروط، فضحه الله بقوله: وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولاً، فسماه فراراً بأشد أسمائه!

وفي حديث ابن عمر، قال: «بعثني خالي عثمان بن مظعون لآتيه بلحاف فأتيت النبي فاسـتأذنته وهـو بالخندق فأذن لي وقال: مـن لقيت فقل لهم إن رسـول الله يأمركم أن ترجعوا، وكان ذلك في برد شـديد، فخرجت ولقيت الناس فقلت لهم إن رسـول الله

يأمركم أن ترجعوا. قال: فلا والله ما عطف عليَّ منهم اثنان أو واحد». رواه الطبراني في الأوسط: ٢٧٥/٥ وصححه في مجمع الزوائد: ١٣٥/٦.

وفي حديث حذيفة، ورواه الحاكم: ٣١/٣ وصححه، ووثقه مجمع الزوائد: ١٣٦/٦: «إن الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب فلم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأتاني رسول الله وأنا جاثم من البرد، وقال: يا ابن اليمان قم فانطلق إلى عسكر الأحزاب فانظر إلى حالهم. قلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما قمت إليك إلا حياء منك من البرد».

وفي حديث عائشة، الذي رواه أحمد: ١٤١/٦ والزوائد: ١٣٨/٦ وحسَّنه، وصفت اختباء جماعة من الصحابة في حديقة، منهم عمر وطلحة، وذكرت أن عمر كان يتخوف من الهزيمة والفرار العام! قالت: «خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، قالت فسمعت وئيد الأرض ورائي يعني حس الأرض، قالت فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحرث بن أوس يحمل مجنه، قالت فجلست إلى الأرض فمر سعدٌ وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد، قالت وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم، قالت: فمر وهو يرتجز ويقول: **ليت قليلاً يدرك الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل!**

قالت: «فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين، وإذا فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه سبغة له يعني مغفراً فقال عمر: ما جاء بك، لعمري والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون بلاء «هزيمة» أو يكون تَحَوُّز «فرار عام»!

قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت لي ساعتئذ فدخلت فيها. قالت فرفع الرجل السبغة عن وجهه فإذا طلحة بن عبيدالله فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله عز وجل»!

فحديث ابن عمر يقول إنهم عصوا أمر النبي ﷺ وظلوا في المدينة إلا من ندر! وحديث حذيفة يقول إنهم تفرقوا عن رسول الله ﷺ ولم يبق معه إلا

اثنا عشر! وحديث عائشة يقول إنها خرجت من الحصن الذي كان فيه النساء وهو حصن بني حارثة في المدينة، «ابن هشام: ٧١٠/٣» وهو في جهة العوالي وليس في جهة الخندق «الحاكم: ٥٠/٤» فمشت باتجاه الخندق فرأت سعداً ذاهباً مع جماعته، فحادت عن الطريق ودخلت في بستان هناك، فوجدت جماعة فيهم عمر وطلحة مختبئين! وكان عمر يتحدث عن احتمال الهزيمة العامة وفرار المسلمين! فيجيبه طلحة: أكثرت الكلام عن الفرار، ونحن لسنا هاربين، بل متحيزون إلى الله!

وينبغي التذكير بأن آية المتسللين: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. نزلت في الفارين من حفر الخندق أو المرابطة عنده، وهي شاملة لهم.

يضاف إلى ما تقدم، شهادة البيهقي في سننه: ٣١/٩: «فلما اشتد البلاء على النبي وأصحابه نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله ﷺ ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل يبشرهم ويقول: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء، فإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله عز وجل مفاتح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله! فقال رجل ممن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمد يعدنا أن نطوف بالبيت العتيق وأن يغنيهم كنوز فارس والروم، ونحن ههنا لا يأمن أحدنا أن يذهب إلى الغائط، والله لما يعدنا إلا غروراً! وقال آخرون ممن معه: إئذن لنا فإن بيوتنا عورة وقال آخرون: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا. وسمى ابن إسحاق القائل الأول: معتب بن قشير، والقائل الثاني: أوس بن قيظي»! وهي تسمية سياسية للتغطية على القائل الحقيقي!

ويضاف إلى ما تقدم شهادة القمي في تفسيره: ١٨٦/٢، قال: «فلما طال على أصحاب رسول الله ﷺ الأمر واشتد عليهم الحصار وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، تكلم المنافقون بما حكى الله عنهم. ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا نافق إلا القليل! وقد كان رسول الله ﷺ أخبر أصحابه أن العرب تتحزب ويجيئون من فوق وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وأنه

ليصيبهم جهد شديد ولكن تكون العاقبة لي عليهم، فلما جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إلا غُرُورًا، وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة فقالوا يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا، فإنها في أطراف المدينة، وهي عورة ونخاف اليهود أن يغيروا عليها.

وقال قوم: هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب، فإن الذي كان يعدنا محمد كان باطلاً كله».

٦- مرضى القلوب يتآمرون على النبي ﷺ مع الأحزاب

كان مرضى القلوب الذين حمَّلوا النبي ﷺ هزيمة أُحُد لأنه لم يشركهم في القيادة: لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأمرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا! كانوا يأتمرون لحل القضية بزعمهم:

١- فأشاعوا فكرة المصالحة مع النجديين بإعطائهم ثلث ثمار المدينة سنوياً لينصرفوا، وقد أحبطها النبي ﷺ باستشارة الزعيمين سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، وهو يعرف أنهما يرفضانها، فرفضاها وانتهت.

وذكر بعضهم أن زعيمي النجديين عيينة والحارث جاءا إلى النبي ﷺ وطلبا منه ذلك، «ابن شيبة: ٥٠١/٨» وكذب بعضهم على النبي ﷺ بأنه هو الذي بعث لهما! «الطبري: ٢٣٨/٢». وأنه كتب عهداً بذلك لعيينة بن حصن رئيس هوازن، ثم تراجع عنه! الصحيح من السيرة ٢٤٢/٩.

٢- طرح بعضهم تسليم النبي ﷺ لقريش فقال: «والله إن ندفع محمداً إليهم برمته نسلم من ذلك»! «كتاب سُلَيم/٢٤٩» لكن ذلك لم يكن ممكناً لهم!

٣- كان مرضى القلوب على صلة بأبي سفيان، وطلب منهم أن يأخذوا نقطة ضعيفة من الخندق ويسهلوا عبورهم منها، فإذا عبروا استغلوا الإضطراب في جيش النبي ﷺ وردموا الثغرة ليعبر جيش الأحزاب، ويقضوا على النبي ﷺ!

ومن المؤشرات على ذلك أن عمرو بن ود وجماعته، أمروا جنودهم أن يتهيؤوا للقتال غداً قبل محاولتهم عبور الخندق، لأنهم كانوا واثقين من نجاح عبورهم!

«مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيؤوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم». الإرشاد: ٧/١٩ وابن هشام: ٧٠٥/٣.

ويدل عليه أنه بمجرد أن عبر فرسانهم ركز النبي صلى الله عليه وآله اهتمامه على الثغرة! فأمر علياً عليه السلام أن يبادر بسرعة فيأخذها، فإن اعترض أحد من «المسلمين» فليقتله!

قال القاضي النعمان في شرح الأخبار: ٢٩٤/١: «وتسلل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر أهل المدينة فدخلوا بيوتهم كالملقين بأيديهم، فاقتحم عمرو بن عبد ود وأصحابه الخندق على المسلمين وهم على هذه الحال، فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ذلك وأن خيلهم جالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وقربوا من مناخ رسول الله، تخوف أن يمدهم سائر المشركين فيقتحموا الخندق فدعى علياً عليه السلام فقال: يا علي إمض بمن خفَّ معك من المسلمين فخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها، فمن قاتلكم عليها فاقتلوه! فمضى علي عليه السلام في نفر جمعوا معه يريدون الثغرة، وقد كان المشركون هموا أن يلجوها، فلما رأوهم وهم أقل من الذين اقتحموها منهم توقفوا لينظروا ما يكون من أمر أصحابهم معهم، وعطف عليهم عمرو بن عبد ود بمن كان معه تعنق بهم خيلهم، حتى قربوا منهم».

كان مسؤول المنطقة التي فيها الثغرة أسيد بن حضير الذي صار فيما بعد من أبطال السقيفة، فقد روى الواقدي أن الأحزاب حاولوا العبور منها وأن سلمان نظر اليها وقال لأسيد: «إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف أن تطفره خيلهم، وكان الناس عجلوا في حفره، وبادروا فباتوا يوسعونه حتى صار كهيئة الخندق». **الصحيح:** ٢٧٩/٩.

كان عرض الخندق تسعة أذرع وعمقه سبعة أذرع، والذراع يساوي نصف متر أو أكثر، «الأوزان والمقادير/٥٦» فيكون عرضه نحو خمسة أمتار وعمقه ثلاثة أمتار ونصفاً. ومن الصعب أن يقفز الفرس هذه المسافة، فيحتمل أن يكون أحدٌ ردم جانب الخندق، ولا يكون ذلك إلا بغياب الحراسة، أو تواطؤ الحراس! وهذا يرجح وجود مؤامرة لعبور الأحزاب فبادر النبي صلى الله عليه وآله، وأمر علياً بقتل من يعترض عمله فيها! ويؤيد ذلك أن العبور كان بعد إصابة سعد بن معاذ رضي الله عنه.

٧- يقين النبي صلى الله عليه وآله بالنصر في غزوة الأحزاب وغيرها

فعندما ضرب النبي صلى الله عليه وآله الصخرة في الخندق وخرج منها ثلاث برقات، قال: «لقد فتح الله عليَّ في ضربتي هذه كنوز كسرى وقيصر! فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا بكنوز كسرى وقيصر، وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلى». الكافي: ٢١٦/٨.

وعندما بلغه أن قريظة نقضوا العهد وأعلنوا الحرب قال: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، أو قال: أبشروا بنصر الله وعونه». الصحيح من السيرة: ١٩٩/٩.

وورد في تفسير قوله تعالى: وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ. أن النبي صلى الله عليه وآله كان أخبرهم أنه سيتظاهر عليهم الأحزاب ووعدهم الظفر بهم، فلما رأوهم تبين لهم مصداق قوله، وكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وآله. البحار: ١٩٥/٢٠.

وفي الكافي: ٥٦١/٢، **عن الإمام الباقر** عليه السلام **قال:** «كان دعاء النبي صلى الله عليه وآله ليلة الأحزاب: يا صريخ المكروبين، ويا مجيب دعوة المضطرين، ويا كاشف غمي اكشف عني غمي وهمي وكربي، فإنك تعلم حالي وحال أصحابي، واكفني هول عدوي، فإنه لايكشف ذلك غيرك». ورويت له صلى الله عليه وآله أدعية أخرى.

وفي مستدرك الوسائل: ٢٨١/٥: «دعا النبي صلى الله عليه وآله على الأحزاب يوم الإثنين ويوم الثلاثاء، واستجيب له يوم الأربعاء بين الظهر والعصر، فعرف السرور في وجهه قال جابر: فما نزل بي أمر غائض وتوجهت تلك الساعة إلا عرفت الإجابة».

٨- من معجزات النبي صلى الله عليه وآله في غزوة الأحزاب

أ- منها: أن سلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن وجماعة، كانوا يعملون في أربعين ذراعاً، فخرجت عليهم صخرة كسَّرت معاولهم: «فصعد سلمان إلى النبي صلى الله عليه وآله وكان في قبة تركية، فأخبره فهبط معه وبطنه معصوب بحجر من الجوع، ورأى شدة المكان فأخذ المعول وضربها ضربة فصدعها، وبرق منها برق أضاء بين لابتي المدينة، فكبَّر تكبيرة وكبر المسلمون، ثم ضربها ثانية فكذلك، ثم الثالثة فكذلك، فصدعها. فأخذ بيد سلمان ورقى، فسألوه فقال: إنه بالبرقة

الأولى أضاءت له قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها، وفي الثانية أضاءت له القصور الحمر من أرض الروم، وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها، وفي الثالثة أضاءت له قصور صنعاء وأخبره جبرئيل بأن أمته ظاهرة عليها! فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق!

فقال المنافقون: ألا تعجبون من محمد يمنيكم ويعدكم الباطل وأنتم تحفرون الخندق من الفَرَق لاتستطيعون أن تبرزوا!

وفي الخصال/٣٩٠: «ثم ضرب الثالثة ففلق بقية الحجر وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا!».

ب- ومنها: قال جابر بن عبدالله: اتفقت مع زوجتي سهيلة بنت مسعود الأنصارية، أن تصلح ما عندهما وهو مد من شعير وشاة غير سمينة ثم ندعو النبي صلى الله عليه وآله إلى الطعام، فسأله النبي صلى الله عليه وآله عما عنده فأخبره. فقال صلى الله عليه وآله كثير طيب، ثم دعا أهل الخندق جميعاً وقال لهم: إن جابراً قد صنع لهم سوراً فأقبلوا معه! قال جابر: فقلت والله إنها الفضيحة! فأتيت المرأة فقلت لها قد جاءك رسول الله وأصحابه أجمعون! فقالت: أنت دعوتهم أو هو دعاهم؟ فقلت: بل هو دعاهم قالت: دعهم هو أعلم! فأكل الجميع حتى شبعوا وقال صلى الله عليه وآله: كلوا واهدوا فإن الناس أصابتهم مجاعة شديدة، فأكلنا وأهدينا فلما خرج رسول الله ذهب ذلك». الصحيح: ١٤٨/٩.

ج- ومنها: قال جابر: «اشتد علينا في حفر الخندق كدانة «صخرة» فشكونا إلى النبي صلى الله عليه وآله فدعا بإناء من ماء فتفل فيه، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو، ثم نضح الماء على تلك الكدانة فعادت كالكندر«لينة»». المناقب: ١٠٣/١.

د- ومنها: أن ابنة بشير بن سعد جاءت بحفنة تمر إلى أبيها وخالها عبدالله بن رواحة، فرآها النبي صلى الله عليه وآله وهي تلتمس أباها وخالها، فأخذها منها في كفه فما ملأتها، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب، ثم أمر فاجتمعوا فجعلوا يأكلون منها حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب! البحار: ٢٤٧/٢٠.

هـ- ومنها: أن أم متعب الأنصارية أرسلت إلى النبيﷺ بقعبة فيها حيْس، وهو في قبته مع أم سلمة فأكلت حاجتها، ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه: هلمَّ إلى عشائه، فأكل أهل الخندق حتى نهلوا، وهي كما هي! الصحيح: ١٥١/٩.

و- ومنها: «لما نزلت الأحزاب على المدينة عبأ أبوسفيان سبعة آلاف رام كوكبة واحدة، ثم قال: إرموهم رشقاً واحداً، فوقع في أصحاب النبيﷺ سهام كثيرة فشكوا ذلك إلى النبيﷺ فلوح إلى السهام بكمه، ودعا بدعوات فهبت ريح عاصفة فردت السهام إلى القوم، فكل من رمى سهماً عاد السهم إليه، فوقع فيه وجرحه». البحار: ٦٤/١٨.

ز. ومنها: قال جابر: «خرج النبيﷺ إلى المسلمين وقال: جدوا في الحفر، فجدوا واجتهدوا ولم يزالوا يحفرون حتى فرغ الحفر، والتراب حول الخندق تل عال فأخبرته بذلك فقال: لا تفزع يا جابر فسوف ترى عجباً، قال وأقبل الليل ووجدت عند التراب جلبة وضجة عظيمة..فلما أصبحت لم أجد من التراب كفاً واحداً». المناقب: ١١٥/١.

٩- جهاد علي عليه السلام في غزوة الأحزاب

جاء في خطبة الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبيﷺ تخاطب الصحابة: «حتى استنقذكم الله برسوله بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُنِيَ ببُهْم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها،فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويطفئ عادية لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، وأنتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون، حتى إذا اختار الله لنبيه دار أنبيائه أطلع الشيطان رأسه فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين»! الطرائف/٢٦٤.

فقد كان علي عليه السلام عضد النبيﷺ في الشدائد، حتى إذا جاء الرخاء وجدته مشغولاً في مهام النبيﷺ، ومعه نفر قليل من الصحابة، أما غيرهم فكان هانئاً في ثمار جهودهم وجهادهم! وفي غزوة الأحزاب كان حامل راية النبيﷺ أي

المسؤول عن كل جيشه، فكان ينفذ خطته في حفر الخندق، ويجمع أدوات الحفر من المدينة، ويستعير عدداً منها من يهود قريظة!«الصحيح: ١٠٣/٩». وكان يُسَرِّعهم في الحفر ليكتمل الخندق قبل وصول جيوش الأحزاب، ولا بد أنه عليه السلام كان يعمل في الحفر بقدر عشرة عمال أقوياء وأكثر، لأنهم رووا أن سلمان رضي الله عنه كان يعمل بقدر عشرة أشخاص، فأصابوه بالعين!

وعند وصول جيوش الأحزاب، باشر علي عليه السلام مهمته في حراسة الأبواب الثمانية للخندق، وتفقد نقاط الضعف التي يمكن أن يطمع العدو بالعبور منها، وأعد رماة السهام والأحجار لمواجهة أي مجموعة من العدو تقترب من الخندق، وكان يشارك في رد محاولاتهم عندما يكون في جبهة الخندق.

وفي نفس الوقت كان يدير الجبهة الشرقية على المدينة، جبهة بني قريظة، بعد أن نقضوا عهدهم وهددوا المدينة! ولا بد أنه عاش مس الجوع في تلك الأيام وكتمه كما عاشه النبي صلى الله عليه وآله وكتمه ثلاثة أيام حتى شد على بطنه حجر المجاعة! ولا بد أن علياً عليه السلام فرح ودمعت عيناه عندما عرف أن فاطمة عليها السلام جاءت للنبي صلى الله عليه وآله بنصف قرص شعير، «عيون أخبار الرضا: ٤٣/١». ولا نعلم هل أكل علي عليه السلام منها عندما عرض عليه النبي صلى الله عليه وآله أم بقي طاوياً؟! لكن المؤكد أن الله يعينه على جوعه وجهده!

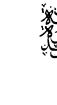

١٠- شهادة سعد بن معاذ بسهم من المشركين

كان سعد بن معاذ رئيس الأوس بل رئيس الأنصار، وهو مسلم قوي فدائي لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي أجابه عندما استشارهم في المضي إلى معركة بدر، فقال: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنا بك وصدقناك، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك»! تفسير القمي: ٢٥٩/١.

وكان سعد رضي الله عنه طويلاً جميلاً، وعاش سبعاً وثلاثين سنة فقط. الطبقات: ٤٣٣/٣. وصلى عليه النبي صلى الله عليه وآله وقال: «لقد وافى من الملائكة سبعون ألفاً وفيهم جبرئيل يصلون عليه، فقلت له: يا جبرئيل بما يستحق صلاتكم عليه؟ فقال: بقراءته قل هو الله أحد قائماً

وقاعداً، وراكباً وماشياً، وذاهباً وجائياً»! الكافي: ٦٢٢/٢.

وكان سعد محباً للنبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام، بصيراً بخطط قريش ضدهم، ولذا قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: «يرحمك الله يا سعد فلقد كنت شجى في حلوق الكافرين! لو بقيت لكففت العجل الذي يراد نصبه في بيضة المسلمين كعجل قوم موسى! قالوا: يا رسول الله أو عجلٌ يراد أن يتخذ في مدينتك هذه! قال: بلى والله يراد! ولو كان سعد فيهم حياً لما استمر تدبيرهم، ويستمرون ببعض تدبيرهم، ثم الله تعالى يبطله. قالوا: أخبرنا كيف يكون ذلك؟ قال: دعوا ذلك لما يريد الله أن يدبره». «تفسير الإمام العسكري/٤٨». وبسبب هذه المكانة الخاصة لسعد رضي الله عنه، لا نستبعد أن يكونوا رموه بسهم عبر الخندق بمساعدة منافقين عملاء لهم!

وفي تفسير القمي: ١٨٧/٢: «كان ابن فرقد الكناني رمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم في الخندق فقطع أكحله، فنزفه الدم فقبض سعد على أكحله بيده ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها فلا أجد أحب إلي محاربتهم من قوم حادوا الله ورسوله، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قريش فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة، فأمسك الدم وتورمت يده، وضرب رسول الله صلى الله عليه وآله له في المسجد خيمة، وكان يتعاهده بنفسه».

هذا وقد رووا أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «اهتز العرش لموت سعد بن معاذ». «صحيح بخاري:٢٢٧/٤». وروينا أن الإمام الصادق عليه السلام سئل عما يقوله الناس، فقال: «إنما هو السرير الذي كان عليه سعد». «معاني الأخبار/٢٨٨ ومعجم السيد الخوئي: ٩٤/٩». أي اهتز سريره كرامة له وليس عرش الله تعالى.

١١- عبور فرسان الأحزاب من ثغرة في الخندق

نرجح أن المشركين اتفقوا مع منافقين على تسهيل عبورهم، فتفاجأ المسلمون ببضعة فرسان عبروا الخندق، وهم: عمرو بن عبد ود العامري، وابنه حسيل،

وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة وثلاثتهم من بني مخزوم، وضرار بن الخطاب، ومرداس، وهما فهريان.

وكان ابن عبد ود فارس العرب يعد بألف فارس، ويسمى فارس يَلْيَل لأنه أقبل في ركب فعرضت لهم بنو بكر في عدد في واد قريب من بدر،فقال لأصحابه: إمضوا، فقام وحده في وجههم ومنعهم من أن يصلوا إليه!

عَبَرَ ابن عبد ودّ ورفقاؤه وأخذوا يجولون ويستعرضون قوتهم، في السبخة التي تحت جبل سلع، مقابل مركز قيادة النبي صلى الله عليه وآله وهي الآن مسجد الفتح، وأخلى المسلمون الذين أمامهم المكان! فلم يهتم النبي صلى الله عليه وآله للعابرين بقدر ما اهتم لسد الثغرة التي عبروا منها، فنادى علياً عليه السلام فأسرع بمن معه لسد الثغرة، وقد يكون مرَّ قريباً من ابن وُد وهو يطلب المبارزة وخلفه جماعته، فقال له إصبر حتى أستأذن النبي في مبارزتك، أو يختار لك من يبارزك، وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله فوجده يحث المسلمين على مبارزة عمرو ويضمن لمن بارزه الجنة، وهم سكوت كأنما على رؤوسهم الطير! فقال علي عليه السلام: أنا له يارسول الله، فأمره بالجلوس، وواصل النبي صلى الله عليه وآله دعوته المسلمين ليتم الحجة عليهم فلم يجبه منهم أحد! فقام علي عليه السلام ثانيةً وقال: أنا له يارسول الله، فقال له: أجلس. وحسب رواية ابن إسحاق: يا علي إنه عمرو، فأجابه: وأنا علي يارسول الله! فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أدن مني، فدنا منه فألبسه عمامته وأعطاه سيفه، ودعا له، وأطلق كلماته الرسولية بحقه.

وتقدم علي عليه السلام مهرولاً نحو عمرو وهو يرتجز، وذهب معه جابر الأنصاري وحذيفة وعمر والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، ليروا النتيجة. وكان ابن ود يستعرض قوته مرةً بسيفه ومرة برمحه، أو يركزه في الأرض ويدور بفرسه حوله، ويقول: أبرز اليَّ يا محمد، ثم يقول: إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار؟ألا يحب أحدكم أن يُقْدِم على الجنة، أو يبعث عدواً له إلى النار؟!

ولقد بححت من الندا ... ء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجا ... ع موقف الخصم المناجز

إني كذلك لـــم أزل متسرعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من كرم الغرائز

وكان عمرو بن عبد ود راكباً، ومشى علي عليه السلام نحوه راجلاً، وهو يقول:

لاتعجلنَّ فقد أتاك مجيب صوتك غيرُ عاجز
ذو نيـــةٍ وبصيـــرةٍ والصدق مُنجي كلِّ فائز
إني لأرجو أن تقـــو م عليك نائحةُ الجنائز
من طعنة نجلاء يبقى ذكرهـــا بين الهزاهـــز

وجرى بينهما كلام طويل، حتى غضب عمرو ونزل عن فرسه وأهوى بسيفه إلى علي عليه السلام بضربة قوية، فتلقاها علي عليه السلام بترسه، فشقت الترس والخوذة والعمامة، ووصلت إلى رأسه عليه السلام فجرحته في قرنه، فانفجر الدم يجري على رأسه وكتفه، ولم يتأخر علي عليه السلام فضربه ضربة حيدرية على ترقوته، كما قال البيهقي وابن إسحاق، فهوى عمرو صريعاً وكبَّر علي عليه السلام بصوته الجهوري فكبر النبي والمسلمون،وتقدم ليحز رأسه فتفل عمرو في وجهه وشتم أمه، فصبر ورجع خطوات، قال: خشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي!

وجاء علي عليه السلام برأس عمرو إلى النبي صلى الله عليه وآله فمسح النبي صلى الله عليه وآله الدم والغبار عن عينيه، ومسح مكان الضربة في رأسه، ورجع علي عليه السلام إلى الثغرة ليقطع الطريق على جماعة عمرو، فطلب منه حسل بن عمرو المبارزة فبرز اليه وقتله ولم يمهله! وهرب عكرمة بن أبي جهل، وضرار الخطاب، ونوفل بن عبدالله المخزومي فلحقهم علي عليه السلام، فأفلت عكرمة بعد أن ألقى درعه، وأفلت ضرار، وعلق نوفل في الخندق فلم تستطع فرسه الصعود من الطرف الآخر، فأخذ المسلمون يرمونه بالحجارة فصاح بهم: قتلةٌ أجمل من هذه! ينزل إليَّ بعضكم أقاتله! فنزل إليه علي عليه السلام، فضربه وقتله.

وفي الطرائف/٦٠، عن أبي هلال العسكري، قال: «أول من قال: جُعلت فداك،

عـليٌّ، لما دعا عمـرو بن عبد ود إلى البراز يوم الخندق ولم يجبـه أحد، قال علي: جعلت فداك يا رسـول الله أتأذن لي؟ قال: إنه عمرو بن عبد ود. قال: وأنا علي بن أبي طالب، فخرج إليه فقتله».

وفي كنز الفوائد/ ١٣٧: «فتقدم إليه ورسول الله ﷺ يقول: برز الإيمان كله إلى الشرك كلـه. فلـما هـم أن يذبحه وهو يكبر الله ويحمده، قال له عمرو: يا علي قد جلسـت مني مجلسـاً عظيماً فإذا قتلتني فلا تسـلبني حلتي! فقال له أمير المؤمنين: هي أهون عليَّ من ذلك! وذبحه وأتى برأسـه وهو يتبختر في مشـيته فقال عمر: ألا ترى يا رسول الله إلى علي كيف يتيه في مشيته؟ فقال رسول الله ﷺ: إنها مشية لايمقتها الله في هذا المقام. ثم نهض رسـول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فتلقاه ومسح الغبار عن عينيه». وانتشر خبر قتل عمرو في المسـلمين كالبرق، ففرحوا واستبشروا، ووقع على الأحزاب كالصاعقة وكان ذلك قبل ظهر يوم الأربعاء.



وواصـل النبي ﷺ دعاءه بعد صـلاة الظهر، فتغير الجو وجـاءت الريح وعصفت بجيـش الأحزاب فاضطربـوا، وأخذوا يفكرون بالإنسـحاب، وباتـوا في ليلة ليلاء، فأرسـل النبي ﷺ اليهـم حذيفـة متنكـراً في الظـلام، فوصـل إلى خيمـة أبي سـفيان واسـتطلع خبرهـم، وفي اليوم التالي بادروا إلى الرحيـل: وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، بعلي عليه السلام، والملائكة، والرياح.

وكان ابن مسعود يقرأ الآية: وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ. بعلي، وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا. **الإرشاد: ١٠٦/١، القمي: ١٨٢/٢، الحاكم: ٣٢/٣ وابن هشام: ٧٠٨/٣.**

ورجـع النبي ﷺ صبيحتها إلى المدينة، وما إن صلى الظهر ووضع لباس حربه حتى جاءه جبرئيل وأمره بغزو بني قريظة، فأرسل علياً عليه السلام أمامه ثم التحق بهم!

١٢- علي عليه السلام يصف غزوة الأحزاب ومبارزته لعمرو

قـال عـلي عليه السلام في جوابه لسـؤال أحـد أحبـار اليهود كـما في الخصـال للصـدوق/٣٦٩: «وأمـا الخامسـة يا أخـا اليهـود، فإن قريشـاً والعـرب تجمعـت وعقدت بينهـا عقداً

وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله ﷺ وتقتلنا معه معاشر بني عبدالمطلب، ثم أقبلت بحدها وحديدها حتى أناخت علينا بالمدينة، واثقة بأنفسها فيما توجهت له، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ، فأنبأه بذلك فخندق على نفسه ومن معه من المهاجرين والأنصار. فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا، ترى في أنفسها القوة وفينا الضعف، ترعد وتبرق! ورسول الله ﷺ يدعوها إلى الله عز وجل ويناشدها بالقرابة والرحم فتأبى، ولا يزيدها ذلك إلا عتواً! وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود، يهدر كالبعير المغتلم، يدعو إلى البراز ويرتجز ويخطر برمحه مرة وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، ولا حمية تهيجه ولا بصيرة تشجعه، فأنهضني إليه رسول الله ﷺ وعممني بيده وأعطاني سيفه هذا، وضرب بيده إلى ذي الفقار، فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواك إشفاقاً عليَّ من ابن عبد ود! فقتله الله عز وجل بيدي، والعرب لا تَعُدُّ لها فارساً غيره، وضربني هذه الضربة، وأومأ بيده إلى هامته، فهزم الله قريشاً والعرب بذلك، وبما كان مني فيهم من النكاية».

١٣- حذيفة رضي الله عنه يصف مبارزة علي عليه السلام لعمرو بن ود

في مناقب علي عليه السلام: ٢٢٢/١، قال ربيعة: «أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبدالله إنا نتحدث في علي وفي مناقبه فيقول لنا أهل البصرة: إنكم لتفرطون في علي وفي مناقبه، فهل أنت تحدثني في علي بحديث؟ فقال حذيفة: يا ربيعة إنك لتسألني عن رجل والذي نفسي بيده لو وضع عمل جميع أصحاب محمد ﷺ في كفة الميزان من يوم بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل علي يوماً واحداً في الكفة الأخرى لرجح عمله على جميع أعمالهم! فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد! فقال حذيفة: وكيف لا يُحتمل هذا يا ملكعان «أحمق»! أين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ثكلتك أمك، وجميع أصحاب محمد يوم عمرو بن عبد ود ينادي للمبارزة، فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً فقتله الله على يديه؟! والذي

نفسي بيده لعمله ذلك اليوم أعظم عند الله من جميع أعمال أمة محمد إلى يوم القيامة».

وفي تفسير مجمع البيان: ١٣١/٨: «عن حذيفة قال: فألبسه رسول الله ﷺ درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعممه عمامته السحاب، على رأسه تسعة أكوار، ثم قال له: تقدم، فقال لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه.

قال ابن إسحاق: فمشى إليه وهو يقول: لاتعجلن فقد أتاك..مجيب صوتك غير عاجز..إلى آخرالأبيات.. قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي.فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهرق دمك! فقال علي عليه السلام: لكني والله ما أكره أن أهرق دمك! فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، فاستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو بالدرقة فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه! وضربه علي على حبل العاتق، فسقط».



وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ١٠/٢، **بسنده عن حذيفة، قال:** «فجاء حتى وقف على عمرو فقال: من أنت؟ فقال عمرو: ما ظننت أني أقف موقفا أُجهل فيه، أنا عمرو بن عبد ود؟ فمن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: الغلام الذي كنت أراك في حجر أبي طالب؟ قال: نعم. قال: إن أباك كان لي صديقاً وأنا أكره أن أقتلك! فقال له علي: لكني لا أكره أن أقتلك، بلغني أنك تعلقت بأستار الكعبة وعاهدت الله عز وجل أن لا يخيرك رجل بين ثلاث خلال إلا اخترت منها خلة؟ قال: صدقوا. قال: إما أن ترجع من حيث جئت. قال: لا تحدث بها قريش. قال: أو تدخل في ديننا فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا. قال: ولا هذه. فقال له علي: فأنت فارس وأنا راجل! فنزل عن فرسه وقال: ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام! ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت ثم أقبل إلى علي وكان رجلاً طويلاً يداوي دبر البعيرة، وهو قائم، وكان علي عليه السلام في تراب دق لا يثبت قدماه عليه، فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلداً من الأرض يثبت قدميه، ويعلوه عمرو بالسيف وكان في درع عمرو قصر فلما تشاك بالضربة تلقاها علي بالترس فلحق ذباب السيف في رأس علي عليه السلام حتى قطعت تسعة

أكوار حتى خط السيف في رأس علي. وتسيَّف عليٌّ رجليه بالسيف من أسفل فوقع على قفاه، فثارت بينهما عجاجة فسمع عليٌّ عليه السلام يكبر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قتله والذي نفسي بيده!

فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله قتله! فحز عليٌّ رأسه ثم أقبل يخطر في مشيته، فقال له رسول الله: يا علي إن هذه مشية يكرهها الله عز وجل إلا في هذا الموضع. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: ما منعك من سلبه فقد كان ذا سلب؟ فقال: يا رسول الله: إنه تلقاني بعورته. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم، وذلك إنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو». والصحيح من السيرة: ٣٣٣/٩ وبعضه المناقب: ٣٢٤/٢.

١٤- رواية تفسير القمي لمبارزة علي لعمرو

قال علي بن إبراهيم القمي رحمه الله **في تفسيره**: ١٨٢/٢: «فمر أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيه وهو يقول: **لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز... الأبيات**. فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وختنه. فقال: والله إن أباك كان لي صديقاً قديماً وإني أكره أن أقتلك! ما أمن ابن عمك حين بعثك إليَّ أن أختطفك برمحي هذا، فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لا حيٌّ ولا ميت؟!

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنة، وأنت في النار، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة! فقال عمرو: وكلتاهما لك يا علي؟ تلك إذا قسمة ضيزى!

قال علي عليه السلام: دع هذا يا عمرو، وإني سمعت عنك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول لايعرضن علي أحد في الحرب ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدة منها،

وأنا أعرض عليك ثلاث خصال، فأجبني إلى واحدة! قال: هات يا علي! قال: أحدها تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قال: نحِّ عني هذه، فاسأل الثانية، فقال: أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله صلى الله عليه وآله فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره. فقال: إذاً تتحدث نساء قريش بذلك، وتنشد الشعراء في أشعارها أني جبنت ورجعت على عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأَّسُوني عليهم!

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فالثالثة أن تنزل إليَّ فإنك راكب وأنا راجل حتى أنابذك. فوثب عن فرسه وعرقبه وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها، ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه، فاتقاه أمير المؤمنين بدرقته فقطعها، وثبت السيف على رأسه.

فقال له علي عليه السلام: يا عمرو أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب، حتى استعنت عليَّ بظهير؟! فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه قطعهما جميعاً، وارتفعت بينهما عجاجة فقال المنافقون قُتل علي بن أبي طالب، ثم انكشف العجاجة فنظروا فإذا أمير المؤمنين على صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فذبحه ثم أخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:

أنا عليٌّ وابن عبدالمطلبْ الموت خيرٌ للفتى من الهربْ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ ماكرتَهُ؟ قال: نعم يا رسول الله، الحرب خُدعة.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير إلى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته. وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً فقال ضرار: ويحك يا ابن صهاك أترميني في مبارزة! والله لئن رميتني لا تركتُ عدوياً بمكة إلا قتلته! فانهزم عنه عمر ومرَّ نحوه ضرار وضربه على رأسه بالقناة ثم قال: **إحفظها يا عمر.. فكان عمر يحفظ له ذلك بعدما وليَ فولاه»!**

وروي أنهم وجدوا جمجمة عمرو بن ود، فكيلت بها كيلجة فاستوعبتها!«مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا/٦٩» **والكيلجة صاع إلا يسيراً المحلى:٥٢٤٥.**

وأراد المشركون شراء جثة عمرو بعشرة آلاف، فقال النبي صلى الله عليه وآله فقال: هو لكم، لانأكل ثمن الموتى! المناقب: ١٧١/١.

١٥- أخ عمرو بن ود يواجه علياً عليه السلام في مكة!

أرسل النبي صلى الله عليه وآله أبابكر ليبلغ سورة براءة إلى المشركين، فنزل جبرئيل بأمر الله تعالى: لايؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك! أحمد: ١٥١/١والخصال/٣٦٩.

فأمر بإرجاعه من الطريق وأرسل بها علياً عليه السلام، فدخل عليٌّ مكة ووقف في الموسم يقرأ عليهم سورة براءة. **قال الإمام الباقر عليه السلام: «لما قرأ قوله تعالى:** بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الأرض أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.. قام خداش وسعيد أخوا عمرو بن ود فقال: وما يسرُّنا على أربعة أشهر، بل برئنا منك ومن ابن عمك فليس بيننا وبين ابن عمك إلا السيف والرمح، وإن شئت بدأنا بك!

فقال علي عليه السلام: أجل أجل، إن شئت، هلموا! ثم واصل عليه السلام تلاوته: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ». المناقب ٣٩٢/١.

١٦- شبّه الإمام الصادق عليه السلام يوم الأحزاب بيوم القيامة!

في الكافي: ٢٧٨/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قام رسول الله صلى الله عليه وآله على التل الذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب في ليلة ظلماء قَرَّة «باردة» فقال: من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة فلم يقم أحد، ثم أعادها فلم يقم أحد! فقال أبو عبدالله بيده: وما أراد القوم، أرادوا أفضل من الجنة؟! ثم قال: من هذا؟ فقال: حذيفة. فقال: أما تسمع كلامي منذ الليلة ولا تَكَلَّم، أقُبِرت؟ فقام حذيفة و هو يقول: القَرُّ والضُّرُّ جعلني الله فداك منعني أن أجيبك. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنطلق حتى تسمع كلامهم وتأتيني بخبرهم! فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله حتى ترده، وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله يا حذيفة لا تحدث شيئاً حتى تأتيني، فأخذ سيفه وقوسه وحجفته.

قال حذيفة: فخرجت وما بي من ضر ولا قر، فمررت على باب الخندق،

وقد اعتراه المؤمنون والكفار. فلما توجه حذيفة قام رسول الله ﷺ ونادى: يا صريخ المكروبين، ويا مجيب المضطرين، إكشف همي وغمي وكربي، قد ترى حالي وحال أصحابي. فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله، إن الله عز ذكره قد سمع مقالتك ودعاءك، وقد أجابك وكفاك هول عدوك، فجثى رسول الله ﷺ على ركبتيه وبسط يديه وأرسل عينيه، ثم قال: شكراً شكراً، كما رحمتني ورحمت أصحابي. ثم قال رسول الله ﷺ: قد بعث الله عز وجل عليهم ريحاً من السماء الدنيا فيها حصى، وريحاً من السماء الرابعة فيها جندل.

قال حذيفة: فخرجت فإذا أنا بنيران القوم، وأقبل جند الله الأول ريح فيها حصى، فما تركت لهم ناراً إلا أذرتها، ولا خباءً إلا طرحته، ولا رمحاً إلا ألقته! حتى جعلوا يترسون من الحصى! فجعلنا نسمع وقع الحصى في الأترسة، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين، فقام إبليس في صورة رجل مطاع في المشركين فقال: أيها الناس إنكم قد نزلتم بساحة هذا الساحر الكذاب، ألا وإنه لن يفوتكم من أمره شيء، فإنه ليس سنة مقام، قد هلك الخف والحافر، فارجعوا ولينظر كل رجل منكم من جليسه! قال حذيفة: فنظرت عن يميني فضربت بيدي فقلت: من أنت؟ فقال: معاوية، فقلت للذي عن يساري: من أنت؟ فقال سهيل بن عمرو! قال حذيفة: وأقبل جند الله الأعظم، فقام أبوسفيان إلى راحلته، ثم صاح في قريش: النجاء النجاء! وقال طلحة الأزدي: لقد زادكم محمد بشر، ثم قام إلى راحلته وصاح في بني أشجع: النجاء النجاء! وفعل عيينة بن حصن مثلها، ثم فعل الحرث بن عوف المزني مثلها! ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها! وذهب الأحزاب، ورجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر! وقال أبو عبدالله عليه السلام: **إنه كان ليشبه يوم القيامة»!**

١٧- ضربة علي عليه السلام غيَّرت ميزان القوى!

فرح النبي ﷺ بقتل علي عمرو بن ود وأخبرهم بأن ميزان القوى قد تغير! قال جابر بن عبدالله الأنصاري: «فما شبهت قتل علي عمراً إلا بما قال الله تعالى من

قصة داود وجالوت، حيث يقول: فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ. وقال رسول الله ﷺ بعد قتله: الآن نغزوهم ولا يغزوننا». إعلام الورى: ٣٨٢/١ والإرشاد: ١٠٢/١، كنز الفوائد/١٣٨ والحاكم: ٣٤/٣، سبل الهدى: ٣٧٩/٤ والخوارزمي/١٧١.

وأدرك رؤساء القبائل أن موجة الإسلام قادمة لامحالة، فأخذوا يفكرون بالتقرب إلى النبي ﷺ وإعلان إسلامهم، ليتجنبوا الخسارة أو يكسبوا موقعاً في دولته الجديدة المتوثبة، فقال عمرو بن العاص لخالد بن الوليد: «والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علوا منكراً»! «تاريخ الطبري: ٣١٣/٢». ووافقه خالد على ذلك، وبعد مدة قليلة جاءا مسلمين بعد الحديبية.

١٨- رسالة أبي سفيان قبل هروبه بجيش الأحزاب!

عندما قرر الأحزاب الإنسحاب كتب أبو سفيان إلى النبي ﷺ بكبرياء: «لقد سرت إليك في جمعنا وإنا نريد ألا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك! فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد تبقر فيه النساء»!

وبعث بها مع أبي أسامة الجشمي، فقرأها له أبيُّ بن كعب، فكتب إليه ﷺ: «أما بعد فقديماً غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر الله يحول بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لاتذكر اللات والعزى! وأما قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق فإن الله تعالى ألهمني ذلك، لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك. وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح! وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأساف ونائلة، وهبل حتى أذكرك ذلك». الصحيح ة: ٤٤٠/٩ والإمتاع: ٢٤٢/١.

١٩- إشادات النبي ﷺ بعلي عليه السلام يوم الأحزاب

روى المسلمون أحاديث النبي ﷺ في الإشادة بعلي عليه السلام وشهاداته بحقه: فمنها: أنه ألبسه درعه وأعطاه ذا الفقار وعممه بعمامته. ولما برز ومشى دعا له:

اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه.

ومنها: أنه رفع عمامته ورفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحرث يوم بدر، وحمزة بن عبدالمطلب يوم أحد، وهذا أخي علي بن أبي طالب، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.

ومنها: أنه علمه دعاء هو: اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أدرأ في نحره.

ومنها: عندما برز اليه قال ﷺ: برز الإيمان كله إلى الشرك كله.

ومنها: قال ﷺ: ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل أمتي إلى يوم القيامة. ضربة علي تعدل عند الله عمل الثقلين. ضربة علي أفضل عند الله من عمل الثقلين!

وأشهرها الحديثان الأخيران، ولا يتسع الكتاب لبحثها. راجع: الصحيح: ٣٣٣/٩ و٣٤٠.

٢٠- معنى قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: وإنك لذو قرنيها

روي أن ذا القرنين: «بعثه الله إلى قومه فضُرب على قرنه الأيمن، فأماته الله خمس مائة عام، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر، فأماته الله خمس مائة عام، ثم بعثه الله إليهم بعد ذلك فملكه مشارق الأرض ومغاربها من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب». وقال رسول الله عن علي عليه السلام: وإن فيكم مثله». الإيقاظ/١٤٥، الدر المنثور: ٢٤١/٤ وفتح القدير: ٣٠٩/٣.

وفسره في القاموس: ٢٥٨/٤، بأنه عليه السلام: «ذو شجتين في قرني رأسه، إحداهما من عمرو بن ود، والثانية من ابن ملجم».

وهذا يؤكد أن ضربة عمرو كانت على قرن رأسه عليه السلام. وفي رواية أن ضربة ابن ملجم وقعت على ضربة عمرو. المناقب: ٣٢٧/٢.

وقد فسر بعضهم بذلك قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام: «يا علي، لك كنز في الجنة وأنت ذو قرنيها، وشيعتك تعرف بحزب الله عز وجل». أمالي الصدوق/٦٥٦.

قال الراغب في المفردات/٤٠١: «وذو القرنين معروف، وقوله عليه الصلاة والسلام

لعلي رضي الله عنه: إن لك بيتاً في الجنة وإنك لذو قرنيها: يعني ذو قرني الأمة، أي أنت فيهم كذي القرنين».

لكن ذكر الصدوق رحمه الله **في معاني الأخبار**/٢٠٦، أن معناه أنه والد الحسنين عليهما السلام لأنهما قرنا الجنة بمعنى قرطيها وزينتها. وفسره بوجه آخر: إنك صاحب الحجة على شرق الدنيا وغربها، وآخذ بقرنيها. وهو مشكل. كما تردد الشريف الرضي في المجازات النبوية/٨٧، في تفسيره بين معان، فذكر قرني الجنة بطرفيها، لأنه يبلغ غايات المثابين فيها، أو بمعنى قرني الأمة بمعنى طرفيها فأنت في أولها والمهدي في آخرها، أو بمعنى صاحب العلم الظاهر والباطن، أو بمعنى أنك رأس الأمة لأن الرأس فيه القرنان، أو المضروب مثله على قرنيه. وكلها لا تخلو من إشكال، وإن كان الأخير أقلها إشكالاً.

وفسره السيد ابن طاووس في سعد السعود/٦٥، **والحر العاملي في الإيقاظ**/١٤٥، بأنه يقصد رجعة أمير المؤمنين عليه السلام بعد موته كما رجع ذو القرنين بعد موته. وهو مشكل، لأنه عليه السلام بعد الرجعة لايضرب على قرنه الآخر.

٢١- النبي صلى الله عليه وآله يكشف علاقة عمر بقادة الأحزاب

لم أجد ذكراً لأبي بكر في غزوة الخندق، لكن ورد ذكر عمر في أربع قضايا:

أولها: حديث عائشة المتقدم وأنه هرب من الخندق مع طلحة واختبآ في بستان وكان عمر يتخوف هزيمة الباقين وطلحة يقول لسنا هاربين بل متحيزون إلى الله!

وثانيها: عندما عبر الخندق عمرو بن عبد ود وجماعته، فأمر النبي صلى الله عليه وآله عمر أن يبرز لضرار بن الخطاب الفهري، وكان أحد الذين عبروا مع ابن ود. ومن الغريب أن كُتّاب السيرة حاولوا تغطية مبارزته لضرار بن الخطاب وعفو ضرار عنه، مع أن ذلك حدث مرتين في أُحُد ثم في الخندق! وقد روته مصادرنا ورواه الواقدي وابن هشام وابن عساكر وغيرهم! بل رووا أن خالد بن الوليد عفا عن عمر في أحد ولم يقتله! **قال ابن هشام**: ٢٨٢/٢: «وكان ضرار لحق عمر بن

الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول: أنج يا بن الخطاب، لا أقتلك، فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه».

وفي تاريخ دمشق: ٣٩٢/٢٤ و٣٩٦: «فكان «ضرار» يقاتل أشد القتال ويحرض المشركين بشعره، وهو قاتل عمرو بن معاذ أخا سعد بن معاذ يوم أحد، وقال حين قتله: لأُعْدَمَنَّ رجلاً زوَّجك من الحور العين! وكان يقول زوجت عشرة من أصحاب محمد! وأدرك عمر بن الخطاب فضربه بالقناة ثم رفعها عنه فقال: يا ابن الخطاب إنها نعمة مشكورة، والله ما كنت لأقتلك».

فما هو السبب في إخفاء أتباعه لذلك؟ وما هو السبب في حب قادة قريش لابن الخطاب، وهم الذين استماتوا لقتل النبيﷺ وعترته، وشخصيات أصحابه!

ثم لماذا أمر النبيﷺ عمر بن الخطاب العدوي أن يبرز إلى ضرار بن الخطاب الفهري، وهو يعلم أن ضراراً يحب عمر، فقد ظفر به في أُحُد وعمر هارب فضربه على ظهره بعرض رمحه وقال له: والله لا أقتلك!

بحث هذا الموضوع في الصحيح من السيرة: ٢٣٥/٦ وذكر فيه قول ضرار حسب رواية الواقدي: «يا ابن الخطاب إنها نعمة مشكورة، والله ما كنت لأقتلك». ثم تساءل: لماذا ما كان ليقتله؟ أليس هو الذي أذل قريشاً كما يدعون وعز به الإسلام كما يزعمون؟ كما كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام فيقول: لقد رأيتُني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا وانهزموا يوم أحد وما معه أحد، وإني لفي كتيبة خشناء فما عرفه منهم أحد غيري، فنكبت عنه وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له، فنظرت إليه متوجهاً إلى الشعب! فلماذا هذه المراعاة من خالد لعمر؟ ولماذا يهنئ أبوسفيان عمر بالنصر الذي أحرزوه على المسلمين،ويقول له: أنعمت عيناً قتلى بقتلى بدر! فأجابه عمر بقوله: إنها!

والقضية الثالثة: التي ذكر فيها عمر في الخندق، أنه أخبر النبيﷺ بنقض بني قريظة عهدهم، فمن أين عرف ذلك؟ راجع: الصحيح من السيرة:٢٧٠/٩.

والقضية الرابعة: عندما غاب بعد قتل عمرو بن ود، وكان الوقت ظهراً، فغاب حتى

المغرب، وجاء من جهة الخندق وقال إنه كان يسب قريشاً إلى المغرب وكادت تفوته الصلاة! وروى البخاري ذلك بروايات، وزعمو أن النبي ﷺ فاتته الصلاة كعمر!

والجواب على التساؤلات: أن النبي ﷺ كان يعلم بعلاقة عمر مع زعماء الأحزاب والمحبة بينهم، ولكنه أراد أن يفهم المسلمون ذلك!

ومن الغريب أن عمر كان قبل يوم فاراً مع طلحة في الحديقة التي آوت اليها عائشة وفيها نساء وأطفال، وأن سعداً مر في ذلك اليوم، ولما وصل إلى الخندق أصيب. وفي اليوم التالي لإصابة سعد كان عمر عند الخندق عندما عبره ابن ود وجماعته، ولعله رجع من الحديقة التي رأته فيها عائشة وبقي طلحة هناك.

وقد ورد أن عمر كان يحب ضراراً فولاه في العراق والشام، وشكاه أبو عبيدة بأنه يشرب الخمر فلم يعزله! وكان عمر يحب شعره ويأمر المغني في طريق الحج أن يغنيه به، فقال ابن عوف لرباح المغني: «غننا، فقال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب»! الإصابة: ٣٩٢/٣.

قال أمير المؤمنين عليه السلام كما في كتاب سُلَيم بن قيس ٢٤٧/: «وقد علموا يقيناً أني أعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه وأفقههم وأقرأهم لكتاب الله، وأقضاهم بحكم الله، وأنه ليس رجل من الثلاثة له سابقة مع رسول الله ﷺ ولا عناء معه في جميع مشاهده، فلا رمى بسهم ولا طعن برمح ولا ضرب بسيف، جبناً ولؤماً، ورغبة في البقاء.

وقد علموا أن رسول الله ﷺ قاتل بنفسه فقتل أبي بن خلف، وقتل مسجع بن عوف وكان من أشجع الناس وأشدهم لقاء وأحقهم بذلك.

وقد علموا يقيناً أنه لم يكن فيهم أحد يقوم مقامي، ولا يبارز الأبطال، ولا يفتح الحصون غيري، ولا نزلت برسول الله ﷺ شديدة قط ولا كربهُ أمرٌ ولا ضيق ومستصعب من الأمر إلا قال: أين أخي علي، أين سيفي، أين رمحي، أين المفرج غمي عن وجهي، فيقدمني فأتقدم فأفديه بنفسي، ويكشف الله بيدي الكرب عن وجهه. ولله عز وجل ولرسوله بذلك المن والطول، حيث خصني

بذلك ووفقني له. وإن بعض من سميت ما كان ذا بلاء ولا سابقة ولا مبارزة قرن، ولا فتح ولا نصر، غير مرة واحدة، ثم فر ومنح عدوه دبره، ورجع يجبن أصحابه ويجبنونه، وقد فر مراراً، فإذا كان عند الرخاء والغنيمة تكلم وتغير، وأمر ونهى.

ولقد نادى ابن عبد ود يوم الخندق باسمه، فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتى تبسم رسول الله ﷺ مما رآى به من الرعب وقال ﷺ: أين حبيبي علي؟ تقدم يا حبيبي يا علي..والله يحكم بيننا وبين من ظلمنا حقنا، وحمل الناس على رقابنا».

أقول: ذكر عليه السلام أن النبي ﷺ قتل شخصين بيده هما أبي بن خلف، وهوابن قميئة حمل عليه في أُحُد ليقتله فطعنه النبي ﷺ بحربة في عنقه فمات منها في مكة. أما مسجع بن عوف فلم أجده فيما لديَّ من مصادر.

٢٢- طعنوا بالنبي صلى الله عليه وآله بأنه فاتته أربع صلوات!

زعموا أن النبي ﷺ انشغل عن الصلاة في معركة الأحزاب حتى ذهب وقتها! فقد روى البخاري: ١٤٧/١: «أن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس، فجعل يسب كفار قريش! قال: يا رسول الله ماكدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب؟ قال النبي ﷺ: والله ما صليتها، فقمنا إلى بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب»!

ومعناه أن الحادثة كانت في يوم قتل علي لعمرو بن ود وهبوب الريح عليهم وكانت يوم أربعاء! وأن النبي ﷺ لم يصل ذلك اليوم العصر، أو فاتته أربع صلوات كما زعمت بعض رواياتهم! وأن عمر ذهب إلى الخندق قبل صلاة العصر، وكان مقابله قرشيون فكان يسبهم ويسبهم ويسبهم إلى قريب المغرب، ولم يضرب أحد منهم الآخر بسهم كما ضربوا سعد بن معاذ، ولا بحجر كما هو دأبهم ودأب المسلمين الذين يواجهونهم! ثم رجع عمر سالماً غانماً وأدرك صلاة العصر على حافة الوقت، فحكى ذلك للنبي ﷺ فقال له أنت خير مني لأني لم أصلها أبداً! فرجعوا إلى المدينة مساء ذلك اليوم والمسافة من الخندق إلى المدينة نحو ساعة فوصلوا إلى بطحان وهو واد

متصل بالمدينة، «فتح الباري: ٣٤٧/٢» فانتظروا النبيﷺ حتى صلى العصر التي فاتته وصلوا المغرب معه!

وهذه المنقبة التي رواها عمر لنفسه لاتصح، لأن رجوعهم إلى المدينة كان في الصباح ووصلوا قبل الظهر أو معه، فنزل جبرئيل وأمرهم بحرب بني قريظة، فقال النبيﷺ لاتصلوا الظهر إلا في بني قريظة.

ولا تصح أيضاً، لأن النبيﷺ كان في خيمته بعد قتل عمرو، وواصل دعاءه حتى هبت الريح على الأحزاب، وفي تلك الليلة بعث حذيفة واستطلع خبرهم.

ولا تصح أيضاً، لأنها تنافي العصمة، وعبودية النبيﷺ الكاملة لربه.

ولأن النبيﷺ لو انشغل عن صلاته لانشغل الذين كانوا معه، فكيف فاتته من دونهم، كما فاتت عمر دونهم، لأنه ذهب إلى نقطة من الخندق!

والذي يصح أن عمر ذهب بعد قتل عمرو والتقى ببعض المشركين وتحدث معهم، وما سبهم ولا سبوه، ففاتته الصلاة، وأراد أن يخفف عن نفسه أو يبرر ذلك لمن لامه، فقال إن النبيﷺ فاتته الصلاة مثله! وأنه هو صلاها قرب مغيب الشمس، بينما لم يصلها النبيﷺ حتى غابت!

قال المحقق البحراني في الحدائق الناضرة: ٣٧٣/٧: «الرواية عن النبيﷺ وأنه شغل عن أربع صلوات يوم الخندق، إنما هي من طرق المخالفين وليس في أخبارنا لها أثر ولا توافق أصولنا». راجع: ألف سؤال وإشكال: ١٧١/١.

٢٣- من شعر الأحزاب ومبارزة علي عليه السلام لابن ود

روى ابن إسحاق وابن هشام: ٧٣٣/٣ شعر حرب الخندق، ومبارزة علي عليه السلام لابن ود، وأورد بعضها في **الصحيح:** ٣٨٢/٩. قال ضرار بن الخطاب الفهري:

ومشفقة تظن بنا الظنونا ... وقد قدنا عرندسة طحونا

كأن زهاءها أحد إذا ما ... بدت أركانه للناظرينا

ترى الأبدان فيها مسبغات ... على الأبطال واليلب الحصينا

وجـرداً كالقـداح مسـوماتٍ نـؤم بهـا الغـواة الخاطئينـا
كأنهـم إذا صالـوا وصلنـا ببـاب الخندقـين مصافحونـا
أنـاس لا نـرى فيهـم رشـيداً وقـد قالـوا: ألسـنـا راشـدينا
فأحجرناهـم شـهراً كريتـاً وكنـا فوقهـم كالقاهريـنـا
نراوحهـم ونغـدو كل يـوم عليهـم في السـلاح مدججينـا
بأيدينـا صـوارم مرهفـات نقـد بهـا المفـارق والشـئونا
كأن وميضهـن معريـات إذا لاحـت بأيـدي مصلتينـا
وميـضُ عقيقـة لمعـت بليـلٍ تـرى فيهـا العقائـق مسـتبينا
فلـولا خنـدق كانـوا لديـه لدمرنـا عليهـم أجمعينـا
ولكـن حـال دونهـم وكانـوا بـه مـن خوفنـا متعوذينـا
فـإن نرحـل فإنـا قـد تركنـا لـدى أبياتكـم سـعداً رهينـا
إذا جـن الظـلام سمعـت نوحـى عـلى سـعد يرجعـن الحنينـا
وسـوف نزوركـم عمـا قريـب كمـا زرناكـمُ متوازرينـا
بجمـع مـن كنانـة غيـر عـزل كأسـد الغـاب قد حمـت العرينا

فأجابه كعب بن مالك الأنصاري:

وسـائلة تسـائل مـا لقينـا ولـو شـهدت رأتنـا صابرينا
صبرنـا لا نـرى لله عـدلاً عـلى مـا نابنـا متوكلينـا
وكان لنـا النـبي وزيرصدق بـه نعلـو البريـة أجمعينـا
نقاتل معشـراً ظلمـوا وعقوا وكانـوا بالعـداوة مرصدينـا
ترانا في فضافض سـابغات كغـدران المـلا متسـربلينا
وفي أيماننـا بيـض خفـاف بها نشـفي مـراح الشـاغبينا

بباب الخندقين كأن أسداً شوابكهن يحمين العرينا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا على الأعداء شوساً معلمينا
لننصر أحمداً والله حتى نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا وأحزاب أتوا متحزبينا
بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنينا
فإما تقتلوا سعداً سفاهاً فإن الله خير القادرينا
سيدخله جناناً طيبات تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريداً بغيظكم خزايا خائبينا

وقال مسافع الجمحي يبكي عمرو بن عبد ود:

عمرو بن عبد كان أول فارسٍ جزع المذاد وكان فارس يلبلِ
سمحُ الخلائق ماجدٌ ذو مرة يبغي القتال بشكة لم ينكل
ولقد علمتم حين ولوا عنكم أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حتى تكنفه الكماة وكلهم يبغي مقاتله وليس بمؤتلي
ولقد تكنفت الأسنة فارساً بجنوب سلع غير نكس أميل
تسل النزال عليُّ فارس غالب بجنوب سلع ليته لم ينزل
فاذهب عليُّ فما ظفرت بمثله فخراً ولاقيت مثل المعضل
نفسي الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتحلحل

وقال الشيخ كاظم الأزري﵀ من قصيدته الأزرية/١٢٤:

ظهرت منه في الوغى سطواتٌ ما أتى القوم كلهم ما أتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن ود لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى إلى المدينة فرداً بسرايا عزائمٍ ساراها

فدعاهم وهو ألوفٌ ولكن ينظرون الذي يشبُّ لظاها
أين أنتم عن قسورٍ عامريٍّ تتقي الأسد بأسه في شراها
فابتدى المصطفى يحدث عما تؤجر الصابرون في أخراها
قائلاً إن للجليل جناناً ليس غير المجاهدين يراها
أين من نفسه تتوق إلى الجنات أو يورد الجحيم عداها
من لعمرو وقد ضمنت على الله له من جنانه أعلاها
فالتووا عن جوابه كسوام لا تراها مجيبة من دعاها
وإذا هم بفارس قرشي ترجف الأرض خيفةً إذ يطاها
قائلاً مالها سواي كفيل هذه ذمة علي وفاها
ومشى يطلب الصفوف كما تم شي خماص الحشا إلى مرعاها
فانتضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها
والى الحشر رنة السيف منه يملأ الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل أجرها ثقلاها
هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها».

ثمان مسائل من قتل عمرو بن عبد ود

المسألة الأولى: نص العلامة في تذكرة الفقهاء: ٨٣/٩: على أن خدعة علي عليه السلام لعمرو في الحرب رواية عامية، قال: (روى العامة أن عمرو بن عبد ود بارز علياً عليه السلام ثم قال: فقال علي عليه السلام: ما برزت لأقاتل اثنين! فالتفت عمرو فوثب علي عليه السلام فضربه، فقال عمرو: خدعتني! فقال علي عليه السلام: الحرب خدعة).

لكن يظهر أن علي بن إبراهيم قبلها، حيث قال في تفسيره: ١٨٢/٢: (فقال له علي: ياعمرو أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت علي بظهير؟ فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه قطعهما جميعاً..

فقال رسول الله ﷺ: يا عليُّ ماكرتَهُ ؟ قال: نعم يا رسول الله، الحرب خُدعة).

كما أفتى بها آقا ضياء العراقي في شرح التبصرة: ٤٠٨/٤، فقال: «نعم تجوز الخدعة في الحرب لفعل علي عليه السلام بعمرو بن عبد ود، وقال عليه السلام: الحرب خدعة ».

لكن صاحب الجواهر: ٢١ /٧٩ وهو أفقه من آقا ضياء، اكتفى بإيرادها، واستدل هو والسيد الخوئي، منهاج الصالحين: ٣٧٣/١ على جواز الخدعة، برواية إسحاق بن عمار المعتبرة أن النبي ﷺ قال يوم الخندق: الحرب خدعة.

والنتيجة: أن الخدعة في الحرب جائزة، لكن بعض فقهائنا توقف في أن علياً عليه السلام استعملها مع عمرو، وبعضهم ثبت عنده ذلك لوجود قرائن على صحة رواية العامة. ولا شك أن التوقف أحوط وأكثر انسجاماً مع صفات علي عليه السلام وأخلاقه.

المسألة الثانية: ذكرت الروايات أنه لما برز علي عليه السلام لعمرو، ذهب معه متفرجون من المسلمين وهم خمسة كما في رواية ابن إسحاق، قال: وتقدم علي عليه السلام مهرولاً نحو عمرو وهو يرتجز، وذهب معه جابر الأنصاري، وحذيفة، وعمر، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، ليتفرجوا.

وقال القاضي المغربي في شرح الأخبار: ٢٩٤/١: (ووقف المشركون من وراء الخندق ينظرون ما يكون منهما. ورفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء يدعو الله عزوجل لعلي بالظفر). ومعناه أن المتفرجين كانوا من الطرفين، فالمشركون من وراء الخندق، والمسلمون أمام خيمة النبي ﷺ في منحدر جبل سلع، عند أول السبخة التي كانت ميدان المبارزة.

المسألة الثالثة: لم يأذن النبي ﷺ لعلي من أول الأمر، رغم سكوت المسلمين وإلحاح عمرو بالنداء، ويبدو أن ذلك لإتمام الحجة عليهم، لكن ذكرت الرواية أنه كان يريد أن يبرز له غير علي عليه السلام لأن فاطمة عليها السلام كانت تخاف عليه!

(في كل ذلك يقوم علي ليبارزه فيأمره النبي ﷺ بالجلوس لمكان بكاء فاطمة عليها السلام عليه من جراحاته في يوم أحد، وقولها ما أسرع أن يوتم الحسن

والحسين باقتحامه الهلكات. فنزل جبرئيل عن الله تعالى أن يأمر علياً عليه السلام بمبارزته، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي أدن مني وعممه بعمامته وأعطاه سيفه، وقال إمض لشأنك.

ثم قال: اللهم أعنه. فلما توجه إليه قال النبي صلى الله عليه وآله: خرج الإيمان سائره إلى الكفر سائره). مناقب آل أبي طالب: ٣٢٥/٢.

المسألة الرابعة: نهى النبي صلى الله عليه وآله عن المثلة بالمقتول حتى لو كان كلباً عقوراً، وكانت المثلة بالأعداء من ثقافة الجاهلية وما زالت، من قطع رؤوسهم وحملها إلى قادتهم والدوران بها في المدن والقرى! وأشهر من حملت رؤوسهم من بلد إلى بلد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه رضوان الله عليهم.

ورووا عن غير طريق أهل البيت عليهم السلام أنهم جاؤوا للنبي صلى الله عليه وآله برؤوس أعدائه، ولا يصح عندنا، ولا تصح روايتهم أن علياً عليه السلام جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله برأس عمرو بن ود، وأنه في خيبر جاء له برأس مرحب. الكامل لابن عدي: ٥٠/٦.

والمرجح عندنا أن معنى قولهم إن أمير المؤمنين عليه السلام ذبحه أو قطع رأسه، أنه أجهز عليه، وليس فيه دلالة على أنه فصل رأسه أو حمله.

ويؤيده أنهم ضعفوا رواية مجيئه برأس عمرو إلى النبي صلى الله عليه وآله مجمع الزوائد: ١٥٢/٦.

كما رووا أن ابن مسعود جاء برأس أبي جهل إلى النبي صلى الله عليه وآله فحمد الله، الإستيعاب: ١٤١٠/٣ وأن أبا بردة بن نيار قال: (جئت يوم بدر بثلاثة أرؤس فوضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله) نهاية ابن كثير: ٣٤٣/٣ وأن جابر الأنصاري قال إن محمد بن مسلمة جاء برأس كعب بن الأشرف إلى النبي صلى الله عليه وآله . الثقات لابن حبان: ٢١٥/١.

لكن هذا لو صح فهو تصرف منهم، ولا بد أن النبي صلى الله عليه وآله أمرهم بدفنها.

فموقف النبي صلى الله عليه وآله الترفع عن التمثيل بالجثامين، والتنزه عن اتخاذها وسيلة للتجارة أو الضغط على العدو. ويؤيد ذلك أن المشركين أرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وآله ليشتروا جثة عمرو بن عبد ود بعشرة آلاف درهم، فقال صلى الله عليه وآله: هو لكم، لانأكل ثمن الموتى! المناقب: ١٧١/١. ويؤيده ما رووه عن الزهري: (لم يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله رأس إلا يوم بدر). سير السرخسي: ١١١/١.

المسألة الخامسة: يناسب أن نذكر بعض من قتلهم الحكام وطافوا برؤوسهم ونصبوها في البلاد ليخوفوا من خالفهم، ومعناه أن ثقافة الجاهلية استمرت في الأمة، وأن ما نراه في عصرنا من وحشية وتمثيل في الجثث، إرث متصل بالجاهلية، ولا صلة له بالإسلام.

قال المؤرخ ابن حبيب في كتابه المحبر/٤٩٠: (ونصب معاوية رأس عمرو بن الحمق الخزاعي، وكان شيعياً، ودير به في السوق. ونصب يزيد بن معاوية رأس الحسين رضي الله عنه وقتل معه العباس وجعفر وعثمان وعبدالله ومحمد وأبابكر بني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وأبو بكر بن الحسن والقاسم وعبدالله ابنا الحسن وعلي وعبدالله بن الحسين وعبدالله وجعفروعبدالرحمن بنو عقيل بن أبي طالب ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل، ومسلم بن عقيل ومحمد وعون ابنا عبدالله بن جعفر رضي الله عنهم، فحملت رؤوسهم إلى يزيد بن معاوية، فنصبها بالشام وبعث برأس الحسين رضي الله عنه فنصب بالمدينة!

ونصب المختار بن عبيد رأس عبيدالله بن مرجانة ورأس الحصين بن نمير السكسكي ورأس شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وكان إبراهيم بن الأشتر قتلهم يوم الحازر وبعث إليه برؤوسهم فبعث برؤوسهم إلى ابن الحنفية، فنصبت رؤوسهم على باب المسجد الحرام، فخرج ابن الحنفية من الطواف فرآها منصوبة فحمد الله وأثنى عليه.

فلما قتل مصعب بن الزبير المختار بعث برأسه إلى عبدالله بن الزبير فنصبه على باب المسجد الحرام وسمر في يد المختار مساراً من حديد إلى جنب المسجد، مسجد الكوفة فلم تزل مسمورة حتى قدم الحجاج فرآها فسأل عنها فأخبر بها فأمر بنزعها. ونصب مصعب بن الزبير رأس إبراهيم بن الحر الجعفي بالكوفة.

ونصب عبدالملك رأس إبراهيم بن الأشتر النخعي، ورأس يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي.

ونصب عبدالملك رأس مصعب بمصر ثم رده فنصبه بدمشق فأخذته عاتكة

بنت يزيد بن معاوية فغسلته وحنطته ودفنته.

ونصب عبدالملك بن مروان رأس عمير بن الحباب السلمي بدمشق.

ونصب الوليد بن يزيد رأس يحيى بن زيد بن علي رضي الله عنه وكان نصر بن سيار أنفذه إليه من خراسان.

ونصب يزيد بن عبدالملك رأس عبدالله بن موسى بن نصير وكان بعث بها إليه بشر بن صفوان الكلبي من إفريقية اتهمه بقتل يزيد بن أبي مسلم.

ونصب يزيد الناقص رأس الوليد بن يزيد في مسجد دمشق ما يلي باب الفراديس، ونصب أيضاً رأس يوسف بن عمر الثقفي بدمشق.

ونصب أبو العباس أمير المؤمنين رأس مروان بن محمد بن مروان بالكوفة. ونصب الهادي رأس دحية بن المعصب بن الأسبغ بن عبدالعزيز بن مروان، وكان قتل بمصر فنصب رأسه ببغداد.

وقتل موسى بن عيسى بن موسى الحسين بن علي بن حسن بن حسن بن علي بفخ في الموسم فنصب الهادي رأسه ببغداد على الجسر، ثم بعث به إلى خراسان وأمه زينب بنت عبدالله بن الحسن. ونصب طاهر بن الحسين بن مصعب رأس محمد بن هارون الأمين ببغداد على باب بستان مؤنسة ثم وجه به إلى المأمون بخراسان فنصبه هناك.

وبعث المأمون إلى الحسن بن سهل وهو بفم الصلح من خراسان برأس علي بن أبي سعيد ورأس عبدالعزيز بن عمران الطائي ورأس خلف المصري ورأس مؤنس التاجر، واتهمهم بدم الفضل بن سهل فنصبها الحسن بن سهل هناك. ونصب المأمون رأس أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي ببغداد.

ونصب المتوكل رأس إسحاق بن إسماعيل التفليسي ببغداد على باب العامة، وكان بغا الكبير أنفذه من أرمينية).

المسألة السادسة: روى في مناقب آل أبي طالب: ٣٨١/١: (لما أدرك علي عليه السلام عمرو بن عبد ود لم يضربه، فوقعوا في علي عليه السلام فرد عنه حذيفة، فقال النبي صلى الله عليه وآله: مه يا حذيفة فإن علياً سيذكر سبب وقفته، ثم إنه ضربه، فلما جاء سأله النبي صلى الله عليه وآله

عـن ذلـك فقال: قد كان شـتم أمي وتفـل في وجهي، فخشـيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله).

وقد يشكل على ذلك بأن علياً عليه السلام ليس عنده ثنائية في الغضب والرضا، فغضبه ورضاه دائماً لله تعالى حتى لو كان لشتم أمه عليها السلام.

لكـن يجـاب عنه بأن حـالات المعصوم عليه السلام في التقـرب إلى الله تعـالى قد تكون متفاوتـة، فأراد أن يقتله وهو في أعلاها مسـتوى، كـما أن عمروا قد يكون تكلم بكلام كثير، فتركه الإمام عليه السلام يتم كلامه ويسجل ذلك في صحيفة عمله.

المسـألة السـابعة: مـن نبـل أمير المؤمنين عليه السلام أنـه ترفـع عن سـلب عمـرو، بل لم أجـد أنـه سـلب أحـداً ممـن قتلهـم! قـال في مناقـب آل أبي طالـب: ٣٨٤/١: (لما أردى عليه السلام عمروا قال عمرو: يا ابن عم إن لي إليك حاجة، لا تكشـف سـوأة ابن عمك ولا تسلبه سلبه، فقال: ذاك أهون علي، وفيه يقول عليه السلام:

وعففـتُ عن أثوابه ولوَانني كنـتُ المقطـرِبَـزَّني أثوابي

محمد بن إسـحاق: قال له عمر: هلا سـلبت درعه فإنها تسـاوي ثلاثة آلاف، وليس للعرب مثلها ؟ قال: إني استحييت أن أكشف ابن عمي.

وروي أن أخـت عمـرو جـاءت ورأتـه في سـلبه، فلـم تحـزن، وقالـت: إنـما قتله كريم.

وقال عليه السلام: يا قنبر لاتُعْرِ فرايسي، أراد لا تسلب قتلاي من البغاة.

إن الأسـود أسـود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وفي تاريـخ الخميـس للديـار بكـري: ٤٨٨/١: (وروىَ أن علياً لمـا قتل عمراً لم يسلبه فجاءت أخت عمرو حتى قامت عليه، فلما رأته غير مسلوب سلبه قالت: مـا قتلـه إلا كفؤ كريم، ثم سـألت عن قاتلـه قالوا: علي بن أبي طالب، فأنشـأت هذين البيتين..)

فنلاحظ أن أمير المؤمنين عليه السلام وفى لعمرو بوعده فلم يسلبه حتى درعه، بينما ظل عمر يلومه على ذلك، ولعل علياً عليه السلام منع عمر من سلبها، ويظهر أن أخت عمرو

جاءت لتأخذ جثته فوجدته بكامل ثيابه ودرعه، فشهدت بنبل علي عليه السلام.

فسبب عدم سلبه لعمرو أنه وعده كما وعد فارس قريش طلحة بن أبي طلحة في أحُد ؟ والأسباب الأخرى التي ذكرتها روايات إن صحت، فهي أعذار مكملة.

المسألة الثامنة: عمرو بن عبد ود قرشي من بني عامر بن لؤي، وهم أقل درجة من بني كعب بن لؤي، ابن هشام:٢/٤٨٩.

وعدوه ثالث شجعان قريش، أي بعد بني عبدالدار وعتبة بن ربيعة، وقد شهد مع المشركين معركة بدر وقتل اثنين من المسلمين: سعد بن خيثمة الأنصاري وهو من النقباء الحاكم:٣/١٨٩ وعمير بن أبي وقاص: الإستيعاب:٣/١٢٢١.

قال الحاكم: ٣/٣٢: (قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، ولم يشهد أحداً، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مشهده).



الفصل الثاني والخمسون

غزوة بني قريظة

١- بنو قريظة آخر من أجلاهم النبي ﷺ من يهود المدينة

كان بنو قينقاع أول اليهود الذين نقضوا عهدهم مع النبي ﷺ، فأجلاهم عن المدينة، وكانوا صاغة ولهم سوق ذهب قرب المدينة. وكان بنو قريظة ملاصقين للمدينة شرقي قباء «حرة قريظة» وبساتينهم في وادي مهزور، وبساتين النضير في وادي بطحان، وهما أخصب أودية المدينة. معجم البلدان: ١/٤٤٦.

وكانت قريظة والنضير أبناء عم لأنهم من ذرية هارون عليه السلام لذا أخذ الحاخام حيي بن أخطب رئيس بني النضير يلح عليهم أن ينقضوا عهدهم مع النبي حتى نقضوه وأعلنوا تحالفهم مع الأحزاب الذين كانوا يحاصرون المدينة.

وكانت الخطة أن تهاجم قريظة المدينة من شرقها، والأحزاب من غربها فيحتلوها! لكن قريظة طلبت من الأحزاب رهائن، حتى لاينسحبوا ويتركوهم وحدهم في مواجهة النبي ﷺ فلم يعطوهم، حتى كانت هزيمة الأحزاب!

وما إن رجع النبي ﷺ إلى المدينة، حتى نزل جبرئيل وأمره بغزو بني قريظة.

٢- بعث النبي ﷺ علياً عليه السلام أمامه فحاصر بني قريظة

روي أن النبي ﷺ خرج لغزوة قريظة يوم السبت لأيام مضت من ذي القعدة وحاصرهم خمساً وعشرين يوماً. المحبر/١١٣ والبلاذري: ١/٣٧٤.

وروى في قرب الإسناد/١٥٧، عن الإمام الباقرعليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علياً يوم بني قريظة بالراية وكانت سوداء تدعى العقاب، وكان لواؤه أبيض».

وفي بصائر الدرجات/٣٤٢، عن ابن أبي يعفور قال قلت لأبي عبداللهعليه السلام: «إنا نقول إن علياً عليه السلام كان ينكت في قلبه أو صدره أو في أذنه. فقال: إن علياً عليه السلام كان محدَّثاً. قلت: فيكم مثله؟ قال: إن علياً عليه السلام كان محدثاً، فلما أن كررت عليه قال: إن علياً يوم بني قريظة والنضير كان جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره يحدثانه»!

وقال في إعلام الورى: ١٩٤/١: «وأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله «بعد الخندق» بالمسلمين حتى دخل المدينة، فضربت ابنته فاطمة عليها السلام غسولاً حتى تغسل رأسه، إذ أتاه جبرئيل على بغلة معتجراً بعمامة بيضاء عليه قطيفة من استبرق، معلق عليها الدر والياقوت عليه الغبار، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح الغبار عن وجهه، فقال له جبرئيل: رحمك ربك وضعت السلاح ولم يضعه أهل السماء! ما زلت أتبعهم حتى بلغتُ الروحاء! ثم قال جبرئيل: إنهض إلى إخوانهم من أهل الكتاب، فوالله لأدقنهم دق البيضة على الصخرة!

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فقال: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة وقال: عزمت عليكم أن لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة. فأقبل علي عليه السلام ومعه المهاجرون وبنو عبدالأشهل وبنو النجار كلها لم يتخلف عنه منهم أحد، وجعل النبي صلى الله عليه وآله يُسَرِّب إليه الرجال، فما صلى بعضهم العصر إلا بعد العشاء، فأشرفوا عليه وسبُّوه وقالوا: فعل الله بك وبابن عمك، وهو واقف لا يجيبهم، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون حوله تلقاه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لا تأتهم يا رسول الله جعلني الله فداك فإن الله سيجزيهم، فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم قد شتموه، فقال: أما إنهم لو رأوني ما قالوا شيئاً مما سمعت! وأقبل ثم قال: يا إخوة القردة، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين! ياعباد الطاغوت إخسؤوا أخساكم الله! فصاحوا يميناً وشمالاً: يا أبا القاسم ما كنت «سباباً» فما بدا لك؟

قال الصادق عليه السلام: فسقطت العنزة من يده، وسقط رداءه من خلفه، ورجع يمشي

إلى ورائه حياءً مما قال لهم! فحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ».

وفي الإرشاد: ١٠٩/١: «قال علي عليه السلام: فاجتمع الناس إلي وسرت حتى دنوت من سورهم، فأشرفوا علي فحين رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو.. وسمعت راجزاً يرجز:

قتل عليٌّ عمراً صاد علي صقرًا.. قصم علي ظهراً.. أبرم علي أمراً.. هتك علي ستراً!

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك. وكان النبي ﷺ قال لي حين توجهت إلى بني قريظة: سر على بركة الله، فإن الله قد وعدك أرضهم وديارهم. فسرت مستيقناً لنصر الله عز وجل، حتى ركزت الراية في أصل الحصن. وأقام النبي ﷺ محاصراً لبني قريظة خمساً وعشرين ليلة حتى سألوه النزول على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم سعد بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء، وقسمة الأموال. فقال النبي ﷺ: يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة». **أي حكم بقتل المقاتلين والمحرضين على النبي ﷺ فقط.**

وفي الصحيح من السيرة: ٧١/١١، **ما حاصله**: «أن النبي ﷺ نزل على بئر من آبارهم في أول أرض بني قريظة عند بئر يقال لها: «أنا» وربط دابته بالسدرة التي في أرض مريم ابنة عثمان وضرب قبته هناك، وشرب من البئر، وصلى في المسجد الذي هناك، وتلاحق به الناس وحصلت لرسول الله ﷺ كرامة حيث لم يكن للمسلمين معسكر ينزلون فيه فقال: ما لكم لا تنزلون! فقالوا: ما لنا مكان ننزل به من اشتباك النخل، فوقف في طريق بين النخل فأشار بيده بمنة ثم يسرة، فانضم النخل بعضه إلى بعض، واتسع لهم الموضع فنزلوا».

٣- بطولة علي عليه السلام في قريظة، ونزول جبرئيل بإمرة المؤمنين له

في الصحيح من السيرة: ٩٠/١١، **ملخصاً**: «نجد الزبير بن بكار يذكر لنا في كتاب المفاخرات نصاً يفيد أن النبي ﷺ قد بعث إلى بني قريظة أكابر أصحابه

فهزموا، فبعث علياً عليه السلام فكان الفتح على يديه، تماماً كالذي جرى في خيبر! فقد روى الزبير بن بكار مناظرة بين الإمام الحسن عليه السلام وبين عمرو بن العاص والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، عند معاوية، فكان مما قاله لهم الإمام الحسن عليه السلام: وأنشدكم الله أيها الرهط أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث علياً عليه السلام بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله. وفعل في خيبر مثلها؟!

في الإحتجاج: ٩٧/١: احتجاج خالد بن سعيد بن العاص على أبي بكر أيام السقيفة:

«قال: إتق الله يا أبابكر، فقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر، وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها ومودعكم أمراً فاحفظوه: ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي.

ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه، اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم شراركم! ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي. اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي، يدركون به نور الآخرة. اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي، فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض».

أقول: لاحظ أن نخبة فرسان قريظة خرجوا من حصنهم بعد اليوم الثالث وبارزوا، فبرز اليهم علي عليه السلام وقتلهم! ولكن رواة السلطة لم يذكروا ذلك، وما رواه أتباع أهل البيت عليهم السلام من ذلك أبادته السلطة فيما أبادت ولم يصل الينا!

٤- قبول قريظة بالنزول على حكم حليفهم سعد بن معاذ

قال ابن هشام: ٧٢٠/٣: «إن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان! وتقدم هو والزبير بن العوام وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن

حصنهم، فقالوا: يامحمد ننزل على حكم سعد».

«فقال كعب بن أسد: يا معشر بني قريظة: والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي الله، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يكن نبياً من بني إسرائيل، فهو حيث جعله الله! ولقد كنت كارهاً لنقض العهد والعقد، ولكن البلاء وشؤم هذا الجالس يعني حيي بن أخطب علينا وعلى قومه، وقومه كانوا أسوأ منا! لايستبقي محمد رجلاً واحداً إلا من تبعه، أتذكرون ما قال لكم ابن حواس حين قدم عليكم فقال: تركت الخمر والخمير والتأمير، وجئت إلى السقاء والتمر والشعير؟! قالوا: وما ذلك؟ قال: يخرج من هذه القرية نبي، فإن خرج وأنا حي اتبعته ونصرته، وإن خرج بعدي فإياكم أن تخدعوا عنه فاتبعوه وكونوا أنصاره وأولياءه، وقد آمنتم بالكتابين كليهما الأول والآخر. قال كعب: فتعالوا فلنتابعه ولنصدقه ولنؤمن به فنأمن على دمائنا ونسائنا وأموالنا، فنكون بمنزلة من معه. قالوا: لا نكون تبعاً لغيرنا، نحن أهل الكتاب والنبوة،ونكون تبعاً لغيرنا». الواقدي: ٥٠١/٢.

وفي المناقب: ١٧٢/١: «فحاصرهم النبي خمساً وعشرين ليلة فقال كعب بن أسد: يا معشر اليهود نبايع هذا الرجل وقد تبين أنه نبي مرسل، قالوا: لا، قال: فنقتل أبناءنا ونساءنا ونخرج إليه مُصْلِتين، قالوا: لا، قال: فنثب عليه وهو يأمن علينا لأنها ليلة السبت، قالوا: لا. فاتفقوا على أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ.. فقتل منهم أربع مائة وخمسين رجلاً، وقسم الأموال واسترق الذراري».

وفي الصحيح من السيرة: ١٠/١١: «وجاؤوا بالأسرى إلى المدينة وجعلوهم في دار أسامة بن زيد ودار بنت الحارث..وكان عدد السبي من الذراري والنساء سبع مئة وخمسين، وقيل كانوا تسع مئة.ويظهر من النصوص أن بني قريظة لم يقتلوا كلهم، بل قتل منهم خصوص من حزَّبَ على النبي ﷺ والمسلمين. ثم جمعت أمتعتهم وأخرج الخمس منها، ثم قسمت للفارس سهمان وللرجل سهم واحد، وكانت خيل المسلمين ستة وثلاثين فرساً، أو ثمانية وثلاثين. أما السبي فبيع

في من يزيد، ثم قسم ثمنه في المسلمين المشاركين في هذه الغزوة، وبعث ﷺ ببعض السبي إلى نجد أو الشام فبيع هناك واشتري سلاح وخيل».

أقول: روى ابن هشام: ٧٢٥/٣ والبيهقي: ١٣٩/٩ «أن النبي ﷺ بعث بسبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بهن خيلاً وسلاحاً»! فكأن الله أراد أن يجعل النجديين أبناء يهوديات، فيبتلي بهم المسلمين!

وقال اليعقوبي: ٥٢/٢: «فانصرف رسول الله ﷺ واصطفى منهم ست عشرة جارية فقسمها على فقراء بني هاشم، وأخذ لنفسه منهن واحدة يقال لها ريحانة. وقسمت أموال بني قريظة ونساؤهم، فكان الفارس يأخذ سهمين والراجل سهماً، وكان أول مغنم أعلم فيه سهم الفارس، وكانت الخيل ثمانية وثلاثين فرساً».

٥- المسلمون الأربعة من بني قريظة

نزل أربعة أشخاص من حصون بني قريظة والتحقوا بالنبي ﷺ وأسلموا، وهم ثلاثة إخوة: أسيد وأسد وثعلبة، أبناء سعية، وعمهم أسد بن عبيد. وقالوا لقريظة في أيام حصار النبي ﷺ لهم: «يا معشر بني قريظة، والله إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وإن صفته عندنا حدثنا بها علماؤنا وعلماء بني النضير، هذا أولهم يعني حيي بن أخطب مع جبير بن الهيبان، أصدق الناس عندنا، هو خبَّرنا بصفته عند موته. قالوا: لا نفارق التوراة. فلما رأى هؤلاء النفر إباءهم، نزلوا في الليلة التي نزلت قريظة فأسلموا، فأمنوا على أنفسهم، وأهلهم، وأموالهم.. و لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير بل كانوا فوق ذلك. وهم نفر من هدل من بني عم قريظة، وليس من هذيل كما في بعض المصادر.. وكان سبب إسلامهم أن ابن الهيبان من يهود الشام قدم على بني قريظة فأقام عندهم، وكان يستسقي لهم أيام القحط فيسقون فحضرته الوفاة، فأخبرهم أن سبب خروجه إلى يثرب هو أنه يتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، مهاجره المدينة ليتبعه، ثم أوصاهم باتباعه». **وقد شكك في الصحيح: ١٠١/١١ في خبرهم ولم ينفه، والظاهر أنه صحيح، فقد ذكره ابن إسحاق: ٦٤/٢، ابن هشام: ١٣٨/١ و ٧١٩/٣، الطبري: ٢٤٨/٢، الدرر/١٧٩، وغيرهم.**

٦- أبو لبابة يخون النبي ﷺ ثم يتوب

أبـو لبابة بن عبدالمنذر، أنصاري أوسي، كان طـرف التحالف مع بني قريظة، وكان بيته قربهم وكانوا يحبونه، فلما حاصرهم النبي ﷺ وأخذ يفاوضهم طلبوا أن يرسله اليهم ليستشيروه، فأرسله فحذرهم من القبول بحكم سعد!

وروى المفسرون أن قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ... وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.. خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. «الأنفال: ٢٧و١٠٢-١٠٣». «نزلت في أبي لبابة بن عبدالمنذر، وكان رسول الله ﷺ لما حاصر بني قريظة قالوا له إبعث الينا أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا لبابة إئت حلفاءك ومواليك فأتاهم فقالوا له: يـا أبـا لبابة ما ترى تنزل على حكم محمد؟ فقـال إنزلوا واعلموا أن حكمه فيكم هو الذبح وأشار إلى حلقه، ثم ندم على ذلك فقال خنت الله ورسوله! ونزل من حصنهم ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ ومر إلى المسجد وشد في عنقه حبلاً ثم شده إلى الأسـطوانة التي تسمى أسـطوانة التوبة، وقال لا أحله حتى أموت أو يتوب الله عليَّ، فبلغ رسـول الله ﷺ فقال: أما لو أتانا لاسـتغفرنا الله له، فأما إذا قصد إلى ربه فالله أولى به. وكان أبو لبابة يصوم النهار ويأكل بالليل ما يمسك به رمقه، فكانت ابنته تأتيه بعشائه وتحله عند قضاء الحاجة، فلما كان بعد ذلك ورسول الله في بيت أم سـلمة نزلت توبته فقال يا أم سـلمة، قد تاب الله على أبي لبابة، فقالت يا رسول الله أفأوذنه بذلك؟ فقال لتفعلن، فأخرجت رأسها من الحجرة فقالت: يـا أبـا لبابة أبشر لقد تـاب الله عليك، فقـال الحمد لله فوثب المسـلمون ليحلوه فقال: لا والله حتى يحلني رسول الله! فجاء رسول الله فقال يا أبا لبابة قد تاب الله عليك توبة لو ولدت من أمك يومك هذا لكفاك، فقال يا رسـول الله أفأتصدق بـمالي كله؟ قال: لا، قال: فبثلثيه؟ قال: لا، قـال فبنصفه؟ قال: لا، قال: فبثلثه؟ قال نعم. فأنزل الله: وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ». تفسير القمي: ٣٠٣/١ وابن هشام: ٧١٨/٣.

وفي من لايحضره الفقيه: ٥٧٠/٢: «إن كان لك بالمدينة مقام ثلاثة أيام، صمت يوم الأربعاء وصليت ليلة الأربعاء عند أسطوانة التوبة، وهي أسطوانة أبي لبابة التي ربط نفسه إليها، وتقعد عندها يوم الأربعاء ثم تأتي ليلة الخميس الأسطوانة التي تليها مما يلي مقام النبي فتقعد عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الخميس، ثم تأتي الأسطوانة التي تلي مقام النبي ﷺ ومصلاه ليلة الجمعة فتصلي عندها ليلتك ويومك وتصوم يوم الجمعة. وإن استطعت أن لا تتكلم بشئ هذه الأيام إلا بما لابد منه، ولا تخرج من المسجد إلا لحاجة، ولاتنام في ليل ولانهار إلا القليل، فافعل». ونحوه كامل الزيارات/٦٦.

وفي تفسير أبي حمزة الثمالي/١٩٢: «بلغنا أنهم ثلاثة نفر من الأنصار: أبو لبابة بن عبدالمنذر، وثعلبة بن وديعة، وأوس بن حزام، تخلفوا عن رسول الله ﷺ عند مخرجه إلى تبوك فلما بلغهم ما أنزل الله فيمن تخلف عن نبيه، أيقنوا بالهلاك وأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد، فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلون أنفسهم حتى يكون رسول الله يحلهم، وقال رسول الله ﷺ: وأنا أقسم لا أكون أول من حلهم إلا أن أؤمر فيهم بأمر، فلما نزل: عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، عمد رسول الله إليهم فحلهم فانطلقوا فجاءوا بأموالهم إلى رسول الله فقالوا: هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال ﷺ: **ماأمرت فيها فنزل**: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا.. **الآيات**».

وفي تفسير العياشي: ١١٦/٢، **عن الإمام الصادق** عليه السلام، أن أبا لبابة كان أحد الثلاثة الذين خلفوا. **وفي تفسير الثعالبي**: ٢١٠/٣: «وقالت فرقة عظيمة: بل نزلت هذه الآية في شأن المخلفين عن غزوة تبوك».

وقد توقف في الصحيح من السيرة: ١٠/١١، في قصة أبي لبابة. ويبدو أن القصة حدثت مرة لأبي لبابة وحده، ثم كررها مع من تخلفوا معه عن غزوة تبوك، وكانوا حسب الآية ثلاثة، وفي راوية أنهم كانوا بضعة عشر شخصاً غير أبي لبابة.

٧- قصة أبي لبابة دليل على أفضلية التوسل

قال رسول الله ﷺ لما بلغه أن أبا لبابة ربط نفسه بأسطوانة المسجد تائباً: «أما لو أتانا لاستغفرنا الله له، فأما إذا قصد إلى ربه فالله أولى به». وهو يدل على وجود طريقين لدعاء الله تعالى: مباشر، وبالتوسل بالنبي ﷺ وأن طريق التوسل أسرع.

قال الله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. النساء:٦٤.

وهو كقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ. يشمل المجيء إلى الرسول ﷺ في حياته، والمجيء إلى قبره الشريف بعد وفاته. كما يشمل المجيء إلى إبراهيم عليه السلام بالحج والعمرة.

ففي الكافي: ٥٥٠/٤: «ثم تأتي قبر النبي ﷺ ثم تقوم فتسلم على رسول الله ﷺ ثم تقوم عند الأسطوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن عند رأس القبر عند زاوية القبر وأنت مستقبل القبلة ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر ومنكبك الأيمن مما يلي المنبر، فإنه موضع رأس رسول الله ﷺ وتقول..اللهم إنك قلت: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ..وإني أتيت نبيك مستغفراً تائباً من ذنوبي وإني أتوجه بك إلى الله ربي وربك ليغفرلي ذنوبي».

وقال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ. «المائدة: ٣٥»، وهي أمر بالتوسل تشمل التوسل بالأعمال الصالحة، وبالأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم السلام ففي تفسير القمي: ١٦٨/١: «اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ. فقال: تقربوا إليه بالإمام».

وروى الطرفان عن عائشة في علي عليه السلام والخوارج «شرح الأخبار: ١٤١/١»: قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى الله وسيلة».

الى آخر ما ورد في التوسل من الآيات والأحاديث، وهي تدل على أن التوسل أفضل من الطلب بدونه، فالقول بأنه ينافي التوحيد جهالة، ورفض الوهابية التوسل مخالف لعقائد الإسلام، كفرض المشركين التوسل بأصنامهم.

٨- حاول اليهود أن يجعلوا من قتلى قريظة ظلامة يهودية

حاول اليهود ومن تبعهم من الغربيين أن يجعلوا من بني قريظة ظلامةً لليهود، وتناسوا أنهم كانوا معاهدين للنبيﷺ فنقضوا عهدهم ومزقوه، وانضموا إلى الأحزاب، بعد نشاطهم وتجوال حاخاماتهم على قبائل العرب يجمعونهم لقتال النبيﷺ ويعطونهم المال، وكان أبرز الناشطين الحاخام حيي بن أخطب.

ففي تفسير القمي: ١٩١/٢ **والواقدي**: ٥١٤/١: «ثم قدم حيي بن أخطب فقال له رسول الله ﷺ: يا فاسق كيف رأيت صنع الله بك؟ فقال: والله يا محمد! ما ألوم نفسي في عداوتك، ولقد قلقلت كل مقلقل وجهدت كل الجهد، ولكن من يخذل الله يخذل! ثم قال حين قدم للقتل:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يُخذلِ

فقدم فضرب عنقه».

وفي الإمتاع: ٢٠٦/٤: «فإنهم نقضوا العهد، وحزبوا الأحزاب، وجمعوا وحشدوا، وأظهروا له العداوة، بعد ما هموا بإلقاء الرحى عليه، لما أتاهم يستعين بهم في دية بعض أصحابه».

وإنما قتل النبيﷺ منهم من عمل في نقض العهد وساعد الأحزاب لما حاصروا المدينة.

٩- دراسة عمر عند بني قريظة وعلاقته الوطيدة معهم

كان بيت عمر بعيداً عن مسجد النبيﷺ **فقد سكن في العوالي قرب بني قريظة ولبعد المسافة كان يذهب بين يوم وآخر! قال عمر كما في البخاري**: ٣١/١: «كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم..».

وكان يحضر دروس بني قريظة في كنيسهم، قال «إني كنت أغشى اليهود يوم دراستهم، فقالوا: ما من أصحابك أحد أكرم علينا منك، لأنك تأتينا»! الدر المنثور: ٩٠/١، عن مسند ابن أبي شيبة وإسحاق بن راهويه في مسنده وابن جرير وابن أبي حاتم.

وطمع اليهود بعمر فعرَّبوا بعض التوراة وأخذها إلى النبيﷺ ليعترف بها! قال عمر: «يا رسول الله إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك؟ قال فتغير وجه رسول الله..الحديث، وفيه: والذي نفس محمد بيده لو أصبح موسى فيكم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم». «فتح الباري: ٤٣٨/١٣». لكن عمر أصر وجاء إلى النبيﷺ ثانيةً فقال: «يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق! فتغير وجه رسول اللهﷺ فقال عبدالله بن زيد الذي أري الأذان: أمَسَخَ الله عقلك؟ ألا ترى الذي بوجه رسول الله! فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً»! مجمع الزوائد: ١٧٤/١.

ثم جاءه ثالثة فقال: «انطلقت في حياة النبيﷺ حتى أتيت خيبر فوجدت يهودياً يقول قولاً فأعجبني فقلت: هل أنت مكتبي بما تقول؟ قال: نعم، فأتيته بأديم فأخذ يملي علي فلما رجعت قلت: يا رسول الله إني لقيت يهودياً يقول قولاً لم أسمع مثله بعدك! فقال: لعلك كتبت منه؟ قلت: نعم قال: إئتني به، فانطلقت فلما أتيته قال: أجلس إقراه فقرأت ساعة ونظرت إلى وجهه فإذا هو يتلون فصرت من الفرق لا أجيز حرفاً منه، ثم رفعته اليه ثم جعل يتبعه رسماً رسماً يمحوه بريقه وهو يقول: لاتتبعوا هؤلاء فإنهم قد تهوكوا حتى محا آخر حرف» كنزالعمال: ٣٧٠/١.

وجاءه مرة رابعة: «أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي فغضب وقال أمتهوكون فيها يابن الخطاب! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية! لا تسألوهم عن شئ فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به! والذي نفسي بيده لو أن موسى كان فيكم حياً ما وسعه إلا أن يتبعني». مجمع الزوائد: ١٧٤/١.

وجاءه مرة خامسة: «مر برجل يقرأ كتاباً فاستمعه ساعة فاستحسنه فقال للرجل أكتب لي من هذا الكتاب قال نعم فاشترى أديماً فهيأه ثم جاء به إليه

فنسخ له في ظهره وبطنه ثم أتى النبي». الدارمي: ١١٥/١ والدر المنثور: ٤٨/٢ و١٤٨/٥.

وجاء مرة سادسة ليجيزه النبي ﷺ أن يدرس التوراة عند اليهود فقال له: «لاتتعلمها وآمن بها وتعلموا ما أنزل اليكم وآمنوا به». الدر المنثور ١٤٨/٥.

وجاءه مرة سابعة قال عمر: «يا رسول الله إن أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا وقد هممنا أن نكتبها! فقال: يا ابن الخطاب أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولكني أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً»! الدر المنثور: ٥/ ١٤٨.

وفي مرة ثامنة ساعدت حفصة أباها: «جاءت إلى النبي بكتاب من قصص يوسف في كتف فجعلت تقرؤه عليه والنبي يتلون وجهه فقال: والذي نفسي بيده لو أتاكم يوسف وأنا بينكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم» عبدالرزاق: ١١٠/١١.

ومع ذلك استمر عمر مع مجموعته بالحضور عند اليهود، حتى رآه النبي ﷺ يوماً يحمل كتاباً فقال له: «ما هذا في يدك يا عمر؟! فقلت: يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علماً إلى علمنا! فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالت الأنصار: أغضب نبيكم، السلاح السلاح! فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا، ولا يغرنكم المتهوكون! قال عمر: فقمت فقلت رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبك رسولاً». الزوائد: ١/ ١٧٣. راجع تدوين القرآن للمؤلف/٤١٦.

واتفق النبي ﷺ مع عروة بن مسعود أن يحرك قريظة لطلب رهائن من قريش كشرط لهجومهم فقال عمر: «يا رسول الله، أمر بني قريظة أهون من أن يؤثر عنك شيء من أجل صنيعهم! فقال: الحرب خدعة يا عمر»! السيرة الكبير: ١٢١/١.

وعندما اتفق معهم النبي ﷺ على أن ينزلوا على حكم سعد، كان عمر حاضراً وكان يسمع تحرق سعد للإنتقام منهم، فأرسل لهم إشارة أن لايقبلوا بحكم سعد لكنهم لم

يفهموا إشارته لأنه كانوا مرعوبين! قال أحمد بن حنبل في مسنده:١٤٢/٦: «وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فأتيَ به على حمار عليه أكاف من ليف، قد حُمل عليه وحَف به قومه.. فلما طلع على رسول الله قال: قوموا إلى سيدكم فأنزلوه، فقال عمر: سيدنا الله عز وجل». وصحيح ابن حبان: ٥٠٠/١٥ والطبقات: ٤٢٣/٣.

وفي أخبار الدولة العباسية/٢١٤: «قوموا إلى سيدكم، فقال عمر بن الخطاب: الله سيدنا ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: وسعد سيدك يا عمر»!

أقول: في قوله ﷺ إن سعد سيدك أنت أيضاً يا عمر، إشارة إلى أن عمر معهم!

الفصل الثالث والخمسون

غزوة بني المصطلق أو المُريَسيع

١. خلاصة الغزوة

بنو المُصْطَلِق بن سعد: بطن من خزاعة أقرب إلى الحضريين، وكانت خزاعة تغلبت على مكة، حتى أخرجهم قصي جد النبي ﷺ. «الكافي: ٢١٩/٤». والمُرَيْسِيع: ماء لهم قرب الفرع بناحية بدر وقديد من ساحل البحر. معجم البلدان: ١١٨/٥ ومعجم قبائل العرب: ٥/١ و٣٣٨.

وكانت خزاعة حليفة لعبدالمطلب وبني هاشم، وكان بنو المصطلق وبنو الهون من خزاعة حلفاء بني أمية. «معجم البلدان: ٢٧٨/٦». وقد شاركوا في حرب الأحزاب بقيادة يزيد بن الحليس. «تفسير مقاتل: ٤١/٣». ولا يبعد أن يكون أبوسفيان حرَّكهم لغزو المدينة فبلغ ذلك النبي ﷺ فغزاهم قبل أن يكملوا استعدادهم لحربه!

ففي إعلام الورى: ١٩٦/١: «ثم كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة، ورأسهم الحارث بن أبي الضرار، وقد تهيؤوا للمسير إلى رسول الله ﷺ، وهي غزوة المريسيع وهو ماء، وقعت في شعبان سنة خمس».

«وكان سيدهم الحارث بن أبي ضرار، دعا قومه ومن قدر عليه من العرب، إلى حرب رسول الله ﷺ فأجابوه وتجمعوا، وابتاعوا خيلاً وسلاحاً، وتهيؤوا للحرب والمسير معه، فبلغ رسول الله ﷺ فأرسل بريدة بن الحصيب الأسلمي ليتحقق ذلك، فأتاهم ولقي الحارث وكلمه مظهراً أنه منهم، وقد سمع بجمعهم ويريد الإنضمام بقومه ومن أطاعه

إليهم، وعرف منهم صدق ما بلغهم عنهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره بأنهم يريدون الحرب. فلما أخبر بريدة النبي ﷺ بصحة ما بلغه دعا الناس فأسرعوا الخروج، فخرج معه سبع مئة، ومعهم ثلاثون فرساً، منها عشرة للمهاجرين وعشرون للأنصار».

«وكان شعار المسلمين يومئذ: يا منصور أمت أمت، فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر النبي ﷺ أصحابه فحملوا على الكفار حملة واحدة فقتل منهم عشرة، وأسر الباقون، ولم يفلت منهم أحد، وسبوا الرجال والنساء والذراري، وأخذوا الشاء والنعم، وكانت الإبل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف، والسبي مائتي أهل بيت.

قال الحلبي: واستعمل على الغنائم شقران، ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد. وبعث ﷺ أبا نضلة أو أبا ثعلبة أو أبا نملة الطائي، بشيراً إلى المدينة بفتح المريسيع. ولما رجع المسلمون بالسبي قدم أهاليهم فافتدوهم».

«وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً. وقدم المدينة لهلال شهر رمضان المبارك. وكانت هذه الغزوة ضربة موفقة لقريش، أسفرت عن نتائج حاسمة. في منطقة كانت إلى الأمس القريب تقع في نطاق النفوذ المكي».

الصحيح من السيرة: ١١/٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٠ و٢٩١.

وروى في المناقب: ١/٩٢: «كان يتفجر الماء من بين أصابعه ﷺ لما وضع يده فيها حتى شرب الماء الجيش العظيم، وسقوا وتزودوا في غزوة بني المصطلق. وفي رواية علقمة بن عبدالله أنه وضع يده في الإناء فجعل الماء يفور من بين أصابعه فقال: حي على الوضوء والبركة من الله، فتوضأ القوم كلهم.

وفي حديث أبي ليلى: شكونا إلى النبي ﷺ من العطش، فأمر بحفرة فحفرت فوضع عليها نطعاً ووضع يده على النطع، وقال: هل من ماء؟ فقال لصاحب الإداوة: صب الماء على كفي واذكر اسم الله ففعل، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ حتى رويَ القوم وسقوا ركابهم».

٢. علي عليه السلام صاحب الراية في المريسيع وبطل الفتح

قال المفيد في الإرشاد: ١١٨/١: «ثم كان من بلائه عليه السلام ببني المصطلق ما اشتهر عند العلماء، وكان الفتح له عليه السلام في هذه الغزاة، بعد أن أصيب يومئذ ناس من بني عبد المصطلق، فقتل أمير المؤمنين عليه السلام رجلين من القوم وهما مالك وابنه وأصاب رسول الله صلى الله عليه وآله منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين. وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، وكان الذي سبا جويرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فجاء بها إلى النبي فاصطفاها، فجاء أبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله بعد إسلام بقية القوم فقال: يا رسول الله إن ابنتي لا تسبى، إنها امرأة كريمة. قال: إذهب فخيرها، قال: أحسنت وأجملت، وجاء إليها أبوها فقال: يا بنية لا تفضحي قومك! فقالت له: قد اخترت الله ورسوله. فقال لها أبوها: فعل الله بك وفعل، فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله وجعلها في جملة أزواجه».

«فلما سمع القوم ذلك، أرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فما علم امرأة أعظم بركة على قومها منها». المناقب: ١٧٣/١.

«قال ابن إسحاق: وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس كثير، وقتل علي بن أبي طالب منهم رجلين مالكاً وابنه، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له أحر أو أحيمر. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أصاب منهم سبياً كثيراً فقسمه في المسلمين». ابن هشام: ٧٦١/٣ والطبري: ٢٦٣/٢.

وفي دعائم الإسلام: ٣٧٠/١، **عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال**: «لا يغزى قوم حتى يُدْعَوْا، وإن أكدت الحجة عليهم بالدعاء فحسن، وإن قوتلوا قبل أن يُدْعَوْا إذا كانت الدعوة قد بلغتهم فلا حرج. وقد أغار رسول الله صلى الله عليه وآله على بني المصطلق وهم غارُّون، يعني غافلون، فقتل مقاتلتهم وسبا ذراريهم ولم يدعهم في الوقت. قال علي صلوات الله عليه: قد علم الناس اليوم ما يُدْعَوْنَ إليه».

٣. أرسل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام لقتال الجن

في منهاج الكرامة/١٧١: «ماروا ه الجمهور من أن النبي صلى الله عليه وآله لما خرج إلى بني المصطلق جَنَبَ عن الطريق وأدركه الليل، فنزل بقرب واد وعر، فهبط جبرئيل آخر الليل وأخبره أن طائفة من كفار الجن قد استبطنوا الوادي يريدون كيده وإيقاع الشر بأصحابه، فدعا بعلي عليه السلام وعوذه، وأمره بنزول الوادي فقتلهم عليه السلام».

وفي الإرشاد: ٣٣٩/١: «فدعا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقال له: إذهب إلى هذا الوادي، فسيعرض لك من أعداء الله الجن من يريدك، فادفعه بالقوة التي أعطاك الله عز وجل، وتحصن منه بأسماء الله التي خصك بعلمها. وأنفذ معه مائة رجل من أخلاط الناس وقال لهم: كونوا معه وامتثلوا أمره. فتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الوادي فلما قارب شفيره أمر المائة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير، ولا يحدثوا شيئاً حتى يأذن لهم.

ثم تقدم فوقف على شفير الوادي، وتعوذ بالله من أعدائه، وسمى الله عز وجل وأومأ إلى القوم الذين تبعوه أن يقربوا منه فقربوا، فكان بينهم وبينه فرجة مسافتها غلوة، ثم رام الهبوط إلى الوادي فاعترضته ريح عاصف كاد أن يقع القوم على وجوههم لشدتها، ولم تثبت أقدامهم على الأرض من هول ما لحقهم! فصاح أمير المؤمنين: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وصيُّ رسول الله وابن عمه، أثبتوا إن شئتم! فظهر للقوم أشخاص على صورة الزط تخيل في أيديهم شعل النار قد اطمأنوا بجنبات الوادي، فتوغل أمير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلو القرآن ويومئ بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبثت الأشخاص حتى صارت كالدخان الأسود، وكبَّر أمير المؤمنين عليه السلام ثم صعد من حيث انهبط، فقام مع القوم الذين اتبعوه حتى أسفر الموضع عما اعتراه. فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لقيت يا أبا الحسن؟ فلقد كدنا أن نهلك خوفاً وإشفاقاً عليك أكثر مما لحقنا. فقال لهم: إنه لما تراءى لي العدو جهرت فيهم بأسماء الله عز وجل فتضاءلوا، وعلمت ما حل بهم من الجزع فتوغلت الوادي غير خائف منهم، ولو بقوا على هيئاتهم لأتيت على آخرهم وقد

كفى الله كيدهم، وكفى المسلمين شرهم، وسبقني بقيتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله يؤمنون به.

وانصرف أمير المؤمنين بمن تبعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره الخبر، فسري عنه ودعا له بخير، وقال له: قد سبقك يا علي إلي من أخافه الله، فأسلم وقبلت إسلامه. ثم ارتحل بجماعة المسلمين حتى قطعوا الوادي آمنين غير خائفين!

ثم قال المفيد: «وهذا الحديث قد روته العامة كما روته الخاصة ولم يتناكروا شيئاً منه.. ولا أزال أجد الجاهل من الناصبة والمعاند يظهر العجب من الخبر بملاقاة أمير المؤمنين عليه السلام الجن وكفه شرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، ويتضاحك لذلك وينسب الرواية له إلى الخرافات الباطلة، ويصنع مثل ذلك في الأخبار الواردة بسوى ذلك من معجزاته عليه السلام ويقول: إنها من موضوعات الشيعة، وتخرص من افتراه منهم للتكسب بذلك أو التعصب. وهذا بعينه مقال الزنادقة وكافة أعداء الإسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجن وإسلامهم...

فلينظر القوم ما جنوه على الإسلام بعداوتهم أمير المؤمنين عليه السلام واعتمادهم في دفع فضائله ومناقبه وآياته على ما ضاهوا به أصناف الزنادقة والكفار، مما يخرج عن طريق الحجاج إلى أبواب الشغب والمسافهات».

ورواه في الخرائج: ١٠٢/١و٢٠٣ وفيه: أنه بعث علياً عليه السلام فحارب الجن الذين كانوا يمنعونهم من الإستقاء من البئر واستقى المسلمون. وإعلام الورى: ٣٥٢/١ والمناقب: ٣٥٨/١.

٤- زواج النبي صلى الله عليه وآله من جويرية بنت الحارث

قال العلامة الحلي في كشف اليقين/١٣٦: «وفي غزاة بني المصطلق: كان الفتح له. وقتل أمير المؤمنين عليه السلام مالكاً وابنه، وسبى جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار فاصطفاها النبي صلى الله عليه وآله لنفسه. فجاء أبوها بعد ذلك وقال: يا رسول الله إن ابنتي لا تسبى، إنها امرأة كريمة. قال: إذهب وخيِّرها. قال: لقد أحسنت وأجملت. فاختارت الله ورسوله فأعتقها رسول الله صلى الله عليه وآله، وجعلها في جملة أزواجه».

وفي إعلام الورى: ١٩٦/١: «قالت جويرية بنت الحارث زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله: أتانا

رسول الله ﷺ ونحن على المريسيع، فأسمع أبي وهو يقول: أتانا ما لا قبل لنا به! قالت: وكنت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة، فلما أن أسلمت وتزوجني رسول الله ﷺ ورجعنا جعلت أظهر إلى المسلمين فليسوا كما كنت أرى، فعرفت أنه رعب من الله عزوجل يلقيه في قلوب المشركين. قالت: ورأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحداً من الناس، فلما سبينا رجوت الرؤيا، فأعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني».

وفي سيرة ابن إسحاق: ٢٤٥/٥: «فلما دخلت عليه قالت: يا رسول الله أنا جويرية ابنة الحارث سيد قومه، وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك، وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي. فقال رسول الله ﷺ: أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم، ففعل رسول الله ﷺ فبلغ الناس أن رسول الله تزوجها، فقالوا أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة على أهل بيت منها... كانت جويرية من ملك يمين رسول الله ﷺ فأعتقها واستنكحها وجعل مهرها عتق كل مملوك من بني المصطلق».

٥- تنظيم الخمس لبني هاشم، والصدقات والفئ للمسلمين

في الصحيح من السيرة: ٢٨٩/١١، **عن الواقدي والبلاذري**: «أخرج رسول الله ﷺ الخمس من جميع المغنم، وجعل عليه محمية بن جزء الزبيدي وكان يجمع الأخماس وكانت الصدقات على حدتها، أهل الفئ بمعزل عن الصدقة، وأهل الصدقة بمعزل عن الفئ. وكان يعطي الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف، فإذا احتلم اليتيم نقل إلى الفئ، وأخرج من الصدقة ووجب عليه الجهاد، فإن كره الجهاد وأباه لم يعط من الصدقة شيئاً، وخلوا بينه وبين أن يكتسب لنفسه...

وقسم رسول الله ﷺ الغنائم وأخذ صفيه قبل القسم، ثم جزأ الغنائم خمسة أجزاء،

ثم أقرع عليها، ولم يتخير، فأخرج الخمس وأخذ سهمه مع المسلمين لنفسه وفرسه، وكان له ﷺ صفيٌّ من المغنم حضر أو غاب قبل الخمس: عبدٌ، أو أمةٌ، أو سيفٌ، أو درع».

٦- ابن سلول وسورة المنافقين!

في تفسير القمي: ٣٦٨/٢: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ.. نزلت في غزوة المريسع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة، وكان رسول الله ﷺ خرج إليها فلما رجع منها نزل على بئر وكان الماء قليلاً فيها، وكان أنس بن سيار حليف الأنصار، وكان جهجاه بن سعيد الغفاري أجيراً لعمر بن الخطاب، فاجتمعوا على البئر فتعلق دلو ابن سيار بدلو جهجاه، فقال سيار دلوي وقال جهجاه دلوي، فضرب جهجاه يده على وجه ابن سيار فسال منه الدم، فنادى سيار بالخزرج ونادى جهجاه بقريش، وأخذ الناس السلاح وكاد أن تقع الفتنة، فسمع عبدالله بن أبيّ النداء فقال: ما هذا؟ فأخبروه بالخبر فغضب غضباً شديداً ثم قال: قد كنت كارهاً لهذا المسير، إني لأذلُّ العرب، ما ظننت أني أبقى إلى أن أسمع مثل هذا فلا يكون عندي تغيير! ثم أقبل على أصحابه فقال: هذا عملكم أنزلتموهم منازلكم وواسيتموهم بأموالكم، ووقيتموهم بأنفسكم وأبرزتم نحوركم للقتل فأرمل نساءكم وأيتم صبيانكم، ولو أخرجتموهم لكانوا عيالاً على غيركم!

ثم قال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. وكان في القوم زيد بن أرقم وكان غلاماً قد راهق وكان رسول الله ﷺ في ظل شجرة في وقت الهاجرة وعنده قوم من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فجاء زيد فأخبره بما قال عبدالله ابن أبيّ، فقال رسول الله ﷺ: لعلك وهمت يا غلام؟ فقال: لا، والله ما وهمت! فقال: لعلك غضبت عليه؟ قال: لا ما غضبت عليه! قال: فلعله سفه عليك؟ فقال: لا والله! فقال رسول الله ﷺ لشقران مولاه: أخرج، فأخرج أحدج راحلته وركب، وتسامع الناس بذلك فقالوا: ما كان رسول الله ﷺ ليرحل في مثل هذا الوقت! فرحل الناس ولحقه سعد بن عبادة فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته! فقال: وعليك

السلام! فقال: ما كنت لترحل في هذا الوقت؟ فقال: أوما سمعت قولاً قاله صاحبكم؟ قالوا: وأي صاحب لنا غيرك يا رسول الله؟ قال عبدالله بن أبي زعم أنه إن رجع إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ! فقال: يا رسول الله، فأنت وأصحابك الأعز وهو وأصحابه الأذل، فسار رسول الله ﷺ يومه كله لا يكلمه أحد، فأقبلت الخزرج على عبدالله بن أبيّ يعذلونه فحلف عبدالله أنه لم يقل شيئاً من ذلك، فقالوا: فقم بنا إلى رسول الله حتى نعتذر إليه، فلوى عنقه! فلما جن الليل سار رسول الله ﷺ ليله كله والنهار، فلم ينزلوا إلا للصلاة، فلما كان من الغد نزل رسول الله ونزل أصحابه وقد أمهدهم الأرض من السهر الذي أصابهم.

فجاء عبدالله بن أبي إلى رسول الله ﷺ فحلف عبدالله أنه لم يقل ذلك، وأنه ليشهد أنه لا إله إلا الله وأنك لرسول الله، وأن زيداً قد كذب عليَّ! فقبل رسول الله ﷺ منه، وأقبلت الخزرج على زيد بن أرقم يشتمونه ويقولون له كذبت على عبدالله سيدنا! فلما رحل رسول الله ﷺ كان زيد معه يقول: اللهم إنك لتعلم أني لم أكذب على عبدالله بن أبي، فما سار إلا قليلاً حتى أخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي عليه، فثقل حتى كادت ناقته أن تبرك من ثقل الوحي، فسريَ عن رسول الله ﷺ وهو يسكب العرق عن جبهته، ثم أخذ بأذن زيد بن أرقم فرفعه من الرحل ثم قال: يا غلام صدق قولك ووعى قلبك وأنزل الله فيما قلت قرآناً! فلما نزل جمع أصحابه وقرأ عليهم سورة المنافقين: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ..الى قوله: وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لايَعْلَمُونَ. ففضح الله عبدالله بن أبيّ... قال: وإن ولد عبدالله بن أبي أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن كنت عزمت على قتله فمرني أكون أنا الذي أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الأوس والخزرج أني أبرهم ولداً بوالديَّ، فإني أخاف أن تأمر غيري فيقتله فلاتطيب نفسي أن أنظر إلى قاتل عبدالله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار! فقال رسول الله ﷺ: بل نحسن صحبته ما دام معنا!

وفي مجمع البيان: ٢٣/١٠: «وكان عبدالله بن أبيّ بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبدالله بن عبدالله بن أبيّ حتى أناخ على مجامع طرق المدينة، فقال: مالك ويلك! قال: والله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمن اليوم من الأعز من الأذل! فشكا عبدالله ابنه إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إليه أن خلِّ عنه يدخل. فقال: أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم. فدخل فلم يلبث إلا أياماً قلائل حتى اشتكى ومات! فلما نزلت هذه الآيات وبان كذب عبدالله قيل له: نزل فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فقد آمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة مالي فقد أعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد! فنزل: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا.. إلى قوله: وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لايَعْلَمُونَ». وأسباب النزول/٢٨٨. وشبيه به تفسير القمي: ٣٧١/٢.

ومن كرم أخلاق النبي ﷺ أنهم طلبوا منه قميصه ليكفنوا فيه عبدالله بن أبي المنافق فأعطاهم، وقيل لأنه كان أعطى قميصه للعباس لما كان أسيراً.

وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي عليه فصلى عليه، فاعترض عليه عمر بخشونة فزجره النبي ﷺ. وقد عقد البخاري في صحيحه أبواباً روى فيها فضيلة اعتراض عمر على النبي ﷺ وزعم أن الوحي نزل موافقاً لعمر مخطئاً للنبي ﷺ! وقد اعترف أن عمر وثب اليه ووقف أمامه وجذبه من ثوبه، ليمنعه من الصلاة على الجنازة وقال له: أليس نهاك الله عن هذا! فغضب النبي ﷺ وقال: أخِّر عني يا عمر! فقال البخاري إن النبي ﷺ لم يغضب منه بل ارتاح وتبسم له!

قال البخاري: ٧٦/٢: «جاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصلِّ عليه واستغفر له، فأعطاه النبي ﷺ قميصه فقال: آذنِّي أصلي عليه فآذنه فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر فقال: أليس الله نهاك أن تصلي على المنافقين! فقال أنا بين خيرتين، قال الله تعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ».

وقال عمر كما في البخاري: ١٠٠/٢: «وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبيّ، وقد قال يوم كذا وكذا، كذا وكذا، أعدِّد عليه قوله، فتبسم رسول الله وقال: أخِّر عني يا عمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خُيِّرتُ فاخترتُ، لو أعلم أني إن زدت على السبعين

فغفر له لزدت عليها! قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت: وَلا تُصَلِّ عَلَى أحد مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً».

وفي مصادرنا: « ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فقال له: ويلك مايريد ربك ما قلت! وما يدريك ما قلت إني قلت: اللهم املأ قبره ناراً! **قال الإمام الصادق** عليه السلام: فأبدى [عمر] من رسول الله ما كان يكره ». الكافي: ١٨٨/٢ والدعوات للراوندي/٣٥٧.

٧- هبت ريح عند موت يهودي

وصل النبي ﷺ والمسلمون في رجوعهم من غزوة المصطلق إلى وادي النقيع وهو أرض معشبة على أربعة فراسخ من المدينة، «البكري: ١٣٢٢/٤»، وقد حماه النبي لخيل المسلمين، «الكافي: ٢٧٧/٥». هناك هاجت ريحٌ قوية آذت المسلمين فخافوا منها، وسألوا النبي ﷺ عنها فقال: لاتخافوها، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار! فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت، وهو من يهود بني قينقاع، قد مات ذلك يوم هبت الريح. وكان كهفاً أي مرجعاً للمنافقين!

وقال ابن هشام: ٣٧٠/٢ مات معه رجلان من اليهود هما: «سلسلة بن برهام، وكنانة بن صورياء».

وفي الخرائج: ١٠٢/١: «فقدمنا المدينة فوجدنا رفاعة بن زيد مات في ذلك اليوم، وكان عظيم النفاق وكان أصله من اليهود».

أقول: تفسيره ﷺ تلك الريح بموت أحد كبار الكفار، لاينافي رده لتفسير الناس لخسوف الشمس بموت ولده إبراهيم عليه السلام، حيث قال: «يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، يجريان بأمره، مطيعان لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإن انكسفتا أو واحدة منهما فصلوا». الكافي: ٢٠٨/٣.

٨- ضاعت ناقة النبي ﷺ فأرجف المنافقون

في تاريخ الطبري: ٢٦٢/٢، أنه في عودة النبي ﷺ من غزوة المصطلق هبت الريح في أول النهار وسكنت في آخره، فجمع الناس ظهرهم وفقدت راحلة

رسول الله صلى الله عليه وآله، فسعى الرجال لها يلتمسونها فقال رجل من المنافقين هو زيد بن اللصيت أحد بني قينقاع: «كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته، ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي؟! فأراد الذين سمعوا منه ذلك أن يقتلوه فهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله متعوذاً به، فأتى النبي صلى الله عليه وآله جبرئيل فأخبره بقول المنافق ومكان ناقته، وأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه وذلك الرجل يسمع، وقال: ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه، ولكن الله أخبرني بقول المنافق ومكان ناقتي، هي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة. فخرجوا يسعون قِبَلَ الشعب، فإذا هي كما قال فجاؤوا بها! وآمن ذلك المنافق». والخرائج: ١٠٢/١ ونحوه قصص الأنبياء للراوندي/٣٠٧.

٩. شبَّه النبي صلى الله عليه وآله علياً بعيسى بن مريم عليهما السلام

في شرح الأخبار: ٤٦٦/٢: «عن سلمان الفارسي أنه قال: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة بني المصطلق تقدم في مقدمة الناس، وأمر علياً عليه السلام أن يكون في ساقتهم يحفظهم، فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة أتى إلى باب المسجد جلس ينتظر علياً عليه السلام لم يدخل منزله، فرأيته يمسح العرق من وجهه، ثم قال: يأتيكم الساعة من هذه الشعبة، وأشار بيده إلى بعض الشعاب رجل أشبه الناس بالمسيح، وهو أفضل الناس بعدي يوم القيامة، وأول من يدخل الجنة!

فجعلنا ننظر إلى الشعب فكان أول من طلع منه علي بن أبي طالب عليه السلام! فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قام إليه فاعتنقه وقبل بين عينيه ودخلا فقال قوم من المنافقين: يشبِّه ابن عمه بالمسيح ويمثله به، أفآلهتنا التي كنا نعبدها خير أم علي؟ فأنزل الله عز وجل فيهم: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ». الزخرف: ٥٧-٥٨.

أقول: روت هذا الحديث مصادرنا مستفيضاً، وأن النبي صلى الله عليه وآله قاله في أكثر من مناسبة «الكافي: ٥٧/٨» وروته بعض مصادرهم. ولا بد أن يكون نزول هذه الآيات ثانية بعد نزولها في مكة، وبعض الآيات نزلت مرات. وفي بعضها أن جبرئيل قال للنبي صلى الله عليه وآله: يا محمد إقرأ قول الله تعالى كذا.. لآيةٍ نزلت سابقاً.

١٠- الوليد بن عقبة الفاسق بشهادة القرآن!

بعد معركة النبيﷺ مع بني المصطلق دخلوا في الإسلام. وعند موسم زكاتهم أرسل النبيﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط ليقبضها، فخرجوا لاستقباله فخاف ورجع إلى النبيﷺ وقال له: رفضوا أداء زكاتهم!

وفي سيرة ابن هشام: ٣/٧٦٣: «فأخبره أن القوم قد هموا بقتله... فبينما هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعاً! فبلغنا أنه زعم لرسول الله أنا خرجنا إليه لنقتله ووالله ما جئنا لذلك. فأنزل الله تعالى فيه وفيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾. **وتفسير الطبري:** ٢٦/١٦٠، **نحوه شرح الأخبار:** ٢/١٢٠، **البيهقي:** ٩/٥٥، **الإستيعاب:** ٤/١٥٥٣، **والسقيفة للجوهري/**١٢٨، **أسباب النزول/**٢٦١، **اليعقوبي:** ٢/٥٣.

١١- أرسل النبي ﷺ خالداً فأفسد، فأرسل علياً عليه السلام فأصلح

في أمالي الصدوق/٢٣٧، **عن الإمام الصادق** عليه السلام **قال:** «بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى حي يقال لهم بنو المصطلق من بني جذيمة، وكان بينهم وبين بني مخزوم إحنة في الجاهلية، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله ﷺ وأخذوا منه كتاباً، فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادى بالصلاة فصلى وصلوا، فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة فقتل وأصاب فطلبوا كتابهم فوجدوه، فأتوا به النبيﷺ وحدثوه بما صنع خالد بن الوليد، فاستقبل القبلة ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد! قال: ثم قدم على رسول الله تِبْرٌ ومتاع فقال لعلي عليه السلام: يا علي، أئت بني جذيمة من بني المصطلق، فأرضهم مما صنع خالد. ثم رفع ﷺ قدمه فقال: يا علي، إجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك. فأتاهم علي عليه السلام فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله، فلما رجع إلى النبيﷺ قال: يا علي، أخبرني بما صنعت. فقال: يا رسول الله،

عمدت فأعطيت لكل دم دية ولكل جنين غرة، ولكل مال مالاً، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لايعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال ﷺ: يا علي، أعطيتهم ليرضوا عني رضي الله عنك يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». **وعلل الشرائع**: ٤٧٣/٢، **رواه في أمال الطوسي**: ٤٩٨ **وفيه**: «أرضيتني رضي الله عنك، يا علي أنت هادي أمتي، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقتك، ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقك إلى يوم القيامة».

أقول: كان ذلك بعد مدة من غزوة بني المصطلق، ولا بد أن هؤلاء ماطلوا في أداء زكاتهم، لأن إسلام خالد بن الوليد كان بعد غزوة بني المصطلق والحديبية.

١٢-كان بنو المصطلق يماطلون في دفع زكاتهم!



في **نوادر الراوندي**/١٥٢: «أهل الصفة وكانوا ضيفان رسول الله ﷺ كانوا هاجروا من أهاليهم وأموالهم إلى المدينة، فأسكنهم رسول الله ﷺ صُفَّة المسجد وهم أربع مائة رجل، كان يسلم عليهم بالغدوة والعشي، فأتاهم ذات يوم فمنهم من يخصف نعله، ومنهم من يرقع ثوبه ومنهم من يتفلى، وكان رسول الله ﷺ يرزقهم مداً مداً من تمر في كل يوم، فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله! التمر الذي ترزقنا قد أحرق بطوننا. فقال رسول الله ﷺ: أما إني لو استطعت أن أطعمكم الدنيا لأطعمتكم، ولكن من عاش منكم من بعدي فسيغدى عليه بالجفان ويراح عليه بالجفان، ويغدو أحدكم في قميصة ويروح في أخرى، وتنجدون بيوتكم كما تنجد الكعبة. فقام رجل فقال: يا رسول الله! إنا على ذلك الزمان بالأشواق فمتى هو؟ قال ﷺ: زمانكم هذا خير من ذلك الزمان، إنكم إن ملأتم بطونكم من الحلال توشكون أن تملأوها من الحرام! فقام سعد بن الأشج فقال: يا رسول الله! ما يفعل بنا بعد الموت؟ قال ﷺ: الحساب والقبر، ثم ضيقه بعد ذلك أو سعته. فقال: يا رسول الله، هل تخاف أنت ذلك؟ فقال: لا ولكن أستحي من النعم المتظاهرة التي لا أجازيها ولا جزءً من سبعة.

فقال سعد بن الأشج: إني أشهد الله وأشهد رسوله ومن حضرني أن نوم الليل عليَّ حرام، والأكل بالنهار علي حرام، ولباس الليل علي حرام، ومخالطة الناس علي حرام، وإتيان النساء علي حرام. فقال رسول الله ﷺ: يا سعد لم تصنع شيئاً كيف تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر إذا لم تخالط الناس؟ وسكون البرية بعد الحضر كفر للنعمة! نم بالليل وكل بالنهار، والبس ما لم يكن ذهباً أو حريراً أو معصفراً، وائت النساء.

يا سعد! إذهب إلى بني المصطلق فإنهم قد ردوا رسولي، فذهب إليهم فجاء بصدقة، فقال رسول الله ﷺ: كيف رأيتهم؟ فقال: خير قوم، ما رأيت قوماً قط أحسن أخلاقاً فيما بينهم من قوم بعثتني إليهم. فقال رسول الله ﷺ: إنه لاينبغي لأولياء الله تعالى من أهل دار الخلود، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، أن يكونوا أولياء الشيطان من أهل دار الغرور، الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم.

ثم قال: بئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر. بئس القوم قوم يقذفون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. بئس القوم قوم لا يقومون لله تعالى بالقسط، بئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون الناس بالقسط في الناس. بئس القوم قوم يكون الطلاق عندهم أوثق من عهد الله تعالى. بئس القوم قوم جعلوا طاعة أيمانهم دون طاعة الله. بئس القوم قوم يختارون الدنيا على الدين. بئس القوم قوم يستحلون المحارم والشهوات والشبهات.

قيل: يا رسول الله وأي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً، أولئك هم الأكياس».

١٣- قصة تأخر عائشة عن النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق

خلاصة قصة الإفك كما رواها ابن هشام عن عائشة: ٧٦٤/٣: أنها كانت مع النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق، وفي رجوعهم نزل النبي ﷺ منزلاً: «فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجتي وفي عنقي عقد لي فيه جزع ظفار، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري

فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده وقد أخذ الناس في الرحيل فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب، قد انطلق الناس. قالت: فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي. قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عليَّ وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ؟ وأنا متلففة في ثيابي: قال: ما خلفك يرحمك الله؟ قالت فما كلمته ثم قرب البعير فقال: اركبي واستأخر عني. قالت فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني، فقال أهل الإفك ما قالوا، فارتجع العسكر! ووالله ما أعلم بشئ من ذلك، ثم قدمنا المدينة فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك شئ».

ثم ذكرت عائشة أنها تعالجت عند أمها، ولم تعرف باتهامها حتى أخبرتها أم مسطح، وقالت إنه حدثت في مرضها أحداث بسبب اتهامها، وكاد الأوس والخزرج يقتتلون لأن المتهم كان ابن سلول الأوسي، وأن النبي ﷺ خطب وقال: «أيها الناس، ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل، والله ما علمت منه إلا خيراً وما يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي».

وذكرت عائشة أن النبي ﷺ استشار أشخاصاً في أمرها منهم علي عليه السلام فقال: «يا رسول الله إن النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية، فإنها ستصدقك. فدعا رسول الله بريرة ليسألها، قالت: فقام إليها علي بن أبي طالب فضربها ضرباً شديداً وهو يقول: أصدقي رسول الله ﷺ فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً،

ودخل عليها النبي ﷺ وقال: «يا عائشة إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله، وإن كنت قد قارفت سوءا مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده! قالت عائشة: فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني! قالت: ثم التمست إسم يعقوب فما أذكره فقلت: ولكن سأقول كما قال أبو يوسف: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ. قالت: فوالله ما برح رسول الله مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه. فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك، قالت: قلت: بحمد الله، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، فضربوا حدهم».

أقول: هذه رواية عائشة وفيها مناقشات، لأنه لا يصح قولها إن آية البراءة نزلت يومها، بل نزلت بعد سنين!

١٤- نزلت آية البراءة في مارية فجعلتها عائشة لها!

وقعت قصة عائشة في غزوة بني المصطلق في شعبان سنة خمس «إعلام الورى: ١٩٦/١» وفي سنة ثمان نزلت آيات الإفك في سورة النور! وقد اتفقوا على أن سورة النور نزلت دفعة واحدة، بعد حادثة عائشة بثلاث سنين!

فالصحيح أن آية البراءة نزلت في مارية، فقد اتهموها في السنة الثامنة وقت نزول الآيات! ومما يدل على أنها في مارية أنها وصفت المتَّهمة بالغافلة، وهو ينطبق على مارية لسذاجتها ولا ينطبق على عائشة! لاحظ آياتها: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ. لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ.

وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَعِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ. وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ. وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَالْحَقُّ الْمُبِينُ. الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. النور: ١١- ٢٦.

وصفة الغافلة تنطبق على مارية التي كان فيها بساطة وسذاجة، أما عائشة فلم يقل أحد إنها كانت ساذجة غافلة، بل كانت ذكية متحركة، وقد قادت معركة الجمل وحدها لسبعة أيام!

وقد تنبهت عائشة إلى أن صفة «الغافلة» لاتنطبق عليها فقالت: «رميتُ بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك». «لباب النقول/١٥٧». ففسرت الغافلة بالغافلة عن التهمة وهو تفسير ضعيف يكاد ينطبق على كل متهمة، وهو تخصيص بدون قرينة، لأن الغفلة في الآية مطلقة تقابل الفطنة والذكاء: والمغفل: الذي لا فطنة له. والغفول من الإبل: البلهاء». «لسان العرب: ٤٩٨/١١». «ورجل غفل: لم يجرب الأمور». الصحاح: ١٧٨٣/٥.

وقد حاول بعضهم أن يجعل الغفلة بمعنى التي لاتخطر الفاحشة ببالها، «الشوكاني: ١٧/٤ وعمدة القاري: ٢١٢/١٧»، ولايصح لأن المتبادر منها بدون قرينة: الساذجة. وسيأتي ما يثبت أن المبرأة مارية لا عائشة.

الفصل الرابع والخمسون

من غزوة بني المصطلق إلى عمرة الحديبية

١- ثلاث غزوات، وأكثر من عشر سرايا، وعدد من الأحداث!

يتعجب الإنسان من تتابع فعاليات النبيﷺ وتنوعها، ويتساءل: كيف اتسعت أيامه وأسبوعه وشهره وسنتهﷺ لكل هذه النشاطات؟!

ومن أمثلتها السنة الخامسة، فقد كان فيها غزوة بني المصطلق أو المريسيع، وحادثة ابن سلول رئيس المنافقين المدنيين، وتخلف عائشة عن القافلة التي جعلتها حديث الإفك، وضياع ناقة النبيﷺ، وطلاق زيد لزينب بنت جحش وزواج النبيﷺ بها، ورسائله إلى بعض الحكام والملوك، وغزوتان ذهب فيهما بنفسه: غزوة بني لحيان، وغزوة الغابة. وقصة العرنيين الذين سرقوا إبل الصدقة، وأكثر من عشر سرايا، لرد لصوص أو غزاة للمدينة.

وكان منها السرية التي قبضت على ثمامة بن أثال سيد اليمامة، ثم التهيؤ لأداء العمرة التي سميت غزوة الحديبية.

وخلال ذلك نزول سور من القرآن وآيات، وأحداث صغيرة وكبيرة!

لكن لاعجب من رسول اللهﷺ الذي وهب وجوده لربه فباركه، وكان يأتيه جبرئيلؑ ويوجهه ويخبره بما يكون، ويأمره بما يجب، ويساعده عندما يلزم!

٢- تشجيع النبي صلى الله عليه وآله سباق الخيل والإبل

«أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالسبق بين ما ضُمِّرَ من الخيل وما لم يُضَمَّر.. فأرسلها من الحَفْيَا إلى ثنية الوداع، وهو خمسة أميال أو ستة أو سبعة. وأجرى ما لم يضمَّر فأرسلها من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق وهو ميلٌ أو نحوه.. وسابق أبو سعيد الساعدي على فرس النبي صلى الله عليه وآله الذي يقال له: «الظَّرْب» فسبقت غيرها من الخيل، وكساه النبي صلى الله عليه وآله برداً يمانياً، بقيت بقية عند أحفاده إلى زمان الواقدي. وسبق أيضاً أبو أسيد الساعدي على فرس النبي صلى الله عليه وآله اسمه لزَّاز فأعطاه النبي حُلة يمانية. وسابق صلى الله عليه وآله بين الخيل مرة وجلس على سلع، فسبقت له ثلاثة أفراس: لزَّاز، ثم الظَّرب، ثم السَّكْب» الصحيح من السيرة: ١٢/١٤.

«وقد سابق رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة وأجرى الخيل، فروي أن ناقة النبي صلى الله عليه وآله سُبقت فقال: إنها بغت وقالت فَوْقِي رسول الله! وحقٌّ على الله عز وجل أن لا يبغي شيء على شيء الا أذله الله، ولو أن جبلاً بغى على جبل لهدَّ الله الباغي منهما». الفقيه: ٤٨/٣ و٥٩/٤.

أقول: تقدم أن المسلمين لم يكن عندهم في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة إلا فرس واحدة، ثم كان عندهم في السنة الثالثة في أُحُد بضعة أفراس، فشجعهم النبي صلى الله عليه وآله على اقتناء الخيل واشترى هو فكان عندهم في السنة الرابعة عدد منها، وفي السنة الخامسة كانت خيلهم بالعشرات، وشجع النبي صلى الله عليه وآله اقتناءها وأجرى السباق بينها، وكذا بين الإبل. فاتسع اهتمام المسلمين بالخيل. ولا علاقة لهذا السباق الذي أجراه النبي صلى الله عليه وآله في السنة الرابعة والخامسة للهجرة وبين سقوطه عن فرسه ذات مرة، فقد كان ذلك في السنة التاسعة.

فقد روى في الفقيه: ٢٥٠/١ و٣٨١ **عن الإمام الصادق** عليه السلام **قال**: «كان النبي صلى الله عليه وآله وقع عن فرس فشج شقه الأيمن، فصلى بهم جالساً في غرفة أم إبراهيم». **وفي رواية**: فسحج شقه الأيمن أي خدش جلده. ونحوه عمدة القاري: ١٠٥/٤.

٣- لم تقع في المدينة زلزلة في عهد النبي صلى الله عليه وآله

قال في الصحيح: ٢٤/١٤: «وزعموا: أنه في سنة خمس من الهجرة زلزلت المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل يستعتبكم فأعتبوه. ونقول: إن الله تعالى يقول: وَمَا

كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ..».

أقول: لا أثر في أحاديث أهل البيت عليهم السلام لوقوع زلزلة في عهد النبي صلى الله عليه وآله.

قال المقريزي في إمتاع الأسماع: ١٢/٣٩٠: «لم يأت عن النبي صلى الله عليه وآله من وجه صحيح أن الزلزلة كانت في عصره ولا صحت عنه فيها سنة. وأول زلزلة كانت في الإسلام في عهد عمر فأنكر هائم قال: ما أسرع ما أحدثتم! والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم».

وزعموا أنه ضرب الأرض بسوطه فسكنت! «الغدير: ٨/٨٢». وهو من المكذوبات.

وزعموا أنه أخذ تميماً الداري فطارد نار بركان في المدينة بيديه حتى هربت! «الدارمي: ١/١٣٢». وهو من المكذوبات أيضاً!

٤- قصة زواج النبي صلى الله عليه وآله من زينب بنت حجش

قال الله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً. وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً. مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً. الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً. مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً». سورة الأحزاب: ٣٦-٤٠.

في تفسير القمي: ٢/١٧٢ بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «كان سبب نزول ذلك: وَإِذْ تَقُولُ لِلذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ. أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج إلى سوق عكاظ في تجارة لها، ورأى زيداً يباع ورآه غلاماً كيِّساً حصيفاً فاشتراه، فلما نبئ رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام فأسلم وكان يدعى زيد مولى محمد صلى الله عليه وآله فلما بلغ حارثة بن شراحبيل الكلبي خبر ولده زيد، قدم مكة وكان رجلاً جليلاً، فأتى أباطالب فقال: يا أباطالب إن ابني وقع عليه السبي،

وبلغني أنه صار إلى ابن أخيك، فسله إما أن يبيعه وإما أن يفاديه وإما أن يعتقه.

فكلم أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو حرٌّ فليذهب كيف يشاء، فقام حارثة فأخذ بيد زيد فقال له: يابني إلحق بشرفك وحسبك، فقال زيد: لست أفارق رسول الله صلى الله عليه وآله أبداً! فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش؟ فقال زيد: لست أفارق رسول الله صلى الله عليه وآله ما دمت حياً، فغضب أبوه فقال: يا معشر قريش إشهدوا أني قد برئت منه، وليس هو ابني! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني، فكان يدعى زيد بن محمد، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبه وسماه زيد الحِبّ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة زوجه زينب بنت جحش، وأبطأ عنه يوماً فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله منزله يسأل عنه فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيباً بفهر، فنظر إليها وكانت جميلة حسنة، فقال: سبحان الله خالق النور، وتبارك الله أحسن الخالقين.

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزله ووقعت زينب في قلبه موقعاً عجيباً، وجاء زيد إلى منزله فأخبرته زينب بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها زيد: هل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله، فلعلك قد وقعت في قلبه؟ فقالت: أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني رسول الله! فجاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أخبرتني زينب بكذا وكذا، فهل لك أن أطلقها حتى تتزوجها؟ فقال رسول الله: لا، إذهب فاتق الله وأمسك عليك زوجك، ثم حكى الله فقال: أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً. فزوجه الله من فوق عرشه فقال المنافقون: يحرِّم علينا نسائنا ويتزوج امرأة ابنه زيد! فأنزل الله في هذا: مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. ثم قال: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ..».

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٧٢/٢، أنه عليه السلام قال لابن الجهم: «وقول الله عز وجل: وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. فإن الله عز وجل عرف

نبيه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا، وأسماء أزواجه في دار الآخرة وأنهن أمهات المؤمنين، وإحدى من سمى له زينب بنت جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثه، فأخفى اسمها في نفسه ولم يبده، لكيلا يقول أحد من المنافقين إنه قال في امرأة في بيت رجل إنها إحدى أزواجه، وخشي قول المنافقين فقال الله عزوجل: وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ، يعني في نفسك! وإن الله عزوجل ما تولى تزويج أحد من خلقه إلا تزويج حوا من آدم ﷺ وزينب من رسول الله ﷺ بقوله: فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا. وفاطمة من علي عليه السلام.

قال: فبكى علي بن محمد بن الجهم وقال: يا ابن رسول الله أنا تائب إلى الله عزوجل من أن أنطق في أنبياء الله عليهم السلام بعد يومي إلا بما ذكرته».

وفي تنزيه الأنبياء للشريف المرتضى/١٥٥: «فإن قيل... فما تأويل قوله تعالى: وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ..أوليس هذا عتاباً له ﷺ من حيث أضمر ما كان ينبغي أن يظهره، وراقب من لا يجب أن يراقبه، فما الوجه في ذلك؟

قلنا: وجه هذه الآية معروف وهو أن الله تعالى لما أراد نسخ ما كان عليه الجاهلية من تحريم نكاح زوجة الدعي، والدعي هو الذي كان أحدهم يجتبيه ويربيه ويضيفه إلى نفسه على طريق البنوة، وكان من عادتهم أن يحرموا على أنفسهم نكاح أزواج أدعيائهم كما يحرمون نكاح أزواج أبنائهم، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن زيد بن حارثة وهو دعي رسول الله ﷺ سيأتيه مطلقاً زوجته، وأمره أن يتزوجها بعد فراق زيد لها، ليكون ذلك ناسخاً لسنة الجاهلية التي تقدم ذكرها، فلما حضر زيد مخاصماً زوجته عازماً على طلاقها، أشفق الرسول من أن يمسك عن وعظه وتذكيره، لا سيما وقد كان يتصرف على أمره وتدبيره، فرجف المنافقون به إذا تزوج المرأة يقذفونه بما قد نزهه الله تعالى عنه».

وفي الصحيح من السيرة: ٥١/١٤: «وذكر البلاذري: أن زينب لما بشرت بتزويج الله نبيه ﷺ إياها ونزول الآية في ذلك جعلت على نفسها صوم شهرين شكراً

لله، وأعطت من بشَّرها حلياً كان عليها... قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغني من جمالها، وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها ما صنع الله لها زوَّجها الله من السماء! وقلت: هي تفتخر علينا بهذا. وكانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وآله تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله عزوجل من فوق سبع سموات. قالوا: وما أولَمَ على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب، أولمَ عليها بتمر وسويق وشاةٍ ذبحها، وأطعم الناس الخبز واللحم، فترادف الناس أفواجاً يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج، حتى امتد النهار، أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه».

لكن عائشة استطاعت أن تجر زينب اليها وتجعلها من حزبها حسب تعبيرها. **قال في الصحيح**: ١٧٥/١٤: «سرعان ما انقلبت الأمور، وأصبحت زينب في موقع الحظوة لدى عائشة وصارت تمدحها بقولها: ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم، وأعظم أمانة وصدقة»!

ثم ذكر أنها كانت من نوع عائشة في الجرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله فكانت النصير والمساعد لها على تمرير بعض مشاريعها في إثارة أجواء تخدم مصالحها المستقبلية والآنية على حد سواء.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: أن زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعدل وأنت رسول الله؟! وقالت حفصة: إن طلقنا وجدنا أكفاءنا من قومنا! فاحتبس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين يوماً، فأنف الله عزوجل لرسوله صلى الله عليه وآله فأنزل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ..إلى قوله: أَجْرًا عَظِيماً..

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن زينب بنت جحش قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعدل وأنت نبي؟! فقال لها: تربت يداك إذا لم أعدل فمن يعدل؟! قالت: دعوت الله يا رسول الله ليقطع يدي؟ فقال: لا، ولكن لتتربان. فقالت: إنك إن طلقتنا وجدنا في قومنا أكفاءنا»!

ومن طريف ما في سيرة أخبارها أن النبي صلى الله عليه وآله سمى أباها جحشاً! «قال القرطبي في تفسيره: ١٦٥/١٤»: «وكان اسم جحش بن رئاب بُرَّة بضم الباء، فقالت زينب لرسول الله: يا رسول الله غَيِّرْ إسم أبي فإن البُرة صغيرة! «البُرَّة: حلقة توضع في أنف البعير ويربط بها الحبل

أو المحيط-لسان العرب: ١٧٤/١١» فقيل إن رسول الله قال لها: لو كان أبوك مسلماً لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت، ولكني قد سميته جحشاً والجحش أكبر من البرة». ورواه القرطبي في أحكام القرآن/٣٥٣٤، المعافري في الروض الأنف: ٢٩٢/٢ والحلبي في السيرة: ٤٨٣/٢، تاريخ الخميس: ٥٠١/١، تاج العروس: ٦٨/٩ وحياة الحيوان/٣٠٥.

٥- تشديد الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وآله

قال في الصحيح من السيرة: ١٢٩/١٤: «روى الرواة عن زينب بنت جحش أنها قالت: فيَّ نزلت آية الحجاب، وذكروا أن ذلك كان في مناسبة تزويجها برسول الله صلى الله عليه وآله، وذكروا أن السبب في ذلك هو عمر بن الخطاب، وجعلوا ذلك من فضائله حتى لقد رووا عن ابن مسعود أنه قال عن عمر: إنه فُضِّل على الناس بأربع، وذكر منها أنه بذكره الحجاب أُمِرَ نساء النبي صلى الله عليه وآله أن يحتجبن!

وروي أن عمر مرَّ على نساء النبي صلى الله عليه وآله وهن مع النساء في المسجد فقال: إحتجبن فإن لكن على النساء فضلاً، كما أن لزوجكن على الرجال الفضل. فقالت له زينب: وإنك لتغار علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا! فأنزل الله: وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ.

وقد صرحوا أيضاً: بأن آية الحجاب التي نزلت في زينب بنت جحش هي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ..الآية. وكان وقت نزولها صبيحة عرس النبي صلى الله عليه وآله بزينب بنت جحش في ذي القعدة سنة خمس. وعن أنس: ما بقي أحد أعلم بالحجاب مني، ولقد سألني أبي بن كعب فقلت نزل في زينب. وفي رواية أنه في قضية زينب بنت جحش أراد أن يدخل مع النبي صلى الله عليه وآله فألقى الستر بينه وبينه ونزل الحجاب».

ثم ناقش صاحب الصحيح في فرض الحجاب كما صوروه لأنه موجود من الأصل، وأورد رواياته في أحد عشر وجهاً فيها تناقض!

وقد كتبنا بحثاً في كتاب «ألف سؤال وإشكال: ٣٠٠/٢» في اتهام البخاري وغيره للنبي صلى الله عليه وآله بأنه لم يكن يحجب نساءه، حتى أمره عمر بذلك، ونزل القرآن موافقاً

لقول عمر! وزعموا،« البخاري: ٤٦/١» أن عمر كان يقول للنبيﷺ: أحجب نساءك فلم يفعل النبيﷺ فنزل الوحي موافقاً لرأي عمر، وأمر الله نبيهﷺ أن يحجب نساءه! ويتخيل القارئ من كثرة رواياتهم أن نساء النبيﷺ كنَّ غير محجبات وأنه قصَّرَ أو تسامح في حجابهن! مع أنهن كنَّ محجبات كغيرهن وكانت سورة النور قد نزلت وفيها آيات الحجاب وآداب الأسرة والإختلاط. أما آية الحجاب في سورة الأحزاب ففرضت عليهنَّ أن لايكلمن الرجال الأجانب إلا من وراء ستر. **وهذه آيات الحجاب في سورة النور:**

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. النور: ٣٠ -٣١.

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَئْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ.

وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَئْذِنُوا كَمَا اسْتَئْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. النور: ٥٨ - ٦٠.

وهذه آيات تشديد الحجاب على نساء النبيﷺ في سورة الأحزاب:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً. وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا.

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا. وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا.

يَا نِسَاءَ النبي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قولاً مَعْرُوفًا. وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَوةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إنما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللهَ كَانَ لطيفاً خَبِيرًا. سورة الأحزاب: ٢٨ - ٣٤.

وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النبي إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إذا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فإذا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النبي فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عظيماً.

إِنْ تُبْدُوا شيئاً أَوْ تُخْفُوهُ فإن اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. لاجُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلا أَبْنَائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسَائِهِنَّ وَلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا.

إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما. إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا. وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا.

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلا قليلاً. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً. سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً. سورة الأحزاب: ٥٣ - ٦٢.

وتدل الآيات على أن الله تعالى أراد منهن أن يتحلَّيْنَ بمتانة الشخصية ورصانة الكلام: فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ، ولا يكثرن الرواح والمجيء ولا يتصدَّينَ للأمور السياسية: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ. وأن يكنَّ في مستوى مسؤولية كونهن زوجات النبي ﷺ ومستوى مقام أمهات المؤمنين الذي أعطاه الله لهن، وإلا.. فليتنحَّيْنَ من حياة رسول الله ﷺ! ومن الواضح أن الظروف التي كانت

تحيط بالنبي ﷺ كانت مؤذية له في نبوته وشخصه وأهل بيته ونسائه.

أما آية الحجاب التي طعنوا بسببها بالنبي ﷺ فهي قوله تعالى: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَدْخُلُوا بُيُوتَ النبي إلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ... وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عظيماً.

فهي آية واحدة فيها ثلاثة أحكام: أدب الدخول إلى بيت النبي ﷺ وحرمة تكليمهن إلا من وراء حجابٍ وسترٍ، ولذا سميت آية الحجاب. وحرمة الزواج بهنَّ بعده لأنهن أمهات المؤمنين. لكنهم صوروا أن نساء النبي ﷺ لم يكنَّ قبلها محجبات! وأكثروا الكذب عن سبب نزولها، وتناقضت رواياتهم في مدح هذا وذاك! وكلها أحاديث صحيحة السند عندهم! مثل أن عمر أمر النبي ﷺ فلم يفعل، فنزلت الآية موافقة لعمر! وقول عائشة إنها كانت تأكل مع النبي ﷺ حيساً «تمر بالسمن والطحين» فمر عمر فأكل معهم بأصابعه، فمست إصبعه إصبع عائشة، فنزلت الآية! ثم قالت إن إصبع شخص آخر أصابت إصبعها، فنزلت الآية!

ورووا أن عمر تشاجر مع زينب بنت جحش، فنزلت الآية! وأن سودة بنت زمعة خرجت ليلاً لتقضي حاجتها في جهة البقيع، فناداها عمر عرفناك ياسودة! فنزلت الآية! ورووا أن شباباً كانوا يجلسون بطريق نساء النبي ﷺ فيؤذونهن، فنزلت الآية!

ورووا: أنه ﷺ رأى رجالاً يتحدثون مع نسائه، فصعد المنبر غاضباً وتلا الآية!

ورووا أن طلحة كان يؤذي النبي ﷺ في أمر نسائه، وكان يتحدث مع عائشة، فنهاه النبي ﷺ فرفض وأساء الأدب بحجة أنها ابنة عمه من بني تَيْم!

ففي الدر المنثور: ٢١٤/٥، أنها: «نزلت في طلحة بن عبيدالله، لأنه قال: إذا توفي رسول الله تزوجْتُ عائشة! وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدِّي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيدالله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا! لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده! فنزلت هذه الآية!

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي فكلمها وهو ابن عمها، فقال النبي: لا تقومَنَّ هذا المقام بعد يومك هذا! فقال: يا رسول الله إنها ابنة

عمي، والله ما قلت لها منكراً ولا قالت لي! قال النبي: قد عرفت ذلك، إنه ليس أحد أغْيَرُ من الله، وإنه ليس أحد أغيرُ مني! فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي! لأتزوجنها من بعده! فأنزل الله هذه الآية»!

ورووا: وهو ما نرجحه أن النبيﷺ عندما تزوج بزينب بنت جحش، أطعم الناس في حجرته التي هي «صالة بيته» وخرجوا وبقي رجال ثقلاء فذهب النبيﷺ يتمشى حتى وصل إلى غرفة عائشة البعيدة نسبياً عن حجرته، وعاد فوجد الثقيلين جالسين ولم يراعيا الأدب، «البخاري: ٢٤/٦» فنزلت الآية، وفيها: وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النبي فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لايَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ.

قال البخاري: ٢٥/٦، عن أنس: «فقلت: يا نبي الله ما أجد أحداً أدعوه. قال: إرفعوا طعامكم، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت..وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام من قام، وقعد ثلاثة نفر.. رأى رجلين جرى بهما الحديث، فلما رآهما رجع عن بيته..وأنزلت آية الحجاب».

وفي فتح الباري: ٤٠٧/٨: «فتهيأ للقيام ليفطنوا لمراده فيقوموا بقيامه..فخرجوا بخروجه إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك لشدة شغل بالهم بما كانوا فيه من الحديث، وفي غضون ذلك كان النبيﷺ يريد أن يقوموا من غير مواجهتهم بالأمر بالخروج لشدة حيائه، فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام».

وقال القرطبي: ٢٢٤/١٤: «**قال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم»! وأقول: حسبك من الثقلاء أنهم محترمون جداً عند السلطة القرشية، لأنهم رؤساؤها، فقد أمرت رواتها بالتغطية عليهم وكتم أسمائهم!**

وحسبك من كذب الرواة في سبب نزول آية الحجاب، أنها كثيرة متناقضة!

٦- غزوة بني لِحْيان

بعد بني قريظة، غزا النبيﷺ بني لِحْيَان وهم بطن من قبيلة هذيل، فربما كانوا يتهيؤون لمهاجمته، وكانوا غدروا ببعض المسلمين وقتلوهم، أو باعوهم

إلى قريش! فكان النبي ﷺ يدعو على قريش وعليهم ويلعنهم.

ففي الكافي: ٧٠/٨: «الإيمان يماني والحكمة يمانية، ولولا الهجرة لكنت امرءً من أهل اليمن. الجفا والقسوة في الفدَّادين أصحاب الوبر ربيعة ومضر، من حيث يطلع قرن الشمس..لعن الله رعلاً وذكوان وعضلاً ولحيان والمجذمين من أسد وغطفان، وأبا سفيان بن حرب، وشهبلاً ذا الأسنان، وابني مليكة بن جذيم، ومروان، وهوذة، وهونة».

وروى مسلم: ١٣٤/٢، وغيره، أنهم قتلوا قراء بعثهم النبي ﷺ إلى نجد فدعا عليهم «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان، وعصية عصت الله ورسوله».

وكانت غزوة مختصرة، قال في المناقب: ١٧٠/١: «في جمادى الأولى وكان بينهما الرمي بالحجارة وصلى فيها صلاة الخوف بعسفان، ويقال في ذات الرقاع».

وقال ابن هشام في روايته عن ابن إسحاق: ٧٥٠/٣ إنها: «على رأس ستة أشهر من فتح قريظة، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع: خبيب بن عدي وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة.. فسلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مخيض، ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار، فخرج على بين، ثم على صخيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة، فأغذ السير سريعاً حتى نزل على غران، وهي منازل بني لحيان وغران واد بين أمج وعسفان، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال..فخرج في مئتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان.. ثم كر وراح رسول الله ﷺ قافلاً، فكان جابر بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعاً: آيبون تائبون إن شاء الله، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال».

ونقد في الصحيح من السيرة: ٢٣٥/١٤ رواياتهم في مدة سفر النبي ﷺ وعمله في هذه الغزوة، وبحث أهم ما فيها وهو زيارة النبي ﷺ لقبر والدته آمنة عليها السلام كما تقدم.

٧- غزوة الغابة أو ذي قِرَد

قال الإمام الصادقعليه السلام: «أتى أبوذر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إني قد اجتويت المدينة «تأذيت من هوائها» أفتأذن لي أن أخرج أنا وابن أخي إلى مزينة فنكون بها؟ فقال: إني أخشى أن يغير عليك خيل من العرب فيقتل ابن أخيك فتأتيني شعثاً فتقوم بين يدي متكئاً على عصاك فتقول: قتل ابن أخي وأخذ السرح! فقال: يا رسول الله، بل لا يكون إلا خير إن شاء الله.

فأذن له فخرج هو وابن أخيه وامرأته فلم يلبث هناك إلا يسيراً حتى غارت خيل لبني فزارة فيها عيينة بن حصن، فأخذت السرح وقتل ابن أخيه وأخذت امرأته من بني غفار، وأقبل أبوذر يشتد حتى وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وبه طعنة جائفة، فاعتمد على عصاه وقال: صدق الله ورسوله، أخذ السرح وقتل ابن أخي وقمت بين يديك على عصاي! فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين فخرجوا في الطلب فردوا السرح وقتلوا نفراً من المشركين». الكافي: ١٢٦/٨.

وقال في الصحيح من السيرة: ٢٢٣/١٤، **ملخصاً**: «كانت غزوة الغابة، وتعرف بذي قِرَد، وهو ماء على بريد من المدينة من جهة الشام، في يوم الأربعاء في شهر ربيع الأول من سنة ست، قبل الحديبية. فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله من غزوة بني لحيان لم يُقم صلى الله عليه وآله سوى أيام قلائل حتى أغار بنو فزارة بقيادة عيينة بن حصن في أربعين فارساً على لقاح النبي صلى الله عليه وآله التي كانت في الغابة فاستاقوها، ونجا أبوذر وبه طعنة جائفة، وقتلوا ابنه وسبوا امرأته! فأمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينادى في المدينة: الفزع الفزع، أو يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها، وركب رسول الله صلى الله عليه وآله في خمس مائة. وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من الفرسان المقداد وجماعة فقال له: أخرج في طلب القوم حتى ألحقك بالناس، فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا، وكان أول فارس لحق بهم محرز بن نضلة فحمل عليه رجل منهم فقتله، ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن. وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين، وقَتل عكاشة بن محصن أبانَ بن عمرو،

وأدرك أوباراً وابنه عمروا وهما على بعير واحد، فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعاً واستنقذوا بعض اللقاح، قيل: عشرة منها وأفلت القوم بما بقي وهو عشر، وهربوا إلى نجد. وسار رسول الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قرد، وأقام عليه يوماً وليلة، ورجع إلى المدينة، وقد غاب عنها خمس ليال.

وأفلتت امرأة أبي ذر على ناقة من إبل رسول الله ﷺ حتى قدمت المدينة فقالت للنبي ﷺ إنها نذرت أن تنحر الناقة التي نجت عليها وتأكل من سنامها وكبدها! فتبسم رسول الله ﷺ وقال: بئسما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها! إنه لا نذر في معصية الله، ولا فيما لا تملكين، إنما هي ناقة من إبلي. إرجعي إلى أهلك على بركة الله».

٨- سرية علي عليه السلام لملاحقة اللصوص العرنيين

قال الإمام الصادق عليه السلام «الكافي: ٢٤٥/٧»: «قدم على رسول الله ﷺ قوم من بني ضبة مرضى فقال لهم رسول الله ﷺ: أقيموا عندي فإذا برئتم بعثتكم في سرية، فقالوا: أخرجنا من المدينة، فبعث بهم إلى إبل الصدقة يشربون من أبوالها ويأكلون من ألبانها، فلما برئوا واشتدوا قتلوا ثلاثة ممن كانوا في الإبل، فبلغ رسول الله ﷺ فبعث إليهم علياً عليه السلام فهم في واد قد تحيروا ليس يقدرون أن يخرجوا منه قريباً من أرض اليمن، فأسرهم وجاء بهم إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية عليه: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأرض. فاختار رسول الله ﷺ القطع فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف».

أقول: غيبت رواية الحكومة إسم علي عليه السلام من هذه السرية وصار إسمها: سرية كرز بن جابر إلى العرنيين! وحرفت روايتها للطعن بالنبي ﷺ وإثبات قسوته، فزعمت أنه ﷺ قتل العرنيين وسمل عيونهم وتركهم عطاشى حتى ماتوا ثم أحرقهم! ليبرروا للحكام ما يرتكبونه، بل ليجعلوهم أرحم من النبي ﷺ!

وكذب روايتهم الإمام الباقر عليه السلام فقال: «علل الشرائع: ٥٤١/٢»: «إن أول ما استحل

الأمراء العذاب لكذبة كذبها أنس بن مالك على رسول الله ﷺ أنه سمَّر يد رجل إلى الحائط، ومن ثَمَّ استحل الأمراء العذاب»!

وروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «لا والله، ما سمل رسول الله ﷺ عيناً، ولا زاد أهل اللقاح على قطع أيديهم وأرجلهم». مسند الشافعي/٣٥١.

وقد كتبنا بحثاً في كتاب: ألف سؤال وإشكال: ٤٣٥/٢، المسألة: ١٦٤، استوفينا فيه رواياتهم وأقوال علمائهم وناقشناها. قال البخاري في صحيحه: ٦٤/١: «فلما صحُّوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا النعم فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم، فلما ارتفع النهار جئ بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم، وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون». **وقال في:** ١٩/٨: «فأمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها، وقطع أيديهم وأرجلهم، وما حسمهم ثم ألقوا في الحرة».

وقال في عون المعبود: ٧٠/٥: «قال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة». **أي تاب عن المثلة بعد ذلك، وكان ينهى المسلمين عنها!**

٩- اتهام عائشة للنبي ﷺ بأنه قسي القلب

زعموا أنه ﷺ لم يكن يبكي رحمة بأحد، فقد بكى أبو بكر وعمر على سعد بن معاذ، أما النبي ﷺ فلم يكن يبكي، بل يشد بشعر لحيته كأنه ينتفه!

فقد روى أحمد: ١٤١/٦: «قالت عائشة: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله عز وجل رحماء بينهم قال علقمة: قلت أي أمه، فكيف كان رسول الله يصنع؟ قالت: كانت عينه لاتدمع على أحد! ولكنه كان إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته»! **ووثقه في الزوائد:** ١٣/٦.

١٠- ثمامة سيد اليمامة هدية من الله إلى رسوله ﷺ

كان ثمامة بن أثال سيد بني حنيفة الذين يسيطرون على اليمامة، واليمامة هي سافلة نجد مما يلي البحرين، وتبلغ ثلث ما يعرف اليوم بنجد:

(اليمامة (إقليم/ https: / /ar.wikipedia.org /wiki

في اللبـاب لابن الأثير: ٣٩٦/١: «الحنفي.. هذه النسـبة إلى حنيفة وهـم قبيلة كثيرة من ربيعة بن نزار نزلوا اليمامة، وهم حنيفة بن لجيم بن صعب... بن ربيعة بن نزار، ينسب إليـه خلق كثير، منهم ثمامة بن أثال الحنفي له صحبة، وخولة أم محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب».

وكان النبي صلى الله عليه وآله يحب أن يحاصر قريشاً ويمنع عنها التموين من جهة نجد والعراق، كما منعه من جهة المدينة والشام، لعلها تفكر وتخضع لربها وتسمع لرسوله صلى الله عليه وآله، وقد يكون جبرئيل عليه السلام علمه أن يدعو الله تعالى أن يوقع ثمامة سيد اليمامة في قبضته ويهدي قلبه، فكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة.

ففي الكافي: ٢٩٩/٨، **عن الإمام الباقر عليه السلام قال**: «إن ثمامة بن أثال أسرته خيل النبي صلى الله عليه وآله، وقـد كان رسـول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهـم أمكني من ثمامـة، فقال له رسـول الله صلى الله عليه وآله: إني مخـيرك واحـدة من ثلاث: أقتلـك، قال: إذاً تقتـل عظيماً! أو أفاديك، قـال: إذاً تجدني غاليـاً! أو أمـنُّ عليـك، قال: إذاً تجدني شـاكراً! قال: فإني قد مننـت عليك. قال: فإني أشـهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسـول الله، وقد والله علمت أنك رسول الله حيث رأيتك، وما كنت لأشهد بها وأنا في الوثاق»!

وفي الإسـتيعاب: ٢١٤/١: «ثـم أمر به فأطلـق، فذهب ثمامة إلى المصانع فغسـل ثيابه واغتسل، ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم وشهد شهادة الحق، وقال: يا رسول الله إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فمر من يسـيرني إلى الطريق، فأمر من يسـيره فخرج حتى إذا قدم مكة، فلما سمع به المشركون جاؤوه فقالوا: يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائـك؟ قال: لا أدري ما تقولون إلا أني أقسـمت برب هـذه البُنَيَّة لا يصل إليكم من اليمامـة شـئ مما تنتفعون به حتى تتبعـوا محمداً عن آخركم! قـال: وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة!

ثم خرج فحبس عنهم ما كان يأتيهم منها من ميرتهم ومنافعهم، فلما أضرَّ بهم كتبوا إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها، وإن ثمامة قد قطـع عنـا ميرتنا وأضر بنا، فـإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننـا وبين ميرتنا فافعل!

فكتب إليه رسول الله ﷺ أن خلِّ بين قومي وبين ميرتهم!

وكان ثمامة حين أسلم قال: يا رسول الله، والله لقد قدمت عليك وما على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، ولا دين أبغض إلى من دينك، ولا بلد أبغض إلى من بلدك، وما أصبح على الأرض وجه أحب إليّ من وجهك، ولا دين أحب إليّ من دينك، ولا بلد أحب إليّ من بلدك!

١١- السنوات العجاف على قريش

قال الواحدي في أسباب النزول/٢١١: «قال ابن عباس: لما أتى ثمامة بن أثال الحنفي إلى رسول الله ﷺ فأسلم وهو أسير فخلى سبيله، فلحق باليمامة فحال بين أهل مكة وبين الميرة من يمامة وأخذ الله تعالى قريشاً بسني الجدب حتى أكلوا العلهز»الوبر بالدم«فجاء أبوسفيان إلى النبي ﷺ فقال: أنشدكم الله والرحم، إنك تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين، قال: بلى، فقال: قد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فأنزل الله تعالى هذه الآية: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ».

وسبق إسلام ثمامة دعاء النبي ﷺ على قريش بعد غزوة الأحزاب: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، فتتابعت عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين حتى أكلوا القد والعظام والعلهز». مختلف ابن قتيبة/٢٣٣.

ثم جاءهم قرار ثمامة بمنع وصول أي مادة غذائية لهم فاشتد الأمر عليهم، لكنهم لم يخضعوا لربهم ولا دعوه، ولا طلبوا من النبي ﷺ أن يدعو لهم، بل كتبوا له إنك تأمر بصلة الرحم وإن ثمامة منع عنا الميرة فكتب إلى ثمامة»! الوافي: ١٤/١١، أسباب النزول للواحدي/٢١١، الحاكم: ٢/ ٣٩٤، ابن حبان: ٣/ ٢٤٧.

والسبب في عدم خضوعهم ودعائهم تكبرهم الذي فاقوا به اليهود! فقد قرروا أن لا يؤمنوا بالنبي ﷺ مهما رأوا من آياته!

وفي الكافي: ٢/ ٤٨٠، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الإستكانة هو الخضوع

والتضرع هو رفع اليدين والتضرع بهما». راجع في ثمامة: تفسير الثعلبي: ٥/ ١٢، الرازي: ٢٣/ ١١٣، الإصابة: ١/ ٥٢٥ و ٣/ ٤٧١، ابن هشام: ٤/ ١٠٢٦ و ١٠٥٣ وتاريخ المدينة: ٢/ ٤٣٥.

١٢- أبعد أبو بكر ثمامة فاضطهده مسيلمة!

قال محمد بن إسحاق كما في الإستيعاب: ١/ ٢١٤: «ارتد أهل اليمامة عن الإسلام غير ثمامة بن أثال ومن اتبعه من قومه، فكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه، ويقول إياكم وأمراً مظلماً لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاءٌ على من لم يأخذ به منكم، يا بني حنيفة! فلما عصوه ورأى أنهم قد أصفقوا على اتباع مسيلمة عزم على مفارقتهم.

ومر العلاء بن الحضرمي ومن معه على جانب اليمامة «في البحرين» فلما بلغه ذلك قال لأصحابه من المسلمين: إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا، وإن الله تعالى لضاربهم ببلية لايقومون بها ولا يقعدون، وما نرى أنت نتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون، وقد عرفنا الذي يريدون، وقد مروا قريباً ولا أرى إلا الخروج إليهم، فمن أراد الخروج منكم فليخرج، فخرج مدداً للعلاء بن الحضرمي ومعه أصحابه من المسلمين، فكان ذلك قد فتَّ في أعضاد عدوهم حين بلغهم مدد بني حنيفة! وقال ثمامة بن أثال في ذلك:

دعانا إلى ترك الديانة والهدى ... مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجعُ

فيا عجباً من معشر قد تتابعوا ... له في سبيل الغي والغيُّ أشنعُ...».

وقد فصلنا الموضوع في كتاب: قراءة جديدة في حروب الردة.

الفصل الخامس والخمسون

غزوة الحديبية والهدنة بين النبي و قريش

١- هدف الحديبية فرض الأمرالواقع على قريش

بعد هزيمة الأحزاب وفشل حملتهم على المدينة، غزا النبيﷺ حلفاءهم بني قريظة وأجلاهم عن المدينة، وغزا بني المصطلق الذين كانوا يجمعون للغارة عليه وكانوا قريبين من مكة، وفرض سيطرته على شعاع واسع من المدينة حتى وصل نفوذه إلى نجد. ثم أسلم ثمامة بن أثال وفرض الحصار على المواد التموينية لقريش، ورافق ذلك الجدب وعدم المطر والضائقة الإقتصادية الشديدة عليهم، لكنهم ظلوا على عنادهم وكبريائهم!

في ذلك الظرف أراد النبيﷺ أن يفرض على قريش أن تعترف بالإسلام كأمر واقع، فقصد مكة معلناً أنه يريد العمرة، ولا يريد حرب قريش!

٢- توجه النبي ﷺ بالمسلمين إلى العمرة

في الكافي: ٣٢٢/٨، عن الإمام الصادقؑ قال: «لما خرج رسول اللهﷺ في غزوة الحديبية خرج في ذي القعدة، فلما انتهى إلى المكان الذي أحرم فيه، أحرموا ولبسوا السلاح، فلما بلغه أن المشركين قد أرسلوا إليه خالد بن الوليد ليرده قال: إبغوني رجلاً يأخذني على غير هذا الطريق، فأتيَ برجل من مزينة أو من جهينة، فسأله فلم يوافقه فقال: أبغوني رجلاً غيره، فأتيَ برجل آخر، قال: فذكر له فأخذه معه حتى انتهى إلى العقبة فقال: من يصعدها حط الله عنه كما حط الله عن بني إسرائيل، فقال لهم: أدخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم.

قال فابتدرها خيل الأنصار الأوس والخزرج، قال: وكانوا ألفاً وثمان مائة [وأربع مائة] فلما هبطوا إلى الحديبية إذ امرأة معها ابنها على القليب فسعى ابنها هارباً، فلما أثبتت أنه رسول الله صرخت به: هؤلاء الصابئون، ليس عليك منهم بأس، فأتاها رسول الله ﷺ فأمرها فاستقت دلواً من ماء فأخذه رسول الله ﷺ فشرب وغسل وجهه فأخذت فضلته فأعادته في البئر فلم تبرح حتى الساعة. «أي مملوءة»!

وخرج رسول الله ﷺ فأرسل إليه المشركون أبان بن سعيد في الخيل فكان بإزائه ثم أرسلوا الحليس فرأى البدن وهي تأكل بعضها أوبار بعض» أي هدي للكعبة «فرجع ولم يأت رسولَ الله ﷺ، وقال لأبي سفيان: يا أبا سفيان أما والله ما على هذا حالفناكم على أن تردوا الهدي عن محله! فقال: أسكت فإنما أنت أعرابي! فقال: أما والله لتخلين عن محمد وما أراد، أو لأنفردن في الأحابيش! فقال: أسكت حتى نأخذ من محمد وَلْثاً «عهداً» فأرسلوا إليه عروة بن مسعود وقد كان جاء إلى قريش في القوم الذين أصابهم المغيرة بن شعبة، وكان خرج معهم من الطائف وكانوا تجاراً، فقتلهم وجاء بأموالهم إلى رسول الله ﷺ فأبى رسول الله أن يقبلها وقال: هذا غَدر ولا حاجة لنا فيه!

فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله هذا عروة بن مسعود، قد أتاكم وهو يعظم البدن، قال: فأقيموها فأقاموها. فقال: يا محمد مجئ من جئت؟ قال: جئت أطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر هذه الإبل، وأخلي عنكم عن لحمانها. قال: لا واللات والعزى فما رأيت مثلك رُدَّ عما جئت له، إن قومك يذكرونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم، وأن تقطع أرحامهم، وأن تُجَرِّئ عليهم عدوهم. فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل حتى أدخلها. قال وكان عروة بن مسعود حين كلم رسول الله ﷺ تناول لحيته، والمغيرة قائم على رأسه فضرب بيده فقال: من هذا يا محمد؟ فقال: هذا ابن أخيك المغيرة. فقال: يا غُدَر والله ما جئت إلا في غسل سلحتك، «إعطاء الديات لمن غدر بهم».

قال: «فرجع إليهم فقال لأبي سفيان وأصحابه: لا والله ما رأيت مثل محمد رد عما جاء له، فأرسلوا إليه سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، فأمر رسول الله ﷺ فأثيرت

في وجوههم البدن، فقالا: مجئ من جئت؟ قال: جئت لأطوف بالبيت وأسعى بين الصفا والمروة وأنحر البدن وأحلي بينكم وبين لحمانها. فقالا: إن قومك يناشدونك الله والرحم أن تدخل عليهم بلادهم بغير إذنهم وتقطع أرحامهم ونُجَرِّي عليهم عدوهم. قال: فأبى عليهما رسول الله إلا أن يدخلها».

٣- استنفرت قريش وبعثت طليعةً لصد النبي صلى الله عليه وآله

في تفسير القمي: ١٥٠/١: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الحديبية يريد مكة، فلما وقع الخبر إلى قريش بعثوا خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، ليستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على الجبال، فلما كان في بعض الطريق وحضرت صلاة الظهر فأذن بلال فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالناس، فقال خالد بن الوليد لو كنا حملنا عليهم وهم في الصلاة لأصبناهم فإنهم لايقطعون صلاتهم! ولكن يجئ لهم الآن صلاة أخرى هي أحب إليهم من ضياء أبصارهم، فإذا دخلوا فيها حملنا عليهم! فنزل جبرئيل بصلاة الخوف بهذه الآية: وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً. ففرق رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه فرقتين، فوقف بعضهم تجاه العدو وقد أخذوا سلاحهم، وفرقة صلوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قياماً، ومروا فوقفوا مواقف أصحابهم، وجاء أولئك الذين لم يصلوا فصلى بهم رسول الله الركعة الثانية ولهم الأولى، وقعد وتشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وقام أصحابه وصلوا هم الركعة الثانية، وسلم عليهم».

وفي سيرة ابن هشام: ٧٧٥/٣، **أن النبي صلى الله عليه وآله قال**: «يا ويح قريش! لقد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة! فما تظن قريش! فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة. ثم قال: مَنْ رجلٌ يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها».

٤- عسكرت قريش في بَلْدَح وعسكر النبي ﷺ في الحديبية

عسكرت قريش في بلدح وهو واد قرب مكة عند التنعيم وفخ، «معجم البكري:١/٢٧٣» وفيه ماء كثير وأصنام. طبقات ابن سعد: ٢/٩٥ والمناقب: ١/٩١. وكانوا يرسلون دورياتهم إلى مداخل مكة والمناطق القريبة من الحديبية، وكان قادة الخيل أبان بن سعيد، وخالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب.

وفي المناقب: ١/١٧٤: «قال الزهري: فلما صار بذي الحليفة قَلَّدَ النبي ﷺ الهدي وأشعره «جعل له علامة» وأحرم بالعمرة، فلما بلغ غدير الأشطاط عند عسفان أتاه عتبة الخزاعي فقال: إن كعب بن لؤي وعامر بن لؤي جمعوا لك الجموع، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت، فقال ﷺ: روحوا فراحوا حتى إذا كان ببعض الطريق قال ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم طليعة فخذوا ذات اليمين وسار حتى إذا كان بالثنية بركت ناقته فقال: ما خلأت القصواء ولكن حبسها حابس الفيل! ثم قال: والله لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها! قال فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد القَصَّة «٢٥ كم عن مكة من جهة جدة» فأتاهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكان عَيْبَة نصح رسول الله ﷺ وقال كما قال الغير فقال النبي ﷺ: إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، في كلام له بين الصلح والحرب.

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، فأتى قريشاً وقال: إن هذا الرجل يقول كذا وكذا فقال عروة بن مسعود الثقفي: إنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقالوا: إئته، فأتى النبي ﷺ وسمع منه مثل مقالته لبديل ورأى تعظيم الصحابة له ﷺ، فلما رجع قال: أيْ قوم والله لقد وفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً! يقتتلون على وضوئه، ويتبادرون لأمره، ويخفضون أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها! فقال رجل من بني كنانة: إئته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا فلان وهو من قوم يعظمون البُدْن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت الحرام.

ثم جاء مكرز بن حفص فجعل يكلم النبي إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ: قد سهل عليكم أمركم، فجلس وضرع إلى النبي ﷺ في الصلح، ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك».

وفي روضة الواعظين/٦٢: «ولقد كنا معه بالحديبية وإذا بقليب «بئر» جافة فأخرج سهماً من كنانته فناوله البراء بن عازب وقال له: إذهب بهذا السهم إلى تلك القليب الجافة فاغرسه، ففعل ذلك فتفجرت اثنتا عشرة عيناً من تحت السهم»!

وفي المناقب: ٩١/١: «فجاءت قريش ومعهم سهيل بن عمرو فأشرفوا على القليب والعيون تنبع تحت السهم فقالت: ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد قليل! فلما أمر الناس بالرحيل قال: خذوا حاجتكم من الماء، ثم قال للبراء: إذهب فرد السهم، فلما فرغوا وارتحلوا أخذ السهم فجف الماء، كأنه لم يكن هناك ماء»!

«قال البراء: كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فقدمناها وعليها خمسون شاة ما ترويها.. فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء.. حتى جرت نهراً.. فارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفيرها. فقال سالم بن أبي الجعد: فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا! كنا خمس عشرة مائة». «وعلى الماء يومئذٍ نفر من المنافقين منهم عبدالله بن أُبيّ، فقال أوس بن خولى: ويحك يا أبا الحباب! أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه، أبعد هذا شئ؟! فقال: إني قد رأيت مثل هذا! فقال أوس: قبحك الله وقبح رأيك! فأقبل ابن أُبيّ يريد رسول الله ﷺ فقال: يا أبا الحُبَاب: إني رأيت مثلما رأيت اليوم! فقال: ما رأيت مثله قط! قال: فلم قلته؟ فقال ابن أُبي: يا رسول الله استغفر لي، فقال ابنه عبدالله بن عبدالله: يا رسول الله استغفر له، فاستغفر له. فقال عمر: ألم ينهك الله يارسول الله أن تصلي عليهم أو تستغفر لهم! فأعرض عنه رسول الله ﷺ وأعاد عليه فقال له: ويلك إني خيِّرت فاخترت، إن الله يقول: إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْلاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ». **الصحيح:** ٢٢٥/١٥.

٥- هدايا خزاعة إلى النبي صلى الله عليه وآله

في الصحيح من السيرة: ٣٥٦/١٥: «وأهدى عمرو بن سالم وبسر بن سفيان الخزاعيان بالحديبية لرسول الله صلى الله عليه وآله غنماً وجزوراً، وأهدى عمرو بن سالم لسعد بن عبادة جُزُراً وكان صديقاً له، فجاء سعد بالجزر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخبره أن عَمْراً أهداها له، فقال: وعمرو قد أهدى لنا ما ترى فبارك الله في عمرو. ثم أمر بالجزر أن تنحر وتقسم في أصحابه، وفرق الغنم فيهم عن آخرها وشرك فيها فدخل على أم سلمة من لحم الجزور كنحو ما دخل على رجل من القوم..وأمر صلى الله عليه وآله للذي جاء بالهدية بكسوة».

٦- ابتلى الله المسلمين بالصيد وهم محرمون

عن الإمام الصادق عليه السلام قال في قول الله عز وجل: لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ: «حشرت لرسول الله في عمرة الحديبية الوحوش حتى نالتها أيديهم ورماحهم. ليبلوهم الله به.. نزلت في غزاة الحديبية قد جمع الله عليهم الصيد فدخل بين رحائلهم، ليبلوهم الله أي يختبرهم». الكافي: ٣٩٦/٤، تفسير القمي: ١٨٢/١، تفسير العياشي: ٢٤٣/١ والنوادر للأشعري/١٣٧.

٧- أرسل النبي صلى الله عليه وآله خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش

خراش بن أمية هو الذي حلق للنبي صلى الله عليه وآله في عمرة الحديبية، «الفقيه: ٢٣٩/٢» فهو قريب من النبي صلى الله عليه وآله وكان أول من أرسله برسالته إلى قريش أني جئت معتمراً لا مقاتلاً، فاعترضه معسكرهم وعقر بعيره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله على خلاف ما اتفقت عليه أصول العرب وكافة الناس من عدم قتل الرسول فأنقذته منهم قبيلة الأحابيش، وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله !الطبري: ٢٧٨/٢ وابن هشام: ٧٧٩/٣.

٨- حاول مسلمون الذهاب إلى مكة فأسرهم المشركون

«وكان رجال من المسلمين قد دخلوا مكة بإذن رسول الله صلى الله عليه وآله وهم: كرز بن جابر الفهري، وعبدالله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس، وعبدالله بن حذافة

السهمي، وأبو الروم بن عمير العبدري، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، وعمير بن وهب الجمحي، وحاطب بن أبي بلتعة، وعبدالله بن أبي أمية. فعُلم بهم فأُخذوا». سبل الهدى ٤٨/٥.

أقول: هؤلاء مكيون كانوا مقطوعين عن أسرهم وأقاربهم، ويبدو أن عملهم فردي، وقد يكون بعضهم استأذن النبي ﷺ فقال لهم إن استطعتم فادخلوا وقيل إنهم دخلوا بأمان عثمان بن عفان، ولا يصح، لأنه هو دخل بأمان من ابن عمه أبان بن سعيد، مع أنه كان مبعوث النبي ﷺ إلى قريش.

٩- أمر النبي ﷺ عمر بالذهاب فخاف فأرسل عثمان

«أراد أن يبعث عمر فقال: يا رسول الله إن عشيرتي قليل وإني فيهم على ما تعلم ولكني أدلك على عثمان بن عفان، فأرسل إليه رسول الله فقال: إنطلق إلى قومك من المؤمنين فبشرهم بما وعدني ربي من فتح مكة، فلما انطلق عثمان لقي أبان بن سعيد فتأخر عن السرج فحمل عثمان بين يديه ودخل عثمان فأعلمهم، وكانت المناوشة، فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله ﷺ وجلس عثمان في عسكر المشركين وبايع رسول الله ﷺ المسلمين وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان. وقال المسلمون: طوبى لعثمان قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل، فقال رسول الله ﷺ ماكان ليفعل فلما جاء عثمان قال له رسول الله ﷺ: أطفت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله لم يطف به. ثم ذكر القضية وماكان فيها». الكافي: ٣٢٦/٨.

أقول: كان أبان بن سعيد بن العاص قائد خيل المشركين مع خالد وعكرمة وضرار، وكان مكلفاً أن يكونوا بإزاء جيش النبي ﷺ، وهو أخو خالد بن سعيد المؤمن المهاجر إلى الحبشة والموجود مع النبي ﷺ، وأبوهما أبو أحيحة الأموي الثري المشهور وله مكانة في قريش، فأعطى الأمان لعثمان، فلم يكن أي خطر عليه، بل أركبه فرسه ودخل معه إلى مكة، فبلغ رسالة النبي ﷺ.

وفي الصحيح من السيرة: ١٥/٢٩٧، ملخصاً: «ليت شعري لو أن النبي صلى الله عليه وآله كان قد أمر عمر بن الخطاب بالمبيت في مكانه ليلة الهجرة فهل كان سيمتثل أمره؟! أم كان سيعتذر بأن قريشاً سوف تقتله وليس هناك من يدفع عنه من بني عدي، أو من غيرهم؟! وفي الحديبية لم يطلب منه رسول الله صلى الله عليه وآله ما يصل إلى حد ما طلبه من أمير المؤمنين عليه السلام ليلة الهجرة من حيث درجة الخطورة على حياته.. بل طلب منه أن يكون رسولاً يتمتع بحصانة الرسل الذين يعتبر الإعتداء عليهم عاراً وعيباً عند العرب وعند سائر الأمم، وكان أرسل غيره في هذه المهمة وعاد سالماً، ومنع المشركون سفهاءهم من الإعتداء عليه، لأن الرسل لا تقتل!

ولكن عمر بن الخطاب يرفض طلب رسول الله صلى الله عليه وآله هذا، ويعتذر بأمر شخصي بحت ليس له منشأ يقبله العقلاء الذين يعيشون أجواء التضحية في سبيل مبادئهم، بل لا يقبله حتى عقلاء أهل الشرك والكفر! فكيف يدَّعون أن الإسلام عزّ بإسلام عمر، وأنه قد كانت له بطولات عظيمة ومواجهات مع المشركين قبل الهجرة كسرت شوكتهم»!

١٠- مبعوثو قريش إلى النبي صلى الله عليه وآله

جاء بديل بن وقاء الخزاعي رئيس خزاعة إلى النبي صلى الله عليه وآله فأرسله إلى قريش وكلمهم بحضور عروة بن مسعود الثقفي رئيس ثقيف، فأيد كلامه وطلب منهم عروة أن يرسلوه فأرسلوه، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله ورجع إلى قريش فحثهم على السماح له بأداء العمرة فلم يقبلوا! القمي: ٢/٣١٠، الطبري: ٢/٢٧٥ وابن شيبة: ٨/٥١٤.

ثم أرسلوا الحليس رئيس قبيلة الأحابيش كما تقدم من الكافي، ويبدو أنه هو رغب بذلك، فرجع وكلمهم أن يتركوا النبي صلى الله عليه وآله ليؤدي عمرته، فلم يقبلوا.

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبدالعزى، ومكرز بن حفص، فلما جاء سهيل ورآه النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: سهل أمركم. وكانت مفاوضات النبي صلى الله عليه وآله معه صعبة ومثمرة، وقد احتاج فيها سهيل أن يرجع إلى قريش لأخذ موافقتهم على بند حرية المسلمين في مكة، فوافقوا.

١١- بيعة الرضوان بحضور مفاوض قريش

استمرت مفاوضات النبيﷺ مع سهيل بن عمرو يومين، وكانت في بعض مراحلها متوترة وفيها تهديد! **قال الطبري**: ٢٨٠/٢: «فلما انتهى سهيل إلى رسول‌الله تكلم فأطال الكلام، وتراجعا».

وفي فتح الباري: ٢٥٣/٥: «فلما لانَ بعضهم لبعض في الصلح، وهم على ذلك إذ رمى رجل من الفريقين رجلاً من الفريق الآخر فتصايح الفريقان، وارتهن كل من الفريقين من عندهم، فارتهن المشركون عثمان ومن أتاهم من المسلمين وارتهن المسلمون سهيل بن عمرو ومن معه، ودعا رسول‌الله إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفروا، وبلغ ذلك المشركين فأرعبهم الله، فأرسلوا من كان مرتهناً، ودعوا إلى الموادعة».

وفي اليوم الثاني بقي النبيﷺ مصراً على شرط حرية المسلمين في مكة، فرجع سهيل إلى مكة للتشاور مع زعماء قريش بشأنه، ثم عاد إلى النبيﷺ. وقد أخذ النبيﷺ بحضور سهيل بيعة الرضوان من أصحابه على القتال وعدم الفرار، وعلى أن لاينازعوا الأمر أهله. فبيعة الرضوان لإرهاب قريش وإثبات جدية النبيﷺ في فرض الأمر الواقع عليها.

وقال الواقدي: ٦٠٢/٢ قال لهم: «إن الله تعالى أمرني بالبيعة، فتداك الناس يبايعونه، بايعهم على أن لايفروا».

وفي شرح مسلم: ٢/١٣: «في حديث ابن عمر وعبادة: بايعنا على السمع والطاعة وأن لا ننازع الأمر أهله». **وفي مسند أحمد**: ٣٢١/٥، **عن عبادة**: «قال رسول‌اللهﷺ عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، ولا تنازع الأمر أهله». ومعناه: أن لا ننازع الوصي على خلافة النبيﷺ.

١٢- الإشتباكات مع قريش ودور علي عليه السلام فيها

١ - نقرأ في سورة الفتح وصف مواجهة المسلمين لقريش في الحديبية، في قوله تعالى:

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. **الفتح: ٢٤-٢٥.**

فنرى في الحديبية ظفراً عسكرياً للمسلمين حتى عدَّ الفقهاء مكة مفتوحة عنوة: **قال في الخلاف: ٥٢٨/٥، عن الآية:** «وهذا صريح في الفتح».

لكن رواة السلطة القرشية أخفوا الظفر العسكري لأن بطله علي عليه السلام، أو نسبوه إلى محمد بن مسلمة، أو ابن الأكوع، وحتى إلى خالد بن الوليد، الذي كان يومها قائداً في جيش المشركين! وغرضهم أن يخفوا مقاومة قريش للنبي صلى الله عليه وآله وصده عن العمرة، ويخفوا بطولة علي عليه السلام في مواجهة قريش! ويمدحوا أشخاصاً آخرين يحبونهم!

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد: ١١٩/١: «ثم تلا بني المصطلق الحديبية، وكان اللواء يومئذ إلى أمير المؤمنين عليه السلام كما كان إليه في المشاهد قبلها، وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب للقتال ما ظهر خبره واستفاض ذكره».

أقول: رحم الله المفيد ليته بينه، فقد ظهر ذلك واستفاض ذكره إلى عصره في القرن الرابع، ثم طُمس وأخفي ولم يصلنا إلا محرفاً مبتوراً!

قال رواة السلطة كالطبري: ٢٧٨/٢: «إن قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم أو خمسين رجلاً، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ليصيبوا لهم من أصحابه، فأخذوا أخذاً، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فعفا عنهم وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله بالحجارة والنبل». وفي رواية ابن عبدالبر أنهم كانوا ثمانين.

فمن الذي قاد هذه العملية النظيفة، وهاجم هؤلاء الفرسان، وأسرهم جميعاً بدون سفك دم؟ لقد نسبوه إلى محمد بن مسلمة، وكأن علياً عليه السلام كان نائماً وهو قائد الجيش، الذي يُعَيِّن الحراسات ويسير الدوريات ويسهر على سير الأمور! لكنهم يحبون ابن مسلمة،

لأنه شارك في تأسيس النظام القرشي، وكان من المهاجمين لبيت فاطمة وعلي عليه السلام!

٢- ثم رووا أن سهيل بن عمرو قال في مفاوضته للنبي صلى الله عليه وآله: «يا محمد! إن هذا الذي كان من حبس أصحابك، وما كان من قتال من قاتلك، لم يكن من رأي ذوي رأينا بل كنا له كارهين حين بلغنا، ولم نعلم به وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة، والذين أسرت آخر مرة!

قال: إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي. قال: أنصفتنا. فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشتيم بن عبدمناف التيمي فبعثوا بمن كان عندهم، وهم: عثمان وعشرة من المهاجرين وأرسل رسول الله أصحابهم الذين أسروا». الإمتاع: ٢٨٩/١.

فقد أسَرَ النبي صلى الله عليه وآله إذن مجموعة من المشركين وأطلقهم، ثم أسر مجموعتين واحتفظ بهم! فمن قام بذلك غير علي عليه السلام قائد الجيش؟!

ثم رووا أن خيل النبي صلى الله عليه وآله وكانوا مئتي فارس، قاتلوا فرسان قريش وهم خيل عكرمة بن أبي جهل، وهزموهم حتى أدخلوهم حيطان مكة!

قال الزمخشري في الكشاف: ٥٤٧/٣، في تفسير قوله تعالى: مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ: «لما روي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمس مائة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله من هزمه وأدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله: وهُوَ الَّذي كفَّ أيديهم»

فمن الذي بعثه النبي صلى الله عليه وآله وقاد هذه العملية النظيفة داخل الحرم، وهزم قوة المشركين الضاربة بدون سفك دم، ولماذا بخلوا بتسمية علي عليه السلام؟!

٣- ويأخذك العجب من وقاحة رواة قريش ونسبتهم ذلك إلى خالد بن الوليد مع أنه كان قائد خيل المشركين، واعترض النبي صلى الله عليه وآله في الطريق وأراد أن يهاجم المسلمين وهم في صلاتهم، لكن النبي صلى الله عليه وآله تحاشى القتال!

لاحظ ما رواه الطبري في تفسيره: ١٢٣/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور: ٧٨/٦، عن عدة مصادر في تفسير قوله تعالى: وَهُوَالَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ. قال: «لما خرج النبي صلى الله عليه وآله بالهدي وانتهى إلى ذي

الحليفة قال له عمر: يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع! قال فبعث إلى المدينة فلم يدع بها كراعاً ولا سلاحاً إلا حمله، فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل، فسار حتى أتى منى فنزل بمنى، فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج علينا في خمس مائة فقال لخالد بن الوليد: يا خالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله، يا رسول الله إرم بي حيث شئت، فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، ثم عاد في الثالثة حتى أدخله حيطان مكة! فأنزل الله: وَهُوالَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ.. **إلى قوله**: عذاباً أليماً». فهي رواية مكذوبة لمدح عمر بأنه أفقه من النبي صلى الله عليه وآله فنبهه إلى لزوم السلاح في سفره! ولمدح خالد وجعله سيف الله! لكن اضطر ابن كثير للإعتراف بكذب الرواية! قال في تفسيره: ٢٠/٤: «لأن خالداً لم يكن أسلم، بل كان حينئذ طليعة للمشركين كما ورد في الصحيح»!

٤- واجه القرشيون النبي صلى الله عليه وآله بشراسة وبغضاء، مع أنه جاء معتمراً غير مقاتل! وأرسلوا خيلهم بقيادة خالد لإرجاعه أو قتاله، فتجنبها ونزل في الحديبية، فأرسلوا خيلهم بقيادة أبان بن سعيد إلى قربه، واستفردوا رجلاً مسلماً فقتلوه! وأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وآله رسولاً فعقروا بعيره وأهانوه! ثم قاموا بأسر مسلمين عُزَّل ذهبوا إلى مكة. ثم أرسل اليهم النبي صلى الله عليه وآله عثمان بأمان أبان، فحبسوه!

مقابل ذلك قام النبي صلى الله عليه وآله بأسر مجموعة من اثني عشر فارساً، رداً على قتلهم المسلم: «يقال له رهم: اطلع الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله خيلاً فأتوه باثني عشر فارساً من الكفار فقال لهم نبي الله: هل لكم علي عهد هل لكم علي ذمة، قالوا: لا. فأرسلهم». تفسير الطبري: ١٢٢/٢٦.

ثم أسر النبي صلى الله عليه وآله مجموعة جاؤوا ليلاً للغارة على معسكره، ولم يطلقهم.

ثم أسر أربعين أو خمسين فارساً، وروي سبعين أو ثمانين، «الدرر لابن عبدالبر/١٩٤».

ثم رد هجوم خيلهم بقيادة عكرمة، وهزمهم حتى أوصلهم إلى حيطان مكة.

وكان الذي يقوم بالعمليات علي عليه السلام، ولذا جاءت نظيفة بدون سفك دم رجل

واحد في الحرم! لكنهم نسبوها إلى أحبائهم وفيهم من قادة المشركين!

وقد أنتجت هذه العمليات والبيعة التي أخذها النبيﷺ أنهم رأوا أن، ميزان القوة مع النبيﷺ فقبلوا بالمعاهدة، خاصة بند حرية المسلمين في مكة!

قال السيد شرف الدين في النص والإجتهاد/١٦٦: «صده المشركون عن مكة صداً شكساً شرساً لئيماً، فما استخفه بذلك غضب ولا روع حلمه رائع، كان يأخذ الأمور مع أولئك الجفاة بالملاينة والإغماض، وله في شأنهم كلمات متواضعة، على أن فيها من الرفعة والعلاء ما يريهم إياه فوق الثريا ويريهم أنفسهم تحت الثرى! وفيها من النصح لهم والإشفاق عليهم ما لم يكن فيه ريب لأحد منهم، ومن الحكمة الإلهية ما يأخذ بمجامع قلوبهم على قسوتها وغلظتها، ومن الوعيد والتهديد باستئصال جذرتهم وبذرتهم ما يقطع نياط قلوبهم».

٥- أخفى رواة السلطة مناقب عليعليه السلام في الحديبة، لكن أفلتت منهم أحاديث:

الأول: رواه الحافظ في ثلاثة مواضع من تاريخه: ٢/٣٧٧، ٣/١٨١ و ٤/٤٤١ «عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: «سمعت رسول اللهﷺ وهو آخذ بضبع علي يوم الحديبية وهو يقول: هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله. مد بها صوته».

فما هي المناسبة لهذه الإشادة من النبيﷺ ليأخذ بعضد عليعليه السلام، ويمد صوته في مدحه؟ وهل كان إلا بعد تحقيقه انتصاراً بأسر مجموعة من المشركين، أو رد هجوم فرسانهم وفرارهم أمامه مسافة طويلة، حتى أدخلهم حيطان مكة؟ أو بعد تفاقم حسد الحاسدين وكلامهم على عليعليه السلام؟

وقد تضمنت بعض روايات الحافظ قول النبيﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد البيت فليأت الباب»! «وتاريخ دمشق: ٤٢/٢٢٦و٢٨٢، وفتح الملك العلي لابن الصديق المغربي/٥٧ والحاكم: ٣/١٢٩»، لكن الأخير لم يذكر أن مناسبته في الحديبية.

وقال الخطيب التبريزي في الإكمال/١١١: «هذا حديث حسن صحيح فقد حسنه ابن حجر والعلائي وجماعة، وصححه ابن معين وابن جرير والحاكم

والسيوطي والعلامة الهندي وجماعة من السلف. وله شاهد من حديث ابن عباس عنه الطبري والطبراني والحاكم والخطيب، ومن حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عنه الترمذي وابن جرير، وقد تكلم فيه جماعة من المتعنتين والمتعصبين في الجرح، فلا يلتفت إليهم»! ومن مصادرنا: الطوسي في الأمالي/٤٨٣، الطبري الشيعي في المسترشد/٦٢٢، عن محمد بن المنكدر وفيه أنه يوم الحديبية.

والحديث الثاني: في المناقب: ٢/٢٤٤، عن الترمذي أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم الحديبية لسهيل بن عمرو وقد سأله رد جماعة: «يا معشر قريش لتنتهوا أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم على الدين امتحن الله قلبه بالإيمان! قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: هو خاصف النعل، وكان أعطى علياً نعله يخصفها».

وقد أوردنا مصادره في **آيات الغدير**/١٤٤، وأثبتنا أنه صدر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله في المدينة بعد فتح مكة، وأن النبي صلى الله عليه وآله أخبرهم بأنهم لن ينتهوا عن معاداة الإسلام حتى يقاتلهم علي عليه السلام! ويظهر أن سهيل بن عمرو طمع عندما قبل النبي صلى الله عليه وآله شرطهم بإرجاع من يأتيه منهم، فطالب بمن أتاه قبل الحديبية!

والحديث الثالث رواه الجميع: لما رفض سهيل أن يكتبوا كلمة «رسول الله».

ففي إعلام الورى: ١/٣٧١: «فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل بن عمرو: هذا كتاب بيننا وبينك يا محمد، فافتتحه بما نعرفه واكتب باسمك اللهم. فقال: أكتب باسمك اللهم وامح ما كتبت. فقال عليه السلام: لولا طاعتك يا رسول الله لما محوت. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أجبتك في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوة، فامح هذا الإسم واكتب: محمد بن عبدالله. فقال له علي عليه السلام: إنه والله لرسول الله على رغم أنفك. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أمحها يا علي. فقال له: يا رسول الله إن يدي لا تنطلق تمحو اسمك من النبوة! قال: فضع يدي عليها فمحاها رسول الله بيده، وقال لعلي: ستدعى إلى مثلها فتجيب، وأنت على مضض».

وفي تفسير القمي: ٢/٣١٣: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إنك أبيت أن تمحو إسمي من النبوة، فوالذي بعثني بالحق نبياً لتجيبن أبناءهم إلى مثلها وأنت مضيض مضطهد!

فلما كان يوم صفين ورضوا بالحكمين كتب: هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال عمرو بن العاص: لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما حاربناك، ولكن أكتب: هذا ما اصطلح عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: صدق الله وصدق رسوله صلى الله عليه وآله، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك»!

وفي الكافي: ٣٢٦/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فقال لعلي عليه السلام: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: ما أدري ما الرحمن الرحيم، إلا أني أظن هذا الذي باليمامة! ولكن أكتب كما نكتب: بسمك اللهم. قال: واكتبْ: هذا ما قاضى رسول الله سهيل بن عمرو. فقال: سهيل: فعلى مَ نقاتلك يا محمد؟! فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله. فقال الناس: أنت رسول الله. قال: أكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله. فقال الناس: أنت رسول الله.

وكان في القضية أن من كان منا أتى إليكم رددتموه إلينا ورسول الله غير مستكره عن دينه، ومن جاء إلينا منكم لم نرده إليكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا حاجة لنا فيهم. وعلى أن يعبدالله فيكم علانية غير سر. وإن كانوا ليتهادون السيور من المدينة إلى مكة. وما كانت قضية أعظم بركة منها، لقد كاد أن يستولي على أهل مكة الإسلام». أي يتهادون الهدايا. والسيور: ما تربط به الهدية.

وفي النص والإجتهاد/١٧٤: «فضج المسلمون وقالوا: والله لا يكتب إلا ما أمر به رسول الله... وأبوا إلا أن يكتب رسول الله كل الإباء، وكادت الفتنة أن تقع لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا محمد رسول الله وإن كذبتموني، وأنا محمد بن عبدالله فاكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله سهيل بن عمرو».

وهذا الحديث دليل من عشرات الأدلة على شرعية خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

والحديث الرابع: روته مصادرنا، قال العلامة في كشف اليقين/١٣٦: «وله في هذه الغزاة فضيلتان، إحداهما: إنه لما خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى غزاة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماء فبعث سعد بن مالك بالروايا فغاب قريباً وعاد، وقال: لم أقدر

على المضي خوفاً من القوم! فبعث آخر ففعل كذلك، فبعث علياً عليه السلام بالروايا فورد واستسقى وجاء بها إلى النبي صلى الله عليه وآله فدعا له بخير.

والثانية، وذكر حديث تهديد النبي صلى الله عليه وآله لقريش بعلي عليه السلام وفيه: «وأومأ إلى علي فإنه يقاتل على التأويل إذا تركت سنتي ونبذت وحرف كتاب الله، وتكلم في الدين من ليس له ذلك، فيقاتلهم على إحياء دين الله». ونحوه الإرشاد: ١٢١/١.

١٣- بنود معاهدة الحديبية

١ - الهدنة لمدة عشر سنين، إلا إذا اعتدى أحد الطرفين أو أعان معتدياً.

٢ - حرية العرب في أن يختاروا من يتحالفون معه: النبي صلى الله عليه وآله أو قريش.

٣- حرية المسلمين في مكة، فلا يؤذون ولا يمنعون من أداء شعائر الإسلام.

٤ - يلتزم النبي صلى الله عليه وآله بإعادة من يأتيه مسلماً من قريش، ولا تلتزم قريش بذلك.

٥ - تُخْلي قريش مكة للنبي صلى الله عليه وآله في العام القادم ثلاثة أيام، فيؤدي العمرة.

قال القمي في تفسيره: ٣١٠/٢: «ورجع حفص بن الأحنف، وسهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالا: يا محمد قد أجابت قريش إلى ما اشترطت عليهم من إظهار الإسلام وأن لا يكره أحدٌ على دينه. فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالكتب ودعا أمير المؤمنين وقال له: أكتب... ثم كتب: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبدالله والملأ من قريش وسهيل بن عمرو، واصطلحوا على وضع الحرب بينهم عشر سنين، على أن يكف بعض عن بعض، وعلى أنه لا إسلال، ولا إغلال، وأن بيننا وبينهم عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأن من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى من قريش إلى أصحاب محمد بغير إذن وليه يرده إليه، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم يرده إليه، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة لا يكره أحد على دينه ولا يؤذى ولا يعيَّر، وأن محمداً يرجع عنهم عامه هذا وأصحابه، ثم يدخل علينا في العام القابل مكة فيقيم فيها ثلاثة أيام، ولا يدخل عليها بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القراب. وكتب علي بن أبي طالب، وشهد على الكتاب المهاجرون والأنصار..

قال: فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمد رسول الله وعقده، وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها. وكتبوا نسختين نسخة عند رسول الله ﷺ، ونسخة عند سهيل بن عمرو، ورجع سهيل بن عمرو وحفص بن الأحنف إلى قريش فأخبراهم.

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: أنحروا بدنكم واحلقوا رؤوسكم، فامتنعوا وقالوا: كيف ننحر ونحلق ولم نطف بالبيت ولم نسع بين الصفا والمروة؟! فاغتم رسول الله ﷺ من ذلك، وشكى ذلك إلى أم سلمة فقالت: يا رسول الله إنحر أنت واحلق، فنحر رسول الله ﷺ وحلق ونحر القوم على حيث يقين وشك وارتياب، فقال رسول الله ﷺ تعظيماً للبدن: رحم الله المحلقين، وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله والمقصرين؟ لأن من لم يسق هدياً لم يجب عليه الحلق فقال رسول الله ﷺ ثانياً: رحم الله المحلقين الذين لم يسوقوا الهدي، فقالوا يا رسول الله والمقصرين؟ فقال رحم الله المقصرين».

وفي المناقب: ١٧٤/١: «فقال النبي ﷺ: من جاءهم منا فأبعده الله، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً.

إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أفاوضك عليه أن ترده! فقال ﷺ: إنا لم نقض بالكتاب بعد، قال: والله لا أصالحك على شيء أبداً. فقال النبي ﷺ: فأجره لي، قال: ما أنا بمجيره لك.

قال مكرز: بلى أجرناه فقال النبي ﷺ: إنه ليس عليه بأس إنما يرجع إلى أبيه وأمه فإني أريد أن أتم لقريش شرطها»!.

١٤- غضبَ عمروانشق على النبي ﷺ!

في المسترشد للطبري الشيعي/٥٣٦: «فغضب الثاني وقال لصاحبه: يزعم أنه نبي وهو يرد الناس إلى المشركين! ثم أتى النبي ﷺ فقال: ألست برسول الله حقاً؟ قال: بلى قال: ونحن المسلمون حقاً؟ قال: بلى، قال: وهم الكافرون؟ قال: بلى،

قال: فعلى مَ نعطي الدنية في ديننا؟! فقال له النبي ﷺ: إنما أعمل بما يأمرني به الله ربي، إنه من خرج منها إليهم راغباً فلا خير لنا في مقامه بين أظهرنا ومن رغب فينا منهم، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً. فقال: والله ما شككت في الإسلام إلا حين سمعت رسول الله يقول ذلك! وقام من عند النبي ﷺ متسخطاً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ غير راض بذلك، ثم أقبل يمشي في الناس ويؤلب على رسول الله ﷺ ويعرض به ويقول: وعدنا برؤياه التي زعم أنه رآها يدخل مكة، وقد صددنا عنها ومنعنا منها ثم ننصرف الآن، وقد أعطينا الدنية في ديننا! والله لو أن معي أعواناً ما أعطيت الدنية أبداً!

ثم روى عن الواقدي: إني لأنظر إلى رسول الله ﷺ يومئذ جالساً متربعاً وإن عباد بن بشر، وسلمة بن أسلم بن حريش، مقنعان في الحديد قائمان على رأس رسول الله، إذ رفع سهيل بن عمرو صوته فقالا له: إخفض من صوتك عند رسول الله، وسهيل بارك على ركبتيه كأني أنظر إلى علم في شفته، إذ وثب الثاني إلى رسول الله فقال: يا رسول الله ألسنا بالمسلمين؟ فقال رسول الله: أنا عبدالله ورسوله لا أخالف أمره ولن يضيعني! فقال له: أعذرك الله؟ وجعل يردد الكلام على النبي فقال له أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول! تعوَّذ بالله من الشيطان الرجيم واتهم رأيك!

وقال ابن عباس: قال لي في خلافته وذكر القضية: إرتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلى يومئذ، ولو وجدت شيعة أخرج معهم رغبة عن القضية لخرجت»!

وفي كتاب سُليم/٢٣٩: «قال: أنعطي الدنية في ديننا؟ ثم جعل يطوف في عسكر رسول الله ﷺ يشككهم ويحضضهم ويقول: أنعطي الدنية في ديننا؟ فقال رسول الله ﷺ: أفرجوا عني أتريدون أن أغدر بذمتي، ولا أفي لهم بما كتبت لهم، خذ يا سهيل بيد أبي جندل! فأخذه فشده وثاقاً في الحديد، ثم جعل الله عاقبة أمر رسول الله ﷺ إلى الخير والرشد والهدى والعزة والفضل».

وفي رواية: «أخرجوه عني! أتريد أن أخفر ذمتي ولا أفي لهم». البحار: ٣١٤/٣٠.

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه: أين سنة الرسول وماذا فعلوا بها/٢٧٣:

«صلح الحديبية من أعظم الإنجازات الإسلامية على الإطلاق بل هو الثمرة المباركة لكافة المعارك التي خاضها رسول الله، وقد وصف تعالى في كتاب العزيز هذا الصلح بالفتح المبين والنصر العزيز، لأن هذا الصلح قد حسم الموقف نهائياً لصالح الإسلام دون إراقة قطرة دم واحدة! ولو تغاضينا عن هذه النتائج الباهرة فإن كل ما فعله الرسول كان بأمر ربه. لقد أعلن الرسول ﷺ أن روح القدس قد نزل عليه وأمره بالبيعة، وقد فهم الجميع أن الصلح قد تم بتوجيه إلهي فقد قال الرسول للجميع: إني رسول الله ولست أعصيه. وقال أبو بكر مخاطباً عمر: أيها الرجل إنه لرسول الله، وليس يعصي ربه وهو ناصره!

وبالرغم من كل ذلك، فإن عمر بن الخطاب اعتبر الصلح الذي رضي به الله ورسوله «دنية في الدين» وأن ما فعله الرسول كان خاطئاً وغير صحيح!

وحاول عمر أن يقنع الحاضرين بأن الصلح الذي ارتضاه الله ورسوله دنيةٌ في الدين، ليفرضوا على الرسول إلغاء الصلح والرجوع عنه! ولما يئس من إقناعهم قال: لو وجدت أعواناً ما أعطيت الدنية في ديني!

والمثير أنهم رغم ذلك سجلوه شاهداً على صك صلح الحديبية! وكما تعلم فإن سنة الرسول تعني: قول الرسول وفعله وتقريره».

وقال المحامي يعقوب في كتاب المواجهة مع رسول الله ﷺ/٣٦٩: «لقد اعتبر عمر هذه المعاهدة «دنية» وقال للرسول أمام المسلمين: فعلامَ نعطي الدنية في ديننا! وظهر الرجل بمظهر من يزاود على الرسول ﷺ بالدين، الذي علمه الرسول إياه! وقبل يوم واحد فقط طلب رسول الله من عمر أن يذهب إلى بطون قريش ليقول لها: بأن رسول الله لم يأت لقتال أحد إنما جئنا زواراً لهذا البيت معظمين لحرمته، معنا الهدي ننحره وننصرف، فرفض وقال: يا رسول الله إني أخاف قريش على نفسي وليس بها من بني عدي من يمنعني! «راجع المغازي للواقدي: ٢/٦٠٠.»

وهو نفس عمر الذي اشترك في معركة بدر! والذي لم يثبت أنه قتل مشركاً أو جرحه! وهو نفسه الذي هرب من المعركة يوم أحد! وقد ذكَّره الرسول بذلك

يوم أقبل عليه فقال له: أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم! «راجع المغازي للواقدي: ٦٠٩/٢» وهو نفس الرجل الذي لم يكن له أي دور مميز في أي معركة من معارك الإسلام التي سبقت صلح الحديبية! ومع ذلك يزاود على رسول الله ﷺ ويصف المعاهدة التي وقعها النبي ورضي عنها بأنها دنية في ديننا! وأعلن عمر أنه لو وجد أعواناً ما أعطى الدنية»!

١٥- بقي عمر غاضباً ولم يبايع بيعة الرضوان

روى الجميع أن عمر لم يقتنع بجواب النبي ﷺ بل واصل شكه في نبوته! وبقي يتكلم ويعمل لعله يجد أنصاراً لينقض المعاهدة بالقوة!

قال ابن عباس كما في مغازي الواقدي: ٦٠٧/٢: «قال لي عمر في خلافته: ارتبت ارتياباً ما ارتبته منذ أسلمت إلا يومئذ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة من القضية، لخرجت. وعن أبي سعيد الخدري: قال عمر: والله لقد دخلني يومئذ من الشك حتى قلت في نفسي: لو كنا مائة رجلٍ على مثل رأيي ما دخلنا فيه أبداً»! واعتزل عمر تحت شجرة وواصل عملياته، فأرسل ابنه ليأتيه بفرس كانت له عند أحد الأنصار ليقاتل عليها! ومع ذلك زعموا أنه سمع بخبر بيعة الرضوان، فذهب ابنه عبدالله وبايع وجعلوه إلى جنب النبي ﷺ!

قال البخاري: ٦٩/٥: «عن نافع قال إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر، وليس كذلك ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبدالله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه، ورسول الله يبايع عند الشجرة وعمر لايدري بذلك، فبايعه عبدالله ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وعمر يستلئم للقتال، فأخبره أن رسول الله يبايع تحت الشجرة، قال فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله».

أقول: لا نقبل قولهم إنه بايع لأنه اعترف بأن النبي ﷺ بقي غاضباً عليه لايكلمه ولا يجيبه على كلامه، حتى رجعوا ووصلوا بعد يومين إلى كراع الغميم فنزلت سورة الفتح فأرسل عليه وقرأ له السورة! ومعناه أنه كان مغاضباً له لا يكلمه، وأراد أن يتم

عليه الحجة فأرسل اليه ليسمع السورة مع المسلمين فتساءل عمر: هل هذا فتح، وفي رواية أنه قال: والله ما هذا بفتح؟!

قال البخاري: ٦٦/٥، عن ابن عمر: «فسأله عمر بن الخطاب عن شئ فلم يجبه رسول الله ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه! وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر نزرت رسول الله ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك! قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي. قال فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، وجئت رسول الله فسلمت فقال لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً**». راجع: النص والإجتهاد/١٧١.

١٦- عقدة عمر من شجرة بيعة الرضوان!

قال السيد شرف الدين في النص والإجتهاد/٣٦٨ «**المورد: ٦٥**: شجرة الحديبية هذه بويع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحتها، فكان من عواقب تلك البيعة أن فتح الله لعبده ورسوله فتحا مبيناً ونصره نصراً عزيزاً، وكان بعض المسلمين يصلون تحتها تبركاً بها وشكراً لله تعالى على ما بلَّغهم من أمانيهم في تلك البيعة المباركة. فبلغ عمر ما كان من صلاتهم تحتها، فأمر بقطعها وقال: ألا لا أوتي منذ اليوم بأحد عاد إلى الصلاة عندها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد!

«سبحان الله وبحمده والله أكبر! يأمره بالأمس رسول الله بقتل ذي الخويصرة وهو رأس المارقة فيمتنع عن قتله احتراماً لصلاته، ثم يستل اليوم سيفه لقتل من يصلي من أهل الإيمان تحت الشجرة شجرة الرضوان؟!

وي، وي ما الذي أرخص له دماء المصلين من المخلصين لله تعالى في صلاتهم؟ إن هذه لبذرة أجذرت وآتت أكلها في نجد حيث يطلع قرن الشيطان! وكم لفاروق الأمة من أمثال هذه البذرة كقوله للحجر الأسود: إنك لحجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك. ولقد كانت هذه الكلمة

منه كأصل من الأصول العملية بنىٰ عليها بعض الجاهلين تحريم التقبيل للقرآن الحكيم، والتعظيم لضريح النبي الكريم ولسائر الضرائح المقدسة، ففاتهم العمل بكثير من مصاديق قوله تعالى: ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ.. وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ».

وفي الدر المنثور: ٧٣/٦: «أخرج البخاري وابن مردويه عن طارق بن عبدالرحمن قال: انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله بيعة الرضوان. وأخرج ابن أبي شيبة عن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب أن ناساً يأتون الشجرة التي بويع تحتها فأمر بها فقطعت».

أقول: هذه واحدة من محاولات عمر انتقاص مقام النبي ﷺ وإزالة آثاره، وهي تدل على عقدة في نفسه وذكرى سيئة لشجرة الرضوان وبيعة الرضوان!

كما تكونت عند عمر عقدة من التيمم، لأنه تيمم مرة فتمرغ بالتراب! فتبسم النبي ﷺ فحرم التيمم وأسقط آيته، وأفتى للمسلمين بدله بترك الصلاة!

١٧- رؤيا النبي ﷺ كانت في الحديبية وليس في المدينة

قال المفسرون إن رؤيا النبي ﷺ بدخول المسجد الحرام كانت في المدينة قبل الحديبية، ونقلوا عليه الإجماع، وغرضهم من ذلك التخفيف من اعتراض عمر وأنه كان على حق نوعاً ما لأن النبي ﷺ وعدهم بدخول المسجد!

قال ابن الجوزي في زاد المسير: ١٧٢/٧: «قال المفسرون: سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان أُرِيَ في المنام قبل خروجه إلى الحديبية قائلاً يقول له: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاتَخَافُونَ. ورأى كأنه هو وأصحابه يدخلون مكة وقد حلقوا وقصروا، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا إلى الحديبية حسبوا أنهم يدخلون مكة في عامهم ذلك، فلما رجعوا ولم يدخلوا قال المنافقون: أين رؤياه التي رأى؟ فنزلت هذه الآية».

لكن المرجح أنه ﷺ رآها في الحديبية بعد اعتراض عمر عليه، وعدم اقتناعه بكلامه.

ففي الكافي: ٤٨٦/٦: «عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الفَرْقُ من السنة

تطويل الشعر وفرقه؟ قال: لا، قلت: فهل فرق رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت: كيف فرق رسول الله ﷺ وليس من السنة؟ قال: من أصابه ما أصاب رسول الله ﷺ يفرق كما فرق رسول الله ﷺ فقد أصاب سنة رسول الله وإلا فلا. قلت له: كيف ذلك؟ قال: إن رسول الله ﷺ حين صُدَّ عن البيت وقد كان ساق الهدي وأحرم أراه الله الرؤيا التي أخبره الله بها في كتابه إذ يقول: لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاتَخَافُونَ.. فعلم رسول الله ﷺ أن الله سيفي له بما أراه فمن ثَمَّ وفَّرَ ذلك الشعر الذي كان على رأسه حين أحرم انتظاراً لحلقه في الحرم حيث وعده الله عز وجل، فلما حلقه لم يعد في توفير الشعر ولا كان ذلك من قبله».

وفي تفسير الطبري: ١٣٨/٢٦ **عن مجاهد، قال:** «أري بالحديبية أنه يدخل مكة وأصحابه محلقين، فقال أصحابه حين نحر بالحديبية: أين رؤيا محمد»؟!

١٨- أمر النبي ﷺ بالإحلال من الإحرام ونحر الضحايا

قال الصدوق في من لايحضره الفقيه: ٤٥٠/٢: «اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عُمَر متفرقات كلها في ذي القعدة. عمرة أهلَّ فيها من عسفان وهي عمرة الحديبية، وعمرة القضاء أحرم فيها من الجحفة، وعمرة أهل فيها من الجعرانة وهي بعد أن رجع من الطائف من غزوة حنين».

وفي الفقيه: ٢٣٩/٢، **عن الإمام الصادق عليه السلام قال:** «الذي كان على بدن النبي ﷺ ناجية بن الخزاعي الأسلمي، والذي حلق رأسه ﷺ يوم الحديبية خراش بن أمية الخزاعي والذي حلق رأسه في حجته معمر بن عبدالله بن حارث بن نصر بن عوف بن عويج بن عدي بن كعب، فقيل له وهو يحلقه: يا معمر أذن رسول الله ﷺ في يدك! قال: والله إني لأعده فضلاً علي من الله عظيماً. وكان معمر بن عبدالله يرجل شعره ﷺ وكان ثوبا رسول الله ﷺ اللذان أحرم فيهما يمانيين عبري وظفاري. وقطع التلبية حين زاغت الشمس يوم عرفة».

لكن في الكافي: ٣٦٨/٤، **عن الإمام الباقر**عليه السلام **قال**: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين صد بالحديبية قصر وأحل ونحر، ثم انصرف منها، ولم يجب عليه الحلق حتى يقضي النسك، فأما المحصور فإنما يكون عليه التقصير».

١٩- نزلت سورة الفتح في عودة النبي صلى الله عليه وآله من الحديبية

في النص والإجتهاد/١٨١: «كانت إقامته في الحديبية تسعة عشر يوماً، قفل بعدها إلى المدينة، فلما كان بكراع الغميم موضع بين الحرمين نزلت عليه سورة الفتح، وعمر لا يزال حينئذ آسفاً من صد المشركين إياهم عن مكة، ورجوعهم وهم على خلاف ما كانوا يأملون من الفتح»! وكان نزولها في مكان يدعى كراع الغميم، بعد يومين من مسير النبي صلى الله عليه وآله من الحديبية في عودته إلى المدينة، فدعا النبي صلى الله عليه وآله المسلمين إلى الإجتماع ليتلوها عليهم، ودعا عمر خاصة لعله يخرج من شكه وارتيابه وعمله لنقض المعاهدة! ولكن عمر بقي مصراً وقال: «والله ما هذا بفتح أو والله ما هذا بفتح! لقد صددنا عن البيت وصد هدينا. ورُدَّ رجلان من المؤمنين كانا خرجا إلينا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس الكلام هذا، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم في الأمان، وقد رأوا منكم ما كرهوا، وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتوح! أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب: إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا». **النص والإجتهاد**/١٨٢.

وفي سيرة ابن هشام: ٧٨٦/٣: «فما فتح في الإسلام فتحٌ قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مئة، في قول جابر بن عبدالله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف».

٢٠- أهم موضوعات سورة الفتح

الآيات الثلاث الأولى: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾.

بشارة للنبي ﷺ بأن معاهدة الحديبية كانت إنجازاً مهماً وفتحاً مبيناً، وأن ليونته مع قريش وتنازله لهم، قد طامن من بغضهم له وحقدهم عليه، وغفر ذنبه بنظرهم، بل أعطاه الحجة إذا عاملهم بحزم وشدة فيما بعد.

والآيات من: ٤-٧، بينت أن الله تعالى ثبَّت المؤمنين على طاعة النبي ﷺ، لإنجاز الفتح الذي تم، فقد أنزل الله عليهم السكينة فازدادوا إيماناً، ورضوا بعمل النبي ﷺ. وأن المنافقين الظانين بالله ظن السوء، سوف يعاقبهم ويعذبهم.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾.

والآيتان ٨ و٩، بينت مهمات الرسول ﷺ التي وضعها الله له: شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وبينت واجب المؤمنين في الإيمان به وطاعته وتجليله.

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٩﴾.

ثم أكد عز وجل في الآية ١٠، مسؤولية المبايعين للنبي ﷺ وحذرهم بالعقوبة إن نكثوا بيعتهم، ووعدهم بالأجر العظيم إن وفوا بها. إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾.

وفي الآيات ١١-١٧، عالج قضية المتخلفين عن النبي ﷺ من أهل المدينة وقبائل العرب، الذين دعاهم إلى السفر معه إلى الحديبية، فرفضوا.

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا

لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلا قَلِيلاً ﴿١٥﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾.

والآيات من ١٨-٢١، بدأت برضا الله تعالى عن الصحابة المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ تحت شجرة الحديبية، وأكد أن ما تم لهم كان فتحاً قريباً، ووعدهم الله بمغانم كثيرة مادية وسياسية، لم تكن لتتحقق لولا صلح الحديبية.

لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾.

والآيات ٢٢-٢٦، وصفت مشركي قريش بأنهم كفروا وصدوا عن المسجد الحرام، وأنهم لو قاتلوا المسلمين في غزوة الحديبية لانهزموا، لكن الله تعالى كف أيدي الطرفين عن بعضهم لمصالح يعلمها، منها وجود مؤمنين في مكة في أصلاب هؤلاء المشركين، ولو قتلهم يومئذ لظلم لهؤلاء الأولاد في أصلابهم: لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ».

وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ

مِنْهُمْ مَغْفِرَةً بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾.

والآية٢٧، في رؤيا النبيﷺ بأنه سيدخل المسجد الحرام مع المسلمين، وأنها حق وسوف تتحقق في وقتها، وأن الله تعالى بعلمه جعل قبلها فتحاً قريباً.

لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾.

والآية٢٨و٢٩، تأكيد للوعد الرباني الحتمي بأن سيظهر دينه على الدين كله في العالم، وأن هذا هو الهدف من إرسال رسوله محمدﷺ والذين معه من عترته، وأنهم غصون شجرته الموعودين في التوراة والإنجيل: كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ. فالنبيﷺ هو الشجرة والكلمة الطيبة، والشطأ هو أولاد الشجرة. وأعداؤهم الكلمة الخبيثة والشجرة الملعونة في القرآن. ولايصح تفسير الشطأ بالصحابة لأنه بإجماع اللغويين أولاد الشجرة والزرع.

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾.

٢١- الصحابة في سورة الفتح وبيعة الرضوان

رفعت السلطة القرشية آية: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ. شعاراً في مدح الصحابة مقابل أهل البيتعليهم السلام، ورووا أن النبيﷺ قال لأهل الحديبية: أنتم خير أهل الأرض. قال في فتح الباري: ٣٤١/٧: «هذا صريح في فضل أصحاب الشجرة. وعند مسلم من حديث جابر مرفوعاً:

لا يدخل النار من شهد بدراً والحديبية. وروى مسلم أيضاً من حديث أم مبشر أنها سمعت النبيﷺ يقول: لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة».

وهو قولٌ لايصح، لأنهم بايعوا النبيﷺ في الحديبية على عدم الفرار في الحرب ثم نكثوا بيعتهم بعد شهر في خيبر وفروا، ثم نكثوها بعد سنة في حنين وفروا. ولا يصح، لأن من أهل بيعة الرضوان أبا الغادية قاتل عمار بن ياسرﷺ، الذي شهد النبيﷺ أنه من أهل النار. ومنهم عبدالرحمن بن عديس البلوي الذي قاد حصار عثمان وقتله، وقالوا إنه من أهل النار! ولأن رئيس المنافقين المدنيين ابن سلول كان معهم وبايع!

قال في النص والإجتهاد/١٦٨: «إن قريشاً بعثت إلى ابن سلول وهو مع رسول الله في الحديبية: إن أحببت أن تدخل مكة تطوف بالبيت فافعل. فقال له ابنه عبدالله: يا أبت أذكرك الله أن لا تفضحنا في كل موطن فتطوف ولم يطف رسول الله؟! فأبى الرجل حينئذ وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله».

ولا يصح ثالثاً، لأن الرضا عن المبايعين في الآية محدود بظرف، ومشروط بالإيمان، فقد قال عز وجل: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.. أي رضي عن المؤمنين منهم في ظرف البيعة، ولوكان الرضا أوسع من ظرف البيعة لما استعمل «إذ»، ولو شملهم جميعاً لجعله عنهم وليس عن المؤمنين منهم!

ولا يصح رابعاً، لأنه بايعهم على أن لا ينزعوا الأمر أهله، وقد نازعوهم وعزلوهم واضطهدوهم وقتلوهم!

لكن مع قوة هذه الإشكالات، ما زال أتباع السلطة يتمسكون بها لمدح أبي بكر وعمر ويقولون إن عمر بايع وإنه مشمول بالسكينة التي أنزلها الله على أهل بيعة الرضوان!

٢٢- ما جرى لأبي جندل وأبي بصير والمستضعفين بمكة

قال السيد شرف الدين في النص والإجتهاد/١٧٦: «فبينا رسول اللهﷺ هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة، إذ جاء أبو جندل واسمه العاص بن

سهيل بن عمرو إلى المسلمين يرسف في قيوده، وكان أسلم بمكة قبل ذلك فمنعه أبوه من الهجرة وحبسه موثوقاً! وحين سمع أن النبيﷺ وأصحابه في الحديبية احتال حتى خرج من السجن، وتنكب الطريق في الجبال حتى هبط على المسلمين ففرحوا به وتلقوه، لكن أخذه أبوه بتلابيبه يضرب وجهه ضرباً شديداً وهو يقول: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليَّ!

قالﷺ لأبي جندل: إصبر واحتسب، فقد تم الصلح قبل أن تأتي، ونحن لا نغدر وقد تلطفنا بأبيك فأبى، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً. وهنا وثب عمر بن الخطاب إلى أبي جندل يغريه بقتل أبيه، ويدني إليه السيف! قال عمر كما في السيرة الدحلانية وغيرها: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، وجعل يقول له: إن الرجل يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم! لكن أبا جندل لم يجبه إلى قتل أبيه خشية الفتنة وعمل بما أمره به رسول الله من الصبر والإحتساب، وقال لعمر: مالك لا تقتل أنت أباك؟ قال عمر: نهانا رسول الله. فقال أبو جندل: ما أنت أحق بطاعة رسول الله مني!

ورجع مع أبيه إلى مكة في جوار مكرز وحويطب، فأدخلاه مكاناً وكفا عنه أباه وغيره وفاء بالجوار. وجعل الله بعد ذلك له ولسائر المستضعفين من المؤمنين فرجاً ومخرجاً... وكان في المستضعفين المعذبين في مكة رجل من أبطال المسلمين يدعى أبا بصير، احتال حتى خرج من السجن ففر هارباً إلى رسول الله وهو في المدينة بعد رجوعه من الحديبية، فكتبت قريش في رده كتاباً بعثت به رجلاً من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق، فقدما على رسول الله بالكتاب فإذا فيه: قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أبنائنا فابعث إلينا أبا بصير. فقال النبيﷺ: يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصح الغدر منا، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق راشداً. قال: يا رسول الله إنهم يفتنوني عن ديني.

قالﷺ: يا أبا بصير إنطلق فإن الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين

فرجاً ومخرجاً! فودع الرجل رسول الله وانطلق معهما، حتى إذا كانوا بذي الحليفة جلس إلى جدار ومعه صاحباه، فقال لأحدهما: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ قال: نعم. قال أبو بصير: أرنيه، فناوله إياه فاستله أبو بصير ثم علاه فإذا هو يتشحط بدمه، ثم هم بالثاني فهرب منه، حتى أتى رسول الله، فلما رآه النبي ﷺ والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه، وأبو بصير في أثره. قال ﷺ: قد رأى هذا ذعراً، فلما انتهى إلى النبي قال له ﷺ: ويحك مالك؟ قال: إن صاحبك قتل صاحبي وأفلت منه ولم أكد، وإني لمقتول فأغثني يا محمد فأمّنه رسول الله، وإذا بأبي بصير يدخل متوشحاً سيفه يقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وفيت ذمتك أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت منهم بديني أن أفتن فيه أو يفتن بي. فقال له: إذهب حيث شئت، فقال: يا رسول الله هذا سلب العامري الذي قتلته، رحله وسيفه فخمسه. فقال له ﷺ: إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك.

وعند ذلك هب أبو بصير إلى محل من طريق تمر به عيرات قريش، واجتمع إليه جمع من المسلمين المستضعفين الذين كانوا قد احتبسوا بمكة إذ بلغهم خبره وأن رسول الله ﷺ قال في حقه: إنه مسعر حرب لو كان معه رجال، فتسللوا حينئذ إليه، وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو، وخرج من مكة في سبعين فارساً أسلموا فلحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله في تلك المدة مدة المهادنة، وانضم إليهم ناس من غفار وجهينة وأسلم وطوائف أخر من العرب حتى بلغوا ثلاث مائة مقاتل، فقطعوا مارة قريش لا يظفرون بأحد منها إلا قتلوه، ولا مر بهم عير إلا أخذوها، ومنعوا الدخول إلى مكة والخروج منها! فاضطرت قريش أن تكتب لرسول الله تسأله بالأرحام التي بينه وبينها إلا آواهم وأرسلت أبا سفيان بن حرب في ذلك، فأبلغه أبو سفيان: إنا أسقطنا هذا الشرط من شروط الهدنة، فمن جاءك منهم فأمسكه من غير حرج!

وحينئذ كتب رسول الله ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه، وأن يلحق من معهما من المسلمين بأهليهم، ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش ولا لعيراتهم، فقدم

كتاب رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير يموت، فمات والكتاب في يده، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً. وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه، ورجع باقيهم إلى أهليهم، وأمنت قريش على عيراتهم! وحينئذ عرف الصحابة الذين عظم عليهم رد أبي جندل إلى قريش مع أبيه أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبوه، وعلموا أن الحكمة كانت في الحديبية توجب الصلح فرضاً على التعيين، وأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، وندموا كل الندم على ما بدر منهم من هناة معترفين بالخطأ، وقدرت قريش موقفه يومئذ معها في حقن دمائها».

راجع: الكافي: ٣٢٦/٨ ومناقب آل أبي طالب: ١٧٥/١.

٢٣- النتائج الكبرى لمعاهدة الحديبية

يكفي في وصف نتائجها قوله تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. وأول الفتح اعتراف قريش بدولة الإسلام، وقد فتح ذلك أبواب الجزيرة العربية وصار بإمكان أي قبيلة أن تعلن إسلامها أو تحالفها مع النبي ﷺ دون حرج أو خوف، بل فتحت أبواب مكة للإسلام وصار القرشي يعلن إسلامه ويؤدي شعائره دون خوف من ظلم قريش وطغيانها.

في الإحتجاج: ٢٢٢/٢، من حديث الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون في تفسير قوله تعالى: «قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاث مائة وستين صنماً، فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ. وَانْطَلَقَ الْمَلأ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلا اخْتِلاقٌ. فلما فتح الله عز وجل على نبيه مكة قال له: يا محمد: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. عند مشركي أهل مكة بدعائك إياهم إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لا يقدر على إنكار

التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن»! فذنبه ﷺ سياسي لا حقيقي كما تخيلوا! راجع تنزيه الأنبياء عليهم السلام للشريف المرتضى/١٦٤ والإنتصار للمؤلف: ٣٩/٤.

٢٤- لم تشارك قبائل العرب في غزوة الحديبية

استعظمت قبائل العرب حركة النبي ﷺ إلى مكة، واعتبرها بعضهم مغامرة لأنهم لم يدركوا وضع قريش والتحولات التي حصلت في ميزان القوة.

في تفسير القمي: ٣١٠/٢: «وكان رسول الله ﷺ يستنفر بالأعراب في طريقه، فلم يتبعه أحد ويقولون: أيطمع محمد وأصحابه أن يدخلوا الحرم، وقد غزتهم قريش في عقر ديارهم فقتلوهم! إنه لا يرجع محمد وأصحابه إلى المدينة أبداً»!

وقد وصف الله مواقف بعض القبائل فقال: فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاتُكَلَّفُ إلا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَاسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً.

و في تفسير القمي: ١٤٥/١: «فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ. فإنها نزلت في أشجع وبني ضمرة وهما قبيلتان، وكان من خبرهما أنه لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزاة الحديبية مر قريباً من بلادهم وقد كان رسول الله ﷺ هادن بني ضمرة ووادعهم قبل ذلك فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله هذه بنو ضمرة قريباً منا ونخاف أن يخالفونا إلى المدينة أو يعينوا علينا قريشاً، فلو بدأنا بهم؟ فقال رسول الله ﷺ: كلا إنهم أبرُّ العرب بالوالدين وأوصلهم للرحم وأوفاهم بالعهد..الخ.».

وفي الكافي: ٢٢٧/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أَوْجَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ. قال: نزلت في بني مدلج لأنهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد حصرت صدورنا أن نشهد إنك رسول الله، فلسنا معك ولا مع قومنا عليك، قال: قلت: كيف صنع بهم رسول الله ﷺ؟ قال: واعدهم إلى أن يفرغ من العرب، ثم يدعوهم فإن أجابوا وإلا قاتلهم».

الفصل السادس والخمسون

بعد الحديبية راسل النبي ﷺ ملوك العالم

«وفي سنة ست أو في سنة سبع كان إرسال النبي ﷺ الرسل إلى ستة من الملوك الذين يتحكمون في شعوب الأرض، فقد أرسل في ذي الحجة الحرام أو في أواخره أو في المحرم ستة نفر في يوم واحد، فخرجوا مصطحبين.

وقد كتب إليهم وإلى غيرهم من الملوك والرؤساء في داخل بلاد الإسلام وخارجها. وكانت اللغة التي كتب إليهم بها هي العربية والتي هي لغة القرآن والإسلام. والملوك الستة الذين كتب النبي ﷺ إليهم هم:

١ - النجاشي، ملك الحبشة.

٢ - قيصر، ويقال: هرقل، عظيم الروم.

٣ - كسرى، حاكم فارس والمدائن.

٤ - المقوقس، صاحب الإسكندرية «مصر».

٥ - الحارث، والي تخوم الشام ودمشق.

٦ - ثمامة بن أثال، وهوذة بن علي الحنفيان، ملكا اليمامة، وقائداها.

أما الذين حملوا الكتب إلى هؤلاء فهم:

١ - عمرو بن أمية الضمري، إلى النجاشي.

٢ - دحية بن خليفة الكلبي، إلى قيصر.

٣ - عبدالله بن حذافة السهمي، إلى كسرى.

٤ - حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، إلى المقوقس.

٥ - الشجاع بن وهب الأسدي، إلى الحارث بن أبي شمر الغسَّاني.

٦ - وسليط بن عمرو العامري، إلى ثمامة وهوذة.

والظاهر أنه قد كان ثمة رهبة شديدة وخوف عظيم لدى بعض المسلمين من هذا الأمر، حتى إن الرسل أنفسهم أظهروا تثاقلاً عن تنفيذ أمر رسول الله ﷺ!

وقد يكون من أسباب ذلك خوفهم من بطش أولئك الملوك بهم، وذلك في سورة غضب شديد توقَّعوها منهم حين تسليم الرسائل إليهم، فقد قالوا: إن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال: يا أيها الناس إن الله بعثني رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون على عيسى! وقال: إنطلقوا ولا تصنعوا كما صنع رسل عيسى بن مريم. فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟! فقال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلَّم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً، فكره وجهه وتثاقل فشكى ذلك عيسى إلى الله تعالى، فأصبح المتثاقلون كل واحد منهم يتكلم بلسان الأمة التي بعث إليها.

وقد اعتبر الواقدي: أن من معجزات رسول الله ﷺ أنه حين بعث النفر الستة إلى الملوك: أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثهم إليهم. وقالوا: كان ذلك معجزة لرسول الله ﷺ». الصحيح من السيرة: ١٦/٢٠٠.

وقال الأحمدي في مكاتيب الرسول ﷺ: ١/١٨١: «لما تم صلح الحديبية في شهر ذي القعدة سنة ست من الهجرة، رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة. فعندئذ كتب إلى الملوك من العرب والعجم ورؤساء القبائل والأساقفة والمرازبة والعمال وغيرهم يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام، فبدأ بإمبراطوري الروم وفارس وملكي الحبشة والقبط ثم بغيرهم، فكتب في يوم واحد ستة كتب وأرسلها مع ستة رسل. قيل: يا رسول الله إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً، فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله. وقيل:

إن الأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل فيبدأ به محمد، ثم رسول، ثم الله، فختم به الكتب. وفي مسند عبد بن حميد عن أنس قال: كتب رسول الله ﷺ إلى ملك الروم فلم يجبه، فقيل له: إنه لا يقرأ إلا أن يختم، قال: فاتخذ رسول الله خاتماً من فضة وكتب فيه: محمد رسول الله... وهذه الكتب بأجمعها تتضمن معنى واحداً وتروم قصداً فارداً، وإن كان اللفظ مختلفاً إذ كلها كتب لمرمى واحد، وهو الدعوة إلى التوحيد والإسلام..

قال قيصر لأخيه حين أمره برمي الكتاب: أترى أرمي كتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر. وقال لأبي سفيان بعد أن ساءله وتكلم معه في النبي ﷺ كما يأتي: إن كان ما تقول حقاً فإنه نبي ليبلغن ملكه ما تحت قدمي.

وخرج ضغاطر الأسقف أسقف الروم بعد قراءة الكتاب إلى الكنيسة والناس حشد فيها، وقال: يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب أحمد، يدعونا إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن أحمد رسول الله.

وقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب. وكتب فروة عامل قيصر على عمّان إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، فلما بلغ ذلك ملك الروم أخذه واعتقله واستتابه فأبى، ثم قتله فقال حين يقتل:

بلغ سراة المسلمين بأنني سلّمت ربي أعظمي وبناني

وكتب اليه هوذة بن علي ملك اليمامة: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله.

وأجابه جيفر وعبد ابنا جلندي ملكا عُمان بالإسلام وخلوا بينه وبين الصدقة.

وأجابه المنذر بن ساوى ملك البحرين وحسن إسلامه. وأجابه ملوك حمير ووفدوا. وأجابه أساقفة نجران وأعطوا الجزية، ولباه عمال ملك فارس بالبحرين واليمن، ولباه أقيال حضرموت، ولباه ملك أيلة ويهود مقنا وغيرهم، إما بالإسلام أو الجزية. وكتب إليه النجاشي بإسلامه وإيمانه..

وقد زادت «كتبه» على الخمسين كتاباً، ولكنها في الحقيقة أكثر من ذلك بكثير»

الفصل السابع والخمسون

بعد الحديبية افتروا على النبي ﷺ أنه سحر

قصة افترائهم أن النبي ﷺ مسحور

كتبنا في ألف سؤال وإشكال: ٢/٢١١: «قال الله تعالى: وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إلا رجلاً مَسْحُوراً. وقالت عائشة لقد سُحِر النبي ﷺ وأثَّر عليه السحر، فكان يتخيل أنه فعل الشئ ولم يفعله! وزعمت أن يهودياً سَحَره فأخذ مشطه وبعض شَعره وجعل فيه سحراً ودفنه في بئر! وأنه ﷺ فقد حواسه وذاكرته وبقي على تلك الحالة ستة أشهر مسحوراً! حتى دلَّهُ رجلٌ أو ملَك على الشخص الذي سحره والبئر التي أودع فيها المشط والمشاطة من شعره! فذهب إلى البئر، ولكنه لم يستخرج المشط منها أو استخرجه، وفكَّ عقد خيط الجلد الذي لُفَّ به، وأمر بدفن البئر، ولم يقتل الذي سحره، لأنه لم يُرِدْ أن يثير فتنة!

روى البخاري هذه الخرافة في صحيحه عن عائشة في خمسة مواضع! منها في: ٤/٩١: «عن عائشة قالت: سُحِرَ النبي ﷺ! وقال الليث كتب إلى هشام أنه سمعه ووعاه عن أبيه، عن عائشة قالت: سُحر النبي ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال: أُشْعِرتُ أن الله أفتاني فيما فيه شفائي. أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر: ما وجعُ الرجل؟ قال: مَطْبُوب! قال: ومن طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر! قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذِروان! فخرج إليها النبي ﷺ ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: نخلها كأنها رؤوس الشياطين! فقلت: استخرجتهُ؟ فقال: لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيتُ أن

يثير ذلك على الناس شراً، ثم دُفِنَتْ البئر»!

وفي: ٦٨/٤: «سُحر حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه»!

وفي: ٨٨/٧: «مكث النبي كذا وكذا، يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي»!

وفي: ٢٩/٧: «كان رسول الله سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن! قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا»!

وكرر بخاري ذلك بروايات متعددة: ٢٨/٧ و١٦٤. وروته عامة مصادرهم!

وقال ابن حجر في مدة بقاء النبيﷺ مسحوراً مجنوناً معاذ الله!

«ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي: فأقام أربعين ليلة، وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد: ستة أشهر ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه، والأربعين يوماً من استحكامه! وقال السهيلي: لم أقف في شئ من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث ستة أشهر! كذا قال. وقد وجدناه موصولاً بإسناد الصحيح فهو المعتمد». فتح الباري: ١٩٢/١٠.

أقول: يقصد السهيلي ما في مسند أحمد: ٦٣/٦: «عن عائشة قالت: لبث رسول الله ستة أشهر يرى أنه يأتي نساءه، ولا يأتي»!

ثم تقرأ تفاصيلهم العامية عن فريتهم في سحر النبيﷺ، وأن صبياً يهودياً سرق مشط النبيﷺ وشيئاً من شعره وأعطاها إلى اليهودي لبيد الأعصم، فجعل معها خيطاً من جلد وعقده اثنتي عشرة عقدة، أو أحد عشرة عقدة، ثم قرأ عليها السحر ولفَّ الجميع في قماشة، ثم دفنها تحت صخرة بئر ذروان الذي يقع خارج المدينة، وكان ماؤها بسبب السحر أحمر كالحنَّاء، وكان النخل الذي يسقى منها طلعه كأنه رؤوس الشياطين!

ثم بعد ستة أشهر قضاها سيد الأنبياء والمرسلينﷺ مريضاً مسحوراً نصف مجنون! دلَّه الملك على البئر فذهب اليها، أو أرسل علياً والزبير، فاستخرجوا المشط وفكوا عقد الخيط، فشفي النبيﷺ من السحر! راجع المجموع: ٢٤٣/١٢.

ثم اقرأ تأكيد ابن حجر على تأثير السحر على حواس النبيﷺوبعض عقله! قال: «قوله: حتى كان رسول اللهﷺيخيَّل إليه أنه كان يفعل الشئ وما فعله. قال المازري: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل، وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثمَّ، وأنه يوحى إليه بشئ ولم يوح إليه بشئ!

قال المازري: وهذا كله مردود، لأن الدليل قد قام على صدق النبيﷺفيما يبلغه عن الله تعالى، وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شاهدات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل. وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها... فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأمراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لاحقيقة له، مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين!

قلت: وهذا قد ورد صريحاً في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه: حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وفي رواية الحميدي أنه يأتي أهله ولا يأتيهم... وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الإقتدار على الوطأ، فإذا دنا من المرأة فَتَرَ عن ذلك، كما هو شأن المعقود، ويكون قوله في الرواية الأخرى: حتى كاد ينكر بصره، أي صار كالذي أنكر بصره، بحيث أنه إذا رأى الشئ يخيل أنه على غير صفته فإذا تأمله عرف حقيقته. ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به». انتهى.

وقال المقريزي في إمتاع الأسماع: ٣٠٦/١: «وفي محرم سنة سبع سحر لبيد بن الأعصم رسول اللهﷺعلى مال جعله له من بقي بالمدينة من اليهود والمنافقين».

وقال في الإمتاع: ٤٣/٨: «وفي جامع معمر بن راشد عن الزهري قال: سحر رسول اللهﷺسنة يخيل إليه أنه يفعل الفعل وهوﷺلا يفعله..

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني أبو مروان، عن إسحاق ابن عبدالله، عن عمر بن الحكم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي الحجة ودخل الحرم، جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة، ممن يظهر الإسلام، وهو منافق، إلى لبيد بن الأعصم اليهودي، وكان حليفاً في بني زريق، وكان ساحراً، قد علمت ذلك يهود أنه أعلمهم بالسحر وبالسموم، فقالوا له: يا أبا الأعصم، أنت أسحر منا، وقد سحرنا محمداً فسحره منا الرجال والنساء، فلم نصنع شيئاً وأنت ترى أثره فينا وخلافه ديننا ومن قتل منا وأجلى، ونحن نجعل لك على ذلك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً ينكره، فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله ﷺ. فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر، فعقد فيه عقداً، أو تفل فيه تفلاً، وجعله في جب طلعة ذكر، ثم انتهى به حتى جعله تحت أرعوفة البئر، فوجد رسول الله ﷺ أمراً أنكره، حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وأنكر بصره حتى دله الله عليه، فدعا جبير بن إياس الزرقي، وقد شهد بدراً، فدله على موضع في بئر ذروان، تحت أرعوفة البئر، فخرج جبير حتى استخرجه ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقد دلني الله على سحرك وأخبرني ما صنعت، قال: حب الدنانير يا أبا القاسم.

قال إسحاق بن عبدالله: فأخبرت عبدالرحمن بن كعب بن مالك بهذا الحديث فقال: إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد وكن أسحر من لبيد وأخبث، وكان لبيد هو الذي ذهب به، فأدخله تحت أرعوفة البئر، فلما عقدوا تلك العقد أنكر رسول الله ﷺ تلك الساعة بصره، ودس بنات أعصم إحداهن، فدخلت على عائشة رضي الله عنها فخبرتها عائشة، أو سمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله ﷺ من بصره، ثم خرجت إلى أخواتها وإلى لبيد فأخبرتهم، فقالت إحداهن: إن يكن نبياً فسيخبر، وإن يكن غير ذلك فسوف يدله هذا السحر حتى يذهب عقله، فيكون بما نال من قومنا وأهل ديننا، فدله الله عليه.

قال الحارث بن قيس: يا رسول الله ألا نهور البئر؟ فأعرض عنه

رسول الله ﷺ فهورها الحارث بن قيس وأصحابه وكان يستعذب منها. قال: وحفروا بئرا أخرى فأعانهم رسول الله ﷺ في حفرها حين هوروا الأخرى التي سحر فيها، حتى أنبطوا ماءها ثم تهورت بعد. ويقال: إن الذي استخرج السحر بأمر رسول الله ﷺ قيس بن محصن».

رد علمائنا لهذه الفرية

أقول: هذا بعض كلامهم الطويل العليل الذي يريدون به أن يقنعوك به بأن نبيك ﷺ كان لمدة ستة أشهر مسحوراً، وأنه مرض من ذلك وانتثر شعر رأسه، وصار أقرع أو كالأقرع، وصار يذوب ولا يدري ما عراه! وكان يتصور أنه يرى شيئاً وهو لا يراه، ويتصور أنه أكل ولم يأكل، وأنه نام مع زوجته ولم يفعل!

ثم يريدون أن يطمئنوك بأن النبي ﷺ بخير وعافية، فالسحر قد تسلط على جسده وظواهر جوارحه، أي على قسم من عقله وليس على جميعه!

ويقولون لك نعم إن نبيك ﷺ معصوم لا ينطق عن الهوى، لكن عصمته إنما هي في تبليغه الرسالة فقط! أما في غير التبليغ فقد يصاب بالسحر وبالجنون، فيفقد التمييز في الأمور الدنيوية التي لم يبعث من أجلها! ومنها استخلاف من يقود المسلمين بعده! وكل دليلهم على ذلك أن عائشة قالته، ولو خالف القرآن!

لقد فاقت القرشيات بافترائها على النبي ﷺ كل ما افترته الإسرائيليات على أنبيائهم عليهم السلام! ولذا قال ﷺ: «**ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**»!

وقد رد هذه الفرية علماء الشيعة، وتجرأ على ردها معهم بعض علماء السنة!

قال الطوسي في تفسير التبيان: ٣٨٤/١: «ما روي من أن النبي ﷺ سُحِر وكان يرى أنه يفعل ما لم يفعله، فأخبار آحادٍ لا يلتفت إليها، وحاشا النبي ﷺ من كل صفة نقصٍ، إذ تنفر من قبول قوله لأنه حجة الله على خلقه وصفيه من عباده، اختاره الله على علم منه، فكيف يجوز ذلك مع ما جنبَّه الله من الفظاظة والغلظة وغير ذلك من الأخلاق الدنيئة والخلق المشينة؟!

ولا يجوِّز ذلك على الأنبياء عليهم السلام إلا من لم يعرف مقدارهم ولا يعرفهم حقيقة

معرفتهم، وقد قال الله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، وقد أكذب الله من قال: إنْ تَتَّبِعُونَ إلا رجلاً مَسْحُوراً. فنعوذ بالله من الخذلان».

وقال ابن إدريس في السرائر: ٥٣٤/٣: «والرسول ﷺ ما سُحِر عندنا بلا خلاف لقوله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، وعند بعض المخالفين أنه سُحر»!

قال في الصحيح من السيرة: ٢٢٥/١٦: «وزعموا: أنه في شهر محرم من السنة السابعة وقيل سنة ست: سحر رسول الله. فعن عائشة قالت: سُحر رسول الله حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان! وعن عبدالرحمن بن كعب بن مالك قال: إنما سحره بنات أعصم أخوات لبيد، وكان لبيد هو الذي ذهب به فأدخله تحت راعوفة البئر. ودس بنات أعصم إحداهن فدخلت على عائشة،فسمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله من بصره! ثم خرجت إلى أخواتها بذلك فقالت إحداهن: إن يكن نبياً فسيخبَّر، وإن كان غير ذلك فسوف يُذْهِبُهُ هذا السحر، فيذهب عقله، فدله الله عليه! وقد مرض من سحرهن له حتى إنه لم يقدر على قربان أهله ستة أشهر،وذكر الستة والأربعين يوماً في الوفاء! وعن الزهري: أنه لبث سنة! وفي بعض الروايات: أن سِحْرَ يهود بني زريق حبس النبي عن خصوص عائشة: سنة!

بل في بعضها: فأقام رسول الله لايسمع ولا يبصر، ولا يفهم، ولا يتكلم، ولا يأكل ولا يشرب..! فهل يمكن أن يكون هذا حال من وصفه الله تعالى بأنه: وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَى؟

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن شعر رسول الله ﷺ قد انتثر بواسطة السحر.. وهذا أمر عجيب وغريب لم نعهده في سحر الساحرين، ولا قرأناه في تاريخ هذا النبي الأمين ﷺ،فلو كان ذلك قد حصل فعلاً لاعتبره المؤرخون مفصلاً تاريخياً في حياته ﷺ! إننا لا نشك في كذب هذه الروايات، ونعتقد أنها من مجعولات أعداء هذا الدين».

أقول: أصل المشكلة عندهم أنهم يقبلون كلام عمر وعائشة والبخاري حتى

لـو خالف القرآن والقطعي من السـنة، ولا يسـمحون لأنفسـهم ولا لأحد أن ينتقده ويـرده! وقـد أوقعهم ذلك في مشـكلات عديدة في العقائد والفقـه! تورطوا فيها وما زالوا دون أن يجرأ أحد منهم على القول: معاذ الله، إنها تهمة الكفار لنبينا ﷺ وقد برَّأه الله منها، فإن صحت عن عائشة فهي من خيالاتها!

وقد استنكر الله تعالى تهمة الكفار، فقال: نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلاً مَسْحُورًا. انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً. الإسراء: ٤٦-٤٨.

فـما الفـرق بين قول هؤلاء وقول عائشـة: «حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشـئ وما يفعلـه»؟ أليـس هذا الجنون بعينـه! وإن قبلوه في النبي ﷺ فمـن يضمن أن يكون الله تعالى أنزل عليه وحياً وأوامر فتصور أنه بلغ ذلك ولم يبلغه!

ثـم متـى كانـت هـذه الحادثـة؟في السـنة السادسـة أو السـابعة؟وكل حيـاة النبي ﷺ وسنواتها وأيامها مشهودة منظورة، وكيف لم يعرف ذلك إلا عائشة؟!

فبعـد رجوعه ﷺ مـن الحديبيـة في ذي الحجة راسـل ملوك العالم، ودخلت السـنة السابعة فغزا خيبر، ثم اعتمر عمرة القضاء، ثم كانت غزوة مؤتة. فمتى كانت حادثة السحر المزعومة!

ثـم كيـف يعتقـدون بالقـدرات الخارقـة للسـحر وتأثيره عـلى النـاس والمؤمنـين والأنبياء عليهم السلام! وإذا صح ذلك، فلماذا لم يَصِر السَّحَرَة حكام الأرض؟!

هذا، ولا نطيل في تحليل كلام عائشة ففيه دلالات ليست في مصلحتها!

رد بعض علماء السنيين لهذه الفرية

وممـن تجرأ ومـال إلى موافقتنا في ردها: النـووي في المجمـوع: ٢٤٢/١٩، قال: «وأكتفي بهذا القدر من أحاديث سـحر الرسـول ﷺ. تنبيه: قال الشهاب بعد نقل التأويلات عـن أبي بكـر الأصم أنه قـال: إن حديث سـحره ﷺ المروي هنا متروكٌ لـما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور، وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه. ونقل

الـرازي عن القاضي أنه قال: هذه الرواية باطلـةٌ، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، وقال: وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى. ولأن تجويزه يفـضي إلى القـدح في النبـوة، ولأنه لو صح ذلـك لكان من الواجـب أن يصلوا إلى ضرر جميـع الأنبيـاء عليهم السلام والصالحـين، ولقـدروا عـلى تحصيل الملـك العظيم لأنفسهم! وكل ذلك باطل.

وكان الكفـار يعيرونـه بأنـه مسـحور، فلو وقعت هـذه الواقعة لـكان الكفار صادقـين في تلـك الدعوى، ولحصل فيه ﷺ ذلك العيـب، ومعلوم أن ذلك غير جائز»!



الفصل الثامن والخمسون

غزوة خيبر

١- محافظة خيبر

خيبر الآن محافظة مركزها مدينة خيبر، وتقع شمال شرق المدينة المنورة، وتبعد عنها ١٧٩كيلومتراً، وتشمل ١٨٩ قرية، ومساحتها ٢٦٠ كيلومتراً.

http: //www.oman0.net/forum/showthread.php?t=17962

وفي معجم البلدان: ٤٠٩/٢: «خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبيﷺ وهي ناحية على ثمانية بُرُد من المدينة لمن يريد الشام. يطلق هذا الإسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها: حصن ناعم وعنده قتل مسعود بن مسلمة ألقيت عليه رحى، والقموص حصن أبي الحقيق، وحصن الشق، وحصن النطاة، وحصن السلالم، وحصن الوطيح، وحصن الكتيبة. وأما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود: الحصن، ولكون هذه البقعة تشتمل على هذه الحصون سميت خيابر».

أقول: هاجر اليهود بعد المسيحؑ إلى الجزيرة ينتظرون النبي الموعودﷺ، ونزلوا في مواضع منها تيماء ووادي القرى وخيبر وحول المدينة، وكان في خيبر أودية فيها بعض العيون، وبقربها قبيلة عبس وبعض قبائل غطفان النجدية، لكنهم كانوا أهل إبل وشاء ولم يكونوا أهل زراعة، فسكن فيها اليهود وزرعوها ونجحت فيها زراعة النخيل واشتهر تمرها بعد هجر. ولعل كلمة خيبر التي سموها بها نفس كلمة كيبوتس، بمعنى مستوطنة أو قرية.

وكان يهود خيبر عندما بعث النبي ﷺ نحو عشرة آلاف نسمة، ومقاتلوهم نحو ثلاثة آلاف، وقد انضم اليهم عدد أجلاهم النبي ﷺ من جور المدينة من يهود قينقاع والنضير وقريظة، وفيهم حاخامات وزعماء كبار رأَّسهم أهل خيبر عليهم، مثل حي بن أخطب الذي كان يتجول ويحث قريشاً وقبائل العرب على حرب النبي ﷺ ويعد قبائل نجد بموسم تمر خيبر!

٢- بعد عودته من الحديبية بعشرين يوماً توجه ﷺ إلى خيبر

بعد عودته من الحديبية بنحو عشرين يوماً، توجه النبي ﷺ إلى خيبر بجيشه البالغ نحو ألف وخمس مئة، وكان ذلك في شهر صفر أواخر السنة السابعة للهجرة. وجاءه المتخلفون عن الحديبية فقال ﷺ: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد، فأما الغنيمة فلا. ثم أمر منادياً ينادي بذلك. الصحيح من السيرة: ٧٢/١٧.

وفي سيرة ابن هشام: ٧٩١/٣: «ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر. ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب وكانت بيضاء». ثم روى ابن هشام أن الأكوع كان يرتجز بهم:

والله لـولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا

إنا إذا قوم بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

وهو شعر عبدالله بن رواحة، وكان ﷺ يردده في حفر الخندق». الغدير: ٦/٢.

ثم نقل عن ابن إسحاق: «أن رسول الله ﷺ خرج إلى خيبر فسلك على عَصْر بفتح العين وإسكان الصاد المهملة، وفي بعض النسخ عَصَر بفتح الصاد. قال: فبني له فيها مسجد قال: ثم سلك على الصهباء، ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع، فنزل بين أهل خيبر وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ. فكان أول حصن افتتحه رسول الله ﷺ حصن ناعم». «فقال رسول الله ﷺ لحُسَيْل: يا حُسَيْل: إمض أمامنا حتى تأخذ بنا صدور الأودية، حتى تأتي خيبر من بينها وبين الشام،

فأحول بينهم وبين الشام، وبين حلفائهم من غطفان. فقال حُسَيْل: أنا أسلك بك، فانتهى به إلى موضع له طُرق فقال: يا رسول الله، إن لها طرقاً تؤتى منها كلها، فقال رسول الله ﷺ: سمها لي. وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل الحسن والإسم الحسن ويكره الطيرة والإسم القبيح، فقال: لها طريق يقال لها: حزن وطريق يقال لها: شاش وطريق يقال لها: حاطب، فقال رسول الله ﷺ: لا تسلكها. قال: لم يبق إلا طريق واحد يقال له: مرحب، فقال رسول الله ﷺ: أسلكها». الصحيح من السيرة: ٨٩/١٧.

٣- سبب حرب النبي ﷺ يهودَ خيبر

قال في المواجهة مع رسول الله/٢٨٣: «كانت خيبر من أعظم وأكبر التجمعات اليهودية في الجزيرة، حتى أنها أصبحت قلعة حقيقية ففيها المال وفيها الرجال، وقد تابع يهود خيبر بقلق بالغ أنباء مواجهات الرسول مع يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وتأثروا بما أصابهم، وتعاطفوا معهم حتى صارت خيبر ملجأ للكثير من اليهود، واستقطبت بخيراتها وأموالها عواطف الكثير من أبناء القبائل العربية المحتاجة الطامعة بأي شيء، مما حوَّلها مع الأيام إلى قاعدة لمن يتربصون الدوائر بالنبي وآله ومن والاه، وصارت أعظم خطر يهدد الإسلام.

وقد أدرك يهود خيبر ومن لجأ إليهم وتحالف معهم، أن المواجهة مع محمد ومن والاه قدر محتوم لا مفر منه، وقد أرعبتهم مواجهات محمد السابقة مع خصومه، لذلك فهم يخشون فكرة شن هجوم عليه، مما فرض عليهم فرضاً أن يبقوا بحالة ترقب وقلق حتى يأتي محمد ومن والاه لحربهم، فيحاربونه حرباً دفاعية وهم في حصونهم.

واستعداداً لتلك المواجهة الحاسمة رمموا حصونهم وأصلحوها، واستوردوا السلاح وصنعوه، ووسعوا دائرة تحالفاتهم مع القبائل، خاصة مع قبيلة غطفان وزعيمها عيينة بن حصن، ويقال إنهم جندوا عشرة آلاف مقاتل يتم استعراضهم يومياً، وقدروا أنهم بهذه العدة والعدد سيكونون أول من يلحق هزيمة ساحقة بمحمد وآله ومن والاه، ومن هنا فقد أيقنوا بأن محمداً قادم إليهم لا محالة، وترقبوا كل يوم قدومه ليواجهوه بما لا قبل له به!

وبعد أن فتح الله على نبيه في صلح الحديبية ذلك الفتح المبين، وحقق انتصاره السياسي، وخلَّت بطون قريش بينه وبين العرب، واعترفت به وهي عدوته اللدودة، واعترفت بحقه باستقطاب العرب حوله. عندئذ قدر النبيﷺ أن الفرصة ملائمة لمواجهة أخطر وأقوى ما تبقى من خصومه وهم يهود خيبر... وبعد إتمام الاستعدادات وفي شهر صفر من السنة السابعة للهجرة، زحف النبي نحو خيبر ودخلها عن طريق مرحب، وفي الطريق علم أن قبائل غطفان الكبيرة قد تحالفت مع اليهود على حرب محمد مقابل تمر خيبر لسنة. ولما استقر الرسول في معسكره قرب خيبر، أمر أتباعه أن لا يقاتلوا حتى يأذن لهم بالقتال».

٤- وصول النبي ﷺ إلى خيبر

في خيبر سمع النبيﷺ أصحابه يرفعون أصواتهم بالتكبير، فأمرهم أن يلتزموا الهدوء والسكينة والتواضع، وقال لهم: إربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم.. وقال لهم: قفوا فوقفوا، فقال: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين، فإنَّا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها. أقدموا باسم الله». المناقب: ١٧٦/١ والصحيح من السيرة: ١٠١/١٧.

وكان أهل خيبر يتوقعون وصول النبيﷺ، لكنه فاجأهم من جهة لا يتوقعون مجيئه منها، فرآه بعض المزارعين فقالوا: محمد والخميس وأدبروا هرباً! فقالﷺ ورفع يديه: الله أكبر، خربت خيبر! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. كما قالها عند محاصرة بني قريظة. الإرشاد: ١١٠/١ وتفسير القمي: ١٨٩/٢.

وعسكرﷺ بأصحابه قرب حصن ناعم، وكان فيه قوات غطفان النجدية، بزعامة شيخ فزارة عيينة بن حصن، جاؤوا لنصرة اليهود قبل قدوم النبيﷺ بثلاثة أيام، وروي أنهم كانوا أربعة آلاف، ونزلوا في حصن ناعم في

النطاة، فأرسل النبيﷺ سعد بن عبادة لينصح عيينة بالإنسحاب بقبيلته: «فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم: إني أريد أكلِّم عيينة بن حصن، فأراد عيينة أن يدخله الحصن فقال مرحب: لاتُدخله فيرى خلل حصننا ويعرف نواحيه التي يؤتى منها، ولكن تخرج إليه. فقال عيينة: لقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته ويرى عدداً كثيراً، فأبى مرحب أن يدخله فخرج عيينة إلى باب الحصن، فقال سعد: إن رسول الله أرسلني إليك يقول: إن الله قد وعدني خيبر فارجعوا وكفوا، فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خيبر سنة. فقال عيينة: إنَّا والله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشئ وإنَّا لنعلم ما لك وما معك مما هاهنا طاقة، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة، ورجال عددهم كثير وسلاح! إن أقمت هلكت ومن معك، وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسلاح. ولا والله ما هؤلاء كقريش وقومٍ ساروا إليك إن أصابوا غِرَّة منك فذاك الذي أرادوا، وإلا انصرفوا، وهؤلاء ياكرونك الحرب ويطاولونك حتى تملهم. فقال سعد بن عبادة: أشهد ليحصرنك في حصنك هذا حتى تطلب الذي كنا عرضنا عليك فلا نعطيك إلا السيف! وقد رأيت يا عيينة من قد حللنا بساحته من يهود يثرب، كيف مُزقوا كل ممزق!

فرجع سعد إلى رسول اللهﷺ فأخبره بما قال. وقال سعد: يا رسول الله، لئن أخذه السيف ليسلمنهم وليهربن إلى بلاده كما فعل ذلك قبل اليوم في الخندق. فأمر رسول اللهﷺ أصحابه أن يتوجهوا إلى حصنهم الذي في غطفان وذلك عشيةً وهم في حصن ناعم، فنادى منادي رسول اللهﷺ أن أصبحوا على راياتكم عند حصن ناعم، الذي فيه غطفان. قال: فرعبوا من ذلك يومهم وليلتهم، فلما كان بعد هذه من تلك الليلة سمعوا صائحاً يصيح لايدرون من السماء أو الأرض: يا معشر غطفان أهلكم أهلكم! الغوث الغوث بحيفاء، صِيح ثلاثة، لا تربة ولا مال! قال: فخرجت غطفان على الصعب والذلول، وكان أمراً صنعه الله لنبيهﷺ. فلما أصبحوا أُخبر كِنانة بن أبي الحُقيق وهو في الكتيبة منطقة من خيبر بانصرافهم فسقط في يديه».

الصحيح من السيرة: ١١٠/١٧.

٥- نداء النبي صلى الله عليه وآله بالأمان لأهل خيبر

روت مصادرهم: «عن الضحاك الأنصاري قال: لما سار النبي صلى الله عليه وآله إلى خيبر جعل علياً على مقدمته فقال صلى الله عليه وآله: من دخل النخل فهو آمن، فلما تكلم النبي صلى الله عليه وآله نادى بها علي فنظر النبي صلى الله عليه وآله إلى جبرائيل يضحك فقال: مايضحكك؟! قال: إني أحبه! فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إن جبرائيل يقول إنه يحبك! قال عليه السلام: بَلَغْتُ أن يحبني جبرائيل؟ قال صلى الله عليه وآله: نعم ومن هو خير من جبرائيل: الله عزَّ وجل».

الطبراني الكبير: ٣٠١/٨، مجمع الزوائد: ١٢٦/٩ وأسد الغابة: ٣٤/٣.

٦- فتح علي عليه السلام كل حصون خيبر؟

كانت خيبر ثلاث مناطق: النَّطَاة بفتح النون المشددة وسكون الهاء، وفيها ثلاثة حصون: حصن ناعم، وحصن الصعب، وحصن قلة. وتتصل بها منطقة الشق وفيها حصن أبيّ، وحصن البرئ.

وعلى بعد كيلو مترات منها منطقة الكتيبة، وفيها واد فيه أربعون ألف نخلة وعلى جبلها ثلاثة حصون: حصن القموص، والسلالم، والوطيح.

وقد استغرق فتح خيبر كلها وترتيب أمرها نحو شهرين. وبدأ النبي صلى الله عليه وآله بحصن ناعم في النطاة، ففتحه بعد بضعة أيام. ثم حاصر حصن الصعب أياماً، ثم فتح بقية الحصون في مدة قليلة.

ثم ترك علياً عليه السلام في منطقة النطاة والشق يرتب أمرها، واتجه إلى الكتيبة فحاصر حصنها الأكبر «القموص»، وطالت محاصرته له بضعة وعشرين يوماً!

وكان يرسل جيشه كل يوم بقيادة صحابي، فيصلون إلى خندق الحصن فيرميهم اليهود من أبراجه بالسهام والأحجار، فيرمونهم هم، ويرجعون!

ثم تجرأ مرحب وفرسانه فأخذوا يخرجون من الحصن ويطلبوا من المسلمين أن يعبروا اليهم فلا يجرؤون، بل يرجعون منهزمين حتى أحضر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام!

وروت مصادرنا أن فتح حصون خيبر كلها كان بيد علي عليه السلام، وروى نحو ذلك

في السيرة الحلبية: ٧٣٧/٢، عون المعبود: ١٧٢/٨، قال: «وقصة فتح هذه الحصون: أن النبي صلى الله عليه وآله ألبس علياً رضي الله عنه درعه الحديد وأعطاه الراية، ووجهه إلى الحصن، فلما انتهى علي رضي الله عنه إلى باب الحصن، اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض، ففتح الله ذلك الحصن الذي هو حصن ناعم، وهو أول حصن فتح من حصون النطاة على يده رضي الله عنه.

وكان من سلم من يهود حصن ناعم انتقل إلى حصن الصعب من حصون النطاة ففتح الله حصن الصعب قبلما غابت الشمس من ذلك اليوم. ولما فتح ذلك الحصن تحول من سلم من أهله إلى حصن قلة، وهو حصن بقلة جبل، ويعبر عن هذا بقلعة الزبير، وهو الذي صار في سهم الزبير بعد ذلك، وهو آخر حصون النطاة. فحصون النطاة ثلاثة، حصن ناعم، وحصن الصعب، وحصن قلة. ثم صار المسلمون إلى حصار حصون الشق، فكان أول حصن بدأ به من حصني الشق حصن أبيّ، فقاتل أهله قتالاً شديداً وهرب من كان فيه، ولحق بحصن يقال له حصن البرئ، وهو الحصن الثاني من حصني الشق.

ثم إن المسلمين لما أخذوا حصون النطاة وحصون الشق، انهزم من سلم من يهود تلك الحصون إلى حصون الكتيبة، وهي ثلاثة حصون القموص والوطيح وسلالم، وكان أعظمها القموص، وانتهى المسلمون إلى حصار الوطيح وحصن سلالم ويقال له السلاليم، وهو حصن بني الحقيق آخر حصون خيبر، ومكثوا على حصارهما أربعة عشر يوماً، فلم يخرج أحد منهما، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، فصالحهم على ذلك».

أقول: ستعرف أن محاصرة القموص طالت بضعاً وعشرين يوماً، وذلك قبل محاصرة حصن السلالم والوطيح، التي ذكر العيني أنها كانت أربعة عشر يوماً.

كما تدل روايته على أن أمير المؤمنين عليه السلام قلع باب حصن ناعم، ولم يذكر حجم ذلك الباب، وسيأتي قلعه عليه السلام لباب حصن القموص، وهو أكبر حصون خيبر.

٧- طريقة القتال في فتح النبي ﷺ حصون خيبر

«صفَّ رسول الله ﷺ أصحابه ووعظهم، ونهاهم عن القتال حتى يأذن لهم، فعمد رجل من قبيلة أشجع فحمل على يهودي فقتله اليهودي، فقال الناس: استشهد فلان. فقال رسول الله ﷺ: أبعدَ ما نهيتُ عن القتال؟ قالوا: نعم. فأمر رسول الله منادياً فنادى في الناس: لاتحل الجنة لعاص..وقالوا إن مرحباً هو الذي قتل ذلك الرجل الأشجعي..وأذن رسول الله في القتال وحثهم على الصبر، وأول حصن حاصره حصن ناعم.. وقاتل ﷺ يومه ذاك أشد القتال، وقاتله أهل النطاة أشد القتال، وترَّس جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ عليه يومئذٍ، وعليه كما قال محمد بن عمر درعان وبيضة ومغفر، وهو على فرس يقال له الظرب، وفي يده قناة وترس». الصحيح من السيرة: ١٥٢/١٧.

أقول: كان اليهود مستميتين في الدفاع عن خيبر، ومن الطبيعي أنهم كانوا يخططون لقتل النبي ﷺ! **فقد روى الواقدي**: ٦٧٠/٢ **والصحيح من السيرة**:١٧/ ٢١٩ «أن كنانة ابن أبي الحقيق كان رامياً يرمي بثلاثة أسهم في ثلاث مائة ذراع، فيُدخلها في هدف شبراً في شبر! فما هو إلا أن قيل له: هذا رسول الله ﷺ قد أقبل من الشق في أصحابه، وقد تهيأ أهل القموص، وقاموا على باب الحصن بالنبل.. فنهض كنانة إلى قوسه فلم يستطع أن يوترها لشدة الرعدة التي انتابته»!

والوضع الطبيعي أن يتحصن اليهود في قلاعهم، ويردوا هجمات المسلمين بواسطة الرماة من أبراج القلعة وسطوحها. لكن أحاديث خيبر ذكرت أن فرسان اليهود خرجوا من بعض حصونهم واشتبكوا مع المسلمين أمام مداخلها، وفتحوا أبواب الحصن للتواصل مع مقاتليهم، فلم يمكنهم رمي المسلمين القريبين بالسهام. فكان على المسلمين أن يكتسحوا المقاتلين أمام باب الحصن، ثم يدخلوه قبل أن يسدوا بابه، ويقاوموا المقاتلين داخله. وكان اليهود عند سقوط الحصن ينسحبون إلى غيره، وينقلون معهم ما أمكنهم من سلاح ومؤن أو يتلفونها، فقد ورد ذكر بطلهم مرحب في معركة حصن ناعم وهو أول

حصن فتحه النبي ﷺ، ثم كان بطل حصن القموص، وهو آخر حصونهم وأهمها.

وهذه بعض نصوص القتال في فتح الحصون قبل حصن القموص من كتاب: **الصحيح من السيرة**: ١٧١/١٧: «لم يكن بخيبر حصن أكثر طعاماً وودكاً وماشية ومتاعاً من حصن الصعب بن معاذ، ووجدوا فيه ما لم يكونوا يظنون، من الشعير والتمر والسمن والعسل والزيت والودك، وكان فيه خمس مائة مقاتل، وكان المسلمون قد أقاموا أياماً يقاتلون ليس عندهم طعام إلا العلف!

وروى ابن إسحاق عن بعض قبيلة أسلم ومحمد بن عمر، عن معتب الأسلمي واللفظ له قال: أصابتنا معشر أسلم مجاعة حين قدمنا خيبر، وأقمنا عشرة أيام على حصن النطاة لا نفتح شيئاً فيه طعام، فأجمعت أسلم أن أرسلوا أسماء بن حارثة فقالوا: إئت رسول الله ﷺ فقل له: إن أسلم يقرؤونك السلام ويقولون: إنَّا قد جُهدنا من الجوع والضعف.. وحسب نص الحلبي: إن اليهود حملت حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو واقف قد نزل عن فرسه..ثم إن المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون، فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير... ونادى منادي رسول الله ﷺ: كلوا واعلفوا ولا تحملوا أي لا تخرجوا به إلى بلادكم.

وحسب نص الواقدي: وقد أقمنا عليه يومين نقاتلهم أشد القتال، فلما كان اليوم الثالث بكَّر رسول الله ﷺ عليهم، فخرج رجل من اليهود كأنه الدقل في حربة له وخرج وعاديته معه، فرموا بالنبل ساعة سراعاً وترَّسنا عن رسول الله وأمطروا علينا بالنبل فكان نبلهم مثل الجراد، حتى ظننت ألا يقلعوا، ثم حملوا علينا حملة رجل واحد فانكشف المسلمون حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو واقف قد نزل عن فرسه، ومِدْعَم يمسك فرسه...

وندب رسول الله ﷺ المسلمين وحضهم على الجهاد ورغبهم فيه، وأخبرهم أن الله قد وعده خيبر يغنمه إياها. قال فأقبل الناس جميعاً حتى عادوا إلى صاحب رايتهم، ثم زحف بهم الحباب فلم يزل يدنو قليلاً قليلاً وترجع اليهود على أدبارها حتى لحمها الشر، فانكشفوا سراعاً ودخلوا الحصن وغلَّقوا عليهم، ووافوا على جدره وله جدر

دون جدر، فجعلوا يرموننا بالجندل رمياً كثيراً، ونحَّوْنا عن حصنهم بوقع الحجارة، حتى رجعنا إلى موضع الحباب الأول.

ثم إن اليهود تلاومت بينها وقالت: ما نستبقي لأنفسنا؟ قد قتل أهل الجد والجلد في حصن ناعم! فخرجوا مستميتين ورجعنا إليهم فاقتتلنا على باب الحصن أشد القتال، وقتل يومئذٍ على الباب ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ: أبو صياح، وقد شهد بدراً، ضربه رجل منهم بالسيف فأطن قحف رأسه، وعدي بن مرة بن سراقة طعنه أحدهم بالحربة بين ثدييه فمات، والثالث الحارث بن حاطب وقد شهد بدراً، رماه رجل من فوق الحصن فدمغه.

وقد قتلنا منهم على الحصن عدة كلما قتلنا منهم رجلاً حملوه حتى يدخلوه الحصن، ثم حمل صاحب رايتنا وحملنا معه، وأدخلنا اليهود الحصن وتبعناهم في جوفه، فلما دخلنا عليهم الحصن فكأنهم غنم! فقتلنا من أشرف لنا وأسرنا منهم وهربوا في كل وجه يركبون الحرة، يريدون حصن قلعة الزبير، وجعلنا ندعهم يهربون. وصعد المسلمون على جدره فكبروا عليه تكبيراً كثيراً..ووجدوا فيه من البز والآنية، ووجدوا خوابي السّكَر فأمروا فكسروها، فكانوا يكسرونها حتى سال السكر في الحصن، والخوابي كبار لا يطاق حملها.. وأخرجنا منه غنماً كثيراً وبقراً وحمراً، وأخرجنا منه آلة كثيرة للحرب ومنجنيقاً ودبابات وعُدَّة، فنعلم أنهم قد كانوا يظنون أن الحصار يكون دهراً، فعجل الله خزيهم...

أخرج من أطم من حصن الصعب ابن معاذ من البز عشرون عكماً «ربطة» محزومة من غليظ متاع اليمن، وألف وخمس مائة قطيفة، ويقال: قدم كل رجل بقطيفة على أهله».

وفي سبل الهدى: ١٢٥/٥: «ذكر قتل علي رضي الله عنه الحارث وأخاه مرحباً وعامراً وياسراً، فرسان يهود وسبعانها. روى محمد بن عمر عن جابر قال: أول من خرج من حصون خيبر مبارزاً الحارث أخو مرحب في عاديته فقتله علي، ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن وبرز عامر، وكان رجلاً جسيماً طويلاً،

فقال رسول الله ﷺ حين برز وطلع عامر أترونه خمسة أذرع وهو يدعو إلى البراز؟ فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب ساقيه فبرك، ثم ذفف عليه وأخذ سلاحه».

أقول: كان قتل هؤلاء في حصن ناعم وليس في حصن القموص مع مرحب كما رووا. وقد كان مرحب معهم، لكنه لم يبرز إلا في حصن القموص. ويؤيده أن منزل ياسر أخ مرحب في النطاة لا في القموص.«معجم البكري: ٥٢٣/٢»، وأن الحارث كان يحوس الناس بحربته، أما في مبارزة علي عليه السلام لمرحب فلم يكن مع علي أحد ليحو سهم الحارث.

٨- طالت محاصرة حصن خيبر وظهرت هزيمة المسلمين!

« يقع حصن القموص في الجهة المقابلة للمسجد الفعلي الذي كان مركز قيادة النبي ﷺ، ويقع على مسافة قليلة إلى يمينه حصن السلالم وحصن الوطيح، ويفصل هذه الحصون عن مركز قيادة النبي ﷺ تلالٌ ووادٍ، وقد رأيته قبل خمس وثلاثين سنة، وادياً صغيراً فيه بعض نخيل وعين ماء جارية، بقربها محراب ومكان للصلاة، وقد سألت البدو عنها فقالوا هذه عين سيدنا علي.

وبعد الوادي جبل على قمته الحصون،وخلفه وادي الكتيبة المشهورة بالنخيل.

وعندما فتح النبي ﷺ حصون النطاة والشق: «انهزم من سلم من يهود تلك الحصون إلى حصون الكتيبة، وهي ثلاثة حصون: القموص والوطيح وسلالم، وكان أعظم حصون خيبر القموص».عون المعبود: ١٧٢/٨.

«فتحصنوا معهم في القموص أشد التحصين، مغلقين عليهم لايبرزون، حتى همَّ رسول الله ﷺ أن يرميهم بالمنجنيق».الواقدي: ٦٧٠/٢.

وحاصرهم بضعاً وعشرين يوماً«تاريخ خليفة/٤٩» وكان النبي ﷺ يصلي بالمسلمين كل يوم صلاة الفجر، ثم يصطفُّون ثم يذهبون لمهاجمة الحصن، فيقطعون التلال حتى يصلوا إلى قرب الخندق في مواجهة الحصن.

وكان اليهود يتخذون مواقعهم في أبراج الحصن وعلى سطوحه، ويرمون المسلمين بالسهام والأحجار، فيحمي المسلمون أنفسهم منها، أو يرمونهم بالسهام، ويحاولون أن يتقدموا فلا يستطيعون، فيرجعون بدون نتيجة!

ومع الأيام ضعفت معنويات المسلمين وقويت معنويات اليهود، فصار بطلهم مرحب وفرسانه يخرجون من الحصن، ويتحدون المسلمين أن يعبروا اليهم! فينهزم المسلمون عنهم، ويرجع اليهود منتصرين!

وكان النبي صلى الله عليه وآله أبقى علياً عليه السلام في المنطقة التي فتحها «النطاة والشق» أو بعثه في مهمة، وكان يعطي الراية لوجهاء أصحابه، فيوماً لسعد بن عبادة، ويوماً للزبير، ويوماً لطلحة، ويوماً لسعد بن أبي وقاص، ويوماً لأبي بكر، ويوماً لعمر بن الخطاب.. وقد جرب بعضهم قيادة المسلمين لأكثر من يوم كما روي في عمر، وكان الجميع يرجعون منهزمين! ولم يجرؤوا على العبور إلى مرحب لمبارزته! ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «ياعلي إكفني مرحباً». أمالي الطوسي/٤ والخرائج: ٢١٧/١.

وقد ورد أن سعد بن عبادة رجع مجروحاً، «الواقدي ٦٥٣/٢» وفي رواية رجع محمولاً «الإحتجاج: ٤٠٦/١». وروى أن عمر بن الخطاب رجع مجروحاً في رجله، وهو يجبن المسلمين وهم يجبنونه! رسائل المرتضى: ١٠٣/٤.

وفي رواية مجمع الزوائد: ١٥١/٦، أن هزيمة عمر كانت سريعة عندما أصابه حجر في رجله قال: «بعث عمر ومعه الناس، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه»!

ويرد هنا سؤالان مهمان:

الأول: لماذا لم يذهب النبي صلى الله عليه وآله في الحملات على القموص؟ فقد شارك في القتال في حصن ناعم وحصن الصعب ورمى بسهام، وترَّسه المسلمون من سهام اليهود، لكنه لم يشارك في الحملات اليومية على حصن القموص!

والجواب: أن النبي صلى الله عليه وآله كما قال الله تعالى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، فهو لا يفعل عن الهوى بل بالوحي. والحكمة من فعله صلى الله عليه وآله أن يعرف الصحابة أنهم بدونه صلى الله عليه وآله وبدون علي عليه السلام لا يستطيعون تحقيق النصر، فعليهم أن يعرفوا حدودهم!

أما مرضه ﷺ فلم يكن مانعاً من مشاركته، لأنه كان ليومين في أواخر حصاره للحصن، فكان بإمكانه قيادة الحملة قبله أو بعده.

والسؤال الثاني: لماذا أبقى ﷺ علياً عليه السلام في المنطقة المفتوحة، أو بعثه بمهمة؟

وجوابه: أن الحكمة من ذلك أن يثبت للمسلمين أن علياً عليه السلام صاحب الفتح، وأنهم بدونه لايستطيعون تحقيق النصر ولا مواجهة مرحب وفرسانه!

والحكمة لمستقبل الأمة: أن اليهود لايكسر غطرستهم إلا علي، وشيعة علي عليه السلام.

٩- مَرِضَ علي عليه السلام بالرَّمَد والنبي ﷺ بالصداع!

يظهر أن علياً عليه السلام أصابه الرمد عندما ذهب النبي ﷺ من منطقة النطاة والشق إلى الكتيبة، وأبقاه هناك، لأن أحاديث خيبر نصت على أن النبي ﷺ أرسل في إحضاره فجاء راكباً على بعير له، وكان معصوب العينين بشق برد قطري، ولما سأله عن حاله قال له: «رمدت بعدك» أي بعد فراقي لك!

كما ذكرت الرواية أن سبب وجع عينيه دخان أصابه من الحصون التي فتحها ففي **مجمع الزوائد:** ١٢٣/٩: «عن جميع بن عمير قال: قلت لعبدالله بن عمر حدثني عن علي؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فكأني أنظر إليها مع رسول الله ﷺ وهو يحتضنها وكان علي بن أبي طالب أرمد من دخان الحصن فدفعها إليه، فلا والله ما تتامت الخيل حتى فتحها الله عليه»!

وعن علي عليه السلام قال: «كنت أرمد من دخان الحصن» .كنزالعمال: ٩٢/١٠.

وقد يكون اليهود استعملوا ذلك الدخان سلاحاً ليمنعوا تقدم علي عليه السلام، فاضطر إلى الدخول فيه لتعقب فرسانهم!

كما يظهر أن مرض النبي ﷺ بالصداع كان في آخر محاصرة حصن القموص لأنهم رووا عن بريدة وغيره، «الطبري: ٣٠٠/٢» قال: «كان رسول الله ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لايخرج، فلما نزل رسول الله خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى

الناس، وإن أبابكر أخذ راية رسول الله ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من القتال الأول ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة. قال وليس ثَمَّ علي، فتطاولت لها قريش ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك، فأصبح فجاء علي على بعير له حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله ﷺ وهو أرمد، وقد عصب عينيه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ مالك؟ قال: رمدت بعدك! فقال رسول الله: أدن مني...».

فيفهم منه أنهم دخلوا على النبي ﷺ في مرضه وأخبروه بهزيمة عمر، فوعد الناس بالفتح في اليوم التالي واستدعى علياً عليه السلام. ويدل ذلك على أن عمر قاد الحملة على الحصن يومين، ومعنى قتاله في المرة الثانية بأشد من الأولى أنه لم ينهزم بسرعة من سهام اليهود، بل تأخر قليلاً حتى انهزم!

١٠- غَضِبَ النبي ﷺ من فرار الصحابة وبشرهم بالفتح غداً!

غضب النبي ﷺ لما رأى هزيمة المسلمين شبه يومية، ورأى أن غطرسة مرحب وفرسانه زادت، ولم يجرؤ أحد من المسلمين على اقتحام الخندق فضلاً عن الحصن، فطلب بعض المسلمين أن يرسل لإحضار علي عليه السلام!

وفي رسائل المرتضى: ١٠٣/٤: «روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أرسل عمر إلى خيبر فانهزم هو ومن معه، حتى جاء إلى رسول الله ﷺ يجبن أصحابه ويجبنونه، فبلغ ذلك من رسول الله ﷺ كل مبلغ، فبات ليلته مهموماً فلما أصبح خرج إلى الناس ومعه الراية فقال: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار! فتعرض لها المهاجرون والأنصار، ثم قال: أين علي؟ فقالوا: يا رسول الله هو أرمد، فبعث إليه سلمان وأباذر، فجاءا به وهو يقاد لايقدر على فتح عينيه، فقال ﷺ: اللهم أذهب عنه الرمد والحر والبرد وانصره على عدوه، فإنه عبدك يحبك ويحب رسولك، ثم دفع إليه الراية، فقال

حسان بن ثابت: يا رسول الله أتأذن لي أن أقول فيه شعراً؟ فأذن له فقال:

وكان علي أرمد العين يبتغي دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة فبورك مرقيا وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم ماضيا كميا محبا للرسول مواليا
يحب إلهي والرسول يحبه به يفتح الله الحصون الأواببا
فأصفى بها دون البرية كلها علياً وسماه الوزير المؤاخيا

فقال: إن علياً لم يجد بعد ذلك أذى في عينيه، ولا أذى حر ولا برد».

وفي سيرة ابن هشام: ٧٩٧/٣: «بعث أبابكر الصديق برايته وكانت بيضاء فيما قال ابن هشام إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يك فتح، وقد جَهِد! ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل ثم رجع ولم يك فتح، وقد جَهِد! فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه ليس بفرار! قال: يقول سلمة: فدعا رسول الله ﷺ علياً رضوان الله عليه وهو أرمد فتفل في عينه ثم قال: خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال: يقول سلمة: فخرج والله بها يأنج، يهرول هرولة، وإنا لخلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى! أو كما قال. قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه».

١١- قال النبي ﷺ لأصحابه الفارين: أميطوا عني!

في اليوم التالي لوعد النبي ﷺ بالفتح، تطاولت أعناق الصحابة لأخذ الراية، لاعتقادهم بأن الذي يعطيه الراية سيفتح حصن القموص المستعصي، حتى لو كان منهزماً! فردهم النبي ﷺ! **فقد روى أحمد، الزوائد: ١٥١/٦ و ١٢٤/٩ ووثقه** «عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله أخذ الراية فهزها ثم قال: من يأخذها بحقها؟ فجاء فلان فقال: أمِطْ «إذهب عني!» ثم جاء رجل آخر فقال: أمط! ثم قال النبي ﷺ: والذي كرم وجه محمد

لأعطينها رجلاً لا يفر، هاك يا علي! فانطلق حتى فتح الله عليه». وشرح الأخبار:١/٣٢١ والعمدة/١٣٩، وأبو يعلى: ٢/٤٩٩، أحمد: ٣/١٦، تاريخ دمشق: ١/١٩٤ ونهاية ابن الأثير:٤/٣٨١.

وفي تاريخ دمشق: ٤٢/١٠٤ وغيره: «قال من يأخذها بحقها؟ فجاء الزبير فقال: أنا. فقال: أمط! ثم قام آخر...». وهو يدل على فرار الزبير أيضاً.

وفي الروضة لشاذان بن جبرئيل/١٣٩: «انهزم جيش أبي بكر وعمر، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ما بال أقوام يلقون المشركين ثم يفرون؟! لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ويحب رسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، يفتح الله على يديه بالنصر، فلما كان من الغد قال صلى الله عليه وآله: أين ابن عمي علي؟ فجاءه وهو أرمد».

١٢- أعطى النبي صلى الله عليه وآله الراية لعلي عليه السلام ودعا له

في إعلام الورى: ١/٢٠٧: «حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بضعاً وعشرين ليلة، وبخيبر أربعة عشر ألف يهودي في حصونهم... فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً كراراً غير فرار، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح الله على يده. فغدت قريش يقول بعضهم لبعض: أما علي فقد كفيتموه فإنه أرمد لا يبصر موضع قدمه... قال سعد: جلست نصب عينيه، ثم جثوت على ركبتي، ثم قمت على رجلي قائماً، رجاء أن يدعوني، فقال: أدعو لي علياً، فصاح الناس من كل جانب: إنه أرمد رمداً لا يبصر موضع قدمه! فقال: أرسلوا إليه وادعوه. فأتي به يقاد فوضع رأسه على فخذه ثم تفل في عينيه فقام وكأن عينيه جزعتان «عقيقتان» ثم أعطاه الراية ودعا له، فخرج يهرول هرولة، فوالله ما بلغت أخراهم حتى دخل الحصن. قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا، وصاح سعد: يا أبا الحسن إربع يلحق بك الناس، فأقبل حتى ركزها قريباً من الحصن، فخرج إليه مرحب في عادية اليهود..».

وفي الكافي: ٥/٤٧، عن الإمام الصادق عليه السلام: «شعارنا: يا محمد يا محمد وشعارنا يوم بدر: يانصر الله اقترب اقترب.. ويوم خيبر يوم القموص: يا عليُّ آتهم من عل».

وفي الخصال/٥٥٤، أن أمير المؤمنين عليه السلام احتجَّ على أهل الشورى بوصية النبي صلى الله عليه وآله وبجهاده بين يديه، ومما قال لهم: «استخلف الناس أبابكر وأنا والله أحق بالأمر وأولى به منه، واستخلف أبو بكر عمر وأنا والله أحق بالأمر وأولى به منه، إلا أن عمر جعلني مع خمسة نفر أنا سادسهم، لا يعرف لهم عليَّ فضل!... نشدتكم بالله أيها النفر هل فيكم أحد وحَّدَ الله قبلي؟ قالوا: اللهم لا... قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين رجع عمر يجبن أصحابه ويجبنونه قد رد راية رسول الله صلى الله عليه وآله منهزماً، فقال له رسول الله: لأعطين الراية غداً رجلاً ليس بفرار، يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فلما أصبح قال: أدعوا لي علياً فقالوا: يا رسول الله هو رمدٌ ما يطرف! فقال: جيئوني به، فلما قمت بين يديه تفل في عيني وقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فأذهب الله عني الحر والبرد إلى ساعتي هذه، وأخذت الراية فهزم الله المشركين وأظفرني بهم، غيري؟ قالوا: اللهم لا».

وفي الصحيح من السيرة: ١٧/٢٤٣: «فقال صلى الله عليه وآله: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم. ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى وحق رسوله. فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم. وقال أبو هريرة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي: إذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت.. فخرج بها والله يأنج، يهرول هرولة، وإنَّا لخلفه نتبع أثره حتى ركزها تحت الحصن. فاطلع يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي: علوتم والذي أنزل التوراة على موسى. فما رجع حتى فتح الله تعالى على يديه! وشرح الأخبار: ١/٣٠٢.

وعن حذيفة: لما تهيأ علي عليه السلام للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، والذي نفسي بيده إن معك من لا يخذلك، هذا جبريل عليه السلام عن يمينك، بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان والجنة. يا علي: إنك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم»! وفي رواية: أنه صلى الله عليه وآله ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار في وسطه وأعطاه الراية ووجّهه إلى الحصن، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ الخ.. فخرج علي بها وهو يهرول.

وفي نص آخر: أركبه رسول الله ﷺ يوم خيبر وعممه بيده وألبسه ثيابه، وأركبه بغلته ثم قال له: إمض يا علي وجبرئيل عن يمينك، وميكائيل عن يسارك، وعزرائيل أمامك، وإسرافيل وراءك، ونصر الله فوقك، ودعائي خلفك»!

وفي صحيح مسلم: ١٢١/٧: «قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ! قال فتساورت لها رجاء أن أدعى لها! قال: فدعا رسول الله علي بن أبي طالب فأعطاه إياها، فقال: إمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك! قال: فسار عليٌّ شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ، قال: يا رسول الله على ماذا أقاتل؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

١٣- وصل علي عليه السلام إلى الحصن قبل الجيش!

في مناقب آل أبي طالب: ٣٢٠/٢: «الواقدي: فوالله ما بلغ عسكر النبي أُخَيْرَاه حتى دخل عليٌّ حصون اليهود كلها، وهي قموص، وناعم، وسلالم، ووطيح، وحصن المصعب بن معاد، وغنم. وكانت الغنيمة نصفها لعلي ونصفها لسائر الصحابة.

شعبة وقتادة والحسن وابن عباس: أنه نزل جبرئيل على النبي ﷺ فقال له: إن الله تبارك وتعالى يأمرك يا محمد ويقول لك: إني بعثت جبرئيل إلى علي لينصره، وعزتي وجلالي ما رمى علي حجراً إلى أهل خيبر إلا رمى جبرئيل حجراً، فادفع يا محمد إلى علي سهمين من غنائم خيبر، سهماً له وسهم جبرئيل معه».

١٤- اليهود يعرفون أن نهايتهم على يد حيدرة

روى في الإحتجاج: ٣٠٧/١، أن راهباً جاء إلى المدينة بعد النبي ﷺ فجرى بينه وبين أبي بكر كلام فدخل علي عليه السلام فقال له أبو بكر: «أيها الراهب سله فإنه صاحبك وبغيتك، فأقبل الراهب بوجهه إلى علي عليه السلام ثم قال: يا فتى ما اسمك؟ قال: إسمي عند اليهود إليا، وعند النصارى إيليا، وعند والديَّ علي، وعند

أمي حيدرة، قال: ما محلك من نبيكم؟ قال: أخي وصهري وابن عمي لِحّاً. قال: الراهب: أنت صاحبي ورب عيسى».

وفي مدينة المعاجز: ١٧٣/١: «إن اليهود من خيبر يجدون في كتابهم أن الذي يدمرهم إليا» **وروى في الإرشاد**: ١٢٦/١، أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى الراية لعلي عليه السلام وقال له: «خذ الراية وامض بها، فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم يا علي أنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدمر عليهم إسمه إيليا. فإذا لقيتهم فقل أنا علي، فإنهم يخذلون إن شاء الله».

١٥- عَبَرالخندق وقصد مرحباً وفرسانه!

في الخرائج: ٢١٧/١: «روى مكحول أن مرحباً اليهودي قدمته اليهود لشجاعته ويساره، وكان طويل القامة عظيم الهامة، وما وافقه قرن لعظم خلقه! وكانت له ظئر «مرضعة» قرأت الكتب وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك إلا من يسمى بحيدرة، فإنك إن وقفت له هلكت! فلما كثرت مناوشته «غطرسته» وبَعُلَ الناس بمكانه «تحيرهم فيه» شكوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسألوه أن يخرج إليه علياً عليه السلام وكان أرمد، فتفل النبي صلى الله عليه وآله في عينه فصحت، ثم قال له: يا علي إكفني مرحباً! فخرج إليه فلما بصر به مرحب أسرع إليه فلم يره يعبأ به فتحير، ثم قال: أنا الذي سمتني أمي مرحبا. فقال علي: أنا الذي سمتني أمي حيدرة. فلما سمعها هرب ولم يقف مما حذرته ظئره، فتمثل له إبليس وقال: إلى أين؟ قال: حذرت ممن اسمه حيدرة. قال: أولم يكن حيدرة إلا هذا؟ حيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سدت قومك وأنا في ظهرك. فما كان إلا كفواق ناقة حتى قتله أمير المؤمنين عليه السلام»!

وفي مسند أحمد: ٥٢/٤: «فخرج مرحب يخطر بسيفه فقال:

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجربُ

إذا الحروب أقبلت تلهّب

فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

أنـا الـذي سمتـني أمـي حيدره كليـث غابـات كريـه المنظـره

أوفيهمُ بالصاع كَيْلَ السنَّدرة

ففلق رأس مرحب بالسيف وكان الفتح على يديه».

«فضربه علي على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه! وسمع أهل العسكر صوت ضربته! فما تتام آخر الناس مع علي حتى فتح الله له ولهم». الطبري: ٣٠٠/٢.

وعـن أم سـلمة: «سـمعت وقْـع السـيف في أسـنان مرحب»! **مجمع الزوائـد:** ١٥٢/٦ ووثقه.

وفي بعـض المصـادر: شـق رأسـه وجسـده نصفـين حتى بلـغ السرج! معارج النبوة/٣٢٣.

١٦- بعد قتله مرحباً هاجم الحصن وقلع بابه!

تـدل أحاديـث خيبر عـلى أن حملات المسـلمين عـلى حصن القمـوص كانت تتوقف عند الخندق الذي قبل الحصن، ولا تتجاوزه!

ولذلك كان مرحب يخرج من الحصن هو وعاديته أي نخبة فرسـانه، ويتبختر أمام المسلمين ويتحداهم أن يعبروا، فلا يجرأ منهم أحد على العبور!

إلى أن كان يـومٌ رأى مرحـب وفرسـانه شـخصاً وصـل بمفـرده قبـل جيش المسلمين وعبر الخندق، ووقف في مواجهتهم، فكان ذلك علياً عليه السلام!

وأجـاب علي عليه السلام على شـعر مرحـب ثم كلمه ودعاه إلى الإسـلام، فاستشـاط غضبـاً وحمل عليـه وضربه، فتلقـى علي عليه السلام الضربة ووجه اليه ضربتـه التاريخية فقدَّت خوذته الصخرية، ومغفره، ورأسه، وقد تكون وصلت إلى فرسه!

وقـال في تاريـخ الخميـس: ٥١/٢: «وقتـل علي يومئـذٍ ثمانية من رؤسـائهم، وفر الباقـون إلى الحصـن». ومن المؤكـد أنه عليه السلام قتل أخ مرحب ويدعـى ياسر، لكن ذلـك كان في فتحـه حصن ناعم، ولم أسـتطع التحقق مـن أنه عليه السلام قتل أحداً غير مرحـب قبـل دخول حصـن القموص، فقد اندهشـوا بمصرع مرحـب، ففروا

إلى داخل الحصن وأغلقوا بابه فلحقهم علي عليه السلام! وفي صعوده انهالت عليه سهام اليهود وأحجارهم من أبراج الحصن وسطوحه، وكان يتجنبها أو يردها بترسه حتى تكسر، فوجد باب حديد صغير ملقى فاتخذه ترساً، حتى وصل إلى باب الحصن فأمسك بحلقته وهزه ثم دحاه بقدرة الله تعالى واقتلعه من أساسه فانذعر اليهود! ودخل عليه السلام الحصن وحده، فواجهه بعض فرسانهم فقتله،ودوى صوته بالتكبير»!

في ذلك الوقت تمكن بعض المسلمين من عبور الخندق، وقد يكون وصل بعضهم إلى علي عليه السلام لكن أكثرهم ما زالوا وراء الخندق يحاولون العبور، فأخذ علي عليه السلام باب الحصن وجعله لهم جسراً حتى عبروا!

ثم دخل أمامهم إلى الحصن، وقد يكون وقع فيه قتال، لكن خوف اليهود كان شديداً من مصرع مرحب، فأعلنوا الإستسلام!

وقد عدَّ أمير المؤمنين عليه السلام جهاده في خيبر أحد الإمتحانات السبع التي امتحنها الله بها في حياة النبي صلى الله عليه وآله، فقال في جواب أحد أحبار اليهود، **كما في الخصال/٣٦٩**.

«وأما السادسة يا أخا اليهود، فإنا وردنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة أصحابك خيبر على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح، وهم في أمنع دار وأكثر عدد، كل ينادي ويدعو ويبادر إلى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه حتى إذا احمرت الحدق، ودعيت إلى النزال وأهمت كل امرئ نفسه، والتفت بعض أصحابي إلى بعض وكل يقول: يا أبا الحسن إنهض، فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دارهم فلم يبرز إلي منهم أحد إلا قتلته، ولا ثبت لي فارس إلا طحنته، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته، حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدداً عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي، أقتل من يظهر فيها من رجالها، وأسبي من أجد من نسائها، حتى افتتحتها وحدي، ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده! ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين»!

أقول: يدل على أن رجالاً من فرسان قريش كانوا في خيبر لنصرة اليهود، فلا بد أن

تكون قريش بعثت بهم سراً، أو يكونون أفراداً لهم علاقات مع اليهود.

قال المفيد في الإرشاد: ١٢٧/١: «ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام مرحباً رجع من كان معه وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتى فتحه وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم حتى عبروا وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم فلما انصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين عليه السلام بيمناه، فدحا به أذرعاً من الأرض، وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً منهم»!

وأضاف العلامة في كشف اليقين/١٤١: «وقال عليه السلام: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة ربانية».

وفي إعلام الورى: ٢٠٧/١: «قال أبان: حدثني زرارة قال: قال الباقر عليه السلام: انتهى إلى باب الحصن وقد أغلق في وجهه فاجتذبه اجتذاباً وترس به، ثم حمله على ظهره واقتحم الحصن اقتحاماً. واقتحم المسلمون والباب على ظهره، قال: فوالله ما لقي علي عليه السلام من الناس تحت الباب أشد مما لقي من الباب ثم رمى بالباب رمياً».

وفي مناقب آل أبي طالب: ١٢٥/٢: «روى أحمد بن حنبل عن مشيخته عن جابر الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله دفع الراية إلى علي عليه السلام في يوم خيبر بعد أن دعا له فجعل يسرع السير وأصحابه يقولون له إرفق، حتى انتهى إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض، ثم اجتمع منا سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب».

قال الحميري: وألقى باب حصنهم بعيداً ولم يك يستقل بأربعينا

وفي مجمع الزوائد: ١٥١/٦، **عن علي عليه السلام قال:** «فانطلقت حتى أتيتهم، فإذا فيهم مرحب يرتجز، حتى التقينا فهزمه الله وانهزم أصحابه وتحصنوا، وأغلقوا الباب فأتيت الباب فلم أزل أعالجه حتى فتحه الله».

وقد روت عامة المصادر حديث عبدالله بن عمر، كما في أمالي الصدوق/٦٠٤، **وروضة الواعظين**/١٢٦، **قال:** «إن رسول الله دفع الراية يوم خيبر إلى رجل من

أصحابه فرجع منهزماً، فدفعها إلى آخر فرجع يجبن أصحابه ويجبنوه..فلما أصبح قال: أدعوا لي علياً... قال: لما دنا من القموص، أقبل أعداء الله من اليهود يرمونه بالنبل والحجارة، فحمل عليهم عليعليه السلام حتى دنا من الباب فثنى رجله، ثم نزل مغضباً إلى أصل عتبة الباب فاقتلعه ثم رمى به خلف ظهره أربعين ذراعاً.

قال ابن عمر: وما عجبنا من فتح الله خيبر على يدي علي، ولكنا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعاً، ولقد تكلف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه، فأخبر النبيصلى الله عليه وآله بذلك فقال: والذي نفسي بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكاً!

وروي أن أمير المؤمنينعليه السلام قال في رسالته إلى سهل بن حنيف: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية، ولا بحركة غذائية، لكني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضية، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء! والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت، ولو أمكنتني الفرصة من رقابها لما بغيت».

وقال ابن حجر المتعصب، في الإصابة: ٤٦٦/٤: «ومن خصائص علي قولهصلى الله عليه وآله يوم خيبر: لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه، فلما أصبح رسول اللهصلى الله عليه وآله غدوا كلهم يرجو أن يعطاها..

وروى في آخره قصة مرحب قال: «فضربه على هامته ضربة حتى عض السيف منه بيضة رأسه وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما قام آخر الناس حتى فتح الله لهم. وفي المسند لعبدالله بن أحمد بن حنبل من حديث جابر: أن النبيصلى الله عليه وآله لما دفع الراية لعلي يوم خيبر أسرع، فجعلوا يقولون له: إرفق! حتى انتهى إلى الحصن، فاجتذب بابه فألقاه على الأرض، ثم اجتمع عليه سبعون رجلاً حتى أعادوه..».

١٧- الباب الذي تترس به عليه السلام غير الباب الذي قلعه

قال المقريزي في الإمتاع: ٣١٠/١: «وزعم بعضهم أن حمل علي باب خيبر لا أصل له وإنما يروى عن رعاع الناس، وليس كذلك فقد أخرجه ابن إسحاق في سيرته عن أبي رافع، وأن سبعة لم يقلبوه، وأخرجه الحاكم من طرق منها عن أبي علي الحافظ، حدثنا

الهيثم بن خلف الدوري... عن جابر: أن علياً حمل الباب يوم خيبر وأنه جُرِّب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً»

وفي سيرة ابن هشام: ٧٩٨/٣: «عن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من يهود فطاح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترَّس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقلبه»! وتاريخ الطبري: ٣٠١/٢.

وفي أعيان الشيعة: ٤٠٥/١: «وهذا الباب غير باب الحصن، بل هو باب أصغر منه كان ملقى عند الحصن، أخذه علي فتترس به».

وقال اليعقوبي: ٥٦/٢: «فقتل مرحباً اليهودي واقتلع باب الحصن، وكان حجارة طوله أربعة أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع، فرمى به علي بن أبي طالب خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون».

وقد تفرد اليعقوبي في أن باب خيبر كان من حجر، والمعروف أنه من حديد، ولعل باب حصن ناعم من حجر، فقد قلعه علي عليه السلام أيضاً!

١٨- وكان أميرالمؤمنين عليه السلام قلع باب حصن ناعم أيضاً!

روت بعض مصادر السنة كالسيرة الحلبية والعيني في عون المعبود: ١٧٢/٨، أن أمير المؤمنين عليه السلام قلع أيضاً باب حصن ناعم، وهو أول حصن فتحه عليه السلام، ولم تذكر الرواية حجم الباب، ولا بد أنه كان أصغر من باب حصن القموص، وتقدم أنه عليه السلام قتل هناك ياسر أخ مرحب، ويفهم منها أن فتح الحصون كلها كان على يده عليه السلام، ولكن رواة السلطة تفننوا في إخفاء مناقبه ونسبتها إلى آخرين!

١٩- وتلقاه النبي صلى الله عليه وآله وبشره بنزول الوحي فيه!

في إعلام الورى: ٢٠٧/١: «وخرج البشير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن علياً دخل الحصن، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج علي عليه السلام يتلقاه، فقال صلى الله عليه وآله: قد بلغني نبؤك المشكور وصنيعك المذكور، قد رضي الله عنك ورضيت أنا عنك. فبكى علي عليه السلام فقال له: ما يبكيك يا علي؟ فقال: فرحاً بأن الله ورسوله صلى الله عليه وآله عني راضيان».

أقول: معناه أن النبي صلى الله عليه وآله جاء إلى حصن خيبر لأول مرة فخرج علي عليه السلام يتلقاه! وما إن أخبره برضا الله ورضاه عليه حتى بكى!

فاعجب لهذه الرقة الإنسانية والعبودية المرهفة لله تعالى، من شخص دوَّى صوت ضربته قبل ساعتين، وقدَّ خوذة بطل اليهود وهامته نصفين، ثم انقضَّ على الحصن كأنه كاسحة ألغام، فقلع بابه ورفعه وأردى أبطال اليهود وأخضع اليهود! وإذا به أمام رسول الله صلى الله عليه وآله يبكي بكاء الطفل، فرحاً برضا الله ورسوله عليه! هذا، ويبدو أن هذا المشهد تكرر من علي عليه السلام عندما نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله في مرات عديدة برضا الله تبارك وتعالى عليه ومديحه.

ففي أُحُد قال للنبي صلى الله عليه وآله «المناقب: ٣٨٥/١»: «أصابني ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهن فأتاني رجل حسن الوجه حسن اللمة طيب الريح فأخذ بضبعي فأقامني، ثم قال: أقبل عليهم فإنك في طاعة الله وطاعة رسول الله وهما عنك راضيان، فقال: يا علي أقر الله عينك، ذاك جبرئيل».

وعندما أرسله النبي صلى الله عليه وآله في مهمة إلى وادي الرمل «الإرشاد: ١١٦/١» وكانت مجموعة من فاتكي العرب جاؤوا ليقتلوا النبي صلى الله عليه وآله فأجاد وأحسن، فنزلت سورة العاديات، فقال النبي صلى الله عليه وآله لأصحابه: «هذا جبرئيل يخبرني أن علياً قادم، ثم خرج إلى الناس فأمرهم أن يستقبلوا علياً عليه السلام، وقام المسلمون له صفين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما بصر بالنبي ترجل عن فرسه وأهوى إلى قدميه يقبلهما، فقال له: إركب فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان. فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً».

٢٠- ثم فتح النبي ﷺ حصني السلالم والوطيح

في معجم البلدان: ٣٧٩/٥: «سمي بالوطيح بن مازن رجل من ثمود، وكان الوطيح أعظمها، وآخر حصون خيبر فتحاً هو والسلالم، وفي كتاب الأموال لأبي عبيد الوطيحة بالهاء».

وفي الصحيح من السيرة: ١٧٠/١٨: «قال ابن إسحاق: وتدنَّى رسول الله الأموال يأخذها مالاً مالاً ويفتحها حصناً حصناً، حتى انتهوا إلى ذينك الحصنين، أعني الوطيح وسلالم الذي هو حصن بني الحقيق وهو آخر حصون خيبر، وجعلوا لا يطلعون من حصنهم حتى همَّ رسول الله ﷺ أن ينصب عليهم المنجنيق لما رأى من تغليقهم وأنه لا يبرز منهم أحد. فلما أيقنوا بالهلكة وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوماً سألوا رسول الله الصلح، فأرسل كنانة بن أبي الحقيق إلى رسول الله رجلاً من اليهود يقال له شماخ، يقول: إنزل فأكلمك؟ فقال رسول الله: نعم، فنزل كنانة بن أبي الحقيق، فصالح رسول الله على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويُخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة، وعلى البز إلا ثوباً على ظهر إنسان.. ووجد في ذينك الحصنين مائة درع وأربع مائة سيف وألف رمح، وخمس مائة قوس عربية بجعابها. ووجدوا صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر ﷺ بدفعها إليهم. وبذلك يكون الوطيح وسلالم فيئاً لرسول الله ﷺ إذ لم يحصل قتال في هذين الحصنين». ونحوه تاريخ الطبري: ٣٠٢/٢ وتاريخ خليفة/٤٩.

٢١- أوسمة النبي ﷺ لعلي عليه السلام في خيبر

أ. روى الجميع قول النبي ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه. وهو حديث متواتر، وفي رواية: «ليس بفرار». وفي رواية الحاكم: «لأبعثن رجلاً

لايخزيه الله أبداً». وفي رواية الخصال: «ويحبه الله ورسوله، في ثناء كثير». وفي رواية سُليم: «ليس بجبان ولا فرار». وفي رواية شرح الأخبار: «يفتح خيبر عنوة». وفي رواية الإرشاد: «أرونيه تروني رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها بحقها ليس بفرار». وفي رواية مجمع الزوائد: «يقاتلهم حتى يفتح الله له». وفي سنن النسائي: ١١٢/٥: «يقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله». وكررها النبي صلى الله عليه وآله في الغد وقال اليوم.

ب. تقدم عن حذيفة رضي الله عنه قال: «لما تهيأ علي عليه السلام للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي والذي نفسي بيده إن معك من لايخذلك، هذا جبريل عن يمينك، بيده سيف لو ضرب الجبال لقطعها، فاستبشر بالرضوان والجنة. يا علي، إنك سيد العرب، وأنا سيد ولد آدم» !السيرة الحلبية: ٧٣٦/٢.

وقال في الصحيح من السيرة: ١٨/ ٣٦، ملخصاً: «ثم إنه صلى الله عليه وآله شرَّف علياً عليه السلام بوسام كان هو الأصعب على حاسديه ومناوئيه، الذين لم يكن يهمهم أن يقول فيه النبي صلى الله عليه وآله ما شاء مما يرتبط بالآخرة أو في عالم السماء والملائكة، بشرط أن لايؤثر على مشاريعهم الدنيوية التي يرون علياً عليه السلام هو المانع الأكبر من وصولهم إليها كهذا التصريح النبوي الذي يوجه المؤمنين أن لايرضوا بغيره قائداً وسيداً».

أقول: تعمد النبي صلى الله عليه وآله أن يعلن هذا الوسام لعلي عليه السلام في خيبر، وقد أعلنه قبلها وبعدها، كما روته مصادر الطرفين، ففي أمالي الطوسي/٦٠٨، قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام: «ثم إن الله تعالى اختارني من أهل بيتي، واختار علياً والحسن والحسين، واختارك. فأنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب، وأنت سيدة النساء، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ومن ذريتكما المهدي يملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت من قبله جوراً».

ورواه الحاكم: ١٢٤/٣، عن عائشة قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُدعوا لي سيد العرب، فقلت: يا رسول الله ألست سيد العرب؟ فقال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب». وابن أبي شيبة: ٤٧٤/٧، بغية الباحث/٢٨٣، أوسط الطبراني: ١٢٧/٢، الرازي في تفسيره: ٢١٢/٦، تاريخ بغداد: ٩٠/١١ » وفيه: إذا سرك أن تنظري إلى سيد العرب فانظري إلى علي.

ج. في المناقب للخوارزمي/١٢٩، بسنده عن عليعليه السلام قال: «قال لي رسول اللهصلى الله عليه وآله يوم فتحت خيبر: لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً، لا تمرُّ على ملأ من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك يستشفون به! ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، أنت تؤدي ديني وتقاتل على سنتي، وأنت في الآخرة أقرب الناس مني، وأنت غداً على الحوض خليفتي تذود عنه المنافقين، وأنت أول من يرد عليَّ الحوض، وأنت أول داخل الجنة من أمتي، وإن شيعتك على منابر من نور رواء مرويين، مبيضة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنة جيراني. وإن عدوك غداً ظماء مظمئين، مسودة وجوههم مقمحين. حربك حربي وسلمك سلمي، وسرك سري وعلانيتك علانيتي، وسريرة صدرك كسريرة صدري، وأنت باب علمي، وإن ولدك ولدي، ولحمك لحمي ودمك دمي، وإن الحق معك والحق على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي، وأن الله عزوجل أمرني أن أبشرك أنك وعترتك في الجنة، وأن عدوك في النار. يا علي، لا يرد علي الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محب لك، قال قال علي: فخررت له سبحانه وتعالى ساجداً وحمدته على ما أنعم به علي من الإسلام والقرآن، وحببني إلى خاتم النبيين وسيد المرسلينصلى الله عليه وآله». ومناقب محمد بن سليمان: ٢٤٩/١، شرح الأخبار: ٣٨١/٢، كنز الفوائد/٢٨١ وفي آخره في ثلاثتها: «فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا علي لولا أنت لم يعرف المؤمنون بعدي». والصحيح من السيرة: ٣٨/١٨. وروته مصادر السنة ولعله صحيح على مبانيهم، كالطبراني في الكبير: ٣٢٠/١ والزوائد: ١٣١/٩.

٢٢- أفٍّ وتُفّ لمن ينكر فضائل علي عليه السلام!

روينا وروى السنة هذا الموقف لابن عباس، كالنسائي في خصائص عليعليه السلام/٦٢، عن عمرو بن ميمونة قال: «إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا

ابـن عباس إمـا أن تقوم معنا وإما أن تخلو بنا بين هؤلاء. فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكـم. قال: وهـو يومئذ صحيح قبل أن يعمـى، قال: فابتـدؤوا فتحدثوا فلا ندري مـا قالوا، قال: فجاء وهو ينفض ثوبه وهـو يقول: أفٍّ وتُفّ، وقعوا في رجل له بضع عشر! وقعوا في رجل قال له رسول الله صلى الله عليه وآله لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله لا يخزيه الله أبداً، قال: فاستشرف لها من استشرف فقال: أين ابن أبي طالب؟ قيل: هو في الرحى يطحـن، قـال: وما كان أحدكم ليطحن، قال: فجاء وهـو أرمد لا يكاد يبصر فتفل في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فدفعها إليه..الخ. ثم ذكر ابن عباس عدة مناقب لعلي عليه السلام منها أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر ويدفعها اليه، لأنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه، وأن علياً أول من أسلم، ونزول آية التطهير فيه وفي زوجته وولديه عليهم السلام، ومبيتـه عـلى فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلـة الهجرة، وقولـه صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلـة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي..الخ». ورواه النسائي في سننه: ١١٣/٥، أحمد: ٣٣٠/١، الحاكم: ١٣٢/٣، السـنة لابـن أبي عاصـم/٥٨٨، تاريخ دمشـق: ١٠١/٤٢، نهايـة ابـن كثيـر: ٣٧٤/٧، الخوارزمي/١٢٥، فـرات/٣٤١، كشـف اليقـين/٢٧، ينابيـع المـودة: ١١٠/١، شـرح الأخبـار: ٢٩٩/٢، المراجعـات/١٩٥ وقال صححه الذهبي.

٢٣- قريش تفرح لساعات بخبر انتصار اليهود على النبي صلى الله عليه وآله

روى ذلـك ابن إسـحاق وتلقاه الحميع بالقبول، قال كما في سـيرة ابن هشـام: ٨٠٦/٣، عن الحجاج السلمي، وكان تاجراً ثرياً وهو والد نصر بن الحجاج المعروف بجماله، قال: «ولما فتحت خيبر كلم رسـول الله صلى الله عليه وآله الحجاج بن علاط السـلمي ثم البهزي فقال: يا رسول الله إن لي بمكة مالاً عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة وكانت عنده، له منها معرض بن الحجاج ومال متفرق في تجار أهل مكة فأذنْ لي يا رسول الله فأذن له، قال: إنه لابد لي يا رسول الله من أن أقول! قال: قل. قال الحجاج: فخرجت حتى إذا قدمت مكـة وجدت بثنيـة البيضاء رجالاً من قريش يتسـمعون الأخبار، ويسـألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ريفاً ومنعةً

ورجالاً، فهم يتحسسون الأخبار ويسألون الركبان فلما رأوني قالوا: الحجاج بن علاط - قال: ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر، أخبرنا فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر وهي بلد يهود وريف الحجاز، قال: قلت: قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم، قال: فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون: إيه يا حجاج! قال: قلت: هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسراً، وقالوا: لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم! قال: فقاموا وصاحوا بمكة، وقالوا: قد جاءكم الخبر، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم!

قال قلت: أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي، فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك... ثم ذكر أنه جمع ديونه، وهرب من مكة».

٢٤- كنوز آل أبي الحقيق

قال في الصحيح من السيرة: ٤٦/١٨، ملخصاً: «أخذ المسلمون في جملة غنائم خيبر حلي آل أبي الحقيق، وكانت أول الأمر في مسك حمل، فلما كثرت جعلوها في مسك ثور، ثم في مسك جمل عند الأكابر من آل أبي الحقيق، وكانوا يعيرونها العرب. السيرة الحلبية: ٤٢/٣. والمسك الجلد.

وكان رسول الله ﷺ صالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم وأهليهم وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة والسلاح، وشرطوا للنبي ﷺ أن لا يكتموه شيئاً فإن فعلوا فلا ذمة لهم. سنن البيهقي: ٢٢٩/٤.

وفي السيرة الحلبية: ٤٢/٣: أن جبرئيل عليه السلام أخبر النبي ﷺ بمكانه فأخذه. ووجدوا فيه أساور ودمالج وخلاخل وأقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرّد، وعقود أظفار مجزع بالذهب.

٢٥- زواج النبي صلى الله عليه وآله بصفية بنت حُيَيّ بن أخطب

في **إعلام الورى**: ٢٠٨/١: «وأخذ علي فيمن أخذ صفية بنت حيي، فدعا بلالاً فدفعها إليه وقال له: لاتضعها إلا في يدي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يرى فيها رأيه، فأخرجها بلال ومر بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله على القتلى وقد كادت تذهب روحها! فقال لبلال: أنزعت منك الرحمة يا بلال! ثم اصطفاها ثم أعتقها وتزوجها».

وفي **كتاب سُليم**/٤٠٩: «فأعتقها النبي صلى الله عليه وآله ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها».

وفي **سيرة ابن إسحاق**: ٢٤٦/٥: «كانت صفية رأت قبل ذلك أن قمراً وقع في حجرها فذكرت ذلك لأبيها فضرب وجهها ضربة أثرت فيه، وقال: إنك لتمدين عنقك أن تكوني عند ملك العرب! فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتي بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألها عنه فأخبرته خبره..لما تزوج رسول الله صفية ابنة حيي، دعا الناس على مأدبة وهي يومئذ بالحيس والتمر».

«قالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه. فلما ارتحل وطأ لها خلفه ومد الحجاب». صحيح بخاري: ٧٧/٥.

٢٦- ما أدري بأيها أنا أسَرّ: بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟

أبقى النبي صلى الله عليه وآله جعفر بن أبي طالب رضي الله في الحبشة خمس عشرة سنة، من الخامسة للبعثة إلى السابعة للهجرة، حتى أمره بالعودة بمن بقي من المهاجرين وكان عددهم ستة عشر، «ابن هشام: ٨١٨/٣» فوصلوا والنبي صلى الله عليه وآله في خيبر فقام النبي لجعفر ومشى اليه والتزمه وقبله بين عينيه، وقال كلمته المشهورة: «ما أدري بأيهما أنا أسر بقدوم جعفر أو بفتح خيبر» !الطبقات: ١٠٨/٢، ابن هشام: ٨١٨/٣، الخصال/٧٧، مقاتل الطالبيين/٦ والحدائق: ٤٩٨/١٠.

وهي كلمة بليغة تعني أن ما أنجزه جعفر رضي الله عنه من إزالة عقبة المسيحية الرومية من طريق الإسلام نعمة عظيمة، يوازي إزالة عقبة اليهود من طريق الإسلام بفتح خيبر على يد أخيه علي عليه السلام !

ففي الخصال/٤٨٤: «قام إليه واستقبله اثنتي عشرة خطوة وعانقه وقبّل ما بين عينيه وبكى، وقال: لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً: بقدومك يا جعفر، أم بفتح الله على أخيك خيبر؟! وبكى فرحاً برؤيته».

وفي تهذيب الأحكام: ١٨٦/٣، عن الإمام الصادقعليه السلام: «قال له: يا جعفر ألا أعطيك؟ ألا أمنحك؟ ألا أحبوك؟ قال فتشوف الناس ورأوا أنه يعطيه ذهباً أو فضة! قال: بلى يا رسول الله. قال: صل أربع ركعات متى ما صليتهن غفر لك ما بينهن، إن استطعت كل يوم وإلا فكل يومين أو كل جمعة أو كل شهر أو كل سنة، فإنه يغفر لك ما بينهما! قال: كيف أصليها؟ قال: تفتتح الصلاة، ثم تقرأ ثم تقول خمس عشرة مرة وأنت قائم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. فإذا ركعت قلت ذلك عشراً، وإذا رفعت رأسك فعشراً، وإذا سجدت فعشراً، فإذا رفعت رأسك فعشراً، وإذا سجدت الثانية عشراً، وإذا رفعت رأسك عشراً. فذلك خمس وسبعون، تكون ثلاثمائة في أربع ركعات فهن ألف ومئتان. وتقرأ في كل ركعة بقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون».

٢٧- أسلم أبو موسى الأشعري أيام فتح خيبر

صادف وصول سفينة فيها أبو موسى الأشعري من اليمن، مع وصول سفينة جعفر والمهاجرين، فحشر نفسه معهم وجعل نفسه من المهاجرين! قال إنه كان: «في ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً فوافقنا النبي صلى الله عليه وآله حين افتتح خيبر». صحيح بخاري: ٧٩/٥.

وأبو موسى الأشعري غير مرضي عند أهل البيت عليهم السلام فقد وصفوه بأنه: «سامري هذه الأمة»! «الخصال/٤٥٧». وشهد عمار بن ياسر بأنه كان من الملثمين الذين أرادوا اغتيال النبي صلى الله عليه وآله ليلة العقبة!

«عن أبي نجاء حكيم قال: كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك ألست أخاك؟ قال: ما أدري إلا أني سمعت رسول الله يلعنك ليلة

الجبل! قال: إنه قد استغفر لي! قال عمار: قد شهدت اللعن ولم أشهد الإستغفار»!
تاريخ دمشق: ٣٢/٩٣.

٢٨- أسلم أبوهريرة أيام فتح خيبر

جاء أبو هريرة مع وفد من قبيلته دوس إلى النبيﷺ وكان في خيبر فقصدوه اليها وأسلموا، ويقال جعل لهم سهماً من الغنيمة. وكان أبو هريرة في الثلاثينات من عمره، وكان فقيراً معدماً، فسكن في الصفة وهي ملحق بمسجد النبيﷺ يسكن فيه المساكين، ويتصدق عليهم المسلمون.

وهذه صورة لشخصية أبي هريرة من كتاب «شيخ المضيرة أبو هريرة الدوسي» للعالم الأزهري: محمود أبو ريّةرحمه الله:

أ. قال ابن سعد في طبقاته وهو يتكلم عن غزوة خيبر: وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة وقدم الطفيل بن عمرو، وقدم الأشعريون ورسول الله بخيبر، فلحقوه بها فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة من غير سهم المقاتلين ففعلوا. وكان عددهم أكثر من خمسين شخصاً.

ب. وبعد رجوعه من خيبر تنكب أبو هريرة طريق العمل للعيش الكريم، وسكن في صفة المسجد يتلقى ما تجود به نفوس المحسنين من صدقاتهم، شأن سكنة التكايا والخوانق، قال أبو هريرة كما رواه أحمد والشيخان: إني كنت امرأ مسكيناً أصحب رسول الله على ملء بطني!

لكنه زعم من ناحية أخرى أنه كان له مزود فيه بقية من تمر فمسها النبيﷺ بيده الكريمة وقال له: كل من هذا المزود ما شئت في أي وقت، وكان المزود معلقاً في حقوه فظل يأكل منه حياة النبي وحياة أبي بكر وحياة عمر وحياة عثمان إلى أن أغارت جيوش الشام على المدينة بعد قتل عثمان فانتهبته. وقد حسب أبو هريرة ما أكله من مزوده في هذه الفترة فوجده مئتي وسق!

وقال أبو هريرة مرة لعائشة كما روى البخاري وابن سعد وابن كثير وغيرهم: شغلك

عن رسول الله المرآة والمكحلة! فقالت له: إنما أنت الذي شغلك بطنك، وألهاك نهمك عن رسول الله، حتى كنت تعدو وراء الناس في الطرقات تلتمس منهم أن يطعموك من جوعك، فينفرون منك ويهربون، ثم ينتهي بك الأمر إلى أن تصرع مغشياً عليك من الجوع أمام حجرتي، فيحسب الناس أنك مجنون فيطأون عنقك بأرجلهم.

ج. وكان أبو هريرة نهماً للطعام وجباناً، وقد جاءت الرواية الصحيحة أنه لما نشب القتال في صفين بين علي وبين معاوية، كان يأكل على مائدة معاوية الفاخرة، ويصلي وراء علي، وإذا احتدم القتال لزم الجبل! وكان يلقب «بشيخ المضيرة» وهو صنف من الطعام كان مشهوراً بين أطعمة معاوية الفاخرة. قال الزمخشري في ربيع الأبرار: وكان أبو هريرة يعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، وإذا حضرت الصلاة صلى خلف علي، فإذا قيل له في ذلك قال: مضيرة معاوية أدسم، والصلاة خلف على أفضل، وكان يقال له: شيخ المضيرة.

وعقد بديع الزمان الهمذاني مقامة خاصة بين مقاماته سماها «المقامة المضيرية» غمز فيها أبا هريرة غمزة أليمة فقال: «وحضرنا معه دعوة بعض التجار، فقدمت إلينا مضيرة، تثنى على الحضارة، وتترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية بالإمامة»! والمضيرة تعرف في بلاد الشام باللبنية.

د. وقد عاش أبو هريرة في صُفَّة مسجد النبي ﷺ سنة وتسعة أشهر، ثم بعث النبي العلاء بن الحضرمي إلى البحرين وبعث معه نفراً منهم أبو هريرة، فبقي في البحرين، ثم ولى عمر على البحرين قدامة بن مظعون ثم عزله في سنة ٢٠، وولى أبا هريرة مكانه، ثم بلغه عنه خيانة لأمانته فعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي وحاسبه فقال له: أسرقت مال الله؟ فقال لا. قال: فما جئت لنفسك؟ قال: عشرين ألفاً. قال: من أين أصبتها؟ قال كنت أتجر. قال: انظر رأس مالك ورزقك فخذه، ثم أمر عمر بأن يقبض منه عشرة آلاف، ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه، وقال له: يا عدو الله وعدو المسلمين!

هـ. وما كاد أبو هريرة يرجع إلى المدينة معزولاً عن ولايته بالبحرين حتى تلقفه الحبر الأكبر كعب الأحبار اليهودي، وأخذ يلقنه من إسرائيلياته، ويدس له من خرافاته، وكان المسلمون يرجعون إليه، فسال سيل روايتهما!

وقد أثبت علماء الحديث أمر أخذ أبي هريرة وغيره عن كعب الأحبار وذلك في باب «رواية الأكابر عن الأصاغر أو الصحابة عن التابعين».

ومما يدلك على أن هذا الكاهن الداهية، قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلامه بالنص ويجعله حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ!

و. أبو هريرة يدلس: كانت طريقة أبي هريرة في روايته للحديث أن يرفع كل ما يرويه إلى النبي، سواء أكان قد سمعه منه مشافهة، أم أخذه من غيره من الصحابة، أو من التابعين عنعنة، وكان لا يميز بين هذا وذاك عند الرواية، ولا يذكر اسم من أخذ عنه من غير النبي، وهذا يعد عند المحدثين تدليساً، ويكون ما يرويه من هذا الباب في حكم «المرسل» وقد أثبت العلماء أن أبا هريرة كان مدلساً لأن أكثر ما رواه بل غالبه لم يأخذه «سماعاً» من النبي، بسبب تأخر إسلامه وإنما رواه عنعنة عن غيره من الصحابة أو التابعين.

قال يزيد بن إبراهيم: سمعت شعبة يقول: كان أبو هريرة يدلس. وعلق الذهبي على هذا الخبر بقوله: تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه! وقال الحاكم: قوم يدلسون الحديث.. وأبو هريرة ولا ريب من هذا الجنس، لأنه كان يروي عن غيره من الصحابة، دون أن يذكر اسم من روى عنه، ثم يرفعه إلى النبي!

ز. وقد ثبت أن عمر وعلياً وعثمان وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة، قد كذبوه في وجهه، وبلغ من أمر عمر معه أن نهاه عن الرواية ثم ضربه عليها، وبعد ذلك أنذره إذا هو روى أن ينفيه إلى بلاده! وكان علي رضي الله عنه سيء الرأي فيه، فقد قال: ألا إن أكذب الناس أو قال: أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ لأبو هريرة الدوسي! وقال مرة: لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله ﷺ!

ح. ويضرب المثل للكذب بكيس أبي هريرة أو جرابه! وقد جعل معاوية أبا هريرة والياً

على المدينة، وأمره أن يضع أحاديث على علي!

قال أبو جعفر الإسكافي: إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه! منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.. إلخ.

ط. توفي أبو هريرة سنة ٥٩، عن ثمانين سنة بقصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة وصلى عليه أمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

وقال الشيخ محمود أبو رية ﷺ: «قد سقنا تاريخ أبي هريرة مكشوفاً بعد أن نزعنا عنه ثوب «الراوية» الملفق الذي يظهره في غير صورته وأظهرنا شخصيته على حقيقتها، من يوم أن كان يرعى الغنم في بلاده، ثم يخدم ابن عفان وابنة غزوان بطعامه، وكان يومئذ حافي القدمين لا يستر جسمه إلا إزار بال لا يبلغ نصف الساقين، كان يجمعه كراهية أن ترى عورته، إلى أن أصبح من ذوي الثراء العريض، يتأثل الأراضي الواسعة بالعقيق وبذي الحليفة، ويبتني قصراً منيفا بالعقيق، ويلبس الخز والكتان الممشق، والساج المزرور بالديباج، وغير ذلك مما لم يكن يحلم به أو يخطر بباله. ففي مرآته الصافية حقيقة مروياته الكثيرة المنبثة في كتب السنة كلها، والتي تحمل غرائب وأساطير وخرافات وأوهاما، وتعزى كلها وا أسفاً إلى النبي ﷺ وتنشر بين المسلمين على أنها من حقائق الدين الإسلامي! تفتح أبواب الطعن على ديننا من أعدائه بأنه دين خرافات وأوهام يعادي العقل، ويصادم المنطق!

فالأحرى بنا أن ندرأ عن أنفسنا وديننا هذه التهم ولا يأخذنا في ذلك أي اعتبار!

على أن أبا هريرة قد دفن بالعقيق بالمدينة فإنك تجد له ضريحاً عالياً فيه قبة مكسوة بالجوخ، تعلوها عمامة كبيرة خضراء وهذه القبة داخل مسجد يسمى باسمه، ويقع هذا المسجد في شارع يشق مدينة الجيزة «بالديار المصرية» من شرقها إلى غربها يسمى «شارع سيدي أبي هريرة»!

وقد رأينا هذا الضريح في يوم السبت الموافق ٢٣ يونيه سنة ١٩٦٢ وليس بعجيب

أن يكـون لأبي هريرة قبر في الجيزة غير قبره الذي بالمدينة، فإن له من شـيخه الكبير كعب الأحبار أسـوة! فهذا اليهودي كما هو معلوم مدفون بمدينة حمص بالشـام، ولكن له قبرا آخر فوقه قبة كبيرة تقع بأحد المسـاجد الكبيرة بحي الناصرية المشـهور بالقاهرة. ويعمل لأبي هريرة مولد كل عام!

ومن العجيب أن وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية المتحدة تنفق على قبري أبي هريرة وشيخه من مال المسلمين، على عين جميع رجال الدين»!



الفصل التاسع والخمسون

من غزوة خيبر إلى غزوة مؤتة

١- فدك خالصةً للنبي صلى الله عليه وآله

في إعلام الورى: ٢٠٨/١: «فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر، عقد لواءً ثم قال: من يقوم إليه فيأخذه بحقه؟ وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك، فقام الزبير إليه فقال: أنا، فقال له: أمِطْ عنه«إبعد»! ثم قام إليه سعد فقال: أمِطْ عنه!

ثم قال: يا علي قم إليه فخذه، فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن تحقن دماءهم، فكانت حوائط فدك لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصاً خالصاً، فنزل جبرئيل فقال: إن الله عز وجل يأمرك تؤتي ذا القربى حقه. فقال: يا جبرئيل ومن قرباي وما حقها؟ قال: فاطمة، فأعطها حوائط فدك، وما لله ولرسوله فيها. فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام وكتب لها كتاباً جاءت به بعد موت أبيها إلى أبي بكر وقالت: هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولابنيَّ».

٢- فدك رمزٌ لظلامة الإمامة

في الكافي: ٥٤٣/١: «عن علي بن أسباط قال: لما ورد أبو الحسن موسى عليه السلام على المهدي رآه يرد المظالم فقال: يا أمير المؤمنين ما بال مظلمتنا لاترد؟ فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إن الله تبارك وتعالى لما فتح على نبيه صلى الله عليه وآله فدك وما والاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله: وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، فلم يدر رسول الله صلى الله عليه وآله من هم، فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل ربه فأوحى الله إليه: أن ادفع فدك إلى فاطمة، فدعاها

رسول الله ﷺ فقال لها: يا فاطمة إن الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها حياة رسول الله ﷺ فلما ولي أبو بكر أخرج عنها وكلاءها فأتته فسألته أن يردها عليها فقال لها: إئتيني بأسود أو أحمر يشهد لك بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام وأم أيمن فشهدا لها فكتب لها بترك التعرض، فخرجت والكتاب معها، فلقيها عمر فقال: ما هذا معك يا بنت محمد؟ قالت كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه فأبت فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب؟ فضعي الحبال في رقابنا! فقال له المهدي: يا أبا الحسن حدها لي، فقال: حد منها جبل أحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل، فقال له كل هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين هذا كله، إن هذا كله مما لم يوجف على أهله رسول الله بخيل ولا ركاب! فقال كثير وأنظر فيه».

أقول: يقصد الإمام عليه السلام الخلافة، وأن كل الدولة الإسلامية فدك!

وفي دعائم الإسلام: ٣٨٥/١: «وروينا عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنه قال: إن فدكاً كانت مما أفاء الله على رسوله بغير قتال، فلما أنزل الله: وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، أعطى رسول الله فاطمة فدكاً. فلما قبض أخذها منها أبو بكر، فلما ولي عثمان أقطعها مروان، فلما ولي مروان جعل الثلثين منها لابنه عبدالملك، والثلث لابنه سليمان، فلما ولي عبدالملك جعل ثلثيه لعبدالعزيز وبقي الثلث لسليمان، فلما ولى سليمان جعل ثلثه لعمر بن عبدالعزيز، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز ردها كلها على ولد فاطمة عليها السلام، فاجتمع إليه بنو أمية وقالوا: يرى الناس أنك أنكرت فعل أبي بكر وعمر وعثمان والخلفاء من آبائك، فردها، وكان يجمع غلتها في كل سنة ويزيد عليها مثلها ويقسمها في ولد فاطمة عليها السلام وكان الأمر فيها كما قال أبو عبدالله أيام عمر بن عبدالعزيز. ثم استأثر بها آل العباس من بعده، إلى أن ولي المتسمي بالمأمون فجمع فقهاء البلدان من العامة وغيرهم وتناظروا فيها، فثبت أمرهم بإجماع أنها لفاطمة صلوات الله عليها، وشهدوا بأجمعهم على ظلم من انتزعها منها، فردها في ولد فاطمة، وذلك من الأمر المشهور المعروف».

أقول: قام أبو بكر وعمر بمصادرة فدك، وأخرجوا منها وكيل فاطمة عليها السلام بعد أن كانت بيدها من فتح خيبر، فاحتجت عليهم وأرتهم كتاب النبي صلى الله عليه وآله، وأتت بالشهود وخطبت في المسجد، وأعلنت موقفها من السلطة. ومن ذلك اليوم صارت قضية فدك شعاراً للمطالبة بالخلافة، وقد استوفى علماؤنا بحثها وصنفوا فيها كتباً. راجع الإنتصار: ٧ والصحيح من السيرة: ٢١٩/١٨.

٣- غيروا إسم فدك وسموها «الحائط»!

كأنهم أرادوا بذلك إخفاء ظلامة الزهراء عليها السلام! وجاء في موقعها الرسمي:

http: //www.alhaitcity.com/vb/showthread.php?t=4964

«تقع مدينة الحائط المعروفة بفدك قديماً، في الطرف الشرقي لحرة فدك الواقعه شرقي حرة خيبر، وهي قديماً تعتبر قرية حجازية، وتقع شمالي المدينة المنورة، وهي تتبع إدارياً لمنطقة حائل في الوقت الحاضر، وهي في الطرف الجنوبي الغربي منها وتبلغ المسافة بين حائل ومدينة الحائط «٢٥٠ كم» وعن المدينة المنورة بحوالي «٣٠٠ كم» تقريباً، وبذلك تتوسط المسافة بين حائل والمدينة المنورة. والحائط قاعدة القرى المجاورة لها منذ القدم، وتقع مدينة الحائط على خط طول ٢٩/ ٤٠ وعلى خط العرض ٠٠/ ٢٦ وترتفع عن سطح البحر بما يقارب ١٣٠٠ متراً.

ومدينة الحائط التي يشملها إسم فدك تبلغ مساحتها ٦٥٠٠٠ كيلو متر مربع وحدود الحائط التابعة لها للخدمات تبلغ نفس المساحة السابقة، وذلك من جبل الخطام وجبل الأبيض غرباً، إلى جبل العلم شرقاً، وشمالاً من جبل الفرس وجبل وَسْمه إلى حدود منطقة المدينة المنورة جنوباً. ويتبعها أكثر من ١٢٠ قرية وهجرة ويبلغ عدد سكان مدينة الحائط «١٨٠٠٠» نسمة تقريباً.

وفي معجم البلدان: ٢٣٨/٤: «فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله في سنة سبع صلحاً، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبق إلا ثلاث واشتد بهم الحصار، راسلوا

رسول الله ﷺ يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وفعل، وبلغ ذلك أهل فدك فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن يصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم فأجابهم إلى ذلك، فهي مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، فكانت خالصة لرسول الله ﷺ.

وفيها عين فوارة ونخيل كثيرة، وهي التي قالت فاطمة رضي الله عنها: إن رسول الله ﷺ نحلنيها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أريد لذلك شهوداً.. ولها قصة. ثم أدى اجتهاد عمر بن الخطاب بعده لما ولي الخلافة وفتحت الفتوح واتسعت على المسلمين، أن يردها إلى ورثة رسول الله ﷺ فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والعباس بن عبدالمطلب يتنازعان فيها، فكان علي يقول: إن النبي ﷺ جعلها في حياته لفاطمة، وكان العباس يأبى ذلك ويقول: هي ملك لرسول الله ﷺ وأنا وارثه، فكانا يتخاصمان إلى عمر فيأبى أن يحكم بينهما ويقول: أنتما أعرف بشأنكما، أما أنا فقد سلمتها إليكما فاقتصدا، فما يؤتى واحد منكما من قلة معرفة، فلما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فدك إلى ولد فاطمة رضي الله عنها فكانت في أيديهم في أيام عمر بن عبدالعزيز، فلما ولي يزيد بن عبدالملك قبضها فلم تزل في أيدي بني أمية حتى ولي أبو العباس السفاح الخلافة فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فكان هو القيم عليها يفرقها في بني علي بن أبي طالب، فلما ولي المنصور وخرج عليه بنو الحسن قبضها عنهم، فلما ولي المهدي بن المنصور الخلافة أعادها عليهم، ثم قبضها موسى الهادي من بعده إلى أيام المأمون، فجاءه رسول بني علي بن أبي طالب فطالب بها فأمر أن يسجل لهم بها، فكتب السجل وقرئ على المأمون، فقام دعبل الشاعر وأنشد:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا برد مأمونِ هاشمٍ فدكا

وفي فدك اختلاف كثير في أمرها بعد النبي ﷺ وأبي بكر وآل رسول الله ﷺ ومن رواة خبرها من رواه بحسب الأهواء وشدة المراء..».

٤- فتح النبي ﷺ وادي القرى

قال في الصحيح من السيرة: ٩/١٩، ملخصاً: بعد فتح خيبر انصرف رسول الله ﷺ إلى وادي القرى فأتى الصهباء وسلك على برمة، حتى انتهى إلى وادي القرى يريد اليهود وقد التحق بهم ناس من العرب. ونزلها مع مغرب الشمس ودعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا من ذلك واستقبلوا المسلمين بالرمي، وهم يصيحون في آطامهم فأصاب سهم منهم رجلاً إسمه مدعم فقتله، وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفَّهم، وقاتلوا ففتحها رسول الله ﷺ عنوة، وغنَّمه الله أموال أهلها فخمَّس ذلك، وترك الأرض والنخل في أيدي يهود، وعاملهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر، وقسَّم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى، وترك الأرض والنخيل بأيدي يهود وعاملهم عليها. وأقام رسول الله ﷺ بوادي القرى أربعة أيام، قال البلاذري: وكان في وادي القرى بساتين لعلي عليه السلام أوقفها ففي وصيته عليه السلام: «ما كان لي بوادي القرى كله من مال لبني فاطمة عليها السلام ورقيقها، صدقة». الكافي: ٤٩/٧.

قال الحموي في معجصم البلدان: ٣٣٨/٤: «وادي القرى: واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة، وبها سمي وادي القرى، قال أبو المنذر: سمي وادي القرى لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة، وكانت من أعمال البلاد، وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة، إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد. قال أبو عبيدالله السكوني: وادي القرى والحِجْر والجَنَاب، منازل قضاعة ثم جهينة وعذرة ويَلِي، وهي بين الشام والمدينة يمر بها حاج الشام، وهي كانت قديماً منازل ثمود وعاد، وبها أهلكهم الله وآثارها إلى الآن باقية. ونزلها بعدهم اليهود واستخرجوا كظائمها وأساحوا عيونها وغرسوا نخلها.. وروي أن معاوية بن أبي سفيان مر بوادي القرى فتلا قوله تعالى: أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَا هُنَا آمِنِينَ. فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ.. الآيات، ثم قال: هذه الآية نزلت في أهل هذه البلدة وهي بلاد ثمود

فأين العيون؟فقال له رجل: صدق الله في قوله أتحب أن أستخرج العيون؟ قال: نعم، فاستخرج ثمانين عيناً، فقال معاوية: الله أصدق من معاوية»!

وقد غيروا إسمها اليوم وسموها«العلا»! ففي موقع شبكة عربيات:

http: //www.arabiyat.com/forums/showthread.php?t=61799

العلا: هي الإسم الحديث لوادي القرى الذي أوردته كتب التاريخ وتغنى به الشعراء، وهي من أقدم المدن. وهي بلد موسى بن نصير الذي أنشأ فيها قلعته المشهورة، وهي بلد جميل بثينة، وكانت تسمى قديماً بوادي القرى وديدان. ويسميها الباحثون عاصمة الآثار وبلد الحضارات. مر بها سيدنا محمدﷺ في غزوة تبوك وعاش بها سيدنا صالحعليه السلام، ومن آثارها محلب ناقة سيدنا صالح، وفيها مدائن صالح أو قرى صالح أو الحجر، وهي تسميات تطلق على مكان قوم ثمود والأنباط، حيث مقابرهم المنحوتة في الجبال بطريقة غاية في الجمال والغرابة، والتي تعرف عند أهل المنطقة بالقصور لروعة النحت وجماله.

٥- رواية أن النبي ﷺ نام عن صلاة الصبح

قال في الصحيح من السيرة: ١٥/١٩، ملخصاً: «روى مسلم وأبو داود أن النبيﷺ في عودته من وادي القرى وخيبر، كان قريباً من المدينة فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس!وكان بلال يحرسهم فقال له النبيﷺ: ما صنعت بنا يا بلال؟! قال: يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك! قال: صدقت، ثم اقتاد رسول اللهﷺ بعيره غير كثير ثم أناخ وأناخ الناس فتوضؤوا وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فلما فرغ قال: إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها، فإن الله عز وجل يقول: وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي».

ورد ذلك بوجوه: منها، أن من غير المقبول أن ينام ألف وخمس مئة شخص ويحرسهم شخص واحد هو بلال، ثم لايستيقظ منهم أحد!

ثم إن النبيﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، فكيف ينام عن صلاة الصبح؟!

هذا، وقد بحث العلماء قديماً وحديثاً إمكان إنامة الله تعالى لنبيه ﷺ أو إسهائه أو عدم قدرة الله على ذلك والعياذ بالله، ووقوع ذلك أو عدم وقوعه.

والذي نفاه الصدوق ﷺ هو نفي بعضهم لقدرة الله على ذلك، وهو أجنبي عن وقوعه وعدمه، ولا يتسع المجال للتفصيل.

٦- نظر إلى أحُد وقال: هذا جبل يحبنا

في المجازات النبوية للشريف الرضي/١٥: «من ذلك قوله ﷺ وقد نظر إلى أحُد منصرفه من غزاة خيبر: هذا جبل يحبنا ونحبه. وهذا القول محمول على المجاز، لأن الجبل على الحقيقة لا يصح أن يحب». وصحيح بخاري: ٢٢٣/٣.

وقال في لسان العرب: ٢٩٠/١: «قال ابن الأثير: هذا محمول على المجاز، أراد أنه جبل يحبنا أهله ونحب أهله وهم الأنصار، ويجوز أن يكون من باب المجاز الصريح، أي إننا نحب الجبل بعينه، لأنه في أرض من نحب».

أقول: من يتأمل في قوله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا. «الإسراء: ٤٤» يطمئن بأن لكل شيء حتى المادة حياة ونفساً وروحاً وشخصية بحسبه، وعليه يمكن حمل كلامه ﷺ على ظاهره، وأن من المادة محب ومبغض ومؤمن وكافر. ولا مجال للتفصيل.

٧- قضى الله بزوال دولة فارس فَقَتَلَ ابنُ كسرى أباه!

عندما بُعث النبي ﷺ كان كسرى في أوج قوته، وقد انتصر على قيصر في سوريا لكن الله تعالى أخبر بأنه سينهزم أمام الروم بعد بضع سنين، فقال عز وجل: «الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأرض وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأمر مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ. بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ. الروم: ١-٧.

وفي السنة السادسة للهجرة بعث النبي ﷺ رسالة إلى كسرى، نصها: «بسم الله

الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس».

مكاتيب الرسول للأحمدي: ٣١٦/٢.

«فلما وصل إليه الكتاب مزقه واستخف به وقال: من هذا الذي يدعوني إلى دينه ويبدأ باسمه قبل اسمي! وبعث إليه بتراب! فقال ﷺ: مزق الله ملكه كما مزق كتابي، أما إنه ستمزقون ملكه! وبعث إلي بتراب أما إنكم ستملكون أرضه! فكان كما قال ﷺ..إن كسرى كتب في الوقت إلى عامله باليمن باذان ويكنى أبا مهران، أن احمل إليَّ هذا الذي يذكر أنه نبي، وبدأ بإسمه قبل إسمي ودعاني إلى غير ديني! فبعث إليه فيروز الديلمي في جماعة مع كتاب يذكر فيه ما كتب به كسرى، فأتاه فيروز بمن معه فقال له: إن كسرى أمرني أن أحملك إليه! فاستنظره ليلة فلما كان من الغد حضر فيروز مستحثاً فقال النبي ﷺ: أخبرني ربي أنه قتل ربك البارحة! سلط الله عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل، فأمسكْ حتى يأتيك الخبر! فراع ذلك فيروز وهاله وعاد إلى باذان فأخبره فقال له باذان: كيف وجدت نفسك حين دخلت عليه؟ فقال: والله ما هبت أحداً كهيبة هذا الرجل! فوصل الخبر بقتله في تلك الليلة من تلك الساعة فأسلما جميعاً». المناقب: ٧٠/١.

وفي مكاتيب الرسول للأحمدي: ٣٢٩/٢: «فبعث باذان بكتاب كسرى إلى النبي ﷺ مع قهرمانه، وبعث معه رجلاً آخر من الفرس، وكتب معهما إلى رسول الله يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، فلما قدما عليه المدينة قالا له: شاهنشاه «ملك الملوك» كسرى بعث إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتي بك، وقد بعثنا إليك لتنطلق معنا، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به! وإن أبيت فهو من قد علمت فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك! وكانا دخلا على رسول الله على زي الفرس، وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال:

ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا: أمرنا ربنا يعنيان كسرى! فقال رسول الله ﷺ: لكن أمرني ربي بإعفاء لحيتي وقص شاربي، ثم قال لهما: إرجعا حتى تأتياني غداً. وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا وكذا، لكذا وكذا في ليلة كذا، فلما أتاه الرسولان قال: إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات، سلط عليه شيرويه فقتله! وهي ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع، كذا في الطبقات. وقال أبو نعيم: فلما قرأ النبي كتاب صاحبهم تركهم خمس عشرة ليلة لايكلمهم ولاينظر إليهم إلا إعراضاً، فلما مضت خمس عشرة ليلة تقدموا إليه، فقالا: هل تدري ما تقول، إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا فنكتب بها عنك فنخبر الملك أي باذان؟ قال: نعم أخبرا ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ إلى منتهى الخف والحافر وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك. وأعطى رسول الله ﷺ خرخسرو منطقة فيها ذهب وفضة وكان أهداها له بعض الملوك، وكانت حمير تسمي خرخسرة صاحب المعجزة، والمعجزة المنطقة بلغة حمير.

فخرج الرسولان وقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال: والله ما هذا كلام ملك وإني لأراه نبياً، ولننظرن فإن كان ما قال حقاً فإنه لنبي مرسل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا، فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبر بقتل كسرى: أما بعد فقد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس فإنه قتل أشرافهم فتفرق الناس، فإذا جاءك كتابي فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه!

فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وأسلم معه أبناء فارس الذين كانوا باليمن، فبعث باذان بإسلامه وإسلامهم إلى رسول الله ﷺ...

ولما سمعت قريش بأمر كسرى واستخفافه بكتاب رسول الله ﷺ وكتابه إلى باذان ليبعثه إلى كسرى أو يقتله، فرحوا واستبشروا وقالوا فقد نصب له كسرى

ملك الملوك، كفيتم الرجل... ولكن لما سمعوا برجوع الرسولين وقتل كسرى، وإسلام باذان وأبناء فارس معه، صار رجاؤهم خيبة وقنوطاً»!

وروى في الخرائج: ٧٨/١، رؤيا ملك بابل بختنصر التي سأل عنها نبي الله دانيال عليه السلام فأخبره وبتفسيرها وأن ملكه سيزول وبعده ملك الفرس، قال: «فتأويل الرؤيا مبعث محمد صلى الله عليه وآله تمزقت الجنود لنبوته، ولم تنتقض مملكة فارس لأحد قبله، وكان ملكها أعز ملوك الأرض وأشدها شوكة، وكان أول ما بدأ فيه انتقاص قتل شيرويه بن أبرويز أباه، ثم ظهر الطاعون في مملكته وهلك فيه، ثم هلك ابنه أردشير، ثم ملك رجل لم يكن من أهل بيت الملك فقتلته بوران بنت كسرى، ثم ملك بعده رجل يقال له كسرى بن قباد ولد بأرض الترك ثم ملكت بوران بنت كسرى، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله تمليكها فقال: لن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة، ثم ملكت ابنة أخرى لكسرى فسُمَّت وماتت، ثم ملك رجل ثم قتل!

فلما رأى أهل فارس ما هم فيه من الإنتشار أمر «كَبُرُ» ابن لكسرى يقال له: يزدجرد فملكوه عليهم فأقام بالمدائن على الإنتشار «تفرق المملكة» ثماني سنين، وبعث إلى الصين بأمواله، وخلف أخا بالمدائن لرستم فأتى لقتال المسلمين ونزل بالقادسية وقتل بها، فبلغ ذلك يزدجرد فهرب إلى سجستان، فقتل هناك»!

٨- هدايا المقوقس ملك مصر إلى النبي صلى الله عليه وآله

قال الأحمدي في مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله: ٤١٦/٢: «كتابه صلى الله عليه وآله إلى المقوقس: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبدالله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط و: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ».

قال المقوقس: إني نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة

النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى، وسأنظر. ثم أخذ الكتاب وجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته.

وأرسل المقوقس يوماً إلى حاطب فقال: «أسألك عن ثلاث. فقال: لاتسألني عن شيء إلا صدقتك، قال: إلى ما يدعو محمد؟ قلت: إلى أن نعبدالله وحده، ويأمر بالصلاة خمس صلوات في اليوم والليلة، ويأمر بصيام رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدم.. إلى أن قال: فوصفته فأوجزت، قال: قد بقيت أشياء لم تذكرها: في عينيه حمرة قلما تفارقه، وبين كتفيه خاتم النبوة، يركب الحمار، ويلبس الشملة، ويجتزي بالتمرات والكسر، ولا يبالي من لاقى من عم أو ابن عم. ثم قال المقوقس: هذه صفته، وكنت أعلم أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أن مخرجه بالشام وهناك تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس، والقبط لاتطاوعني في اتِّباعه، وأنا أَضِنُّ بملكي أن أفارقه، وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا! وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفاً واحداً، ولا أحب أن تعلم بمحادثتي إياك! ثم دعا كاتبه الذي يكتب له بالعربية فكتب إلى النبيﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط: سلام عليك أما بعد، فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك». ثم عدد الأحدي هدية المقوقس للنبيﷺ وهي: أربع جوارٍ: مارية أم إبراهيم بن رسول اللهﷺ، وسيرين أخت مارية، وقيسر أخت مارية أيضاً، وجارية أخرى سوداء اسمها بريرة. وغلاماً خصياً أسود إسمه مابور. وبغلة شهباء وهي دلدل، وحماراً أشهب يقال له يعفور. وقيل وألف دينار وعشرين ثوباً، وألف مثقال ذهباً. وفرساً وهو اللزاز، وأهدى إليه عسلاً من عسل نبها من قرى مصر، ومكحلة ومربعة توضع فيها، وقارورة

دهن، ومقصاً ومسواكاً ومشطاً ومرآة. وقيل عمائم وقباطي وطيباً وعوداً ومسكاً، مع ألف مثقال من ذهب، مع قدح من قوارير، وخفين ساذجين أسودين، وطبيباً يداوي مرضى المسلمين. «فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إرجع إلى أهلك فإنا قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لانشبع. وقال حاطب: كان المقوقس لي مكرماً في الضيافة وقلة اللبث ببابه، وما أقمت عنده إلا خمسة أيام، ودفع له مائة دينار وخمسة أثواب... فلما قدم حاطب المدينة وعرض الهدايا على رسول الله صلى الله عليه وآله قبلها، ونقل له كلام المقوقس وناوله الكتاب قال: ضن الخبيث بملكه ولا بقاء للملكه. ومن ثم ذكر بعضهم أن هرقل لما علم ميل المقوقس إلى الإسلام عزله». راجع المناقب: ١/١٣٩، ١٤٦، ١٤٨، ٢/٦٥، ابن هشام: ١/ ٣ و١٢٣، الشفا: ١/١١٥ ومستدرك سفينة البحار: ١/٣٨٠، ٣/٣٣٦ و٥/٢٠٨.

أقول: قد يكون النبي صلى الله عليه وآله رد الطبيب لأنه شك فيه نفسه، وليس في المقوقس. وقد يكون الطبيب يهودياً.

٩- وفاة النجاشي وصلاة النبي صلى الله عليه وآله عليه

في الكافي: ٢/١٢١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على التراب وعليه خِلْقَان الثياب! قال: فقال جعفر: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما بنا وتغير وجوهنا قال: الحمد لله الذي نصر محمداً وأقر عينه، ألا أبشركم؟ فقلت: بلى أيها الملك، فقال: إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وأهلك عدوه، وأسر فلاناً وفلاناً وفلاناً، التقوا بواد يقال له: بدر كثير الأراك لكأني أنظر إليه، حيث كنت أرعى لسيدي هناك، وهو رجل من بني ضمرة!

فقال له جعفر: أيها الملك فهالي أراك جالساً على التراب وعليك هذه الخلقان؟ فقال له: يا جعفر إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عندما يحدث لهم من نعمة! فلما أحدث الله عز وجل لي نعمة بمحمد صلى الله عليه وآله أحدثت لله هذا التواضع! فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: إن الصدقة

تزيد صاحبها كثرة فتصدقوا يرحمكم الله، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعه، فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً، فاعفوا يعزكم الله».

وفي مجمع البيان: ٤٨٠/٢، **في تفسير قوله تعالى**: «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لاَيَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً: اختلفوا في نزولها فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة وهو بالعربية عطية، وذلك أنه لما مات نعاه جبرائيل لرسول الله في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله ﷺ: أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم. قالوا: ومن؟ قال: النجاشي. فخرج رسول الله إلى البقيع، وكشف له من المدينة إلى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه! فقال المنافقون: أنظروا إلى هذا يصلي على علج نصراني حبشي لم يره قط، وليس على دينه».

وفي سيرة ابن هشام: ٢٢٨/١: «فلما مات النجاشي، صلى عليه واستغفر له».

وفي الخصال/٣٥٩، **عن علي عليه السلام قال**: «إن رسول الله ﷺ لما أتاه جبرئيل بنعي النجاشي بكى بكاء حزين عليه وقال: إن أخاكم أصحمة، وهو اسم النجاشي مات. ثم خرج إلى الجبانة وصلى عليه وكبر سبعاً، فخفض الله له كل مرتفع حتى رأى جنازته وهو بالحبشة». وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥٢/٢ وفي الخرائج ٦٤/١، **مختصراً**.

وفي المعتبر: ٣٥٢/٢: «يمكن أن يكون دعاءً له لا كصلاة الجنازة. قال زرارة قلت: فالنجاشي لم يصل عليه النبي ﷺ؟ فقال: لا، إنما دعا له. لو جازت الصلاة بعد دفنه لصلي على الأنبياء في قبورهم والصلحاء وإن تقادم العهد».

١٠- سرايا قبل سفر النبي ﷺ إلى عمرة القضاء

أرسل النبي ﷺ مجموعات صغيرة في عدة سرايا بعد عودته من خيبر وأم القرى قبل عمرة القضاء، وأكثرها سرايا عادية، وقد يكون بعضها مكذوباً!

فمنها، سرية عمر إلى تربة، قالوا بعثه في ثلاثة نفر إلى موضع يسمى تربة، لقتال أناس من هوازن، فهربوا.

ومنها: سرية أبي بكر إلى نجد، لأناس من هوازن، ولم يذكروا موضعها ولا

أسماء من قتل فيها، وقالوا أسر أبو بكر امرأة ولم يذكروا إسمها!

وذكروا سريتين إلى فدك لبشير بن سعد وغالب الليثي، وقالوا إنهم قتلوا وغنموا أموالاً وأنعاماً وأباعر كثيرة.

كما ذكروا بطولات لسلمة بن الأكوع وأنه قتل أهل سبعة أبيات ولم يسموهم!

وفي إعلام الورى: ٢١١/١: «وبعث غالب بن عبدالله الكلبي إلى أرض بني مرة فقتل وأسر. وبعث عيينة بن حصن البدري إلى أرض بني العنبر فقَتل وأسر».

هذا، وذكر بعضهم أن غزوة الكدر كانت بعد خيبر وقبل عمرة القضاء، «راجع الصحيح: ٨٩/١٩» «وذلك مستبعد، فقد ذكروا غزوة الكدر أو قرقرة الكدر في آخر السنة الثانية للهجرة، وتقدم أنها كانت سرية لزيد بن حارثة ولم يقع فيها حرب». **الطبقات**: ٣١/٢، **الطبري**: ٤٨٣/٢ **وأعيان الشيعة**: ٢٥١/١.

١١- هل شققت عن قلبه يا أسامة؟

وبعد فتح خيبر كانت السرية التي قتل فيها أسامة بن زيد رجلاً قال إني مؤمن، وقد وبخه النبي صلى الله عليه وآله. راجع: **الصحيح من السيرة**: ٤٣/١٩.

قال علي بن إبراهيم القمي: ١٤٨/١ في تفسير قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فإنها نزلت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة خيبر وبعث أسامة بن زيد في خيل إلى بعض قرى اليهود في ناحية فدك ليدعوهم إلى الإسلام، وكان رجل من اليهود يقال له مرداس بن نهيك الفدكي في بعض القرى، فلما أحس بخيل رسول الله جمع أهله وماله وصار في ناحية الجبل، فأقبل يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمر بأسامة بن زيد فطعنه فقتله! فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟! فقال: يا رسول الله إنما قال تعوذاً من القتل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فلا شققت الغطاء عن قبله، ولا ما قال بلسانه قبلت، ولا ما كان في نفسه علمت! فحلف بعد ذلك أنه لا يقتل أحداً شهد

أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسـول الله! فتخلف عـن أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه وأنزل الله في ذلك: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا.. الخ».

قال في جواهر الكلام: ٦٣٦/٤١: «بل يؤيده «درء الحدود بالشبهات» أن جمعاً من الصحابة منهم أسـامة بن زيد، وجدوا أعرابياً في غنيمات، فلما أرادوا قتله تشهد فقالوا: ما تشـهد إلا خوفاً من أسـيافنا، فقتلوه واسـتاقوا غنيماته فنزل: وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.. فغضب النبي صلى الله عليه وآله وقال لأسامة: هلا شققت قلبه؟! ولكن لم يقتص منهم».

١٢- عيينة بن حصن يواصل الغارة على المسلمين

تقـدم أن عيينة بن حصـن جاء بجمع من قبيلته فـزارة وغطفان لينصر اليهود في خيـبر، فبعـث اليه النبـي صلى الله عليه وآله إن الله وعده خيبر وطلب منه أن ينسـحب وله تمر خيبر سـنة، فأبى عيينة! وفي اليوم التالي وقعت عليهم الصيحة أن المسـلمين أغاروا على ديارهم! فانسحبوا من خيبر وتركوا اليهود! الصحيح: ١١٠/١٧.

وبعد فتح خيبر جاء عيينة إلى النبي صلى الله عليه وآله يطالب بتمر خيبر، ويدعي أنه انسحب من خيبر لمصلحة النبي صلى الله عليه وآله! فلم يعطه النبي صلى الله عليه وآله شيئاً.

وقـال الحـارث بن عـوف المري لعيينـة وكان حليفه: «أما آن لـك أن تبصر ما أنـت عليـه؟ إن محمـداً قد وطأ البـلاد وأنت توضـع في غير شـئ...أيها الرجل قـد رأيـت ورأينـا معك أمـراً بيِّناً في بنـي النضير ويـوم الخندق وقريظـة، وقبل ذلـك قينقـاع وفي خيبر، إنهم كانـوا أعز يهود الحجاز كله يقرون لهم بالشـجاعة والسـخاء، وهـم أهل حصون منيعـة وأهل نخل. والله إن كانـت العرب لتلجأ إليهم فيمتنعون بهم، لقد سارت حارثة بن الأوس حيث كان بينهم وبين قومهم مـا كان فامتنعوا بهم مـن الناس. ثم قد رأيت حيث نـزل بهم كيف ذهبت تلك النجـدة وكيـف أديـل عليهم. والله إن الذي سـمعت لمن السـماء! والله ليظهرن محمـد على من ناوأه، حتى لو ناوأته الجبـال لأدرك منها ما أراد! فقال عيينة: هو

والله ذاك ولكن نفسي لاتقرُّني! فقال الحارث: فادخل مع محمد! قال: أصير تابعاً؟! قد سبق قوم إليهم فهم يُزْرُونَ بمن جاء بعدهم يقولون: شهدنا بدراً وغيرها»!

أقول: لم يسلم عيينة مع يقينه بنبوة النبي صلى الله عليه وآله! وواصل محاولاته الغارة على المسلمين، فأغار عليهم في جمع من غطفان فبعث اليهم النبي صلى الله عليه وآله بشير بن سعد في ثلاث مائة، فساروا حتى أتوا يمن وجُبار قرب خيبر، فهرب جماعة عيينة فغنموا من إبلهم ونعمهم، ثم لقوا جمع عيينة فناوشوهم فهرب عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين، وجاؤوا بهما إلى النبي صلى الله عليه وآله فأسلما وأطلق سراحهما. راجع **الصحيح**: ٧٦/١٩.

النبي صلى الله عليه وآله يتوجه إلى عمرة القضاء

١ - أحرم النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون واتخذوا الحيطة لاحتمال أن تمنعهم قريش من زيارة البيت فيحتاجون إلى قتالها، فقد أنزل الله عليهم: وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاتَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ. وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. **البقرة**: ١٩٠-١٩١.

وفي زبدة البيان/٣٠٦: «تجهز النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا يفي لهم المشركون وأن يصدوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم، وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فأنزل الله الآية، أي قاتلوا الذين يقاتلونكم دون الذين لم يقاتلوكم..».

٢ - **في الكافي**: ٢٥١/٤، **عن الإمام الصادق** عليه السلام **قال**: «اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث عمر مفترقات: عمرةً في ذي القعدة أَهَلَّ من عسفان وهي عمرة الحديبية، وعمرةً أَهَلَّ من الجحفة وهي عمرة القضاء، وعمرةً أَهَلَّ من الجعرانة، بعدما رجع من الطائف من غزوة حنين».

وفي إعلام الورى: ٢١١/١: «اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله والذين شهدوا معه الحديبية، ولما بلغ قريشاً ذلك خرجوا متبددين، فدخل مكة وطاف بالبيت على بعيره بيده محجن يستلم به الحجر، وعبدالله بن رواحة آخذ بخطامه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله نضربكم ضرباً على تأويله
كما ضربناكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله
يا رب إني مؤمن بقيله

وأقام بمكة ثلاثة أيام، وتزوج بها ميمونة بنت الحارث الهلالية، ثم خرج فابتنى بها بسرف، ورجع إلى المدينة فأقام بها حتى دخلت سنة ثمان».

٣- وروى الجميع أن شخصيات مكة خرجوا منها، بينما اصطف الناس سماطين ينظرون إلى دخول رسول الله ﷺ والمسلمين، وقد حرص النبي ﷺ على أن يري قريشاً قوة المسلمين، فدخل راكباً على ناقته وعبدالله بن رواحة ينشد بين يديه النشيد المتقدم الذي فيه تحدٍّ لقريش، فأثار ذلك خوف عمر أو غيرته أن يتحدى أنصاريٌّ قريشاً في عقر دارها! قال أبو يعلى: ١٢١/٦: «فقال عمر: يا ابن رواحة تقول الشعر بين يدي رسول الله وفي حرم الله؟! قال فقال النبي ﷺ: مَهْ يا عمر، هذا أشد عليهم من وقع النبل»! والنسائي: ٢١١/٥، البيهقي في سننه: ٢٢٨/١٠، الترمذي: ٢١٧/٤، مبسوط السرخسي: ٣٩/١٠ وسيرالذهبي: ٢٣٥/١،

ورواه مجمع الزوائد: ١٤٦/٦، وقال: «وتغيب رجال من أشراف المشركين كراهية أن ينظروا إلى رسول الله غيظاً وحنقاً ونفاسةً وحسداً، وخرجوا إلى نواحي مكة».

والعجيب أن عمر الذي كان مصراً قبل سنة في الحديبية على قتال قريش، استنكر بسبب خوفه أو تعصبه لقريش أن يتحداهم المسلمون في دارهم! ولا ننس أن عمر من قبيلة عدي الصغيرة، وقد نشأ على احترام زعماء قريش وإكبارهم! ولكن النبي ﷺ يرى أن هؤلاء الفراعنة لا يفهمون إلا لغة السيف، وأن عمل عبدالله بن رواحة صحيح وقيمته عالية لأنه أشد على أعداء الله من وقع النبل!

وفي الحدائق الناضرة: ١٢٩/١٦: «عن عبدالله بن يحيى الكاهلي قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: طاف رسول الله ﷺ على ناقته العضباء وجعل يستلم الأركان

بمحجنه ويقبل المحجن». **والمحجن: عصا معقوفة، فكان ﷺ يمس الركن بها ويقبلها.**

٤- **وفي الكافي**: ٤٣٥/٤، **عن الإمام الصادق** عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة، فتشاغل رجل وترك السعي حتى انقضت الأيام وأعيدت الأصنام فجاؤوا إليه فقالوا: يا رسول الله إن فلاناً لم يسع بين الصفا والمروة وقد أعيدت الأصنام. فأنزل الله عز وجل: فَلاجُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا، أي وعليهما الأصنام».

٥- قال في الصحيح: ١٧٢/٩ بعنوان: **رعب قريش وحيرتها**، ملخصاً: «قدم رسول الله ﷺ الخيل أمامه حتى بلغت مر الظهران، فرأى ناس من قريش خيلاً كثيرة وسلاحاً وفيراً، فطاروا بالخبر إلى قريش، ففزعت من ذلك وتحيرت هل جاء النبي ﷺ ليعتمر أم ليغزوها، وهو لم يعرف بالغدر صغيراً ولا كبيراً!

وخرج كبراؤها من مكة حتى لا يروا النبي ﷺ يطوف بالبيت هو وأصحابه، حسداً وعداوة! وكانت شائعاتهم تلاحق المسلمين. وكان وجود قرشيين مع النبي يزيد في حسرة قريش وإحراجها أمام الناس الذين لهم فيهم أقرباء، فقالوا: إن المهاجرين أوهنتهم حمى يثرب! لذلك أمر النبي ﷺ بإظهار القوة ليبطل كيدهم وأطلق دعاءه فقال: رحم الله من أراهم من نفسه قوة» فأمرهم بالرمل في ثلاثة أشواط، وهو المشي السريع شبيه بالعرض العسكري فقالت قريش: «هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم، أما إنهم لينفرون نفر الظبي!

كما أمرهم النبي ﷺ أن يكشفوا أعضادهم اليمنى التي تقبض السيوف والرماح وهو يطوف على ناقته وعبدالله بن رواحة آخذ بزمامها وهو ينشد التحدي لهم! وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن كشف الأعضاد مخصوص بذلك الوقت، وليس له صفة شرعية دائمة في الحج».

زواج النبي ﷺ بميمونة بنت الحارث

في مجمع البيان: ٢١١/٩: «أقاموا بمكة ثلاثة أيام ثم رجعوا إلى المدينة.. بعث رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث العامرية فخطبها

عليه، فجعلت أمرها إلى العباس بن عبدالمطلب، وكان تحته أختها أم الفضل بنت الحرث، فزوجها العباس رسول الله».

وقال صاحب الصحيح: ٢٠٧/١٩ إنها آخر امرأة تزوجها النبي ﷺ.

وفي سيرة ابن هشام:٨٢٨/٣: «وأصدقها «أبو رافع» عن رسول الله أربع مئة درهم».

وقد تقدمت ترجمة ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها في الفصل الخامس والأربعين.

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص!

كان خالد بن الوليد إلى السنة السابعة قائد خيل المشركين في الحديبية، ثم كان في أواسط الثامنة مع المسلمين في غزوة تبوك، وسيأتي دوره فيها، ومعناه أنه أسلم بين الحديبية ومؤتة. لكنه ادعى أنه أسلم قبل خيبر وأنه شارك فيها!

فقد كذب خالد فقال: «غزوت مع رسول الله غزوة خيبر، فأسرع الناس في حظائر يهود فقال: يا خالد ناد في الناس أن الصلاة جامعة». وتبنى كذبته أصحاب المسانيد، فرواها أحمد:٨٩/٤، وأبو داود والنسائي وابن ماجة، نصب الراية: ٥٨/٦ وشكك فيه ابن عبدالبر، الإستيعاب:٤٢٧/٢ وقال ابن حزم وقال إنه موضوع، عمدة القاري: ٢٤٨/١٧.

وقال في مجمع الزوائد: ٣٥١/٩: «وعن محمد بن إسحاق قال: كان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة عند النجاشي فقدموا المدينة في صفر سنة ثمان من الهجرة. قلت: إسلامهم في يوم واحد معروف». وبه قال ابن أبي العزفي شرح الطحاوية/٢٥٩، ابن تيمية في فتاويه: ٣٩٧/٤، ابن عربي في أحكام القرآن: ٥٧٢/٢، ابن حجرفي تهذيب التهذيب: ١٠٧/٣ وابن كثيرفي النهاية: ٣٦٦/٥ و٢٠٨/٣.

وروت مصادرهم اعترافهما بأنهما رأيا ميزان القوة لمصلحة النبي ﷺ فأسلما! «مجمع الزوائد: ٣٥٠/٩» وستعرف أن أدوارهما في الإسلام مضخمة أو مكذوبة.

الفصل الستون

غزوة مؤتة وما بعدها إلى فتح مكة

١- موقع مؤتة والكرك والمزار

تقع مؤتة قرب مدينة الكرَك جنوبي عَمَّان عاصمة الأردن وتبعد عنها ١٢٠ كم وتبعد عن القدس نحو ٧٠ كم، وعن المدينة المنورة أكثر من ١١٠٠ كم. وتسمى المزار، لأن فيها قبر جعفر الطيار رضي الله عنه ورفاقه الشهداء.

في **معجم البلدان**: ٢٢٠/٥: «قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، بها قبر جعفر بن أبي طالب، بعث النبي ﷺ إليها جيشاً في سنة ثمان، وأمَّر عليهم زيد بن حارثة مولاه وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب الأمير، وإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة، فساروا حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة فالتقى الناس عندها، فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقاتل زيد حتى قتل، فأخذ الراية جعفر فقاتل حتى قتل، فأخذ الراية عبدالله بن رواحة فكانت تلك حاله، فاجتمع المسلمون إلى خالد بن الوليد فانحاز بهم حتى قدم المدينة، فجعل الصبيان يحثون عليهم التراب ويقولون: يا فُرَّار فررتم في سبيل الله! فقال النبي ﷺ: ليسوا بالفرار لكنهم الكُرَّار إن شاء الله». وقال حسان:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبدالله هم خير عصبة تواصوا وأسباب المنية تنظر».

٢- انحسر خطر الفُرس عن النبي ﷺ وتعاظم خطر الروم

في أواخر السنة السادسة للهجرة أرسل النبي ﷺ كتبه إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، فأهان كسرى مبعوث النبي ﷺ ومزق كتابه، وطلب من حاكم اليمن أن يرسله اليه! فأرسل حاكم اليمن وزيره إلى المدينة وأبلغ النبي ﷺ أمر كسرى، فقال له غداً الجواب، وفي الغد أخبره أن الله تعالى قتل كسرى في ليلة ١٣ جمادى الأولى لسبع للهجرة، فدهش الوزير ورجع!

ومعناه أن الله تعالى تولى إزالة نظام كسرى، حيث دخل الفرس بقتله في صراع داخلي، أدى إلى تمزق الدولة، وانتهى بفتح المسلمين لكل فارس.

أما هرقل فكتب له النبي ﷺ في السنة السادسة: «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، و: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. مكاتيب الرسول للأحمدي: ٢/٢٩٠و٣٩٧.

والأريسيون أهل الزراعة، مقابل البدو. «البكري: ١/٢١» فأجاب هرقل بدهائه على كتاب النبي ﷺ بجواب ليِّن، جاء فيه: «إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم: إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك! فقال رسول الله ﷺ: يبقى ملكهم ما بقي كتابي عندهم». اليعقوبي: ٢/٧٧.

أقول: هذه العبارة من إضافة الرواة، فلا علاقة لبقاء ملكهم بنسخة كتاب النبي ﷺ، فقد فقدت نسخته وبقي ملكهم، بل بقي ملكهم لأن الله تعالى سمح بذلك، لحكمٍ وأسباب يعلمها، ومنها لينهم ولوكان عن دهاء!

أما الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فأجاب جواباً سيئاً فيه شبهٌ من جواب كسرى، فقد حجب رسول النبي ﷺ شجاع بن وهب مدة ثم أمر بإدخاله عليه وقد لبس تاجه، فدفع اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال: من ينزع مني ملكي! أنا سائر إليه ولو كان في باليمن جئته، عليَّ بالناس! فلم يزل جالساً يُعرض عليه حتى الليل، وأمر بالخيل أن تُنعل ثم قال لي: أخبر صاحبك بما ترى! وكتب الحارث إلى قيصر يخبره الخبر، فكتب إليه أن لا تسر إليه، واشتغل بايلياء أي هيئ الطريق لاستقبالي، لأن هرقل نذر أن يمشي من حمص إلى بيت المقدس شكراً لله تعالى لنصره على فارس، ففرشوا له بسطاً ونثروا الرياحين، وهو يمشي عليها حتى بلغ بيت المقدس!

قال شجاع: فدعاني الحارث وقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت: غداً، فأمر لي بمائة مثقال ذهباً و وصلني حاجبه بنفقة وكسوة، فقدمتُ على النبي ﷺ فأخبرته بما كان من الحارث فقال: بادَ ملكه. السيرة الحلبية: ٣/٣٠٤.

أما فروة بن عمرو الجذامي حاكم الأردن من قبل هرقل، فأسلم بدون أن يرسل اليه النبي ﷺ كتاباً وكتب اليه: «لمحمد رسول الله، إني مقرٌّ بالإسلام مصدق به، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، أنت الذي بشر بك عيسى بن مريم. والسلام». مكاتيب الرسول: ٢/٤٦٥.

فأجابه النبي ﷺ: «من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو، أما بعد، فقد قدم علينا رسولك وبلغ ما أرسلت به وخبَّر عما قِبلكم وأتانا بإسلامك، وإن الله هداك بهداه. إن أصلحت وأطعت الله ورسوله وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة». فلما سمع قيصر بذلك أمر الحارث بن أبي شمر فسجنه، فقال:

طرقتُ سليمي موهناً أصحابي ... والروم بين الباب والقروان

فلئن هلكت لتفقُدنَّ أخاكم ... ولئن بقيتُ لتعرفنَّ مكاني

ولقد جمعت أجلَّ ما جمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان

ثم أحضره وقال له: إرجع من دين محمد ونحن نعيدك إلى ملكك. قال: لا أفارق

دين محمد، فإنك تعلم أن عيسى بشر به، ولكنك تظن بملكك!

فلما يئسوا منه وعلموا أنه لا يرجع إلى النصرانية أجمعوا على قتله، فقتله وصلبه على ماء لهم يقال له عِفرَا بفلسطين، فقال:

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل

على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مشذبة أطرافها بالمناجل

فلما قدموه ليقتلوه قال:

بلغ سراة المسلمين بأنني ... سلمٌ لربي أعظمي وبناني

فضربوا عنقه ثم صلبوه ﷺ! مكاتيب الرسول: ٤٦٧/٢.

أقول: أمر هرقل حاكم الشام باللين بسبب دهائه، لأنه ساذج لا يقدر قوة النبي ﷺ ولا يعرف أن حربه تحتاج إلى خطة شبيهة بخطة القضاء على كسرى في السنة الماضية! وكانت خطة هرقل ضد النبي ﷺ تقوم على إنتخاب كتائب خاصة من جيش الروم، وإعداد جيش من بلاد الشام بزعامة الحارث، وجيش من القبائل بزعامة الأكيدر ملك دومة الجندل ورئيس قبائل كندة، ومساندة مجموعة أبي عامر الراهب أصحاب مسجد الضرار، ثم بمساندة مجموعات اليهود ومنافقي قريش..الخ.!

٣- غزوة مؤتة رسالة من النبي ﷺ إلى هرقل

كانت غزوة مؤتة لإفهام هرقل أن ميزان القوة ليس كما يتخيل، وأنهم قادرون على تحدي الجيش الرومي المحترف عند أبواب القدس، على بعد أكثر من ألف كيلو متر عن المدينة! فقد كانت غزوة مؤتة عملية استشهادية لإثبات القوة النوعية للمسلمين، ليتراجع هرقل عن خطته، ولذا كانت تحتاج إلى قائد نوعي خبير بالروم هو جعفر بن أبي طالب ﷺ. وكان هرقل يعرف جعفر جيداً، فقد عمل في مقاومة الروم في الحبشة قاعدة الروم في إفريقيا، وثبَّت عرش النجاشي ودولته! ونشط سنين مع علماء الروم وقساوستهم،

وجاء بوفود منهم من الحبشة ونجران والشام إلى النبي صلى الله عليه وآله في مكة فأسلموا، ثم أبقاه النبي صلى الله عليه وآله في الحبشة يتابع مهمته حتى أحضره، فوصل في أيام فتح خيبر.

وبعد عودة النبي صلى الله عليه وآله من عمرة القضاء، حان الوقت لأن يرسل إلى هرقل الرسالة القوية، وهرقل جادٌّ في التحضير لغزو المدينة، فأرسل جعفراً رضي الله عنه إلى مؤتة. وكانت حمص أو الشام أو عمان أقرب وأولى بالمهاجمة بالنظرة الأولى فهي مهمة وفيها قوات رومية وعربية، لكن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يقصد معسكر هرقل في مؤتة ولو كان أبعد، لأنه معسكر رومي صرف، وأقرب إلى بيت المقدس!

وذكر المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٣٠، أن سبب غزوة مؤتة كان قتل شرحبيل بن عمرو الغساني الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله صلى الله عليه وآله إلى صاحب بصرى، ولم يقتل للنبي رسول غيره. لكن لو كان الهدف الإقتصاص لقتل رسول النبي صلى الله عليه وآله من حاكم بصرى، لأرسل النبي صلى الله عليه وآله بضعة أشخاص إلى بصرى الشام ليقتلوا حاكمها قصاصاً، ولم يحتج إلى إرسال ثلاثة آلاف إلى منطقة فيها معسكر لهرقل، أبعد من بصرى بكثير!



٤- جعفر بن أبي طالب عليه السلام قائد جيش مؤتة

ذكرت مصادر السلطة أن النبي صلى الله عليه وآله أعطى قيادة جيش مؤتة إلى زيد، فإن قتل فجعفر، فإن قتل فعبدالله بن رواحة. فجعلوا زيداً القائد الأول، مع أنهم يعترفون بأن بني عبدالمطلب لانظير لهم في الشجاعة وصفات القيادة، فكيف يؤمر النبي صلى الله عليه وآله عليهم غيرهم، وقد أرسل حمزة وعلياً وجعفراً مراراً فكانوا هم الأمراء. لكن رواة السلطة يتنقصون من جعفر لبغضهم أخاه علياً عليه السلام!

كتب في الصحيح من السيرة: ٣٠٩/١٩ ملخصاً: «إن الأمير الأول كان جعفر بن أبي طالب كما ذهب إليه الشيعة، قال ابن أبي الحديد: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول، وأنكرت الشيعة ذلك وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول، فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبدالله بن رواحة، ورووا في

ذلك روايات، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم. ويدل على ذلك عدة أمور:

١ - من روايات أهل البيت عليهم السلام عن الصادق عليه السلام قال: إنه استعمل عليهم جعفراً، فإن قتل فزيد، فإن قتل فابن رواحة، المناقب: ١/٢٠٥ وإعلام الورى/١١٠.

٢ - احتج الإمام الحسن عليه السلام على معاوية فقال: وقد بعث رسول الله جيشاً يوم مؤتة فقال: عليكم جعفر، فإن هلك فزيد، فإن هلك فعبدالله بن رواحة.

٣ - روى ابن سعد: ٢/١٢٩ عن أبي عامر، قال: بعثني النبي إلى الشام فلما رجعت مررت على أصحابي وهم يقاتلون المشركين بمؤتة. قلت: والله لا أبرح اليوم حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمرهم. فأخذ اللواء جعفر بن أبي طالب ولبس السلاح وكان رأس القوم ثم حمل جعفر، حتى إذا همَّ أن يخالط العدو رجع فوخَّش «خفف» بالسلاح، ثم حمل على العدو، فطاعن حتى قتل. ثم أخذ اللواء زيد بن حارثة، فطاعن حتى قتل. ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة، فطاعن حتى قتل. ثم انهزم المسلمون أسوأ هزيمة».

٥- وصية النبي صلى الله عليه وآله لجيش مؤتة

في **البحار**: ٢١/٦٠، عن **الواقدي**: «خرج النبي صلى الله عليه وآله مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال: أغزوا بسم الله، فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين الناس فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، ولا تقتلن امرأة ولا صغيراً ضرعاً ولا كبيراً فانياً، ولا تقطعن نخلاً ولا شجراً، ولا تهدمن بناء.

وقال عبدالله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وآله: مرني بشئ أحفظه عنك، قال: إنك قادم غداً بلداً السجود فيه قليل فأكثروا السجود. فقال عبدالله: زدني يا رسول الله، قال: أذكر الله، فإنه عون لك على ما تطلب».

أقول: يدل ذلك على أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يقطع الأشجار، ويردُّ زعمهم أنه

قطع نخيل بني النضير، وأن أبابكر أول من أوصى الغزاة بهذه الوصايا!

كما يدل على أن للسجود لله تعالى تأثيراً على الأرض وما عليها، وأنه ينبغي لمن سافر إلى أرض لايسجد فيها لله تعالى أن يكثر من السجود والذكر.

٦- واجهتهم سرية رومية في وادي القرى

روى ابن عساكر في تاريخه: ١٣/٢عن الواقدي قال: «سمع العدو بمسيرهم فجمعوا الجموع، وقام فيهم رجل من الأزد يقال له شرحبيل بالناس وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون وادي القرى وأقاموا أياماً، وبعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين من المشركين، فالتقوا وانكشف أصحابه وقتل سدوس، وخاف شرحبيل بن عمرو فتحصن وبعث أخاً له يقال له وبر بن عمرو. فسار المسلمون حتى نزلوا معان من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل «مآب» من أرض البلقاء في بهراء ووائل وبكر ولخم وجذام في مائة ألف، عليهم رجل من بلي يقال له مالك فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فإما يردنا وإما يزيدنا رجالاً! فبينا الناس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رواحة فشجعهم ثم قال: والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا بكثرة سلاح ولا بكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به. إنطلقوا، والله لقد رأينا يوم بدر ما معنا إلا فرسان ويوم أحد فرس واحدة، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور عليهم فذلك ما وعدنا الله ووعد نبينا وليس لوعده خلف، وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان. فتشجع الناس على قول ابن رواحة».

أقول: تدل الرواية على أن سرية سدوس بن عمرو كانت من سرايا حراسة الروم للحدود الشامية. وكان أخوه شرحبيل القائد العام لجيش هرقل في بلاد الشام، وهو الذي قتل رسول النبي ﷺ إلى ملك بصرى الشام. لكن المسلمين لم يشتبكوا مع السرية ولم يثأروا لقتل ابن عمير رسول النبي ﷺ، لأن هدف الغزوة ومقصدها جيش الروم، وليس الجيش العربي، أو حراس الحدود!

راجع أيضاً: مكاتيب الرسول: ٢٠٤/١، الطبقات: ١٢٨/٢ والتنبيه والإشراف/٢٣٠.

٧- ثم فاجأهم الروم فانحازوا إلى مؤتة

تفاجأ المسلمون بأول كتائب الروم في قرية مشارف، فلم يشتبكوا معهم وانسحبوا إلى قرية مؤتة، فلحقت بهم قوات الروم وكانت المعركة.

قال ابن هشام: ٨٣٢/٣: «حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف، ثم دنا العدو وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة، فالتقى الناس عندها فتعبأ لهم المسلمون، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عذرة يقال له قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عباية بن مالك..والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها، ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء».

وقد وصف أبو هريرة خوف المسلمين من جيش الروم بقوله: «شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب، فبرق بصري فقال لي ثابت بن أرقم: ما لك يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة! قلت: نعم»! تاريخ دمشق: ١٣/٢.

أي خافوا من الروم فانهزموا، وثبت القادة الثلاثة وقليل معهم.

٨- سبب تحريف السلطة معركة مؤتة

تعمد رواة السلطة تحريف معركة مؤتة ليخفوا دور جعفر بن أبي طالب في قيادتها، وليغطوا هزيمة المسلمين فيها، خاصة هزيمة خالد بن الوليد!

لذلك عندما تقرأ نصوصها يغيب عنك دور جعفر عندما تحير المسلمون في وادي القرى أو في معان هل يواصلون السير أم يكتبون إلى النبيﷺ ليمدهم برجال أو يأمرهم بالرجوع؟ وأين كان عبدالله بن رواحة حتى وصل اليهم في معان متأخراً، وشجعهم على السير؟ ولماذا انسحبوا عندما واجهوا الروم في قرية مشارف قبل مؤتة؟ وكيف برز القادة الثلاثة وحدهم ولم يبرز أحد من المسلمين؟ ولم يستشهد من المسلمين إلا خمسة أو ثمانية؟ وهم كما رواه ابن هشام: ٨٤٠/٣: مسعود بن الأسود، ووهب بن سعد، وعباد بن قيس، والحارث بن النعمان، وسراقة بن عمرو بن عطية، ويقال استشهد آخرون!

وهل برز هؤلاء أم قتلوا في حملة؟ وأين كان خالد فلم يبرز ولم يأخذ الراية بعد شهادة القادة الثلاثة، بل أخذها شخص ثم أخذها ثابت بن أقرم، ثم أخذها منه خالد؟ ومتى كانت معركة السبعة أيام المزعومة، وما هي أخبارها؟

وأين الروايات عن قتال خالد والثلاثة آلاف مقاتل، حتى كسر خالد تسعة سيوف كما زعم! وكيف حول الهزيمة إلى نصر فسماه النبيﷺ سيف الله!

ولماذا لا نجد وصفاً لقتال خالد ولاغيره، مع أي رومي قائد أو جندي، اللهم إلا قتل رجل يمني مددي لجندي رومي غيلةً والمسلمون منسحبون، فغنم منه شيئاً، فناصفه فيه خالد!

وزعموا أن المسلمين انتصروا بقيادة خالد فأين الغنائم، ولماذا لم يأخذوا حصن الكرك قرب مؤتة، وهو مركز قيادة مهم للروم؟

وإذا كانوا انتصروا، فلماذا استقبلهم أهل المدينة يحثون في وجوههم التراب ويصيحون عليهم يا فرارين! حتى استتر المعروفون منهم في بيوتهم فلم يخرجوا مدة خوفاً من توبيخ المسلمين! حتى رفع عنهم النبيﷺ غضب المسلمين وقال إنهم كرارون إن شاء الله، فتجرؤوا على الخروج!

فالصورة الصحيحة لمعركة مؤتة: أنها كان فيها هزيمة، لكنها مع ذلك كانت رسالة قوية إلى هرقل وهو يحضر لغزو النبيﷺ ويستعد للسفر ماشياً إلى بيت المقدس،

فكانت منطقة الشام والأردن وفلسطين في حالة استنفار.

كان جيش المسلمين إلى مؤتة خليطاً من مسلمين قدامى وجدد، ومنهم خالد الذي أسلم قبل شهرين، لكن قادته الثلاثة الذين عينهم النبيﷺ كانوا شجعاناً وقد أراد النبيﷺ أن يري هرقل هذه النماذج المميزة، فأراه إياها!

أما الباقون فلم يكونوا بمستواهم ولذلك ترددوا عندما وصلوا إلى أم القرى على بعد ٣٨٠ كلم من المدينة، أي أقل من نصف الطريق إلى مركز جيش هرقل في الكرك! وطلبوا من قائدهم أن يراسل النبيﷺ ليأمرهم بالرجوع إلى المدينة أو يمدهم بجيش آخر، لأنه لاطاقة لهم بجيش هرقل! فشجعهم جعفر وزيد وابن رواحة، فواصلوا السير إلى معان واستراحوا فيها يومين ليعرفوا الجو، فسمعوا بأخبار جيش الروم، وأعادوا الكلام مع قائدهم ليراسل النبي فشجعهم على السير فساروا، حتى تفاجؤوا بمهاجمة الروم لهم قرب مؤتة، فانحازوا إلى مؤتة القريبة فتبعهم الروم، فثبت القادة الثلاثة وقاتلوا قتال الأبطال حتى الشهادة، وفتكوا بجيش الروم فتكاً لم يعرفوه من قبل، وإن لم يذكر التاريخ عدد قتلاهم من الروم.

وقتل من المسلمين خمسة كانوا حول القادة، أو لحق بهم الروم وقتلوهم، وفر الباقون بقيادة خالد حتى قال أحدهم إنه لم يَرَ في عمره أسوأ من تلك الهزيمة!

كما بالغ الرواة في عدد جيش الروم الذي واجه المسلمين فجعلوه مئة ألف من الروم ومئة ألف من عرب الشام، مع أن جيشه الذي غزا به عاصمة الفرس قبل سنة، كان سبعين ألفاً!

٩- القتال سبعة أيام في مؤتة كذبة من أجل خالد!

تؤكد مصادر الحديث الصحيح عند الدولة على كذبة مفضوحة بأن المعركة استمرت سبعة أيام، مع أنها كانت يوماً واحداً، وكان أبطالها بضعة عشر نفراً هم جعفرعليه السلام وملاؤه القادة ونخبة معهم! وبعد استشهادهم انهزم المسلمون فأخذ الراية قطبة بن عامر وحاول أن يواصل المعركة فلم يطيعوه، وأطاعوا

خالد بن الوليد الذي انهزم بهم! «وانهزم المسلمون أسوأ هزيمة، وأتبعهم المشركون فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم يقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً فما يثوب إليه أحد». الإمتاع: ٣٤٠/١.

«قال أبو عامر: أسوأ هزيمة رأيتها قط حتى لم أر اثنين جميعاً»! سبل الهدى: ١٥٠/٦.

ومع ذلك رووا بعين يابسة، سبل الهدى: ١٥٠/٦: «عن برذع بن زيد قال: اقتتل المسلمون مع المشركين سبعة أيام. وروى الحاكم عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، وأبو عامر والزهري، وعروة، وابن عقبة، وعطاف بن خالد، وابن عائذ وغيرهم، وهو ظاهر قوله ﷺ في حديث أنس: ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه»! «وفي حديث أبي قتادة مرفوعاً: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء ولم يكن من الأمراء، هو أمَّرَ نفسه، ثم رفع رسول الله ﷺ إصبعه ثم قال: اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره. فمن يومئذ سمي خالد بن الوليد سيف الله! رواه الإمام أحمد برجال ثقات. ويشهد له بالصحة ما رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والبرقاني»!

كذبٌ ما بعده كذب! جعلوا بطولات خالد فيها على لسان النبي ﷺ، وكانت كل غنائمها غنيمة اليمني المددي من جندي رومي قتله غيلةً، وقد أخذ خالد نصف سلبه، لأنه استكثره على المددي!

إن أصل كذبة القتال من خالد! فقد قال كما رواه بخاري: ٨٧/٥: «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»!

١٠- وصفَ النبي ﷺ المعركة للمسلمين وصفاً حياً

كشف الله تعالى لنبيه ﷺ مؤتة وهو في المدينة فوصفها لأصحابه وصفاً حياً:

روى في الخرائج: ١٦٦/١: «قال جابر: فلما كان اليوم الذي وقعت فيه حربهم صلى النبي ﷺ بنا الغداة، ثم صعد المنبر فقال: قد التقى إخوانكم مع المشركين للمحاربة، فأقبل يحدثنا بكرات بعضهم على بعض، إلى أن قال: أخذها جعفر بن أبي طالب وتقدم للحرب بها. ثم قال: قد قطعت يده، وقد أخذ الراية بيده الأخرى، ثم قال: وقطعت

يده الأخرى وقد احتضن الراية في صدره. ثم قال: قتل جعفر وسقطت الراية، ثم أخذها عبدالله بن رواحة، وقد قتل من المشركين كذا، وقتل من المسلمين فلانٌ وفلانٌ، إلى أن ذكر جميع من قتل من المسلمين بأسمائهم. ثم قال: قتل عبدالله بن رواحة، وأخذ الراية خالد بن الوليد وانصرف المسلمون.

ثم نزل عن المنبر وصار إلى دار جعفر، فدعا عبدالله بن جعفر فأقعده في حجره وجعل يمسح على رأسه. فقالت والدته أسماء بنت عميس: يا رسول الله إنك لتمسح على رأسه كأنه يتيم. قال: قد استشهد جعفر في هذا اليوم! ودمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: قطعت يداه قبل أن يستشهد، وقد أبدله الله من يديه جناحين من زمرد أخضر، فهو الآن يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء».

ونحوه في الثاقب في المناقب/١٠١، وفيه: «ثم ورد عليه ابن مُنْيَة فقال صلى الله عليه وآله: إن شئت أخبرتك وإن شئت أخبرني. فقال: بل أخبرني يا رسول الله فأخبره خبره كله قال: وإنك والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم».

وفي الكافي: ٣٧٦/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد إذ خفض له كل رفيع ورفع له كل خفيض، حتى نظر إلى جعفر يقاتل الكفار قال: فقتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قتل جعفر! وأخذه المغص في بطنه».

فلم يمدح النبي صلى الله عليه وآله إلا جعفراً وزيداً وابن رواحة، لكنهم زادوا ذكر خالد! وسرقوا له من علي عليه السلام لقب سيف الله! والحقيقة أنه انهزم بالمسلمين!

وروى الواقدي: ٧٦٣/٢ وابن عساكر: ٣٣٧/٤٩: «لما أخذ خالد اللواء انكشف بالناس فكانت الهزيمة، وقتل المسلمون واتبعهم المشركون، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً، يصيح بأصحابه فما يثوب إليه أحد، ويتبعون صاحب الراية منهزماً».

١١- توبيخ المسلمين لخالد وجيش مؤتة

وصف الواقدي: ٧٦٠/٢ وغيره، رجوع جيش مؤتة إلى المدينة، وفيه قول أبي هريرة: «شهدت مؤتة فلما رأينا المشركين رأينا ما لا قبل لنا به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب، فبرق بصري!

عن عاصم بن عمر قال: وجد في بدن جعفر أكثر من ستين جرحاً ووجد به طعنةٌ قد أنفذته. لما قتل ابن رواحة انهزم المسلمون أسوأ هزيمةٍ رأيتها قط في كل وجهٍ. ثم إن المسلمين تراجعوا. فأقبل رجلٌ من الأنصار يقال له ثابت بن أرقم فأخذ اللواء وجعل يصيح بالأنصار فجعل الناس يثوبون إليه من كل وجهٍ وهم قليل وهو يقول: إلي أيها الناس! فاجتمعوا إليه، قال: فنظر ثابت إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان! فقال: لا آخذه أنت أحق به. أنت رجلٌ لك سنٌّ وقد شهدت بدراً. ولما أخذ اللواء انكشف بالناس فكانت الهزيمة، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يقتل الرجل مقبلاً أحسن أن يقتل مدبراً! يصيح بأصحابه فما يثوب إليه أحد هي الهزيمة! ويتبعون صاحب الراية منهزماً»!

سمعت ثعلبة بن أبي مالك يقول: انكشف خالد بن الوليد يومئذٍ حتى عيروا بالفرار وتشاءم الناس به. لقيهم أهل المدينة بالشر حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته وأهله، فيدق عليهم الباب فيأبون أن يفتحوا له يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك! وكان في ذلك البعث سلمة بن هشام بن المغيرة فدخلت امرأته على أم سلمة زوج النبي ﷺ فقالت أم سلمة: ما لي لا أرى سلمة بن هشام آشتكى شيئاً قالت امرأته: لا والله ولكنه لا يستطيع الخروج إذا خرج صاحوا به وبأصحابه يا فرار أفررتم في سبيل الله، حتى قعد في البيت، فذكرت ذلك أم سلمة لرسول الله ﷺ فقال: بل هم الكرار في سبيل الله فليخرج! فخرج.

عن أبي هريرة قال: كنا نخرج ونسمع ما نكره من الناس لقد كان بيني وبين ابن عمٍّ لي كلام فقال: إلا فرارك يوم مؤتة! فما دريت أي شيء أقول له.

«لقيهم الصبيان يشتدون. وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فُرَّار،

فررتم في سبيل الله! وقال عبدالله بن عمر: فحاص الناس وكنت فيمن حاص. فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف؟ ثم قلنا: لو دخلنا المدينة قُتلنا، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً فاختفينا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله فاعتذرنا إليه، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال: من القوم؟ قلنا: نحن الفَرارون. قال: بل أنتم الكرارون وأنا فئتكم. فقبلنا يده».

وقد أراد النبي ﷺ أن يرفع معنوياتهم لأن المهم وصول رسالته إلى هرقل بالمقاتلين النوعيين جعفر ورفقائه.

«عن الزهري: أن النبي ﷺ لما أخبر الناس بقتل القادة الثلاثة بكى أصحاب رسول الله ﷺ وهم حوله فقال لهم: وما يبكيكم؟ فقالوا: وما لنا لا نبكي، وقد ذهب خيارنا وأشرافنا وأهل الفضل منا؟! فقال لهم ﷺ: لا تبكوا فإنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فأصلح رواكبها وبنى مساكنها وحلق سعفها، فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً. فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأقومها شمراخاً! والذي بعثني بالحق نبياً، ليجدن عيسى بن مريم في أمتي خلفاً من حواريه». أمالي الطوسي/٨٨.

١٢- رغم الهزيمة وصلت رسالة النبي ﷺ إلى هرقل!

فهمَ هرقل غزوة مؤتة على أنها غارة نوعية من النبي ﷺ، ومع أن المسلمين انهزموا ولم يثبت إلا قادتهم، لكنه أخذ بحسابه نوعيات المقاتلين المسلمين وهو يواصل الإعداد لحملته على المدينة. وبينما كان هرقل يواصل إعداده للحملة، فتح الله تعالى على نبيه ﷺ مكة، ومات الحارث بن أبي شمر الذي هو ركن في حملة هرقل، ولم يجدوا شخصاً بكفاءته يحكم الشام، فنصب هرقل الأيهم شيخ غسان ملكاً وكان كبير السن، ثم ملك ابنه جبلة، «اليعقوبي: ٢٠٧/١» ولم يكن لهما شجاعة الحارث ولا رغبته في غزو المدينة، لذلك ركز هرقل على الأكيدر ملك دومة الجندل وشيخ قبائل كندة، وواصل العمل.

وكانت دعاية هرقل قوية في المدينة، فعندما تحدث عمر بن الخطاب عن

غضب النبيﷺ على نسائه واعتزاله لهن، قال إن ذلك كان أيام توقع وصول حملة الروم على المدينة! **قال عمر كما في البخاري**: ١٠٤/٣: «وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال لغزونا، فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أنائم هو؟ ففزعت فخرجت إليه وقال: حدث أمر عظيم! قلت: ما هو أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم منه وأطول طلق رسول اللهﷺ نساءه! قال: قد خابت حفصة وخسرت، كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون»!

وغزو غسان للمدينة أي غزو هرقل، وأشاعوا أنه أعد مئة ألف من مقاتلي عرب الشام ومن أطاع الأكيدر من كندة، مقدمة للجيش الرومي المحترف بقيادة هرقل، كما فعل في غزو فارس.

وقال الإمام الكاظمعليه السلام: «إن رسول اللهﷺ كان تأتيه الأخبار عن صاحب دومة الجندل، وكانت تلك النواحي مملكة عظيمة مما يلي الشام، وكان يهدد رسول اللهﷺ بأن يقصده ويقتل أصحابه ويبيد خضراءهم! وكان أصحاب رسول اللهﷺ خائفين وجلين من قِبَله حتى كانوا يتناوبون على رسول الله كل يوم عشرون منهم، كلما صاح صائح ظنوا أن قد طلع أوائل رجاله!

وأكثرَ المنافقون الأراجيف والأكاذيب وجعلوا يتخللون أصحاب محمدﷺ ويقولون: إن أكيدر قد أعد لكم من الرجال كذا ومن الكراع كذا ومن المال كذا، وقد نادى فيما يليه من ولايته: ألا قد أبحتكم النهب والغارة في المدينة! ثم يوسوسون إلى ضعفاء المسلمين يقولون لهم: وأين يقع أصحاب محمد من أصحاب أكيدر؟ يوشك أن يقصد المدينة فيقتل رجالها ويسبي ذراريها! حتى آذى ذلك قلوب المؤمنين فشكوا إلى رسول اللهﷺ ما هم عليه من الجزع.

ثم إن المنافقين اتفقوا وبايعوا لأبي عامر الراهب الذي سماه رسول اللهﷺ الفاسق وجعلوه أميراً عليهم وبخعوا له بالطاعة». تفسير الإمام العسكري عليه السلام ٤٨١/.

وستأتي غزوة تبوك التي قادها النبيﷺ بنفسه في السنة التالية، ومراسلته لهرقل!

١٣. من مناقب جعفربن أبي طالب عليه السلام

١. يدلنا على مقام جعفر بن أبي طالب سلام الله عليه: جناحاه اللذان خصه الله بهما دون أهل الجنة. واحترام النبي صلى الله عليه وآله له وشهاداته بحقه. ونشأته الملائكية التي أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله أنه يشكرها له!

ففي علل الشرائع: ٥٥٨/٢ عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أوحى الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال، فدعاه النبي صلى الله عليه وآله فأخبره فقال: لولا أن الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك: ما شربت خمراً قط لأني علمت أني إن شربتها زال عقلي. وماكذبت قط لأن الكذب ينقص المروءة. وما زنيت قط لأني خفت أني إذا عملت عُمل بي. وما عبدت صنماً قط لأني علمت أنه لايضر ولاينفع! قال: فضرب النبي صلى الله عليه وآله على عاتقه وقال: حقَّ لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنة»!

٢. وفي الكافي: ٤٩/١ عن الإمام الباقر عليه السلام: «لما كان يوم مؤتة كان جعفر على فرسه فلما التقوا نزل عن فرسه فعرقبها بالسيف، وكان أول من عرقب في الإسلام».

٣. في المناقب: ١٧٦/١: «سنة ثمان في جمادى الأولى وقعة مؤتة وهم ثلاثة آلاف.

في كتاب أبان قال الصادق صلى الله عليه وآله: إنه استعمل عليهم جعفراً فإن قتل فزيد، فإن قتل فابن رواحة، ثم خرجوا حتى نزلوا معان، فبلغهم أن هرقل قد نزل بمأرب في مائة الف من الروم ومائة ألف من المستعربة، فانحازوا إلى أرض يقال لها المشارف، ونسبت السيوف المشرفية إليها لأنها طبعت لسليمان بن داود عليهما السلام، فاختلفوا في القتال أو في إخبار النبي صلى الله عليه وآله بكثرتهم فقال ابن رواحة: ما نقاتل الناس بكثرة، وإنما نقاتلهم بهذا الدين! فلقوا جموعهم بقرى البلقاء، ثم انحازوا إلى مؤتة.

وفي البخاري: نعى النبي جعفراً وزيداً وابن رواحة قبل أن يجئ خبرهم وعيناه تذرفان. زيد بن أرقم: حارب جعفر على أشقره حتى عقر، وهو أول من عقر

فرسه في الإسلام، فحارب راجلاً حتى قتل.

فضيل بن يسار عن الباقر عليه السلام قال: أصيب يومئذ جعفر وبه خمسون جراحة، خمس وعشرون منها في وجهه».

في المنمق لابن حبيب/٤١٧: «لما قدم جعفر بن أبي طالب على النجاشي أعطاه سيفاً يقال له الغمام فقاتل به يوم مؤتة وهو يقول:

قد علمت فهروفهر حاكمه أني منها في الذرى والغلصمه

كم قط من شاكلة وجمجمه».

وفي التنبيه والإشراف/٢٣٠، أن هرقل: «يومئذ مقيم بأنطاكية وعلى الروم تيادوقس البطريق، وعلى متنصرة العرب من غسان وقضاعة وغيرهم شرحبيل بن عمرو الغساني، فقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب بعد أن عرقب فرسه، وهو أول فرس عرقبت في الإسلام، وجرح نيفاً وتسعين جراحة كلها في مقادمه وقتل عبدالله بن رواحة، ورجع خالد بن الوليد بالناس».

٤. وفي الكافي: ١/٤٥٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ألا وإن أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة، لم يُنْحَل أحد من هذه الأمة جناحان غيره شئ كرم الله به محمداً صلى الله عليه وآله وشرفه. والسبطان الحسن والحسين والمهدي يجعله الله من شاء منا أهل البيت، ثم تلا هذه الآية: وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا. ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيما».

وفي أمالي الطوسي/٧٢٣، عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رقدت بالأبطح على ساعدي، وعلي عن يميني، وجعفر عن يساري، وحمزة عند رجليَّ، قال: فنزل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ففزعت لخفق أجنحتهم. قال: فرفعت رأسي فإذا إسرافيل يقول لجبرئيل: إلى أي الأربعة بعثت وبعثنا معك؟ قال: فركض برجله فقال: إلى هذا وهو محمد سيد النبيين، ثم قال: من هذا الآخر؟ قال: هذا أخوه ووصيه وابن عمه وهو سيد الوصيين. ثم قال: فمن الآخر؟ قال: جعفر بن أبي طالب، له جناحان

خضيبان يطير بهما في الجنة. قال: ثم قال: فمن الآخر؟ قال: عمه حمزة، وهو سيد الشهداء يوم القيامة».

٥. **وفي المحاسن: ٤٢٠/٢، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال:** «سألت أبي عليه السلام عن المأتم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر فقال: أين بنيَّ؟ فدعت بهم وهم ثلاثة: عبدالله وعون ومحمد، فمسح رسول الله رؤوسهم فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام؟ فتعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها فقال: يا أسماء ألم تعلمي أن جعفراً استشهد فبكت، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تبكي فإن جبرئيل عليه السلام أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر، فقالت: يا رسول الله لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر، لا ينسى فضله. فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من عقلها، ثم قال صلى الله عليه وآله: إبعثوا إلى أهل جعفر طعاماً، فجرت السنة».

وفي الفقيه: ١٧٧/١، أنه صلى الله عليه وآله قال في جعفر وزيد: «كثر بكاؤه عليهما جداً وقال: كانا يحدثاني ويؤانساني فذهبا جميعاً».

٦. **قال السيد شرف الدين رحمه الله في النص والإجتهاد/٢٧٩، ملخصاً:** «حزن الإنسان عند موت أحبته وبكاؤه عليهم من لوازم العاطفة البشرية، وهما من مقتضيات الرحمة، ما لم يصحبهما شئ من منكرات الأقوال أو الأفعال. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث عنه صحيح: مهما يكن من القلب والعين فمن الله والرحمة ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان! والسيرة القطعية بين المسلمين وغيرهم مستمرة على ذلك من غير نكير وأصالة الإباحة تقتضيه.

على أن النبي صلى الله عليه وآله نفسه بكى في مقامات عديدة وأقر غيره على البكاء في موارد واستحسنه في موارد أخر، وربما دعا إليه: بكى على عمه الحمزة أسد الله وأسد رسوله.. لما رأى حمزة قتيلاً بكى. كان يومئذ إذا بكت صفية يبكي وإذا نشجت ينشج! وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وآله. ولما رجع من أُحُد

جعلت نساء الأنصار يبكين على من قتل من أزواجهن فقال رسول الله ﷺ: ولكن حمزة لا بواكي له! قال: ثم نام فانتبه وهن يبكين، قال فهن اليوم إذا يبكين يندبن حمزة. وبكى على جعفر وزيد وقال: أخواي ومؤنساي ومحدثاي. ولما جاءه نعي جعفر، أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها قال: ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: واعماه! فقال رسول الله ﷺ: على مثل جعفر فلتبكِ البواكي».

٧. **قال البلاذري في أنساب الأشراف**: ٤٢/٢: «أتى النبي ﷺ مع أخيه علي عليه السلام وقد كان يسمع علياً يذم عبادة الأوثان فوقع في نفسه ذمها، فلما دعاه رسول الله قبل دعاءه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن المبعث حق. وهاجر إلى الحبشة ومعه امرأته أسماء ابنة عميس الخثعمية، وهي أخت أم الفضل لبابة بنت الحرث بن حزن الهلالية، لأمها هند بنت عوف الحميرية، فلم يزل مقيماً بالحبشة في جماعة تخلفوا معه من المسلمين. ثم قدم على رسول الله في سنة سبع من الهجرة بعد فتح خيبر فاعتنقه رسول الله ﷺ وقال: لست أدري أي الأمرين أسرّ إلي أفتح خيبر أم قدوم جعفر. وقدم معه المدينة ثم وجهه في جيش إلى مؤتة من بلاد الشام فاستشهد وقطعت يداه في الحرب فقال رسول الله ﷺ: لقد أبدله الله بهما جناحين يطير بهما في الجنة، فسمي ذا الجناحين وسمي الطيار في الجنة. ودخل رسول الله ﷺ حين أتاه نعي جعفر على أسماء بنت عميس فعزاها به، ودخلت فاطمة عليها السلام تبكي وهي تقول: وا عماه فقال رسول الله ﷺ: على مثل جعفر فلتبك البواكي ثم انصرف إلى أهله وقال: إتخذوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم، وضم عبدالله بن جعفر إليه ومسح رأسه وعيناه تدمعان وقال: اللهم أخلف جعفراً في ذريته بأحسن ما خلفت به أحداً من عبادك الصالحين. واستشهد جعفر، وهو ابن نحو من أربعين سنة، وذلك في سنة ثمان من الهجرة. وقال رسول الله ﷺ: أشبهني جعفر في خلقي وخلقي». وفي رواية ابن هشام: ٨٣٢/٣: ثلاثاً وثلاثين سنة.

٨. وتدلنا قصائد شاعري النبي ﷺ حسان بن ثابت وكعب بن مالك، على أن جعفراً، كان قائد مؤتة وبطلها، وأن الحكومات انتقصته بغضاً بأخيه عليه السلام! وهذا مختار

من شعر حسان من رواية ابن هشام:٣/٨٣٧.

ولقد بكيت وعزمهلك جعفرٍ ... حِبُّ النبي على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعيت لي ... من للجلاد لدى العقاب وظلها
بالبيض حين تسل من أغمادها ... ضرباً وإنهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر ... خير البرية كلها وأجلها
رزءاً وأكرمها جميعاً محتداً ... وأعزها متظلماً وأذلها
للحق حين ينوب غير تنحل ... كذباً وأنداها يداً وأقلها
فحشا وأكثرها إذا ما يجتدي ... فضلاً وأبذلها ندى وأبلها
بالعرف، غير محمد لا مثله ... حي من احياء البرية كلها

وقال حسان:

تأوبني ليل بيثرب أعسرُ ... وَهَمٌّ إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي عبرة ... سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
بلى إن فقدان الحبيب بلية ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوباً وخلفاً بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبدالله حين تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبيٌّ إذا سيم الظلامة مجسر
فطاعن حتى مال غير موسد ... لمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد ... وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
فما زال في الاسلام من آل هاشم ... دعائم عز لا يزلن ومفخر

هم جبل الإسلام والناس حولهم ... رضامٌ إلى طود يروق ويقهر
بها ليل منهم جعفروابن أمه ... عليٌّ ومنهم أحمد المتخير
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم وفيهم ذو الكتاب المطهر

وقال كعب بن مالك:

وكأنما بين الجوانح والحشى ... مما تأوبني شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا ... يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الاله عليهم من فتية ... وسق عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم ... حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كأنهم ... فنق عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر ... حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده ... والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرعاً أشم وسؤدداً ما ينقل
قوم بهم عصم الإله عباده ... وعليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة وتكرماً ... وتغمدت أحلامهم من يجهل
لا يطلقون إلى السفاه حباهم ... ويرى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم ... تندى إذا اعتذر الزمان الممحل
وبهديهم رَضِيَ الإله لخلقه ... وبجدهم نصر النبي المرسل

١٤. حول جناحي جعفر الطيار عليه السلام

١. أجمع المسلمون على قول رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله تعالى أعطى جعفر بن أبي طالب عليه السلام جناحين يطير بهما في الجنة. وروي أن ذلك ثواب قطع يديه في سبيل الله، «الخصال/٦٨ وفيض القدير: ١٢/٤». وروي أنه تكريمٌ من الله لرسوله صلى الله عليه وآله «الوافي: ٧١٣/٣»، ولا منافاة بينهما.

٢. يصعب علينا فهم فائدة الجناحين في الجنة، وقد ورد أنه يطير بهما في الجنة حيث يشاء، ويطير بهما مع الملائكة. لكن يظهر من بعض أحاديثه أنه بذلك صار بإمكانه تحويل طبيعته البشرية إلى طبيعة ملائكية، وأنه يسمح له بالنزول مع الملائكة إلى الأرض. وهو أمر عجيب.

في سمط النجوم: ٢٤٥/٢: **قال**ﷺ: «رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة.. وفي رواية وصححها، قال: مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة».

وفي عمدة القاري: ٢٧٠/١٧: **قال**ﷺ: «رأيت جعفراً يطير في الجنة مع الملائكة»

وفي مجمع الزوائد: ٢٧١/٩ **من رواية الطبراني وحسنه**: «بينما رسول اللهﷺ جالس وأسماء بنت عميس قريبة منه، قال: يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالب مع جبريل وميكائيل صلى الله عليهما مروا فسلموا علينا فرددت عليهم السلام وأخبرني أنه لَقِيَ المشركين يوم كذا وكذا فأصبت في جسدي من مقاديمي ثلاثاً وسبعين طعنة وضربة، ثم أخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت، ثم أخذته باليسار فقطعت، فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة، أنزل بهما حيث شئت، وآكل من ثمارها ما شئت! فقالت أسماء: هنيئاً لجعفر ما رزقه الله من الخير، ولكني أخاف أن لا يصدقني الناس فاصعد المنبر فأخبر الناس يا رسول الله.

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن جعفر بن أبي طالب مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه يطير بهما في الجنة حيث شاء، فسلم عليَّ فأخبر كيف كان أمرهم حين لَقِيَ المشركين».

٣. وروى الترمذي والحاكم وغيرهما أن جناحي جعفر مخضبان بدمه، وفي رواية الخرائج: جناحين من زمرد أخضر، وفي رواية عقد الدرر: جناحان أخضران، وفي رواية البيهقي في الدلائل وابن مندة أنهما من ياقوت. وفي رواية ربيع الأبرار: جناحين أبيضين قادمتاهما مضرجان بالدم مكللتان باللؤلؤ والجوهر، وفي رواية كنز العمال موشيان بالجوهر.

فإن أمكن الجمع بين هذه الروايات، فبه، وإلا فالمرجح رواية المحاسن الصحيحة السند: ٤١٩/٢: « وجعل له جناحين من ياقوت».

٤. ورد أن جناحين جعفر عليه السلام في الجنة كرامة خاصة بجعفر عليه السلام: «لم يُنحل أحد من هذه الأمة جناحان غيره، شيء كرم الله به محمداً صلى الله عليه وآله وشرفه» «الكافي: ٤٥٠/١». لكن روينا أن الله تعالى أعطى العباس بن علي عليه السلام جناحين يطير بهما في الجنة لنصرته الحسين عليه السلام ولأن يداه قطعتا مثل عمه جعفر عليه السلام.

ففي الصحيح في الأمالي، الصدوق/٥٤٧: «نظر سيد العابدين علي بن الحسين إلى عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليهم السلام فاستعبر، ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.

ثم قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل، يزعمون أنهم من هذه الأمة، كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون، حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً. ثم قال عليه السلام: رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة».

ولا منافاة بين الروايتين، لأن الله لم ينحل أحداً من الأمة من قبل جعفر عليه السلام، ثم نحل بعده العباس عليه السلام، وذلك كقوله تعالى عن يحيى عليه السلام: إِسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً، أي لم نجعل قبله، وجعلنا من بعده الحسين عليه السلام وكان مثله في الحيوية وفي الشهادة الفجيعة، وفي إهداء رأسه على طبق من ذهب إلى عدوه! والمعنى هنا: لم ينحل أحد قبل جعفر جناحين، ونُحل بعده العباس عليه السلام.

٥. **روى الصدوق، الأمالي/٦٢٩:** «ومن صام من رجب عشرة أيام جعل الله عز وجل له جناحين أخضرين منظومين بالدر والياقوت، يطير بهما على الصراط كالبرق

الخاطف إلى الجنان». وهذان جناحان لطيرانٍ خاص عن الصراط فقط.

لكن غير المعقول منامات غلاة الحنابلة كخزيمة الإسكندراني، قال:«نمت فرأيت أحمد بن حنبل عليه أثواب خضر، وعلى رأسه تاج من ذهب، وفي رجليه نعلان وهو يمشي مشية يختال فيها. فإذا سفيان الثوري له جناحان أخضران، وهو يطير بهما من نخلة إلى نخلة». تاريخ دمشق: ٣٣٥/٥

١٥. حنين الجذع الذي كان يتكئ عليه النبي ﷺ ويخطب

في الكافي لأبي الصلاح الحلبي/٧٦: «وأما دلالة المعجزات الخارجة عن القرآن على نبوته ﷺ فهي انشقاق القمر، ورجوع الشمس، ونبوع الماء من أصابعه، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى... فطريق العلم بها المشاهدة لمن حضره، والنقل المتواتر لمن نأى عن داره، وتأخر وجوده عن وجوده».

ونحوه الإقتصاد للشيخ الطوسي/١٨١، **وفيه**: «وليس يمكن أن يقال: هذه الأخبار آحاد لا يُعَوَّل على مثلها، لأن المسلمين تواتروها وأجمعوا على صحتها... وحنين الجذع لا يمكن أن يدعى أنه كان لتجويف فيه دخله الريح، لأن مثل ذلك لا يخفى، وكان لا يستكن بمجيء النبي إليه ويحن إذا فارقه».

غزوة مؤتة وما بعدها

وفي النكت الإعتقادية للمفيد/٣٦: «أما ظهور المعجز على يده ﷺ فأكثر من أن يحصى حتى ضبط المسلمون له ألف معجزة من جملتها: القرآن، وانشقاق القمر وحنين الجذع، ونبوع الماء من بين أصابعه..».

وفي المسلك في أصول الدين للمحقق الحلي/٣٠٤: «**ومن معجزاته ﷺ ما اشتهر نقله واستفاض مثل حنين الجذع، وانشقاق القمر، وكلام الذراع، وإنباع الماء من أنامله، وإطعام الخلق الكثير من الزاد القليل، وغير ذلك من المعجزات، التي يقوم من مجموعها الجزم بظهور المعجز**».

وفي إعلام الورى: ٧٦/١: «كان في مسجده بالمدينة يستند إلى جذع فيخطب الناس فلما كثر الناس اتخذوا له منبراً، فلما صعده حن الجذع حنين الناقة فقدت

ولدها، فنزل رسول الله ﷺ فضمه إليه فكان يئن أنين الصبي الذي يُسَكَّت».

وفي مستدرك سفينة البحار: ٤٢/٢: «حنين الجذع لفراق رسول الله ﷺ وفيه قوله ﷺ: أسكن، أسكن، إن تشأ غرستك في الجنة فيأكل منك الصالحون، وإن تشأ أعيدك كما كنت رطباً، فاختار الآخرة على الدنيا. وذكر أن بني أمية قلعوه حين جددوا بناء المسجد، فأخذه أبي بن كعب وكان عنده حتى بَلِيَ فأكلته الأرضة وعاد رفاتاً».

وفي بحار الأنوار: ٣٢٦/١٧: «فلما استوى عليه حنَّ ذلك الجذع حنين الثكلى، فارتفع بكاء الناس وحنينهم وأنينهم، وارتفع حنين الجذع وأنينه في حنين الناس وأنينهم ارتفاعاً بيناً، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك نزل عن المنبر وأتى الجذع فاحتضنه ومسح عليه يده وقال: أُسكن فما تجاوزك رسول الله تهاوناً بك ولا استخفافاً بحرمتك».

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام/١٨٨، حديث مفصل عن حنين الجذع والمؤمنين للنبي وأهل بيته الطاهرين ﷺ، وقسوة قلوب الظالمين. وقد روت أصله مصادر غيرنا وذكرت أن ذلك كان في السنة الثامنة مثل: أسد الغابة: ٢٣/١، الإمتاع: ٥١/٥، الشفا: ٣٠٣/١، صحيح ابن حبان: ٤٣٦/١٤ وكنز العمال: ٣٧١/١١.



الفصل الحادي والستون

غزوة ذات السلاسل التي حذفوها من السيرة!

١. غزوة ذات السلاسل برواية أهل البيت عليهم السلام

ذات السلاسل: إسم لمنطقة في الحجاز على بعد خمس مراحل من المدينة من جهة مكة ويعرف المكان باسم وادي الرمل، وباسم السلسلة، وقيل سميت الغزوة بذات السلاسل، لأنهم جاؤوا بالأسرى مربوطين ببعضهم كسلسلة.

وسببها أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وآله أن جمعاً من قبائل سليم يستعدون لغزو المدينة، فأرسل سرية من بضع مئات بقيادة أبي بكر، فرجع منهزماً، ثم أرسل عمر فرجع منهزماً، ثم أرسل عمرو بن العاص فرجع منهزماً. فأرسل علياً عليه السلام ومعه أبو بكر وعمر وخالد وابن العاص فسلك طريقاً ضلل جواسيس سليم، وأغار صباحاً مبكراً على مركز تجمعهم فنزلت سورة: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. وهزمهم وأسر منهم وجاء بهم مقرنين في الحبال كأنهم سلسلة.

ففي أمالي الطوسي/٤٠٧: «عن الحلبي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ؟ قال: وجَّه رسول الله عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً يجبن أصحابه ويجبنه أصحابه، فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: أنت صاحب القوم فتهيأ أنت ومن تريده من فرسان المهاجرين والأنصار. فوجهه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أكمن النهار، وسِر الليل ولا تفارقك العين. قال فانتهى علي إلى ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله فسار إليهم فلما كان عند وجه الصبح أغار عليهم فأنزل الله على نبيه: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.. إلى آخرها».

وفي الإرشاد: ١٦٢/١: «ثم كانت غزاة السلسلة وذلك أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فجثا بين يديه وقال له جئتك لأنصح لك، قال: وما نصيحتك؟ قال: قوم من العرب قد اجتمعوا بوادي الرمل وعملوا على أن يبيتوك بالمدينة..».

وفي مناقب آل أبي طالب: ٣٢٨/٢: «أبو القاسم بن شبل الوكيل، وأبو الفتح الحفار بإسنادهما عن الصادق عليه السلام، ومقاتل والزجاج ووكيع والثوري والسدي وأبو صالح وابن عباس: أنه أنفذ النبي صلى الله عليه وآله أبابكر في سبع مائة رجل، فلما صار إلى الوادي وأراد الإنحدار فخرجوا إليه فهزموه وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله بعث عمر فرجع منهزماً، فقال عمرو بن العاص: إبعثني يا رسول الله فإن الحرب خدعة ولعلي أخدعهم. فبعثه فرجع منهزماً، وفي رواية أنه أنفذ خالداً فعاد كذلك، فساء النبي صلى الله عليه وآله ذلك، فدعا علياً عليه السلام وقال: أرسلته كراراً غير فرار، فشيعه إلى مسجد الأحزاب، فسار بالقوم متنكباً عن الطريق يسير بالليل ويكمن بالنهار، ثم أخذ على محجة غامضة فسار بهم حتى استقبل الوادي من فمه، ثم أمرهم أن يعكموا الخيل وأوقفهم في مكان وقال لاتبرحوا، وانتبذ أمامهم وأقام ناحية منهم، فقال خالد وفي رواية قال عمر: أنزلنا هذا الغلام في واد كثير الحيَّات والهوام والسباع، إما سبع يأكلنا أو يأكل دوابنا، وإما حية تعقرنا وتعقر دوابنا، وإما يعلم بنا عدونا فيأتينا ويقتلنا! فكلموه نعلو الوادي، فكلمه أبو بكر فلم يجبه، فكلمه عمر فلم يجبه، فقال عمرو بن العاص: إنه لاينبغي أن نضيع أنفسنا! إنطلقوا بنا نعلو الوادي فأبى ذلك المسلمون! وفي رواية أبت الأرض أن تحملهم، أي لم يستطيعوا المشي! قالوا فلما أحس عليه السلام الفجر قال: إركبوا بارك الله فيكم، وطلع الجبل حتى إذا انحدر على القوم وأشرف عليهم قال لهم: أتركوا عكمة دوابكم! قال فشمت الخيل ريح الإناث فصهلت، فسمع القوم صهيل خيلهم فولوا هاربين.

وفي رواية مقاتل والزجاج أنه كبس القوم وهم غادون فقال: يا هؤلاء أنا رسول رسول الله إليكم أن تقولوا لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإلا ضربتكم بالسيف. فقالوا: إنصرف عنا كما انصرف الثلاثة فإنك لا تقاومنا! فقال عليه السلام: إنني لا أنصرف

أنا علي بن أبي طالب، فاضطربوا وخرج إليه الأشداء السبعة وناصحوه وطلبوا الصلح فقال عليه السلام: إما الإسلام وإما المقاومة فبرز إليه واحد بعد واحد، وكان أشدهم آخرهم وهو سعد بن مالك العجلي وهو صاحب الحصن فقتلهم، فانهزموا ودخل بعضهم في الحصن، وبعضهم استأمنوا وبعضهم أسلموا، وأتوه بمفاتيح الخزائن.

قالت أم سلمة: انتبه النبي صلى الله عليه وآله من القيلولة فقلت: الله جارك ما لك؟ فقال: أخبرني جبرئيل بالفتح ونزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.

قال أبو منصور الكاتب:

أقسم بالعاديات ضبحا حقاً وبالموريات قدحا

وقال المدني:

وقوله والعاديات ضبحا يعني علياً إذْ أغار صُبحا

على سليم فشنها كفحا فأكثر القتل بها والجرحا

وأنتم في الفُرش نائمونا!

فبشر النبي صلى الله عليه وآله أصحابه بذلك وأمرهم باستقباله والنبي يتقدمهم، فلما رأى علي النبي صلى الله عليه وآله ترجل عن فرسه فقال النبي صلى الله عليه وآله: إركب فإن الله ورسوله عنك راضيان، فبكى علي عليه السلام فرحاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا علي لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح..الخبر. وقال العوني:

غزوة ذات السلاسل

من ذا سواه إذا تشاجرت القنا وأبى الكماة الكر والإقداما

وتصلصلت حلق الحديد وأظهرت فرسانها التصحاح والإحجاما

ورأيت من تحت العجاج لنقعها فوق المغافر والوجوه قتاما

كشف الإله بسيفه وبرأيه يظمى الجواد ويروي الصمصاما

ووزيره جبريل يقحمه الوغى طوعا وميكال الوغى إقحاما

وقال الحميري:

وفي ذات السلاسل من سليم غداة أتاهم الموت المبير
وقد هزموا أبا حفص وعمراً وصاحبه مراراً فاستطيروا
وقد قتلوا من الأنصار رهطاً فحل النذر أو وجبت نذور
أذادَ الموت مشيحة ضخاماً جحاجحة يسد بها الثغور».

ورواه في الخرائج: ١٦٧/١، وفيه: «وكان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم واستعدادهم، فلما خرج علي ترك الجادة وأخذ بالسرية في الأودية بين الجبال. فلما رأى عمرو بن العاص قد فعل علي ذلك علم أنه سيظفر بهم فحسده، فقال لأبي بكر وعمر ووجوه السرية: إن علياً رجل غِرٌّ لاخبرة له بهذه المسالك، ونحن أعرف بها منه، وهذا الطريق الذي توجه فيه كثير السباع، وسيلقى الناس من معرتها أشد ما يحاذرونه من العدو فاسألوه أن يرجع عنه إلى الجادة!

فعرفوا أمير المؤمنين عليه السلام ذلك، قال: من كان طائعاً لله ولرسوله منكم فليتبعني ومن أراد الخلاف على الله ورسوله فلينصرف عني. فسكتوا وساروا معه، فكان يسير بهم بين الجبال بالليل ويكمن في الأودية بالنهار، وصارت السباع التي فيها كالسنانير، إلى أن كبس المشركين وهم غارُّونَ آمنون وقت الصبح، فظفر بالرجال والذراري والأموال فحاز ذلك كله، وشد الرجال في الحبال كالسلاسل فلذلك سميت غزاة ذات السلاسل.

فلما كانت الصبيحة التي أغار فيها أمير المؤمنين عليه السلام على العدو ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل، خرج النبي صلى الله عليه وآله وصلى بالناس الفجر وقرأ: وَالْعَادِيَاتِ.. في الركعة الأولى، وقال: هذه سورة أنزلها الله عليَّ في هذا الوقت يخبرني فيها بإغارة علي على العدو».

وقال في الإرشاد: ١١٣/١: غزوة وادي الرمل، ويقال: إنها كانت تسمى بغزوة السلسلة

وفيه/١١٦: «فقال النبي ﷺ لبعض من كان معه في الجيش: كيف رأيتم أميركم؟ قالوا: لم ننكر منه شيئاً إلا إنه لم يؤم بنا في صلاة إلا قرأ بنا فيها بقل هو الله أحد! فقال النبي ﷺ سأسأله عن ذلك، فلما جاءه قال له: لمَ لم تقرأ بهم في فرائضك إلا بسورة الإخلاص؟ فقال: يا رسول الله أحببتها. قال له النبي ﷺ: فإن الله قد أحبك كما أحببتها. ثم قال له: يا علي لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك»!

ورواها فرات في تفسيره/٥٩١، وفيه: «وما زال علي ليلته قائماً يصلي حتى إذا كان في السحر قال لهم: إركبوا بارك الله فيكم، قال: فهبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا. فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا... فقال رسول الله ﷺ: تخالط القوم ورب الكعبة».

وفي تفسير فرات/٥٩١، «وسار علي فيمن معه متوجهاً نحو العراق وظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه حتى أتاهم من الوادي، ثم جعل يسير الليل ويكمن النهار... فقتل منهم مائة وعشرين رجلاً وكان رئيس القوم الحارث بن بشر، وسبى منهم مائة وعشرين ناهداً». وتفسير القمي: ٤٣٤/٢، إعلام الورى: ٣٨٢/١ وسماها غزوة وادي الرمل. وكشف الغمة: ٢٣٠/١ وسماها غزاة السلسلة. وكذا العلامة في كشف اليقين/١٥١. وتأويل الآيات: ٨٣٩/٢ و٨٤٣، عن أبي جعفر عليه السلام...

وروى في تفسير فرات/٥٩٩، رواية مفصلة في سبب نزول سورة العاديات، خلاصتها أن أهل وادي اليابس جمعوا اثني عشر ألفاً لغزو المدينة..

وفي تأويل الآيات: ٨٤٠/٢: «وأمر عليهم أبابكر فسار إليهم، فلقيهم قريباً من الحرة وكانت أرضهم أسنة كثيرة الحجارة والشجر ببطن الوادي والمنحدر إليهم صعب، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة. فلما قدموا على النبي عقد لعمر بن الخطاب وبعثه، فكمن له بنو سليم بين الحجارة وتحت الشجر، فلما ذهب ليهبط خرجوا عليه ليلاً فهزموه حتى بلغ جنده سيف البحر

فرجع عمر منهم منهزماً. فقام عمرو بن العاص إلى رسول الله ﷺ فقال: أنا لهم يا رسول الله إبعثني إليهم. فقال له: خذ في شأنك فخرج إليهم فهزموه وقتل من أصحابه ما شاء الله. قال: ومكث رسول الله ﷺ أياماً يدعو عليهم.. قال أبو جعفر: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ شيع علياً عند مسجد الأحزاب وعلي على فرس أشقر مهلوب وهو يوصيه.. فنزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا.. قال: فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول: صبَّح عليٌّ والله جمع القوم! ثم صلى وقرأ بها، فلما كان اليوم الثالث قدم علي عليه السلام المدينة وقد قتل من القوم عشرين ومائة فارس، وسبى عشرين ومائة ناهد».

أقول: سياق هذه الغزوة كسياق محاصرة حصن خيبر الذي عجز الصحابة عن فتحه، فبعث النبي ﷺ علياً عليه السلام. وكذلك استقباله لعلي عليه السلام ومدحه له يشبه ما قاله في حقه بعد فتح خيبر. وهو يكشف عن خطورة تجمع بني سليم وهم قبيلة كبيرة ومعهم لفيف من غيرهم.

وكان وقتها بعد الحديبية وبعد مؤتة، ومع تحشيد هرقل لغزو المدينة. وقد تكون قريش أو هرقل حرَّكوا بني سليم وأمدوهم ليغزوا المدينة.

٢. ملاحظات على تحريفهم ذات السلاسل

١ - لم نجد في مصادر السلطة شيئاً عن سبب نزول سورة العاديات إلا قولهم: «بعث ﷺ خيلاً فأسهبت شهراً لم يأته منها خبر فنزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» وهذا كل ما ذكروه! أسباب النزول للواحدي/ ٣٠٥ والفائق للزمخشري: ١٧٢/٢.

ولا تعجب فغرضهم إخفاء فرار الفارين وبطولة علي عليه السلام! بل لم يهدأ بالهم حتى جعلوا العاديات الأباعر وليس الخيل! ثم رووه عن علي عليه السلام!

قال ابن حجر في فتح الباري: ٥٥٩/٨: «وعند البزار والحاكم من حديث ابن عباس قال بعث رسول الله ﷺ خيلاً فلبثت شهراً لا يأتيه خبرها فنزلت: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا، ضبحت بأرجلها، فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا: قدحت الحجارة فأورت بحوافرها. فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا: صبحت القوم بغارة، فأَثَرْنَ به نَقْعاً: التراب. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا: صبحت القوم

جميعاً. وفي إسناده ضعف، وهو مخالف لما روى ابن مردويه بإسناد أحسن منه! عن ابن عباس قال: سألني رجل عن العاديات فقلت: الخيل، قال فذهب إلى علي فسأله فأخبره بما قلت، فدعاني فقال لي: إنما العاديات الإبل من عرفة إلى مزدلفة.. الخ»!

وفي تفسير القرطبي: ١٥٥/٢٠، أن ابن عباس تاب رجع عن قوله بأنها الخيل إلى قول علي عليه السلام بأنها الإبل! وفرح ابن حجر بذلك كبقية علماء السلطة، لأنه يغطي غزوة ذات السلاسل ويجعل للإبل حوافر توري بها الصوان قدحاً!

٢- «تقع ذات السلاسل من جهة مكة والبحر، ومسافتها عن المدينة خمس مراحل أي خمسة أيام في المتوسط، وكان لبني سليم جواسيس في المدينة فاتجه علي عليه السلام أولاً نحو العراق ليخدع جواسيس بني سُليم بأنه متجه إلى العراق لا إليهم، فهم إذن من الجهة المخالفة للعراق أي جهة مكة. وفي رواية: «فهزموه حتى بلغ جنده سيف البحر فرجع عمر منهم منهزماً». «تأويل الآيات: ٨٤٠/٢». ومعناه أنها في جهة البحر الأحمر، ويظهر أنها جبال رضوى وهي منازل بني سليم، «معجم البلدان: ١٨١/٣». وقد سمتها بعض رواياتها غزوة بني سليم، **قال في كشف الغمة**: ٢٣٢/١: «نزلت في حق علي عليه السلام وانتصاره على بني سليم».

غزوة ذات السلاسل

بينما جعلتها الحكومات بلاد بلي وعذرة التي تقع في أرض الشام قريب تبوك، وجعلها بعضها في الكاظمة قرب البصرة. أي من الجهة المخالفة جغرافياً.

ويوجد ذات السلاسل قرب كاظمة كما في مكتبة الخرائط:

22http: //sirah.al-islam.com/map-pic.asp?f=mapa

وهو إسم لمنطقة بعد وادي القرى من جهة الشام، بينها وبين المدينة عشرة أيام كما «في الطبقات: ١٣١/٢». وسميت بذلك لأن جبالها متموجة كالسلاسل.

٣- لاتجد في غزوة ذات السلاسل الحكومية أسماء قتلى ولا وصف قتال! بل تهافتاً في الهدف والنتيجة والأحداث! فهي تقول مرة إن النبي صلى الله عليه وآله بعث ابن

العاص في مئتي فارس إلى أخواله عشيرة أمه النابغة ليدعوهم إلى الإسلام أو يقاتلهم! وأن جمع العدو كان كثيراً فبعث ابن العاص إلى النبي ﷺ يطلب مدداً فأمده بأبي عبيدة في ثلاث مئة فيهم أبو بكر وعمر! واختلفوا مع ابن العاص لكنهم أطاعوه، ثم لا تذكر أحداثاً مع عدو ولا معركة! ومع ذلك تقول إن ابن العاص دوخ القبائل، ورجع!

قال ابن هشام: ١٠٤٠/٤: «وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بلي وعذرة، وكان من حديثه أن رسول الله ﷺ بعثه يستنفر العرب إلى الشام.

وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلي، فبعثه رسول الله اليهم يستألفهم لذلك، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل، فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه رسول الله أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا. فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه قال له عمرو: إنما جئت مدداً لي، قال أبو عبيدة: لا، ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه، وكان أبو عبيدة رجلاً ليناً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لي، فقال أبو عبيدة: يا عمرو، إن رسول الله ﷺ قال لي: لاتختلفا وإنك إن عصيتني أطعتك، قال: فإني الأمير عليك وأنت مدد لي، قال فدونك، فصلى عمرو بالناس..».

ونحوه الطبري: ٣١٥/٢، وذكر أن عدد سرية عمرو كان ثلاث مئة، وقال: «فكان جميعهم خمس مائة». **ولم يذكر ابن هشام ولا ابن إسحاق ولا الطبري نتيجة هذه الغزوة أو السرية لأنها من أصلها مكذوبة ولا نتيجة ملموسة لها!**

وتضحك من كلام ابن سعد في الطبقات: ١٣١/٢، **قال**: «كان عمرو يصلي بالناس، وسار حتى وطأ بلاد بلي ودوخها، حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا. ثم قفل»!

٤. وذكر رواة السلطة أنها كانت في الشتاء فقد أراد عمر أن يشعل ناراً فنهاه ابن العاص، فكلمه أبو بكر وتصايحا فلم يقبل، وقال من أشعل ناراً ألقيته فيها!

بينما نزلت سورة العاديات في الخيل التي أثارت بحوافرها النقع أي الغبار.

٥. في رواية الحكومة أن ابن العاص ذبح بعيراً لآخرين وسلخه وأخذ أجرته من لحمه فأطعمهم، ولما عرف أبو بكر أنه أجرة ذبحه تقيأ ما أكله لأنه حرام! ورووا فيها أن رجلاً إسمه رافع بن عمرو رافق أبابكر فيها فقال له: عظني، فوعظه بما وعظه به النبي ﷺ أن يبتعد عن الإمارة كل عمره! ولما سمع ذلك الرجل بأن أبابكر صار خليفة جاء اليه وذكّره بما قاله فقال له: أجبروني على الخلافة، لأنهم خافوا على المسلمين الفرقة! تاريخ دمشق: ١٠/١٨ وابن هشام: ١٠٤/٤.

وهذا يدل على أنهم كانوا في سرية صغيرة غير ذات السلاسل فجعلوها هي.

الفصل الثاني والستون

غزوة فتح مكة

١- قريش تنقض معاهدة الحديبية

كان بنود المعاهدة: حرية المسلمين في مكة، وحرية قبائل العرب أن تتحالف مع النبيﷺ أو قريش، ووضع الحرب بينهما عشر سنين. وعدم مساعدة المعتدي على أحد الطرفين. وإرجاع النبيﷺ من يأتيه مسلماً منهم. «فلما كتبوا الكتاب قامت خزاعة فقالت: نحن في عهد محمد رسول الله وعقده وقامت بنو بكر فقالت: نحن في عهد قريش وعقدها». القمي: ٣١٠/٢.

وبذلك جددت خزاعة وكنانة حلف المطيبين بين عبدالمطلب وحلفائه من قريش وخزاعة، وحلف لعقة الدم بين أمية وحلفائهم من قريش وكنانة!

قال اليعقوبي: ٢٤٨/١: «ولما رأت قريش أن عبدالمطلب قد حاز الفخر، طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزُّوا، وكان أول من طلب ذلك بنو عبدالدار لما رأت حال عبدالمطلب، فمشت بنو عبدالدار إلى بني سهم فقالوا: إمنعونا من بني عبدمناف.. فتطيب بنو عبدمناف، وأسد، وزهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، فسموا حلف المطيبين. فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرةً وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعق منه فهو منا! فأدخلت أيديها بنو سهم وبنو عبدالدار وبنو جمح وبنو عدي وبنو مخزوم، فسموا اللعقة. وكان تحالف المطيبين ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً. وقالت اللعقة: قد أعتدنا لكل قبيلةٍ قبيلة».

وبعد توقيع معاهدة الحديبية جاءت خزاعة للنبيﷺ بكتاب حلفها مع جده عبدالمطلبؑ فأكده. ونصه كما في **أنساب الأشراف للبلاذري**/٤٦: «باسمك اللهم، هذا ما

تحالف عليه عبدالمطلب بن هاشم، ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك ابني أفصى بن حارثة، تحالفوا على التناصر والمؤاساة ما بلَّ بحر صوفة، حلفاً جامعاً غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ، والأصاغر على الأصاغر، والشاهد على الغائب. وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد، لا ينقض ولا ينكث، ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير، وما قام الأخشبان، وعمر بمكة إنسان، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شداً، وظلام الليل سداً. وإن عبدالمطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النضر بن كنانة، ورجال خزاعة، متكافئون متضافرون متعاونون. فعلى عبدالمطلب النصرة لهم ممن تابعه على كل طالب وتر، في بر أو بحر أو سهل أو وعر. وعلى خزاعة النصرة لعبدالمطلب وولده ومن معهم على جميع العرب، في شرق أو غرب، أو حزن أو سهب. وجعلوا الله على ذلك كفيلا، وكفى به حميلاً. هذا حلف عبدالمطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأي، غائبهم مقر بما قضى عليهم شاهدهم، أن بيننا وبينك عهود الله وعقوده ما لا ينسى أبداً ولا يأتي بلداً، اليد واحدة، والنصر واحد ما أشرف ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفه، لا يزداد فيها بيننا وبينكم إلا تجدداً أبداً أبد الدهر سرمد».

غزوة فتح مكة

جاءت به خزاعة للنبي ﷺ «فقرأه عليه أبي بن كعب فقال: ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف، فكل حلف كان في الجاهلية، فلا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام». مكاتيب الرسول: ٢٣٤/٣.

وكانوا أخوال بني هاشم، فأم وهب والد آمنة خزاعية، وأم عبدمناف خزاعية وأم لؤي خزاعية. وكانوا يتعاطفون مع النبي ﷺ وينصحون له ويخبرونه أخبار قريش، وعرفوا بأنهم: «عَيْبَة نصح رسول الله ﷺ». مكاتيب الرسول: ١٣٣/٣. وعيبة النصح تشبيه للمملوء نصحاً بصرة الثياب المملوءة.

أما كنانة فكانت مع مشركي قريش كخزاعة مع بني هاشم، وكان بينها وبين خزاعة عداوة وثارات فقامت كنانة بعملية مباغتة تشبه المجزرة، فهاجمت بيوت

خزاعة خارج الحرم وداخله وقتلت منهم أكثر من عشرين رجالاً ونساء وأطفالاً وساعدتها قريش بالسلاح وبمقاتلين ملثمين، فنقضت بذلك معاهدة الحديبية! وكانت الشرارة أن كنانياً هجا النبي ﷺ فضربه خزاعي. إعلام الورى: ٢١٥/١.

وقَبِلَ الجميع رواية الواقدي/٤٦٩، وخلاصتها: «أنس بن زنيم الديلي هجا رسول الله ﷺ فسمعه غلامٌ من خزاعة فوقع به فشجه، فخرج إلى قومه فأراهم شجته، فثار الشر، مع ما كان بينهم.. فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهراً من صلح الحديبية، تكلمت بنو نفاثة من بني بكر أشراف قريش..أن يعينوا بالرجال والسلاح على عدوهم من خزاعة، وذكروهم القتلى الذين أصابت خزاعة لهم.. فوجدوا القوم إلى ذلك سراعاً، إلا أبا سفيان لم يشاور في ذلك ولم يعلم، ويقال إنهم ذاكروه فأبى عليهم..فأعانوهم بالسلاح والكراع والرجال، ودسوا ذلك سراً لئلا تحذر خزاعة.. ثم اتعدت قريش الوتير موضعاً بمن معها فوافوا للميعاد، فيهم رجالٌ من قريش من كبارهم متنكرون متنقبون: صفوان بن أمية، ومكرز بن حفص بن الأخيف، وحويطب بن عبد العزى، وأجلبوا معهم أرقاءهم ورأس بني بكر نوفل بن معاوية الدؤلي، فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارُّون آمنون من عدوهم، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم فقالوا: يا نوفل إلهك إلهك، قد دخلت الحرم! قال: لا إله لي اليوم! يا بني بكر، قد كنتم تسرقون الحاج، أفلا تدركون ثأركم من عدوكم! فلما انتهت خزاعة إلى الحرم دخلت دار بديل بن ورقاء، ودخلت رؤساء قريش في منازلهم وهم يظنون ألا يعرفوا وألا يبلغ هذا محمداً!

وجاء الحارث بن هشام، وابن أبي ربيعة، إلى صفوان بن أمية، وإلى سهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، فلاموهم فيما صنعوا من عونهم بني بكر وأن بينكم وبين محمد مدة وهذا نقضٌ لها! ومشيا إلى أبي سفيان فقالا: والله لئن لم يصلح هذا الأمر لايروعكم إلا محمد في أصحابه! فقال: لا والله ما شوورت ولا هويت حيث بلغني! والله ليغزونا محمدٌ إن صدقني ظني وهو صادقي. وما لي بدٌّ أن آتي محمداً فأكلمه أن يزيد في الهدنة ويجدد العهد قبل أن يبلغه هذا الأمر. فقالت قريش: قد والله أصبت

الرأي! وندمت قريش على ما صنعت، فخرج أبوسفيان وخرج معه مولىً له على راحلتين فأسرع السير وهو يرى أنه أول من خرج من مكة إلى رسول الله. وقدم ركب خزاعة على رسول الله ﷺ فأخبره بمن قتل منهم، قال رسول الله: فمن تُهمتكم وظِنَّتكم؟ قالوا: بنو بكر. قال: كلها؟ قالوا: لا ولكن تهمتنا بنو نفاثة قَصْرةً «كلهم» ورأس القوم نوفل بن معاوية النفاثي.

قال ﷺ: هذا بطنٌ من بني بكر، وأنا باعثٌ إلى أهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ومخيرهم في خصال. فبعث إليهم ضمرة يخيرهم بين إحدى ثلاث خلال: بين أن يَدُوا خزاعة، أو يبرؤوا من حلف نفاثة، أو ينبذ إليهم على سواء.

فقال قرطة بن عبد عمرو: لا والله لا يودون، ولا نبرأ من حلف نفاثة بن الغوث وهم بناء وأعمدة لشدتنا، ولكن ننبذ إليه على سواء! فأخذ رسول الله ﷺ بالأنقاب وعمَّى عليهم الأخبار، حتى دخلها فجاءةً!

وقال رسول الله ﷺ: قد حرت في أمر خزاعة! فقالت عائشة: يا رسول الله أترى قريشاً تجترئ على نقض العهد بينكم وبينهم، وقد أفناهم السيف؟

فقال رسول الله ﷺ: ينقضون العهد لأمرٍ يريده الله تعالى بهم. قالت عائشة: خيرٌ أو شرٌّ يا رسول الله؟ قال: خيرٌ»!

وإذا صح قوله ﷺ «حِرْتُ في أمر خزاعة» فمعناه: همَّني ذلك، وليس التحير في تفسيره أو فيما يعمل. ولعله ﷺ قاله ليحير قريشاً، فلا تدري ماذا ينوي.

٢- خزاعة تطالب النبي ﷺ بنصرتها وفاءً بحلفهم

قال في الصحيح من السيرة: ٦٤/٢١ ملخصاً: «ذكر المؤرخون قدوم بديل بن ورقاء على رسول الله ﷺ ليخبره بالمجزرة التي ارتكبتها كنانة وقريش في بيته وعلى باب داره، في حق رجال وصبيان ونساء، وذكروا أيضاً لقاءه أبا سفيان في عسفان حين كان أبوسفيان متوجهاً إلى المدينة، وبديل عائد منها.

وكانت مبادرة بديل بن ورقاء محاطة منه وممن معه بسرية تامة.. ولذلك لم يستطع أبوسفيان معرفة حقيقة الأمر، فسكت عليه. كما قدم عمرو بن سالم

الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة يستنصرون رسول الله ﷺ وأخبروه بالخبر، فلما فرغوا من قصتهم، قام عمرو بن سالم، فقال:

يا رب إني ناشدٌ محمدا حِلْفَ أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتمُ ولداً وكنا والدا ثَمَّتَ أسلمنا فلم ننزعْ يدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقَك المؤكدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا هم أذلُّ وأقلُّ عددا
هم بيَّتونا بالوتير هُجَّدا وقتلونا رُكَّعاً وسُجَّدا
وجعلوا لي في كداء رصدا فانصر رسول الله نصراً أيدا
وادعُ عباد الله يأتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا
إن سِيمَ خسفاً وجهُهُ تربَّدا في فيلق كالبحر يجري مُزبدا

قرمٌ لقرم من قروم أصيدا

فقال رسول الله ﷺ: حسبك يا عمرو، ودمعت عيناه. أو قال: نُصرت ياعمرو بن سالم. فلما فرغ الركب قالوا: يا رسول الله، إن أنس بن زنيم الديلي قد هجاك فهدر رسول الله دمه! فبلغ أنس بن زنيم ذلك، فقدم على رسول الله ﷺ معتذراً عما بلغه فقال قصيدة منها:

فما حملت من ناقة فوق رحلها أبرُّوأوفى ذمة من محمد

وبلغت رسول الله قصيدته واعتذاره، وكلم نوفل بن معاوية الديلي النبي ﷺ فيه فقال له: أنت أولى الناس بالعفو، ومن منا لم يعادك ولم يؤذك؟ ونحن في جاهلية لا ندري ما نأخذ وما ندع، حتى هدانا الله بك من الهلكة، وقد كذب عليه الركب وكثَّروا عندك! فقال ﷺ: دع الركب فإنَّا لم نجد بتهامة أحداً من ذي رحم ولا بعيداً كان أبرَّ بنا من خزاعة، فأسكت نوفل بن معاوية!

فلما سكت قال رسول الله ﷺ: قد عفوت عنه. فقال نوفل: فداك أبي وأمي.

وقالوا إن رسول الله ﷺ قال لعمرو بن سالم وأصحابه: إرجعوا وتفرقوا في الأودية،

مخافة اكتشاف قريش لهم وانتقامها منهم فرجعوا وتفرقوا، وذهبت فرقة إلى الساحل بعارض الطريق، ولزم بديل بن ورقاء في نفر من قومه الطريق».

٣- أحست قريش بجريمتها فحاولت أن تسترضي النبي صلى الله عليه وآله

قال المفيد رحمه الله في الإرشاد: ١٣٢/١: «ولما دخل أبو سفيان المدينة لتجديد العهد بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين قريش، عندما كان من بني بكر في خزاعة وقتلهم من قتلوا منها، فقصد أبو سفيان ليتلافى الفارط من القوم، وقد خاف من نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله لهم، وأشفق مما حل بهم يوم الفتح، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وكلمه في ذلك فلم يرد عليه جواباً، فقام من عنده فلقيه أبو بكر فتشبث به وظن أنه يوصله إلى بغيته من النبي صلى الله عليه وآله فسأله كلامه له فقال: ما أنا بفاعل، لعلم أبي بكر بأن سؤاله في ذلك لا يغني شيئاً، فظن أبو سفيان بعمر بن الخطاب ما ظنه بأبي بكر فكلمه في ذلك فدفعه بغلظة وفظاظة، كادت أن تفسد الرأي على النبي صلى الله عليه وآله.

فعدل إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له وعنده فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال له: يا علي، إنك أمسُّ القوم بي رحماً وأقربهم مني قرابة، وقد جئتك فلا أرجعن كما جئت خائباً! إشفع لي إلى رسول الله فيما قصدته. فقال له: ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه! فالتفت أبو سفيان إلى فاطمة عليها السلام فقال لها: يا بنت محمد، هل لك أن تأمري ابنيك أن يجيرا بين الناس فيكونا سيدي العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت: ما بلغ بنياي أن يجيرا بين الناس، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وآله.

فتحير أبو سفيان وسقط في يده، ثم أقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا الحسن، أرى الأمور قد التبست عليَّ فانصح لي. فقال له أمير المؤمنين: ما أرى شيئاً يغني عنك، ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك. قال: فترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟ قال: لا والله لا أظن، ولكني لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره فانطلق!

فلما قدم على قريش قالوا: ما وراءك؟ قال: جئت محمداً فكلمته فوالله ما رد علي شيئاً، ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيراً، ثم لقيت ابن الخطاب فوجدته فظاً غليظاً لا خير فيه، ثم أتيت علياً فوجدته ألين القوم لي، وقد أشار في بشئ فصنعته، والله ما أدري يغني عني شيئاً أم لا، فقالوا: بمَ أمرك؟ قال: أمرني أن أجير بين الناس ففعلت. فقالوا له: فهل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا. قالوا: ويلك والله ما زاد الرجل على أن لعب بك، فما يغني عنك؟

قال أبوسفيان: لا والله ما وجدت غير ذلك».

ونحوه في مغازي الواقدي/٤٧٥، وفيه: «فقام بين ظهري الناس فصاح: ألا إني قد أجرت بين الناس ولا أظن محمداً يخفرني! ثم دخل على النبي فقال: يا محمد ما أظن أن ترد جواري! فقال النبي ﷺ: أنت تقول ذاك يا أبا سفيان. لم يزد على ذلك»!

يبقى سؤال: كيف دخل أبوسفيان إلى المدينة، وهو رأس الأحزاب وإمام أئمة الكفر؟ والجواب: أن الهدنة كانت نوعاً من الأمان تسمح بالذهاب والمجئ بين المسلمين والقرشيين، ولا بد أنه أرسل إلى النبي ﷺ يستأذن في المجئ.

٤- النبي ﷺ يتجهز لغزو مكة ويخفي مقصده

قرر النبي ﷺ غزو مكة وفتحها، وأراد أن يكون ذلك مفاجأةً لقريش، ولذلك دعا الله تعالى: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نَبْغَتَهَا في بلادها». مناقب آل أبي طالب: ١/١٧٧ وابن هشام: ٤/٨٥٧.

لكن كيف يمكن تجهيز جيش من ألوف والمسير به إلى مكة بدون أن تشعر قريش؟ هنا كان الإعجاز، مضافاً إلى ما قام النبي ﷺ وهو ما يلي:

١- حرص أن لايقول كلاماً يفهم منه العفو عن قريش، وفي نفس الوقت أن لا يصرح بأنه سيغزوهم بسبب نقضهم للعهد!

٢- سكت ﷺ عن الأمر فترة: «مكث بعد خروج أبي سفيان ما شاء الله أن يمكث، ثم قال لعائشة: جهزينا وأخفي أمرك». الصحيح من السيرة: ٢١/١٣٩.

٣- ثم أصدر أمره بالتجهز للغزو ولم يفصح إلى أين: «وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله ﷺ فقال: أي بنية أأمركم رسول الله ﷺ أن تجهزوه؟ قالت: نعم فتجهز، قال: فأين ترينه يريد؟ قالت: لا والله ما أدري». ابن هشام: ٨٥٧/٤.

٤- أرسل إلى القبائل أن يوافوه في شهر رمضان للذهاب في غزوة ولم يخبرهم أين: «ودعا رئيس كل قوم، فأمره أن يأتي قومه فيستنفرهم». إعلام الورى: ٢١٩/١.

٥- وأمر بضبط الداخل إلى المدينة والخارج منها: «وضع حرساً على المدينة، وكان على الحرس حارثة بن النعمان». إعلام الورى: ٢١٦/١.

ولكن ذلك لم يكن كافياً بسبب فعالية قريش، وكثرة المنافقين المرتبطين بها، ولذلك احتاج الأمر إلى تدخل جبرئيل عليه السلام.

٥- الوَحْيُ يكشف خيانة بعض الصحابة

في تفسير القمي: ٣٦١/٢: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ.. نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، ولفظ الآية عام ومعناها خاص. وكان سبب ذلك أن حاطب بن أبي بلتعة كان قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وكان عياله بمكة، وكانت قريش تخاف أن يغزوهم رسول الله ﷺ فصاروا إلى عيال حاطب وسألوهم أن يكتبوا إلى حاطب يسألوه عن خبر رسول الله ﷺ وهل يريد أن يغزو مكة؟ فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك، فكتب إليهم حاطب إن رسول الله يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى صفية، فوضعته في قرنها ومرَّت، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام والزبير بن العوام في طلبها فلحقوها فقال لها أمير المؤمنين: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي! ففتشوها فلم يجدوا معها شيئاً، فقال الزبير: ما نرى معها شيئاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما كذَبَنا رسول الله ﷺ ولا كذَبَ رسول الله ﷺ على جبرئيل، ولا كذب جبرئيل على الله جل ثناؤه! والله لتظهرن لي الكتاب أو

لأوردن رأسك إلى رسول الله ﷺ! فقالت: تنحيا حتى أخرجه فأخرجت الكتاب من قرنها، فأخذه أمير المؤمنين وجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: يا حاطب ما هذا؟ فقال حاطب: والله يا رسول الله ما نافقت ولا غيرت ولا بدلت، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقاً، ولكن أهلي وعيالي كتبوا إليّ بحسن صنيع قريش إليهم، فأحببت أن أجازي قريشاً بحسن معاشرتهم! فأنزل الله جل ثناؤه على رسول الله ﷺ: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاتَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ... إلى آخر سورة الممتحنة.

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام: فإن الله أمر نبيه والمؤمنين بالبراءة من قومهم ما داموا كفاراً فقال: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ.. إلى قوله: وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. قطع الله عز وجل ولاية المؤمنين منهم وأظهروا لهم العداوة فقال: عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً. فلما أسلم أهل مكة خالطهم أصحاب رسول الله ﷺ وناكحوهم».

وفي الإرشاد: ٥٦/١: «فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بعزيمة رسول الله ﷺ على فتحها، وأعطى الكتاب امرأة سوداء كانت وردت المدينة تستميح بها الناس وتستبرهم، وجعل لها جعلاً على أن توصله إلى قوم سماهم لها من أهل مكة، وأمرها أن تأخذ على غير الطريق. إلى أن قال: فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وصار به إلى رسول الله ﷺ فأمر أن ينادي بالصلاة جامعة، فنودي في الناس فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم، ثم صعد رسول الله ﷺ المنبر وأخذ الكتب بيده وقال: أيها الناس، إني كنت سألت الله عز وجل أن يخفي أخبارنا عن قريش، وإن رجلاً منكم كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي! فلم يقم أحد فأعاد رسول الله ﷺ مقالته ثانية، وقال: ليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي! فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف، فقال: يا رسول الله أنا صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكاً بعد يقيني. فقال له النبي ﷺ: فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب؟ فقال: يا رسول الله إن لي أهلاً بمكة وليس

لي بها عشيرة، فأشفقت أن تكون الدائرة لهم علينا فيكون كتابي هذا كفاً لهم عن أهلي ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك لشك في الدين. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله مرني بقتله فإنه قد نافق! فقال النبي ﷺ: إنه من أهل بدر ولعل الله تعالى اطلع عليهم فغفر لهم، أخرجوه من المسجد. قال: فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه، وهو يلتفت إلى النبي ﷺ ليرق عليه، فأمر النبي برده وقال له: قد عفوت عنك وعن جرمك، فاستغفر ربك ولا تعد لمثل ما جنيت»!

وفي المسترشد للطبري الشيعي/٥٤٠، أن النبي ﷺ قال لعمر: «أتريد يا عمر أن تقول العرب إن محمداً يقتل أصحابه»؟!

أقول: تقدم أن ابن بلتعة كان مبعوث النبي ﷺ إلى المقوقس، وكان تاجراً له معرفة بمصر، وكان يمانياً من لخم، متحالفاً مع بني أسد عبدالعزى القرشيين.

وفي المبسوط للطوسي: ١٥/٢: «وإذا تجسس مسلم لأهل الحرب..وللإمام أن يعفو عنه، وله أن يعزره لأن النبي ﷺ عفا عن حاطب».

ورووا أن النبي ﷺ قال لعمر: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر، فقال إعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»! **ابن هشام:** ٨٥٨/٤.

كما روت مصادرنا عن علي عليه السلام ذماً لابن بلتعة. تأويل الآيات: ٤٦٥/٢ **والجمل/٢٠٨.**

وذكر الثعلبي في تفسيره: ٢٩١/٩، «أن النبي ﷺ كان سأل سارة السوداء التي حملت الكتاب: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهبت مواليَّ واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، فقال لها: فأين أنت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة! قالت: ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر! فحث رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب وبني المطلب، فكسوها وأعطوها نفقة».

كما روت مصادر السلطة أن أبابكر حاول أن يعرف قصد النبي ﷺ وهل يقصد غزو قريش أو غيرها، وسأل النبي ﷺ وألحَّ بالسؤال.

وروى الواقدي: ٧٩٦/٢ **والمقريزي في الإمتاع:** ٣٥٢/١ أن أبابكر سأل النبي ﷺ:

غـزوة فتـح مكيـة

«يا رسول الله أردت سفراً؟ قال رسول الله: نعم. قال: أفأتجهز؟ قال: نعم. قال أبو بكر: وأين تريد يا رسول الله؟ قال: قريشاً وأخفِ ذلك يا أبابكر! وأمر رسول الله بالجهاز قال: أوليس بيننا وبينهم مدةٌ قال: إنهم غدروا ونقضوا العهد فأنا غازيهم. وقال لأبي بكر: إطو ما ذكرت لك! فظانٌّ يظن أن رسول الله يريد الشام وظانٌّ يظن ثقيفاً وظانٌّ يظن هوازن».

وقال صاحب الصحيح: ١٢٩/٢١ إن أبابكر وعائشة عرفا قصد النبي ﷺ وأفشيا سره، لكن خيانة حاطب بن أبي بلتعة متفق عليها!

أما خيانة غيره، فإن صحت، فقد عولجت وبقيت مخفية.

٦- جاءت القبائل إلى المدينة وتحرك النبي ﷺ إلى مكة

سبب توافد القبائل إلى النبي ﷺ أنهم أحسوا بعد انتصاراته ﷺ وصلح الحديبية أن ميزان القوة تحول إلى جانبه، فأخذوا يدخلون في الإسلام أو يتقربون اليه، ويطمعون أن يشاركوه في حروبه لينالوا من الغنائم!

وخرج النبي ﷺ بالناس ولم يعلن عن مقصده: «ولما انتهى إلى قُدَيد قيل له: يا رسول الله هل لك في بيض النساء وأدم الإبل، بني مدلج؟ فقال ﷺ إن الله عز وجل حرَّمهن عليَّ بصلة الرحم». الصحيح: ٢٣٣/٢١.

أقول: بنو مدلج عند ينبع، عشيرة من بني كنانة، وكان النبي ﷺ غزاهم في ذات العشيرة، وكتب معهم صلحاً أن يكونوا حياديين. وقد مدح نساءهم بصلة الرحم. وعرف بنو مدلج بأن فيهم خبراء في القيافة.

قال في الصحيح من السيرة: ٢١٥/٢١ **ملخصاً**: «خرج النبي ﷺ في المهاجرين والأنصار وطوائف من العرب وقادوا الخيل وامتطوا الإبل، وقدَّم أمامه جريدة من الخيل الزبير بن العوام في مائة فارس.. ولما بلغ قديداً لقيته سُليم هناك فعقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل. وقبل أن يصل النبي ﷺ إلى مكة وجد عيناً لهوازن، فاعترف أنهم يجمعون جيشاً لحربه فأمر بحبسه، فظن الظانون أنه يقصد هوازن. وجاءه عيينة بن حصن رئيس بني فزارة لأنه سمع وهو بنجد أن النبي ﷺ قاصد وجهاً وأن العرب تجتمع اليه، فوصل

اليه وهو في الطريق في القديد، فسأله عن مقصده فأجابه: إلى حيث يشاء الله!

وقد بالغوا في عدد جيش النبيﷺ فقالوا كان عشرة آلاف، وقد يكون جيشه بلغ ستة آلاف. وقال بعضهم كان الأنصار أربعة آلاف معهم خمس مائة فرس، ومزينة ألفاً وفيها مائة فرس، وأسلم أربع مائة معها ثلاثون فرساً، وجهينة ثمان مائة معها خمسون فرساً، وبني سليم سبع مائة، وغفار أربع مائة، وأسلم أربع مائة، وطوائف من العرب من تميم وقيس وأسد.» راجع: الصحيح: ٢١/٢٣٠.

٧- فاجأ النبي ﷺ قريشاً وعسكر قرب مكة

عسكر النبيﷺ بجيشه في «مَرّ الظهران» وهو قرب عرفات، وكان ذلك مفاجأة لقريش، فأسقط في يد زعمائها لأنهم لا يريدون الخضوع له، ولا طاقة لهم بحربه! فسارع أبوسفيان بالذهاب إلى النبيﷺ ليتفاوض معه.

قال في إعلام الورى: ١/٢١٨: «سار حتى نزل مرَّ الظهران ومعه نحو من عشرة آلاف رجل ونحو من أربعمائة فارس، وقد عميت الأخبار من قريش، فخرج في تلك الليالي أبوسفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء هل يسمعون خبراً، وقد كان العباس بن عبدالمطلب خرج يتلقى رسول اللهﷺ ومعه أبوسفيان بن الحارث «ابن عم النبيﷺ» وعبدالله بن أبي أمية «أخ أم سلمة» وقد تلقاه بنيق العقاب، ورسول اللهﷺ في قبته وعلى حرسه يومئذ زياد بن أسيد، فاستقبلهم زياد فقال: أما أنت يا أبا الفضل فامض إلى القبة، وأما أنتما فارجعا. فمضى العباس حتى دخل على رسول اللهﷺ فسلم عليه وقال: بأبي أنت وأمي هذا ابن عمك قد جاء تائباً وابن عمتك. قال: لا حاجة لي فيهما إن ابن عمي انتهك عرضي، وأما ابن عمتي فهو الذي يقول بمكة: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا. فلما خرج العباس كلمته أم سلمة وقالت: بأبي أنت وأمي ابن عمك قد جاء تائباً لا يكون أشقى الناس بك، وأخي ابن عمتك وصهرك فلا يكونن شقياً بك! ونادى أبوسفيان بن الحارث النبيﷺ: كن لنا كما قال العبد الصالح: لاتَثْرِيبَ عَلَيْكم! فدعاه وقبل منه، ودعا عبدالله بن أبي أمية، فقبل منه.

وقال العباس: هو والله هلاك قريش إلى آخر الدهر إن دخلها رسول الله ﷺ عُنْوَةً قال: فركبت بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وخرجت أطلب الحطَّابة أو صاحب لبَن لعلي آمره أن يأتي قريشاً فيركبون إلى رسول الله ﷺ يستأمنون إليه، إذ لقيت أبا سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزام، وأبوسفيان يقول لبديل: ما هذه النيران؟ قال: هذه خزاعة. قال: خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانهم! ولكن لعل هذه تميم أو ربيعة! قال العباس: فعرف صوت أبي سفيان، فقلت: أبا حنظلة؟ قال: لبيك فمن أنت؟ قلت: أنا العباس، قال: فما هذه النيران فداك أبي وأمي قلت: هذا رسول الله ﷺ في عشرة آلاف من المسلمين قال: فما الحيلة؟ قال: تركب في عجز هذه البغلة، فأستأمن لك رسول الله ﷺ. قال: فأردفته خلفي ثم جئت به، فكلما انتهيت إلى نار قاموا إليَّ فإذا رأوني قالوا: هذا عم رسول الله خلوا سبيله، حتى انتهيت إلى باب عمر فعرف أبا سفيان فقال: عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك، فركضت البغلة حتى اجتمعنا على باب القبة، ودخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: هذا أبوسفيان قد أمكنك الله منه بغير عهد ولا عقد، فدعني أضرب عنقه! قال العباس: فجلست عند رأس رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأمي أبوسفيان قد أجرته. قال: أدخله فدخل فقام بين يديه فقال: ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أكرمك وأوصلك وأحلمك، أما الله لو كان معه إله لأغنى يوم بدر ويوم أحد، وأما أنك رسول الله فوالله إن في نفسي منها لشيئاً! قال العباس: يضرب والله عنقك الساعة أو تشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله! قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، تلجلج بها فوه!

فقال أبوسفيان للعباس: فما نصنع باللات والعزى؟ فقال له عمر: إسلح عليها. فقال أبوسفيان: أفٍّ لك ما أفحشك! ما يدخلك يا عمر في كلامي وكلام ابن عمي؟! فقال له رسول الله ﷺ: عند من تكون الليلة؟ قال: عند أبي الفضل. قال: فاذهب به يا أبا الفضل فأبته عندك الليلة، واغد به عليَّ. فلما أصبح سمع بلالاً يؤذن قال: ما هذا المنادي يا أبا الفضل؟ قال: هذا مؤذن رسول الله ﷺ، قم فتوضأ وصل، قال: كيف

أتوضأ؟ فعلمه. قال: ونظر أبوسفيان إلى النبيﷺ وهو يتوضأ وأيدي المسلمين تحت شعره، فليس قطرة تصيب رجلاً منهم إلا مسح بها وجهه فقال: بالله إن رأيت كاليوم قط كسرى ولا قيصر!

فلما صلى غدا به إلى رسول اللهﷺ فقال: يا رسول الله إني أحب أن تأذن لي بالذهاب إلى قومك فأنذرهم وأدعوهم إلى الله ورسوله فأذن له، فقال العباس: كيف أقول لهم بين لي من ذلك أمراً يطمئنون إليه؟ فقالﷺ: تقول لهم: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله وكف يده، فهو آمن. ومن جلس عند الكعبة ووضع سلاحه، فهو آمن. فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فلو خصصته بمعروف؟

فقالﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قال أبوسفيان: داري؟! قال: دارك! ثم قال: من أغلق بابه فهو آمن. ولما مضى أبوسفيان قال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل من شأنه الغدر، وقد رأى من المسلمين تفرقاً. قال: فأدركه واحبسه في مضايق الوادي حتى يمر به جنود الله. قال: فلحقه العباس فقال: أبا حنظلة! قال: أغدراً يا بني هاشم؟ قال: ستعلم أن الغدر ليس من شأننا ولكن اصبر حتى تنظر إلى جنود الله..».

وفي الصحيح من السيرة: ١٧/٢٢، ملخصاً: «وأمر رسول اللهﷺ منادياً ينادي: لتصبح كل قبيلة قد أرحلت ووقفت مع صاحبها عند رايته، وتظهر ما معها من الأداة والعدة! فأصبح الناس على ظهر، وقدَّم بين يديه الكتائب. ومرت القبائل على قادتها والكتائب على راياتها، وكان أول من قدم خالد بن الوليد في بني سليم وهم ألف ومعهم لواءان وراية، فلما مروا بأبي سفيان كبروا ثلاث تكبيرات، ثم مضوا! فقال أبوسفيان: يا عباس هذا رسول الله؟ قال: لا، ولكن هذا خالد بن الوليد في المقدمة. قال: الغلام؟قال: نعم. قال: ومن معه؟ قال: بنو سليم. قال: ما لي وبني سليم!

ثم مر على أثره الزبير بن العوام في خمس مائة من المهاجرين وأفناء العرب

ومعه راية سوداء. فلما مروا بأبي سفيان كبروا ثلاثاً! فقال أبوسفيان: من هؤلاء؟ قال: هذا الزبير بن العوام. قال: ابن أختك؟ قال: نعم.

ثم مرت بنو غفار في ثلاث مائة يحمل رايتهم أبوذر، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً! فقال أبوسفيان: من هؤلاء؟ قال: بنو غفار. قال: ما لي ولبني غفار؟

ثم مرت أسلم في أربع مائة فيها لواءان، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: أسلم. قال: ما لي ولأسلم؟ ما كان بيننا وبينهم تِرَةٌ قط! قال العباس: هم قوم مسلمون دخلوا في الإسلام. ثم مرت بنو كعب بن عمرو «من خزاعة» في خمس مائة يحمل رايتهم بسر بن سفيان فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: بنو عمرو بن كعب بن عمرو إخوة أسلم. قال: نعم هؤلاء حلفاء محمد! ثم مرت مزينة في ألف فيها ثلاثة ألوية ومائة فرس، قال: من هؤلاء؟ قال العباس: مزينة. قال: ما لي ولمزينة؟ قد جاءتني تقعقع من شواهقها!

ثم مرت جهينة في ثمان مائة فيها أربعة ألوية فقال: من هؤلاء؟ قال: جهينة. قال: ما لي ولجهينة؟ ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر في مائتين، فقال: من هؤلاء؟ قال العباس: بنو بكر. قال: نعم أهل شؤم والله! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم! أما والله ما شُوورت فيهم ولا علمته، ولكنه أمر حُتِم!

ثم مرت أشجع وهم آخر من مر، وهم ثلاث مائة معهم لواءان، قال العباس: هؤلاء أشجع. قال أبوسفيان: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد! ثم قال أبوسفيان: أبعدُ ما مضى محمد؟ فقال العباس: لا، لم يمض بعد لو أتت الكتيبة التي فيها محمد رأيت فيها الحديد والخيل والرجال، وما ليس لأحد به طاقة. قال: ومن له بهؤلاء طاقة؟ حتى طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء التي فيها المهاجرون والأنصار، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية، وهم في الحديد لايرى منهم إلا الحدق، وعمر بن الخطاب يقول: رويداً حتى يلحق أولكم آخركم. فقال أبوسفيان: يا أبا الفضل من هذا المتكلم؟! قال: عمر بن الخطاب. فقال أبوسفيان: لقد أَمِرَ أَمْرُ بني عدي، بعد والله، قلة وذلة! «يقصد مشى أمرهم وصار منهم شخص مذكوراً». وأعطى رسول الله ﷺ رايته سعد بن عبادة، فلما مر براية رسول الله ﷺ نادى «سعد» أبا

سفيان فقال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تُستحَل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً».

٨- أرسل النبي ﷺ الأمان إلى أهل مكة مع أبي سفيان

«قال النبي ﷺ لأبي سفيان: تقدم إلى مكة فأعلمهم الأمان. قال العباس: فقلت لأبي سفيان: أُنج ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم رسول الله ﷺ. فخرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل مكة من كداء، فصرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، أسلموا تسلموا، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا: قاتلك الله، وما تغني دارك؟! قال: ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فقامت إليه هند بنت عتبة زوجته فأخذت بشاربه وقالت: أقتلوا الحميت الدسم الأحمس، قُبِّح من طليعة قوم! فقال أبو سفيان: ويلكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به!.. البيوت البيوت، من أغلق بابه فهو آمن، من دخل داري فهو آمن. فعرفت هند فأخذت تطردهم، فقال لها: ويلك إني رأيت ذات القرون ورأيت فارس أبناء الكرام، ورأيت ملوك كندة وفتيان حمير يسلمون آخر النهار، ويلك أسكتي، فقد والله جاء الحق ودنت البلية. فجعل الناس يقتحمون الدور ويغلقون عليهم». الصحيح: ٢٢/٥٨و٨٥.

٩- نصب النبي ﷺ خيمته عند قبر خديجة عليها السلام!

أمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام أن يدخل من كداء من أعلى مكة، وأن يغرز رايته بالحجون، أي عند قبر خديجة عليها السلام، ولا يبرح حتى يأتيه.

وأمر خالداً وكان على المجنبة اليمنى وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من العرب، أن يدخل من اللّيط موضع بأسفل مكة، وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت، وبها بنو بكر، وبنو الحارث بن عبد مناة، والأحابيش الذين استنفرتهم قريش.

وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كداء والراية مع ابنه قيس، وأمرهم أن يكفوا أيديهم، ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

وأقبل ﷺ في كتيبته الخضراء، وعليه عمامة سوداء وقد أرخى طرفها بين كتفيه وهو على ناقته القصواء، فاستشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعاً، وقد طأطأ رأسه تواضعاً لله تعالى، وهو يقرأ سورة الفتح يرجع بها صوته، ثم قال: اللهم إن العيش عيش الآخرة. ومضى ﷺ فدخل من أذاخر بأعلى مكة يوم الإثنين، وكان أبو رافع قد ضرب له قبة من أدم بالحجون، فأقبل رسول الله حتى انتهى إلى القبة، ومعه أم سلمة وميمونة زوجتاه.

وأقبل الزبير بمن معه من المسلمين حتى انتهى إلى الحجون، فغرز الراية عند منزل رسول الله ﷺ، ورووا أن لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة كان أبيض، ورايته سوداء تسمى العقاب، وكانت قطعة مرط مرجل.

وسأله أسامة: يا رسول الله أنَّى تنزل غداً، تنزل في دارك؟ قال: وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دار! وقيل للنبي ﷺ: ألا تنزل منزلك من الشعب؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ وكان عقيل قد باع منزل رسول الله ﷺ ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة، فقيل لرسول الله ﷺ: فانزل في بعض بيوت مكة غير منازلك، فأبى وقال: لا أدخل البيوت! وبقي في قبته بالحجون، وكان يأتي المسجد لكل صلاة. وقال جابر بن عبدالله: كنت ممن لزم رسول الله ﷺ فدخلت معه يوم الفتح، فلما أشرف من أذاخر ورأى بيوت مكة وقف عليها، فحمد الله وأثنى عليه. ونظر من موضع قبته فقال: هذا منزلنا يا جابر، حيث تقاسمت قريش علينا في كفرها «يشير إلى الشعب» وكنا بالأبطح وِجَاهَ «مقابل» شعب أبي طالب، حيث حصر رسول الله ﷺ وبنو هاشم ثلاث سنين». الصحيح: ٢٢/٧٧.

وقال الطبري: ٢/٣٤٢: «أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة».

١٠- قريش تسترحم النبي ﷺ بشعر ضرار بن الخطاب

خافت قريش من انتقام الأنصار منها، وكانت رايتهم كانت بيد سعد بن عبادة، فاستغاثت بالنبي ﷺ من سعد خشية أن يأخذ منهم ثار أحُد، فطمأنهم النبي ﷺ لأنه قرر أن لايسفك دماً في الحرم، إلا أربعة نفر هدر دمهم!

وفي الإرشاد: ١٣٤/١: «ولما أمر رسول الله ﷺ سعد بن عبادة بدخول مكة بالراية، غلظ على القوم وأظهر ما في نفسه من الحنق عليهم، ودخل وهو يقول: **اليوم يوم الملحمه اليوم تسبى الحرمة**، فسمعها العباس فقال للنبي ﷺ: أما تسمع يا رسول الله ما يقول سعد بن عبادة؟ إني لا آمن أن يكون له في قريش صولة!

فقال النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام أدرك يا علي سعداً فخذ الراية منه، وكن أنت الذي يدخل بها مكة، فأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فأخذها منه».

«فأخذ الراية فذهب بها إلى مكة، حتى غرزها عند الركن». الصحيح: ٢٦/٢٢.

وفي الإمتاع: ٣٨٦/٨، أن أبا سفيان شكى إلى النبي ﷺ قول سعد فقال له: «يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله قريشاً، وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه».

وقال ضرار بن الخطاب شاعر قريش أبياتاً يستعطف النبي ﷺ وأرسلوا امرأة فاعترضت طريقه وأنشدته إياها:

غزوة فتح مكة

يا نبي الهدى إليك لجا ... حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ... ض وعاداهم إلهُ السماء
والتقت حلقتا البطان على القوم ... ونودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعداً يريد قاصمة الظهر ... بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ ... رمانا بالنسر والعواء
وَغِرُ الصدر لا يهمُّ بشئ ... غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت ... عنه هندٌ بالسوءة السواء
إذ ينادي بذل حي قريش ... وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى ... يا حماة الأدبار أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز ... رج والأوس أنجم الهيجاء
لتكونن بالبطاح قريشٌ ... فقعة القاع في أكف الإماء
فانهينهُ فإنه أسد الأسد ... لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمر ... سكوتاً كالحية الصماء

١١- طاف النبي ﷺ بالبيت وحَطَّم الأصنام

دخل رسول الله ﷺ مكة وعليه السلاح، ومكث في منزله ساعة من النهار حتى اطمأن الناس، فاغتسل ثم دعا براحلته القصواء فأُدنيت إلى باب قبته، وعاد فلبس السلاح والمغفر على رأسه، وركب راحلته وقد حفَّ الناس به والخيل تجول من الخندمة إلى الحجون. فلما انتهى إلى الكعبة ومعه المسلمون، تقدَّم على راحلته واستلم الركن بمحجنه «عصاه» وكبَّر فكبَّر المسلمون بتكبيره فارتجت مكة تكبيراً حتى جعل رسول الله ﷺ يشير إليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون! وطاف رسول الله ﷺ بالبيت، وأقبل على الحجر فاستلمه ونزل عن راحلته، فأخرجوها وأناخوها بالوادي، ثم انتهى إلى المقام فصلى ركعتين، ثم انصرف إلى زمزم فاطلع فيها فنزع له الحرث بن عبدالمطلب دلواً فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم، والمشركون ينظرون إليهم ويتعجبون ويقولون: ما رأينا ملكاً قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به!

وكان حول الكعبة ثلاث مائة وستون صنماً مرصعة بالرصاص، لكل حي من أحياء العرب صنم، وكان هبل أعظمها وهو وجاهَ الكعبة، وإساف ونايلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح، فأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصى فرماها وفي يده عود، فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه ويطعن في عينه أو في بطنه ويقول: جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً، فما يشير إلى صنم إلا سقط لوجهه من غير أن يمسه! فأمر بها فأخرجت من المسجد فطرحت فكسرت.

وعن علي عليه السلام قال: انطلق رسول الله ﷺ حتى أتى بي الكعبة، فقال: أجلس فجلست بجنب الكعبة فصعد رسول الله ﷺ على منكبي فقال: إنهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال: أجلس فجلست ثم قال: يا علي، إصعد على منكبي ففعلت، فلما نهض بي خُيل إلي لو شئت نلت أفق السماء! فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله ﷺ فقال: ألق صنمهم الأكبر، فألقى الأصنام ولم يبق إلا صنم خزاعة وكان من نحاس موتد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله ﷺ: عالجه: جَاء

الحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً. فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه. فقال لي رسول الله ﷺ: إقذف بـه فقذفت به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت. ثـم إن عليـاً عليه السلام أراد أن ينزل فألقى نفسه من صوب الميزاب تأدباً وشفقة على النبي ﷺ، ولما وقع على الأرض تبسم فسأله النبي ﷺ عن تبسمه؟ فقال لأني ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع وما أصابني ألم. قال: كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبريل؟! وقال بعض الشعراء، وقد نسبه القندوزي إلى الإمام الشافعي، ونسبه عطاء الله في الأربعين إلى حسان بن ثابت:

قيل لي قل في علـيٍّ مدحاً ... ذكره يخمد ناراً مؤصده

قلت لا أقدم في مدح امرئ ... ضل ذو اللب إلى أن عبده

والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده

وضع الله بظهري يده ... فأحسَّ القلب أن قد برده

وعلي واضع أقدامه ... في محل وضع الله يده

وأمر بهبل فكسر وهو واقف عليه، فقال الزبير بن العوام لأبي سفيان بن حرب: يا أبا سفيان قد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم أحد في غرور، حين تزعم أنه أنعم. فقال أبو سفيان: دع عنك هذا يا ابن العوام، فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان»! الصحيح: ٢٢/١٩٠.

ودخل الكعبة ومعه أسامة وبلال وعثمان بن طلحة والفضل بن عباس، وكبر في زواياها وأرجائها وحمد الله تعالى. وروي أنه صلى ركعتين. الصحيح: ٢٢/٢٣٥.

١٢- جبرئيل يفضح زعماء قريش

عن سعيد بن المسيب قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا، فقال أبو سفيان لهند: أترين هذا من الله؟ قالت: نعم، هذا من الله. قال: ثم أصبح فغدا أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: قلت لهند: أترين هذا من الله؟! قالت: نعم

هذا من الله. فقال أبوسفيان: أشهد أنك عبدالله ورسوله، والذي يُحلَف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس إلا الله عزوجل وهند! فقال أبوسفيان في نفسه: أفشت عليَّ هند سري لأفعلن بها ولأفعلن! فلما فرغ رسول الله ﷺ من طوافه لحق بأبي سفيان فقال: يا أبا سفيان، لا تكلم هنداً فإنها لم تفش من سرك شيئاً. فقال أبوسفيان: أشهد أنك رسول الله ﷺ!

ورأى أبوسفيان رسول الله ﷺ يمشي والناس يطؤون عقبه، فقال في نفسه: لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعاً؟ فجاء رسول الله ﷺ حتى ضرب بيده في صدره فقال: إذن يخزيك الله! فقال: أتوب إلى الله تعالى وأستغفر الله مما تفوهت به، ما أيقنت أنك نبي حتى الساعة، إني كنت لأحدث نفسي بذلك!

وخرج رسول الله ﷺ وأبوسفيان جالس في المسجد، فقال أبوسفيان في نفسه: ما أدري بما يغلبنا محمد؟ فأتاه رسول الله ﷺ فضرب صدره وقال: بالله تعالى نغلبك! فقال أبوسفيان: أشهد أنك رسول الله! **الصحيح: ٣٢١/٢٢.**

وزعم فضالة بن عمير أنه أراد اغتيال النبي ﷺ وهو يطوف فعرف ذلك النبي ووضع يده على صدر فضالة فتاب وأسلم. قال: «والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق شئ أحب إليَّ منه»! **الصحيح: ١٩٠/٢٢.**

وأمر النبي ﷺ بلالاً وقت الظهر أن يصعد على سطح الكعبة ويطلق الأذان، فتنغص عيش أبي سفيان ورفقائه الذين «أسلموا»! «فقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع بهذا اليوم! وكان أسيد مات قبل الفتح بيوم!

وقال الحارث بن هشام: واثكلاه ليتني متُّ قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة! وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحدث الجلل أن يصبح عبد بني جمح ينهق على بُنَيَّة «الكعبة» أبي طلحة!

وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره الله! وقال أبوسفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصاة!

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره، فأقبل حتى وقف عليهم فقال:

أما أنت يا فلان فقلت كذا، وأما أنت يا فلان فقلت كذا، وأما أنت يا فلان فقلت كذا! فقال أبوسفيان: أما أنا يا رسول الله فما قلت شيئاً! فضحك رسول الله»! «أخبار مكة: ١٤٢/١» وفي أسباب النزول للواحدي/٢٦٤: «وقال أبوسفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء»! وفي تاريخ أبي الفداء: ١٨١/١: «فقالت بنت أبي جهل: لقد أكرم الله أبي حين لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة»!

١٣- خطبة النبي صلى الله عليه وآله في فتح مكة وإعلانه العفو عن الطلقاء

في الكافي: ٢٢٥/٤، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله مكة يوم افتتحها، فتح باب الكعبة فأمر بصور في الكعبة فطمست، فأخذ بعضادتي الباب فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ماذا تقولون وماذا تظنون؟ قالوا: نظن خيراً و نقول خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت! قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. ألا إن الله قد حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها، ولا يختلى خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد. فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه للقبر والبيوت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إلا الإذخر».

ويظهر أن النبي صلى الله عليه وآله أمر بإحضار فراعنة قريش وشخصياتها إلى المسجد.

قال في إعلام الورى: ٢٢٥/١ ومجمع البيان: ٤٧٢/١٠، ملخصاً: «ودخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أن السيف لايرفع عنهم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله البيت وأخذ بعضادتي الباب ثم قال: لا إله إلا الله أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده.. ألا إن كل دم ومال ومأثرة كان في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي، إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما، ألا إن مكة محرمة بتحريم الله، لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، فهي محرمة إلى أن تقوم الساعة.. ثم قال: ألا لبئس جيران النبي كنتم، لقد كذبتم وطردتم،

وأخرجتم وفللتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء. فخرج القوم كأنما أنشروا من القبور، ودخلوا في الإسلام، وكأن الله أمكنه من رقابهم عنوة فكانوا له فيئاً، فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء!

وكان فتح مكة لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر دخلوا من أسفل مكة وأخطأوا الطريق فقتلوا».

وفي مجمع البيان: «وجاء ابن الزبعرى إلى رسول الله ﷺ وأسلم، وقال:

يا رسول الإله إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بورُ
إذ أباري الشيطان في سنن الغي ... ومن مال ميله مثبور
آمن اللحم والعظام لربي ... ثم نفسي الشهيد أنت النذير».

١٤- الذين هدر النبي ﷺ دمهم

عدهم صاحب الصحيح من السيرة: ٩/٢٣ اثنين وعشرين شخصاً، ثم بحث أسباب هدر النبي ﷺ دمهم فقال ما خلاصته: «يتساءل البعض عن التوفيق بين احترام الكعبة وتعظيمها واعتبار مكة بلداً آمناً، وبين أمره ﷺ بقتل أفراد هذه الجماعة حتى لو كانوا متعلقين بأستار الكعبة! والجواب: أن الأمر بقتل هؤلاء الناس هو من مفردات تعظيم الكعبة وحفظ حرمة الحرم، لأنهم بشركهم وبصدهم عن سبيل الله وسعيهم في الأرض فساداً، وجدهم واجتهادهم لإبطال دين الله، وقتل الأنبياء والمؤمنين من أجل نصرة الباطل، يمثلون الرجس والقاذورات التي لا بد من تطهير بيت الله وحرمه منها، فقتْلهم حتى لو كانوا متعلقين بأستار الكعبة تكريمٌ للكعبة وتكريسٌ لمعنى الطهر والقداسة فيها.

١ - عكرمة بن أبي جهل: كان هو وأبوه أشد الناس أذية للنبي ﷺ والمسلمين. ولما بلغه أن النبي ﷺ أهدر دمه فرّ إلى اليمن، فقالت امرأته أم حكيم لرسول الله: يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك إلى اليمن وخاف أن تقتله، فأمِّنه يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: هو آمن. فخرجت في طلبه ومعها غلام لها رومي فراودها

عن نفسها، فجعلت تمنِّيه حتى قدمت به على حي من عك فاستعانتهم عليه فأوثقوه رباطاً، وأدركت عكرمة وقد انتهى إلى البحر فركب سفينة وجعلت تليح إليه وتقول: يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك. فرجع وأسلم. وزعموا أن النبي ﷺ قال: لا تسبوا أباجهل، ولا يصح ذلك. وقد عظموا عكرمة حتى ادَّعوا أنه ﷺ رأى في منامه أنه دخل الجنة ورأى فيها عذقاً فأعجبه وقال: لمن هذا؟ فقيل: لأبي جهل! وأنه حين أسلم قام إليه النبي ﷺ واعتنقه، وقال: مرحباً بالراكب المهاجر.

وكان عكرمة من المحرضين على حرب أُحد، وكان على ميسرة المشركين وخالد بن الوليد على ميمنتهم، وقد عبر الخندق يوم الأحزاب مع عمرو بن عبد ود، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبدالله. وفي بدر قتل من المسلمين رافع بن المعلى الزرقي، وضرب معاذ بن عمرو بن الجموح على عاتقه فطرح يده حين رآه قتل أباه أباجهل.

وكان من المناوئين لأمير المؤمنين عليه السلام، ولعل هذا هو السبب في إغداقهم الأوسمة عليه ونسجهم له الكرامات.

٢- صفوان بن أمية: هرب مع عبد له إسمه يسار إلى جدة، ليذهب إلى اليمن فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر، فأمنه صلى الله عليك. قال: هو آمن. فقال: أعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه عمامته التي دخل بها مكة، فخرج عمير حتى أدركه فقال: يا أبا وهب جعلت فداك، جئت من عند أبر الناس، وأوصل الناس، فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، هذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به. قال: ويحك أُغرب عني فلا تكلمني إني أخافه على نفسي! قال: هو أحلم من ذلك وأكرم. قال: ولا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها. فرجع معه صفوان حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي بالمسلمين العصر في المسجد، فلما سلم رسول الله ﷺ صاح صفوان: يا محمد إن عمير بن وهب جاءني ببردك

وزعم: أنك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمراً وإلا سيَّرتني شهرين. فقال: إنـزل أبـا وهب. قـال: لا والله حتى تبـين لي. قال: بل لك تسـيير أربعة أشـهر. فنزل صفـوان. ولمـا خرج رسـول الله ﷺ إلى هوازن أرسـل إليه يسـتعير سـلاحه، فأعاره سلاحه مائة درع بأداتها، فقال: طوعاً أو كرهاً؟. قال ﷺ: عارية مؤداة فأعاره فأمره رسـول الله ﷺ فحملها إلى حنين، فشـهد حنيناً والطائف، ثم رجع إلى الجعرانة، فبينا رسول الله ﷺ يسير في الغنائم ينظر إليها، وفرق غنائمها فرأى رسول الله ﷺ صفوان ينظر إلى شعب ملآن نعماً وشاء ورعاء، فأدام النظر إليه ورسول الله ﷺ يرمقه، فقال: يا أبا وهب يعجبك هذا الشعب؟ قال: نعم. قال: هو لك وما فيه. فقبض صفوان ما في الشعب، وقال عند ذلك: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. وأسلم مكانه!

ومع هذا تجدهم يعظمون أمثال صفوان ويعتقدون عدالته! فما أعجب أمرهم!

٣ - عبد العزى بن خطل: أهدر النبي ﷺ دمه وكان أسلم فسماه رسول الله ﷺ عبد الله وهاجر إلى المدينة، وبعثه رسول الله ﷺ ساعياً وبعث معه رجلاً وكان يصنع له طعامه ويخدمـه، فعدى عليه فضربه فقتله وارتد عن الإسـلام، وسـاق ما أخـذ من الصدقة وهرب إلى مكة، وقال: لم أجد ديناً خيراً من دينكم!

وكان يقول الشـعر يهجو به رسـول الله ﷺ. وكانت له قينتان فاسـقتان يأمرهما أن تغنيا بهجاء رسول الله ﷺ. ولما دخل رسول الله ﷺ إلى ذي طوى أقبل ابن خطل من أعـلى مكة مدججاً بالحديد عـلى فرس وبيده قناة، فمر ببنات سـعيد بن العاص فقال لهن: أما والله لا يدخلها محمد حتى ترين ضرباً كأفواه المزاد.

ثم رأى خيل الله فدخله رعب فنزل عن فرسـه وطرح سـلاحه وأتى البيت فدخل تحت أسـتاره. فقال رسـول الله ﷺ: أقتلـوه، إن الكعبة لا تعيذ عاصيـاً، ولا تمنع من إقامة حد واجب، فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة.

٤ - عبد الله بن سـعد بن أبي سرح: وإنما أمر بقتله لأنه كان أسـلم قبل الفتح، وكان

يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وكان إذا أملى عليه: سميعاً بصيراً، كتب عليماً حكيماً! وإذا أملى عليه: عليماً حكيماً كتب غفوراً رحيماً! وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال: إن محمداً لا يعلم ما يقول! فلما ظهرت خيانته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتدّ وهرب إلى مكة وقال: إن كان محمد نبياً يوحى إليه فأنا نبي يوحى إليّ! وعندما دخل النبي ﷺ مكة لجأ ابن سرح إلى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة فقال له: يا أخي استأمن لي رسول الله ﷺ قبل أن يضرب عنقي! فغيبه عثمان حتى هدأ الناس واطمأنوا فاستأمن له وأتى به إلى النبي ﷺ فأعرض عنه النبي ﷺ فصار عثمان يقول: يا رسول الله أمنته والنبي ﷺ يعرض عنه! ثم قال: نعم، فبسط يده فبايعه، فلما خرج عثمان وعبدالله قال ﷺ لمن حوله: أعرضت عنه مراراً، ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه!

فقال عباد بن بشر: يا رسول الله خفتك، أفلا أومضتَ إليّ أي أومأت؟ فقال ﷺ: إنه ليس لنبي أن يومض. إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين.

وعندما صار عثمان خليفة ولاه على مصر! وشكاه المصريون إلى عثمان فقَتَل بعض من اشتكوا عليه فكان ذلك من أسباب خروج المصريين على عثمان حتى قتل! وذكر عكرمة والحسن البصري أن الذين توسطوا لابن أبي سرح هم: أبو بكر وعمر وعثمان.

٥ - عبدالله بن الزبعرى: كان شاعراً يهجو النبي ﷺ والمسلمين ويحرض عليهم كفار قريش، وهو الذي تمثَّل يزيد بأبياته لما جئ له برأس الحسين عليه السلام فأخذ ينكت ثنايا الإمام عليه السلام بقضيب في يده. وهو الذي ألقى الفرث والدم على النبي ﷺ وهو يصلي ثم جاء أبو طالب وسل سيفه، فأمرَّ ذلك الفرث على لحاهم وشواربهم! ويوم الفتح سمع أن النبي ﷺ أهدر دمه فهرب إلى نجران وسكنها فأرسل اليه حسان بن ثابت بأبيات فجاء إلى رسول الله ﷺ وقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، الحمدالله الذي هداني للإسلام، لقد عاديتك وأجلبت عليك، وقال:

يـا رسـول المليـك إن لسـاني ... راتـق مـا فتقـت إذ أنـا بـور
إذ أباري الشـيطان في سـنن الغي ... ومـن مـال ميلـه مثبـور
آمـن اللحـم والعظـام لـربي ... ثـم قلبي الشـهيد أنـت النذير
إنـي عنـك زاجـر ثـم حيـا ... مـن لـؤي وكلهـم مغـرور

وقال أيضاً حين أسلم:

منـع الرقـاد بلابـل وهمـوم ... والليـل معتلـج الـرواق بهـيم
ممـا أتـاني أن أحمـد لامـني ... فيـه فبـت كـأنـني محمـوم
يـا خيرمـن حملـت عـلى أوصالها ... عيرانـة سـرح اليديـن غشـوم
إنـي لمعتـذر إليـك مـن الـذي ... أسـديت إذ أنـا في الضـلال أهـيم
أيـام تـأمـرني بأغـوى خطـة ... سـهم وتأمـرني بهـا مخـزوم
وأمـد أسـباب الـردى ويقـودني ... أمـر الوشـاة وأمرهـم مشـؤم
فاليـوم آمـن بالـنـبي محمـد ... قلبـي ومخطـئ هـذه محـروم
مضت العـداوة فانقضت أسـبابها ... ودعـت أواصـر بيننـا وحلـوم
فاغفـرفـدى لـك والـداي كلاهما ... زلـلي فإنـك راحـم مرحـوم
وعليـك مـن علـم المليـك عـلامة ... نـور أغـر وخاتـم مختـوم
أعطـاك بعـد محبـة برهانـه ... شـرفـاً وبرهـان الإلـه عظيـم
ولقـد شـهدت بأن دينـك صادق ... حـق وأنـك في العبـاد جسـيم
والله يشـهد أن أحمـد مصطـفى ... مسـتقبل في الصالحـين كريـم
قـرم عـلا بنيانـه مـن هاشـم ... فـرع تمكـن في الـذرى وأروم

٦ - الحويرث بن نقيد كان يؤذي رسول الله ﷺ ونخس بزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجـرت إلى المدينـة فرمى بهـا عن بعيرها، فأهـدر النبي ﷺ دمه فخـرج في مكة يوم الفتح يريد أن يهرب فتلقاه علي عليه السلام فضرب عنقه.

٧ - هبار بن الأسود: كان شديد الأذى للمسلمين، وتعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت فنخس بها أو ضربها بالرمح، فسقطت عن راحلتها فأسقطت ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت! فلما كان يوم الفتح وبلغه أن رسول الله ﷺ أهدر دمه أعلن بالإسلام فقبله منه رسول الله ﷺ وعفا عنه. وزعموا: أن النبي ﷺ قال: إن لقيتم هباراً هذا فأحرقوه، ولا يصح قولهم.

ونقول: إذا كان ﷺ قد أهدر دم هبار بن الأسود والحويرث بن نقيد لأنهما روَّعا زينب وأوقعاها عن الراحلة إلى الأرض، فماذا سيكون موقفه ﷺ ممن ضرب فاطمة عليها السلام وأسقط جنينها وكسر ضلعها وتسبب لها بعلَّتها التي ماتت منها فكانت صدِّيقة شهيدة؟!

٨ - الحارث بن هشام: أخو أبي جهل لأبويه. وقد أسلم بعد ذلك.

٩ - زهير بن أمية: وكان قد استجار بأم هاني وأراد علي عليه السلام قتله فأمضى النبي ﷺ جوارها وأسلم بعد ذلك.

١٠ - عبدالله بن ربيعة: ذكره الأزرقي بدل زهير بن أمية.

١١ - زهير بن أبي سلمى الشاعر.

١٢ - مقيس بن صبابة: كان أسلم ثم أتى على رجل من الأنصار فقتله وارتد، فقتله نميلة بن عبدالله بحكم النبي ﷺ يوم الفتح.

١٣ - الحويرث بن الطلاطل الخزاعي: كان يؤذي النبي ﷺ، قتله علي عليه السلام.

١٤ - كعب بن زهير: وهو الشاعر الذي كان يهجو رسول الله وجاء بعد ذلك فأسلم، ومدحه بقصيدة: بانت سعاد.

١٥ - وحشي بن حرب: قاتل حمزة في حرب أُحُد، وقد هرب في فتح مكة إلى الطائف فلما أسلم أهلها جاء مع وفدهم فقال له ﷺ: غيب عني وجهك!

١٦ - هبيرة بن أبي وهب: زوج أم هاني يقال: إن النبي ﷺ أهدر أيضاً دمه.

١٧ - سارة: مولاة عمرو بن هاشم بن عبدالمطلب بن عبدمناف، وكانت مغنية نواحّة بمكة تغني بهجاء النبي ﷺ وقالوا: استؤمن لها رسول الله ﷺ فأمنها،

فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب.

١٨ - أرنب مولاة ابن خطل.

١٩ - فرتنى: أو قرينا.

٢٠ـ قريبة ويقال: هي أرنب السابقة. وهما قينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وآله فاستؤمن لإحداهما فأسلمت وقتلت الأخرى، قتلها علي عليه السلام.

٢١ - أم سعد: قتلت فيما ذكره ابن إسحاق، ويحتمل أن تكون هي أرنب.

٢٢ - هند بنت عتبة: وهي التي لاكت كبد حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام. أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بالأبطح فأسلمت وقالت: الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، لتمسني رحمتك يا محمد، إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به. ثم كشفت عن نقابها فقالت: أنا هند بنت عتبة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحباً بك. وقالت: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح فهل عليَّ حرج أن أطعم من ماله عيالنا؟ فقال: لاحرج عليك أن تطعميهم بالمعروف.

١٥- علي عليه السلام ينفذ أمر النبي صلى الله عليه وآله فتعترضه أخته أم هاني!

قال في إعلام الورى: ١/٢٢٣: «عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المسلمين أن لا يقتلوا بمكة إلا من قاتلهم، سوى نفر كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله منهم: مقيس بن صبابة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، وعبدالله بن خطل، وقينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة. فأدرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقتله. وقتل مقيس بن صبابة في السوق. وقتل علي عليه السلام إحدى القينتين وأفلتت الأخرى، وقتل عليه السلام أيضاً الحويرث بن نقيذ بن كعب. وبلغه أن أم هانئ بنت أبي طالب قد آوت ناساً من بني مخزوم، منهم الحارث بن هشام وقيس بن السائب، فقصد نحو دارها مقنعاً بالحديد فنادى: أخرجوا من آويتم! فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى خوفاً منه «اطائر كبير السلحة!» فخرجت إليه أم هاني وهي لاتعرفه فقالت: يا عبدالله، أنا أم

هاني بنت عم رسول الله ﷺ وأخت علي بن أبي طالب، إنصرف عن داري. فقال علي عليه السلام: أخرجوهم! فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله ﷺ! فنزع المغفر عن رأسه فعرفته فجاءت تشتد حتى التزمته فقالت: فديتك حلفت لأشكونك إلى رسول الله ﷺ! فقال لها: فاذهبي فبري قسمك، فإنه بأعلى الوادي. قالت أم هاني: فجئت إلى النبي ﷺ وهو في قبة يغتسل وفاطمة عليها السلام تستره، فلما سمع رسول الله كلامي قال: مرحباً بك يا أم هاني. قلت: بأبي وأمي ما لقيت من علي اليوم! فقال ﷺ: قد أجرتُ من أجرتِ! فقالت فاطمة عليها السلام: إنما جئت يا أم هانئ تشكين علياً في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله! فقلت: إحتملني فديتك! فقال رسول الله ﷺ: قد شكر الله لعلي سعيه، وأجرت من أجارت أم هانئ لمكانها من علي بن أبي طالب»!

«وروت مصادرهم مجئ أم هاني إلى النبي ﷺ وعفوه عن المخزوميين الذين أجارتهم، واتفقوا على أن علياً عليه السلام لم يدخل البيت، مع أنه يحمل أمراً قضائياً من النبي ﷺ، وأن أم هاني لم تخرجهم بل أغلقت الغرفة عليهم، وذهبت إلى النبي ﷺ تشتكي علياً عليه السلام! وروي أن أم هاني أمسكت بساعد علي عليه السلام لتمنعه من دخول دارها، فكشف قناعه فعرفته، وأن ذلك أعجب النبي ﷺ فقال: لله در أبي طالب! لو ولد الناس كلهم كانوا شجعاناً». كشف الغمة: ٢/٢٣٥.

كما رووا أن النبي ﷺ لم يدخل بيت أحد في مكة إلا بيت أم هاني!

ففي مجمع الزوائد: ٦/١٧٥: «دخل رسول الله ﷺ على أم هانئ بنت أبي طالب يوم الفتح وكان جائعاً. وقال هل عندك من طعام نأكله؟ فقالت: ليس عندي إلا كسر يابسة، وإني لأستحي أن أقدمها إليك! فقال: هلمي بهن فكسرهن في ماء وجاءت بملح فقال: هل من إدام؟ فقالت ما عندي يا رسول الله إلا شئ من خل. فقال: هلميه فصبيه على الطعام فأكل منه ثم حمد الله، ثم قال: نعم الإدام الخل يا أم هانئ لا يفتقر بيت فيه خل». وذخائر العقبى/٢٢٣ والطبراني الصغير: ٢/٦٧.

١٦- النبي ﷺ ينصب حاكماً لمكة

كان على زعماء قريش أن يتفهموا الوضع الجديد، فقد داهم النبي ﷺ مكة بألوف من جنود الله تعالى وأجبرهم على الإستسلام وخلع سلاحهم، وبذلك صاروا أسرى حرب في يده، وكان من حقه أن يضرب أعناقهم ويغنم أموالهم، لكنه منَّ عليهم وأطلقهم! فكان عليهم أن يشكروه ويقبلوا بالحاكم الذي ينصبه لمكة. لكنهم لم يفعلوا! وفي الأيام الأولى لدخوله مكة عين النبي ﷺ حاكماً هو الشاب الأموي عَتَّاب بن أَسَيْد، وجعل معه أنصارياً يساعده هو معاذ بن جبل، وجعل عتاباً نائبه في الصلاة.

ففي **المسترشد**/١٢٩: «استخلف عتاب ابن أسيد على مكة ورسول الله ﷺ مقيم بالأبطح، وأمره أن يصلي بالناس بمكة الظهر والعصر والعشاء الآخرة، وكان رسول الله ﷺ يصلي بهم الفجر والمغرب».

وفي **إعلام الورى**: ١/٢٤٣: «استخلف عتاب بن أسيد وخلف معه معاذاً يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن، وحج بالناس في تلك السنة وهي سنة ثمان عتاب بن أسيد. ثم كانت غزوة تبوك. وبعث إلى عتاب بن أسيد عامله على مكة يستنفرهم لغزو الروم».

وفي **المغني**: ٤/٣٧٢: «واستخلف النبي عتاب بن أسيد على مكة، والياً وقاضياً».

وفي **الدرر**/٢٣٦و٢٣٧: «واستخلف على مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص، وهو ابن نيف وعشرين سنة.. وهو أول أمير أقام الحج في الإسلام، وحج المشركون على مشاعرهم. وكان عتاب بن أسيد خيراً فاضلاً ورعاً».

وقال **ابن هشام**: ٤/٨٩١: «استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة، أميراً على من تخلف عنه من الناس، ثم مضى رسول الله على وجهه يريد لقاء هوازن».

١٧- بعث النبي ﷺ سرايا إلى المناطق القريبة من مكة

في **إعلام الورى**: ١/٢٢٧: «وبعث رسول الله ﷺ السرايا فيما حول مكة يدعون إلى الله عز وجل، ولم يأمرهم بقتال، فبعث غالب بن عبدالله إلى بني مدلج فقالوا: لسنا عليك

ولسنا معك، فقال الناس: أغزهم يا رسول الله، فقال: إن لهم سيدا أديباً أريباً، ورب غاز من بني مدلج شهيد في سبيل الله.

وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى بني الديل فدعاهم إلى الله ورسوله، فأبوا أشد الإباء فقال الناس: أغزهم يا رسول الله، فقال: أتاكم الآن سيدهم قد أسلم فيقول لهم: أسلموا، فيقولون: نعم. وبعث عبدالله بن سهيل بن عمرو إلى بني محارب بن فهر، فأسلموا وجاء معه نفر منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله».

١٨- بعث خالد بن الوليد في سرية فغدر بهم

في إعلام الورى: ٢٢٨/١: «بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر، وقد كانوا أصابوا في الجاهلية من بني المغيرة نسوة وقتلوا عم خالد، فاستقبلوه وعليهم السلاح وقالوا: يا خالد إنا لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله ونحن مسلمون فانظر فإن كان بعثك رسول الله ساعياً فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها، فقال: ضعوا السلاح، قالوا: إنا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهلية وقد أماتها الله ورسوله. فانصرف عنهم بمن معه فنزلوا قريباً ثم شن عليهم الخيل فقتل وأسر منهم رجالاً ثم قال: ليقتل كل رجل منكم أسيره فقتلوا الأسرى!

وجاء رسولهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بما فعل خالد بهم، فرفع عليه السلام يده إلى السماء وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد، وبكى! ثم دعا علياً عليه السلام فقال: أخرج إليهم وانظر في أمرهم وأعطاه سفطاً من ذهب، ففعل ما أمره وأرضاهم».

وفي أمالي الصدوق/٢٣٧: «عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن الوليد إلى حي يقال لهم بنو المصطلق من بني جذيمة، وكان بينهم وبين بني مخزوم إحنة في الجاهلية، فلما ورد عليهم كانوا قد أطاعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذوا منه كتاباً، فلما ورد عليهم خالد أمر منادياً فنادى بالصلاة فصلى وصلوا فلما كانت صلاة الفجر أمر مناديه فنادى فصلى وصلوا، ثم أمر الخيل فشنوا فيهم الغارة فقتل وأصاب فطلبوا كتابهم فوجدوه فأتوا به النبي صلى الله عليه وآله وحدثوه بما صنع

خالد بن الوليد، فاستقبل القبلة ثم قال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد! قال: ثم قدم على رسول الله تبر ومتاع، فقال لعلي عليه السلام: يا علي إئت بني جذيمة من بني المصطلق فأرضهم مما صنع خالد. ثم رفع صلى الله عليه وآله قدميه فقال: يا علي، اجعل قضاء أهل الجاهلية تحت قدميك! فأتاهم علي عليه السلام فلما انتهى إليهم حكم فيهم بحكم الله، فلما رجع إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: يا علي أخبرني بما صنعت، فقال: يا رسول الله عمدت فأعطيت لكل دم دية ولكل جنين غرة، ولكل مال مالاً، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لميلغة كلابهم وحبلة رعاتهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لروعة نسائهم وفزع صبيانهم، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم لما يعلمون ولما لا يعلمون، وفضلت معي فضلة فأعطيتهم ليرضوا عنك يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وآله: يا علي أعطيتهم ليرضوا عني، رضي الله عنك يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وفي أمالي الطوسي/٤٩٨: «فأدى إليهم ديات رجالهم، وما ذهب لهم من أموالهم، وبقي معه من المال زعبة فقال لهم: هل تفقدون شيئاً من أموالكم وأمتعتكم؟ فقالوا: ما نفقد شيئاً إلا ميلغة كلابنا فدفع إليهم ما بقي من المال فقال هذا لميلغة كلابكم وما أنسيتم من متاعكم. وأقبل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: ما صنعت؟ فأخبره حتى أتى على حديثهم فقال النبي صلى الله عليه وآله: أرضيتني رضي الله عنك يا علي أنت هادي أمتي، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك وأخذ بطريقتك، ألا إن الشقي كل الشقي من خالفك ورغب عن طريقك إلى يوم القيامة».

أقول: روته مصادرهم وحذفوا منه مدح النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام! وتجاهلوا براءة النبي صلى الله عليه وآله من فعل خالد، وحاولوا تبرير فعل خالد بأنه لم يفهم كلام بني جذيمة فأسرهم وقتلهم! وتجرأ بعض المتأخرين وهو العقاد في كتابه عبقرية عمر، فأدان خالداً قال: «بعث رسول الله خالداً إلى بني جذيمة داعياً إلى الإسلام ولم يبعثه للقتال وأمره ألا يقاتل أحداً إن رأى مسجداً أو سمع أذاناً. ثم وضع بنو جذيمة السلاح بعد جدال بينهم واستسلموا فأمر بهم خالد فكتفوا! ثم عرضهم السيف فقتل منهم وأفلت من القوم غلام يقال له السميدع حتى اقتحم على رسول الله وأخبره وشكاه إليه». **النص والإجتهاد/٤٦٠**.

قتل خالد عاشقاً غريباً ولم يرحمه

وروى ابن حجر في فتح الباري: ٤٦/٨ حالة مؤثرة من مجزرة خالد في بني جذيمة! قال: «وذكر ابن إسحاق من حديث ابن أبي حدرد الأسلمي قال: كنت في خيل خالد، فقال لي فتى من بني جذيمة قد جمعت يداه في عنقه برمَّة «حبل»: يا فتى هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة؟ فقلت: نعم، فقدته، ثم ضربتُ عنق الفتى فأكبت عليه فما زالت تقبله حتى ماتت!

وقد روى النسائي والبيهقي في الدلائل بسند صحيح من حديث ابن عباس نحو هذه القصة، وقال فيها: فقال إني لست منهم إني عشقت امرأة منهم فدعوني أنظر إليها نظرة! فضربوا عنقه فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت! فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: أما كان فيكم رجل رحيم»!

ونقل ابن هشام: ٨٨٣/٤ قول عبدالرحمن بن عوف لخالد: كذبت ولكنك إنما ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة!

وروى الطبري: ٣٤٢/٢ حوار العاشِقَيْن شعراً، وقال: «قامت إليه حين ضربت عنقه فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده»!

١٩- قريش تعزل أبا سفيان وتنصب بدله سهيل بن عمرو

غزوة فتح مكة

اعتبر زعماء قريش أن أبا سفيان خانهم فوافق على استسلام قريش وخلع سلاحها بدون شروط لمصلحتها، ومال إلى محمد ﷺ تعصباً للمنافية أي لجدهم المشترك عبدمناف! وإنه يطمع بمناصب لبني أمية في دولة محمد ﷺ، وهاهو محمد ينصب حاكماً أموياً على مكة، مجازاة لأبي سفيان!

وكانوا معجبين بسهيل بن عمرو الذي انتزع من محمد في الحديبية شروطاً لمصلحتهم، لذلك قاموا بعزل أبي سفيان عن قيادة قريش، ونصبوا سهيل بن عمرو، ونشطوا في دعمه والإلتفاف حوله!

وقد كتبنا في آيات الغدير/١٣٨، أن سهيلاً تصرف بعد فتح مكة وكأن شيئاً لم

يحدث وتجاهل حاكم مكة الذي نصبه النبي ﷺ! وكتب إلى النبي ﷺ مطالباً بأناس جاؤوا من مكة اليه ليتفقهوا في الدين، وجاء إلى المدينة مطالباً بهم، ونزل عند أبي بكر وعمر، فذهبا معه إلى النبي ﷺ وأيدا مطلبه! يقول بذلك للنبي ﷺ هؤلاء أولادنا وعبيدنا هربوا منا وجاؤوك، فإن كانت حجتهم التفقه فنحن نفقههم في الدين، فأرجعهم إلينا!

ومعنى ذلك أن قريشاً بقيت على كبريائها ولم تعترف بالحاكم الشرعي لمكة، وتريد منه الإعتراف بأنها وجود سياسي في مقابله!

روى الحاكم في المستدرك: ١٣٨/٢: «عن ربعي بن حراش عن علي قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة أتاه ناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا حلفاؤك وقومك، وإنه لحَقَ بك أرقاؤنا ليس لهم رغبة في الإسلام، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا! فشاور أبابكر في أمرهم فقال: صدقوا يا رسول الله! فقال لعمر: ماترى؟ فقال مثل قول أبي بكر. فقال رسول الله ﷺ: يا معشر قريش ليبعثن الله عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للإيمان فيضرب رقابكم على الدين! فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا. قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، ولكنه خاصف النعل في المسجد وقد كان ألقى نعله إلى علي يخصفها. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

ورواه الحاكم: ٢٩٨/٤، **وصححه بشرط مسلم وفيه**: «لما افتتح رسول الله ﷺ مكة أتاه أناس من قريش.. يا معشر قريش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن عليكم رجلاً فيضرب أعناقكم على الدين، ثم قال: أنا أو خاصف النعل، قال علي: وأنا أخصف نعل رسول الله ﷺ».

لقد جاؤوا إلى النبي ﷺ في عاصمته يطالبونه بالإعتراف باستقلالهم، وهي وقاحة ما فوقها وقاحة! وقالوا له «يا محمد» **كما رواه الحاكم وأبو داود**: ٦١١/١! لكن الترمذي جعلها: «يا رسول الله»! وحاول بعض علماء قريش أن يجعل الحديث قبل فتح مكة، لكن نصوصه ذكرت أن النبي ﷺ غضب من طلبهم وهو لايغضب إلا بحق! فلو كان طلبهم قبل نقضهم العهد وفتح مكة لكان حقاً لهم لايوجب الغضب! ومما يؤكد

أنـه بعد فتح مكة أنه ﷺ قال: «يا معشر قريـش لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة» ولايمكن أن يطالبهم بالصلاة قبل فتح مكة! وقول سهيل «سـنفقههم» وهذا لا يقولـه إلا الطلقاء الذين يدعون الإسـلام! مضافاً إلى أن رواية الحاكم وغيرها صرحت بأنه بعد فتح مكة.

ونلاحـظ أن سـهيل بن عمـر ومن أيـده اعتـبروا أن فتـح مكة «ودخولهم» في الإسـلام لا يعنـي خضوعهـم للنبي ﷺ وذوبانهم في الأمة الإسـلامية، بل هو تحالف الند للند مع النبي ﷺ! فعليه الآن أن يعترف بكيانهم القرشي المسـتقل! ويعيد لهم الفارين إليه من أبنائهم وعبيدهم! والعنصر الجديد في الأمر أن أبابكر وعمر أيدا مطلبهم! فقال أبو بكر: «صدقوا يا رسـول الله! وقال عمر مثل قوله: صدقوا يا رسول الله ردهم إليهم»! الحاكم: ٣ /١٢٢، الزوائد: ٩ /١٣٤ و٥ /١٨٦ وصححه.

وجاء الرد النبوي غاضباً حاسـماً، فأعلن يأسـه من أن تصلح قريش ويحسـن إسلامها إلا بقوة السيف! ففي عدد من روايات الحادثة كالحاكم: ١٢٥/٢: «فقال: مـا أراكم تنتهون يامعـشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا» أي على الإسلام! وأبوداود: ٦١١/١، البيهقي: ٢٢٩/٩ وكنزالعمال: ٤٧٣/١٠!

وهو تصريح بأنهم لم يسلموا ولن يسلموا إلا تحت سيف علي الذي ترتعد منه فرائصهم، فهذا هو الدواء الوحيد لفراعنة قريش!

وفي تلـك الفترة أكمـل النبي ﷺ تهديده «لمسـلمة» الفتح بأن أمـر علياً عليه السلام أن يعلن الحرب عليهم إن هم أعلنوا ارتدادهم بعد وفاة النبي ﷺ!

فقد روى في مجمع الزوائد: ١٣٤/٩: «عن ابن عباس: إن علياً كان يقول في حياة رسـول الله: إن الله عزوجل يقول: أفإن مـات أو قتل انقلبتم على أعقابكم! والله لاننقلـب على أعقابنا بعد إذ هدانـا الله تعالى. والله لئن مات أو قتل ﷺ لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت! لا والله، إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به مني؟!».

وأشـد ما في موقف النبي ﷺ حكمه بكفرهم! ولعمري إن مجرد طلبهم كاف

لإثبات كفرهم! ثم إنه ﷺ أبى أن يرد عليهم أولادهم وعبيدهم المملوكين، وأخبرهم أنه أعتقهم فصاروا عتقاء الله تعالى، ومعناه أنه اعتبرهم من أموال الكفار التي أحلها له الله تعالى! ولو كان الطلقاء مسلمين وكانت ملكيتهم محترمة لم يجز للنبي ﷺ أن يعتق عبيدهم، فهو أتقى الأتقياء ﷺ وهو القائل: لايحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه!

وهكذا دخلت قريش بعد فتح مكة معركة «استقلال مكة» مع النبي ﷺ والحاكم الذي نصبه عليهم، وحاول عتاب أن يلزمهم بالصلاة والزكاة وهم يتملصون، ولايعرفون حاكماً لهم إلا سهيل بن عمرو!

ففي السيرة الحلبية: ٥٩/٣: «فكان شديداً على المريب ليناً على المؤمن وقال: والله لا أعلم متخلفاً يتخلف عن الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه، فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق! فقال أهل مكة: يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد، أعرابياً جافياً! فقال ﷺ: إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالاً شديداً حتى فتح له فدخلها، فأعز الله به الإسلام فنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم.

ولما ولاه على مكة جعل له في كل يوم درهماً. ويروى أنه قام فخطب الناس فقال: أيها الناس، أجاع الله كبد من جاع على درهم أي له درهم، فقد رزقني رسول الله درهماً في كل يوم فليست لي حاجة إلى أحد». **وبعضه ابن هشام**: ٩٣٦/٤.

وبقي عتَّاب والياً على مكة والطائف من قبل النبي ﷺ، وأمره أن يحج بالناس في تلك السنة لكن القرشيين لم يحجوا معه!

قال اليعقوبي: ٧٦/٢: «فوقف عتاب بالمسلمين، ووقف المشركون على حدتهم».

وتواصلت مؤامرتهم على عتاب، وكانت أول أعمالهم لأخذ خلافة النبي ﷺ وإبعاد عترته عليهم السلام! فقد كانت قريش تعتبر عتاباً من «عُبَّاد محمد» الذين يريدون فرض عترته بعده! وقد جاءتهم الفرصة لقتله عندما جاءهم خبر وفاة النبي ﷺ فشاع في مكة أن قريشاً ارتدت عن الإسلام، وخاف منهم عتَّاب فاختبأ، مع أنه مكيٌّ قرشي أموي! وعندما وصلهم خبر يطمئنهم بعزل بني هاشم وبيعة أبي بكر اطمأن سهيل بن

عمرو وخطب في قريش بنفس خطبة أبي بكر في المدينة، وقال كلمتهم المشهورة: من كان يعبد محمداً فإن إلهه قد مات، ونحن لا نعبد محمداً، بل هو رسول بلغ رسالته ومات، وهو ابن قريش وسلطانه سلطان قريش، وقد اختارت قريش حاكماً لنفسها بعده وهو أبو بكر، فاسمعوا له وأطيعوا. وأصدر سهيل أمره إلى عتاب الحاكم: أخرج من مخبئك واحكم مكة، لكن ليس باسم رسول الله، بل باسم الزعيم القرشي أبي بكر بن أبي قحافة»!

قال ابن هشام: ١٠٧٩/٤: «حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك، حتى خافهم عتاب بن أسيد فتوارى! فقام سهيل بن عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله، وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة، فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به، وظهر عتاب بن أسيد»!

ومن الواضح أن عتاباً بقي حاكماً إسمياً لأن أبابكر لم يرد عزل ولاة النبي ﷺ حتى لايقال نصبهم النبي ﷺ وعزلهم أبو بكر! أما الحاكم الحقيقي لمكة فكان سهيل بن عمرو! ولم يطل الأمر بعتاب حتى قتلوه! فهو أحد من يجب تصفيتهم لتصل الخلافة إلى عمر! **قال الطبري**: ٦١١/٢: «ومات عتاب بن أسيد بمكة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، وكانا سُنَّا جميعاً «في المدينة» ثم مات عتاب بمكة»!

قتلوه بالسم في ريعان شبابه ﷺ، لأنه كان متمسكاً بالنص النبوي، موالياً لعترة النبي ﷺ، ولم يكن كأبي سفيان عارضهم حتى وصل اليه سهم فدعا لأبي بكر!

قال الطبري: ٤٤٩/٢: «لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان: ما لنا ولأبي فصيل؟! إنما هي بنو عبدمناف! قال فقيل له: إنه قد ولّى ابنك! قال: وصلته رحم»!

الفصل الثالث والستون

غزوة حنين والطائف

١- أسباب غزوة فتح مكة وغزوة حنين والطائف

قد يصنع أحداث التاريخ أشخاص بدون أن يقصدوا، ولله في خلقه شؤون! ومن أولئك «بنو نفاثة» وهم عائلة صغيرة شريرة من كنانة، عُرفت بأنها تسرق أمتعة الحجاج في حرم الله تعالى، وكان لها ثأر عند خزاعة، فأرادت الهجوم عليهم وأقنعت بذلك رؤساء كنانة، فطلبوا من قريش أن تمدهم بالسلاح وبمقاتلين ليباغتوا خزاعة، ويقتلوا منهم أكبر عدد ممكن! ففعلت قريش ذلك وهي تعلم أن ذلك نقض لعهدها مع النبي ﷺ في الحديبية! فقدمت بذلك للنبي ﷺ مبرراً لفتح مكة، فأخضعها وأجبرها على خلع سلاحها!

وشبيهاً بذلك فعلت هوازن في غزوة حنين، وثقيف في الطائف!

فقد فكر رئيس هوازن مالك بن عوف أن النبي ﷺ بعد سيطرته على قبائل الجزيرة وانتصاره على اليهود وإجلائهم، سيهاجم قبائل نجد لإخضاعها، فبادر إلى تحشيد القبائل لحرب النبي ﷺ قبل أن يحاربه! وقبض النبي ﷺ في طريقه إلى فتح مكة على عين لهوازن أقر بأنهم يجمعون لحربه، فأمر بحبسه حتى لايخبروهم بحركة النبي ﷺ!» الصحيح من السيرة: ٢١٥/٢١.

وبعث اليهم النبي ﷺ «عبدالله بن أبي حدرد عيناً، فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن إنكم أحدُّ العرب وأعدُّها، وإن هذا الرجل لم يلق قوماً يصدقونه القتال، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم «أغلفتها» واحملوا عليه حملة رجل واحد. فأتى ابن أبي حدرد رسول الله ﷺ فأخبره». إعلام الورى: ٢٢٨/١.

وأكملت هوازن تحشيد قواتها واتخذت مركز معسكرها وادي أوطاس، وهو شمال شرق مكة، على بعد بضعة وعشرين كيلومتراً من حنين، قرب الضريبة «ذات عرق» ميقات أهل العراق. ثم اتفقوا مع ثقيف على حرب النبي ﷺ فقدموا مركز معسكرهم إلى وادي حنين بين الطائف ومكة، ويعرف اليوم بالشرائع.

تقدمت نخبة قوات هوازن وثقيف وعسكرت في حنين، وهددت المسلمين وأهل مكة، فعطلت الحج في تلك السنة، فقصدهم النبي ﷺ وكانت المعركة فانهزم الثقفيون إلى الطائف، وهي تبعد نحو تسعين كيلومتراً عن مكة، وترتفع عن سطح البحر نحو١٣٠٠متراً. ثم انهزمت قبائل هوازن إلى أوطاس القريبة.

٢- أخذ النبي ﷺ قريشاً معه إلى حرب هوازن

في مناقب آل أبي طالب: ١٨٠/١: «فات الحج من فساد هوازن في وادي حنين! فخرج ﷺ في ألفين من مكة، وعشرة آلاف كانوا معه».

ورووا أن النبي ﷺ أعلن موعد تجمع جيشه في منى، في مكان مؤتمر قريش وكنانة لمقاطعة بني هاشم! قال ﷺ: «منزلنا غداً إن شاء الله بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر»! «صحيح بخاري: ٩٢/٥». وفي ذلك تخليدٌ للمكان، وتذكير لقريش بجرائمها بحق الإسلام وبني هاشم! وقد بقي ﷺ في مكة أسبوعين، وكان خروجه إلى حنين يوم السبت السادس من شوال، ووصلها يوم الثلاثاء التاسع من شوال. الصحيح من السيرة: ٥٣/٢٤.

وفي إعلام الورى: ٢٢٨/١: «فخرج رسول الله ﷺ في ألفين من مكة وعشرة آلاف كانوا معه فقال أحد أصحابه «هو أبو بكر» **الصحيح**/١٠٦/٢٤: لن نغلب اليوم من قلة! فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله سبحانه: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ...

٣- دريد بن الصمة ينصح هوازن فلا يقبلون!

في إعلام الورى: ٢٢٩/١: «قال الصادق عليه السلام: وكان مع هوازن دُرَيْد بن الصِّمَّة خرجوا به شيخاً كبيراً يتيمنون برأيه، فلما نزلوا بأوطاس قال: نِعْمَ مجالُ الخيل لا حَزَنٌ ضِرْسٌ ولا سهلٌ دَهْس، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم. قال: فأين مالك؟ فدعي مالك له فأتاه فقال: يا مالك أصبحت رئيس قومك وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير وثغاء الشاة؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم. قال: ويحك لم تصنع شيئاً، قدمت بيضة هوازن في نحور الخيل، وهل يرد وجه المنهزم شئ؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك! قال: إنك قد كبرت وكبر عقلك! فقال دريد: إن كنت قد كبرت فتورث غداً قومك ذلاً بتقصير رأيك وعقلك، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه! ثم قال: حربٌ عَوَان! يا ليتني فيها جذع أخبُّ فيها وأضع»!

وفي سيرة ابن هشام: ٢٩٠/٤، **أن ابن عوف قال لقبائل نجد**: «والله لتطيعنني يا معشر هوازن، أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري! وكره أن يكون لدريد بن الصمة فيها ذكرٌ أو رأي، فقالوا: أطعناك»!

وقد روي أن دُريد بن الصِّمَّة كان عمره مئتي سنة، وكان أعمى يحملونه في محفة، وكان أسطورة في حروب العرب، وقد تركوا رأيه لأنه خالف مالك بن عوف! وعندما انهزمت هوازن ورجعت فلولهم إلى أوطاس كان دريد هناك، فلحقهم المسلمون وقتلوه فيمن قتلوا من هوازن، بينما سلم مالك بن عوف وعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وأعطاه أهله وماله ومئة بعير.

٤- أدلة تآمر طلقاء قريش مع هوازن على النبي ﷺ

١. ورد في وصف الهزيمة: «تفسير القمي: ٢/٢٨٦»: «فلما صلى رسول الله ﷺ الغداة انحدر في وادي حنين وهو واد له انحدار بعيد وكانت بنو سليم على مقدمة فخرجت عليها كتائب هوازن من كل ناحية فانهزمت بنو سليم، وانهزم من ورائهم ولم يبق أحد إلا انهزم! وبقي أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم في نفر قليل، ومر المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء، وكان العباس آخذٌ بلجام بغلة رسول الله ﷺ عن يمينه وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب عن يساره، فأقبل رسول الله ﷺ ينادي يا معشر الأنصار إلى أين المفر؟ ألا أنا رسول الله، فلم يلو أحد عليه! وكانت نسيبة بنت كعب المازنية تحثو التراب في وجوه المنهزمين وتقول: أين تفرون عن الله وعن رسوله؟ ومر بها عمر فقالت له: ويلك ما هذا الذي صنعت؟ فقال لها: هذا أمر الله! فلما رأى رسول الله ﷺ الهزيمة ركض يحوم على بغلته قد شهر سيفه، فقال يا عباس إصعد هذا الظرب وناد يا أصحاب البقرة! ويا أصحاب الشجرة! إلى أين تفرون هذا رسول الله! ثم رفع رسول الله ﷺ يده فقال: اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان، فنزل جبرئيل عليه السلام عليه فقال له: يا رسول الله دعوت بما دعا به موسى حين فلق الله له البحر ونجاه من فرعون»!

ثم قال رسول الله ﷺ لأبي سفيان بن الحارث: ناولني كفاً من حصى فناوله فرماه في وجوه المشركين، ثم قال: شاهت الوجوه! ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد، وإن شئت أن لا تعبد لا تعبد!

وفي إعلام الورى: ٢٢٩/١: «قال جابر بن عبدالله: فسرنا حتى إذا استقبلنا وادي حنين كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضائقه، فما راعنا إلا كتائب الرجال بأيديها السيوف والعمد والقنا، فشدوا علينا شدة رجل واحد، فانهزم الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد! وأخذ رسول الله ﷺ ذات اليمين، وأحدق ببغلته تسعة من بني عبدالمطلب.

وأقبل مالك بن عوف يقول: أروني محمداً، فأروه، فحمل على رسول الله ﷺ وكان رجلاً أهوج، فلقيه رجل من المسلمين فالتقيا فقتله مالك، وقيل إنه أيمن بن أم أيمن، ثم أقدم فرسه فأبى أن يقدم نحو رسول الله ﷺ!

وصاح كلدة بن حنبل وهو أخو صفوان بن أمية لأمه وصفوان يومئذ مشرك: ألا بطل السحر اليوم! فقال صفوان: أسكت فض الله فاك، فوالله لأن يَرُبَّني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن»!

٢. وقد ذكر القرآن أن سبب هزيمة المسلمين في حنين: إعجابهم بكثرة عددهم فقد كانوا في بدر ثلاث مئة ونيفاً، وفي خيبر ألفاً وخمس مئة، فانتصروا، لكنهم رأوا أنفسهم في حنين عشرة آلاف أو نحوها فأعجبتهم كثرتهم! فنبههم الله تعالى إلى خطأ تفكيرهم وأن النصر لم يكن يوماً بالكثرة، قال تعالى: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ». «٢٥-٢٧» والخطاب في الآية للمسلمين الذين نصرهم الله من قبل، وليس منهم الطلقاء.

٣. لكن ذلك لا ينفي تواطؤ الطلقاء مع النجديين مقابل عدم هجوم هوازن على مكة، وبذلك يثأر الطلقاء من النبي ﷺ لأنه غلبهم وأخضعهم.

وقد يقال هنا إن صفوان بن أمية كان يفضل أن ينتصر النبي ﷺ على هوازن فقد «صاح كلدة بن حنبل وهو أخو صفوان لأمه وصفوان يومئذ مشرك: ألا بطل السحر اليوم! فقال صفوان: أسكت فضَّ الله فاك فوالله لأن يَرُبَّني «يحكمني» رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن». إعلام الورى: ٢٢٩/١.

لكن تفضيل صفوان حكم النبي ﷺ لا ينفي عمل قريش ورئيسها سهيل لقتله ﷺ! لأن صفوان فهو كناني حليف لقريش وليس من صلبهم فلا يجب أن يعرف اتفاقهم.

٤- كشف النضير خطة الطلقاء بصراحة، فقال كما رواه الواقدي: «خرجت مع قوم من قريش هم على دينهم بعدُ: أبوسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وسهيل بن

عمرو ونحن نريد إن كانت دبرة على محمد أن نغير عليه فيمن يغير. فلما تراءت الفِئَتَان ونحن في حيز المشركين حملت هوازن حملة واحدة ظننا أن المسلمين لا يجبرونها أبداً، ونحن معهم وأنا أريد بمحمد ما أريد، وعمدت له فإذا هو في وجوه المشركين واقف على بغلة شهباء حولها رجال بيض الوجوه، فأقبلت عامداً إليه فصاحوا بي: إليك! فأرعب فؤادي وأرعدت جوارحي! قلت: هذا مثل يوم بدر، إن الرجل لعلى حق وإنه لمعصوم! وأدخل الله تعالى في قلبي الإسلام، وغيَّره عما كنت أهم به». سبل الهدى: ٣٢١/٥.

٤- قال الطلقاء بعضهم لبعض عند الهزيمة: «أخذلوه فهذا وقته، فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس». الصحيح: ١٢٠/٢٤.

٥- أرسل الطلقاء بخبر الهزيمة إلى مكة وبشروا أهل مكة بهزيمة رسول الله ﷺ، فاغتم عتاب بن أسيد حاكم مكة من قبل النبي ﷺ، وسُرَّ بذلك الطلقاء في مكة وأظهروا الشماتة، وقالوا ترجع العرب إلى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه! فما أمسوا ذلك اليوم حتى جاء الخبر أن رسول الله ﷺ أوقع بهوازن، فسُرَّ عتَّاب وكبت الله تعالى أعداء رسوله ﷺ. سبل الهدى: ٢٣٠/٥.

ومما يؤيد وجود المؤامرة قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما مرَّ بالنبي ﷺ يوم كان أشد عليه من يوم حنين! وذلك أن العرب تباغت عليه». علل الشرائع: ٤٦٢/٢.

٦- استقسم أبوسفيان بالأزلام وهو نوع من التبصير بالمستقبل! «أخرج أزلاماً من كنانته فضرب بها وقال: إني أرى أنها هزيمة لا يردها إلا البحر».

٧- وقعت محاولتان على الأقل لقتل النبي ﷺ! فقد قال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة: «اليوم أدرك ثأر أبي»! وكان أبوه قتل ببدر، وجاء ليقتل رسول الله ﷺ فأخبره رسول الله بما نواه وأحبط الله سعيه! ثم النضير بن كلدة العبدري وقد اعترف بأنه قصد قتل النبي ﷺ فأحبط الله تعالى سعيه! آيات الغدير للمؤلف/١٣٦.

٨- تناقضت رواياتهم عن سبب الهزيمة، فقد قالوا إن هوازن كمنت في الشعاب في مدخل وادي حنين، فتفاجأت المقدمة بقيادة خالد بن الوليد بسهامهم ووقع

منهم قتلى فانهزم خالد وتبعه الطلقاء وتبعهم الباقون، وتركوا النبيﷺوبني هاشم وحدهم مقابل هوازن!

وكذبوا بقولهم إن الوقت كان فجراً فلم يرَ خالد الكمائن! فقد كان قريب الظهر! وقد ناقش مقولاتهم ومبرراتهم للهزيمة صاحب الصحيح:٢٤/١٠٠.

٥- فرَّ الجميع وثبت النبي ﷺوبنو هاشم فقط!

١- وصف القرآن فرار المسلمين في حنين فضلاً عن الطلقاء، فقال تعالى: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ. **فالفرار عام والسكينة بعده خاصة.**

٢- اعترف الجميع بالفرار، **ففي صحيح بخاري**: ٤/٥٧، **قال أبو قتادة**: «فلحقت عمر بن الخطاب فقلت ما بال الناس؟ قال: أمر الله»! فقد نسب عمر الفرار إلى الله تعالى! **وفي صحيح بخاري**: ٥/٩٨: «يا أبا عمارة أتوليت يوم حنين! فقال: أما أنا فأشهد على النبيﷺأنه لم يولِّ».

وفي البخاري: ٤/٢٨: «فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول: أنا النبي لاكذب. أنا ابن عبدالمطلب. فما رؤي من الناس يومئذ أشد منه»!

وقال ابن هشام: ٤/٨٩٣: «وانشمر الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز رسول الله ذات اليمين ثم قال: أين الناس هلموا إليَّ أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله! قال: فلا شيء».

وقال ابن خلدون: ٢ق٢/٤٦: «فولى المسلمون لا يلوي أحد على أحد وناداهمﷺفلم يرجعوا».

وقال السرخسي في سيره: ١/١١٧: «فانكشفت أول الخيول خيل بنى سليم مولية ثم تبعهم أهل مكة، وتبعهم الناس مدبرين لايلوي أحد على أحد».

٣- **في الصحيح من السيرة**: ٢٤/٢٩٣، **ملخصاً**: «دلت النصوص على أن عليا عليه السلام وحده الذي ثبت، وقد وردت نصوص كثيرة تضمنت نفي ثبات غيره، واستثنى بعضها

بضعة رجال من بني هاشم، أحاطوا بالنبي صلى الله عليه وآله لحمايته.

أما قول بعضهم إنه ثبت ثمانون أو مائة رجل فلعلهم كانوا من أوائل العائدين.

٤- **وفي الإرشاد**: ١٤١/١: «لم يبق منهم مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عشرة أنفس: تسعة من بني هاشم خاصة، وعاشرهم أيمن بن أم أيمن، فقتل أيمن رضي الله عنه وثبتت التسعة الهاشميون حتى ثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان انهزم، فرجعوا أولاً فأولاً حتى تلاحقوا وكانت لهم الكرة على المشركين، وفي ذلك أنزل الله تعالى وفي إعجاب أبي بكر بالكثرة: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ.، يعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومن ثبت معه من بني هاشم، وهم يومئذ ثمانية.. العباس عن يمينه والفضل عن يساره وأبو سفيان ممسك بسرجه عند ثفر بغلته، وسائرهم حوله، وعلي عليه السلام يضرب بالسيف بين يديه».

قال مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبي غير بني ها ... شم عند السيوف يوم حنين

هرب الناس غير تسعة رهط ... فهم يهتفون بالناس: أين

ثم قاموا مع النبي على المو ... ت فآبوا زيناً لنا غير شين

وسوى أيمن من القوم ... شهيداً فاعتاض قرة عين

وقال العباس بن عبدالمطلب:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فرعنه فأقشعوا

وقولي إذا ما الفضل شد بسيفه ... على القوم أخرى يابني ليرجعوا

وعاشرنا لاق الحمام بنفسه ... لما ناله في الله لا يتوجع

٥- قال المأمون في مجلسه مع فقهاء عصره: «إن الناس انهزموا يوم حنين فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله إلا سبعة من بني هاشم: علي عليه السلام يضرب بسيفه، والعباس آخذ بلجام بغلة النبي صلى الله عليه وآله، والخمسة محدقون بالنبي صلى الله عليه وآله خوفاً من أن يناله سلاح

الكفار، حتى أعطى الله تبارك وتعالى رسوله عليه السلام الظفر. عنى في هذا الموضع علياً ومن حضر من بني هاشم. فمن كان أفضل أمَن كان مع النبي صلى الله عليه وآله ونزلت السكينة على النبي صلى الله عليه وآله وعليه؟ أم من كان في الغار مع النبي صلى الله عليه وآله ولم يكن أهلاً لنزولها عليه؟!».

٦- كانت نسيبة تحثو التراب في وجوه المنهزمين وتقول: أين تفرون عن الله وعن رسوله؟ ومر بها عمر بن الخطاب فقالت له: ويلك ما هذا الذي تصنع! فقال: هذا أمر الله!

٦- نزلت الملائكة والسكينة على الثابتين خاصة!

قال تعالى: وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

فالمخاطب بالآية المسلمون الذين نصرهم الله في مواطن كثيرة، وقد وبخهم، وأخبرهم أنه بعد فرارهم أنزل سكينته على رسوله صلى الله عليه وآله وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه، وهم بنو هاشم ومولاهم أيمن، ومعهم نسيبة، وقيل معهم ابن أم مسعود. وعذب الذين كفروا حتى انهزموا، وكان عذابهم بيد الملائكة وعلي عليه السلام!

٧- قاتَلَ علي عليه السلام وحده ونزلت الملائكة!

إطمأن علي عليه السلام بأن بني هاشم يحيطون بالنبي صلى الله عليه وآله، فغاص في أوساط هوازن يقصد القائد حامل راية الكتيبة فيقتله، ثم يقصد الآخر! وبذلك أبعد المعركة عن النبي صلى الله عليه وآله وضعضع صفوف العدو. وكان يرجع بين فترة وأخرى ليطمئن على سلامة النبي صلى الله عليه وآله وقد يأتي معه بأسير أو أكثر!

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وآله أركض بغلته نحوه، «الصحيح: ٢٢٣/٢٤» فلعله ذهب ليخبره بنزول الملائكة وأن جبرئيل والملائكة يقاتلون معه، أو يعطيه برنامج القتال!

وفي المناقب: ٣٥٥/١: «وقف عليه السلام يوم حنين في وسط أربعة وعشرين ألف ضارب سيف إلى أن ظهر المدد من السماء. وقتل أربعين رجلاً وفارسهم أبا جرول، قدَّه بنصفين بضربة في الخوذة والعمامة والجوشن والبدن إلى القربوس».

ولا ننس أن إسم علي عليه السلام طبق الجزيرة وهابته الفرسان، بعد أن قتل عمرو بن ود في الخندق ومرحباً في خيبر! فكانت حملاته في هوازن كافيةً للرعب فيهم!

ففي أمالي الطوسي/٥٧٥: «قال نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب: فرَّ الناس جميعاً وأعْرَوْا رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يبق معه إلا سبعة نفر من بني عبدالمطلب: العباس، وابنه الفضل، وعلي، وأخوه عقيل، وأبوسفيان، وربيعة، ونوفل بنو الحارث بن عبدالمطلب، ورسول الله صلى الله عليه وآله مصلت سيفه في المجتلد، وهو على بغلته الدلدل، وهو يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

قال الحارث بن نوفل: فحدثني الفضل بن العباس قال: التفت العباس يومئذ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم، فلم ير علياً عليه السلام في من ثبت، فقال: شوهة بوهة، أفي مثل هذا الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو صاحب ما هو صاحبه! يعني المواطن المشهورة له فقلت: نقص قولك لابن أخيك يا أبه. قال: ما ذاك يا فضل؟ قلت: أما تراه في الرعيل الأول، أما تراه في الرهج! قال: أشعره لي يا بني. قلت: ذو كذا ذو كذا ذو البردة. قال: فما تلك البرقة؟ قلت: سيفه يزيل به بين الأقران. فقال: بَرٌّ بن بَر، فداه عم وخال.

قال: فضرب علي عليه السلام يومئذ أربعين مبارزاً، كلهم يقدُّه حتى أنفه، قال: وكانت ضرباته مبتكرة». **أي واحدة لاتحتاج إلى ثانية!**

وقد بخلت مصادر السلطة في ذكر بطولات علي عليه السلام وكيف حقق النصر للمسلمين بعد فرارهم! فذكروا أنه قتل قائد هوازن «ذا الخمار» وفارسهم أبا جرول! وقتل عليه السلام أربعين من فرسانهم، فوقع فيهم الرعب والهزيمة!

قال في الإرشاد: ١/١٤٢: «وأقبل رجل من هوازن على جمل له أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم، إذا أدرك نفراً من المسلمين أكب عليهم وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه، وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جرولٍ لا براح حتى نبيحَ القومَ أو نباح

فصمد له أمير المؤمنين عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطره، ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح أني في الهيجاء ذو نصاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول لعنه الله».

«وكان على راية الأحلاف من ثقيف يوم حنين قارب بن الأسود، فلما رأى الهزيمة أسند رايته إلى شجرة وهرب»! ابن حبان: ٢/٧٣ وابن خلدون: ٢ق٢/٤٧.

واعترف رواة السيرة من حيث لا يريدون بفرار الجمع وبطولات علي عليه السلام!

ففي سيرة ابن هشام: ٤/٨٩٦: «فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتّفين عند رسول الله صلى الله عليه وآله»! والدرر لابن عبدالبر/٢٢٧.

فمن أسرهم وكتّفهم قبل رجوع الفارّين والكل فارُّون ما عدا بني هاشم الذين يحرسون النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وحده في المعركة؟!

وقد ادعوا أن ثمانين من الفارين أو مئة رجعوا قبل غيرهم، ونسبوا بطولات علي عليه السلام أو قسماً منها اليهم! لكنهم لم يسموا منهم أحداً إلا عبدالله بن مسعود، وهو ضعيف البنية صغير الجثة غير مقاتل! ثم نسبوا النصر إلى دعاء النبي صلى الله عليه وآله وإلقائه حفنة الحصى والتراب على جيش هوازن وهو صحيح، لكنه لا يلغي دور علي عليه السلام! وقد نسب أمير المؤمنين عليه السلام النصر إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال فيه:

ألم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيزاً ذا اقتدار وذا فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة فذاقوا هواناً من إسار ومن قتل

مناقب آل أبي طالب: ٢/٣٣١.

ومما يدلك على أنه لم يقاتل أحدٌ في حنين إلا علي عليه السلام عدم وجود شهداء للمسلمين! وعدم وجود قتلى من المشركين، إلا من قتلهم علي عليه السلام!

فلا شهداء إلا أيمن بن أم أيمن رضي الله عنه الذي استشهد دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله عندما قصده مالك بن عوف! وقالوا استشهد غيره ثلاثة أو أربعة، لكن ذكروا أن أحدهم أبا عامر الأشعري «جد الأشعريين القميين» لكنه قتل بعد المعركة في أوطاس في تعقب الفارين، ويزيد بن زمعة بن الأسود جمح به فرسه فمات»! **الصحيح من السيرة:** ٢٤/٣٣٨ **ولعل البقية مثله!**

ولا شك أن الملائكة كان لهم دورٌ مع علي عليه السلام، فقد روى القمي في تفسيره: ٢٨٨/٢: «قال رجل من بني نضر بن معاوية يقال له شجرة بن ربيعة للمؤمنين وهو أسير في أيديهم: أين الخيل البلق والرجال عليهم الثياب البيض؟ فإنما كان قتلنا بأيديهم، وما كنا نراكم فيهم إلا كهيئة الشامة! قالوا: تلك الملائكة». وروت شبيهاً به بقية المصادر، ومشاهدة جنود هوازن لكتائب على خيل بلق، وسماعهم قعقعة سلاح في الجو!

وفي مجمع البيان: ٣٢/٥: «قال سعيد بن المسيب: حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقفوا لنا حلب شاة، فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم، حتى إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء، يعني رسول الله، فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا: شاهت الوجوه إرجعوا! فرجعنا، وركبوا أكتافنا، فكانوا إياها يعني الملائكة»!

وإنما نزلت الملائكة بعد نزول السكينة على المؤمنين الثابتين، وقتال علي عليه السلام.

رجع المنهزمون فرأوا الأسرى حول النبي صلى الله عليه وآله

وجعل ابن عبدالبر في الدرر/٢٢٦، النصر ببطولة مئة صحابي بلا أسماء! قال: «حتى إذا اجتمع حوله صلى الله عليه وآله مائة رجل أو نحوهم استقبلوا هوازن بالضرب واشتدت الحرب وكثر الطعن والجلاد، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال: الآن حمي الوطيس. وضرب علي بن أبي طالب عرقوب جمل صاحب الراية أو فرسه فصرعه، ولحق به رجل من الأنصار فاشتركا في قتله، وأخذ علي الراية وقذف الله عز وجل في قلوب هوازن الرعب، حين وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أن رسول الله إذا واجههم وواجهوه صاح بهم صيحة، ورمى في وجوههم بالحصا فلم يملكوا أنفسهم! وفي ذلك يقول الله عز وجل: وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى.

غزوة حنين والطائف

وروينا من وجوه عن بعض من أسلم من المشركين ممن شهد حنيناً، قال وقد

سئل عن يوم حنين: لقينا المسلمين فما لبثنا أن هزمناهم، وأتبعناهم حتى وصلنا إلى رجل راكب على بغلة بيضاء، فلما رآنا زجرنا زجرة وانتهرنا، وأخذ بكفه حصاً أو تراباً فرمانا به، وقال: شاهت الوجوه، شاهت الوجوه! فلم تبق عين إلا دخلها من ذلك، فما ملكنا أنفسنا أن رجعنا على أعقابنا! وما استوفى رجوع المسلمين إلى رسول الله ﷺ إلا وأسرى هوازن بين يديه».

أقول: لم يسموا حتى شخصاً واحداً من الأبطال الذين رجعوا، وجعل ابن عبدالبر لعلي عليه السلام شريكاً مجهولاً في قتل أبي جرول حامل رايتهم فقال: «فاشتركا في قتله وأخذ علي الراية»!

٨- هزيمة هوازن وغنائم المسلمين منها

كانت هزيمة المسلمين سريعة، وكان بعدها مباشرة محاولات القرشيين لاغتيال النبي ﷺ ومعهم حملات هوازن وفرسانها، فكانت حماية بني هاشم، وحملات علي عليه السلام المضادة! ولعل حملاته استمرت أربع ساعات أو نحوها، ومعناه أنه لم يحن الظهر حتى تم النصر للنبي ﷺ وانهزم أعداؤه شذر مذر!

أما قائدهم مالك بن عوف الذي كان يهدر ويصيح: أروني محمداً حتى أقتله! وجاء بالفعل إلى قرب مكان النبي ﷺ فتصدى له أيمن رضي الله عنه فقتله مالك، ولعل علياً عليه السلام قصده فهرب، أو أحس بالملائكة فارتعب، ثم سمع مالك دوي تكبيرات علي عليه السلام وهو يجندل حملة راياتهم ذا الخمار بن عبدالله، وأخاه عثمان، وأبا جرول، فهرب مالك إلى الطائف!

في إعلام الورى: ٢٣٢/١: «فر مالك بن عوف حتى دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومهم، وأسلم عند ذلك كثير من أهل مكة حين رأوا نصر الله وإعزاز دينه». والإرشاد: ١٥١/١ والدرر/٢٢٧.

غنائم هوازن الوافرة

في سيرة ابن هشام: ٩٠٢/٤: «وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة، فوقف في فوارس من قومه على ثنية من الطريق وقال لأصحابه: قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق أخراكم. فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس»!

«وتركوا أموالهم وأولادهم غنيمة هنيئة للمسلمين كما وعد الله تعالى نبيه ﷺ، وكانت أكبر غنيمة، فقد بلغت ستة آلاف سبي بين امرأة وغلام، وأربعةً وعشرين ألف بعير، وأكثر من أربعين ألف شاة من الغنم، وأربعة آلاف أوقية فضة». **الصحيح من السيرة: ٢٥/١٧٣ وأقل منه في مناقب آل أبي طالب: ١/١٨١.**

وأصدر النبي ﷺ أمره إلى الراجعين من فرارهم أن يجمعوا الغنائم ويرسلوها إلى «الجعرانة» وجعل بديل بن ورقاء رئيس خزاعة، مسؤولاً عليها. وأصدر أمره أن يتهيؤوا للسير إلى الطائف لمحاصرة ثقيف، التي تحالفت مع هوازن، وخرجت معها لحرب النبي ﷺ!

ويفهم من رواية الإمام الصادق عليه السلام «مكارم الأخلاق/١١٩» أن النبي ﷺ ذهب بنفسه لتعقب الفارين في أوطاس قبل الطائف، قال: «دخل رسول الله ﷺ الحرم يوم دخل مكة وعليه عمامة سوداء وعليه السلاح، ثم خرج إلى حنين، فلما فرغ منهم انتهى إلى أوطاس، بقيت منهم بقية ففرغ منهم».

وكان له فيها عين هو أنيس بن مرثد الغنوي، وكان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب. مذيل الطبري/٥١.

٩- النبي ﷺ يحاصر قبيلة ثقيف في الطائف

كانت قبيلة ثقيف في الطائف حلفاء قريش وكان أثرياء قريش يملكون كثيراً من بساتين الطائف وأرضها. وقد جاءها النبي ﷺ قبل هجرته يدعوها إلى الإسلام وحمايته من قريش، فرفضت دعوته وآذته! وشاركت مع هوازن في حرب حنين، وسرعان ما انهزمت! فقد رأى قائدهم قارب بن الأسود علياً عليه السلام يحصد فرسان هوازن، فخاف وأسند رايته إلى شجرة، وهرب راجعاً إلى الطائف! ثم انهزمت هوازن، فذهب بعضم إلى أوطاس وبعضهم إلى الطائف مع رئيسهم مالك بن عوف، وأكثرهم رجعوا إلى بواديهم.

قال المفيد في الإرشاد: ١/١٤٨: «فبعث النبي ﷺ أبا عامر الأشعري إلى أوطاس

في جماعة فيهم أبو موسى الأشعري، وبعث أبا سفيان صخر بن حرب إلى الطائف. فأما أبو عامر فإنه تقدم بالراية وقاتل حتى قتل فقال المسلمون لأبي موسى: أنت ابن عم الأمير وقد قتل، فخذ الراية حتى نقاتل دونها، فأخذها أبو موسى فقاتل المسلمون حتى فتح الله عليهم. وأما أبو سفيان فإنه لقيته ثقيف فضربوه على وجهه، فانهزم ورجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: بعثتني مع قوم لا يرقع بهم الدلاء من هذيل والأعراب، فما أغنوا عني شيئاً، فسكت النبي صلى الله عليه وآله عنه»!

قال الطبري: ٣٥٢/٢: «لما قدم فلٌّ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال. ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدباب والضبور والمجانيق».

وجرش قرية باليمن تصنع فيها المجانيق، والضبور صندوق مدرع للمقاتلين لينقبوا سور الحصن أو ليردوا المتسلقين، وتسمى الدباب أيضاً، كما تطلق الدباب على الأحجار التي تلقى من المنجنيق، أو تُدحرج من الجبل.

وفي إعلام الورى: ٢٣٣/١: «سار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الطائف في شوال سنة ثمان فحاصرهم بضعة عشر يوماً، وخرج نافع بن غيلان بن معتب في خيل من ثقيف فلقيه علي عليه السلام في خيله فالتقوا ببطن وَجّ فقتله علي عليه السلام وانهزم المشركون.

ونزل من حصن الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من أرقائهم، منهم أبو بكرة وكان عبداً للحارث بن كلدة المنبعث وكان اسمه المضطجع، فسماه رسول الله المنبعث. ووردان، وكان عبداً لعبدالله بن ربيعة، فأسلموا.

فلما قدم وفد الطائف على رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلموا قالوا: يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك فقال: لا، أولئك عتقاء الله».

وفي فتوح البلدان للبلاذري: ٦٥/١: «سار رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين حتى نزل الطائف فرمتهم ثقيف بالحجارة والنبل، ونصب رسول الله صلى الله عليه وآله منجنيقاً على حصنهم، وكانت مع المسلمين دبابة من جلود البقر، فألقت عليها ثقيف سكك الحديد المحماة فأحرقتها، فأصيب من تحتها من المسلمين. وكان حصار رسول الله صلى الله عليه وآله الطائف خمس عشرة ليلة».

وفي الخرائج: ١١٨/١: «لما حاصر النبي صلى الله عليه وآله أهل الطائف قال عيينة بن حصن: إئذن لي حتى آتي حصن الطائف فأكلمهم، فأذن رسول الله صلى الله عليه وآله فجاءهم فقال: أدنو منكم وأنا آمن؟ قالوا: نعم. وعرفه أبو محجن فقال: أدنُ فدخل عليهم، فقال: فداكم أبي وأمي والله لقد سرني ما رأيت منكم، وما في العرب أحد غيركم ووالله ما في محمد مثلكم، ولقد قل المقام وطعامكم كثير، وماؤكم وافر لا تخافون قطعه! فلما خرج قالت ثقيف لأبي محجن: فإنا قد كرهنا دخوله وخشينا أن يخبر محمداً بخلل إن رآه فينا أو في حصننا! فقال أبو محجن: أنا كنت أعرف به ليس منا أحد أشد على محمد منه وإن كان معه! فلما رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قلت لهم أدخلوا في الإسلام، فوالله لا يبرح محمد عقر داركم حتى تنزلوا فخذوا لأنفسكم أماناً، فخذلتهم ما استطعت! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذبت لقد قلت لهم كذا وكذا! وعاتبه جماعة من الصحابة قال: أستغفر الله وأتوب إليه، ولا أعود أبداً».

وأرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى عبيد أهل الطائف أن من يخرج اليه منهم ويسلم يعتقه، فخرج اليه بعضهم ومنهم أبو بكَرَة بن سمية وأبي عبيد، وهو أخ زياد بن أبي عبيد الذي ادعاه أبوسفيان وألحقه معاوية به، وسمي أبابكرة لأنه استعمل حبلاً وبكرة ونزل من حصن الطائف، فقبل النبي صلى الله عليه وآله إسلامه وأعتقه.

١٠- النبي صلى الله عليه وآله يفك الحصار عن الطائف

يلفتنا في عمل النبي صلى الله عليه وآله في حصار الطائف أمران:

الأول: أنه لم يأخذ معه علياً عليه السلام بل بعثه لإخضاع ضواحيها خاصة قبيلة خثعم، وتحطيم الأصنام الكثيرة التي كانت لأهل الطائف وقريش!

قال المفيد في الإرشاد: ١٤٨/١: «وأنفذ أمير المؤمنين عليه السلام في خيل وأمره أن يطأ ما وجد ويكسر كل صنم وجده. فخرج حتى لقيته خيل خثعم في جمع كثير، فبرز له رجل من القوم يقال له شهاب في غبش الصبح فقال: هل من مبارز؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: من له؟ فلم يقم أحد فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فوثب أبو

العاص بن الربيع زوج بنت رسول الله ﷺ فقال: تكفاه أيها الأمير. فقال: لا، ولكن إن قتلت فأنت على الناس. فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

إن على كل رئيس حقا أن يروىَ الصعدة أو تُدَقا

ثم ضربه فقتله ومضى في تلك الخيل حتى كسر الأصنام، وعاد إلى رسول الله وهو محاصر لأهل الطائف». **ومعنى يروي الصعدة: يروي الرمح المستقيم من دم العدو.**

وقد استغرقت مهمة علي عليه السلام بضع عشرة يوماً.

ففي أمالي الطوسي/٥٧٩ و٥٠٤، عن أبي ذر: «عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: لما أوقع رسول الله ﷺ من هوازن سار حتى نزل بالطائف، فحصر أهل وجّ أياماً فسأله القوم أن ينتزح عنهم ليقدم عليه وفدهم، فيشترط له ويشترطون لأنفسهم. فسار ﷺ حتى نزل مكة، فقدم عليه نفر منهم بإسلام قومهم، ولم يبخع «يخضع» القوم له بالصلاة ولا الزكاة، فقال ﷺ: إنه لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود، أما والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة وليؤتن الزكاة أو لأبعثن إليهم رجلاً هو مني كنفسي، فليضربن أعناق مقاتليهم وليسبين ذراريهم هو هذا، وأخذ بيد علي عليه السلام فأشالها! فلما صار القوم إلى قومهم بالطائف أخبروهم بما سمعوا من رسول الله ﷺ فأقروا له بالصلاة وأقروا له بما شرط عليهم، فقال النبي ﷺ: ما استعصى عليَّ أهل مملكة ولا أمة إلا رميتهم بسهم الله عزوجل! قالوا: يا رسول الله وما سهم الله؟ قال: علي بن أبي طالب، ما بعثته في سرية إلا رأيت جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وملكاً أمامه وسحابة تظله، حتى يعطي الله حبيبي النصر والظفر».

وقال المفيد في الإرشاد: ١٤٨/١: «وعاد إلى رسول الله ﷺ وهو محاصر لأهل الطائف، فلما رآه النبي ﷺ كبر للفتح وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً. فروى عبدالرحمن بن سيابة والأجلح جميعاً، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبدالله الأنصاري أن رسول الله ﷺ لما خلا بعلي بن أبي طالب عليه السلام يوم الطائف، أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟ فقال: يا عمر، ما أنا انتجيته بل الله انتجاه! قال: فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ

اللهُ آمِنِينَ، فلم ندخله وصددنا عنه! فناداه النبي ﷺ: لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام»!

والأمر الثاني الملفت في حصار الطائف: أن النبي ﷺ فك الحصار عنها ولم يصرّ على فتحها، وروي أنه لم يُؤذن له في فتحها.

وفي إعلام الورى: ٢٣٤/١: «ذكر الواقدي عن شيوخه قال: شاور رسول الله ﷺ أصحابه في حصن الطائف، فقال له سلمان الفارسي: يا رسول الله أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم، فأمر رسول الله ﷺ فعمل منجنيق، ويقال: قدم بالمنجنيق يزيد بن زمعة ودبابتين. ويقال خالد بن سعيد، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فأحرقت الدبابة.

وأنفذ رسول الله ﷺ علياً عليه السلام في خيل عند محاصرته أهل الطائف، وأمره أن يكسر كل صنم وجده، فخرج فلقيه جمع كثير من خثعم...الى آخرما تقدم.

فلما قدم علي عليه السلام فكأنما كان رسول الله ﷺ على وجل فارتحل، فنادى سعيد بن عبيدة: ألا إن الحي مقيم فقال عليه السلام: لا أقمت ولا ظعنت! فسقط فانكسر فخذه»!

أي لما جاء علي عليه السلام فك النبي ﷺ الحصار بدون تأخير، فقال الراوي كأنما كان على وجل. ومعنى كلام سعيد أن الذي يظعن هو الغريب الضعيف، وقصده الطعن بالنبي ﷺ بفك الحصار وأنه عن عجز، فدعا عليه النبي ﷺ فقتله الله! والظاهر أن سبب فك الحصار عن الطائف ليس عجز الصحابة عن اقتحامه، فقد جاء علي عليه السلام! بل سببه طلب قسم من ثقيف «أهل وجّ» أن يفكه عنهم ليأتيه وفدهم ويتفاوضوا معه؟ وقد يكون السبب قرب دخول شهر ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال. تفسير الثعلبي: ٢٢/٥.

والأمر المؤكد أن النبي ﷺ مسدد بوحي ربه عز وجل في قوله وفعله. فقد قبل وعد أهل الطائف بأنهم يأتون إلى المدينة لمفاوضته، وفك حصارهم مع عدم ثقته بهم، وذهب إلى مكة معتمراً، ثم عاد المدينة.

وذكرت رواية للواقدي أنه ﷺ أمر بقطع شجر كرومهم، وهذا لا يصح عندنا.

١١- سياسة الإسلام العجيبة مع قريش وثقيف

لم يعرف التاريخ قبائل أفرطت في عدائها كبطون قريش مع النبيﷺ وعشيرته بني هاشم! وقد وثقنا ذلك بسلسة مواقفهم وأعمالهم الكيدية ضد النبيﷺ في بحث: «**صراع قريش مع النبيﷺ**». لكن العجيب أن النبيﷺ قاوم قريشاً حتى فتح مكة، فأخضعهم وعفا عنهم وقبل إسلامهم وسماهم «الطلقاء».

ثم فتح لهم أبواب دولته! وفي نفس الوقت أعلن أنهم وأولادهم طلقاء وأخرجهم من أمته إلى يوم الدين! ثم حكمﷺ على ثقيف شبيهاً بحكمه على قريش، وثقيف من قبائل هوازن النجدية، سكنت الطائف فصارت حضرية، وكانت حليفة لقريش وشريكتها في عدائها للنبيﷺ. وقد تحالفت مع هوازن في حربها للنبي وانهزمت معها في حنين، ثم انهزمت بيد عليعليه السلام في وجّ، وبعد هزيمتهم طلبوا أن يعفيهم من الصلاة لأنها «دناءة» معيبة! فلم يقبل منهم وهددهم بعليعليه السلام! وقد تأخر وفد ثقيف وظلوا على شركهم «ابن هشام: ٩٣٦/٤» فحرك عليهم النبيﷺ القبائل المحيطة بهم التي أسلمت، ومنها بعض قبائل هوازن ليضغطوا عليهم! وأخيراً جاءه وفد ثقيف إلى النبيﷺ بعد رجوعه من غزوة تبوك، فقبل إسلامهم وسماهم «العتقاء» في مقابل تسمية قريش «الطلقاء».

وأصدر حكمه عليهم وعلى من ولد منهم إلى يوم الدين، بأنهم كالطلقاء ليسوا من أمته الإسلامية! فقالﷺ: «**المهاجرون والأنصار أولياءٌ بعضهم لبعض، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة**». وروته مصادر السنيين بأسانيد عديدة فيها الصحيح على شرط الشيخين كمسند أحمد: ٣٦٣/٤ بروايتين، مجمع الزوائد: ١٥/١٠، بروايات وقال في بعضها: رواه أحمد والطبراني بأسانيد وأحد أسانيد الطبراني رجاله رجال الصحيح، وقد جوده فإنه رواه عن الأعمش. وأبو يعلى/٤٤٦، ابن حبان: ٢٥٠/١٦، الطبراني الكبير: ٣٠٩/٢، ٣١٣، ٢١٤، ٣١٦، ٣٤٣، ٣٤٧ و١٨٧/١٠، موارد الظمآن: ٢٧١/٧، الدر المنثور: ٢٠٦/٣، فتح القدير: ٣٣٠/٢، علل الدارقطني ١٠٢/٥، السمعاني: ١٥٢/٤، تاريخ بغداد: ٤٦/١٣، تعجيل المنفعة/٤١٤ ومن مصادرنا أمالي الطوسي/٢٦٨.

وهو حكمٌ شديد وضربة قاصمة لطلقاء قريش وعتقاء ثقيف! حيث أخرجهم من أمته وألحقهم بها إلحاقاً، والعجيب أنه شامل لمن وجد منهم في ذلك العصر، ومن يولد من ذرياتهم إلى يوم القيامة!

فكيف يدعي لهم محبوهم الصحبة والفضائل والخلافة، وهم لايستطيعون إدخالهم في متن أمة الإسلام!

وقد كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: «وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله، وإن نقص لم تلحقك ثلمته! وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس؟ وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم. هيهات لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها! ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك؟ وتتأخر حيث أخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر! وإنك لذهَّاب في التيه روَّاغ عن القصد». نهج البلاغة: ٣٠/٣، الإحتجاج: ٢٥٩/١ وابن الأعثم: ٥٦٠/٢.

وقال صعصعة لمعاوية: «أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً؟! وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله! فأنى تصلح الخلافة لطليق»! مروج الذهب/٦٩٤.

وقال ابن عباس لأبي موسى الأشعري: «ليس في معاوية خلة يستحق بها الخلافة! واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام، وأن أباه رأس الأحزاب، وأنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة». شرح النهج: ٢٤٦/٢.

وكتب ابن عباس إلى معاوية: «وإن الخلافة لا تصلح إلا لمن كان في الشورى، فما أنت والخلافة؟ وأنت طليق الإسلام، وابن رأس الأحزاب، وابن آكلة الأكباد من قتلى بدر». الإمامة والسياسة: ١٠٠/١ وراجع جواهر التاريخ: ٩٤/٢.

وقد اتفق المسلون على هذا الحكم، فقد أفتى عمر بأن حكم الأمة محرم على الطلقاء! **وقال كما في الطبقات:** ٣٤٢/٣: «هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم

أحـد، ثـم في أهل أحد ما بقي منهم أحد، وفي كذا وكـذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليـق ولا لمسـلمة الفتح شـيء». ورواه في تاريخ دمشـق: ١٤٥/٥٩، أسـد الغابـة: ٣٨٧/٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي/١١٣، الغدير: ١٤٤/٧ و٣٠/١ ونفحات الأزهار: ٣٥٠/٥.

فاعجب لهذا الأمر! واعجب من أن أكثر حكام أمة النبي صلى الله عليه وآله ليسوا من أمته!

١٢- النبي صلى الله عليه وآله في الجعرانة يقسم الغنائم ويُحرم للعمرة

الجعرانـة: «مـاء بـين الطائف ومكة وهـي إلى مكة أقـرب، نزلها النبي صلى الله عليه وآله لما قسـم غنائـم هـوازن، مرجعـه من غـزاة حنـين، وأحرم منهـا، وله فيها مسـجد، وبهـا بِئَار متقاربة». «معجـم البلـدان: ١٤٢/٢». وهـي مـن مواقيـت الحـج، فعـن عبدالرحمـن بـن الحجاج، أن الإمام الصادق عليه السلام قال له: «إن سفيان فقيهكم أتاني فقال: ما يحملك على أن تأمـر أصحابـك يأتون الجعرانة فيحرمـون منها؟ فقلت له: هـو وقت من مواقيت رسـول الله صلى الله عليه وآله، فقال: وأي وقت من مواقيت رسـول الله هـو؟ فقلت له: أحرم منها حين قسـم غنائم حنين ومرجعه من الطائف». الكافي: ٣٠٠/٤.

وفي مجمـع البيـان: ٣٢/٥، «فحـاصر أهل الطائف بقية الشـهر، فلما دخـل ذو القعدة انصرف أتى الجعرانة، وقسم بها غنائم حنين وأوطاس».

وفي إعلام الورى: ٢٣٦/١: «قال محمد بن إسـحاق: فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير، ومعاوية ابنه مائة بعير، وحكيم بن حزام من بني أسـد بن عبدالعزى بني قصي مائـة بعـير، وأعطى النضير بـن الحارث بن كلدة مائة بعير، وأعطـى العلاء بن حارثة الثقفـي حليف بنـي زهرة مائة بعير، وأعطى الحارث بن هشـام من بنـي مخزوم مائة، وجبـير بـن مطعم من بني نوفل بـن عبدمناف مائة، ومالك بن عـوف النصري مائة، فهـؤلاء أصحاب المائة. وقيل: إنـه أعطى علقمة بن علاثة مائـة، والأقرع بن حابس مائة، وعيينة بن حصن مائة، وأعطى العباس بن مرداس أربعاً فتسخطها وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهـب العبيد ... بـين عيينـــة والأقـــرع

فـا كان حصـن ولاحابس ... يفوقـان مـرداس في مجمع

وما كنت دون امرء منهما ومن تضع اليوم لا يرفع
وقد كنت في الحرب ذا تدرأ فلم أعط شيئا ولم أمنع

فقال له رسول الله ﷺ: أنت القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي لست بشاعر، قال ﷺ: كيف قال؟ فأنشده أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ: يا علي قم فاقطع لسانه! قال عباس: فوالله لهذه الكلمة كانت أشد عليَّ من يوم خثعم، فأخذ علي عليه السلام بيدي فانطلق بي فقلت: يا علي إنك لقاطع لساني؟ قال: إني ممض فيك ما أمرت، حتى أدخلني الحظائر فقال: أعقل ما بين أربعة إلى مائة. قال: قلت بأبي أنتم وأمي، ما أكرمكم وأحلمكم وأجلكم وأعلمكم. فقال لي: إن رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة. قال: فقلت لم لعلي عليه السلام: أشر أنت علي. قال: فإني آمرك أن تأخذ ما أعطاك وترضى. قال: فإني أفعل».

وفي سيرة ابن هشام: ٩٠٦/٤: «ثم جُمعت إلى رسول الله ﷺ سبايا حنين وأموالها وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفاري، وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال إلى الجعرانة، فحبست بها».

قال في الصحيح من السيرة: ١٧٨/٢٥: «تقدم أن المسلمين انهزموا جميعاً عن النبي ﷺ وأن راجِعَتَهم حين رجعت وجدت الأسارى مكتفين عند رسول الله، وأن المسلمين المهزومين لم يضربوا بسيف ولم يطعنوا برمح... والمهاجم الوحيد لجيوش المشركين كان علي بن أبي طالب عليه السلام فهزم الله المشركين على يديه شر هزيمة. فالنصر إنما تحقق بجهاد علي عليه السلام وبالتأييد الإلهي للنبي ﷺ بإنزال الملائكة. وهذا يبين السبب في أن الله سبحانه رد أمر الغنائم والسبي إلى رسول الله ﷺ ليعطيها لمن يشاء، فأعطاها لمن أراد أن يتألفهم، ولم يعط منها حتى أقرب الناس إليه وهم الأنصار.. لأنهم لم يكن لهم ولا للمهاجرين ولا

لغيرهم حق فيها ولكنه ﷺ قد طيب نفوس الأنصار، بعدما نفَّذ ما أمره الله تعالى».

١٣- وفد هوازن والشيماء حاضنة النبي ﷺ

في **إعلام الورى**: ٢٣٩/١: «كان فيما سبي أخته بنت حليمة فلما قامت على رأسه قالت: يا محمد أختك شيماء بنت حليمة! قال فنزع رسول الله ﷺ برده فبسطه لها فأجلسها عليه ثم أكب عليها يسائلها وهي التي كانت تحضنه إذ كانت أمها ترضعه... أدرك وفد هوازن رسول الله ﷺ بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله لنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إنا لو ملَّحنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر، ثم ولي منا مثل الذي وليت، لعاد علينا بفضله وعطفه وأنت خير المكفولين، وإنما في الحظائر خالاتك وبنات خالاتك وحواضنك وبنات حواضنك اللاتي أرضعنك، ولسنا نسألك مالاً، إنما نسألكهن. أي الحارث ملك غسان والنعمان ملك المناذرة. وقد كان رسول الله ﷺ قسم منهن ما شاء الله، فلما كلمته أخته قال: أما نصيبي ونصيب بني عبدالمطلب فهو لك، وأما ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم».

فلما صلوا الظهر قامت فتكلمت وتكلموا، فوهب لها الناس أجمعون إلا الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فإنهما أبيا أن يهبا وقالوا: يا رسول الله إن هؤلاء قوم قد أصابوا من نسائنا، فنحن نصيب من نسائهم مثل ما أصابوا.

فأقرع رسول الله ﷺ بينهم ثم قال: اللهم أتْوِهْ سهميهما، فأصاب أحدهما خادماً لبني عقل، وأصاب الآخر خادماً لبني نمير، فلما رأيا ذلك وهبا ما منعا.

قال: ولولا أن النساء وقعن في القسمة لوهبهن لها كما وهب ما لم يقع في القسمة ولكنهن وقعن في أنصباء الناس، فلم يأخذ منهم إلا بطيبة النفس.

وروي أن رسول الله ﷺ قال: من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه، فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم.

وفي **الطبقات**: ١٥٣/٢: «وقدم وفد هوازن على النبي ﷺ وهو أربعة عشر رجلاً ورأسهم زهير بن صرد، وفيهم أبو برقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة، فسألوه

أن يمن عليهم بالسبي فقال: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً. فقال: أما ما لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم، وسأسأل لكم الناس، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله.. الخ. وكان رسول الله ﷺ قد كسا السبي قبطيةً قبطية».

قال: وكلمته أخته «الشيماء» في مالك بن عوف فقال: «إن جاءني فهو آمن، فأتاه فرد عليه ماله، وأعطاه مائة من الإبل».

١٤- مالك بن عوف مسلماً!

في شرح الأخبار: ٣١٧/١: «وسأل رسول الله ﷺ عن مالك بن عوف سيد هوازن يومئذ ما فعل؟ فقالوا: لحق بالطائف وتحصن بها مع ثقيف يا رسول الله. قال: فأخبروه أنه إن أتاني مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل. فأخبر بذلك فخرج من الطائف متسللاً عن ثقيف لئلا يعلموا به فيحبسوه. وأتى رسول الله فرد عليه أهله وماله وزاده مائة من الإبل، وأسلم وحسن إسلامه».

وفي تفسير القمي: ٢٩٩/١: «وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: المؤلفة قلوبهم: أبوسفيان بن حرب بن أمية، وسهيل بن عمرو وهو من بني عامر بن لوي وهمام بن عمرو وأخوه، وصفوان بن أمية بن خلف القرشي ثم الجشمي الجمحي، والأقرع بن حابس التميمي، ثم عمر أحد بني حازم، وعيينة بن حصين الفزاري، ومالك بن عوف، وعلقمة بن علاقة. بلغني أن رسول الله ﷺ كان يعطي الرجل منهم مائة من الإبل ورعاتها، وأكثر من ذلك وأقل».

وفي سيرة ابن هشام: ٩٢٧/٤، أن مالك بن عوف قال بعد مجيئه إلى النبي ﷺ:

«ما إن رأيت ولاسمعتُ بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد

وإذا الكتيبة عردت أنيابها ... بالسمهري وضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباله ... وسط الهباءة خادر في مرصد

«فاستعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وتلك القبائل: ثمالة، وسلمة، وفهم، فكان يقاتل بهم ثقيفاً لايخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم».

١٥- الأنصار يسقطون في امتحان المال

في **مجمع البيان**: ٣٢/٥: «قال أبو سعيد الخدري: قسم رسول الله للمتألفين من قريش من سائر العرب ما قسم، ولم يكن في الأنصار منها شئ قليل ولا كثير، فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب، ولم يكن فيهم من ذلك شئ! فقال ﷺ: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ فقال: ما أنا إلا امرؤ من قومي! فقال رسول الله: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة، فجمعهم فخرج رسول الله ﷺ فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر الأنصار، أو لم آتكم ضلالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. ثم قال: ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟ فقالوا: وما نقول؟ وبماذا نجيبك؟ المنُّ لله ولرسوله.

فقال رسول الله: أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم: جئتنا طريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، وخائفاً فآمناك، ومخذولاً فنصرناك. فقالوا: المنُّ لله ولرسوله.

فقال رسول الله ﷺ: وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام! أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفسي بيده لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار. ولولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا بالله ورسوله قسماً. ثم تفرقوا»!

وفي إعلام الورى: ٢٣٨/١: «وغضب قوم من الأنصار لذلك وظهر منهم كلام قبيح حتى قال قائلهم: لقي الرجل أهله وبني عمه ونحن أصحاب كل كريهة! فلما رأى

رسول الله ﷺ ما دخل على الأنصار من ذلك، أمرهم أن يقعدوا ولا يقعد معهم غيرهم، ثم أتاهم شبه المغضب يتبعه علي عليه السلام حتى جلس وسطهم، فقال: ألم آتكم وأنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله منها بي؟ قالوا: بلى، ولله ولرسوله المن والطول والفضل علينا. قال: ألم آتكم وأنتم أعداء فألف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: أجل... إلى آخر ما تقدم».

وفي الكافي: ٤١١/٢، **بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال زرارة**: «سألته عن قول الله عز وجل: والمُؤَلَّفَة قُلُوبُهُم... فغضبت الأنصار واجتمعت إلى سعد بن عبادة فانطلق بهم إلى رسول الله ﷺ بالجعرانة فقال: يا رسول الله أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم، فقال: إن كان هذا الأمر من هذه الأموال التي قسمت بين قومك شيئاً أنزله الله رضينا، وإن كان غير ذلك لم نرض! قال زرارة: وسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فقال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار أكُلُّكُمْ على قول سيدكم سعد؟ فقالوا: سيدنا الله ورسوله، ثم قالوا في الثالثة: نحن على مثل قوله ورأيه! قال: زرارة فسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: فحط الله نورهم».

أقول: من عجائب التاريخ موقف الأنصار عند غنائم حنين، ورئيسهم سعد بن عبادة! فقد آمنوا بالنبي ﷺ ورأوا معجزاته، وبذلوا في سبيله أموالهم وأرواحهم، ولما أعطى غيرهم ولم يعطهم اتهموه بأنه يميل مع هواه إلى قومه! وتفسير ذلك أنهم عند الإمتحان غلبهم هواهم وفقدوا عقولهم، فانخفض مستوى إيمانهم، فحط الله نورهم!

وقد سأل النبي ﷺ سعداً عن موقفه في اتهامهم لنبيهم ﷺ بأنه مال لقومه في تقسيم الغنائم، فأجابه بأنه واحد من قومه رأيه رأيهم! لذلك ينبني أن يقسم تاريخ الأنصار إلى مرحلة ما قبل غنائم حنين وبعدها!

وهذا يفسر سوء توفيق سعد ونقضه بيعته للنبي ﷺ بأن يحموه ويحموا أهل بيته بعده مما يحمون منه أنفسهم وذراريهم، فعندما رأى قريشاً مجمعة على إبعاد عترة النبي ﷺ عن خلافته، اتجه إلى ذاته وأخذ يعمل لأن تكون الخلافة له، لأنه

أحق بالإسلام وخلافته، من بطون قريش!

وقد عالج النبي ﷺ هذا الهبوط الذي حدث في حنين، بتطييب خواطرهم والدعاء لهم، وهي معالجة لتهدئتهم، لكن مستواهم انخفض كثيراً.

١٦- ولادة الخوارج في الجعرانة

في **إعلام الورى**: ٢٤١/١: «عن أبي سعيد الخدري قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم إذ أتاه ذو الخويصرة، رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله إعدل! فقال رسول الله ﷺ: ويلك من يعدل إن أنا لم أعدل وقد خبت وخسرت إن أنا لم أعدل! فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه. فقال رسول الله ﷺ: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، يُنظر إلى نصله فلا يوجد فيه شئ، ثم ينظر إلى رصافه «شد السهم» فلا يوجد فيه شئ، ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شئ، ثم ينظر في قذذه «ريش السهم» فلا يوجد فيه شئ، قد سبق الفرث والدم! آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تَدَرْدَر «تترجرج» يخرجون على خير فرقة من الناس.

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتُمس فوُجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت». ومناقب الخوارزمي/٢٥٩، بخاري: ١٧٩/٤ وغيره بتفاصيل أكثر، ومديح عظيم لمن يقتلهم.

وقال الشريف الرضي في **المجازات النبوية**/٣٣: «ومن ذلك قوله ﷺ في ذكر الخوارج: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..الحديث.. إلى قوله: قد سبق الفرث والدم. وفي هذا القول مجاز، لأنه ﷺ شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة من غير أن يتعلقوا بعقدته أو يعيقوا بطينته، بالسهم الذي أصاب الرمية، وهي الطريدة ثم خرج مسرعاً من جسمها ولم يعلق بشئ من فرثها ودمها،

وذلك من صفات السهم الصائب، لأنه لا يكون شديد السرعة إلا بعد أن يكون قوي النزعة». والمعنى أنهم منافقون يدخلون في الدين ويخرجون منه بسرعة، كالسهم السريع الذي ينفذ في الصيد ويخرج منه، وليس فيه أثر منه!

١٧- اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة، ثم رجع إلى المدينة

في **الخصال**/٢٠٠: «عن ابن عباس أن النبي ﷺ: اعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية وعمرة القضاء من قابل، والثالثة من جعرانة، والرابعة التي مع حجته».

وفي **سيرة ابن هشام**: ٤/٩٣٦: «ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة بناحية مر الظهران، فلما فرغ رسول الله ﷺ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة. وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد وهي سنة ثمان، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم ما بين ذي القعدة إذ انصرف رسول الله ﷺ إلى شهر رمضان من سنة تسع».

الفصل الرابع والستون

استكمال فتح اليمن بعد حنين

١- ضعف الحكام الفرس في اليمن

عندما بُعث النبي ﷺ كانت اليمن تُحكم من قبل كسرى، ولما كتب ﷺ إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام، غضب ومزق الرسالة وأرسل إلى حاكم اليمن واسمه باذان أن يبعث له النبي ﷺ! فأرسل باذان إلى النبي ﷺ وأبلغه رسالة كسرى، فأجابه في اليوم التالي إن الله قد أخبرني أنه قتل كسرى في يوم كذا من شهر كذا! فعاد الوفد مبهوتاً إلى باذان، وجاءه الخبر بتصديق ما قاله النبي ﷺ حرفياً فأسلم باذان فقبل النبي ﷺ إسلامه، ونصبه حاكماً على اليمن.

قال الأحمدي في مكاتيب الرسول: ٢/٤٩٩ و٣٢٩، ملخصاً: «كانت اليمن كلها تحت حكم كسرى وكان عامله عليها وهرز «وهو الذي حرر اليمن من الحبشة مع سيف بن ذي يزن» ثم بعده المرزبان بن وهرز، ثم بعده البينجان بن المرزبان بن وهرز، ثم بعده خرخسرة بن البينجان، ثم بعده باذان، حتى هلك كسرى وأسلم باذان فنصبه رسول الله ﷺ على اليمن كلها.. فلم يعزله عنها حتى مات أو قتله الأسود العنسي، واستصفى زوجته المرزبانة لنفسه! ففرق رسول الله ﷺ عمله ما بين شهر بن باذان، وعامر بن شهر الهمداني، وأبي موسى الأشعري، وخالد بن سعيد، ويعلى بن أمية، وعمرو بن حزم، وزياد بن لبيد، والطاهر بن أبي هالة، وعكاشة بن ثور المهاجر أو عبدالله...

والمراد بالأبناء أبناء الفرس الذين بعثهم كسرى إلى اليمن لما استنجد سيف بن ذي يزن،

فاسترجعوا ملك سيف، واستقروا في اليمن وتزوجوا في العرب، وسميت أبناؤهم بالأبناء، وغلب عليهم هذا الإسم». وابن هشام: ٤٥/١.

٢- ضعف سلطة باذان وتفكك اليمن

كانت قبائل اليمن تخضع للحاكم الفارسي وأسرته «الأبناء» لأن وراءهم أمبراطورية إذا طلبوا منها مدداً عسكرياً أرسلت لهم، لكن عندما قتل كسرى وضعفت فارس ونقل حكام اليمن ولاءهم من كسرى إلى النبي صلى الله عليه وآله طمع زعماء القبائل وأخذوا يستقلون بمناطقهم فاحتاج النبي صلى الله عليه وآله لأن يرسل لكل منطقة حاكماً، فتوزع حكم اليمن. والحكام الذين عينهم النبي صلى الله عليه وآله كانوا مميزين عسكرياً لحاجة المنطقة إلى ذلك، أو أصحاب قبول ونفوذ في المناطق التي عينهم فيها. ويظهر أن نفوذ باذان والأبناء ضعف كثيراً حتى احتاجوا إلى التحالف مع القبائل: «فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وآله: إلى من نحن يا رسول الله؟ قال: أنتم منا وإلينا أهل البيت. قال ابن هشام: فبلغني عن الزهري أنه قال: فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سلمان منا أهل البيت». سيرة ابن هشام: ٤٥/١.

يقصد الراوي أن ولاء الفرس لبني هاشم، ولذا صار سلمان من أهل البيت، وهذا التعليل لايصح. ويظهر أن نفوذ باذان اقتصر على صنعاء وبعض مناطق اليمن فقط! فقد اتفق المؤرخون على أن قبائل همدان أسلمت على يد علي عليه السلام، وسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله على إسلامها وقال: السلام على همدان، وكان ذلك في السنة الثامنة بعد حنين، وقيل في العاشرة، كما أن قبائل مذحج أسلمت بعدها.

وهمدان ومذحج هما الشطر الأعظم من اليمن. ويؤيد ذلك أن الأسود العنسي ادعى النبوة وسيطر على صنعاء، وقتل باذان أو قتل ابنه الذي حكم بعده.

وقد بعث النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام إلى اليمن ثلاث مرات، في السنة الثامنة إلى قبائل همدان، وفي العاشرة إلى قبائل مذحج، وأرسله بينهما قاضياً على اليمن.

قال في أعيان الشيعة: ٤١٠/١: «قال دحلان في سيرته... بَعْثُ عليٍّ إلى همدان لم

يكن سنة عشر إنما كان سنة عشر بعثه إلى بني مذحج، وأما بعثه إلى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة، فيكون بعث علي إلى اليمن حصل مرتين».

وفي المستجاد من الإرشاد/١١١: «لما أراد رسول الله ﷺ تقليده قضاء اليمن وإنفاذه إليهم ليعلمهم الأحكام، ويبين لهم الحلال من الحرام، ويحكم فيهم بأحكام القرآن قال له: تندبني يا رسول الله للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكل القضاء. فقال له: أدنُ مني فدنا منه، فضرب على صدره وقال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه. قال أمير المؤمنين: فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام».

٣- فتح علي عليه السلام لليمن

صعدنا درج صنعاء ودخلنا سوقها، فقالوا هذه الساحة «إسمها الحلقة» وسألنا عن معناها فقالوا: هنا وقف علي عليه السلام وقرأ كتاب رسول الله ﷺ لأهل اليمن فتحَلَّقُوا حوله! وزرنا بعد الساحة مسجد علي عليه السلام وهو البيت الذي كان لامرأة فاستأجره علي عليه السلام وسكن فيه مدة عمله في اليمن، فحولته صاحبته إلى مسجد.

في الكافي: ٢٨/٥، عن الإمام الصادق عليه السلام: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وقال لي: يا علي لاتقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه».

وفي العدد القوية للحلي/٢٥١: «عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، فكنت فيمن سار معه، فأقام عليهم ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء! فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب وأمره أن يُقفل «يُرجع» خالداً ومن اتبعه إلا من أراد البقاء مع علي فيتركه، فكنت ممن عقب مع علي، فلما انتهينا إلى أوائل اليمن وبلغ القوم الخبر فجمعوا له، فصلى بنا علي صلاة الفجر، فلما فرغ صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، وكتب بذلك علي إلى رسول الله ﷺ فلما قرأ كتابه خر ساجداً ثم جلس فقال: السلام على همدان، وتتابع أهل اليمن الإسلام».

وروته مصادر السلطة وسماها ابن هشام: ١٠٢٨/٤و١٠٥٦: غزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن، غزاها مرتين، وتوغل في مناطقها.

وقال الصالحي في سبل الهدى: ٢٣٥/٦: «روى البيهقي في السنن والدلائل والمعرفة عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا. ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب مكان خالد وأمره أن يُقفل خالداً، وقال: مُرْ أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل... الى آخره، وفيه: «وقال: إذا كان قتال فعليٌّ الأمير، قال: فافتتح عليٌّ حصناً فغنمت أواقي ذوات عدد وأخذ علي منه جارية، قال: فكتب معي خالد إلى رسول الله يخبره! قال الترمذي: يعني النميمة! قال: فلما قدمت على رسول الله ﷺ وقرأ الكتاب رأيته يتغير لونه فقال: ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله تعالى ورسوله؟ فقلت: أعوذ بالله من غضب الله تعالى وغضب رسوله، إنما أنا رسول». فسكت.

وفي رواية: فكتب خالد إلى رسول الله فقلت إبعثني فبعثني، فجعل يقرأ الكتاب وأقول صدق، فإذا النبي ﷺ قد احمر وجهه فقال: من كنت وليه فعلي وليه! ثم قال: يا بريدة أتبغض علياً؟ فقلت: نعم. قال: لاتبغضه فإن له الخمس أكثر من ذلك. وفي رواية: والذي نفسي بيده لنصيب علي في الخمس أفضل من وصيفة، وإن كنت تحبه فازدد له حباً. وفي رواية: لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي. قال بريدة: فما كان في الناس أحد أحب إلي من علي!

قال الحافظ: كان بعث علي بعد رجوعهم من الطائف، وقسمة الغنائم بالجعرانة.. وهو وليكم بعدي: أي يلي أمركم.

الباب الثاني والسبعون في سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن المرة الثانية: قال محمد بن عمر «الواقدي» وابن سعد واللفظ للأول: قالوا بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن في رمضان وأمره أن يعسكر بقناة، فعسكر بها حتى تتامَّ أصحابه. فعقد له

رسـول الله ﷺ لواء وأخذ عمامته فلفها مثنية مربعة، فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها إليه، وعممه بيده عمامة ثلاثة أكوار، وجعل له ذراعاً بين يديه وشبراً من ورائه وقال له: إمض ولا تلتفت. فقال علي: يا رسول الله ما أصنع؟ قال: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وادعهم إلى أن يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة، فإن أجابوا فمرهم بالزكاة، فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك. والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت.

فخـرج علي في ثلاث مائة فارس فكانـت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد. فلما انتهى إلى أدنى الناحية التي يريد من مذحج، فرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وسبايا نسـاء وأطفالاً ونعماً وشـاءً وغـير ذلك، فجعل علي عـلى الغنائم بريـدة بن الحصيب الأسلمي فجمع إليه ما أصابوا قبل أن يلقى لهم جمعاً.

ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا أصحابه بالنبل والحجارة، فلما رأى أنهم لايريدون إلا القتال، صف أصحابه ودفع اللواء إلى مسـعود بن سـنان السـلمي فتقـدم بـه، فبرز رجل من مذحج يدعو إلى البراز، فبرز إليه الأسـود بن خزاعي فقتله الأسود وأخذ سلبه. ثم حمل عليهم علي وأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرقوا وانهزموا وتركوا لواءهم قائماً، وكف علي عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا، وتقدم نفر من رؤسـائهم فبايعوه على الإسـلام وقالوا: نحن على من وراءنا مـن قومنـا، وهـذه صدقاتنا فخـذ منها حق الله تعـالى. وجمع علي ما أصـاب من تلك الغنائـم، فجزأها خمسـة أجزاء، فكتب في سـهم منهـا لله ثم أقرع عليهـا، فخرج أول السُّهمان سهم الخمس.

وقسـم عليٌّ على أصحابه بقية المغنم، ولم ينفل أحداً من الناس شـيئاً، وكان من كان قبله يعطون خيلهم الخاص دون غيرهم من الخمس، ثم يخبرون رسول الله بذلك فلا يـرده عليهم، فطلبـوا ذلك من علي فأبى وقال: الخمس أحمله إلى رسـول الله ﷺ يرى فيه رأيه. وأقام فيهم يقرؤهم القرآن ويعلمهم الشرائع.

وكتـب إلى رسـول الله كتاباً مع عبـدالله بن عمرو بن عوف المزني يخبره الخبر، فأتى

رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ أن يوافيه الموسم، فانصرف عبدالله بن عمرو بن عوف إلى علي بذلك فانصرف علي راجعاً، فلما كان بالفتقن «مكان» تعجل إلى رسول الله ﷺ يخبره الخبر، وخلف على أصحابه والخمس أبا رافع، فوافى رسول الله ﷺ بمكة قد قدمها للحج، وكان في الخمس ثياب من ثياب اليمن أحمال معكومة ونعم وشاء مما غنموا، ونعم من صدقة أموالهم، فسأل أصحاب علي أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يحرمون فيها، فكساهم منها ثوبين ثوبين. فلما كانوا بالسدرة داخلين خرج علي ليتلقاهم ليقدم بهم، فرأى على أصحابه الثياب فقال لأبي رافع: ما هذا؟ فقال: كلموني ففرقت من شكايتهم وظننت أن هذا ليسهل عليك، وقد كان من قبلك يفعل هذا بهم. فقال: قد رأيت امتناعي من ذلك ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلفت فتعطيهم! فنزع علي الحلل منهم! فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوه، فدعا علياً فقال: ما لأصحابك يشكونك؟ قال: ما أشكيتهم، قسمت عليهم ماغنموا وحبست الخمس حتى يقدم عليك فترى فيه رأيك. فسكت رسول الله ﷺ». انتهى.

أقول: يظهر أن خالداً لم يطع أمر النبي ﷺ فقد أمره أن يرجع، وخيَّر جنوده بين البقاء مع علي عليه السلام أو الرجوع! لكنه بقي يتتبع عمل علي عليه السلام ويرسل إلى النبي يشكوه! كما يتضح من روايتهم أن علياً عليه السلام أعطى جنوده أربعة أخماس الغنيمة فطمعوا في خمس النبي ﷺ واستغلوا مسارعة علي عليه السلام قبلهم إلى النبي ﷺ فأصروا على أبي رافع وأخذوا من الخمس الذي للنبي ﷺ بغير حق، فلما رجع علي عليه السلام نزعه منهم! وظلم رواة الحكومة علياً عليه السلام فصوروا أنه أخطأ مع جنوده!

ثم تابع الصالحي في سبل الهدى: «الباب الرابع والتسعون في وفود همدان إليه ﷺ: قالوا قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ وعليهم مقطعات الحبرات مكففة بالديباج، وفيهم حمزة بن مالك من ذي مشعار، فقال رسول الله ﷺ: نِعْمَ الحيُّ همدان ما أسرعها إلى النصر وأصبرها على الجهد، ومنهم أبدال وأوتاد الإسلام. فأسلموا وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً بمخلاف خارف، ويام، وشاكر،

وأهل الهضب، وحقاف الرمل من همدان، لمن أسلم منهم...

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح من حديث ابن إسحاق عن البراء: أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم أن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب وأمره أن يعقب خالداً إلا رجلاً ممن كان مع خالد أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه.. إلى آخر ما تقدم».

وقال ابن إسحاق: فقام مالك بن نمط بين يديه فقال: يا رسول الله نصيَّةٌ من همدان من كل حاضر وباد، أتوك على قلص نواح، متصلة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف ويام وشاكر، أهل السواد والقود أجابوا دعوة الرسول وفارقوا الإلاهات والأنصاب، عهدهم لا ينقض عن سِنَة ماحل، ولا سوداء عنقفير، ما أقام لعلع، وما جرى اليعفور بصيلع.

فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف، وأهل جناب الهضب، وحقاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط، ومن أسلم من قومه أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون ظلافها، ويرعون عفاءها، ولنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة، ولهم من الصدقة الثلب والتاب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح. لكم بذلك عهد الله وذمام رسوله، وشاهدكم المهاجرون والأنصار.

فقال في ذلك مالك بن نمط:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى ... ونحن بأعلى رحرحان وصلدد

وهن بنا خوص طلائح تغتلي ... بركبانها في لأحب متمدد

على كل فتلاء الذراعين جسرة ... تمر بنا مر الهجف الخفيدد

حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد

بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذي العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه وأمضى بحد المشرفي المهند»

ومن رواياتها عن أبي رافع: «بعث رسول الله علياً أميراً على اليمن، وبعث خالد بن الوليد على الجبل فقال: إن اجتمعتما فعليٌّ على الناس، فالتقوا وأصابوا من الغنائم ما لم يصيبوا مثله وأخذ علي جارية من الخمس، فدعا خالد بن الوليد بريدة فقال: إغتنمها فأخبر النبي ما صنع! فقدمت المدينة ودخلت المسجد ورسول الله في منزله وناس من أصحابه على بابه فقالوا: ما الخبر يا بريدة؟ فقلت: خيراً فتح الله على المسلمين، فقالوا: ما أقدمك؟ قلت: جارية أخذها علي من الخمس فجئت لأخبر النبي! فقالوا: فأخبر النبي فإنه يسقط من عين النبي! ورسول الله يسمع الكلام فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً! من تَنَقَّصَ علياً فقد تنقصني ومن فارق علياً فقد فارقني! إن علياً مني وأنا منه خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم. يا بريدة: أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ وأنه وليكم بعدي؟ فقلت: يا رسول الله بالصحبة إلا بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديداً! قال: فما فارقته حتى بايعته على الإسلام»! أوسط الطبراني: ١٦٣/٦.

أقول: بحثنا شكاية خالد وجواب النبي ﷺ في كتاب العقائد الإسلامية: ٩١/٤، وتحريف البخاري وغيره لها.

وأخيراً، **ادعى كعب الأحبار أنه لقي علياً عليه السلام باليمن وأسلم! ففي مغازي الواقدي/٦٦٨:** «لما قدم علي بن أبي طالب اليمن خطب به، وبلغ كعب الأحبار قيامه بخطبته، فأقبل على راحلته في حلة، معه حبر من أحبار اليهود حتى استمعا له... قال كعب الأحبار: لما قدم علي اليمن لقيته فقلت: أخبرني عن صفة محمد، فجعل يخبرني عنه وجعلت أتبسم، فقال: مم تتبسم؟ فقلت: مما يوافق ما عندنا من صفته... قال: فأقمت باليمن على إسلامي حتى توفي رسول الله وتوفي أبو

بكر فقدمت في خلافه عمر، وياليت أني كنت تقدمت في الهجرة»!

وكذب كعب في ادعائه، لأنه إنما أعلن أنه مسلم في أواسط خلافة عمر!

٤- أهدى علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله أفراساً من اليمن

في الكافي: ٥٣٥/٦، **عن الإمام الرضا عليه السلام قال:** «أهدى أمير المؤمنين عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة أفراس من اليمن فقال: سمها لي، فقال: هي ألوان مختلفة قال: ففيها وضح؟ فقال: نعم فيها أشقر به وضح، قال: فأمسكه عليَّ، قال: وفيها كميتان أوضحان، فقال: أعطهما ابنيك، قال: والرابع أدهم بهيم قال: بعه واستخلف به نفقة لعيالك، إنما يمن الخيل في ذوات الأوضاح».

٥- وأرسل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام قاضياً إلى اليمن

في بصائر الدرجات/٤٧٢، عن عبدالعزيز القراطيسي: «قلت لأبي عبدالله: جعلت فداك إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وجه علياً عليه السلام إلى اليمن ليقضي بينهم فقال علي عليه السلام: فما وردت على قضية إلا حكمت فيها بحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وآله. فقال صدقوا. قلت: وكيف ذاك ولم يكن أنزل القرآن كله، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله غائباً عنه؟ فقال: يتلقاه به روح القدس».

وفي أمالي الصدوق/٤٢٨: «عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً إلى اليمن فانفلت فرس لرجل من أهل اليمن فنفح رجلاً برجله فقتله، وأخذه أولياء المقتول فرفعوه إلى علي، فأقام صاحب الفرس البينة أن الفرس انفلت من داره فنفح الرجل برجله، فأبطل علي عليه السلام دم الرجل، فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى النبي صلى الله عليه وآله يشكون علياً عليه السلام فيما حكم عليهم فقالوا: إن عليا ظلمنا وأبطل دم صاحبنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن علياً ليس بظلام، ولم يخلق علي للظلم، وإن الولاية من بعدي لعلي، والحكم حكمه، والقول قوله، لا يرد حكمه وقوله وولايته إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن. فلما سمع اليمانيون قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام قالوا: يا رسول الله، رضينا بقول علي وحكمه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

هو توبتكم مما قلتم». والتهذيب: ٢٢٨/١٠.

أقول: من القواعد المتفق عليها أنه لا يبطل دم امرئ مسلم، فلا بد أن يكون إبطال دم الذي نفحه الفرس، بمعنى عدم ضمان صاحب الفرس لعدم تقصيره، فتكون ديته على الوالي من بيت المال.

٦- ثم أرسله النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن ليصلح بينهم

في بصائر الدرجات/٥٢١، **عن أمير المؤمنين عليه السلام قال**: «دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فوجهني إلى اليمن لأصلح بينهم، فقلت له يا رسول الله عليه السلام إنهم قوم كثير وأنا شاب حدث. فقال لي: يا علي عليه السلام إذا صرت بأعلى عقبة فيق فناد بأعلى صوتك: يا شجر يا مدر يا ثرى، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤكم السلام! قال: فذهبت فلما صرت بأعلى عقبة فيق أشرفت على اليمن، فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوي مشرعون أسنتهم، متنكبون قسيهم شاهرون سلاحهم، فناديت بأعلى صوتي: يا شجر يا مدر يا ثرى محمد صلى الله عليه وآله يقرؤكم السلام، قال: فلم يبق شجرة ولا مدرة ولا ثرى الا ارتجت بصوت واحد: وعلى محمد رسول الله وعليك السلام! فاضطربت قوايم القوم وارتعدت ركبهم، ووقع السلاح من أيديهم، وأقبلوا مسرعين فأصلحت بينهم وانصرفت».

٧- ثم أرسله النبي صلى الله عليه وآله إلى اليمن عندما ارتد ابن معديكرب

في البحار: ٣٥٦/٢١ **والإرشاد**: ١٤٥/١: «لما عاد رسول الله صلى الله عليه وآله من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معدي كرب فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر، قال: يا محمد وما الفزع الأكبر فإني لا أفزع، فقال يا عمرو: إنه ليس كما تظن وتحسب! إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة، فلا يبقى ميت إلا نشر ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات، ويُصَفُّونَ جميعاً وتنشق السماء وتهد الأرض وتخر الجبال هداً، وترمي النار بمثل الجبال شرراً، فلا يبقىٰ ذو روح إلا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه

إلا من شاء الله! فأين أنت يا عمرو من هذا؟ قال: ألا إني أسمع أمراً عظيماً، فآمن بالله ورسوله وآمن معه من قومه ناس ورجعوا إلى قومهم.

ثم إن عمرو بن معدي كرب نظر إلى أبيّ بن عثعث الخثعمي، فأخذ برقبته ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: أُعْدُني على هذا الفاجر الذي قتل والدي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية، فانصرف عمرو مرتداً، فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب، ومضى إلى قومه! فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وأمره على المهاجرين وأنفذه إلى بني زبيد، وأرسل خالد بن الوليد في الأعراب وأمره أن يعمد لجعفى، فإذا التقيا فأمير الناس أمير المؤمنين. فسار أمير المؤمنين عليه السلام واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري، فأما جعفى فإنها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين: فذهبت فرقة إلى اليمن وانضمت الفرقة الأخرى إلى بني زبيد، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلى خالد بن الوليد: أن قف حيث أدركك رسولي فلم يقف! فكتب إلى خالد بن سعيد بن العاص: تعرض له حتى تحبسه، فاعترض له خالد حتى حبسه، وأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فعنفه على خلافه! ثم سار حتى لقي بني زبيد بواد يقال له كثير، فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت يا با ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الإتاوة؟ قال: سيعلم إن لقيني! قال: وخرج عمرو فقال: من يبارز؟ فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقام إليه خالد بن سعيد وقال له: دعني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أبارزه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كنت ترى أن لي عليك طاعة فقف مكانك فوقف، ثم برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحة فانهزم عمرو! وقتل أخاه وابن أخيه. وأُخِذَت امرأته ركانة بنت سلامة، وسبي منهم نسوان، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم، ويؤمِّن من عاد إليه من هرابهم مسلماً، فرجع عمرو بن معدي كرب واستأذن على خالد بن سعيد فأذن له، فعاد إلى الإسلام، فكلمه في امرأته وولده فوهبهم له! وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزوراً قد نحرت فجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً، وكان يسمى سيفه الصمصامة،

فلما وهب خالد بن سعيد لعمرو امرأته وولده، وهب له عمرو الصمصامة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد اصطفى من السبي جارية، فبعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال له: تقدم الجيش إليه فأعلمه بما فعل علي من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه، وقَعْ فيه! فسار بريدة حتى انتهى إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله فلقيه عمر بن الخطاب فسأله عن حال غزوتهم وعن الذي أقدمه فأخبره أنه إنما جاء ليقع في علي وذكر له اصطفاءه الجارية من الخمس لنفسه فقال له عمر: إمض لما جئت له فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي!

فدخل بريدة على النبي صلى الله عليه وآله ومعه كتاب من خالد بما أرسل به بريدة، فجعل يقرأه ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتغير فقال بريدة: يا رسول الله إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيئهم! فقال النبي صلى الله عليه وآله: ويحك يا بريدة أحدثت نفاقاً؟ إن علي بن أبي طالب يحل له من الفيء ما يحل لي، إن علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف بعدي لكافة أمتي! يا بريدة إحذر أن تبغض علياً فيبغضك الله! قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت لي فسخت فيها وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسول الله. يارسول الله إستغفر لي، فلن أبغضن علياً أبداً ولا أقول فيه إلا خيراً، فاستغفر له النبي صلى الله عليه وآله».

أقول: نلاحظ أن خالد بن الوليد كان مأموراً من النبي صلى الله عليه وآله بطاعة علي عليه السلام، ولكنه كان يتصرف كأنه مستقل، وقد تركه علي عليه السلام حتى إذا خشي الضرر من تصرفه أمر خالداً بن سعيد أن يمنعه بالقوة من مواصلة مسيره، فمنعه!

وهذا يثبت شجاعة خالد بن سعيد وخوف خالد بن الوليد منه ومن علي عليه السلام، لأنهما أشجع منه، ومكانته في قريش ومكة أعلى من مكانته!

وقد يكون علي عليه السلام منعه من التقدم إلى زبيد لخوفه عليه من الهزيمة أمام ابن معديكرب وهو هزيمة للمسلمين، ثم ظهر أن علياً عليه السلام كان أعد خطة لهزيمة ابن معديكرب بدون أن يقتله! ولا بد أن ابن الوليد بهت لفزع عمرو من صرخة علي عليه السلام! ويبدو أن تلك الصرخة الحيدرية بأمر النبي صلى الله عليه وآله وفيها سرٌّ من أسراره! لأنه صلى الله عليه وآله

لما أنذر عمروا من فزع الآخرة قال له عمرو: «يا محمد وما الفزع الأكبر فإني لا أفزع»! وعندما ارتد عمرو أراه الله الفزع في الدنيا، وأبقاه حياً.

٨- الأسود العنسي يدعي النبوة في اليمن

في **البحار**: ٢١/٤١١: «لما رجع رسول الله ﷺ من حجه طارت الأخبار بأنه قد اشتكى فوثب الأسود باليمن ومسيلمة باليمامة، فأما الأسود العنسي فاسمه عهيلة بن كعب، وكان كاهنا يشعبذ ويريهم الأعاجيب ويصمي منطقه قلب من يسمعه.

وكان أول خروجه بعد حجة رسول الله ﷺ فسار إلى صنعاء فأخذها، فكتب فروة بن مسيك إلى رسول الله ﷺ بخبره وكان عامل رسول الله على مراد، وخرج معاذ بن جبل هارباً حتى مر بأبي موسى الأشعري وهو بمارت فاقتحما حضر موت، ورجع عمرو بن خالد إلى المدينة، وقتل شهر بن باذام وتزوج امرأته، وكانت ابنة عم فيروز، فأرسل رسول الله ﷺ إلى نفر من الأبناء رسولاً وكتب إليهم أن يحاولوا الأسود إما غيلة وإما مصادمة، وأمرهم أن يستنجدوا رجالاً سماهم لهم ممن حولهم من حمير وهمدان، وأرسل إلى أولئك النفر أن ينجدوهم، فدخلوا على زوجته فقالوا: هذا قد قتل أباك وزوجك فما عندك؟ قالت: هو أبغض خلق الله إليَّ وهو مجرد والحرس محيطون بقصره إلا هذه البيت فانقبوا عليه فنقبوا، ودخل فيروز الديلمي فخالطه فأخذ برأسه فقتله، فخار خوار ثور فابتدر الحرس الباب فقالوا: ما هذا؟ فقالت: النبي يوحى إليه ثم خمد! وقد كان يجيء إليه شيطان فيوسوس له فيغط ويعمل بما قاله، فلما طلع الفجر نادوا بشعارهم الذي بينهم ثم بالأذان وقالوا فيه: أشهد أن محمداً رسول الله، وأن عهيلة كذاب، وشنوها غارة وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم، وكتبوا إلى رسول الله بالخبر فسبق خبر السماء إليه، فخرج رسول الله ﷺ قبل موته بيوم أو بليلة فأخبر الناس بذلك، فقال: قتل الأسود البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين، قيل: ومن هو؟ قال: فيروز، فاز فيروز، ووصل الكتاب ورسول الله ﷺ قد مات إلى أبي بكر. وكان من أول خروجه إلى أن قتل نحو أربعة أشهر. وفيروز قيل: إنه ابن أخت النجاشي وقيل هو من أبناء فارس.

وأما مسيلمة بن حبيب الكذاب فكان يقال له: رحمن اليمامة، لأنه كان يقول: الذي يأتيني اسمه رحمن، وقدم على رسول الله ﷺ فيمن أسلم ثم ارتد لما رجع إلى بلده، وكتب إلى رسول الله: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أما بعد فإن الأرض لنا نصف ولقريش نصف، ولكن قريش قوم يعتدون»!

وفي الينابيع الفقهية: ١٤٣/٩: «وقيل كان أهل الردة إحدى عشرة فرقة، ثلاث في عهد رسول الله ﷺ: بنو مدلج، ورئيسهم ذو الخمار، وهو الأسود العنسي وكان كاهناً تنبأ باليمن واستولى على بلاده، وأخرج عمال رسول الله ﷺ، فبيته فيروز الديلمي فقتله. وأخبر رسولُ الله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله ﷺ من الغد. وبنو حنيفة قوم مسيلمة الذي تنبأ. وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ أيضاً ثم أسلم وحسن إسلامه. وبعد وفاة رسول ﷺ كفى الله أمرهم».

وفي مناقب آل أبي طالب: ٩٤/١: «وأخبرَ ﷺ بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء وأخبر بمن قتله». راجع: مكاتيب الرسول: ٢٧٨/١ و٢٧٠، كتبه في الردة في قتل الأسود العنسي. والإستيعاب: ٦٩٨/٢ والإصابة: ٣٣٠/٢، الطبقات: ٥٣٤/٥ وتاريخ دمشق: ١٢٧/٦.

الفصل الخامس والستون

أزواج النبي ﷺ يشاركن في الصراع على الخلافة

١- نشاط زعماء قريش بعد هزيمتهم

كانت أكبر ضربة تلقاها زعماء قريش في كل حياتهم، يوم فاجأهم النبي ﷺ بجنود الإسلام مكة وأجبرهم على خلع سلاحهم وإعلان الإستسلام!

في تلك الأيام عاشوا أشد أيام حياتهم ذهولاً وحيرة! فقد أسقط في أيديهم تماماً بعد معركة امتدت عشرين سنة مع محمد وبني هاشم، وكانوا فيها قبل فتح مكة منتصرين أحياناً، أو سجالاً متعادلين أحياناً!

ولما دعاهم النبي ﷺ إلى المسجد حضروا مجبرين خائفين، وأعلنوا إسلامهم تحت سيف النبي ﷺ وخطب فيهم ووبخهم! ثم أعلنهم «طلقاء»! فلا هم عبيد ولا عتقاء، ثم أطمعهم في الدنيا، ودعاهم إلى حرب هوازن معه في حنين! إنها سياسة الحزم والتطميع، وهي لا ترفع حيرتهم بل تزيدها!

فهل يستسلمون لدولة محمد وبني هاشم، أم يوجد طريقٌ للخروج من هذه الأزمة؟! وهل تدور الأيام فيستطيعون جمع العرب من جديد لقتال محمد؟

هكذا كان يفكر أبوسفيان وهو يطوف، فالتفت اليه النبي ﷺ وضرب بيده في صدره وقال: إذن يخزيك الله ياأبا سفيان! الصحيح:٢٢/٣٢١.

أم هل يرون هوازن وقد انتصرت عليه فينتهي دينه: «وترجع العرب إلى دين آبائها،

وقد قتل محمد وتفرق أصحابه»! كما قالوا عندما وقعت على المسلمين الهزيمة في أول جولة من معركة حنين؟! سبل الهدى: ٥/٢٣٠.

أم هل يستطيعون تدبير قتله فيحلون مشكلتهم معه، وقد حاولوا ذلك قبل فتح مكة، فلم ينجحوا! أم هل ينتظرون، كما ينصحهم صحابته القرشيون، حتى يموت فيرثوا دولته؟!

وكيف يمكن لهم ذلك وهو يرتب الأمر من بعده لابن عمه وصهره علي الذي هو في الثلاثينات من عمره، ثم من بعده لأولاد ابنته فاطمة، الحسن والحسين، ومعهم لايبقى لقبائل قريش شئ!

واتخذ زعماء قريش قرارهم الذي كانوا اتخذوه سابقاً، وهو العمل على هذه الجبهات جميعاً! وظهرت نواياهم عند هزيمة المسلمين في الجولة الأولى في حنين، واعترف اثنان من شخصياتهم بأنهما حاولا قتل النبي ﷺ فلم يستطيعا!

وكانت الخطوة التالية أن عزلوا أبا سفيان عن قيادتهم، ولم يشفع له أنه ما زال يشاركهم في عداوة محمد ﷺ، فقد اعتبروه ضَعُفَ أو داهن في فتح مكة، فلم يأخذ لهم شروطاً تحفظ وجودهم، كالتي أخذها سهيل بن عمرو في الحديبية!

واختاروا سهيلاً قائداً بدل أبي سفيان، وضيقوا دائرة مشورتهم في العمل ضد محمد، وأبعدوا منها أبا سفيان وبني أمية لأنهم من بني عبدمناف، فاضطر أبوسفيان للذهاب إلى المدينة، لعله يجد مجالاً للعمل في دولة محمد!

وقد عمل سهيل بن عمرو لإعادة كيان قريش الذي انهار بفتح مكة، وأخذ يتصرف في مكة متجاهلاً عتّاب بن أسيد الذي عينه النبي ﷺ حاكماً، وأخذ يراسل النبي ﷺ بطلبات قريش منه، باعتبارهم ما زالوا كياناً مقابله كما كانوا!

ووجد سهيل عضدين قويين يساعدانه من الصحابة القرشيين هما أبو بكر وعمر فكان ينزل عندهما في المدينة، ويذهبان معه إلى النبي ﷺ ويؤيدان طلباته!

وكان من أهم الأعمال التي قاموا بها في السنة الثامنة، أنهم شجعوا هجرة القرشيين المبغضين لبني هاشم إلى المدينة. وقاموا في المدينة بحملات دعاية ضد

بني هاشم، حتى أنهم كانوا يقولون إن «محمداً» نشاز في هؤلاء السيئين!

فضجَّ منهم الأنصار واشتكوا إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: «إنا نسمع من قومك، حتى يقول القائل: إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت في كبا «مزبلة»! فخطب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: أيها الناس من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله، فقال: أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب. قال فما سمعناه انتمى قبلها قط، ثم قال: إن الله تعالى خلق خلقه فجعلني في خير خلقه، ففرقهم فريقين فجعلني في خير الفريقين، ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم قبيلة، ثم فرقهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، فأنا خيركم بيتاً وخيركم نفساً». مسند أحمد: ٢١٠/١.

وتواصلت دعاية قريش ضد بني هاشم، حتى كانوا يعبسون في وجوههم! فشكى بنو هاشم ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله ووصف هو ذلك بأن أحدهم إذا رأى هاشمياً فكأنما يفقأ في عينيه حب الرمان الحامض!

وجاء العباس يوماً مغضباً وقال: «يارسول الله ما لنا ولقريش! إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك! قال فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى احمر وجهه، ثم قال: والذي نفسي بيده لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله». الترمذي: ٣١٧/٥.

وقد جمعناها أحاديثهم وكفرياتهم من مصادرهم في كتاب: **ألف سؤال وإشكال**: ١٧٩/١. وركزت قريش دعايتها ضد علي عليه السلام خاصة لإسقاط شخصيته، والإنتقام منه لقتله زعماءها وأبطالها، وتهيئة الجو لعزله بعد النبي صلى الله عليه وآله! وعملت لذلك أعمالاً عديدة في حرب النبي صلى الله عليه وآله وسلمه وسفره وحضره صلى الله عليه وآله!

وقد غضب النبي صلى الله عليه وآله من ذلك مراراً وشدد دفاعه عن علي عليه السلام، وخطب أكثر من مرة مبيناً مكانته وفضله، ونفاق من يؤذيه ويبغضه، أو كفره! ولو لم يكن منها إلا قصة بريدة الأسلمي، التي روتها مصادر السنيين بطرق عديدة وأسانيد صحيحة لكفى، فقد كشفت عن وجود شبكة عمل منظم ترسل الرسائل من اليمن إلى المدينة، وتضع الخطط ضد علي عليه السلام!

وروت إدانة النبي ﷺ وغضبه عليهم وتصريحه بأن علياً «وليكم من بعدي» كما رواه أحمد والنسائي، وأن كل من ينتقد علياً عليه السلام ولا يحبه ولا يطيعه، فهو منافق خارج عن الإسلام! لكن القرشيين لم يسمعوا أوامر النبي ﷺ في حق علي عليه السلام في حياته فكيف بهم بعد وفاته؟!

ثم تزايدت فعالية القرشيين حتى وصلت في السنة التاسعة إلى وضع خطة قوية لقتل النبي ﷺ في طريق رجوعه من تبوك، ويأتي ذلك في مؤامرة ليلة العقبة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن العرب كرهت أمر محمد ﷺ وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه! حتى قذفت زوجته! ونَفَّرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها وجسيم منه عندها! وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته»! شرح النهج: ٢٠/٢٩٨.

ثم صارت عدواتهم للنبي ﷺ في أهل بيته عليهم السلام ميثاقاً سرياً مع اليهود، قال الله عنها في سورة محمد ﷺ التي نزلت تلك السنة: إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. محمد: ٢٥-٢٦.

٢- كانت ولادة ابراهيم بن النبي ﷺ كارثة على قريش!

في السنة الثامنة للهجرة حدث أمرٌ أربك القرشيين وزاد من صعوبة عملهم في تسقيط سمعة علي عليه السلام وبني هاشم، فقد رزق النبي ﷺ بولد، وصار برأي قريش وريثه حسب العرف القبلي، وفي الإسلام بقانون الأسرة الربانية المختارة: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. لذا نشطت عناصر قريش من نساء النبي ﷺ في العمل لإبطال وراثة إبراهيم بن النبي ﷺ لأبيه باتهام والدته مارية القبطية لنفيه عن النبي ﷺ!

فاضطر النبي ﷺ أن يُسكنها بعيداً عند بيت أبي رافع، وأنزل الله براءتها قرآناً فجعلتها عائشة براءة لها، فأنزل الله سورة التحريم وفيها كشف انحراف اثنتين

من نساء النبي ﷺ وتهديد لهما! لكنهما واصلتا العمل فتفاقم الأمر حتى غضب النبي ﷺ واعتزل نساءه شهراً في أوائل السنة التاسعة، وشاع خبر أنه طلقهن!

قال ابن كثير: ٧١٠/٣: «رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة لليال بقين من ذي الحجة في سفرته هذه «فتح مكة». «وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم بن رسول الله ﷺ من مارية القبطية، فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولداً ذكراً».

وقال ابن سعد في الطبقات: ١٣٥/١: «أن رسول الله ﷺ حجب مارية، وكانت قد ثقلت على نساء النبي ﷺ وغرن عليها، ولا مثل عائشة».

٣- سورة التحريم كشفت الحزب القرشي في بيت النبي ﷺ

عاد النبي ﷺ من فتح مكة وحرب حنين في ذي القعدة من السنة الثامنة، وحدثت أحداثٌ تتعلق ببيته وأزواجه، استوجبت أن يهجر عائشة ثلاثة أشهر! «ذا الحجة والمحرم وبعض صفر». طبقات الشافعية: ٣١٩/٦ والصحيح: ٦٨/٢٦.

وقالوا إن ذلك بسبب حديث الإفك واتهام بعضهم لعائشة، لكن تهمة عائشة كانت في غزوة المريسيع في شعبان من السنة الخامسة، «إعلام الورى: ١٩٦/١». وهجره لها كان في آخر السنة الثامنة وأول التاسعة، وقد رووا أنه ﷺ هجرها شهراً وليس ثلاثة أشهر! «فتح الباري: ٣٦٣/٨». وقالوا إنه هجرها بسبب أنها لم تعط بعيرها إلى صفية! وهذه عادتهم في تبسيط أسباب غضب النبي ﷺ على زوجاته وجعلها أموراً عادية، لإبعادها عن عملهن ضده لمصلحة قريش! لكن سورة التحريم، كشفت أن حفصة وعائشة أفشتا سره ﷺ وتآمرتا عليه! وهددهن الله بجيش جرار لايستنفر إلا في حالات الخطر على الرسالة والرسول!

وهذا واضح من نص السورة قال تعالى:

وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾.

ثم قال تعالى لهما: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾.

فقد نصت على أن النبي صلى الله عليه وآله أسرَّ لهما بحديث وأكد عليهما أن لا تقولاه، ولا بد أن الله أمره بذلك لحكمة يعلمها. لكنهما خانتا وأفشتا سر النبي صلى الله عليه وآله فأطلعه الله، فهددهما وضرب لهما مثلاً بامرأتي نوح ولوط، اللتين خانتا زوجيهما النبيين وكفرتا فدخلتا النار!

قال العلامة في نهج الحق/٣٧٠: «وأفشت سر رسول الله صلى الله عليه وآله، وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين أن عمر خليفة أبيها شهد عليها بذلك. ونقل الغزالي سوء صحبتها لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن أباها أبابكر دخل يوماً على النبي صلى الله عليه وآله وقد وقع منها في حق النبي أمر مكروه، فكلفه النبي صلى الله عليه وآله أن يسمع ما جرى ويدخل بينهما فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: تتكلمين أو أتكلم؟ فقالت: بل تكلم ولا تقل إلا حقاً! فلينظر العاقل إلى هذا الجواب وهل كان عنده إلا الحق؟ وينظر في الفرق بين خديجة وعائشة. وقد أنكر الجاحظ من أهل السنة في كتاب الإنصاف غاية الإنكار على من يساوي عائشة بخديجة، أو يفضلها عليها».

وفي تأويل الآيات:٦٩٧/٢: «سبب نزول هذه الآيات أن النبي صلى الله عليه وآله أسرَّ إلى عائشة وحفصة حديثاً وهو أن أبابكر وعمر يليان الأمر من بعده بالقهر والغلبة، فلما أسر إليهما ذلك عرفت كل واحدة أباها، وأفشت سر رسول الله صلى الله عليه وآله! فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وآله يخبره بما فعلتا.. وَصَالِحُ المؤمنين: أمير المؤمنين عليه السلام على ما رواه محمد بن العباس رحمه الله من طريق العام والخاص، أورد في تفسيره هذا المنقول اثنين وخمسين حديثاً، اخترنا منها بعضها، فقد قال لغلامه ابن أبي رافع لما بكى وقال: من لي ولولدي بعدك يا رسول الله؟ قال: لك الله بعدي، ووصيي صالح المؤمنين علي بن أبي طالب. لكن رواة الخلافة القرشية أغمضوا عن الخطر على الإسلام، الذي تحدثت عنه السورة واستنفر له الله تعالى جيشاً لحالة الخطر القصوى؟!

يبقى السؤال: لماذا أخبر النبي صلى الله عليه وآله عائشة بأن أبوها سيتسلط على الأمة

بعـده؟! **وجوابه**: أن قريشـاً كانـت تخطط لإعلان الردة بحجـة أن محمداً ﷺ يريد أن يؤسـس ملكاً لبني هاشـم، فهو ليـس بنبي! فأخبر الله تعـالى نبيه ﷺ بذلك وأمره أن يطمئنهم ليحفظوا نبوته، وإن أخذوا الحكم بعده، وأبعدوا عترته عليهم السلام!

٤- اتهامهم مارية وتبرئة الله لها

قال ابن سـعد: ٢١٢/٨: «بعث المقوقس صاحب الإسـكندرية إلى رسـول الله ﷺ في سـنة سـبع من الهجرة بمارية وبأختها سـيرين، وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً ليناً، وبغلتـه الدلـدل وحماره عفير ويقـال يعفور، ومعهم خِصْيٌ يقال له مابور شـيخ كبير، كان أخا مارية... فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشر رسول الله بإبراهيم فوهب له عبداً، وذلك في ذي الحجة سنة ثمان».

وقالت عائشـة كـما في الطبقـات: ٢١٢/٨: «ما غرتُ على امـرأة إلا دون ما غرتُ على مارية! وذلك أنها كانت جميلة من النسـاء جعدة، وأعجب بها رسـول الله، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا، فكان رسـول الله عامة النهار والليـل عندها، حتى **فرغنا لها فجزعت**! فحولها إلى العالية، فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا، ثم رزق الله منها الولد وحرمنا منه».

وعـبَّرت عائشـة بقولهـا: فرغنـا لها فجزعت! عن سـنتين مـن صراعها مـع مارية، وتفرغهـا هي وحفصة لأذية مارية المؤمنة الغافلـة الغريبة! وروي من أذيتهن الكلام والأفعال والضرب والشـد بالشـعر! فخـشي النبي ﷺ عليها وعلى حملهـا! وكان له بسـتان في العوالي يسـكن فيه غلامه أبو رافع رضي الله عنه وزوجته سـلمى وكانت مؤمنة عاقلة، فبنى لأم إبراهيم غرفة وأسـكنها هناك وكان يذهب اليها. فزاد عداء عائشـة وحزبها لمارية، وتضاعف حسدهن عندما رزقت بإبراهيم عليه السلام!

بـل دخـل العنصر القـرشي بوقاحـة لأنه صـار للنبـي ﷺ وارث من صلبـه! وقد بلغـت جلافتهـم أن قالوا: إن إبراهيم لا يشـبه النبي ﷺ! واتهموا مارية فغضب على نسـائه واعتزلهن وسـكن في بيت مارية عليها السلام، فنزلت آيات الإفـك وبراءة مارية وآيات

تخيير النبي ﷺ لأزواجه بين الزوجية والطلاق.

وتدل أحاديث إبراهيم عليه السلام على خوف قريش أن يجعله النبي ﷺ خليفته بدل علي والحسنين عليهما السلام! فأشاعوا أن إبراهيم عليه السلام لا يشبهه!

قال علي عليه السلام: «إن العرب كرهت أمر محمد ﷺ وحسدته على ما آتاه الله من فضله، واستطالت أيامه حتى قذفت زوجته، ونَفَّرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها وجسيم منه عندها، وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته»! شرح النهج: ٢٠/٢٩٨.

وروى في المنتظم: ٣/٣٤٦، **عن عائشة**: «لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله إليَّ فقال: أنظري إلى شبهه بي، فقلت: ما أرى شبهاً»!

وأكدت عائشة أن الذي اتهم مارية غيرها فقالت، «الحاكم: ٤/٣٩»: «أهديت مارية إلى رسول الله ﷺ ومعها ابن عم لها، قالت: فوقع رسول الله ﷺ عليها وقعة فاستمرت حاملاً، قالت فعزلها عند ابن عمها، قالت فقال أهل الإفك والزور: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره! وكانت أمةً قليلة اللبن، فابتاعت له ضائنة لبون فكان يغذى بلبنها فحسن عليه لحمه.

قالت عائشة: فدُخل به على النبي ﷺ ذات يوم فقال: كيف ترين؟ فقلت: من غُذِّيَ بلحم الضأن يحسن لحمه. قال: ولا الشبه؟ قالت: فحملني ما يحمل النساء من الغيرة أن قلت ما أرى شبهاً! قالت: وبلغ رسول الله ﷺ ما يقول الناس! فقال لعلي: خذ هذا السيف فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته! قالت: فانطلق فإذا هو في حائط على نخلة يخترف رطباً، قال فلما نظر إلى علي ومعه السيف استقبلته رعدة، قال فسقطت الخرقة فإذا هر لم يخلق الله له ما للرجال، شئ ممسوح».

وقال في شرح النهج: ٩/١٩٠، **عن عائشة**: «وكانت لها عليه جرأة وإدلال لم يزل ينمى ويستشري، حتى كان منها في أمره في قصة مارية ما كان».

وصرحت مصادرنا بأن عائشة هي التي اتهمت مارية فقالت للنبي ﷺ

بعد موت إبراهيم: «ما الذي يحزنك عليه إنه ابن جريح القبطي! فبعث النبي علياً ليقتله فخاف منه جريح فتسلق نخلة في بستان فانكشف ثوبه فإذا ليس له ما للرجال، فرجع علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بما رأى فقال صلى الله عليه وآله: الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت، ثم نزلت هذه الآية: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاتَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ». «تفسير القمي: ٢/٣١٨».

قال في الصحيح من السيرة: ٢٦/٢٣: «إن أقوالها لرسول الله صلى الله عليه وآله حول ولده إبراهيم بعيدة كل البعد عن أبسط قواعد الأدب والإلتزام والإحترام.. فلماذا هذا الطعن المتوالي الممعن في القسوة لقلب الإنسانية الطافح بالرحمة والمودة والحنان والغيرة، والشعور بالكرامة والعزة؟! وهل يجرؤ إنسان يدَّعي أنه قريب وحبيب على التصريح لمن يحبه ويتقرب منه بأن ولده الذي يبكي عليه، وقد مات قبل ساعة أو ساعات: ليس ولده الشرعي»؟!

بل افتروا على النبي صلى الله عليه وآله أنه هو اتهم مارية، وأنه شكاها إلى عمر بن الخطاب! فقد روى **في مجمع الزوائد:** ٩/١٦١، **أن النبي صلى الله عليه وآله ذهب إلى مارية:** «فوجد قريبها عندها فوقع في نفسه من ذلك شيء، كما يقع في أنفس الناس، فرجع متغير اللون فلقي عمر فأخبره بما وقع في نفسه من قريب أم إبراهيم، فأخذ السيف فوجده ممسوحاً. فرجع إلى النبي وطمأنه!

وقال أنس: «لما ولد إبراهيم من مارية جاريته كان يقع في نفس النبي صلى الله عليه وآله حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم». الإصابة: ١/٢١٨.

إن مجرد وجود روايات من هذا النوع يدلك على أن عرض النبي صلى الله عليه وآله وكرامته كانت تلوكها ألسنتهم، وأن الغرض منها الطعن بعرضه لترثه قريش دون عترته!

ويسهل عليك أن تجد أصابع قريش في قول عائشة: «فقال أهل الإفك والزور: من حاجته إلى الولد ادعى ولد غيره»!

ومعناها أنهم كانوا يرون أن النبي صلى الله عليه وآله بحاجة إلى ابن ليرثه ويرأس دولته، فيجعله في وصاية أحد حتى يكبر! والحل أن ينفوه عنه، ويرثوا ملكه!

وعندما لم ينفع ذلك وأنزل الله براءة مارية، فالحل قتل هذا الطفل المرشح لخلافة أبيه، ومن يدري فقد يكون إبراهيم عليه السلام قتل بالسم!

هذا، وقد بحث صاحب الصحيح قصة الإفك في مجلد كامل، وخلاصة ما قاله في ختامه: ٣٨٦/١٣: «إن الإفتراء على مارية واتهامها بإبور مما أجمعت الأمة على حصوله. ذكر ذلك كل من ترجم لمارية وإبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله، فقصة الإفك عليها أمر لا ريب فيه، وفيها نزلت آيات سورة النور ولا يصح ذلك في عائشة! ومن الأدلة والشواهد عليها أن مارية لم يكن لها أحد يدافع عنها فحرفت عائشة اتهامها وبراءتها لتنطبق عليها»!

راجع: رسالة حول خبر مارية للمفيد، وأمالي المرتضى: ٥٤/١، وسيرة ابن إسحاق: ٢٥٢/٥، أنساب الأشراف/٣٦٢، الطبقات: ١٣٧/١، اليعقوبي: ٨٧/٢، حلية الأولياء: ١٧٧/٣، صفة الصفوة: ٧٨/٢، الأحاديث المختارة: ٣٥٣/٢، مسند البزار: ٢٣٧/٢، غوامض الأسماء: ٤٩٨/١، مجمع الزوائد: ٣٢٩/٤، الآحاد والمثاني: ٤٥٠/٥، الفائق: ٢٨٧/١، تاريخ دمشق: ٢٣٦/٣، النهاية: ٣٢٥/٥، سيرة ابن كثير: ٦٠٠/٤، سبل الهدى: ٢١٩/١١ وكنز العمال: ٤٥٤/٥.

وأخيراً، **في منهج الرشاد:** ٢٦٥/٣: «سأل جميل بن دراج الإمام الصادق عليه السلام عن أطفال الأنبياء عليهم السلام فقال: ليسوا كأطفال الناس. وسأله عن ابراهيم بن رسول الله فقال: لو بقي كان صديقاً نبياً؟ لو بقي كان على منهاج أبيه صلى الله عليه وآله».

وسأل رجلٌ علياً عليه السلام: «أرأيت لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلتُ! ولولا أن قريشاً جعلت إسمه ذريعة إلى الرياسة، وسلَّماً إلى العز والأمرة لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً، ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحها جذعاً، وبازلها بكراً. ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجَهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا! ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن تدبير الأمراء». شرح النهج: ٢٩٨/٢٠.

٥- إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله

١. كان إبراهيم عليه السلام أبيض حنطياً مشرباً بحمرة، شبيهاً بأبيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعاش سنة ونصفاً، وروي: سنة وعشرة أشهر. **وفي الإستيعاب ملخصا:** ٥٤/١: «ولدته أمه مارية في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، بالعالية في مشربة أم إبراهيم وكانت قابلتها سلمى امرأة أبي رافع، فبشر أبو رافع به النبي صلى الله عليه وآله، فوهب له عبداً، فلما كان يوم سابعه عقَّ عنه بكبش وحلق رأسه، وسماه يومئذ، وتصدق بوزن شعره ورقاً على المساكين، ودفن شعره في الأرض. ودفعه إلى أم بردة، بنت المنذر من بني النجار لترضعه، وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله قطعة من الضأن، فكانت تؤتى بلبنها كل ليلة فتشرب منه وتسقي ابنها».

وقد توفيت مارية سنة ١٦ هجرية، ودفنت قرب ابنها عليه السلام بالبقيع. **الطبقات:** ٢١٦/٨.

٢. **في الكافي:** ٤٦٣/٣ **والمحاسن:** ٣١٣/٢ عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «لما قبض إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله جرت فيه ثلاث سُنن. أما واحدة فإنه لما مات انكسفت الشمس فقال الناس انكسفت الشمس لفقد ابن رسول الله، فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له، لا تنكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا انكسفتا أو واحدة منهما فصلوا، ثم نزل فصلى بالناس صلاة الكسوف. فلما سلم قال: يا علي قم فجهز ابني قال: فقام علي بن أبي طالب عليه السلام فغسل إبراهيم وكفنه وحنطه ومضى، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهى به إلى قبره فقال الناس: إن رسول الله نسي أن يصلي على ابنه لما دخله من الجزع عليه، فانتصب قائماً ثم قال: إن جبرئيل عليه السلام أتاني فأخبرني بما قلتم، زعمتم أني نسيت أن أصلي على ابني لما دخلني من الجزع، ألا وإنه ليس كما ظننتم، ولكن اللطيف الخبير فرض عليكم خمس صلوات، وجعل لموتاكم من كل صلاة تكبيرة، وأمرني أن لا أصلي إلا على من صلى.

ثم قال: يا علي إنزل والحد ابني، فنزل علي فألحد إبراهيم في لحده، فقال الناس إنه لا ينبغي لأحد أن ينزل في قبر ولده، إذ لم يفعل رسول الله بابنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

يـا أيهـا الناس إنه ليس عليكم بحـرام أن تنزلوا في قبور أولادكم، ولكن لسـت آمـن إذا حل أحدكـم الكفن عن ولده أن يلعب به الشـيطان، فيدخله عن ذلك من الجزع ما يحبط أجره».

أقـول: ورد عندنـا أن النبي ﷺ صـلى على ابنـه إبراهيم عليه السلام وكبر عليه خمساً. «المعتبر: ٣٤٨/٢» ومشـهور فقه مذهبنا أنـه لاتجب صلاة الميت على الأطفال حتى يبلغوا ست سنين، وقيل تستحب الصلاة على من هم أصغر سناً.

٣. في كشـف اليقـين/٣٢١، عن ابن عبـاس: «كنت عنـد النبي ﷺ وعلى فخذه الأيسر ابنـه إبراهيـم وعلى فخذه الأيمن الحسـين بـن علي عليهما السلام، وهـو يقبل هذا تـارة وذلك أخـرى، إذ هبط جبريل عليه السلام فقـال: يا محمد إن الله تعـالى يقرأ عليك السلام ويقول لك: لست أجمعهما لك فافد أحدهما بصاحبه! فنظر النبي ﷺ إلى إبراهيـم وبكـى، ونظر إلى الحسـين وبكى، وقال: إن إبراهيـم متى مات لم يحزن عليه غيري، وأما الحسين متى مات حزنت عليه ابنتي وحزن ابن عمي وحزنت أنـا، وأنا أؤثر حزني على حزنهما. يا جبرئيل يقبض إبراهيم فقد فديت الحسـين به. قال: فقبض بعد ثلاثة، فكان النبي ﷺ إذا رأى الحسـين مقبلاً، قبَّله وضمه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديتُ من فديته بابني إبراهيم عليه السلام». وتاريخ بغداد: ٢٠٠/٢، تاريخ دمشق: ٣٢٤/٥٢ والطرائف/٢٠٢.

٤. لمـا مـات إبراهيم عليه السلام قال ﷺ: أدفنـوه في البقيع فإن لـه مرضعاً في الجنة.. بعـث علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أمـه مارية القبطية وهي في مشربة، فحمله علي في سـفط وجعلـه بين يديه على الفـرس ثم جاء به إلى رسول الله ﷺ فغسـله وكفنه وخـرج به وخـرج الناس معه، وقال لا تدرجوه في أكفانـه حتى أنظر إليه، فأتاه فانكـب عليه وبكى، وقـال: تدمع العين ويحزن القلـب، ولا نقول إلا مايرضي الرب وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

ودفنـه في الزقـاق الذي يلي دار محمد بـن زيد، فدخل علي عليه السلام في قبره وسـواه عليه ودفنه، ثم خرج و رش على قبره الماء، وأدخل رسول الله يده في قبره وبكى

وبكى المسلمون حتى ارتفع الصوت. ثم رأى النبيﷺ في قبره خللاً فسواه بيده، ثم قال: اذا عمل أحدكم عملاً فليتقن، ثم قال: إلحق بسلفك الصالح عثمان بن مظعون. وقال الواقدي: مات ابراهيم يوم الثلاثاء لعشر ليال خلون من ربيع الأول سنة عشر، وهو ابن ثمانية عشر شهراً». الكافي: ٢٦٢/٣، الصحيح: ٢٨/٢٦ وحياة النبي لقوام: ٢٤٣/٣.

أقول: يتعجب الإنسان من تعبير النبيﷺ عن عثمان بن مظعون الجمحي بأنه سلفهﷺ، مع أن سلفه آباؤه الطاهرونعليهم السلام. لكنه يدل على أن ابن مظعون له مكانة خاصة، وانه جزء من سلفه الصالح العظماء سلام الله عليهم، وهو أخو النبيﷺ من الرضاعة، وكان مستقيماً في الجاهلية.

٥. في مسكن الفؤاد للشهيد الثاني/٩٣: «عن أسماء ابنة زيد قالت: لما توفي ابن رسول اللهﷺ إبراهيمعليه السلام بكى رسول الله فقال له المعزي: أنت أحق من عظم الله عزوجل حقه، فقال رسول اللهﷺ: تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، لولا أنه وعد حق وموعود جامع وأن الآخر تابع للأول، لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدناه، وإنا بك لمحزونون.

فقال له عبدالرحمن بن عوف: يا رسول الله تبكي، أوَلم تُنه عن البكاء؟ فقال: إنما نهيت عن النوح، عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة، خمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان.

إنما هذه رحمة، ومن لا يرحم لا يرحم، ولولا أنه أمر حق ووعد صدق وسبيل نأتيه وأن آخرنا سيلحق أولنا، لحزنا عليك حزناً أشد من هذا، وإنا بك لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب عزوجل. وعن أبي أمامة قال: جاء رجل إلى النبيﷺ حين توفي ابنه وعيناه تدمعان فقال: يا نبي الله تبكي على هذا السخل؟ والذي بعثك بالحق لقد دفنت اثني عشر ولداً في الجاهلية كلهم أشب منه أدسه في التراب، فقال النبيﷺ: فإذا، إن كانت الرحمة ذهبت منك، يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا على إبراهيم لمحزونون. قال: ريحانة وهبها الله لي وكنت أشمها».

٦- ساءت علاقة النبي ﷺ بزوجاته فهجرهن!

تضمنت سورة التحريم تهديداً لزوجات النبي ﷺ بالطلاق! ثم ازداد سوءاً في أوائل السنة التاسعة فهجرهن واعتزل منزله، وسكن على بعد كيلو مترات عنهن وعن المسجد، في بيت مارية القبطية في ضاحية المدينة، وبقي هناك شهراً، وشاع خبر غضبه و طلاقه لهن! مغني المحتاج: ٣٤٣/٣.

وزعم شخصيات قريش أنها حادثة شخصية سببها طلبات نساء النبي المعيشية! ولا ربط لها بالقضية التي كانت تشغل الساحة بعد حجة الوداع وهي خلافة النبي ﷺ! لكن أي حادثة شخصية هذه التي نزلت فيها سورة التحريم والتهديد؟ ولماذا أمر الله نبيه ﷺ أن يهجر نساءه وبيته ومسجده، ويعلن غضبه عليهن حتى شاع أنه طلقهن!

٧- ملاحظات حول سورة التحريم وهجر النبي ﷺ لأزواجه

١-تعمد القرشيون أن يخلطوا خَمْس مسائل لتضييع الحقيقة! مع أنها مختلفة موضوعاً وزماناً! فآيات الإيلاء نزلت في سورة البقرة، في أول الهجرة.

وتهمة عائشة كانت في السنة الخامسة، في غزوة المريسيع أو بني المصطلق!

وتهمة مارية كانت في أوائل السنة الثامنة، بعد حملها بإبراهيم عليه السلام!

ونزول سورة التحريم كان بعد فتح مكة، واتجاه قريش لإعلان الردة!

وهجْر النبي ﷺ لزوجاته كان في السنة التاسعة، قبيل غزوة تبوك.

قال الصدوق رحمه الله في الفقيه: ٥١٧/٣: «قال أبي رضي الله عنه في رسالته إليَّ: إعلم يا بنيَّ أن أصل التخيير «تخيير أزواج النبي ﷺ بين الطلاق والبقاء» هو أن الله تبارك وتعالى أنفَ لنبيه ﷺ من مقالة قالتها بعض نسائه: أيَرى محمد أنه لو طلقنا لا نجد أكفاءنا من قريش يتزوجونا؟! فأمر الله نبيه أن يعتزل نساءه تسعاً وعشرين ليلة، فاعتزلهن النبي ﷺ في مشربة أم إبراهيم، ثم نزلت هذه الآية: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً

جَمِيلاً. وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً. فاخترن الله ورسوله فلم يقع الطلاق، ولو اخترن أنفسهن لَبِنَّ».

لكن رواة قريش قالوا إنه ﷺ آلاهن، أي حلف أن يهجرهن في المضجع شهراً فعاتبه ربه وأمره بالرجوع! **قال الترمذي**: ٩٥/٥: «وكان أقسم أن لا يدخل على نسائه شهراً، فعاتبه الله في ذلك، فجعل له كفارة اليمين»!

وقال بخاري: ١٠٠/١: «وآلى من نسائه شهراً فجلس في مشربة له درجتها من جذوع... ونزل لتسع وعشرين فقالوا: يا رسول الله إنك آليت شهراً، فقال: إن الشهر تسع وعشرون». انتهى.

فزعموا أن سبب إيلائه وأن غضبه كثرة طلباتهن! وليس اتهامهن لمارية، ولا خيانتهن المنصوص عليها في سورة التحريم! «قال المفسرون: حين غار بعض نساء النبي وآذينه بالغيرة وطلبن زيادة النفقة، فهجرهن رسول الله شهراً حتى نزلت آية التخيير». أسباب النزول/٢٤٠.

لكن هجرهن ونزول آية التخيير كان في التاسعة، ونزول آيات الإيلاء كان قبل سنوات في سورة البقرة. البقرة: ٢٢٥-٢٢٧!

٢- نصت سورة التحريم على معصية حفصة وعائشة وهددتهما بالنار، فهي تدل على أنهما ليستا من أهل البيت المطهرين من الرجس، ولذا لم تدع أي منهما أن آية التطهير تشملها، وإنما ادعيت لهما بعد وفاتهما!

قال في بشارة المصطفى/٣٩٠: «ليس يجوز لمن له أدنى علم أن يخلط ذكر فاطمة عليها السلام بذكر غيرها! وكيف يجوز أن يقاس من شهد الله بطهارتها بقوله تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. على من قال الله في حقها: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا! لكن العمى في القلب والعصبية وبغض أهل بيت رسول الله ﷺ يحمل بعض الناس على ما لا يليق بالعقل».

٣- كان النبي ﷺ طلق حفصة فوضع عمر التراب على رأسه وقال: «ما يعبأ الله بك يا ابن الخطاب بعدها» فأرجعها النبي ﷺ، وقالوا أمره جبرئيل بإرجاعها من

أجـل عمر! وقال لها عمر مرة: «طلقك مـرة ثم راجعك من أجلي، والله إن كان طلقك مرة أخرى لا كلمتك أبداً» !مجمع الزوائد:٤/٣٣٣.

ويحتمل أن يكون ذلك عند إفشائها لسره، أو عند تفاقم الأمر بعد ذلك.

٤- اسـتدل أتباع الخلافة على أن عائشة وحفصة مبرأتان من كل عيب، لقوله تعالى: الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ. وأفتوا بقتل من اتهم عائشة لأن الله تعالى برأها فيكون اتهامه تكذيباً للقرآن.

أما فقهاؤنا فحرموا تهمة نساء النبيﷺ أخلاقياً، لكنهم جوزوا عليهن خيانة رسالته والعمل مع أعدائه ضده، واستحقاق النار، بدليل سورة التحريم.

أمـا آيـة الطيبـين للطيبات فهـي في الآخـرة، أما في الدنيـا فامرأة نـوح ولوط خبيثتان كافرتان بنص القرآن، وقد ضربهما الله مثلاً لعائشة وحفصة.

عـلى أنه قد يكون المقصود به حكـم شرعي، وأنه يحرم أن يتزوج الطيبون من خبيثات. كما استدل به بعض فقهائنا.

٥- لا صحـة لقولهم إن سـبب هجـر النبيﷺ لهن النفقة، فقـد كان الوضع المـالي للنبيﷺ جيداً في السـنة التاسـعة، بعد فتـح خيبر وحنين وكثـرة الغنائم التي أحلها الله لنبيهﷺ .بل السـبب أن الله أنفَ لنبيه قول بعضهن أنه لو طلقنا سنجدن خيراً منه، وقد نص الرواة على أن حفصة قالت ذلك!

الفصل السادس والستون

أحداث قبل غزوة تبوك

١- توبة كعب بن زهير ومدحه للنبي ﷺ

كان الشاعر كعب بن زهير يهجو النبي ﷺ والمسلمين، فأهدر النبي ﷺ دمه. وبعد حنين جاء كعب تائباً، فأناخ بباب المسجد، قال: فعرفت رسول الله ﷺ بالصفة فتخطيت حتى جلست إليه فأسلمت، ثم قلت: الأمان يا رسول الله، أنا كعب بن زهير. وأنشده قصيدته المعروفة بقصيدة البردة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ ... مُتيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغنُّ غضيض الطرف مكحول

ومنها: وقال كل صديق كنت آمله ... لا ألهينك إني عنك مشغول

فقلت خلوا سبيلي لا أبالَ لكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول

نبئتُ أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذنِّي بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت فيَّ الأقاويل

ما زلت أقتطع البيداء مدرعاً ... جنح الظلام وثوب الليل مسدول

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا: زولوا

شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل

فكساه رسول الله ﷺ بردة له. الصحيح من السيرة: ٨٧/٢٦ وابن هشام: ٤/ ٩٣٩.

٢- انضمام البحرين وعُمَان إلى دولة النبي ﷺ

في مكاتيب الرسول ﷺ: ٣٦١/٢: «كتابه ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي: بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبدالله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، إني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما».

وفي فتوح البلدان: ٨٨ وفي ط: ١٠٣ و١٠٤: كان الغالب على عمان الأزد، وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي، فلما كانت سنة ثمان بعث رسول الله ﷺ أبا زيد الأنصاري أحد الخزرج..بكتابه إلى عبد وجيفر ابني الجلندي الأزديين في سنة ست، وقال ﷺ لأبي زيد: خذ الصدقة من المسلمين والجزية من المجوس.. ووجه عمرو بن العاص في سنة ٨ بعد إسلامه بقليل سنة ثمان».

وفي فتوح البلدان للبلاذري: ٩٢/١: «فلما قدم أبو زيد وعمرو عمان وجدا عبداً وجيفراً بصحار على ساحل البحر. فأوصلا كتاب النبي ﷺ إليهما فأسلما، ودعوا العرب هناك إلى الإسلام، فأجابوا إليه ورغبوا فيه. فلم يزل عمرو وأبو زيد بعمان حتى قبض النبي ﷺ».

وذكر الطبري: ٣٦٢/٢ أن سكان عمان كانوا مجوساً، وكان العرب حول البلد.

٣- سرية علي عليه السلام لمنع تحويل طيئ إلى قاعدة للروم

بعد انتصار الروم على الفرس ومقتل كسرى دخل النظام الفارسي في صراع داخلي على منصب «الشاهنشاه» فارتفع خطرهم الفعلي عن النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين. لكن زاد خطر الروم، وأخذ قيصر يحضِّر لغزو المدينة والجزيرة كما تقدم في غزوة مؤتة، وكان اعتماده على ملك الشام، وعلى الأكيدر ملك دومة الجندل، كما عمل على تحويل قبيلة طيئ إلى قاعدة مساندة، وقد استجاب له عدي بن حاتم واعتنق المسيحية وكان يقضي وقتاً من سنته في الشام. «قدم على النبي صلى الله عليه وآله من الشام ودعاه إلى الإسلام فقال: إني نصراني ركوسي. فقال إنك لا دين لك، إنك تصنع ما لا يصلح لك في ركوسيتك، فأبصر وأسلم». تاريخ دمشق: ٤٠/٧٨.

وفي فايق الزمخشري: ٦/٢: «إنك تأكل المرباع وهو لا يحل لك.. المرباع الربع ومثله المعشار، وكان يأخذه الرئيس مع المغنم في الجاهلية. الركوسية قوم بين النصارى والصابئين». «والرِّكس بالكسر: الجسر». لسان العرب: ٦/١٠١.

فقد اختار عدي بن حاتم المسيحية الشرقية التي فيها أفكار من الصابئة، ولا بد أن مذهبه أخذ ينتشر في قبيلته، الذين كانوا وثنيين يعبدون صنمهم الفُلس، وله معبد مشهور، وقد أهدى الحارث بن شمر ملك الغساسنة هدية لصنم طيئ فيها سيوف مع أنه مسيحي على دين قيصر! لذلك رأى النبي صلى الله عليه وآله أن يقلم أظافر هرقل من الجزيرة قبل غزوة تبوك! فأرسل علياً عليه السلام في سرية إلى قبيلة طيئ.

قال في الصحيح من السيرة: ٢٦/٣٣٥، **ملخصاً**: «في شهر ربيع الآخر من سنة تسع بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام في خمسين ومائة رجل أو مائتين من الأنصار كما ذكره ابن سعد، على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفُلْس وهو صنم لطيئ ليهدمه، فوجدوا عيناً لطيئ على بعد ليلة فأخذوه معهم وشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلس وخربوه ووجد في خزانته ثلاثة أسياف: رسوب والمخذم وكان الحارث بن أبي شمر ملك الشام قلده إياهما، وسيف يقال له: اليماني، وثلاثة أدرع.

وأخذوا من نعمهم وسبوا منهم، وكان في السبي سفانة أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام، فلما نزلوا رَكَك اقتسموا الغنائم، وعزلوا للنبيﷺ السيوف والخُمس، ولم يقسم آل حاتم حتى قدم بهم المدينة.

وكانت أخت عدي إذا مرَّ النبيﷺ تقول: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد، فامنن علينا من الله عليك، فسألها: من وافدك؟ فتقول: عدي بن حاتم. فيقول: الفار من الله ورسوله؟ فلما كان يوم الرابع مرَّ النبي، فلم تتكلم فأشار إليها رجل قومي فكلميه فكلمته أن يمن عليها فمن عليها فأسلمت. وسألت عن الرجل الذي أشار إليها، فقيل: علي وهو الذي سباكم أما تعرفينه؟ فقالت: لا والله ما زلت مُذْنِيَةً طرف ثوبي على وجهي، وطرف ردائي على بُرقعي من يوم أُسرت حتى دخلتُ هذه الدار، ولا رأيت وجهه ولا وجه أحد من أصحابه.

وفي نص آخر قالت: يا محمد أرأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء العرب؟ فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط! أنا ابنة حاتم طيء. فقال لها النبيﷺ: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق. قالت: وكساني رسول اللهﷺ، وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت حتى قدمت على أخي.

وخرجت سفانة بنت حاتم إلى الشام، قال عدي: «فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إليَّ تَؤُمُّنا. قال: فقلت: ابنة حاتم، فإذا هي هي! فلما وقفت عليَّ قالت: أنت القاطع الظالم، ارتحلت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك: أختك وعورتك؟! قال قلت: يا خية، لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر، ولقد صنعتُ ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي. قال: فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن نلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن نذل في

عز اليمن، وأنت أنت. قال قلت: والله إن هذا الرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلت عليه وهو في مسجده وعنده امرأة وصبيان، فعرفت أنه ليس بمُلك كسرى ولا قيصر، فسلمت عليه فقال: مَن الرجل؟ قال قلتُ: عدي بن حاتم. فرحب به النبي ﷺ وقربه وأخذه إلى بيته فلقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها. قال عدي: قلت في نفسي والله ما هذا بمَلِك. قال: ثم مضى حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقدمها إلي، فقال: أجلس على هذه. قلت: بل أنت فاجلس. فقال: بل أنت فاجلس عليها. فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ على الأرض. فقلت في نفسي: ما هذا بأمر ملك! فدخل الإسلام في قلبي وأحببت رسول الله ﷺ حباً لم أحبه شيئاً قط!

قال: ثم أقبل عليَّ فقال: هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن توحد الله وهل من أحدٍ غير الله؟ هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تكبر الله ومن أكبر من الله؟ هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تعظم الله ومن أعظم من الله؟ هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن لا إله إلا الله وهل من إلهٍ غير الله؟ هيه يا عدي بن حاتم أفررت أن تشهد أن محمداً رسول الله؟! قال: فجعل رسول الله ﷺ يقول نحو هذا وأنا أبكي. قال: ثم أسلمت.

قال: فلعلك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم والله لتفتحن عليهم كنوز كسرى بن هرمز. قلت: كنوز كسرى بن هرمز؟! قال: كنوز كسرى بن هرمز. قال عدي: فأسلمت، فرأيت وجه رسول الله ﷺ قد استبشر! قال عدي: وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم ﷺ.



الفصل السابع والستون

غزوة تبوك لمواجهة الروم

١- ملك دومة الجندل أكيدر بن عبدالملك

دُومة الجندل بضم الدال وفتحها: مدينة الجَوْف وضواحيها، هي الآن محافظة في شمال المملكة السعودية. «والدَّوْم شجر يشبه النخل إلا أنه يثمر المُقُل «ليف أو مسد تصنع منه الحبال» وله ليف وخوص مثل ليف النخل. ودومة الجندل خمسة فراسخ ومن قبل مغربه عين تَثِجُّ فتسقي ما به من النخل والزرع. واسم حصنها مارد، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل». لسان العرب: ٢١٨/١٢.

«تتصل به عين التمر وبَرِّية خساف من بادية السماوة». نزهة المشتاق: ٣٥٢/١.

وفي قاموس الكتاب المقدس/٣٨١: «آدوم: إسم مكان ذكر في إشعياء: ١١:٢١، مع سعير أو أدوم. ويعتقد بعضهم أن هذا المكان هو الواحة التي تسمى دومة الجندل وتدعى الآن الجوف، وهي في الشمال الغربي من شبه الجزيرة العربية على نحو مسافة مائة ميل من حدود الأردن. وربما سكن نسل دومة بن إسماعيل هذه البلاد». **وفي الصحيح من السيرة**: ١٢٦/١٠: «مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وتبعد عن المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة، وهي بقرب تبوك».

«أكيدر: صاحب دومة الجندل. وكودر: ملك من ملوك حمير». لسان العرب: ١٣٥/٥.

وفي مكاتيب الرسول: ٣٣١/٣: «ذكر بعض الأخباريين أن كلباً كانت تحكم دومة الجندل،

وأن أول من حكمها منهم دجاجة بن قنانة بن عدي. وذكروا أيضاً أن الملك على دومة الجندل وتبوك كان لهم إلى أن ظهر الإسلام، وأنهم كانوا يتداولون الحكومة مع السكون من كندة، فلما ظهر الإسلام كان على دومة الجندل الأكيدر بن عبدالملك، وكان سوق دومة الجندل يعشرها كلب تارة وأكيدر أخرى. ويؤيد سلطة كلب وقوتها أن النبي ﷺ بعث سرية إلى دومة مع عبدالرحمن بن عوف في السنة السادسة في شعبان فتزوج ابنة الأصبغ، وهو رأسهم وملكهم. راجع الطبري: ٦٤٢/٢.

أقول: كانت دومة الجندل «دولة» تابعة لهرقل، وهي حدود بلاد الشام مع جزيرة العرب، وهي حدود دولة المناذرة في العراق التي يحكمها الفرس. وقد انتشرت فيها المسيحية إلى جانب الوثنية العربية، ومثلها تيماء ووادي القرى وتبوك. وعندما ضعف نفوذ الفرس بعد هزيمتهم على يد الروم، زاد نشاط الغساسنة والروم في هذه المناطق، وتعاظم خطر الروم على النبي ﷺ. وكان الأكيدر ملك الدومة على صلة وثيقة بمَلك الشام الحارث بن أبي شمر، وكان ذراعه داخل الجزيرة، وكانا يُحَضِّرَان لغزو المدينة بأمر هرقل من قديم.

وكان النبي ﷺ يتجنب الإصطدام مع أي حاكم عربي مهما أمكن ليجمع العرب على الإسلام ضد الروم، وتقدم في غزوة مؤتة أن ملك الشام قتل رسوله ﷺ إلى حاكم عمّان، واستخف برسوله اليه هو، وعزم على غزو النبي فنهاه قيصر، ولما بلغ النبي ﷺ ما كان منه قال: بادَ ملكه». السيرة الحلبية: ٣٠٤/٣.

٢- غزوة النبي ﷺ لدومة الجندل في السنة الخامسة

في السنة الخامسة بلغ النبي ﷺ أن الأكيدر يجمع لغزو المدينة فغزاه بنفسه في وقت سوق دومة الجندل السنوي، فهرب الأكيدر إلى صاحبه ملك الشام فقرر النبي ﷺ أن لا يهاجم السوق، ورجع إلى المدينة.

قال الطبري: ٢٣٢/٢: «وفيها «السنة الخامسة» غزا دومة الجندل في شهر ربيع الأول وكان سببها أن رسول الله ﷺ بلغه أن جمعاً تجمعوا بها ودنوا من أطرافه، فغزاهم رسول الله ﷺ حتى بلغ دومة الجندل، ولم يلق كيداً».

وفي المحبر/٥٨: «وكان تجار العرب شكوا إليه ظلم أكيدر بن عبدالملك السكوني فخرج ﷺ مستهل المحرم يوم الإثنين، فبلغ أكيدر إقباله فهرب وخلَّى السوق! ورجع ﷺ من الطريق في صدر صفر، ولم يلق كيداً».

وفي البدء والتاريخ/٣٣٢: «وأحسَّ بذلك أكيدر فهرب، واحتمل الرحل وخلى السوق، وتفرق أهلها، فلم يجد رسول الله ﷺ أحداً، فرجع».

٣- الوضع السياسي للروم عند غزوة تبوك

ذكر المسعودي في التنبيه والإشراف/١٣٤، وهو مؤرخ خبير بالروم: أن هرقل بدأ حكمه في سنة هجرة النبي ﷺ وحَكَم إلى السنة الثانية من خلافة عثمان، فكان قائد الروم في حروبهم مع الفرس وانتصارهم عليهم، وفي حروبهم مع النبي ﷺ والمسلمين، وانتصار المسلمين عليهم.

أما كسرى أبرويز شاهنشاه الفرس فكان عند هجرة النبي ﷺ في السنة الثالثة والثلاثين من حكمه. ولما ملك هرقل جَدَّ في حرب الفرس فكانت بينهم حروب في حوران انتصر فيها الفرس وقال الله تعالى عنها: ألَمِ. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأرض.

أما انتصار الروم على الفرس فكان في السنة السادسة لهجرة النبي ﷺ عندما أرسل كسرى جيشاً إلى القسطنطينية وحاصرها، وأثناء حصارها ساءت العلاقة بينه وبين قائد جيشه شهر براز، فاتفق مع هرقل ضد كسرى وانسحب من حصار قسطنطينية، فنشط هرقل في حرب جيوش كسرى في مصر وسوريا فهزمها، وجمع جيشه في الجزيرة وسار بنفسه إلى الموصل، وخرج كسرى اليه في جيشه الخاص فاقتتلوا فانهزم الفرس! ولما رأى ذلك كسرى غضب على كبار قادته وعماله وحبسهم ليقتلهم، وكان عددهم ثلاثين ألفاً! فاتفق عليه شخصيات مملكته وخلعوه وملَّكوا ابنه شيرويه. راجع الأخبار الطوال/١٠٦.

وعاد هرقل منتصراً من الموصل، وقد اطمأن إلى أن النظام الفارسي في حالة تفكك، وصار له نفوذ على ابن كسرى وقادة الجيش الفارسي المتصارعين.

وقد صح تقدير هرقل، فبعد حكم كسرى لمدة ثمانية وثلاثين عاماً حكم ابنه

شيرويه ستة أشهر، وأصابته الكآبة والأمراض بعد قتله أباه وإخوته الخمسة عشر! ثم حكم ابنه أردشير سنة ونصفاً. ثم حكم شهر براز أربعين يوماً. ثم حكم كسرى بن قباذ ثلاثة أشهر. ثم حكمت بوران بنت كسرى سنة ونصفاً، وفي عهدها قال النبيﷺ عن الفرس: لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة. ثم حكم فيروز جشنس بنده ستة أشهر. ثم حكمت آزر ميدخت بنت كسرى ستة أشهر.

ثم حكم فرخزاد خسرو بن أبرويز سنة. ثم حكم يزجرد بن شهريار بن كسرى عشرين سنة، لكنه كان متخفياً هارباً من المسلمين حتى قتل في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين. التنبيه والإشراف/٨٩، المحبر/٣٦٢، اليعقوبي: ١/١٥٦و١٧٢ والطبري: ١/٥٨٧.

وبعد انتصاره على الفرس، بقي هرقل في بلاد الشام يرتب أمورها، وصار واضحاً أن معركته المقبلة ستكون مع النبيﷺ وأنه يُعِدُّ العُدة لذلك.

كان هرقل يهاب النبيﷺ ويحسب لقوته حساباً أكثر مما يهاب كسرى، ولذلك أجاب النبيﷺ على رسالته بجواب ليِّن وأنه يؤمن بأنه الرسول الأخير الذي بشر به عيسىعليه السلام، وأنه دعا بطارقة الروم ليؤمنوا به، لكنهم لم يطيعوه!

أراد بذلك أن كسب الوقت للإعداد لحرب النبيﷺ، وكان نهيه لملك الشام أن يغزو المدينة، وقايةً من الهزيمة على يد النبيﷺ.

وقد اتضحت سياسة هرقل وعداؤه للنبيﷺ عندما أمر الحارث ملك الشام أن يقتل حاكم عَمَّان، لأنه بعث إلى النبيﷺ بإسلامه، ثم جاء إلى تبوك بعد عودة النبيﷺ منها، وأمر بقتل يوحنا حاكم أيلة وصلبه، لأنه كتب مع النبيﷺ عهد صلح! كما كان أمر بقتل رسول النبيﷺ إلى حاكم بصرى من قبله، بينما أكرم هو رسول النبيﷺ وأجاب جواباً ليناً!

كان هرقل يحشد جيش الشام، وجيش كندة عند الأكيدر ملك دومة الجندل، ويهيئ «طابوره الخامس» من متنصرة المدينة ومنافقيها ومنافقي قريش وبقايا اليهود، بقيادة أبي عامر الفاسق. لكن كل ذلك مقدمة لجيشه الرومي من فرسان الروم المحترفين الذين سيزحف بهم إلى المدينة خلف هذا الجيش العربي!

وينبغي أن نشير إلى دولتي العرب في الشام والعراق، اللتين كانتا تحت نفوذ الروم والفرس، فقد ذكروا أن أول ملوك الشام التابعين للروم جفنة بن عمرو بن ماء السماء. وآخرهم جبلة بن الأيهم، الذي لحق بالروم بعد فتح الشام.

أما في العراق فقد ملَّك الفرس على الحيرة: النعامنة والمناذرة وآخرين من تميم وكندة وغسان وطيئ، وآخرهم النعمان بن المنذر الذي قتله كسرى وملَّك بعده أياس بن قبيصة الطائي وغيره، ثم جاء الله بالإسلام. التنبيه والإشراف/١٥٨٩.

٤- النبي ﷺ يعمل لنقل المعركة إلى الشام وحصرها بالروم

مقابل ذلك كان النبي ﷺ يرى أن هزيمة كسرى والصراع الداخلي على السلطة بعده، تسهل على المسلمين فتح فارس. أما هرقل فيجب توجيه رسالة قوية اليه والمبادرة إلى الإشتباك معه في بلاد الشام، لصرفه عن التفكير في غزو الجزيرة. وكان ﷺ حريصاً على أن يتجنب المعركة مع الحكام المحليين التابعين لهرقل ويحصر المعركة مع جيشه الرومي الخالص ليضغط عليه أن ينسحب من الشام ومصر، ويضغط على الحكام المحليين ليكونوا على الحياد، ويعقدوا معه معاهدات صلح.

وبهذه الرؤية أرسل النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب ﷺ وأمره أن يتوغل بجيشه إلى قريب القدس حيث الجيش الرومي المحترف، ولم يأمره أن يثأر لرسوله من حاكم بصرى، أو يشتبك مع الحارث حاكم الشام! وبذلك وجه رسالة إلى هرقل أن موضع الإشتباك معه في عقره بالشام ومع جيشه الرومي، وليس في الجزيرة!

وبهذه الرؤية قصد النبي ﷺ بنفسه مركزاً آخر لتجمع الجيش الرومي هو تبوك وكان يحث المسلمين على المعركة فيقول: «أغزوا الروم تنالوا بنات الأصفر»! «تفسير القمي: ٢٩٣/١ والإستيعاب: ٢٦٦/١» فهو يوجههم إلى المعركة المقبلة الطويلة مع الروم، ويطمعهم ببناتهم البيض، وليس ببنات المنطقة السمر!

وكان قيصر أيامها في حمص وقيل في دمشق، وكانت قواته الرومية فضلاً

عن العربية في حالة استنفار ضد النبي ﷺ منذ أن راسله في السنة السادسة ودعاه إلى الدخول في الإسلام، أي قبل ثلاث سنوات من تبوك، وكانت تبوك وحمص وأجنادين ومؤتة، أهم نقاط تجمع الجيش الرومي.

وتبعد تبوك عن المدينة سبع مئة كيلو متر، وهي الآن مدينة قرب الحدود السعودية الأردنية، وتبعد عن عَمَّان أربع مئة وخمسين كيلو متراً، وعن الشام نحو ذلك. وهي الأيكة التي ورد ذكرها في القرآن، وقربها مَدْيَن التي بعث فيها شعيب عليه السلام. معجم البلدان: ٢٩١/١.

وقد علم هرقل بحركة النبي ﷺ بجيش من ثلاثين ألفاً، فقد أخبره جواسيسه في المدينة والجزيرة بحركته، وأنه أعلن مقصده ودعا الناس إلى حرب الروم! فأمر هرقل بسحب جميع قواته والقوات العربية من تبوك وأخلاها من أي قوة، لأنه لم يستعد لخوض المعركة مع النبي ﷺ! وبلغه ما فعل النبي ﷺ بالأكيدر ملك دومة الجندل، وكتب معه معاهدة صلح، فلم يحرك هرقل ساكناً.

وقد أقام النبي ﷺ في تبوك نحو عشرين يوماً وأرسل إلى هرقل رسالة أو أكثر وتلقى جوابها، وقد خلطها الرواة برسالة النبي ﷺ الأولى.

وقال المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٣٦: «وقد أتينا على ما كان بينه وبين هرقل ملك الروم من المراسلات في هذه الغزاة في حال مقامه بتبوك، وهرقل يومئذ بحمص وقيل بدمشق، فيما سلف من كتبنا».

٥- تبوك والثأر لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

قال اليعقوبي في تاريخه: ٦٧/٢: «سار رسول الله ﷺ في جمع كثير إلى تبوك من أرض الشأم يطلب بدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ووجه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد، وحض رسول الله ﷺ أهل الغنى على النفقة، فأنفقوا نفقات كثيرة وقووا الضعفاء».

وفي تاريخ ابن خلدون: ٢ ق: ٢٢٤/١: «وَجَد النبي «حَزِنَ» على من قتل من المسلمين، ولا كوجده على جعفر بن أبي طالب لأنه كان تلاده، ثم أمر بالناس في السنة التاسعة بعد الفتح وحنين والطائف أن يتهيؤا لغزو الروم، فكانت غزوة تبوك».

أي: كان حزنه ﷺ على جعفر رضي الله عنه عميقاً، لأنه من ذخائره القديمة العزيزة.

٦- هرقل يحرك المنافقين والأكيدر لحرب النبي ﷺ

كان مسجد الضرار عملاً من جماعة أبي عامر الراهب، الذي سماه النبي ﷺ أبا عامر الفاسق، وكانوا على صلة بقيصر الروم، وقد بنوا «مسجدهم» في السنة التاسعة للهجرة ليكون مقراً لهم، فكشفهم الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ فهدمه وجعله المسلمون موضع كناسة! وقد رأيت موضعه قبل نحو أربعين سنة إلى يسار الداخل إلى مسجد قباء، وكان محل قمامة، لكن الوهابيين أزالوه.

قال القمي في تفسيره: ٣٠٥/١: «قوله: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا، فإنه كان سبب نزولها أنه جاء قوم من المنافقين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله أتأذن لنا أن نبني مسجداً في بني سالم لليلة المطيرة والشيخ الفاني؟ فأذن لهم رسول الله ﷺ وهو على الخروج إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله لو أتيتنا فصليت فيه؟ قال ﷺ: أنا على جناح سفر فإذا وافيت إن شاء الله أتيته فصليت فيه فلما أقبل رسول الله ﷺ من تبوك نزلت عليه هذه الآية في شأن المسجد وأبي عامر الراهب... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ، يعني أبا عامر الراهب كان يأتيهم في ذكر رسول الله ﷺ وأصحابه. وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ: يعني مسجد قبا، أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. قال كانوا يتطهرون بالماء.

وقوله: أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: مسجد ضرار الذي أسس عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. فبعث رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم الخزاعي وعامر بن عدي على أن يهدموه ويحرقوه، فجاء مالك فقال لعامر: إنتظرني حتى أخرج ناراً من منزلي،

فدخل فجاء بنار وأشعل في سعف النخل ثم أشعله في المسجد فتفرقوا، وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البنية، ثم أمر بهدم حائطه».

أما أبو عامر الفاسق فهرب إلى القسطنطينية، على أمل أن يعود بعد احتلال الأكيدر وأنصاره المدينة، لكنه خاب وبقي هناك حتى مات! «الإستيعاب: ٣٨١/١». **راجع في قصة أبي عامر الراهب:** شرح النهج: ٢١٩/١٤ و٢٤٤، ابن هشام: ٩٥٦/٤، قصص الأنبياء/٣٤٩، قصص الأنبياء للراوندي/٣٥٠، تفسير الطبري: ٣٨/١١، الفخر الرازي: ١٩٤/١٦، الدر المنثور: ٢٧٧/٣، تاريخ المدينة: ٥٤/١، الصحيح من السيرة: ١٣٠/٤ ونظرية عدالة الصحابة/٤٥.

٧- أكبر جيش في تاريخ الجزيرة

كان النبي صلى الله عليه وآله يعرف خصمه هرقل جيداً ويتعامل معه بلغة يفهمها، ولذا أعد جيشاً كبيراً، فأرسل إلى القبائل والنواحي يدعوهم للسير معه إلى غزو الروم، أراد بهذا الإعلان أن يجرئ العرب عليهم ولم تكن لهم جرأة قبل ذلك، وأن يثبت لهرقل قوة المسلمين الذين رأى نموذجاً من بسالتهم في مؤتة!

قال المفيد في الإرشاد: ١٥٤/١: «ثم كانت غزاة تبوك، فأوحى الله تبارك وتعالى اسمه إلى نبيه صلى الله عليه وآله أن يسير إليها بنفسه ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب ولا يُمْنَى بقتال عدو، وأن الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم، ليتميزوا بذلك وتظهر سرائرهم فاستنفرهم النبي صلى الله عليه وآله إلى بلاد الروم وقد أينعت ثمارهم واشتد القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته رغبة في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدة القيظ وبعد المسافة ولقاء العدو، ثم نهض بعضهم على استثقال للنهوض، وتخلف آخرون».

وفي إعلام الورى: ٢٤٣/١: «ثم كانت غزوة تبوك تهيأ رسول الله صلى الله عليه وآله في رجب لغزو الروم، وكتب إلى قبائل العرب ممن قد دخل في الإسلام وبعث إليهم الرسل يرغبهم في الجهاد والغزو، فكتب إلى تميم، وغطفان، وطيئ، وبعث إلى عتاب بن أسيد عامله على مكة، يستنفرهم لغزو الروم». «وكتب كتباً إلى جميع القبائل التي أسلمت وقتئذ، يدعوهم إلى غزو الروم». مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله: ٢١٦/١.

وفي الصحيح من السيرة: ١٤٤/٢٩: «عن زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً.. عن أبي زرعة قال: كانوا بتبوك سبعين ألفاً. وكانت الخيل عشرة آلاف فرس. وأمر رسول الله ﷺ كل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء ورايا. وأمر رسول الله ﷺ جيشه بالإستكثار من النعال وقال: إن الرجل لا يزال راكباً ما دام منتعلاً».

وفي تفسير القمي: ٢٩٥/١: «وكان مع رسول الله ﷺ بتبوك رجل يقال له المضرَّب من كثرة ضرباته التي أصابته ببدر وأحُد، فقال له رسول الله ﷺ: عُدَّ لي أهل العسكر، فعدهم فقال: هم خمسة وعشرون ألف رجل، سوى العبيد والتُّبَّاع. فقال: عُدَّ المؤمنين، فعدهم فقال: هم خمسة وعشرون رجلاً».

أقول: يبدو أن النبي ﷺ قصد بالمؤمنين أصحاب الدرجات العالية في الإيمان ولا بد أن يكون هذا الصحابي رضي الله عنه من هؤلاء الأصحاب الخاصين للنبي ﷺ، وقد بحثت عن المُضَرَّب فلم أجد له ترجمة في المصادر، وله أمثال في الصحابة الخاصين، كأبي ذر، وعمرو بن الحمق الخزاعي.

٨- أخبر النبي ﷺ المسلمين بمدة الغزوة ونتيجتها

من أساليب الإعجاز النبوي أن النبي ﷺ أخبر المسلمين عن نتيجة معاركه مسبقاً، كما حصل في بدر وخيبر وحنين وتبوك.

وقد كشف الإمام الكاظم عليه السلام قصة مسجد الضرار وعلاقته بهرقل وغزوة تبوك، فقال كما في تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٨١/: «ولقد اتخذ المنافقون من أمة محمد ﷺ بعد موت سعد بن معاذ، وبعد انطلاق محمد ﷺ إلى تبوك، أباعامر الراهب، اتخذوه أميراً ورئيساً وبايعوا له وتواطؤا على إنهاب المدينة، وسبي ذراري رسول الله ﷺ وسائر أهله وصحابته ودبروا التبييت على محمد ﷺ ليقتلوه في طريقه إلى تبوك، فأحسن الله الدفاع عنه وفضح المنافقين وأخزاهم.

وذلك أن رسول الله ﷺ قال: لتسلكن سبيل من كان قبلكم، حَذْوَ النعل بالنعل والقُذَّة بالقذة حتى أن أحدهم لو دخل جُحْرَ ضب لدخلتموه!

قال: إعلموا أن رسول الله ﷺ كان تأتيه الأخبار عن صاحب دومة الجندل، وكانت تلك النواحي مملكة عظيمة مما يلي الشام، وكان يهدد رسول الله ﷺ بأن يقصده ويقتل أصحابه ويبيد خضراءهم! وكان أصحاب رسول الله ﷺ خائفين وجلين من قبله حتى كانوا يتناوبون على رسول الله ﷺ كل يوم عشرون منهم، كلما صاح صائح ظنوا أن قد طلع أوائل رجاله وأصحابه!

وأكثرَ المنافقون الأراجيف والأكاذيب وجعلوا يتخللون أصحاب محمد ﷺ ويقولون: إن أكيدر قد أعد لكم من الرجال كذا، ومن الكراع كذا، ومن المال كذا، وقد نادى فيما يليه من ولايته: ألا قد أبحتكم النهب والغارة في المدينة!

ثم يوسوسون إلى ضعفاء المسلمين يقولون لهم: وأين يقع أصحاب محمد من أصحاب أكيدر؟ يوشك أن يقصد المدينة فيقتل رجالها ويسبي ذراريها ونساءها!

حتى آذى ذلك قلوب المؤمنين فشكوا إلى رسول الله ﷺ ما هم عليه من الجزع!

ثم إن المنافقين اتفقوا وبايعوا لأبي عامر الراهب الذي سماه رسول الله ﷺ «الفاسق» وجعلوه أميراً عليهم وبخعوا له بالطاعة فقال لهم: الرأي أن أغيب عن المدينة لئلا أتهم إلى أن يتم تدبيركم.

وكاتبوا أكيدر في دومة الجندل ليقصد المدينة ليكونوا هم عليه وهو يقصدهم فيصطلموه. فأوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ وعرفه ما أجمعوا عليه من أمره، وأمره بالمسير إلى تبوك، وكان رسول الله ﷺ كلما أراد غزواً وَرَّى بغيره إلا غزاة تبوك فإنه أظهر ما كان يريده، وأمرهم أن يتزودوا لها، وهي الغزاة التي افتضح فيها المنافقون وذمهم الله في تثبيطهم عنها، وأظهر رسول الله ﷺ ما أوحى الله تعالى إليه أن الله سيظهره بأكيدر حتى يأخذه ويصالحه على ألف أوقية ذهب في صفر، وألف أوقية ذهب في رجب، ومائتي حلة في رجب ومائتي حلة في صفر وينصرف سالماً إلى ثمانين يوماً!

فقال لهم رسول الله ﷺ: إن موسى عليه السلام وعد قومه أربعين ليلة وإني أعدكم ثمانين ليلة، أرجع سالماً غانماً ظافراً بلا حرب تكون، ولا أحد يستأسر من المؤمنين! فقال المنافقون: لا والله ولكنها آخر كرَّاته التي لاينجبر بعدها، وإن أصحابه ليموت

بعضهم في هذا الحر ورياح البوادي ومياه المواضع المؤذية الفاسدة، ومن سلم من ذلك فبين أسير في يد أكيدر وقتيل وجريح!

واستأذنه المنافقون بعلل ذكروها: بعضهم يعتل بالحر، وبعضهم بمرض جسده وبعضهم بمرض عياله، فكان رسول الله ﷺ يأذن لهم. فلما صح عزم رسول الله ﷺ على الرحلة إلى تبوك، عمد هؤلاء المنافقون فبنوا خارج المدينة مسجداً وهو مسجد ضرار، يريدون الإجتماع فيه ويوهمون أنه للصلاة، وإنما كان ليجتمعوا فيه فيتم تدبيرهم، ويقع هناك ما يسهل لهم به ما يريدون.

ثم جاء جماعة منهم إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله إن بيوتنا قاصية عن مسجدك وإنا نكره الصلاة في غير جماعة ويصعب علينا الحضور وقد بنينا مسجداً فإن رأيت أن تقصده وتصلي فيه لنتيمن ونتبرك بالصلاة في موضع مصلاك، فلم يُعَرِّفهم رسول الله ﷺ ما عرفه الله تعالى من أمرهم ونفاقهم فقال ﷺ: إئتوني بحماري فأتي باليعفور فركبه يريد نحو مسجدهم، فكلما بعثه هو وأصحابه لم ينبعث ولم يمش، وإذا صرف رأسه عنه إلى غيره سار أحسن سير وأطيبه! قالوا: لعل هذا الحمار قد رأى في هذا الطريق شيئاً كرهه ولذلك لا ينبعث نحوه!

فقال رسول الله ﷺ: إئتوني بفرس، فأتي بفرس فركبه فكلما بعثه نحو مسجدهم لم ينبعث، وكلما حركوه نحوه لم يتحرك، حتى إذا ولوا رأسه إلى غيره سار أحسن سير! فقالوا: ولعل هذا الفرس قد كره شيئاً في هذا الطريق!

فقال رسول الله ﷺ: تعالوا نمشي إليه، فلما تعاطى هو ومن معه المشي نحو المسجد جثوا في مواضعهم ولم يقدروا على الحركة، وإذا هموا بغيره من المواضع خفت حركاتهم، وخفت أبدانهم، ونشطت قلوبهم! فقال رسول الله ﷺ: إن هذا أمر قد كرهه الله فليس يريده الآن، وأنا على جناح سفر فأمهلوا حتى أرجع إن شاء الله، ثم أنظر في هذا نظراً يرضاه الله تعالى.

وجدَّ في العزم على الخروج إلى تبوك وعزم المنافقون على اصطلام مخلفيهم إذا خرجوا! فلما خرج رسول الله ﷺ وشيَّعه علي عليه السلام خاض المنافقون فقالوا: إنما

خلفه محمد بالمدينة لبغضه له ولملالته منه، وما أراد بذلك إلا أن يُبَيِّته المنافقون فيقتلوه أو يحاربوه فيهلكوه، فاتصل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله فقال علي عليه السلام: تسمع ما يقولون يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما يكفيك أنك جلدة ما بين عيني ونور بصري وكالروح في بدني.

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه وأقام علي عليه السلام بالمدينة فكان كلما دبر المنافقون أن يوقعوا بالمسلمين فزعوا من علي عليه السلام وخافوا أن يقوم معه عليهم من يدفعهم عن ذلك! وجعلوا يقولون فيما بينهم: هي كرَّة محمد التي لا يؤوب منها!

فلما صار بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أكيدر مرحلة، قال تلك العشية: يا زبير بن العوام ويا سماك بن خرشة، إمضيا في عشرين من المسلمين إلى باب قصر أكيدر فخذاه وأتياني به! فقال الزبير: يا رسول الله وكيف نأتيك به، ومعه من الجيوش الذي قد علمت، ومعه في قصره سوى حشمه ألف ومائتان عبد وأمة وخادم؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: تحتالان عليه فتأخذانه. قال: يا رسول الله وكيف نأخذه وهذه ليلة قمراء وطريقنا أرض ملساء، ونحن في الصحراء لا نخفى؟!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتحبان أن يستركما الله عن عيونهم، ولا يجعل لكما ظلاً إذا سرتما، ويجعل لكما نوراً كنور القمر لاتتبينان منه؟ قالا: بلى. قال: عليكما بالصلاة على محمد وآله الطيبين معتقدين أن أفضل آله علي بن أبي طالب، وتعتقد أنت يا زبير خاصة أنه لا يكون علي في قوم إلا كان هو أحق بالولاية عليهم، ليس لأحد أن يتقدمه. فإذا أنتما فعلتما ذلك وبلغتما الظل الذي بين يدي قصره من حائط قصره، فإن الله تعالى سيبعث الغزلان والأوعال إلى بابه فتحتك قرونها به فيقول: من لمحمد في مثل هذا؟ ويركب فرسه لينزل فيصطاد، فتقول امرأته: إياك والخروج فإن محمداً قد أناخ بفنائك، ولست تأمن أن يكون قد احتال ودس عليك من يقع بك! فيقول لها: إليك عني فلو كان أحد انفصل عنه في هذه الليلة لتلقته في هذا القمر عيون أصحابنا في الطريق، وهذه الدنيا بيضاء لا أحد فيها، ولو كان في ظل قصرنا هذا إنسيٌّ لنفرت منه الوحوش!

فينـزل ليصطاد الغزلان والأوعال فتهرب من بـين يديه ويتبعها، فتحيطان به وأصحابكـما فتأخذانه! فكان كـما قال رسـول الله ﷺ فأخذوه! فقال: لي إليكم حاجة. قالوا: وما هي فإنا نقضيها إلا أن تسألنا أن نخليك.

فقـال: تنزعون عني ثوبي هذا وسـيفي ومنطقتي وتحملونهـا إليه، وتحملونني إليـه في قميصي لئلا يـراني في هذا الزي، بل يراني في زي التواضع فلعله يرحمني، ففعلوا ذلك. فلما أتي به رسول الله ﷺ قال له: يا محمد أقلني وخلني على أن أدفع عنك من ورائي من أعدائك. فقال له رسول الله ﷺ: فإن لم تف بذلك؟ قال: يا محمد إن لم أفِ بذلك فإن كنت رسول الله فسيظفرك بي من منع ظلال أصحابك أن تقع على الأرض حتى أخذوني، ومن ساق الغزلان إلى بابي حتى استخرجني مـن قصري وأوقعني في أيـدي أصحابك! وإن كنت غير نبي فـإن دولتك التي أوقعتني في يدك بهذه الخصلة العجيبة والسبب اللطيف ستوقعني في يدك بمثلها.

قـال: فصالحـه رسـول الله ﷺ على ألف أوقيـة ذهب في رجـب ومائتي حلة، وألف أوقية في صفر ومائتي حلة، وعلى أنهم يضيفون من مرَّ بهم من المسـلمين ثلاثـة أيـام، ويزودونه إلى المرحلة التي تليها، على أنهم إن نقضوا شـيئاً من ذلك فقد برئت منهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله ﷺ.

وعـاد رسـول الله ﷺ غانماً ظافـراً، وأبطـل الله تعـالى كيـد المنافقـين، وأمـر رسول الله ﷺ بإحراق مسجد الضرار، وأنزل الله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ... الآيات». والبحار: ٢١/٢٥٨.

أقول: بعـد معركة مؤتة، رأى الروم أن جيش النبي ﷺ يتحفز ضدهم بجرأة وشجاعة وأنه سيعاود الكرة لأخذ ثأر جعفر عليه السلام، فدبروا خطة أكيـد والمنافقين من قريش وأهل المدينة لاسـتئصال النبي ﷺ والمسلمين بزعمهم، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ أن يبقي علياً عليه السلام في المدينة، بينما أراد المنافقون أن يغادرها لتخلو لهم!

وبهـذا تعـرف أن محاولـة قتل النبـي ﷺ في رجوعه مـن تبـوك، ومحاولة قتل عـلي عليه السلام في المدينـة في تلك الفـترة، كانت خطة بديلة بعد فشـل خطـة هرقل في

الأكيدر ملك دومة الجندل. وقد أنجى الله علياً عليه السلام في المدينة، وأنجى نبيه صلى الله عليه وآله منها وأمره أن يخفي أسماء المشاركين فيها، لئلا تعلن قريش الردة، كما سيأتي!

٩- عَسْكَرَ النبي صلى الله عليه وآله في ثنية الوداع

قال المسعودي في التنبيه والإشراف/٢٣٥: «ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وآله في رجب تبوك مما يلي دمشق من أرض الشام، وبين تبوك والمدينة تسعون فرسخاً، وذلك مسيرة اثنتي عشرة ليلة، وكان معه في هذه الغزاة ثلاثون ألفاً، الخيل عشرة آلاف والإبل اثنا عشر ألف بعير، ويسمَّى جيش العسرة لأنهم أمروا بالخروج لما طابت الثمار واشتد الحر وطاب لهم الظلال، وشق عليهم الخروج لبعد المسافة وعسرة من الماء وعسرة من النفقة والظهر. وحث رسول الله صلى الله عليه وآله الأغنياء على النفقة والحملان، فصار إلى تبوك فأقام بها بضع عشرة ليلة وقيل عشرين، يصلي ركعتين ركعتين، وعاد إلى المدينة وكان استخلف عليها علي بن أبي طالب».

وفي الإختصاص/٣٤٢ وتفسير القمي: ١/٢٩٠، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «خطب النبي صلى الله عليه وآله لما أراد الخروج إلى تبوك بثنية الوداع فقال: بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس إن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص القرآن، وخير الأمور عزائمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف القتل قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وشر المعذرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزراً، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجراً، ومن أعظم الخطايا للسان الكذوب، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، وخير ما ألقى في القلب اليقين، والإرتياب من الكفر، والنياحة من عمل الجاهلية، والغلول من جمر جهنم، والسكر جمر النار، والشعر

من إبليس، والخمر جماع الآثام، والنساء حبالات إبليس، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المآكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتيمه، وأربى الربا الكذب، وكل ما هو آت قريب، وسباب المؤمن فسوق، وقتال المؤمن كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يبالي على الله يكذبه، ومن يعفو يعف الله عنه، ومن كظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله، ومن يبتغ السمعة يسمع الله به، ومن يصم بصره ومن يعصى الله يعذبه الله. اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي. أستغفر الله لي ولكم.

قال: فرغب الناس في الجهاد، لما سمعوا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله. وقدمت القبائل من العرب ممن استنفرهم. وقعد عنه قوم من المنافقين، ولقي رسول الله الجد بن قيس فقال له: يا أبا وهب ألا تنفر معنا في هذه الغزاة لعلك أن تستحفد من بنات الأصفر! فقال: يا رسول الله والله إن قومي ليعلمون أنه ليس فيهم أحد أشد عجباً بالنساء مني، وأخاف إن خرجت معك أن لا أصبر إذا رأيت بنات الأصفر، فلا تفتنّي وائذن لي أن أقيم!

وقال لجماعة من قومه: لا تخرجوا في الحر، فقال ابنه: تردُّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول له ما تقول، ثم تقول لقومك لا تنفروا في الحر! والله لينزلن في هذا قرآناً تقرأه الناس إلى يوم القيامة! فأنزل الله على رسوله في ذلك: وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلاَتَفْتِنِّي. أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ. ثم قال الجد بن القيس: أيطمع محمد أن حرب الروم مثل حرب غيرهم، لا يرجع من هؤلاء أحد أبداً»!

١٠- استخلف علياً عليه السلام وودعه وناجاه

في المسترشد لمحمد بن جرير الطبري الشيعي/٤٤٣: «وكان سبب تخلف علي عليه السلام عنه أن تبوك بعيدة عن المدينة فلم يأمن الرسول صلى الله عليه وآله العرب أن يصيروا إليها، إذ كان قد وترهم وسفك دماءهم. وأخرى أنه علم صلى الله عليه وآله أنه لا يكون

هنـاك قتـال. وخرج في جيش يُروى أنهـم كانوا أكثر من أربعـين ألف رجل، وخلَّف بالمدينة جيشـاً وهو علي عليه السلام وحده. فحصن الله عزوجل به المدينة وعفف به حرمهم، فتكلم فيه المنافقون وقالوا ما خلفه إلا اسـتثقالاً له! فلحق علي رسـول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسـول الله زعم المنافقون أنك خلفتني اسـتثقالاً لي؟ فتضاحك رسـول الله، ثم أمر فنـودي في الناس كلهم فاعصوصبوا وتجمعوا، فقـال صلى الله عليه وآله: يا أيها الناس ما فيكم من أحـد إلا ولـه خاصـة من أهلـه، ألا إن علياً منـي بمنزلة هارون من موسـى إلا أنه لا نبـي بعـدي! فصار علي من النبي عليه السلام بذلك المكان الـذي أردوا أن يضعوا منه، بمنزلة هارون من موسى في أسبابه كلها، إلا ما استثناه من النبوة. ولا أحسبهم يأتون بمثلها في أحد من العالمين».

وفي المناقـب لمحمـد بن سـليمان: ١/٥٢٣: «عن الحارث بن ثعلبة قال: قلت لسـعد بن أبي وقـاص: هـل شـهدت لعلي منقبة؟ قال: شـهدت لعلي أربع مناقـب لأن يكون لي إحداهن أحب إلي من الدنيا وما فيها! والخامسـة خرج رسـول الله صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك فخلـف عليـاً في أهلـه فقالت قريش اسـتثقله! فجاء عـلي فأخذ بغرز الناقـة وقال: يا رسـول الله إني لخارج معك وتابعك، زعمت قريش أنك استثقلتني! فقال: هل منكم إلا وله خاصة من أهله؟ أنت مني بمنزلة هارون من موسى».

وقـال المفيـد رحمه الله في الإرشـاد: ١/١٥٤: «فاسـتخلفه ونـص عليـه بالإمامـة مـن بعـده نصـاً جليـاً وذلـك فيـما تظافـرت بـه الروايـة أن أهـل النفاق لـما علموا باسـتخلاف رسـول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على المدينـة حسـدوه لذلـك، وعظـم عليهم مقامـه فيها بعد خروجه، وعلموا أنها تُحرس به ولا يكون للعدو فيها مطمع، فساءهم ذلك!

وكانـوا يؤثـرون خروجـه معه لما يرجونـه من وقوع الفسـاد والإختـلاط عند نأي النبي صلى الله عليه وآله عن المدينة وخلوها من مرهوب مخوف يحرسـها! وغبطوه عليه السلام على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلف من خرج منهم المشـاق بالسـفر والخطر. فأرجفوا به وقالوا: لم يسـتخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله إكراماً له وإجلالاً ومودة، وإنما خلفه استثقالاً له. فلما بلـغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم فلحق

بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقالاً ومقتاً!

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إرجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي. وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى عليه السلام إلا ما خصه العرف من الأخوة واستثناه هو من النبوة.

ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله جعل له كافة منازل هارون من موسى، إلا المستثنى منها لفظاً أو عقلاً... وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته، وأنه كان أحب قومه إليه وأفضلهم لديه. قال الله عز وجل حاكياً عن موسى عليه السلام: قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. فأجاب الله تعالى مسألته وأعطاه سؤله في ذلك وأمنيته حيث يقول: قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى...

ولو علم الله تعالى أن نبيه صلى الله عليه وآله في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب والأنصار لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عليه السلام».

وفي خصائص الأئمة/٦٦: «وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أجمع على المضي إلى تبوك ناجى أمير المؤمنين عليه السلام فأطال، فقال أبو بكر لعمر: لقد أطال مناجاته لابن عمه فقال النبي صلى الله عليه وآله ما أنا ناجيته ولكن الله ناجاه، وفي ذلك يقول حسان:

ويوم الثنية عند الوداع ... وأجمع نحو تبوك المضيا
تنحى يودعه خالياً ... وقد وقف المسلمون المطيا
فقالوا يناجيه دون الأنام ... بل الله أدناه منه نجيا
على فم أحمد يوحي إليه ... كلاماً بليغاً ووحياً خفيا».

وفي مناقب ابن سليمان: ٣٣٣/١، عن أبي رافع قال: «لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غزوة تبوك خلف علياً وكثرت فيه الأقاويل من الناس فقالوا: لم يخلفه إلا

بغضاً له وكراهية أن يتبعه! فبلغ ذلك علياً فلحقه على مرحلة أو مرحلتين فسار محادثه وهما على بعيرين لهما والناس ينظرون إليهما وأنا قريب منهما، فجاءت عائشة لما رأت حالهما ومناجاة كل واحد منهما لصاحبه فأدخلت بعيرها بينهما، فالتفت إليها رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: أما والله ما يومه منك بواحد! ثم قال: أما ترضى يا علي أنك أخي في الدنيا والآخرة وأنك خير أمتي في الدنيا والآخرة، وأن امرأتك خير نساء أمتي في الدنيا والآخرة، وأن ابنيك سيدا شباب أهل الجنة في الدنيا والآخرة وأنك أخي ووزيري ووارثي. انصرف فلايصلح ماهناك إلا أنا أوأنت».

١١- أبوذر تأخر به بعيره

في تفسير القمي: ٢٩٤/١: «وتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوم من أهل ثبات وبصائر لم يكن يلحقهم شك ولا ارتياب، ولكنهم قالوا نلحق برسول الله صلى الله عليه وآله. منهم أبو خثيمة، وكان قوياً وكانت له زوجتان وعريشتان، فكانت زوجتاه قد رشتا عريشتيه وبردتا له الماء وهيئتا له طعاماً، فأشرف على عريشته، فلما نظر اليهما قال: والله، ما هذا بإنصاف! رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قد خرج في الصخ والريح وقد حمل السلاح مجاهداً في سبيل الله، وأبو خثيمة قوي قاعد في عريشته وامرأتين حسناوتين! لا والله ما هذا بإنصاف! ثم أخذ ناقته فشد عليها رحله فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله فنظر الناس إلى راكب على الطريق فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله كن أبا خثيمة، فأقبل وأخبر النبي صلى الله عليه وآله بما كان منه فجزّاه خيراً ودعا له.

وكان أبوذر رضي الله عنه تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام، وذلك أن جمله كان أعجف، فلحق بعد ثلاثة أيام به، ووقف عليه جمله في بعض الطريق فتركه وحمل ثيابه على ظهره، فلما ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كن أباذر، فقالوا: هو أبوذر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أدركوه بالماء فإنه عطشان! فأدركوه بالماء، ووافى أبوذر رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه إداوة فيها ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أباذر معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي انتهيت إلى صخرة وعليها ماء السماء فذقته

فإذا هو عذب بارد، فقلت لا أشربه حتى يشربه حبيبي رسول الله ﷺ! فقال رسول الله: يا أباذر رحمك الله تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل الجنة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق، يتولون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك»! ونحوه ابن هشام: ٤/٩٥٠، الطبري: ٢/٣٧١ والكشاف: ٢/٢١٩.

أقول: فسر بعضهم قول النبي ﷺ «كن أباذر» بأنه على نحو المعجزة، فهو إعمال للولاية التكوينية التي أعطاها الله لرسوله ﷺ.

قال الشعراني الصوفي في الجواهر والدرر: ٣/ ١٢٣: «هل يعطى أحد من الأولياء التصرف بكن في هذه الدار؟ فقال: نعم بحكم الإرث لرسول الله ﷺ فإنه تصرف بها في عدة مواطن منها قوله في غزوة تبوك: كن أباذر، فكان أباذر».

وقال ابن عربي الصوفي في الفتوحات المكية: ٢/١٢٦: «جاء عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنهم رأوا شخصاً فلم يعرفوه فقال رسول الله: كن أباذر، فإذا هو أبوذر، ولم يقل بسم الله فكانت كن منه كن الإلهية، فإنه قال الله تعالى فيمن أحبه حب النوافل كنت سمعه وبصره ولسانه الذي يتكلم به. وقد شهد الله لمحمد ﷺ بأن له نافلة بقوله تعالى: ومن الليل فتهجد به نافلة لك. فلا بد أن يكون سمعه الحق وبصره الحق وكلامه الحق، ولم يشهد بها لأحد من الخلق على التعيين. فعلامة من لم تستغرق فرائضه نوافله، وفضلت له نوافل أن يحبه الله تعالى هذه المحبة الخاصة، وجعل علامتها أن يكون الحق سمعهم وبصرهم ويدهم وجميع قواهم. ولهذا دعا رسول الله ﷺ أن يكون كله نوراً فإن الله نور السماوات والأرض. ولهذا تشير الحكماء بأن الغاية المطلوبة للعبد التشبه بالإله وتقول فيه الصوفية التخلق بالأسماء، فاختلفت العبارات وتوحد المعنى، ونحن نرغب إلى الله ونضرع أن لا يحجبنا في تخلقنا بالأسماء الإلهية عن عبوديتنا».

وقال صدر المتألهين الشيرازي في الأسفار: ٩/٨: «وإنا قد قدمنا إليكم يا إخواني في الطريق من أنوار الحكم ولطائف الكلم مبادئ عقليات وضوابط كليات وقوانين ميزانية وأحكاما ذهنية، هي مقدمات ذوات فضائل جمة ودرجات

للمسير إلى الله بقدم الفكر والهمة، وهي معارج للإرتقاء إلى معرفة الإلهية والإعتلاء إلى شهود جمال الأحدية وصفاته الواجبية، ومجاورة المقدسين ومنادمة أهل الملكوت والعليين، من مقاصد أصحاب الوحي والتنزيل ومحكمات أسرار أهل التأويل، الآخذين علومهم عن الملائكة المقربين والحفظة الكرام الكاتبين... فهذا العلم يجعل الإنسان ذا ملك كبير، لأنه الإكسير الأعظم الموجب للغنى الكلي والسعادة الكبرى، والبقاء على أفضل الأحوال، والتشبه بالخير الأقصى والتخلق بأخلاق الله تعالى، ولذلك ورد في بعض الصحف المنزلة من الكتب السماوية أنه قال سبحانه: يا ابن آدم خلقتك للبقاء وأنا حي لا أموت، أطعني فيما أمرتك وانته عما نهيتك أجعلك مثلي حياً لا تموت..فهذا مقام من المقامات التي يصل إليها الإنسان بالحكمة والعرفان! وهو يسمى عند أهل التصوف بمقام كن، كما ينقل عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أنه قال: كن أباذر، فكان أباذر. وله مقام فوق هذا يسمى بمقام الفناء في التوحيد، المشار إليه بقوله تعالى في الحديث القدسي: فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر.. الحديث. وسينكشف لك في هذا السفر بيان هذا المطلب بالبرهان ويلقى إليك معرفة العلم الذي من أجله يستوجب من علمه وعمل بموجبه تلك البهجة الكبرى والمنزلة العظمى، فافهم واغتنم به وكن به سعيداً، ولا تلقه الا إلى أهله العامل بمقتضاه وموجبه».

أقول: لا كلام في إمكان أن يكون النبي ﷺ قال للسوادة: كن أباذر، فكان على نحو الإعجاز. لكن الإشكال في زعمهم أن ذلك مقامٌ يمكنهم أن يبلغوه هم وأمثالهم، ودعوتهم الناس أن يتبعوهم لكي يبلغوه! ولم يكتفوا بذلك حتى اخترعوا مقاماً أعلى منه هو الفناء في التوحيد!

قال صدر المتألهين في الأسفار: ١٨/٢: «فإن المنازل اللائقة بالأولياء هذه، وكذا يترقون من الواحدية إلى الفناء في الأحدية، ويسافرون من الحق إلى الخلق».

وقال في: ١٨٣/٣: «فالعشق الأكبر عشق الإله جل ذكره وهو لا يكون إلا للمتألهين الكاملين الذين حصل لهم الفناء الكلي. وهؤلاء هم المشار اليه في قوله تعالى: يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونه،

فإنه في الحقيقة ما يُحب إلا نفسه لا غيره، فالمحب والمحبوب في الطرفين شيء واحد.

والأوسط عشق العلماء الناظرين في حقائق الموجودات المتفكرين دائماً في خلق السماوات والأرض كما في قوله تعالى: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. وهو عذاب الفرقة والإحتجاب عن رؤية الآثار وجنة الأفعال.

والأصغر عشق الإنسان الصغير، لكونه أيضاً أنموذجاً مما في عالم الكبير كله والعالم كله كتاب الحق الجامع، وتصنيف الله الذي أبرز فيه كمالاته الذاتية ومعانيه الإلهية، وكتاب الإنسان مجموعة مختصرة، فيه آيات الكتاب المبين، فمن تأمل فيه وتدبر في آياته ومعانيه بنظر الإعتبار يسهل عليه مطالعة الكتاب الكبير وآياته ومعانيه وأسراره! وإذا اتفق وأحكم معاني الكتاب الكبير يسهل معها العروج إلى مطالعة جمال الله وجلال أحديته، فيرى الكل منطوياً في كبريائه مضمحلاً تحت أشعة نوره وضيائه».

فهذا المذهب يدعي أولاً: أن مقامات الأنبياء والأئمة عليهم السلام ثمرة لسلوكية معينة.

ويدعي ثانياً: أن باستطاعة الإنسان أن يصل إلى تلك المقامات!

ونلاحظ أنهم جعلوا عشق الإنسان من عشق الله تعالى أو مقدمة له لأن الله: «أبرز فيه كمالاته الذاتية ومعانيه الإلهية»! ولم يبينوا من هو ذلك الإنسان، فإن قصدوا غير المعصوم فهو كلام باطل.

ويدعي ثالثاً: لأئمته وأساتيذه مقامات شبيهة بمقامات المعصومين عليهم السلام بل أعلى منهم، وهذا واضح من هرم شخصياتهم الذي يزعمه ابن عربي، وأعلاه أهل الظاهر وهم ستة منهم أبو يزيد البسطامي وهم الذين يتصرفون في الطبيعة. وفوقهم ستة هم الباطن الذين يتصرفون في الملكوت، ورئيسهم ابن عربي!

قال في الفتوحات المكية: ١٨٧/١: «قال الله تعالى: **وعلى الأعراف رجال**. أهل الشم والتمييز والسراح عن الأوصاف فلا صفة لهم، كان منهم أبو يزيد البسطامي، ورجال إذا دعاهم الحق إليه يأتونه رجالاً لسرعة الإجابة لا يركبون:

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً، وهم رجال المطلع. فرجال الظاهر هم الذين لهم التصرف في عالم الملك والشهادة، وهم الذين كان يشير إليهم الشيخ محمد بن قائد الأواني، وهو المقام الذي تركه الشيخ العاقل أبو السعود بن الشبل البغدادي أدباً مع الله أخبرني أبو البدر التماشكي البغدادي رحمه الله قال: لما اجتمع محمد بن قائد الأواني وكان من الأفراد بأبي السعود هذا، قال له: يا أبا السعود إن الله قسم المملكة بيني وبينك، فلم لا تتصرف فيها كما أتصرف أنا فقال له أبو السعود: يا ابن قائد وهبتك سهمي، نحن تركنا الحق يتصرف لنا»!

وكل ذلك أماني ومزاعم ولقلقة لسان، لا أكثر.

١٢- في ذهابه ﷺ إلى تبوك أسَرَ الأكيدر وأطلقه

تقدمت الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام أن النبي ﷺ عندما وصل إلى دومة الجندل أرسل الزبير وأبا دجانة الأنصاري ليلاً في سرية من عشرين شخصاً، فأسروا الأكيدر بآية ربانية، وأتوه به فكتب معه معاهدة وأطلقه.

لكن رواة السلطة أعطوا هذه السرية إلى خالد بن الوليد، فقالوا إن النبي ﷺ أرسله من تبوك إلى الدومة فأسر الأكيدر! لكن لا يصح إرساله من تبوك لأن الدومة في طريق النبي ﷺ إلى تبوك! ولأن يوحنَّه حاكم إيلات ومن جاورها جاؤوا إلى النبي ﷺ في تبوك، لمَّا سمعوا بما حدث للأكيدر. فالصحيح أنه أسره وصالحه وأطلقه، في ذهابه إلى تبوك.

ونحن نرجح رواية تفسير الإمام العسكري عليه السلام/٤٨٦، المتقدمة، عن الإمام الكاظم عليه السلام، أن النبي ﷺ أرسل أبا دجانة والزبير.

وقد نص اليعقوبي: ٦٧/٢ على أن النبي ﷺ تحرك في غرة رجب، ووصل إلى تبوك في شعبان أي بعد شهر أو أكثر، والمسافة إلى تبوك على أكثر تقدير عشرون يوماً، فالباقي كان في فرق الطريق إلى دومة الجندل، حيث أسره النبي ﷺ.

وفي مغازي الواقدي/٦١٥: «وكانت دومة وأيلة وتيماء قد خافوا النبي ﷺ لما رأوا العرب قد أسلمت. وقدم يُحنة بن رؤبة على النبي ﷺ وكان ملك أيلة وأشفقوا

أن يبعث إليهم رسول الله ﷺ كما بعث إلى أكيدر، وأقبل معه أهل جرباء وأذرح فأتوه فصالحهم، فقطع عليهم الجزية جزية معلومة وكتب لهم كتاباً».

١٣- راسل النبي ﷺ هرقل من تبوك

أقام النبي ﷺ في تبوك نحو عشرين يوماً، لأنه راسل هرقل وانتظر جوابه، ففي **الخرائج**: ١٦٩/١: «واختلفت الرسل بين رسول الله ﷺ وملك الروم، فطالت في ذلك الأيام حتى نفد الزاد فشكوا إليه فنفاده فقال ﷺ: من كان معه شيء من دقيق أو تمر أو سويق فليأتني به، فجاءه رجل بكف تمر والآخر بكف سويق فبسط رداءه وجعل ذلك عليه ووضع يده على كل واحد منها، ثم قال: نادوا في الناس: من أراد الزاد فليأت، فأقبل الناس يأخذون الدقيق والتمر والسويق حتى ملؤوا جميع ما كان معهم من الأوعية، وذلك الدقيق والتمر والسويق على حاله، ما نقص من واحد منها شيء ولا زاد على ما كان».

ويشعر قوله «واختلفت الرسل» أنهما تبادلا أكثر من رسالة، لكن لم تذكر المصادر إلا رسالة واحدة، شبيهة برسالة النبي ﷺ إلى هرقل في السنة السادسة.

ففي مكاتيب الرسول ﷺ: ٤١٠/٢: «من محمد رسول الله إلى صاحب الروم: إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل في الإسلام، فأعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول: قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ. وإلا فلا تحُل بين الفلاحين وبين الإسلام، أن يدخلوا فيه، أو يعطوا الجزية».

لكن هذا النص للرسالة ناقص، فجواب هرقل يدل على أنه كان فيها آية: وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. فقد رووا عن رجل تنوخي إسمه سعيد بن أبي راشد أنه قال: لما جاء كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم غلق عليه وعليهم الدار،

فقال: قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني إلى أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه ما لنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقى إليه الحرب، والله لقد عرفتم فيما تقرؤن من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي، فهلم نتبعه على دينه أو نعطيه مالنا وأرضنا! فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية، أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز! فقال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم!

ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب فقال: «أدع لي رجلاً حافظاً للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاء بي، فدفع إليَّ هرقل كتاباً وقال: إذهب بكتابي إلى هذا الرجل فما ضيعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال: أنظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليَّ بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل وانظر في ظهره هل به شيء يريبك، فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء فقلت: أين صاحبكم؟ قيل ها هوذا فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: ممن أنت؟ فقلت: أنا أحد تنوخ. قال: هل لك في الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم؟ قلت إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين. يا أخا تنوخ إني كتبت بكتابي إلى كسرى فمزقه والله ممزقه وممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها والله مُخرقه ومخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها فلن يزل الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير. قلت: هذه إحدى الثلاثة التي أوصاني بها صاحبي، وأخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره.. فإذا في كتاب صاحبي: تدعوني إلى جنة عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فأين النار؟ فقال رسول الله: سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار؟ قال فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي». سبل الهدى: ٣٥٦/١١.

وقد أجاب النبي ﷺ على ادعاء هرقل أنه مسلم مؤمن بنبوته فقال: «كذب بل هو

على نصرانيته». مكاتيب الرسول ﷺ: ٤١٠/٢، فتح الباري: ٣٥/١ والروض الأنف: ٣٠٢/٤.

وفي مغازي الواقدي/٦٠٨: «وكان هرقل قد بعث رجلاً من غسان إلى النبي ﷺ فينظر إلى صفته وإلى علاماته إلى حمرة في عينيه، وإلى خاتم النبوة بين كتفيه، وسأل فإذا هو لا يقبل الصدقة، فوعى أشياء من حال النبي ﷺ ثم انصرف إلى هرقل فذكر له ذلك، فدعا قومه إلى التصديق به فأبوا حتى خافهم على ملكه، وهو في موضعه لم يتحرك ولم يزحف». أي لم يحرك جيشه إلى تبوك!

١٤- انتقم هرقل من يوحنا فقتله ولم ينتقم من الأكيدر!

كان انسحاب هرقل من تبوك حتى لايشتبك مع النبي ﷺ تخاذلاً واضحاً، وحتى لو لم تكن له قوات هناك، فالواجب على أمبراطور أن يبادر إلى قتال جيش معادٍ من ثلاثين ألفاً دخل في عمق بلاده وعسكر في مكان قريب منه، وأسر أحد الملوك التابعين له وهو الأكيدر، وكتب معه معاهدة صلح يدفع بموجبها جزية كبيرة مرتين في السنة، وخاف منه حكام محليون فجاؤوه طائعين أو مكرهين وكتبوا معه معاهدات، يدفعون بموجبها الجزية.

لكن هرقل لم يفعل، وواصل استعمال الدهاء الغربي لكسب الوقت، وأجاب النبي ﷺ بأنه مؤمن به، لكن وزراءه وبطارقته لا يقبلون!

فقال النبي ﷺ عن هرقل: «كذب عدو الله إنه على نصرانيته» وصدق رسول الله فقد قتل هرقل حاكم عَمَّان لأنه أسلم، وقتل رسول النبي ﷺ إلى حاكم بصرى، وقتل يوحنا حاكم إيلات، لأنه وقع مع النبي ﷺ معاهدة صلح!

قال الواقدي في المغازي/٦١٥: «وكانت دومة وأيلة وتيماء قد خافوا النبي ﷺ لما رأوا العرب قد أسلمت، وقدم يُحَنَّه بن رؤبة على النبي ﷺ وكان ملك أيلة، وأشفقوا أن يبعث إليهم رسول الله ﷺ كما بعث إلى أكيدر. وأقبل معه أهل جرباء وأذرح فأتوه فصالحهم، فقطع عليهم الجزية جزية معلومة وكتب لهم كتاباً: بسم الله الرحمن الرحيم هذا أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله،

ليُحَنَّهْ بن رؤبة وأهل أيلة لسفنهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله، ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر. ومن أحدث حدثاً فإنه لايحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يريدونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر». ومكاتيب الرسول:٣/١١٦، معجم البلدان:١/٢٩٢ والطبري:٢/٣٧٢، ابن هشام:٤/٩٥٢والتبيان:٥/١٧٢.

وجاء يوحنا بعد ذلك إلى المدينة فروي عن جابر ﷺ أنه قال: «رأيت يحنة بن رؤبة يوم أُتي به إلى النبي ﷺ عليه صليب من ذهب وهو معقود الناصية، فلما رأى النبي ﷺ كفَّرَ وأومأ برأسه «وضع يديه على بعضهما لأن ذلك من فعل الفرس والروم في الخضوع للملكهم» فأومأ إليه النبي ﷺ: إرفع رأسك! وصالحه يومئذ وكساه رسول الله ﷺ برداً يمنية، وأمر له بمنزل عند بلال.

وكتب رسول الله ﷺ لأهل جر باء وأذرح هذا الكتاب: من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجبٍ وافية طيبة والله كفيل عليهم.. وكتب لأهل مقنا». مغازي الواقدي/٦١٥.

وبلغ خبر يوحنا إلى هرقل فأمر بقتله وصلبه عند قريته!»ابن خلدون: ٢/ق:١/٢٢٤.

انتظر هرقل حتى انسحب النبي ﷺ من تبوك وجاء وقتل يوحنا!

قال الشيخ الغزالي في التسامح/١٤٠: «ما إن عاد المسلمون من تبوك حتى جاء هرقل! فأمر بقتل يوحنا بن رؤبة أمير أيلة، ثم صلبه أمام قريته لأنه رضي بعقد صلح مع المسلمين».

لكن هرقل سكت عن معاهدة الأكيدر مع النبي ﷺ، لأن لقتله تداعيات!

١٥- مؤامرة الصحابة العدول لقتل النبي ﷺ في عودته من تبوك!

١. اعترفت كل المصادر بحصول هذه المؤامرة، وتُعرف بليلة العقبة، ويُعرف منفذوها بأصحاب العقبة! لكنهم اتفق الجميع على إخفاء أسماء «أبطالها»!

روى مسلم في صحيحه: ٨/١٢٣، عن أبي الطفيل قال: «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟

قال فقال له القوم: أخبره إذْ سألك! قال: كنا نُخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حربٌ لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد! وعَذَرَ ثلاثة قالوا: ما سمعناه منادي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا علمنا بما أراد القوم! ».

وتدل هذه الرواية الرسمية على أن المتآمرين كانوا بعد النبي صلى الله عليه وآله بين المسلمين وكان حذيفة يعرفهم، وكذا عمار، وكذا أهل البيت عليهم السلام. وقد أبهمت الرواية الموضوع وذكرت أن النبي صلى الله عليه وآله عَذَر ثلاثة منهم غير الأربعة عشر، لأنهم قالوا إنهم كانوا في محل الجريمة صدفةً، ولم يكونوا مع المتآمرين، حيث لم يسمعوا منادي النبي صلى الله عليه وآله يطلب من المسلمين أن يمروا من الوادي، ولا يصعدوا العقبة!

أما قصة الماء ونهي النبي صلى الله عليه وآله أن يشربوا منه إذا وصلوا اليه قبله، فهي منفصلة عن مؤامرة العقبة، فقد كان ذلك الماء قليلاً وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن يباركه ويجريه بما يكفي الجيش والمنطقة، فوصل اليه جماعة قبله وعصوا وشربوا منه، وهم من أصحاب العقبة وغيرهم! فلعنهم النبي صلى الله عليه وآله ثانية بعد لعنة العقبة!

٢. روى المفسرون مؤامرة العقبة في تفسير قوله تعالى: يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. ٧٣-٧٤.

قال البيضاوي في تفسيره: ٣/١٥٨: «وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا، من الفتك بالرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذ تسنم العقبة بالليل! فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها، فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وقعقعة السلاح فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله، فهربوا».

وفي الخصال/٤٩٩، عن حذيفة أنهم أربعة عشر، ثم عدَّد أسماءهم كما يأتي، وقال: «وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا».

٣. اتفقت روايتهم على أن المؤامرة كانت لقتل رسول الله ﷺ في نقطة معينة من العقبة! قال الصحابي عامر بن واثلة كما في روايتهم الصحيحة: «أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه». «مسند أحمد: ٤٥٣/٥». كما اتفقوا على أن غزوة تبوك كانت في الصيف وكانوا يسيرون ليلاً اتقاء الحر، وكان أمامهم طريق مختصر من العقبة لا يناسب جيشاً من ثلاثين ألفاً، فسلك الجيش طريق الوادي، وقرر النبي ﷺ أن يسلك طريق العقبة، وأحس بأن بعضهم يأتمر عليه فنادى مناديه أن لا يسلك أحد العقبة، فبادر المتآمرون وصعدوا الجبل ليدحرجوا صخوراً كبيرة عليه فتقتله، أو تنفر ناقته ﷺ فتسقط في الوادي، وكان مسلكاً ضيقاً يتسع في نقطة منه لجمل واحد، وكان واديه عميقاً، روي أنه مقدار ألف رمح! البحار: ٢٦٧/٨٢.

كما ورد ذكر الدِّبَاب، وهي كراتٌ كبيرة من جلود أو خشب، يلقونها فتصدر منها أصوات تنفر الناقة: «فسبق بعضهم إلى تلك العقبة وكانوا قد أخذوا دباباً كانوا هيأوها من جلد حمار، وضعوا فيها حصى وطرحوها بين يدي الناقة». الصحيح من السيرة: ١٤٣/٣٠.

وفي الإحتجاج: ٦٤/١: «ثم إن رسول الله ﷺ أمر بالرحيل في أول نصف الليل الأخير، وأمر مناديه فنادى: ألا لا يسبقن رسول الله ﷺ أحد إلى العقبة ولا يطؤها حتى يجاوزها رسول الله ﷺ، ثم أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة فينظر من يمر بها ويخبر رسول الله ﷺ، وكان رسول الله أمره أن يتشبه بحجر فقال حذيفة: يا رسول الله إني أتبين الشر في وجوه القوم من رؤساء عسكرك، وإني أخاف إن قعدت في أصل الجبل وجاء منهم من أخاف أن يتقدمك إلى هناك للتدبير عليك يحس بي ويكشف عني فيعرفني ويعرف موضعي من نصيحتك، فيتهمني ويخافني فيقتلني. فقال رسول الله ﷺ: إنك إذا بلغت أصل العقبة فاقصد أكبر صخرة هناك إلى جانب أصل العقبة وقل لها: إن رسول الله يأمرك أن تنفرجي لي حتى أدخل جوفك، ثم يأمرك أن تنقبي فيك ثقبة أبصر منها المارين وتدخل علي منها الروح لئلا أكون من الهالكين، فإنها تصير إلى ما تقول لها بإذن الله رب العالمين. فأدى حذيفة الرسالة ودخل جوف الصخرة وجاء الأربعة والعشرون على جمالهم وبين أيديهم رجالتهم يقول بعضهم

لبعض: من رأيتموه هنا كائناً من كان فاقتلوه، لئلا يخبروا محمداً أنهم قد رأونا هاهنا، فينكص محمد ولا يصعد هذه العقبة إلا نهاراً، فيبطل تدبيرنا عليه! وسمعها حذيفة، واستقصوا فلم يجدوا أحداً، وكان الله قد ستر حذيفة بالحجر عنهم، فتفرقوا فبعضهم صعد على الجبل وعدل عن الطريق المسلوك، وبعضهم وقف على سفح الجبل عن يمين وشمال... فأخبر رسول الله ﷺ بما رأى وسمع فقال رسول الله ﷺ: أوَعرفتهم بوجوههم؟ فقال: يا رسول الله كانوا متلثمين وكنت أعرف أكثرهم بجمالهم، فلما فتشوا المواضع فلم يجدوا أحداً أحدروا اللثام، فرأيت وجوههم وعرفتهم بأعيانهم وأسمائهم: فلان وفلان وفلان حتى عد أربعة وعشرين. فقال رسول الله ﷺ: يا حذيفة إذا كان الله يثبِّت محمداً، لم يقدر هؤلاء ولا الخلق أجمعون أن يزيلوه، إن الله تعالى بالغ في محمد أمره ولو كره الكافرون. ثم قال: يا حذيفة فانهض بنا أنت وسلمان وعمار وتوكلوا على الله، فإذا جزنا الثنية الصعبة فأذنوا للناس أن يتبعونا، فصعد رسول الله ﷺ وهو على ناقته وحذيفة وسلمان أحدهما آخذ بخطام ناقته يقودها والآخر خلفها يسوقها، وعمار إلى جانبها، والقوم على جمالهم ورجالتهم منبثون حوالي الثنية على تلك العقبات، وقد جعل الذين فوق الطريق حجارة في دباب فدحرجوها من فوق لينفروا الناقة برسول الله ﷺ ويقع به في المهوى الذي يهول الناظر إليه من بعده، فلما قربت الدباب من ناقة رسول الله ﷺ أذن الله لها فارتفعت ارتفاعاً عظيماً فجاوزت ناقة رسول الله ﷺ ثم سقطت في جانب المهوى، ولم يبق منها شئ إلا صار كذلك، وناقة رسول الله كأنها لا تحس بشئ من تلك القعقعات التي كانت للدباب. ثم قال رسول الله ﷺ لعمار: إصعد إلى الجبل فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم فارم بها، ففعل ذلك عمار فنفرت بهم رواحلهم وسقط بعضهم فانكسر عضده».

٤. وأمر الله نبيه ﷺ أن لا يعاقبهم، كما أمره أن يكتم أسماءهم، حتى لا ترتد قريش! ففي الصحيح من السيرة: ١٤١/٣٠ ملخصاً: «فأخبر الله تعالى

رسوله بمكرهم، فلما بلغ رسول الله ﷺ تلك العقبة نادى مناديه للناس: أن رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد، واسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي إلا النفر الذين مكروا برسول الله ﷺ لما سمعوا ذلك استعدوا وتلثموا. فبينا رسول الله ﷺ يسير من العقبة إذ سمع حسَّ القوم قد غَشَوْهُ، فنفَّروا ناقة رسول الله ﷺ حتى سقط بعض متاعه. فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة إليهم، وقد رأى غضب رسول الله ﷺ ومعه محجن يضرب وجوه رواحلهم وقال: إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى. فعلم القوم أن رسول الله ﷺ قد اطلع على مكرهم، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس!

قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه».

أقول: هذا يدل على أن أولئك المجرمين كانوا صحابة، وكانت خطتهم أن يقتلوا النبي ﷺ سراً ثم يبكون عليه، ويقدموا أحدهم ويصفقوا على يده لخلافته! فأمر الله نبيه ﷺ أن يكتم عليهم! لأن إعلان أسمائهم يؤدي إلى إعلان قريش الردة ومعها بعض القبائل، وهذا أضر على الإسلام من الصبر عليهم!

٥- تراوح عدد المتآمرين في الروايات بين اثني عشر وأربع وعشرين، فكان فيهم أساسيون ومساعدون. وروي أنهم ثمانية من قريش وأربعة من غيرهم، وروي أنهم اثنا عشر من بني أمية وخمسة من غيرهم. وذكرت رواياتنا أن حذيفة ﷺ كشف أسماءهم في خطبته في مرض وفاته في المدائن، لما تحدث عن مؤامرة قريش على النبي ﷺ وعترته، وقال في حديثه عن ليلة العقبة: «فبرقت برقة فأضاءت جميع ما حولنا وثبتت البرقة حتى خلتها شمساً طالعة، فنظرت والله إلى القوم فعرفتهم رجلاً رجلاً، وإذا هم كما قال رسول الله ﷺ، وعدد القوم أربعة عشر رجلاً، تسعة من قريش، وخمسة من سائر الناس، فقال له: سمهم لنا يرحمك الله، فقال حذيفة: هم والله... قال حذيفة: ثم انحدرنا من العقبة وقد طلع الفجر، فنزل رسول الله ﷺ فتوضأ وانتظر أصحابه حتى انحدروا من العقبة واجتمعوا، فرأيت القوم بأجمعهم وقد دخلوا مع الناس وصلوا خلف رسول الله!

فلما انصرف من صلاته ﷺ التفت فنظر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يتناجون فأمر منادياً فنادى في الناس: لا يجتمع ثلاثة نفر من الناس يتناجون فيما بينهم بسر». البحار: ١٠٠/٢٨.

وفي تاريخ دمشق: ٩٣/٣٢: «عن أبي تحيى حكيم قال: كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك ألست أخاك؟ قال: ما أدري، إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ليلة الجبل! قال: إنه قد استغفر لي! قال عمار: قد شهدت اللعن، ولم أشهد الإستغفار!».

وقال عنه ابن حجر في لسان الميزان: ٢٩٠/٥: «قال ابن عدي: عند محمد بن علي هذا، من هذا الضرب عجائب وهو منكر الحديث، والبلاء فيه عندي منه لا من حسين.. وقال الخطيب قال محمد بن منصور: كان ثقة مأموناً حسن النقل»!

أقول: تعجبَ ابن حجر من كون أبي موسى الأشعري من أهل العقبة، ولا قيمة لاستنكاره، فالراوي ثقة! وأبو موسى عند أهل البيت عليهم السلام كسامري اليهود!

٦. استبدل رواة السلطة أسماء أصحاب العقبة بآخرين، لاهم في العير ولا النفير، ولا مصلحة لهم أو لمن وراءهم بقتل النبي ﷺ! فذكروا لائحتين بأسمائهم:

١- معتب بن قشير بن مليل، من بني عمرو بن عوف. ٢- وديعة بن ثابت بن عمرو بن عوف. ٣- جدّ بن عبدالله بن نبتل من بني عمرو بن عوف. ٤- الحارث بن يزيد الطائي. ٥- أوس بن قيظي، من بني حارثة. ٦- الحارث بن سويد. ٧- سعد بن زرارة، من بني مالك. ٨- قيس بن قهد، من بني مالك. ٩- سويد من بني بلحبلى. ١٠- داعس من بني بلحبلى. ١١- قيس بن عمرو بن سهل. ١٢- زيد بن اللصيت. ١٣- سلامة بن الحمام. وهما من بني قينقاع.

والثانية ذكرها ابن القيّم والسيوطي والصالحي:

١- عبدالله بن أبي «سعد». ٢- سعد بن أبي سرح. ٣- أبوخاطر «حاضر» الأعرابي. ٤- عامر. ٥- أبو عامر «أبو عمر». ٦- الجلاس بن سويد بن الصامت. ٧- مجمع بن حارثة «جارية». ٨- فليح «مليح» التيمي. ٩- طعمة

بن أبيرق. ١٠-عبدالله بن عيينة. ١١- مرة بن الربيع. ١٢-حصين بن النمير.

وذكرت لائحة أخرى بأسمائهم في مصادر لاتهتم برضا رموز السلطة، وهم:

١- أبو بكر. ٢- عمر. ٣- عثمان. ٤- طلحة. ٥- الزبير. ٦- أبوسفيان. ٧- معاوية. ٨- عتبة بن أبي سفيان. ٩- أبو الأعور السلمي. ١٠- المغيرة بن شعبة. ١١- أبو موسى الأشعري. ١٢- أبو قتادة. ١٣- عمرو بن العاص. ١٤- سعد بن أبي وقاص. وفي نص آخر: الثمانية من قريش هم: سعد بن أبي وقاص، معاوية، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة. بالإضافة إلى: ١٥- عبدالرحمن بن عوف. ١٦- أبو عبيد بن الجراح. والذين هم من غير قريش: ١٧- أوس بن الحدثان. ١٨- أبو هريرة. ١٩- أبو طلحة الأنصاري. ٢٠- أبو موسى الأشعري.

وزاد في نص آخر: ٢١- سالم مولى أبي حذيفة. ٢٢- خالد بن الوليد. وأبا المعازف. ٢٣- وأباه. ٢٤- وأبا مسعود. وينتهي العدد انتهى إلى أربعة وعشرين، وقد جمعناه من الروايات المختلفة وهو ما صرحت به بعض الروايات. الصحيح:١٢٣/٣٠.

أقول: هذه الحادثة لا يكفي فيها التعليق، فهي توجب ثورة في فهم الصحابة والسيرة!

١٦- في تلك الفترة حاول المنافقون قتل علي عليه السلام في المدينة!

في الإحتجاج: ٥٩/١: «قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام: لقد رامت الفجرة ليلة العقبة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة، ورام من بقي من مردة المنافقين بالمدينة قتل علي بن أبي طالب عليه السلام، فما قدروا على مغالبة ربهم! حملهم على ذلك حسدهم لرسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام لما فخَّمَ من أمره وعظَّمَ من شأنه.

من ذلك أنه لما خرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة وقد كان خلفه عليها وقال له: إن جبرئيل أتاني وقال لي: يا محمد إن العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمد إما أن تخرج أنت ويقيم علي أو تقيم أنت ويخرج علي، لا بد من ذلك، فإن علياً قد ندبته لإحدى اثنتين لايعلم أحد كنه جلال من أطاعني فيهما وعظيم ثوابه غيري. فلما خلفه أكثر المنافقون الطعن فيه فقالوا: ملَّه وسئمه وكره صحبته فتبعه علي عليه السلام حتى لحقه

وقد وجد غماً شديداً مما قالوا فيه فقال رسول الله ﷺ: ما أشخصك يا علي عن مركزك؟ فقال: بلغني عن الناس كذا وكذا. فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ فانصرف علي عليه السلام إلى موضعه فدبروا عليه أن يقتلوه، وتقدموا في أن يحفروا له في طريقه حفيرة طويلة قدر خمسين ذراعاً ثم غطوها بخص رقاق، ونثروا فوقها يسيراً من التراب بقدر ما غطوا به وجوه الخص، وكان ذلك على طريق علي عليه السلام الذي لا بد له من سلوكه، ليقع هو ودابته في الحفيرة التي قد عمقوها، وكان ما حوالي المحفور أرض ذات حجارة، ودبروا على أنه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه! فلما بلغ علي عليه السلام قُرب المكان لوى فرسه عنقه.. فقال علي عليه السلام: سر بإذن الله سالماً سوياً، عجيباً شأنك، بديعاً أمرك، فتبادرت الدابة فإذا الله عز وجل قد متن الأرض وصلَّبها ولأَم حفرها، كأنها لم تكن محفورة وجعلها كسائر الأرض، فلما جاوزها علي عليه السلام لوى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أذنه ثم قال: ما أكرمك على رب العالمين، أجازك على هذا المكان الخاوي... فلما قرب رسول الله ﷺ من العقبة التي بإزائها فضائح المنافقين والكافرين، نزل دون العقبة ثم جمعهم فقال لهم: هذا جبرئيل الروح الأمين يخبرني أن علياً دُبِّرَ عليه كذا وكذا، فدفع الله عز وجل عنه من ألطافه وعجائب معجزاته بكذا وكذا».

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام/٥٦٠: «فقال رسول الله ﷺ: يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي! تقيم يا علي فإن لك في مقامك من الأجر مثل الذي يكون لك لو خرجت مع رسول الله ﷺ، ولك مثل أجور كل من خرج مع رسول الله ﷺ موقناً طائعاً، وإن لك عليَّ يا علي أن أسأل الله بمحبتك أن تشاهد من محمد سمته في سائر أحواله، إن الله يأمر جبرئيل في جميع مسيرنا هذا أن يرفع الأرض التي نسير عليها والأرض التي تكون أنت عليها ويقوي بصرك حتى تشاهد محمداً وأصحابه في سائر أحوالك وأحوالهم، فلا يفوتك الأنس من رؤيته ورؤية أصحابه ويغنيك ذلك عن المكاتبة والمراسلة.

فقـام رجل من مجلس زين العابدين عليه السلام لما ذكر هذا وقال له: يا ابن رسـول الله كيف يكـون هذا لعـلي، إنما يكون هـذا للأنبيـاء لا لغيرهم! فقـال زين العابديـن: هذا هو معجزة لمحمد رسـول الله صلى الله عليه وآله لا لغيره، لأن الله تعـالى لما رفعه بدعاء محمد صلى الله عليه وآله زاد في نوره أيضاً بدعاء محمد حتى شاهد ما شاهد، وأدرك ما أدرك.

ثم قال الباقر عليه السلام: ما أكثر ظلم هذه الأمة لعلي بن أبي طالب عليه السلام وأقل إنصافهم له!؟ يمنعون علياً ما يعطونه سائر الصحابة وعلي عليه السلام أفضلهم! فكيف يمنعون منزلة يعطونها غـيره؟! قيل: وكيف ذاك يا ابن رسـول الله؟ قال: لأنكم تتولـون محبي أبي بكر بن أبي قحافة وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان، وكذلك تتولون عمر بن الخطاب وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان، وتتولون عثمان بن عفان وتبرؤون من أعدائه كائناً من كان. حتى إذا صار إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام قالوا: نتولى محبيه ولا نتبرأ من أعدائه بل نحبهم!

وكيـف يجوز هـذا لهم ورسـول الله صلى الله عليه وآله يقول في عـلي: اللهم وال مـن والاه، وعاد مـن عـاداه وانصر من نصره واخذل من خذله! فتراهم لا يعـادون من عاداه وخذله، ليس هذا بإنصاف!

ثم أخرى: أنهم إذا ذكر لهم ما اختص الله به علياً عليه السلام بدعاء رسـول الله صلى الله عليه وآله وكرامته عـلى ربـه تعالى جحدوه، وهم يقبلون ما يذكر لهم في غيره من الصحابة! فما الذي منع علياً عليه السلام ما جعله لسائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟

هذا عمر بن الخطاب إذا قيل لهم: إنه كان على المنبر بالمدينة يخطب إذ نادى في خلال خطبتـه: يا سـارية الجبل، وعجبت الصحابة وقالوا: ما هـذا من الكلام الذي في هذه الخطبة! فلما قضى الخطبة والصلاة قالوا: ما قولك في خطبتك يا سارية الجبل؟ فقال: إعلمـوا أني وأنـا أخطـب رميت ببصري نحـو الناحية التـي خرج فيهـا إخوانكم إلى غزو الكافرين بنهاوند وعليهم سـعد بن أبي وقاص، ففتح الله لي الأسـتار والحجب، وقوى بصري حتى رأيتهم وقد اصطفوا بين يدي جبل هناك، وقد جاء بعض الكفار ليدوروا خلف سـارية وسائر من معه من المسـلمين فيحيطوا بهم فيقتلوهم، فقلت يا سارية الجبل ليلتجئ إليه فيمنعهم ذلك من أن يحيطوا به ثم يقاتلوا...

قال الباقر عليه السلام: فإذا كان هذا لعمر! فكيف لا يكون مثل هذا لعلي بن أبي طالب عليه السلام؟ ولكنهم قوم لا ينصفون بل يكابرون!

ثم عاد الباقر عليه السلام إلى حديثه عن علي عليه السلام قال: فكان الله تعالى يرفع البقاع التي عليها محمد صلى الله عليه وآله ويسير فيها لعلي بن أبي طالب عليه السلام حتى يشاهدهم على أحوالهم».

هذا، وسيأتي أن النبي صلى الله عليه وآله أمر في تلك الأيام في طريق عودته من تبوك أن يعمل له منبر، وبيَّن للمسلمين مقام علي والعترة الطاهرة عليهم السلام.

١٧- نهاهم النبي صلى الله عليه وآله عن الشرب قبله، فعصوْهُ فلعنهم

في معجم البلدان: ١٣٥/٥: «المشقَّق: قال ابن إسحاق في غزوة تبوك: وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَل، ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة، بواد يقال له المشقق، فقال رسول الله: من سبقنا إلى هذا الماء فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه، قال: فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه، فلما أتاه رسول الله وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا الماء؟ فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان، فقال: أَوَلم أنهم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيهم؟! ثم لعنهم رسول الله ودعا عليهم! ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده، ودعا رسول الله بما شاء أن يدعو به فانخرق من الماء كما يقول من سمعه أما إن له حساً كحس الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجتهم، فقال رسول الله: لئن بقيتم أو من بقي منكم لتسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه». وسيرة ابن هشام: ٩٥٤/٤ والطبري: ٣٧٣/٢.

وفي إمتاع الأسماع: ٧١/٢: «وأقبل قافلاً حتى كان بين تبوك وواد يقال له وادي الناقة وهو وادي المشقق... فسبق إليه أربعة من المنافقين: معتب بن قشير والحارث بن يزيد الطائي حليف بني عمرو بن عوف، ووديعة بن ثابت، وزيد بن اللصيت فقال: ألم أنهكم؟! ولعنهم ودعا عليهم ثم نزل». ونحوه قرب الإسناد للحميري/٣٢٧، الخرائج: ١٠٩/١ وجعله في طريق عودته صلى الله عليه وآله من الحديبية.

وفي الإمتاع: ١١٢/٥، **عن عامر بن واثلة**: «فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشئ من ماء، قال: فسألها رسول الله ﷺ هل لمستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم، فسبهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول»!

وفي صحيح مسلم: ١٢٣/٨: «وقد كان في حَرَّة فمشى فقال: إن الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد، فوجد قوماً قد سبقوه فلعنهم يومئذ»!

أقول: أراد النبي ﷺ بالنهي عن الشرب قبل وصوله أن يمتحن المؤمنين بالطاعة كما امتحنهم طالوت عليه السلام بعدم شرب الماء في قوله تعالى: فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ».

وقد أخفت الحكومات أسماء الذين لعنهم ﷺ، وكانوا اثنين في رواية، وقوماً في رواية، وأقواماً في رواية، ولا بد أنهم كانوا من كبارهم فأخفوهم!

وقد وقعت هذه الحادثة بعد محاولتهم قتل النبي ﷺ، فأخفوا أسماء الصحابة المجرمين ومنهم من أهل العقبة! وسموا غيرهم ممن لاوزن لهم.

قال السيد شرف الدين في كتابه أبو هريرة/٩٧: «وما كان للأمة أن تحتفظ بكرامة من لعنهم نبيها ﷺ لنفاقهم ونفاهم لإفسادهم، فتضيع على أنفسها المصلحة التي توخاها ﷺ لها في لعنهم وإقصائهم، وهم الذين دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله فيطرحوه، وكان إذ ذاك قافلاً من غزوة تبوك في حديث ثابت مستفيض وهو طويل، وقد جاء في آخر فلعنهم رسول الله ﷺ يومئذ.

والعجب من المسلم ينتصر لهم وقد جرعوا النبي ﷺ كل غصة، وقعدوا له في كل مرصد، ووثبوا عليه وعلى أهل بيته عليهم السلام من بعده كل وثبة! وما لعنهم إلا ليطردهم الله من رحمته ويجتنبهم المؤمنون من أمته، جزاء وفاقاً، لا ليقربهم إلى الله زلفى، كما يخرِّفون».

يقصد السيد شرف الدين بتخريفهم، أنهم جعلوا لعنة الملعون على لسان النبي ﷺ منقبة له! فروى مسلم في صحيحه: ٢٥/٨: «أن النبي ﷺ قال: اللهم إني

أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأيُّ المؤمنين آذيته أو شتمته أو لعنته أو جلدتـه، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربـه بها إليك يوم القيامة». فصار الملعون أحسن حظاً من غيره»!

١٨- نزول سورة التوبة في طريق العودة من تبوك

من المؤكد أن قسماً منها نزل في طريق العودة من تبوك، وروي أنها نزلت كلها: «روى البراء بن عازب قال: آخر سورة نزلت كاملة، براءة». التبيان: ٤٠٧/٣.

وسميت «براءة» لأن أولها: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وهي السورة الوحيدة التي لاتبدأ بالبسملة، لأنها غضب على المشركين والمنافقين.

قال الشافعي في الأم: ٢٠١/٤: «لما قوي أهل الإسلام أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ مرجعه من تبوك: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ، فأرسل بهذه الآيات مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقرأها على الناس في الموسم، وكان فرضاً أن لا يعطى لأحد مدة بعد هذه الآيات، إلا أربعة أشهر».

كما سميت الفاضحة لأنها فضحت المنافقين وخاصة محاولتهم قتل النبي ﷺ «قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال: تلك الفاضحة! ما زال ينزل: ومنهم.. ومنهم.. حتى خفنا ألا تدع أحداً»! معاني القرآن: ١٧٩/٣.

وفي تفسير القرطبي: ٦١/٨: «وفي السورة كشف أسرار المنافقين. وتسمى الفاضحة والبَحُوث لأنها تبحث عن أسرار المنافقين! وتسمى المبعثرة، والبعثرة: البحث».

وهي مئة وتسع وعشرون آية، وفيها بحوث عديدة، نكتفي ببعضها:

فقد بينت الآيات الأربع وعشرون الأولى، تحريم دخول المشركين إلى مكة بعد تلك السنة.

ثم تعرضت الآيات: ٢٥-٢٧ إلى معركة حنين وفرار المسلمين وثبات النبي ﷺ وبني هاشم ونصر الله تعالى لهم. ثم أكدت الآية: ٢٨ تحريم مكة على المشركين.

ثم بينت الآيات: ٢٩-٣٥، الموقف من اليهود والنصارى وبعض صفاتهم.

ثم بينت الآيتان: ٣٦-٣٧، تحريم القتال في الأشهر الحرم، وبطلان النسيء فيها.

أما بقية الآيات من آية: ٣٨، إلى ١٢٩، فعالجت مواضيع عن الجهاد، والمنافقين، وغزوة تبوك. ونشير منها إلى ست مسائل تتعلق بالسيرة:

الأولى: قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ. «التوبة: ٤٣» فقد استأذن بعض المؤمنين وبعض المنافقين من النبي صلى الله عليه وآله، مدعين أعذاراً، فقبل منهم وأذن لهم. «والمستأذنون ثمانون رجلاً من قبائل شتى». «تفسير القمي: ٢٩٣/١». وزعم مفسروا الحكومات أن إذن النبي صلى الله عليه وآله للمنافقين معصية لربه! وخففها بعضهم فجعلها ذنباً صغيراً! وأطلقوا العنان لخيالهم في ذنوب النبي صلى الله عليه وآله وأخطائه التي عاتبه الله عليها فعفا عن بعضها وعاقبه على بعضها مثل ذنبه في أسر قرشيين في بدر! الذي عاقبه الله عليه بجرحه وهزيمته في أحُد! وقد بحثنا ذلك في كتاب «ألف سؤال وإشكال: ٤٢٢/٢».

والمسألة الثانية: قوله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. التوبة: ١١٧.

فقد سموا جيش تبوك جيش العسرة وفسروها بالضائقة المالية، وجعلوا التوبة في الآية بسبب الإنفاق، وجعلوا المنفقين أبابكر وعمر وعثمان، وزادوا من حصة عثمان في الإنفاق وسهمه في التوبة عليه، وناقش ذلك صاحب الصحيح.

والمسألة الثالثة: قصة الذين تخلفوا عن تبوك في قوله تعالى: وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ التوبة: ١١٨. وستأتي.

والمسألة الرابعة: مسجد الضرار، وتقدم شئ من تفسير آياته عن الإمامين الحسن العسكري والكاظم عليهما السلام.

والمسألة الخامسة: الآيتان في مؤامرتهم لقتل النبي صلى الله عليه وآله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ. «التوبة: ٧٣-٧٤». وتقدم شئ في تفسيرهما، ونشير هنا إلى أن مرتكبي الجريمة هم الذين كانوا

فقراء وأغناهم الله تعالى ورسوله ﷺ من فضله، فهم قريبون من النبي ﷺ وقد شاركوه في حروبه لكن في الصف الخلفي، ووصلت اليهم الغنائم وعطايا النبي ﷺ، فأغناهم الله ورسوله من فضله!

والمسألة السادسة: قتال أهل الكتاب حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية، وهذا بحث فقهي وحقوقي مهم، لكنه خارج عن غرضنا هنا.

١٩- عودة النبي ﷺ إلى المدينة

اتفقت المصادر على أن النبي ﷺ خرج من المدينة إلى تبوك في رجب في يوم الخميس سنة تسع، وعند اليعقوبي في أول رجب، ورجع في شهر رمضان. ونصت رواية الإمام الكاظم عليه السلام على أنه واعد أمته ثمانين ليلة، فيكون رجوعه في نحو العشرين من شهر رمضان.

وقال اليعقوبي: ٦٧/٢: «واستخلف علياً على المدينة واستعمل الزبير على راية المهاجرين..وقدم رسول الله تبوك في شعبان فأتاه يُحَنَّة بن رؤبة أسقف أيلة فصالحه». **وفي مناقب آل أبي طالب**: ٢٧/١: «أنشد العباس في النبي ﷺ:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودعٍ حيث يخصف الورقُ

ثم هبطت البلاد لا بشرٌ أنت ... ولا مضغةٌ ولا علقُ

بل نطفةٌ تركب السفيروقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق

تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عام بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء نحلتها النطق

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق

فقال رسول الله ﷺ: لايفضض الله فاك».

وروي أنه لغيره، وروى الحاكم: ٣٢٦/٣ أن ذلك كان منصرف النبي ﷺ من تبوك.

ومن مكذوباتهم في رجوع النبي صلى الله عليه وآله من تبوك أنه لم يدخل بيت فاطمة عليها السلام على عادته، لأنها اشترت ستراً ملوناً وسوارين من فضة للحسن والحسين صلى الله عليه وآله!

ففي مسند أحمد: ٥/٢٧٥، عن ثوبان قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سافر آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة عليها السلام، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام فقدم من غزاة له فأتاها فإذا هو بمسح على بابها ورأى على الحسن والحسين قُلبين من فضة فرجع ولم يدخل عليها! فلما رأت ذلك فاطمة ظنت أنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين فقطعتهما فبكى الصبيَّان فقسمته بينهما، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهما يبكيان فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله منهما فقال: يا ثوبان إذهب بهذا إلى بني فلان أهل بيت بالمدينة، واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج، فإن هؤلاء أهل بيتي، ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا».

ورواه بلفظ آخر في فضائل سيدة النساء لعمر بن شاهين/١٥: «عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا خرج كان آخر عهده فاطمة عليها السلام وإذا رجع كان أول عهده فاطمة عليها السلام، فلما رجع من غزوة تبوك وقد اشترت مقينعة وصبغتها بزعفران وعلقت على بابها ستراً، وألقت في بيتها بساطاً، فلما رأى ذلك النبي صلى الله عليه وآله رجع فأتى المنزل فقعد فيه، فأرسلت إلى بلال فقالت: إذهب فانظره ما رده عن بابي؟ فأتاه فأخبره فقال: إني رأيتها صنعت كذا وكذا! فأتاها فأخبرها فهتكت الستر وكل شئ أحدثته وألقت ما عليها ولبست أطمارها فأخبره، فجاء حتى دخل عليها فقال: كذا كوني فداك أبي وأمي». ورواه أبو داود: ٢/٢٩١، البيهقي: ١/٢٦، ابن حبان: ٢/٤٧٠، حماد بن زيد في تركة النبي صلى الله عليه وآله/٥٦ وأخذته بعض مصادرنا كذخائر العقبى/٥١، البحار: ٤٣/٨٩ وكشف الغمة: ٢/٧٩، ظناً أنه فضيلة.

وسبب تكذيبنا لهذا الحديث: أن أهل البيت عليهم السلام لم يرووه، وأن ما نسبه إلى الزهراء عليها السلام ليس حراماً ولا خلاف الأولى. وما نسبه اليها من أنها انتزعت السوارين بعنف حتى قطعتهما، مما أبكى الحسن والحسين صلى الله عليه وآله! ثم استكثاره على فاطمة عليها السلام أن يكون لها ستر لباب دارها، وسواران من فضة لولديها، وقوله عن ذلك: «**ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا**»!

هو من نوع التبرير لما فعلته السلطة من مصادرة فدك وكل أموالهم، لتجويعهم وإخضاعهم، فبرروا ذلك بأن أهل البيت عليهم السلام نصيبهم في الآخرة فقط!

وكأن القصة كانت مع إحدى زوجاته فجعلوها للزهراء عليها السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف النبي صلى الله عليه وآله «نهج البلاغة/ ٨٨ ح: ٥٨٠»: «ويكون السِّتر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول: يا فلانة لإحدى أزواجه غيّبيه عني، فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها».

وينبغي الإلتفات إلى أن حسد قريش تصاعد ضد علي والعترة عليهم السلام في تلك الفترة، فهم يريدون أن يقولوا إن النبي صلى الله عليه وآله غيَّرَ عادته عند عودته من تبوك وذهب إلى المسجد ولم يذهب إلى بيت فاطمة عليها السلام، لأنها أرادت زينة الدنيا!

٢٠- المتخلفون الثلاثة الذين تاب الله عليهم

قال الله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. سورة التوبة: ١١٧-١١٨.

في تفسير القمي: ١/٢٩٦: «وقد كان تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوم من المنافقين وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق، منهم كعب بن مالك الشاعر، ومرادة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي، فلما تاب الله عليهم قال كعب: ما كنت قط أقوى مني في ذلك الوقت الذي خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تبوك، وما اجتمعت لي راحلتان قط إلا في ذلك اليوم، وكنت أقول أخرج غداً أخرج بعد غد! فإني قوي وتوانيت، وبقيت بعد خروج النبي صلى الله عليه وآله أياماً أدخل السوق فلا أقضي حاجة! فلقيت هلال بن أمية ومرادة بن الربيع، وقد كانا تخلفا أيضاً، فتوافقنا أن نبكر إلى السوق ولم نقض حاجة، فما زلنا نقول نخرج غداً وبعد غد، حتى بلغنا إقبال رسول الله صلى الله عليه وآله فندمنا!

فلما وافى رسول الله ﷺ استقبلناه نهنؤه بالسلامة فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام وأعرض عنا، وسلمنا على إخواننا فلم يردوا علينا السلام! فبلغ ذلك أهلونا فقطعوا كلامنا! وكنا نحضر المسجد فلا يسلم علينا أحد، ولا يكلمنا! فلما رأى كعب بن مالك وصاحباه ما قد حل بهم قالوا: ما يقعدنا بالمدينة ولا يكلمنا رسول الله ﷺ ولا إخواننا ولا أهلونا! فهلموا نخرج إلى هذا الجبل فلا نزال فيه حتى يتوب الله علينا أو نموت! فخرجوا إلى ذناب جبل بالمدينة فكانوا يصومون وكان أهلوهم يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية ثم يولون عنهم فلا يكلمونهم، فبقوا على هذا أياماً كثيرة يبكون بالليل والنهار ويدعون الله أن يغفر لهم. فلما طال عليهم الأمر قال لهم كعب: يا قوم قد سخط الله علينا ورسوله، قد سخط علينا وأهلونا وإخواننا قد سخطوا علينا، فلا يكلمنا أحد، فلم لا يسخط بعضنا على بعض؟! فتفرقوا في الليل وحلفوا أن لا يكلم أحد منهم صاحبه حتى يموت أو يتوب الله عليه، فبقوا على هذه ثلاثة أيام، كل واحد منهم في ناحية من الجبل لا يرى أحد منهم صاحبه ولا يكلمه! فلما كان في الليلة الثالثة ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة نزلت توبتهم على رسول الله ﷺ، وقوله تعالى: لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ». وابن هشام: ٩٥٧/٤.

أقول: استثنى النبي ﷺ الذين تخلفوا عن تبوك لعذر فقال، **كما في الغارات للثقفي:** ٢٣٠/١، وغيره: «لقد كان بالمدينة أقوام ما سرتم من مسير، ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم! ما حبسهم إلا المرض. يقول: كانت لهم نية».

وكان كبير المتخلفين كعب بن مالك الشاعر الأنصاري، وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام قراءة تفسيرية: لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين. **الإحتجاج:** ٩٨/١.

٢١- النبي ﷺ يرد على حُسَّاد علي عليه السلام في طريق تبوك

بعد معركة بدر خاصة، ظهر حسدهم لعلي عليه السلام لأن إسمه سطع في المعارك بطلاً وعضداً للنبي ﷺ، ووزيراً مقرباً منه. وصار حسدهم له بغضاً، ثم صار اتجاهاً، ثم صار حزباً، ثم صار ديناً!

قال بريدة: «لم أجد من الناس أبغض عليَّ من علي بن أبي طالب، حتى أحببت رجلاً من قريش ولا أحبه إلا على بغض علي»!خصائص علي عليه السلام للنسائي/١٠٢.

ثم زاد بغضهم لهعليه السلام حتى تركوا من أجله السنة! قال ابن عباس: «اللهم العنهم فقد تركوا السنة من بغض علي».سنن البيهقي: ١١٣/٥.

ثم زاد بغضهم لعليعليه السلام حتى بنوا مساجد خاصة بسببه! «بنى عبيدالله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة تقوم على بغض علي بن أبي طالب والوقيعة فيه: مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد كان في العلافين على فرضة البصرة، ومسجد في الأزد»!شرح النهج: ٩٤/٤.

وكان النبيصلى الله عليه وآله يعلم نشاط المبغضين لعليعليه السلام، وقد اتخذ موقفاً حاسماً لوقف هذا الإنحراف فقال: «لايبغض علياً مؤمن ولايحبه منافق».ابن شيبة: ٥٠٣/٧.

وتقدم أن النبيصلى الله عليه وآله واجه المنافقين الذين تكلموا على عليعليه السلام عندما استخلفه على المدينة، وأرادوا أن تخلو المدينة منهما، فأعلن أن الله جعله منه بمنزلة هارون من موسىعليهما السلام! وفي طريق عودة النبيصلى الله عليه وآله من تبوك وبعد فشل مؤامرتهم لقتله وفشل مؤامرتهم لقتل علي في المدينة، بلغ النبيصلى الله عليه وآله أن جماعة يتكلمون على علي والعترةعليهم السلام، فأمر أن يعملوا له منبراً كمنبر غدير خم، وخطب في المسلمين وأبلغ رسالة ربه، وأتم عليهم الحجة!

قال أنس بن مالك: «رجعنا مع رسول اللهصلى الله عليه وآله قافلين من تبوك، فقال لي في بعض الطريق: ألقوا لي الأحلاس والأقتاب، ففعلوا فصعد رسول اللهصلى الله عليه وآله فخطب فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: معاشر الناس، مالي إذا ذكر آل إبراهيم تهللت وجوهكم، وإذا ذكر آل محمدصلى الله عليه وآله كأنما يفقأ في وجوهكم حب الرمان! فوالذي بعثني بالحق نبياً لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية علي بن أبي طالب، لأكبه الله في النار»!أمالي الطوسي/٣٠٨.

وفي نوادر المعجزات لمحمد بن جرير الطبري الشيعي/٩٨: «روى عبدالله بن مسعود عن النبيصلى الله عليه وآله قال: كنا في غزاة تبوك ونحن نسير معه فقال: يا بن مسعود

إن الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة من علي ففعلت. وقال لي جبرئيل: إن الله عز وجل قد بنى جنة من قصب اللؤلؤ، بين كل قصة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوتة مشذرة بالذهب، وجعل سقوفها زبرجداً أخضر، فيها طاقات من اللؤلؤ مكللة بالياقوت، وجعل عليها غرفاً، لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من در، ولبنة من ياقوت ولبنة من زبرجد، وقباباً من در قد شعبت بسلاسل الذهب، وحفت بأنواع الشجر، وبنى في كل قصر قبة، وجعل في كل قبة أريكة من درة بيضاء، فرشها السندس والإستبرق، وفرش أرضها بالزعفران والمسك والعنبر، وجعل في كل قبة مائة باب، وفي كل باب جاريتان وشجرتان، وفي كل قبة فرش وكتاب مكتوب حول القبة آية الكرسي. فقلت: يا جبرئيل لمن بنى الله عز وجل هذه الجنة؟ فقال: هذه جنة بناها الله تعالى لعلي بن أبي طالب وفاطمة ابنتك عليهما السلام، تحفة أتحفها الله بها وأقربها عينيك يا محمد». ودلائل الإمامة/١٤٢.

وعندما رجع النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة رأى أن المنافقين ما زالوا ناشطين في معاداة علي عليه السلام فغضب وأوضح لهم مقامه عند الله تعالى، وأتم الحجة عليهم:

ففي الروضة في فضائل أمير المؤمنين/١٦٩ والمسترشد/٦١٥، قال: «مر عليٌّ بنفر من قريش في المسجد فتغامزوا، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وشكا له، فخرج وهو مغضب فقال: أيها الناس مالكم إذا ذكرت إبراهيم وآل إبراهيم أشرقت وجوهكم، وإذا ذكر محمد وآل محمد قست قلوبكم وعبست وجوهكم؟! والذي نفسي بيده لو عمل أحدكم عمل سبعين نبياً، لم يدخل عليَّ حتى يحب هذا أخي علياً وولده! والذي نفسي بيده لو أن أحدهم وافى بعمل سبعين نبياً، ما قبل الله منه حتى يوافي بولايتي وولاية أهل بيتي».

٢٢- متفرقات من تبوك

١. تقدم ذكر عدد من معجزات النبي صلى الله عليه وآله في تبوك، وهي كثيرة، وأولها أنه أخبر بأن الغزوة ستكون ثمانين يوماً، وأخبر بما يقع له فيها، وبتفصيل معاهدته مع الأكيدر، فوقعت الأحداث كما أخبر.

ومن معجزاته صلى الله عليه وآله: إرواء جيش المسلمين بالماء وهو نحو ثلاثين ألفاً، بدعائه بالمطر

حيناً، وبإنباع الماء حيناً، وتكثير الماء القليل حتى يكفيهم.

وقد حدث ذلك بضع مرات، ومنها نبع تبوك ونبع وادي المشقق الذي ما زال جارياً، كما تقدم. الخرائج: ٢٨/١، مجمع البيان: ١٣٨/٥ والحاكم: ١٥٩/١.

ومنها: معجزته في الإخبار عن أبي ذر وإحضاره، كما تقدم.

ومنها: معجزته في كشف المؤامرة لقتله صلى الله عليه وآله.

و منها إخبارهم بما حدث لعلي عليه السلام من محاولة الاغتيال

ومنها: مباركته الظهر الذي أجهده الطريق والحر، فنشط. مجمع الزوائد: ١٩٣/٦.

ومنها: «أنه ضلت ناقته القصوى فقال عمارة بن حزم: يخبرنا محمد بخبر السماء ولا يدري أين ناقته! فقال صلى الله عليه وآله: إني لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد أخبرني الآن أنها بشعب كذا وزمامها ملتف بشجرة. فكان كما قال صلى الله عليه وآله»! الخرائج: ١٢١/١.

٢. كان صلى الله عليه وآله يجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويصلي النافلة على راحلته، ففي قرب الإسناد للحميري/١٦، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تبوك، وكان يصلي على راحلته صلاة الليل حيثما توجهت به ويومئ إيماء».

٣. أجرى مسابقة لخيل، ومسابقة للإبل، ففي قرب الإسناد/ ١٣٤، عن علي عليه السلام: «أن النبي صلى الله عليه وآله أجرى الخيل وجعل فيها سبع أواق من فضة، وأن النبي صلى الله عليه وآله أجرى الإبل مقبلة من تبوك فسبقت العضباء وعليها أسامة، فجعل الناس يقولون: سبق رسول الله صلى الله عليه وآله، ورسول الله يقول: سبق أسامة».

«أهدى عُبيد للنبي صلى الله عليه وآله فرساً عتيقاً يقال له مراوح، وقال: يا رسول الله سابق! فأجرى رسول الله صلى الله عليه وآله الخيل بتبوك فسبق الفرس، فأخذه رسول الله منه، فسأله المقداد بن عمرو الفرس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أين سبحة؟ فرس للمقداد قد شهد عليها بدراً. قال: يا رسول الله عندي وقد كبرت، وأنا أضن بها للمواطن التي شهدت عليها، وقد خلفتها لبعد هذا السفر وشدة الحر عليها، فأردت

أحمل هذا الفرس المعرق عليها فتأتيني بمهر. قال النبي ﷺ: فذاك إذاً! فقبضه المقداد فخبر منه صدقاً، ثم حمله على سبحة فنتجت له مهراً كان سابقاً يقال له الذيال سبق في عهد عمر وعثمان فابتاعه منه عثمان بثلاثين ألفاً». الواقدي/٦١٧.

٤ - أرسل النبي ﷺ قبل أن يصل إلى المدينة رجلين ليهدما مسجد الضرار فهدماه،

قال الله تعالى: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لاتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ. أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لايَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. سورة التوبة: ١٠٧-١١٠.

ففي التبيان: ٢٩٧/٥ و ٥٩٨: «قيل إنهم كانوا خمسة عشر رجلاً منهم عبدالله بن نفيل... وجه رسول الله ﷺ قبل قدومه من تبوك عاصم بن عون العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عوف، فقال لهما: إنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم احرقاه، فخرجا يشتدان سريعين على أقدامها ففعلا ما أمرهما به، فثبت قوم من جملتهم زيد بن حارثة بن عامر حتى احترقت البتة».

وفي تفسير القمي: ٣٠٥/١: «فجاء مالك فقال لعامر: إنتظرني حتى أخرج ناراً من منزلي فدخل فجاء بنار وأشعل في سعف النخل ثم أشعله في المسجد فتفرقوا وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البلية، ثم أمر بهدم حايطه».

وفي فقه القرآن للقطب الراوندي: ١٥٩/١: «وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ: هو أبو عامر الراهب لحق بقيصر متنصراً، وكان يبعث إليهم: سآتيكم بجند فأخرج محمداً، فبنوه يترقبونه! وهو الذي حزب الأحزاب مع المشركين. فلما فتحت مكة هرب إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الروم. وابنه عبدالله أسلم وقتل يوم أحد وهو غسيل الملائكة. ووجه رسول الله ﷺ عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم، وكان مالك من بني عوف الذين بنوا مسجد الضرار،

فقال لهما: إنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم احرقاه، ففعلا ما أمر به». وفي سيرة ابن هشام: ٩٥٦/٤، أنه بعثهما من أوان، وهي قبل المدينة بساعة من نهار.

٢٣- تذكير ببعض مكذوبات الحكومات عن تبوك

كتب صاحب الصحيح من السيرة في غزوة تبوك أكثر من خمس مئة صفحة، وفنَّد أكثر مكذوبات رواة السلطة فيها! وتبدأ مكذوباتهم في أسباب الغزوة، إلى ادعاء إنفاق عثمان وأبي بكر على جيش العسرة، إلى تنقيصهم من أهمية حديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلى زعمهم أن النبي ﷺ أرسل بدل الزبير خالداً إلى الأكيدر، إلى ادعائهم فضائل لعمر وأن النبي ﷺ كان يخطئ وكان عمر يصيب مثل أن النبي ﷺ أمرهم أن يذبحوا جمالهم فنهاه عمر!

ومنها مكذوباتهم في التغطية على أسماء المتآمرين لقتل النبي ﷺ ليلة العقبة.. الخ.

٢٤- بعد تبوك مات ابن سلول كبير المنافقين المدنيين

بعد رجوع النبي ﷺ من تبوك، وقيل بعد رجوعه من فتح مكة، مات عبدالله بن أُبيّ بن سلول رئيس المنافقين المدنيين. ففي تفسير القمي: ٣٠٢/١: «وكان ابنه عبدالله بن عبدالله مؤمناً، فجاء إلى رسول الله ﷺ وأبوه يجود بنفسه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إنك إن لم تأت أبي كان ذلك عاراً علينا! فدخل إليه رسول الله والمنافقون عنده، فقال ابنه عبدالله بن عبدالله: يا رسول الله إستغفر له فاستغفر له فقال عمر: ألم ينهك الله يا رسول الله أن تصلي عليهم أو تستغفر لهم! فأعرض عنه رسول الله، فأعاد عليه فقال له: ويلك إني خُيِّرْتُ فاخترت! إن الله يقول: إِسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاتَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ».

فلما مات عبدالله جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن رأيت أن تحضر جنازته، فحضره رسول الله ﷺ وقام على قبره، فقال له الثاني: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تصلي على أحد منهم مات أبداً، وأن تقوم على قبره؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويلك وهل تدري ما قلت؟ إنما قلت: اللهم احش قبره

ناراً وجوفه ناراً وأصله النار، فبدا من رسول الله ﷺ ما لم يكن يحب»! وسبب خطأ عمر وتصوره أن النبي ﷺ أخطأ، أنه تخيل أن قبوله حضور جنازة ابن سلول وصلاته عليه، يعني الإستغفار له، مع أن لا ملازمة بينهما، فقد زاره وصلى على جنازته ولم يستغفر له! فقد قال أهل البيت عليهم السلام إن الصلاة المنهي عنها في قوله تعالى: وَلاتُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلاتَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ.. هي الدعاء والإستغفار، أما الصلاة عليهم بدون استغفار فليس منهياً عنها. الكافي: ١٨٨/٣.

ومعناه أن النبي ﷺ كان يستعمل التقية مع أتباع ابن سلول ليجذبهم إلى الإسلام، ولكن فضول عمر أجبره على إظهار أنه دعا عليه لا له!

وفي الإستبصار: ٤٧٦/١: «عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام جالساً فدخل رجل فسأله عن التكبير على الجنائز، فقال: خمس تكبيرات، ثم دخل آخر فسأله عن الصلاة على الجنائز؟ فقال: له أربع صلوات، فقال الأول: جعلت فداك سألتك فقلت خمساً، وسألك هذا فقلت أربعاً، فقال: إنك سألتني عن التكبير وسألني هذا عن الصلاة، ثم قال: إنها خمس تكبيرات بينهن أربع صلوات ثم بسط كفه فقال: إنهن خمس تكبيرات، بينهن أربع صلوات».

فقد عبَّر الإمام الأدعية التي بين التكبيرات بالصلوات ليبين أن تحريم الصلاة على المنافق يخص الدعاء له، الذي يقع بعد التكبيرة الرابعة، فالصلاة هنا بمعناها اللغوي وليس الإصطلاحي. **والحدائق**: ٤١٧/١٠ **والجواهر** ٣٥٩/١٧.

وقد بيَّنا مكذوباتهم وطعنهم بالنبي ﷺ بأنه أخطأ وأصاب عمر! في كتاب ألف سؤال وإشكال: ٣٢٩/٢.

٢٥- وفد ثقيف بعد تبوك

في إعلام الورى: ٢٣٣/١: «سار رسول الله ﷺ إلى الطائف في شوال سنة ثمان فحاصرهم بضعة عشر يوماً، وخرج نافع بن غيلان بن معتب في خيل من ثقيف فلقيه علي عليه السلام في خيله، فالتقوا ببطن وج فقتله علي عليه السلام وانهزم المشركون.

ونزل من حصن الطائف إلى رسول الله ﷺ جماعة من أرقائهم، منهم أبو بكَرَة وكان عبداً للحارث بن كلدة المنبعث، وكان اسمه المضطجع فسماه رسول الله المنبعث ووردان وكان عبداً لعبدالله بن ربيعة، فأسلموا.

فلما قدم وفد الطائف على رسول الله ﷺ فأسلموا قالوا: يا رسول الله رد علينا رقيقنا الذين أتوك، فقال: لا، أولئك عتقاء الله.

وفي إعلام الورى: ٢٤٩/١: «ثم قدم على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي مسلماً، واستأذن رسول الله ﷺ في الرجوع إلى قومه فقال: إني أخاف أن يقتلوك فقال: إن وجدوني نائماً ما أيقظوني! فأذن له رسول الله ﷺ فرجع إلى الطائف ودعاهم إلى الإسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه الأذى، حتى إذا طلع الفجر نام في غرفة من داره فأذن وتشهد، فرماه رجل بسهم فقتله!

وأقبل بعد قتله وفد ثقيف بضعة عشر رجلاً هم أشراف ثقيف فأسلموا فأكرمهم رسول الله ﷺ وحباهم، وأمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص بن بشر، وقد كان تعلم سوراً من القرآن. قال: قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بين صلاتي وقراءتي. قال: ذاك شيطان يقال له: خنزب، فإذا خشيت فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً. قال: ففعلت فأذهب الله عني».

وقال الشيخ الأحمدي في مكاتيب الرسول ﷺ: ٧٠/٣ **ملخصاً**: «خلال تلك المدة رأت ثقيف ممن حولها من الأعراب ما يسوؤها في الأموال والأنفس، إذ أسلم من حولهم وكانوا يستحلون أموال ثقيف لأنهم كفار، فكانوا يسلبون أموالهم ويرعون زروعهم ولا يؤدون دَيْنهم، فاضطرت ثقيف للدخول في الإسلام، وقال بعضهم لبعض: أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع! فأتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما أرسلوا عروة، فكلموا في ذلك عبد ياليل بن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود فأبى لأنه خشي أن يفعل به كما فعل بعروة، فكلموا شرحبيل بن غيلان وغيره من أشراف ثقيف فوفدوا في تسعة عشر رجلاً أو أقل، فلما وصلوا إلى المدينة

لقوا رسول الله ﷺ فحيوه بتحية الجاهلية: أنعم صباحاً، فضربت لهم قبة في المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا، فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب الكتاب بيده.» «راجع الطبقات: ٩٦/٤» «فشرطوا أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى عليهم ذلك، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يرسل أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها.

وفيما شرطوا لأنفسهم أن يعفيهم عن الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم فقال ﷺ: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم عنه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه! فقالوا: يا محمد فسنؤتيكها وإن كانت دناءة! وسألوا أن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر، فأبى عليهم ذلك كله».

أقول: وصفوا الصلاة بأنها دناءة لأن فيها سجوداً! وكان عوام عرب الجزيرة يرون السجود كأنه انحناء لمن يفعل به الفاحشة، فكان الذي يُدعى إلى الإسلام يقول: لا أريد أن تعلوني إستي! وقد أشاعت قريش هذه السخرية لتنفير الناس من الإسلام، وافتروا على أبي طالب عليه السلام أنه قالها!

٢٦- خضوع العرب للنبي ﷺ بعد فتح مكة وتبوك

وذكر ابن إسحاق أن العرب كانت تتربص بالإسلام قريشاً ثم ثقيفاً فلما رأت أنهما أسلما وخضعا للنبي ﷺ توافدت قبائل العرب من أقصى الجزيرة إلى أقصاها إلى المدينة، لإعلان إسلامها ومبايعة النبي ﷺ.

قال الطبرسي في إعلام الورى: ٢٥٠/١: «فلما أسلمت ثقيف ضربت إلى رسول الله ﷺ وفود العرب، فدخلوا في دين الله أفواجاً».

وقال المحامي أحمد حسين يعقوب في كتابه المواجهة مع رسول الله ﷺ: ٣١٠/ «سقطت عاصمة الشرك رسمياً، وتلقت عقيدة الشرك ضربة قصمت ظهرها تماماً وهدمت أركانها.. لقد احترقت راية الشرك والمعارضة التي كانت تلجأ إليها العرب، فإذا سلَّم

قادة البطون وأسلموا، وأعطوا القيادة لمحمد وهم ألد أعدائه، فما هي مصلحة الآخرين بمعارضة محمدﷺ! ومن الذي يقف بوجه محمد الذي قضى على الحركة اليهودية بكل قوتها ومكرها، ودوَّخَ القبائل العربية وأذهب ريحها مع كثرتها، ثم ركَّع قادة بطون قريش بكل فخرها وشرفها.

لقد كان فتح مكة إعلاناً وبخط عريض بأن محمداً سيد الجزيرة بغير منازع، والمالك الحقيقي لخيراتها، والمخول بتوزيع الأدوار كلها على سكانها، وأن الدين الذي جاء به محمد هو الدين الرسمي للسكان، فمن لم يوالِ محمداً أو يتظاهر بموالاته، ومن لم يعتنق دين محمد أو يتظاهر باعتناقه، فقد أسقط ضمنياً حقه بالرزق والملك والجاه والنفوذ وبالمستقبل له، ورضي أن يعيش خائفاً في مجتمع موعود بالأمن والإستقرار.

وبفتح مكة وباستسلام هوازن والطائف سقطت آخر حصون المقاومة للنبوة والدين، وأخذت قبائل العرب تتوافد على النبيﷺ لتعلن قبولها بولايته واعتناقها لدينه، حتى سمي عام الفتح بعام الوفود.

كان محمدٌ يبحث عن الناس والناس الآن يبحثون عن محمد! كان محمد يركض خلفهم وصار العرب يركضون لمحمد! وأخذ جباته يتحركون بين القبائل ويجبون الأموال، ليوزعها محمد على الوجه الشرعي.

وباختصار فإنك لاتجد إلا مسلماً أو متظاهراً بالإسلام، وموالياً للنبيﷺ أو متظاهراً بالولاء! لقد أصبحت الجزيرة دولة إسلامية واحدة قامت لأول مرة في التاريخ، وحَّدها النبيﷺ خلال مدة لاتتجاوز العشر سنين، ونالت شرف رئاسة النبي لهذه الدولة، فأعظم مظاهر وحدتها كانت رئاسة النبي المباركة فقد والته كل العرب أو تظاهرت بموالاته بدون إكراه، ودخلت في دينه أو تظاهرت بالدخول في دينه، وبدون إكراه أيضاً.

لقد أصبح محمد نظام وحدة العرب ونظام وحدة الدولة ونظام وحدة القانون. لقد اختلط محمد بالدين واختلط الدين بمحمد، فهما وجهان لعملة واحدة، فلو

قمت بكل واجباتك الدينية من صلاة وصيام وحج وقراءة قرآن وصدقة وقيام ليل ولكنك لا توالي محمداً صلى الله عليه وآله، فأنت كافر بلا خلاف.. لقد صار الرئيس بمثابة خيط سبحة إذا قطع الخيط تبعثرت حبات السبحة».

ثم أكدت غزوة تبوك للعرب أن محمداً صلى الله عليه وآله صار قوة تهابه الروم فها هو يقصدهم في تبوك بثلاثين ألفاً، فينسحب هرقل خوفاً من مواجهته ويرسل اليه بأنه مؤمن به، لكن بطارقته لايقبلون!

٢٧- بعث النبي صلى الله عليه وآله أبابكر بسورة براءة ثم سحبها منه

في **تفسير القمي**: ٢٨١/١: «بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. **عن الصادق** عليه السلام **قال**: نزلت هذه الآية بعد ما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك في سنة تسع من الهجرة، قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة لم يمنع المشركين الحج في تلك السنة، وكان سنة في العرب في الحج أنه من دخل مكة وطاف بالبيت في ثيابه لم يحل له إمساكها وكانوا يتصدقون بها ولا يلبسونها بعد الطواف، وكان من وافى مكة يستعير ثوباً ويطوف فيه ثم يرده، ومن لم يجد عارية اكترى ثياباً ومن لم يجد عارية ولا كراءً ولم يكن له إلا ثوب واحد طاف بالبيت عرياناً! فجاءت امرأة من العرب وسيمة جميلة فطلبت ثوباً عارية أو كراءً فلم تجده، فقالوا لها إن طفت في ثيابك احتجت أن تتصدقي بها! فقالت وكيف أتصدق بها وليس لي غيرها؟ فطافت بالبيت عريانة! وأشرف عليها الناس..فلما فرغت من الطواف خطبها جماعة فقالت إن لي زوجاً!

وكانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله قبل نزول سورة البراءة أن لا يقاتل إلا من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه وأراده، وقد كان نزل عليه في ذلك من الله عز وجل: فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً. فكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقاتل أحداً قد تنحى عنه واعتزله حتى نزلت عليه سورة البراءة، وأمره الله بقتل المشتركين من اعتزله ومن لم يعتزله، إلا الذين قد كان عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة إلى مدة، منهم صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، فقال الله عز وجل: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ

إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الأرض أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، ثم يقتلون حيثما وجدوا.

فهذه أشهر السياحة: عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرة من شهر ربيع الآخر، فلما نزلت الآيات من أول براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر وأمره أن يخرج إلى مكة ويقرأها على الناس بمنى يوم النحر، فلما خرج أبو بكر نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجل منك، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه فلحقه بالروحاء فأخذ منه الآيات، فرجع أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أأنزل الله فيَّ شيء؟ قال لا، إن الله أمرني أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني...

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن أبلغ عن الله أن لا يطوف بالبيت عريان، ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد هذا العام، وأقرأ عليهم: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فَسِيحُوا فِي الأرض أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، فأحل الله للمشركين الذين حجوا تلك السنة أربعة أشهر، حتى يرجعوا إلى مأمنهم، ثم يقتلون حيث وجدوا»!

وفي الإرشاد: ٦٥/١: «فركب أمير المؤمنين ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء وسار حتى لحق أبابكر، فلما رآه فزع من لحوقه به واستقبله وقال: فيم جئت يا أبا الحسن أسائر معي أنت أم لغير ذلك؟ فقال له أمير المؤمنين: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أن أخيرك بين أن تسير معي أو ترجع إليه. فقال: بل أرجع إليه.

وعاد إلى النبي صلى الله عليه وآله فلما دخل عليه قال يا رسول الله إنك أهلتني لأمر طالت الأعناق فيه إليَّ، فلما توجهت له رددتني عنه، ما لي أنزل في قرآن؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا، ولكن الأمين هبط إليَّ عن الله جل جلاله بأنه لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، وعلي مني».

وفي الخصال/٣٦٩: قال علي عليه السلام «فأتيت مكة وأهلها من قد عرفتم ليس منهم أحد إلا ولو قدر أن يضع على كل جبل مني إرباً لفعل، ولو أن يبذل في ذلك

نفسه وأهله وولده وماله، فبلغتهم رسالة النبي صلى الله عليه وآله وقرأت عليهم كتابه، فكلهم يلقاني بالتهدد والوعيد ويبدي لي البغضاء ويظهر الشحناء، من رجالهم ونسائهم فكان مني في ذلك ما قد رأيتم».

وفي تفسير العياشي: ٧٤/٢، **عن الإمام الصادق** عليه السلام **قال**: «فوافى الموسم فبلغ عن الله وعن رسوله بعرفة والمزدلفة ويوم النحر عند الجمار وفي أيام التشريق كلها، ينادي: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ... لا يطوفن بالبيت عريان.. الخ. خطب علي بالناس واخترط سيفه وقال: لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحجن بالبيت مشرك ولا مشركة..».

وفي الإقبال: ٣٩/٢: «وصعد على الجبل المشرف المعروف بالشعب، فأذن ثلاث مرات: ألا تسمعون يا أيها الناس أني رسول رسول الله إليكم ثم قال: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.. تسع آيات من أولها، ثم لمع بسيفه فأسمع الناس وكررها، فقال الناس: من هذا الذي ينادي في الناس؟ فقالوا: علي بن أبي طالب، وقال من عرفه من الناس: هذا ابن عم محمد، وما كان ليجترئ على هذا غير عشيرة محمد. فأقام أيام التشريق ثلاثة ينادي بذلك، ويقرأ على الناس غدوةً وعشية، فناداه الناس من المشركين: أبلغ ابن عمك أن ليس له عندنا إلا ضرباً بالسيف وطعناً بالرماح»!

وفي المناقب: ٣٩٢/١ **والإقبال**: ٤١/٢: **عن الإمام الباقر** عليه السلام **أنه عندما تلا عليهم**: بَرَاءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. «قام خداش وسعيد أخوا عمرو بن ود فقال: وما يسرُّنا على أربعة أشهر، بل برئنا منك ومن ابن عمك، فليس بيننا وبين ابن عمك إلا السيف والرمح وإن شئت بدأنا بك! فقال علي عليه السلام: أجل أجل إن شئت هلموا! ثم قال: وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ».

أقول: غضب جماعة أبي بكر من أن النبي صلى الله عليه وآله سحب منه سورة براءة، فقالوا إنه بعثه أميراً على الحج وذهب علي بالسورة معه! فقد روى ابن كثير في سيرته: ٧٢/٤، **عن أحمد بن حنبل**: «لما أردف أبابكر بعلي فأخذ منه الكتاب بالجحفة رجع أبو بكر فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا ولكن جبريل جاءني فقال لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك. وهذا ضعيف الإسناد ومتنه فيه نكارة والله أعلم».

وعدَّ صاحب الغديررحمه الله: ٣٣٨/٦ أكثر من ستين من علمائهم، أوردوا الحديث ولم يطعنوا فيه كما فعل ابن كثير! وينبغي التذكير بأن المشركين حجوا في السنة الثامنة وحدهم وحج بالمسلمين أمير مكة من قبل النبي صلى الله عليه وآله عتاب بن أسيد، وفي السنة التاسعة لم يُرو أي توثيق لحج أبي بكر بالمسلمين، ولكنهم جعلوه أميراً على الحج وعلى علي عليه السلام! ومن الطبيعي عندما ذهب علي عليه السلام أن يكون أميراً للحج، لأن النبي صلى الله عليه وآله لم يؤمِّر عليه أحداً أبداً، بينما أمَّر على أبي بكر وعمر، عمرو بن العاص.

ويظهر أن كذبتهم ظهرت في زمن الإمام الباقر عليه السلام فقال: «إنكم لتجعلون لآل أبي بكر شيئاً ما كان! تقولون: إن أبابكر أمَّ الناس عام براءة وما أمَّهم إلا علي».

مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان: ٤٧٤/١.

هذا، وقد روينا بسند صحيح «أمالي الطوسي/٣٤٣»: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لما أسري بي إلى السماء، ثم من سماء إلى سماء ثم إلى سدرة المنتهى، أوقفت بين يدي ربي عز وجل فقال لي: يا محمد. فقلت: لبيك ربي وسعديك. قال: قد بلوتَ خلقي فأيهم وجدت أطوع لك؟ قال قلت: رب علياً. قال: صدقت يا محمد فهل اتخذت لنفسك خليفة يؤدي عنك ويعلم عبادي من كتابي ما لا يعلمون؟ قال قلت: إختر لي فإن خيرتك خير لي. قال: قد اخترت لك علياً فاتخذه لنفسك خليفةً ووصياً فإني قد نحلته علمي وحلمي وهو أمير المؤمنين حقاً، لم يقلها أحد قبله ولا أحد بعده. يا محمد علي راية الهدى وإمام من أطاعني ونور أوليائي، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين. من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني، فبشره بذلك يا محمد».

وكشف اليقين/٢٧٨، عن مناقب الخوارزمي.

الفصل الثامن والستون

السنة التاسعة للهجرة: عام الوفود

١- وفادة قبائل العرب الى رسول الله ﷺ

قال اليعقوبي:٢/٧٩: «وقدمت عليه وفود العرب ولكل قبيلة رئيس يتقدمهم. فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعى بن عبد نهم، وأشجع ورئيسهم عبدالله بن مالك، وأسلم ورئيسهم بريدة، وسليم ورئيسهم وقاص بن قهامة، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثامة، وفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن، وبنو بكر ورئيسهم عدي بن شراحيل، وطئ ورئيسهم عدي بن حاتم، وبجيلة ورئيسهم قيس بن غربة، والأزد ورئيسهم صرد بن عبدالله، وخثعم ورئيسهم عميس بن عمرو، ووفد نفر من طيئ ورئيسهم زيد بن مهلهل وهو زيد الخيل، وبنو شيبان. وعبدالقيس ورئيسهم الأشج العصري، ثم وفد الجارود بن المعلى فولاه رسول الله على قومه، وأوفدت ملوك حمير بإسلامهم وفوداً وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين وكتبوا إليه بإسلامهم فبعث إليهم معاذ بن جبل، وعكل ورئيسها خزيمة بن عاصم، وجذام ورئيسها فروة بن عمرو، وحضرموت ورئيسها وائل بن حجر الحضرمي، والضباب ورئيسها ذو الجوشن، وبنو أسد ورئيسها ضرار بن الأزور وقيل نقادة بن العايف، وعامر بن الطفيل فى بني عامر فرجع ولم يسلم، وأربد ابن قيس رجع ولم يسلم، وبنو الحارث بن كعب ورئيسهم يزيد بن عبدالمدان، وبنو تميم وعليهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بن

نويرة، وبنو نهد وعليهم أبو ليلى خالد بن الصقعب، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس ابنا حارثة من بني عليم، وهمدان ورئيسهم ضمام بن مالك، وثمالة والحدان فخذ من الأزد ورئيسهم مسلمة بن هزان الحداني، وباهلة ورئيسهم مطرف بن كاهن الباهلي، وبنو حنيفة ومعهم مسيلمة بن حبيب الحنفي، ومراد ورئيسهم فروة بن مسيك، ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض».

وقال ابن هشام: ٩٨٥/٤: «قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه. قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع وأنها كانت تسمى سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تربَّص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله ﷺ وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم وأهل البيت والحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وقادة العرب لا ينكرون ذلك. وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته، فدخلوا في دين الله كما قال عز وجل أفواجاً، يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبيه: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ. وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره إنه كان توابا».

وقال ابن سعد في الطبقات: ٢٩١/١-٣٥٩: «ذكر وفادات العرب على رسول الله ﷺ: وفد مزينة. وفد أسد. وفد تميم. وفد عبس. وفد فزارة. وفد مرة. وفد ثعلبة. وفد محارب. وفد سعد بن بكر. وفد كلاب. وفد رؤاس بن كلاب. وفد عقيل بن كعب. وفد جعدة. وفد قشير بن كعب. وفد بني البكاء. وفد كنانة. وفد بني عبد بن عدي. وفد أشجع. وفد باهلة. وفد سليم. وفد هلال بن عامر. وفد عامر بن صعصعة. وفد ثقيف. وفود ربيعة عبدالقيس. وفد بكر بن وائل. وفد تغلب. وفد حنيفة.

وفد شيبان. وفادات أهل اليمن وفد طيء. وفد تجيب. وفد خولان. وفد جعفي. وفد صداء. وفد مراد. وفد زبيد. وفد كندة. وفد الصدف. وفد خشين. وفد سعد هذيم. وفد بلي. وفد بهراء. وفد عذرة. وفد سلامان. وفد كلب. وفد جرم. وفد الأزد. وفد غسان. وفد الحارث بن كعب. وفد همدان. وفد سعد العشيرة. وفد عنس. وفد الداريين. وفد الرهاويين حي من مذحج. وفد غامد. وفد النخع. وفد بجيلة. وفد خثعم. وفد الأشعريين. وفد حضرموت. وفد أزد عمان. وفد غافق. وفد بارق. وفد دوس. وفد ثمالة والحدان. وفد أسلم. وفد جذام. وفد مهرة. وفد حمير. وفد نجران. وفد جيشان. وفد أسباع».

٢- ملاحظات حول الوفود الى النبي صلى الله عليه وآله

١. لا شك في أن حركة الوفود الى النبي صلى الله عليه وآله كانت واسعة من أنحاء الجزيرة واليمن والشام، وكانت رسالة قوية الى كل المعارضين والمنافقين داخل الدولة الإسلامية، والى هرقل وقادة الفرس، بأن الإسلام أمر واقع فرض نفسه في دولة قوية، وخضعت له كل القوى التي حاربته، بل كان ذلك رسالة لهم بأن المد الإسلامي قادم الى بلاد الفرس والروم، لامحالة.

٢. كانت جمهرة الوفود في السنة التاسعة بعد تبوك، وتأخر عدد منها الى السنة العاشرة والحادية عشرة، كما كانت أوائلها قبل السنة التاسعة.

قال في الصحيح من السيرة: ١٣٥/٧: «وهذه الوفود وإن كانت قد ظهرت على نطاق واسع سنة تسع من الهجرة، أي بعد فتح مكة وكسر شوكة قريش والقضاء على جبروتها، ولكن بدء هذه الوفود ولو بصورة محدودة في السنة الخامسة، يدلل على وجود تحول حقيقي في ميزان القوى في المنطقة، ثم في نظرة الناس للإسلام والمسلمين، وحساباتهم الدقيقة وتصوراتهم فيما يختص بالتعامل معه كقوةٍ جديدة في المنطقة، وكدينٍ جديد أيضاً».

٣. كانت الوفود تأتي بحرية تامة، فلم يفِدْ أحدٌ الى النبي صلى الله عليه وآله مجبراً، ولا يعتبر الجو

العام إجباراً. ولذا كان في الوفود من جاء لإبرام الصلح، أو لحل مشكلة كانت لـه مع النبـيﷺ أراد أن يعفو عنها، وبعضهم جاء ليناظـر النبيﷺ ويثبت له خطأه فكان يناقش النبيﷺ بشـدة وسـوء أدب! وبعضهم جـاء يطلب منه أن يجعله خليفته ويجعل له الأمر بعده لكي يسلم. وبعضهم كان مسلماً وجاء ليؤكد إسلامه، أو ليتبرك بزيارة النبيﷺ.

٣. صارت الوفادة على النبيﷺ ومجرد مشاهدته والسلام عليه، تاريخاً وفخراً للقبائل وأفرادها، لذلك انفتح باب الإدعاء والكذب والتضخيم، في أصل الوفد وفيما قالوه وقاله لهم النبيﷺ، وفيما أعطاهم وكتب لهم! وأطلق بعضهم خياله في الكذب، مثل في تميم الذي زعم أنه وفد مع بعض الداريين فكتب لهم النبيﷺ قرى من الشام قبل فتحها، ومثل أبي رزين العقيلي الذي زعم أنه وفد الى النبيﷺ عن قبيلة المنتفق، وروى أحاديث التجسيم.

٤. اهتـم رواة السـيرة بالوفـود فأطالوا فيهـا، وقال ابن حجر عن ابن سـعد: «وقد عقد محمد بن سـعد في الترجمة النبوية مـن الطبقات للوفود باباً، وذكر فيه القبائـل مـن مضر ثم من ربيعـة ثم من اليمـن، وكاد يسـتوعب ذلك بتلخيص حسن، وكلامه أجمع ما يوجد في ذلك». فتح الباري: ٧٦/٨.

وكتب فيها صاحب الصحيح من السـيرة نحو مجلديـن: ٧٥/٢٧ و ٢٨ واخترنا منها نماذج لأهميتها أو أهمية ما تضمنته من دلالات.

٣- عدي بن حاتم الطائي

في الصحيح من السـيرة: ٦٩/٢٨ **ملخصاً:** «في سـنة تسع جاء وفد طئ، وقالوا: كانوا خمسـة عشر رجلاً، رأسهم وسـيدهم زيد الخيل بن مهلهل من بني نبهان، وفيهم وزر بن جابر بن سـدوس، وقبيصة بن الأسـود بن عامر، من جرم طئ، ومالك بن عبدالله بن خيبري من بني معن، وقعين بن خليف من جديلة، ورجل من بني بولان. فدخلوا المدينة ورسول اللهﷺ في المسجد فعقلوا رواحلهم بفناء المسـجد، ثم دخلوا فدنوا من رسـول اللهﷺ فعرض عليهم الإسـلام فأسلموا

تاسع الهجرة عام الوفود

وحسن إسلامهم، وأجازهم بخمس أواق فضة كل رجل منهم، وأعطى زيد الخيل اثنتى عشرة أوقية ونشاً. وقال رسول الله ﷺ: ما ذكر رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه. وسماه رسول الله ﷺ زيد الخير، وقطع له فيد وأرضين وكتب له بذلك كتاباً، ورجع مع قومه. وفي لفظ: فخرج به من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه فقال رسول الله ﷺ: إن ينجُ زيد من حمى المدينة فإنه، أي فإنه قد نال مراده أو نحو ذلك. فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردة، أصابته الحمى بها فمات هناك، وعمدت امرأته بجهلها وقلة عقلها إلى ما كان رسول الله ﷺ كتب له به فحرقته بالنار»!

وعن أبي سعيد الخدري: أن علياً عليه السلام بعث إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة نفر: عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، وعلقمة بن غيلان.

وقد انتقد صاحب الصحيح مدحهم لزيد الخيل بن المهلهل وقال: «لا ندري ما الذي لفت نظر النبي ﷺ في شخصية زيد حتى قال: ما ذكر رجل من العرب إلا رأيته دون ما ذكر لي إلا ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما فيه! هل رآه متميزاً بعلمه أم بأخلاقه أم بشجاعته أم بعقله، أم بضخامة جثته؟!

إنا لم نجد في التاريخ ما يشير إلى امتيازه في شئ من ذلك، فكيف إذا رأيناه لا يرضى بالإسلام ديناً حتى اعتبره النبي ﷺ في المؤلفة قلوبهم كما روته صحاحهم، مما يعني أن هذا الثناء مكذوب على رسول الله ﷺ! وهو أصح عندهم من حديث مدحه فلماذا تركوا الحديث الصحيح وأخذوا بالضعيف»!

وفي إعلام الورى: ٢٥١/١: «ذكر محمد بن إسحاق: أن عدي بن حاتم فرَّ، وأن خيل رسول الله ﷺ قد أخذوا أخته فقدموا بها على رسول الله ﷺ، وأنه من عليها وكساها وأعطاها نفقة فخرجت مع ركب حتى قدمت الشام وأشارت على أخيها بالقدوم، فقدم وأسلم وأكرمه رسول الله ﷺ وأجلسه على وسادة رمى بها إليه بيده». **وقد تقدم ذلك في غزوة النبي ﷺ لبلاد طئ.**

٤- وفد عبدالقيس من هَجَر

فى الخصال/٤١٦، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ ورد عليه وفد عبدالقيس فسلموا، ثم وضعوا بين يديه جلّة تمر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أصدقةٌ أم هدية؟ قالوا: بل هديةٌ يا رسول الله، قال: أي تمراتكم هذه؟ قالوا: البَرْني. فقال: إن هذا جبرئيل يخبرني أن فيه تسع خصال: يطيب النكهة، ويطيب المعدة، ويهضم الطعام، ويزيد فى السمع والبصر ويقوي الظهر، ويخبل الشيطان، ويقرب من الله عزوجل ويباعد من الشيطان».

وفى الخرائج: ١٠٧/١: «قال: إئتوني بتمر أرضكم مما معكم. فأتاه كل واحد منهم بنوع منه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هذا يسمى كذا، وهذا يسمى كذا. قالوا: أنت أعلم بتمر أرضنا منا! فوصف لهم أرضهم فقالوا: دخلتها؟ قال: لا ولكن فسح لي فنظرت إليها! فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله هذا خالي وبه خبل. فأخذ بردائه وقال: أُخرج يا عدو الله ثلاثاً ثم أرسله، فبرئ. فأتوه بشاة هرمة فأخذ إحدى أذنيها بين إصبعيه فصار لها ميسماً، ثم قال: خذوها فإن هذا ميسم في آذان ما تلد إلى يوم القيامة، فهي تتوالد كذلك»!

وفى الصحيح من السيرة: ٣٠٩/٢٧، ملخصاً: «رووا أنه بينما رسول الله صلى الله عليه وآله يحدث أصحابه إذ قال لهم: سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق.

وفي حديث البيهقي: فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبِّل يد رسول الله ورجله، وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبيه فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه فلبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله فقبَّلها وكان رجلاً دميماً، فلما نظر صلى الله عليه وآله إلى دمامته، قال: إنه لا يسْتَقَى فى مُسُوك الرجال، إنما يحتاج من الرجل إلى أصغريه لسانه وقلبه. قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة. قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله تعالى جبلك عليهما. قال: الحمد لله الذى جبلني على

خَلَّتين يحبهما الله تعالى ورسوله. وقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: يا معشر عبدالقيس ما لي أرى وجوهكم قد تغيرت؟ قالوا: يا نبي الله نحن بأرض وخمة، وكنا نتخذ من هذه الأنبذة ما يقطع اللحمان في بطوننا، فلما نهيتنا عن الظروف، فذلك الذي ترى في وجوهنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الظروف لا تُحلّ ولا تُحرم ولكن كل مسكر حرام، وليس أن تجلسوا فتشربوا حتى إذا ثملت العروق تفاخرتم، فوثب الرجل على ابن عمه بالسيف فتركه أعرج. قال: وهو يومئذ في القوم الأعرج الذي أصابه ذلك!

وعن ابن عباس قال: إن أول جُمعة جُمعت بعد جُمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد عبدالقيس بجواثي من البحرين. وعن نوح بن مخلد: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة فسأله ممن أنت؟ فقال: أنا من بني ضبيعة بن ربيعة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير ربيعة عبدالقيس، ثم الحي الذي أنت منهم. وكانت لهم وفادتان الى النبي صلى الله عليه وآله إحداهما سنة ست أو خمس، والثانية سنة تسع أو بعدها، وكان عدد الوفد أربعين رجلاً. كتب النبي صلى الله عليه وآله إلى العلاء بن الحضرمي في البحرين أن يقدم عليه عشرون رجلاً منهم، فقدموا عليه ورأسهم عبدالله بن عوف الأشج، فشكى الوفد العلاء بن الحضرمي فعزله النبي صلى الله عليه وآله وولى أبان بن سعيد، وأوصاه بعبدالقيس خيراً. وقد نصرت عبدالقيس أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه، لا سيما أبناء صوحان: صعصعة، وزيد، وسيحان، وعمرو... وقد اشتهروا بالفصاحة والخطابة والشعر وقيل كان لصحار بن العباس العبدي كتاب: الأمثال».

٥- الجارود بن المنذر من عبدالقيس

قال الجوهري في مقتضب الأثر/٣١: «ومن أتقن الأخبار المأثورة وغريبها وعجيبها، ومن المصون المكنون في أعداد الأئمة عليهم السلام وأسمائهم من طريق العامة مرفوعاً، وهو خبر الجارود بن المنذر وإخباره عن قس بن ساعدة. حدثني الجارود بن المنذر العبدي وكان نصرانياً فأسلم عام الحديبية وحسن إسلامه، وكان قارياً للكتب، عالماً بتأويلها على وجه الدهر وسالف العصر، بصيراً بالفلسفة والطب، ذا رأي أصيل ووجه

جميل، أنشأ يحدثنا فى إمارة عمربن الخطاب قال: وفدت على رسول الله ﷺ في رجال من عبدالقيس، ذوي أحلام وأسنان وفصاحة وبيان، وحجة وبرهان، فلما بصروا به ﷺ راعهم منظره ومحضره، وأفحموا عن بيانهم واعتراهم العرواء فى أبدانهم! فقال زعيم القوم لي: دونك من أقمت بنا أمه، فما نستطيع أن نكلمه! فاستقدمت دونهم إليه فوقفت بين يديه ﷺ وقلت: السلام عليك يا نبي الله بأبي أنت وأمي ثم أنشأت أقول:

يا نبى الهدى أتتك رجالٌ ... قطعت قرددا وآلاً فآلا
جابت البيد والمهامهَ حتى ... غالها من طوى السرى ما غالا
قطعت دونك الصحاصح تهوي ... لا تعد الكلال فيك كلالا
كل دهناء تقصر الطرف عنها ... أرقلتها قلاصنا إرقالا
خصك الله يا ابن آمنة الخير ... إذا ما تلت سجال سجالا
أنبأ الأولون باسمك فينا ... وبأسماء بعده تتلالا

قال: فأقبل على رسول الله ﷺ بصفحة وجهه المبارك وشِمْتُ منه ضياء لامعاً ساطعاً كوميض البرق فقال: يا جارود لقد تأخر بك وبقومك الموعد، وقد كنت وعدته قبل عامي ذلك أن أفد إليه بقومي فلم آته وأتيته فى عام الحديبية، فقلت: يا رسول الله! بنفسي أنت ما كان إبطائي عنك إلا أن جلة قومي أبطأوا عن إجابتي حتى ساقها الله إليك لما أراد لها من الخير لديك. وقد كنت على دين النصرانية قبل أن آتي إليك الأولى فها أنا تاركه بين يديك إذ ذلك مما يعظم الأجر، ويمحو المآثم والحوب، ويرضى الرب عن المربوب.

فقال رسول الله ﷺ: أنا ضامن لك يا جارود! قلت: أعلم يا رسول الله أنك بذلك ضمين قمين. قال: فَدِنْ الآن بالوحدانية ودع عنك النصرانية، قلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله، ولقد أسلمت على علم بك وبناء فيك علمته من قبل. فتبسم ﷺ كأنه علم ما أردته من

الأنباء فيه فأقبل عليَّ وعلى قومي فقال: أفيكم من يعرف قس بن ساعدة الإيادي؟

قلت: يا رسول الله كلنا نعرفه غير أني من بينهم عارف بخبره، واقف على أثره: كان قس بن ساعدة يا رسول الله سبطاً من أسباط العرب، عمِّر خمس مائة عام، تقفَّر منها فى البراري خمسة أعمار، يضج بالتسبيح على منهاج المسيح، لا يقره قرار ولا يكنه جدار، ولا يستمتع منه جار، لا يفتر من الرهبانية، ويدين الله بالوحدانية، يلبس المسموح، ويتحسى فى سياحته بيض النعام، بالنور والظلام، يبصر فيعتبر، ويتفكر فيختبر، تضرب بحكمته الأمثال، أدرك رأس الحواريين شمعون، وأدرك لوقا ويوحنا وأمثالهم، ففقه كلامهم ونقل منهم، تحوَّبَ الدهر وجانَبَ الكفر، وهو القائل بسوق عكاظ وذي المجاز: شرقٌ وغرب، ويابسٌ ورطب، وأجاجٌ وعذب، وحبٌّ ونبات، وجمعٌ وأشتات، وذهابٌ وممات، وآباءٌ وأمهات، وسرورُ مولود، ورزء مفقود. تباً لأرباب الغفلة، لِيصلحنَّ العامل عمله قبل أن يفقد أجله، كلا بل هو الله الواحد ليس بمولود ولا والد، أمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى، وهو رب الآخرة والأولى.. ثم صاح: يا معاشر أياد: أين ثمود، وأين عاد، وأين الآباء والأجداد، وأين العليل والعواد، وأين الطالبون والرواد، وكل له معاد.

قلت: يا رسول الله لقد شهدت قساً خرج من ناد من أندية أيد، إلى صحصح ذي قتاد، وصمرة وعتاد، وهو مشتمل بنجاد، فوقف في أضحيان ليل كالشمس، رافعاً إلى السماء وجهه وإصبعه، فدنوت منه وسمعته يقول:

اللهم رب هذه السبعة الأرقعة، والأرضين الممرعة، وبمحمد والثلاثة المحامدة معه، والعلليين الأربعة، وسبطيه النبعة، والأرفعة الفرعة، والسرى اللامعة، وسمي الكليم الضرعة، والحسن ذي الرفعة، أولئك النقباء الشفعة، والطريق المهيعة، درسة الإنجيل، وحفظة التنزيل، على عدد النقباء من بني إسرائيل، محاة الأضاليل ونفاة الأباطيل، الصادقو القيل، عليهم تقوم الساعة، وبهم تنال الشفاعة ولهم من الله تعالى فرض الطاعة.

اللهم ليتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياي. ثم آب يكفكف دمعه ويرن

رنين البكرة، وقد بريت ببراة وهو يقول:

أقسمَ قِسٌّ قسما ليس به مكتتما
لو عاش ألفي عمر لم يلق منها سأما
حتى يلاقي أحمداً والنقباء الحكما
هم أوصياء أحمدٍ أكرم من تحت السما
يعمى العباد عنهم وهم جلاء للعمى
لست بناس ذكرهم حتى أحُلَّ الرجما

ثم قلت: يا رسول الله أنبئني أنبأك الله بخير عن هذه الأسماء التي لم نشهدها وأشهدنا قس ذكرها؟ فقال رسول الله ﷺ: يا جارود ليلة أسري بي إلى السماء أوحى الله عز وجل إلى أن سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ فقلت: على ما بعثتم؟ فقالوا: على نبوتك وولاية علي بن أبي طالب والأئمة منكما. ثم أوحى إلي أن التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا علي والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والمهدي في ضحضاح من نور يصلون، فقال لي الرب تعالى: هؤلاء الحجج لأوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي. قال الجارود: فانصرفت بقومي وقلت في وجهتي إلى قومي:

أتيتك يا ابن آمنة الرسولا لكي بك أهتدى النهج السبيلا
فقلت وكان قولك قول حق وصدق ما بدالك أن تقولا
وبصرت العمى من عبد قيس وكل كان من عمه ضليلا
وأنبأناك عن قس الأيادي مقالاً فيك ظلت به جديلا
وأسماء عمت عنا فآلت إلى علم وكنت به جهولا».

ورواه أبو الفتح في الإستنصار/٣٤، كنز الفوائد/٢٥٦، المناقب: ١/٢٤٥، والصراط المستقيم: ٢/٢٣٩.

٦- أشهر وفود اليمن

فى الغيبة للنعماني/٤٦، عن جابر الأنصاري قال: «وفد على رسول الله ﷺ أهل اليمن فقال النبي ﷺ: جاءكم أهل اليمن يبسون بسيساً «يسوقون إبلهم سوقاً سريعاً» فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال: قوم رقيقة قلوبهم، راسخ إيمانهم، منهم المنصور يخرج فى سبعين ألفاً ينصر خلفي وخلف وصيي، حمائل سيوفهم المسك! [المسد] فقالوا: يا رسول الله ومن وصيك؟ فقال: هو الذي أمركم الله بالإعتصام به فقال عز وجل: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا. فقالوا: يا رسول الله، بين لنا ما هذا الحبل؟ فقال: هو قول الله: إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ، فالحبل من الله كتابه والحبل من الناس وصيي. فقالوا: يا رسول الله، من وصيك؟ فقال: هو الذى أنزل الله فيه: أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله! فقالوا: يا رسول الله وما جنب الله هذا؟ فقال: هو الذي يقول الله فيه: وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيهِ يَقُولُ يا لَيتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. هو وصيي، والسبيل إِلَيَّ مِن بعدي!

فقالوا: يا رسول الله بالذى بعثك بالحق نبياً أرناه فقد اشتقنا إليه. فقال: هو الذي جعله الله آية للمؤمنين المتوسمين، فإن نظرتم إليه نظر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عرفتم أنه وصيي كما عرفتم أني نبيكم، فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه، فمن أهوت إليه قلوبكم فإنه هو، لأن الله عز وجل يقول فى كتابه: فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيهِمْ، أي: إليه وإلى ذريته.

ثم قال: فقام أبو عامر الأشعري فى الأشعريين، وأبو غرة الخولاني فى الخولانيين، وظبيان وعثمان بن قيس فى بني قيس، وعرنة الدوسي فى الدوسيين ولاحق بن علاقة، فتخللوا الصفوف وتصفحوا الوجوه، وأخذوا بيد الأصلع البطين وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: أنتم نجبة الله حين عرفتم وصي رسول الله، قبل أن تعرفوه فبم عرفتم أنه هو؟ فرفعوا أصواتهم يبكون ويقولون: يا رسول الله نظرنا إلى القوم فلم تحن لهم قلوبنا، ولما رأيناه رجفت قلوبنا، ثم اطمأنت نفوسنا وانجاشت أكبادنا وهملت أعيننا، وانثلجت صدورنا، حتى كأنه لنا أب ونحن

لـه بنون! فقال النبي ﷺ: وَمَا يَعْلَمُ تَاوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ! أنتم منهم بالمنزلة التى سبقت لكم بها الحسنى، وأنتم عن النار مبعدون. قال: فبقي هؤلاء القوم المسمون حتى شهدوا مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل وصفين فقتلوا في صفين رحمهم الله. وكان النبي ﷺ بشرهم بالجنة، وأخبرهم أنهم يستشهدون مع علي بن أبي طالب عليه السلام».

وفى الكافي: ٦/٤١٧، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قدم على رسول الله ﷺ من اليمن قوم فسألوه عن معالم دينهم فأجابهم، فخرج القوم بأجمعهم فلما ساروا مرحلة قال: بعضهم لبعض: نسينا أن نسأل رسول الله ﷺ عما هو أهم إلينا.

ثم نزل القوم ثم بعثوا وفداً لهم فأتى الوفد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن القوم بعثوا بنا إليك يسألونك عن النبيذ، فقال رسول الله ﷺ: وما النبيذ، صِفُوه لي؟ فقالوا: يؤخذ من التمر فينبذ فى إناء ثم يصب عليه الماء حتى يمتلئ ويوقد تحته حتى ينطبخ، فإذا انطبخ أخذوه فألقوه فى إناء آخر، ثم صبوا عليه ماء، ثم يمرس، ثم صَفَّوْه بثوب، ثم يلقى فى إناء، ثم يصب عليه من عكر ما كان قبله، ثم يهدر ويغلى، ثم يسكن على عكرة. فقال رسول الله ﷺ: يا هذا قد أكثرت أفيسكر؟ قال: نعم، قال: فكل مسكر حرام!

قال: فخرج الوفد حتى انتهوا إلى أصحابهم فأخبروهم بما قال رسول الله ﷺ فقال القوم: إرجعوا بنا إلى رسول الله ﷺ حتى نسأله عنها شفاهاً ولا يكون بيننا وبينه سفير، فرجع القوم جميعاً فقالوا: يا رسول الله إن أرضنا أرض دوية ونحن قوم نعمل الزرع ولا نقوى على العمل إلا بالنبيذ، فقال لهم رسول الله ﷺ: صفوه لى فوصفوه له كما وصف أصحابهم فقال لهم رسول الله ﷺ: أفيسكر؟ فقالوا: نعم. فقال: كل مسكر حرام، وحق على الله أن يسقي شارب كل مسكر من طينة خبال، أفتدرون ما طينة خبال؟ قالوا: لا، قال: صديد أهل النار».

٧- السائب الأشعري جد الأشعريين القميين

في رجال النجاشي/٨١: «أحمد بن محمد بن عيسى. وأول من سكن قم من آبائه سعد بن مالك بن الأحوص، وكان السائب بن مالك وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله وهاجر إلى الكوفة وأقام بها. وذكر بعض أصحاب النسب: أن في أنساب الأشاعرة أحمد بن محمد بن عيسى بن عبدالله بن سعد بن مالك بن هانئ بن عامر بن أبي عامر الأشعري، واسمه عبيد، وأبو عامر له صحبة. وقد رُوي أنه لما هزم هوازن يوم حنين عقد رسول الله صلى الله عليه وآله لأبي عامر الأشعري على خيل فقتل، فدعا له فقال: اللهم أعط عبيدك عبيداً أبا عامر، واجعله في الأكبرين يوم القيامة».

٨- الرجل اليماني المجادل السخي

في الكافي: ٣٩/٤، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً، وأشدهم استقصاء في محاجة النبي صلى الله عليه وآله فغضب النبي صلى الله عليه وآله حتى التوى عرق الغضب بين عينيه، وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض، فأتاه جبرئيل فقال: ربك يقرؤك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام. فسكن عن النبي صلى الله عليه وآله الغضب ورفع رأسه، وقال له: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عزوجل أنك سخي تطعم الطعام، لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك! فقال له الرجل: وإن ربك ليحب السخاء؟ فقال: نعم. فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، والذي بعثك بالحق لا رددتُ من مالي أحداً»!

٩- عمرو بن معدي كرب الفارس المشهور

في إعلام الورى: ٢٥١/١: «قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله عمرو بن معدي كرب وأسلم ثم نظر إلى أبي بن عثعث الخثعمي فأخذ برقبته وأدناه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أَعْدُني على هذا الفاجر الذي قتل والدي! فقال صلى الله عليه وآله: أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية! فانصرف عمرو مرتداً واغار على قوم من بني الحارث بن كعب، فأنفذ رسول الله علياً عليه السلام إلى بني زبيد».

أقول: تقدم فى فتح اليمن أن علياً عليه السلام جعل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص، وبارز علي عليه السلام عمرو بن معديكرب وصرخ به صرخة فهرب! وأخضع قبيلة زبيد وولى على المنطقة خالد بن سعيد وتوغل في فتح اليمن.

«قالوا لخالد: والله لقد دخلنا فيما دخل فيه الناس وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وآله وخلينا بينك وبين صدقات أموالنا، وكنا لك عوناً على من خالفك من قومنا.

قال خالد: قد فعلتم؟ قالوا: فأوفدمنا نفراً يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وآله ويخبرونه بإسلامنا ويقبسونا منه خيراً.

فقال خالد: ما أحسن ما عدتم إليه وأنا أجيبكم، ولم يمنعني أن أقول لكم هذا إلا أني رأيت وفود العرب تمر بكم فلا يهيجنكم ذلك على الخروج، فساءني ذلك منكم حتى ساء ظني فيكم، وكنتم على ما كنتم عليه من حداثة عهدكم بالشرك، فحسبت أن لايكون الإسلام راسخاً فى قلوبكم». الصحيح من السيرة: ١٥٨/٢٨.

١٠- وفد قبيلة النخع الى النبي صلى الله عليه وآله

بعثت قبيلة النخع إلى النبي صلى الله عليه وآله وافدين عنها بإسلامها هما: أرطأة بن شراحيل بن كعب، والجهيش، واسمه الأرقم من بني بكر بن عوف بن النخع، فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وآله فعرض عليهما الإسلام فقبلاه وبايعاه على قومهما فأعجب رسول الله صلى الله عليه وآله شأنهما وحسن هيئتهما فقال: هل خلفتما وراءكما قومكما مثلكما؟ فقالا: يا رسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلاً كلهم أفضل منا، وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء، ما يشاركوننا في الأمر إذا كان.

فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وآله ولقومهما بخير وقال: اللهم بارك فى النخع. وعقد لأرطأة لواء على قومه وكتب له كتاباً، فكان في يده يوم الفتح.

وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة وهم مائتا رجل، فنزلوا دار رملة بنت الحدث، ثم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وآله مقرين بالإسلام،

وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، فكان فيهم زرارة بن عمرو، فقال: يا رسول الله إني رأيت في سفري هذا رؤيا هالتني! قال: وما رأيت؟ قال: رأيت أتاناً تركتها في الحي كأنها ولدت جدياً أسفع أحوى! فقال له رسول الله ﷺ: هل لك من أمة تركتها مصرة حملاً؟ قال: نعم تركت أمة لي أظنها قد حملت. قال: فإنها قد ولدت غلاماً وهو ابنك! فقال: يا رسول الله ما باله أسفع أحوى؟ قال: أُدن مني فدنا منه فقال: هل بك برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك! قال: فهو ذلك.

أقول: ترجمنا لمالك الأشتر رضي الله عنه في كتابنا قبيلة النخع، وأثبتنا صحبته للنبي ﷺ.

١١- كان النبي ﷺ يهدد من يخاف عصيانهم بعلي عليه السلام

في **أمالي الطوسي**/٥٧٩: «عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ وقد قدم عليه وفد أهل الطائف: يا أهل الطائف، والله لتقيمن الصلاة، ولتؤتن الزكاة، أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يقصعكم بالسيف! فتطاول لها أصحاب رسول الله ﷺ، فأخذ بيد علي فأشالها ثم قال: هو هذا. فقال أبو بكر وعمر: ما رأينا كاليوم في الفضل قط».

«عن عبدالله بن شداد قال: قدم على النبي ﷺ وفد آل تنوخ من اليمن قال فقال لهم رسول الله ﷺ: لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة ولتسمعن ولتطيعن أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي يقاتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم، اللهم أنا أو كنفسي، ثم أخذ بيد علي عليه السلام». مناقب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن سليمان: ٤٦٨/١.

«وفي حديث جابر أنه قال لوفد هوازن: أما والذي نفسي بيده ليقيمن الصلاة وليؤتن الزكاة أو لأبعثن إليهم رجلاً وهو مني كنفسي، فليضربن أعناق مقاتليهم وليسبين ذراريهم، هو هذا وأخذ بيد علي عليه السلام. فلما أقروا بما شرط عليهم قال: ما استعصى عَلَيَّ أهل مملكة ولا أمةٌ إلا رميتهم بسهم الله علي بن أبي طالب! ما بعثته في سرية إلا رأيت جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملكاً أمامه وسحابة تظله حتى يعطي الله حبيبي النصر والظفر!

وروى الخطيب في الأربعين نحواً من ذلك عن مصعب بن عبدالرحمن أنه قال النبيﷺ لوفد ثقيف.. الخبر، وفي رواية أنه قال مثل ذلك لبني وليعة». «المناقب: ٦٧/٢». **أما حديث تهديد النبيﷺ قريشاً بعليؑ، فمتواتر مشهور.**

١٢- مالك بن نويرة ﷺ من وفود بني تميم

في الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي/٧٥: «قال البراء بن عازب بينا رسول الله جالس في أصحابه إذا أتاه وافد من بني تميم مالك بن نويرة، فقال: يا رسول الله علمني الإيمان. فقال رسول اللهﷺ: تشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وتصلي الخمس، وتصوم رمضان، وتؤدي الزكاة وتحج البيت، وتوالي وصيي هذا من بعدي وأشار إلى عليؑ بيده، ولا تسفك دماً ولا تسرق ولا تخون ولا تأكل مال اليتيم ولا تشرب الخمر، وتوفي بشرائعي، وتحلل حلالي، وتحرم حرامي، وتعطي الحق من نفسك للضعيف والقوي، والكبير والصغير، حتى عد عليه شرائع الإسلام.

فقال يا رسول اللهﷺ أعد عَلَيَّ فإني رجل نَسَّاء، فأعاد عليه، فعقدها بيده وقام وهو يجر إزاره وهو يقول: تعلمت الإيمان ورب الكعبة، فلما بعد من رسول اللهﷺ: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل! فقال أبو بكر وعمر: إلى من تشير يا رسول الله؟ فأطرق إلى الأرض، فجدًّا في السير فلحقاه فقالا: لك البشارة من الله ورسوله بالجنة. فقال: أحسن الله تعالى بشارتكما إن كنتما ممن يشهد بما شهدت به فقد علمتما ما علمني النبي محمدﷺ، وإن لم تكونا كذلك فلا أحسن الله بشارتكما.

فقال أبو بكر: لا تقل فأنا أبو عائشة زوجة النبيﷺ! قال: قلت ذلك، فما حاجتكما؟ قالا: إنك من أصحاب الجنة فاستغفر لنا، فقال: لا غفر الله لكما تتركان رسول الله صاحب الشفاعة، وتسألاني أستغفر لكما، فرجعا والكآبة لائحة في وجههما، فلما رآهما رسول اللهﷺ تبسم وقال: أفي الحق مغضبة؟!

فلما توفي رسول الله ورجع بنو تميم إلى المدينة ومعهم مالك بنو نويرة فخرج لينظر من قام مقام رسول الله ﷺ فدخل يوم الجمعة وأبو بكر على المنبر يخطب بالناس فنظر إليه وقال: أخو تيم؟! قالوا: نعم. قال: فما فعل وصي رسول الله ﷺ الذي أمرني بموالاته؟ قالوا: يا أعرابي الأمر يحدث بعده الأمر! قال: بالله ما حدث شيء، وإنكم قد خنتم الله ورسوله ﷺ!

ثم تقدم إلى أبي بكر وقال: من أرقاك هذ المنبر ووصي رسول الله ﷺ جالس؟ فقال أبو بكر: أخرجوا الأعرابي البوال على عقبيه من مسجد رسول الله ﷺ!

فقام إليه قنفذ بن عمير وخالد بن الوليد فلم يزالا يلكزان عنقه حتى أخرجاه، فركب راحلته وأنشأ يقول:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ... فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر

إذا مات بكر قام عمرٌ ومقامه ... فتلك وبيت الله قاصمة الظهر

يدب ويغشاه العشار كأنما ... يجاهد جماً أو يقوم على قبر

فلو قام فينا من قريش عصابة ... أقمنا ولكن القيام على جمر

قال: فلما استتم الأمر لأبي بكر وجه خالد بن الوليد وقال له: قد علمت ما قاله مالك على رؤس الأشهاد، ولست آمن أن يفتق علينا فتقاً لا يلتئم، فاقتله.

فحين أتاه خالد، ركب جواده وكان فارساً يعد بألف، فخاف خالد منه فآمنه وأعطاه المواثيق، ثم غدر به بعد أن ألقى سلاحه، فقتله وأعرس بامرأته في ليلته وجعل رأسه في قدر فيها لحم جزور لوليمة عرسه وبات ينزو عليها نزو الحمار»!

١٣- صعصعة بن ناجية جد الفرزدق

في أمالي المرتضى: ١٩٢/٤: «وفَدَ صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله ﷺ في وفد بني تميم، وكان صعصعة منع الوأد في الجاهلية، فلم يدع تميماً تئد وهو يقدر على ذلك. وقد فدى في بعض الروايات أربعمائة موؤدة، وفي أخرى ثلاثمائة، فقال للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي أوصني. فقال: أوصيك بأمك وأبيك وأختك وأخيك

وأدانيك أدانيك. فقال: زدني، فقال ﷺ: إحفظ ما بين لحييك ورجليك. ثم قال ﷺ: ما شئ بلغني عنك فعلته؟ فقال: يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين الصواب، غير أني علمت أنهم ليسوا عليه، فرأيتهم يئدون بناتهم فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك، فلم أتركهم ففديت ما قدرت عليه.

وفي رواية أخرى إن صعصعة لما وفد على النبي ﷺ فسمع قوله تعالى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. قال: حسبي، ما أبالي أن لا أسمع من القرآن غير هذا. ويقال إنه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبدالملك فافتخرا، فقال الفرزدق: أنا ابن محيي الموتى! فقال له سليمان: أنت ابن محيي الموتى؟! فقال إن جدي أحيا الموؤودة، وقد قال الله تعالى: وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً، وقد أحيا جدي اثنتين وتسعين موؤودة، فتبسم سليمان وقال: إنك مع شعرك لفقيه».

١٤- النابغة الجعدي الشاعر المتأله

في أمالي المفيد/٢٢٤: «كان نابغة الجعدي ممن يتأله في الجاهلية، وأنكر الخمر والسكر، وهجَر الأوثان والأزلام، وقال في الجاهلية كلمته التي قال فيها:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها لنفسه ظلما

وكان يذكر دين إبراهيم عليه السلام والحنيفية ويصوم ويستغفر، ويتوقى أشياء لغواً فيها، ووفد على رسول الله ﷺ فقال:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرة نُشِّرَا
وجاهدت حتى ما أحس ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثم تغورا
وصرت إلى التقوى ولم أخش كافراً وكنت من النار المخوفة أزجرا

وقال: وكان النابغة علوي الرأي، وخرج بعد رسول الله ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين، فنزل ليلة فطاف به وهو يقول:

قـد علـم المصـران والعـراقُ إن عليـاً فحلهـا العتـاقُ
أبيـض ججحـاحٌ لـه رواقُ وأمـه غـالى بهـا الصـداق
أكـرم مـن شـد بـه نطـاق إن الأولى جـاروك لا أفاقـوا
لكـم سـباق ولهـم سـباق قـد علمـت ذلكـم الرفـاق
سـقتم إلى نهج الهدى وساقوا إلى الـتي ليـس لهـا عـراق

في ملـــة عادتهـــا النفـــاق

١٥- من الوفود المكذوبة وفد تميم الداري

تميـم الـداري من نصارى بلاد الشـام يظهر أنه مـن داريا قرب دمشـق، كان يعمل مـع أقاربـه في تجـارة الخمـر مـن الشـام إلـى الجزيـرة، وكان يحـدث بقصـص أهـل الكتـاب اليهـود والنصارى، وقد أعلن إسـلامه قبيل وفاة النبيﷺ وسـكن المدينة.

وكانـت ثقافتـه يهودية وكان يهتم بالأمـور الخارقة للعادة والأسـاطير، وكان مقرباً مـن اليهـود ومن عمـر وكعـب الأحبار، ونشـط هو وتلامذته فى إشـاعة التجسـيم والإسرائيليات في عقائد المسلمين!

وكتب له عمر مرسـوماً خلافياً أن يقص عن أهل الكتاب يوم السـبت فى مسـجد النبـيﷺ! وحـضر مجلسـه احترامـاً لـه وتأييـداً! ثـم زاده يومـاً آخر في الأسـبوع!

فقام تميم بنشر الإسرائيليات والأكاذيب، كما ترى في حديث الجساسة والدجال في مسـلم وغيره من أنه أخبر النبيﷺ أن الدجـال المحبوس فى جزيرة وأنه رآه! ففرح النبيﷺ وصعد المنبر وحدث ببشارة أخيهم تميم عن الدجال! راجع تدوين القرآن/٤٤٤، جواهر التاريخ: ١٣٥/١ وألف سؤال وإشكال: ١١٢/٢.

وجعل رواة الخلافة تميماً شـخصية صاحب كرامات! **فقال إمامهم الذهبي في سـيره**: ٤٤٥/٢: «نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع»!

وفي دلائـل البيهقـي: ٨٠/٦: «خرجـت نار بالحـرة فجاء عمر إلى تميـم فقال: قم إلى هـذه النـار، فقال يا أمير المؤمنين! ومن أنا وما أنـا! قال: فلم يزل به حتى قام معه قال

وتبعتها فانطلقا إلى النار فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها! قال: فجعل عمر يقول: ليس من رأى كمن لم ير»!

ومن أكاذيب تميم ادعاؤه أنه كان يهدي الى النبيﷺ كل عام زق خمر، فلما حُرمت الخمر لم يأخذها فقال له: خذه وبعه وانتفع بثمنه! «فتح الباري: ٢٠٩/٨». مع أن تميماً جاء في السنة التاسعة، وحُرِّمت الخمر في السنة الثانية! الدر المنثور: ٣١٧/٢.

وزعم تميم أنه وفد هو وأقاربه على النبيﷺ فكتب لهم إقطاعاً بقرى سيفتحها المسلمون من أرض الشام! قالوا: قدموا بعد تبوك وهم عشرة نفر منهم: تميم ونُعيم ابنا أوس، ويزيد بن قيس بن خارجة، والفاكه بن النعمان بن جَبَلَة، وأبو هند والطيب ابنا ذر، وهو عبدالله بن رزين، وهانئ بن حبيب، وعزيز ومرة ابنا مالك بن سواد بن جَذِيمَة، فأسلموا وأهدى هانئ بن حبيب لرسول اللهﷺ أفراساً وقباء مخوصاً بالذهب، فقبل الأفراس والقباء. وقال تميم: لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لإحداهما: حِبْرَى والأخرى بيت عينون، فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. قال: فهما لك وكتب له به كتاباً.

فلما قام أبو بكر أعطاه ذلك، وأقام وفد الداريين حتى توفي رسول اللهﷺ وأوصى لهم بمائة وسق من تمر خيبر!

ونقد صاحب الصحيح: ٥٩/٢٨ هذه الروايات، لأن الإقطاع إنما كان للأرض الموات ونحوها مما هجره أهله، ولأن بعض نصوص الكتاب الذي زعموه فيه أخطاء نحوية لا تصدر عنهﷺ كقوله: إني أنطيكم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت إبراهيم برمتهم، وجميع ما فيهم! وبعض نصوص الكتاب ذكرب أن من آذى الداريين فقد آذى الله، وهذا معناه أنهم معصومون لأن غير المعصوم قد يؤذى لمنعه من ارتكاب المعصية أو لأخذ الحق منه فإن كان يحرم إيذاؤه مطلقاً لزم أن يرضى الله بالمعصية والباطل!

تاسع الهجرة عام الوفود

١٦- من الوفود المكذوبة وفد أبي رزين

أبو رزين العقيلي: إسمه لقيط بن عامر أو ابن صبرة. زعم أنه وفد إلى النبي ﷺ عن قبيلة المنتفق قال: «كنت وافد بني المنتفق إلى رسول الله ﷺ فلم نجده فأطعمتنا عائشة تمراً وعصدت لنا عصيدة، إذ جاء رسول الله فقال: هل طعمتم من شئ؟ قلنا نعم، فبينا نحن على ذلك، دفع الراعي الغنم إلى المراح وعلى يده سخلة فقال هل ولدت؟ قال نعم، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: لاتحسبن أنا ذبحنا الشاة لأجلكم، لنا غنم مائة لانريد أن تزيد عليها إذا ولدت بهمة ذبحنا شاة» !أسد الغابة: ٢٦٦/٤.

وفي أسد الغابة: ٤٤/٥: «ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق قال: فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب، فأتينا رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة». «وفي كنزالعمال: ١٤٦/٧»، «أن النبي ﷺ كان يكره المسائل ويعيبها فإذا سأله أبو رزين أجابه وأعجبه»!

وأكثر ما اشتهر به أبو رزين أحاديث التجسيم، وأنه سمع النبي ﷺ يقول: «لَعَمْرُ إلهك! ويقول: إن الله تعالى يضحك ويظل يضحك! قلت: يا رسول الله! أويضحك الرب؟ قال: نعم، قلت: لن نعدم من رب يضحك خيراً! وفي رواية: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا عزوجل قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عماء. ما تحته هواء وما فوقه هواء. ثم خلق عرشه على الماء». مسند أحمد: ١١/٤. وقد نقدنا أحاديثه في الإنتصار: ٢٣٤/٢ وغيره ونقدها صاحب الصحيح: ٢٢٣/٢٧.

الفصل التاسع والستون

مباهلة النبي ﷺ مع نصارى نجران

١. نجران العاصمة الدينية للمسيحية فى الجزيرة

كانت نجران ولاية تابعة للدولة الرومانية، يحكمها أسقف من قِبل هرقل مع رؤساء قبائلها، والمشهور فيهم بنو عبدالمدان. وكان ارتباطهم بهرقل وثيقاً فهو يدافع عنهم وينفق عليهم، وقد بعث لهم بصليب كبير من ذهب.

وفي نجران كانت قصة أصحاب الأخدود التي ذكرها الله تعالى فى سورة البروج فقال: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ. وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ. قُتِلَ أَصْحَابُ الآخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ.

قال القمي فى تفسيره: ٢/٤١٣: «كان سببهم أن الذي هيج الحبشة على غزو اليمن ذو نواس، وهو آخر من ملك من حمير، تهوَّد واجتمعت معه حمير على اليهودية وسمى نفسه يوسف، وأقام على ذلك حيناً من الدهر، ثم أُخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية، وكانوا على دين عيسى وعلى حكم الإنجيل، ورأس ذلك الدير: عبدالله بن بريا، فحمله أهل دينه على أن يسير إليهم ويحملهم على اليهودية ويدخلهم فيها، فسار حتى قدم نجران فجمع من كان بها على دين النصرانية ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها فأبوا عليه، فجادلهم وعرض عليهم وحرص الحرص كله، فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها واختاروا القتل، فخد لهم أخدوداً جمع فيه الحطب وأشعل فيه النار، فمنهم

مـن أحـرق بالنار، ومنهم من قتل بالسـيف، ومثَّـل بهم كل مثلة! فبلـغ عدد من قتل وأحـرق بالنـار عشرين ألفاً، وأفلت رجل منهم يدعى دوس ذو ثعلبان على فرس له وركضـه واتبعوه حتـى أعجزهم فى الرمل، ورجع ذو نواس إلـى ضيعته فى جنوده فقال الله: قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ».

فأمر هرقل عامله ملك الحبشة أن يغزو اليمن ثأراً لشهداء نجران، فغزا اليمن وهزم ذا نواس الذى ألقى نفسـه فى البحر وغرق، وحكموا اليمن الى زمن سـيف بن ذى يزن. **قال المسـعودى فى مروج الذهب**: ٨٩/١ إن المسـيحيين أصحاب الأخدود«كانوا مؤمنـين موحِّدين، لا على رأي النصرانية في هذا الوقت». لكن أهل نجران تبنوا بعد ذلك عقيدة هرقل فى أن المسيح ابن الله.

٢. رسالة النبى ﷺ الى أسقف نجران وأهلها

لما كتب رسول الله ﷺ إلى ملوك العالم بعد الحديبية، أرسل عتبة بن غزوان، وعبدالله بن أبي أمية، والهدير بن عبدالله، وصهيب بن سنان، إلى نجران وحواشيها، وكتب معهم إلى أساقفة نجران يدعوهم إلى رفض الأقانيم والأنداد والإلتزام بالتوحيد وعبادة الله تعالى. ونص كتابه ﷺ كما يلي: «باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. من محمد النبي رسـول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران: أسـلمُ أنتم، فإنى أحمد إليكم إله إبراهيم وإسـحاق ويعقـوب، أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله مـن عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، وإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحرب، والسلام. وقيل: كتب لهم آية: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ». آل عمران: ٦٤.

والأسقف أصلها أبيسكوبوس يونانية بمعنى الناظر، وكان الأسقف أبو حارثة بن علقمة، الشـخص الأول، والباقون دون رتبته. فلما قرأ الأسقف الكتاب فزع وارتاع وقـام وقعد، وشـاور أهل الحجى والـرأي منهم، فقال شرحبيـل وكان ذا لب ورأي بنجـران: قـد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسـماعيل من النبـوة، فما يؤمنك أن

يكـون هذا الرجل وليس لي في النبوة رأى، ولـو كان أمر من أمور الدنيا أشرت عليك فيه وجهدت لك.

فبعـث الأسـقف إلـى كل واحـد واحـد من أهـل نجـران، فتشـاوروا وكثر اللغـط وطـال الحـوار والجـدال، فاجتمـع رأيهـم علـى أن يبعثـوا وفـداً يـأتي رسـول الله ﷺ فيرجع بخـبره. فوفـدوا إليه فى سـتين راكباً وفيهـم ثلاثة عشر رجلاً من أشرافهم وذوي الرأي والحجى منهم، وثلاثة يتولون أمرهم: العاقب واسـمه عبدالمسـيح أمير الوفد وصاحب مشـورتهم الذي لايصـدرون إلا عن رأيه، والسـيد واسـمه الأيهم، وهـو ثمالهم وصاحـب رحلهم، وأبـو حارثة بن علقمة أسـقفهم الأول وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسـهم، وهو الأسقف الأعظم، قد شرفه ملك الروم ومولوه وبنوا له الكنائس وبسطوا له الكرامات، لمـا بلغهـم من علمه واجتهاده فـى دينه. فلما توجهوا إلى رسـول الله ﷺ جلس أبـو حارثـة على بغلة وإلى جنبه أخ له يقال له كـرز إذ عثرت بغلته، قال: تعس الأبعد يريد محمداً ﷺ! فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست! فقال له: ولم يا أخ؟ فقـال: والله إنـه النبي الذي كنا ننتظـره! فقال كرز: فما يمنعـك وأنت تعلم هذا أن تتبعه؟ فقـال: ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافـه، ولـو فعلت نزعوا كل مـا ترى! فأضمر عليه منه أخوه كرز حتى أسـلم بعد ذلك وكان كرز يرتجز ويقول:

إليـك يغـدو قلقـاً وضينهـا معترضـاً في بطنهـا جنينهـا

مخالفاً دين النصارى دينها

مكاتيب الرسول ﷺ ٢/٤٨٩ ملخصاً.

٣. أمهل النبي ﷺ وفدهم ثلاثاً ثم ناظرهم

في الإختصاص للمفيد ﷺ ١١٢/، عن محمد بن المنكدر عن أبيه قال: « لما قدم السيد والعاقب أسـقفا نجران في سـبعين راكباً وافداً علـى النبي ﷺ كنت معهم فبينا

كـرز يسـير وكرز صاحب نفقاتهم، إذ عثرت بغلته فقـال: تعس من نأتيه الأبعد يعني النبـي ﷺ! فقـال له صاحبه وهو العاقب: بل تعسـت وانتكسـت! فقال: ولم ذلك؟ قـال: لأنك أتعسـت النبي الأمي أحمـد، قال: وما علمـك بذلك؟ قال: أمـا تقرأ من المفتـاح الرابـع من الوحـي إلى المسـيح: أن قل لبنـي إسرائيل: ما أجهلكـم تتطيبون بالطيـب لتطيبوا به في الدنيـا عند أهلها وأهلكم وأجوافكم عنـدي كالجيفة المنتنة! يا بني إسرائيل، آمنوا برسـولي النبي الأمي الذى يكون فى آخر الزمان، صاحب الوجه الأقمـر والجمل الأحمر، المشرب بالنور، ذي الجناب الحسـن والثياب الخشـن، سـيد الماضين عندى وأكرم الباقين عَلَيَّ، المستن بسنتي، والصائر في دارجتي، والمجاهد بيده المشركين من أجلي، فبشر به بني إسرائيل ومر بني إسرائيل أن يعزروه وأن ينصروه.

قال عيسـى صلى الله عليه: قـدوس قدوس، من هذا العبدالصالـح الذي قد أحبه قلبـي ولم تره عيني؟ قـال: هو منك وأنت منه وهو صهرك علـى أمك، قليل الأولاد كثير الأزواج، يسـكن مكة من موضع أسـاس وطي إبراهيم، نسله من مباركة، وهي ضرة أمك فى الجنة، له شأن من الشأن، تنام عيناه ولا ينام قلبه، يأكل الهدية ولا يقبل الصدقـة، له حوض من شـفير زمـزم إلى مغيب الشـمس حيث يغـرب، فيه شرابان مـن الرحيق والتسـنيم، فيه أكاويب عدد نجوم السـماء، من شرب منـه شربة لم يظمأ بعدها أبداوذلك بتفضيلي إياه على سائر المرسلين، يوافق قوله فعله وسريرته علانيته، فطوبـى له وطوبى لأمتـه، الذين على ملته يحيون وعلى سـنته يموتون ومع أهل بيته يميلـون، آمنـين مؤمنين مطمئنين مباركـين ويظهر فى زمن قحـط وجدب فيدعوني، فترخى السماء عزاليها حتى يرى أثر بركاتها فى أكنافها، وأبارك فيما يضع فيه يده.

قال: إلهي سمه، قال: نعم هو أحمد وهو محمد رسولي إلى الخلق كافة، وأقربهم مني منزلة وأحضرهم عندي شـفاعة، لا يأمر إلا بما أحب وينهى لما أكره. قال له صاحبه: فأنى تقدم بنا على من هذه صفته؟

قال: نشـهد أحواله ونظر آياته فإن يكن هو هو سـاعدناه بالمسـالمة، ونكفه بأموالنا عن أهل ديننا من حيث لا يشـعر بنا، وإن يكن كاذباً كفيناه بكذبه على الله عزوجل!

قال: ولم إذا رأيت العلامة لا تتبعه؟ قال: أما رأيت ما فعل بنا هؤلاء القوم أكرمونا، ومولونا ونصبوا لنا الكنائس وأعلوا فيه ذكرنا، فكيف تطيب النفس بالدخول في دين يستوي فيه الشريف والوضيع.

فلما قدموا المدينة قال من رآهم من أصحاب رسول الله ﷺ: ما رأينا وفداً من وفود العرب كانوا أجمل منهم، لهم شعور وعليهم ثياب الحبر، وكان رسول الله متنائياً عن المسجد، فحضرت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ تلقاء المشرق فهمَّ بهم رجال من أصحاب رسول الله ﷺ فمنعهم، فأقبل رسول الله فقال: دعوهم فلما قضوا صلاتهم جلسوا إليه وناظروه، فقالوا: يا أبا القاسم حاجنا في عيسى، قال: هو عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فقال أحدهما: بل هو ولده وثاني اثنين. وقال آخر: بل هو ثالث ثلاثة: أب وابن وروح القدس، وقد سمعناه في قرآن نزل عليك يقول: فعلنا وجعلنا وخلقنا ولو كان واحداً لقال: خلقت وجعلت وفعلت!

فتغشى النبي ﷺ الوحي فنزل عليه صدر سورة آل عمران إلى قوله رأس الستين، منها: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. آل عمران: ٦١.

فقص عليهم رسول الله ﷺ القصة وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم: لبعض: قد والله أتاكم بالفصل من خبر صاحبكم. فقال لهم رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل قد أمرني بمباهلتكم، فقالوا: إذا كان غداً باهلناك. فقال القوم بعضهم لبعض: حتى ننظر بما يباهلنا غداً بكثرة أتباعه من أوباش الناس أم بأهله من أهل الصفوة والطهارة، فإنهم وشيج الأنبياء وموضع نهلهم.

فلما كان من غد غدا النبي ﷺ بيمينه علي وبيساره الحسن والحسين عليهما السلام ومن ورائهم فاطمة صلى الله عليها، عليهم النمار النجرانية، وعلى كتف رسول الله كساء قطواني رقيق خشن ليس بكثيف ولا لين، فأمر بشجرتين فكسح ما بينهما ونشر الكساء عليهما وأدخلهم تحت الكساء وأدخل منكبه الأيسر معهم تحت

الكساء، معتمداً على قوسه النبع، ورفع يده اليمنى إلى السماء للمباهلة، واشرأب الناس ينظرون، واصفرَّ لون السيد والعاقب وكرَّا حتى كادت أن تطيش عقولهما فقال أحدهما لصاحبه: أنباهله؟ قال: أوَما علمت أنه ما باهل قوم قط نبياً فنشأ صغيرهم وبقي كبيرهم؟! ولكن أره أنك غير مكترث وأعطه من المال والسلاح ما أراد، فإن الرجل محارب، وقل له: أبهؤلاء تباهلنا لئلا يرى أنه قد تقدمت معرفتنا بفضله وفضل أهل بيته.

فلما رفع النبي صلى الله عليه وآله يده إلى السماء للمباهلة قال أحدهما لصاحبه: وأي رهبانية! دارك الرجل فإنه إن فاه ببهلة لم نرجع إلى أهل ولا مال! فقالا: يا أبا القاسم أبهؤلاء تباهلنا؟ قال: نعم، هؤلاء أوجه من على وجه الأرض بعدي إلى الله عزوجل وجهة وأقربهم إليه وسيلة، قال: فبصبصا يعني ارتعدا وكرَّا وقالا له: يا أبا القاسم نعطيك ألف سيف وألف درع وألف حجفة وألف دينار كل عام، على أن الدرع والسيف والحجفة عندك إعارة حتى يأتي من وراءنا من قومنا فنعلمهم بالذي رأينا وشاهدنا فيكون الأمر على ملأ منهم، فإما الإسلام وإما الجزية وإما المقاطعة في كل عام. فقال النبي صلى الله عليه وآله: قد قبلت ذلك منكما. أما والذي بعثني بالكرامة لو باهلتموني بمن تحت الكساء لأضرم الله عزوجل عليكم الوادي ناراً تأجج، حتى يساقها إلى من وراءكم في أسرع من طرفة العين فأحرقتم تأججاً! فهبط عليه جبرئيل الروح الأمين عليه السلام فقال: يا محمد الله يقرؤك السلام ويقول لك: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو باهلت بمن تحت الكساء أهل السماوات وأهل الأرض لتساقطت السماء كسفاً متهافتة، ولتقطعت الأرضون زبراً سائحة، فلم تستقر عليها بعد ذلك! فرفع النبي صلى الله عليه وآله يديه حتى رئي بياض إبطيه، ثم قال: وعلى من ظلمكم حقكم، وبخسني الأجر الذى افترضه الله فيكم عليهم بهلة الله تتابع إلى يوم القيامة».

أقول: هذه الرواية من أقوى الرويات فى المباهلة، ولعلها أقواها على الإطلاق.

وفى الإرشاد: ١٦٨/١: «فقال الأسقف: يا أبا القاسم إنا لا نباهلك ولكنا نصالحك، فصالحنا على ما ننهض به. فصالحهم النبي صلى الله عليه وآله على ألفي حلة من حلل الأواقي، قيمة كل حلة أربعون درهماً جياداً، فما زاد أو نقص كان بحساب ذلك، وكتب لهم

النبيﷺ كتاباً بما صالحهم عليه وكان الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لنجران وحاشيتها في كل صفراء وبيضاء وثمرة ورقيق، لا يؤخذ منهم شئ غير ألفي حلة من حلل الأواقي ثمن كل حلة أربعون درهماً، فما زاد أو نقص فبحساب ذلك، يؤدون ألفاً منها في صفر وألفاً منها في رجب، وعليهم أربعون ديناراً مثواة رسولي فما فوق ذلك وعليهم في كل حدث يكون باليمن من كل ذي عدن عارية مضمونة ثلاثون درعاً وثلاثون فرساً وثلاثون جملاً مضمونة، لهم بذلك جوار الله وذمة محمد بن عبدالله، فمن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة». مكاتيب الرسولﷺ ٢/٤٨٩ و٤٩٤.

وفي رواية الإقبال/٣٤٣: « أمهلهم وأمهلوه ثلاثاً، فلم يدعهم ولم يسألوه، لينظروا إلى هديه ويعتبروا ما يشاهدون منه مما يجدون من صفته. فلما كان بعد ثالثة دعاهم إلى الإسلام فقالوا: يا أبا القاسم ما أخبرتنا كتب الله عزوجل بشئ من صفة النبي المبعوث بعد الروح عيسىعليه السلام إلا وقد تعرفناه فيك إلا خلة هي أعظم الخلال آية ومنزلة وأجلاها أمارة ودلالة. قالﷺ: وما هي؟ قالوا: إنا نجد في الإنجيل من صفة النبي الغابر من بعد المسيح أنه يصدق به ويؤمن به وأنت تسبه وتكذب به وتزعم أنه عبد! قال: فلم تكن خصومتهم ولامنازعتهم للنبي إلا في عيسىعليه السلام. فقال النبيﷺ: لا، بل أصدقه وأصدق به وأؤمن به، وأشهد أنه النبي المرسل من ربه عزوجل وأقول: إنه عبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. قالوا: وهل يستطيع العبد أن يفعل ما كان يفعل؟ وهل جاءت الأنبياء بما جاء به من القدرة القاهرة؟ ألم يكن يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص، وينبئهم بما يكنون في صدورهم وما يدخرون في بيوتهم؟ فهل يستطيع هذا إلا الله عزوجل أو ابن الله؟ وقالوا في الغلو فيه وأكثروا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً! فقالﷺ: قد كان عيسى أخي كما قلتم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخبر قومه بما في نفوسهم، وبما يدخرون في بيوتهم، وكل ذلك بإذن الله عزوجل، وهو لله

عزوجل عبد، وذلك عليه غير عار، وهو منه غير مستنكف، فقد كان لحماً ودماً وشعرًا وعظماً وعصباً وأمشاجاً، يأكل الطعام ويظمأ وينصب. بارؤه وربه الأحد الحق الذى ليس كمثله شئ وليس له ند. قالوا: فأرنا مثله من جاء من غير فحل ولا أب؟ قال: هذا آدمﷺ أعجب منه خلقاً جاء من غير أب ولا أم! وتلا عليهم: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. آل عمران: ٥٩.

٤. كتاب الصلح مع أهل نجران

وفي مكاتيب الرسول: ١٥٢/٣: «كتابهﷺ لأهل نجران: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي رسول الله محمد لنجران، إذ كان له عليهم حكمه في كل ثمرة وصفراء وبيضاء وسوداء ورقيق، فأفضل عليهم وترك ذلك: ألفى حلة حلل الأواقي في كل رجب ألف حلة، وفى كل صفر ألف حلة، كل حلة أوقية وما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب، وما قصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب. وعلى نجران مثواة رسلي شهراً فدونه، ولا يحبس رسلي فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعاً، وثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة، وما هلك مما أعاروا رسلي من خيل أو ركاب فهم ضمن يردوه إليهم، ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم، وأموالهم، وبيعهم، ورهبانيتهم وأساقفتهم، وغائبهم وشاهدهم، وكلما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعيرهم وبعثهم، وأمثلتهم، لا يغير ما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم وأمثلتهم». **ثم أورد نصوصه بفروقاتها، ومنها نص المفيد المتقدم.**

راجع: تفسير العياشي: ١٧٥/١، **ابن هشام**: ٤١٢/٢ **وتفسير القمي**: ١٠٤/١.

٥. سمع اليهود بمجيئ وفد النصارى فحضروا معهم

فى الإرشاد: ١٦٦/١: «فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فصار إليهم اليهود وتساءلوا بينهم فقالت النصارى لهم: لستم على شئ وقالت لهم اليهود: لستم على شئ! وفي ذلك أنزل الله سبحانه: وقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ

النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيسَتِ الْيهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يتْلُونَ الْكتَابَ كذَلِك قَالَ الَّذِينَ لايعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يحْكمُ بَينَهُمْ يوْمَ الْقِيامَةِ فِيمَا كانُوا فِيهِ يخْتَلِفُون».

وفي تفسير فرات/٨٩، عن علي عليه السلام قال: «لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وآله قدم فيهم ثلاثة من النصارى من كبارهم: العاقب وقيس والأسقف، فجاؤوا إلى اليهود وهم في بيت المدارس، فصاحوا بهم: ياإخوة القردة والخنازير هذا الرجل بين ظهرانيكم قد غلبكم، إنزلوا إلينا. فنزل إليهم ابن صوريا اليهودي وكعب بن الأشرف اليهودي، فقالوا لهم: إحضروا غداً نمتحنه. قال: وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا صلى الصبح قال: هاهنا من الممتحنة أحد؟ فإن وجد أحداً أجابه وإن لم يجد أحداً قرأ على أصحابه ما نزل عليه فى تلك الليلة. فلما صلى الصبح جلسوا بين يديه فقال له الأسقف: يا أبا القاسم فداك أبي: موسى من أبوه؟ قال: عمران. قال: فيوسف من أبوه؟ قال: يعقوب. قال: فأنت فداك أبي وأمي من أبوك؟ قال: عبدالله بن عبدالمطلب. قال: فعيسى من أبوه؟ قال: فسكت النبي صلى الله عليه وآله وكان رسول الله ربما احتاج إلى شئ من المنطق فينقض عليه جبرئيل عليه السلام من السماء السابعة فيصل له منطقه فى أسرع من طرفة عين، فذاك قول الله تعالى: وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر. قال: فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: هو روح الله وكلمته فقال له الأسقف: يكون روح بلا جسد؟ قال: فسكت النبي صلى الله عليه وآله. قال: فأوحى إليه: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كنْ فَيكونُ.. قال: فنزا الأسقف نزوةً إعظاماً لعيسى عليه السلام أن يقال له: من تراب. ثم قال: ما نجد هذا يا محمد في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا نجد هذا إلاعندك! قال: فأوحى الله إليه: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ.. فقالوا: أنصفتنا يا أبا القاسم فمتى موعدك؟ قال: بالغداة إن شاء الله. قال: فانصرف اليهود وهم يقولون: لا إله إلا الله، ما نبالي أيها أهلك الله: النصرانية أو الحنيفية».

وفي سيرة ابن هشام: ٢/٣٩٠: «قال ابن إسحاق: ولما قدم أهل نجران من

النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله ﷺ فقال رافع بن حريملة: ما أنتم على شيء، وكفروا بعيسى وبالإنجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم: وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام وفي الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام، من تصديق موسى عليه السلام، وما جاء به من التوراة من عند الله، وكل يكفر بما في يد صاحبه».

وفي سيرة ابن هشام: ٢/٣٥: «وقال أبو رافع القرظي: حين اجتمعت الأحبار من يهود والنصارى من أهل نجران، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني، يقال له: الرئيس: أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا؟ أو كما قال. فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره، فما بذلك بعثني الله ولا أمرني، أو كما قال. فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما: مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

٦. مستحبات يوم المباهلة

قال في الجواهر: ١٧/١٠٩: «وهو اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة، قيل وهو الذي تصدق فيه أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه في ركوعه فنزل قوله تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وأظهر الله فيه نبيه ﷺ على خصمه. فهو حينئذ أشرف الأيام الذي ينبغي فيه الصيام شكراً لهذه النعم الجسام والمنن العظام».

وفي مصباح المتهجد/٧٦٤: «عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: يوم المباهلة اليوم الرابع

والعشرون من ذي الحجة، تصلي في ذلك اليوم ما أردت من الصلاة، فكلما صليت ركعتين استغفرت الله تعالى بعقبها سبعين مرة، ثم تقوم قائماً وترمي بطرفك في موضع سجودك وتقول وأنت على غسل: الحمد لله رب العالمين، الحمد لله فاطر السماوات والأرض...».

٧. مسائل في المباهلة

المسألة الأولى: المباهلة ابتكار إسلامي، معناها أن الله تعالى تكفل بنصرة صاحب الحق وخذلان صاحب الباطل، فهي ميزان مهم إذا أحسن الناس استعماله.

وآيتها نزلت في محاجة النبي ﷺ لعلماء النصارى: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ.الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ .«آل عمران: ٥٩-٦١» لكنها لا تختص بالنبي ﷺ ولا بألوهية المسيح عليه السلام بل تصح من كل الناس في مسائل العقيدة.

وقد أفتى الفقهاء بجواز مباهلة المعاند، وعقد في الكافي: ٥١٣/٢ باباً بعنوان: باب المباهلة، روى فيه خمسة أحاديث، منها بسند صحيح عن أبي مسروق عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قلت: إنا نكلم الناس فنحتج عليهم بقول الله عز وجل: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ، فيقولون: نزلت في أمراء السرايا، فنحتج عليهم بقوله عز وجل: إنما وليكم الله ورسوله إلى آخر، الآية فيقولون: نزلت في المؤمنين، ونحتج عليهم بقول الله عز وجل: قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، فيقولون نزلت في قربى المسلمين! قال: فلم أدع شيئاً مما حضرني ذكره من هذه وشبهه إلا ذكرته. فقال لي: إذا كان ذلك فادعهم إلى المباهلة، قلت: وكيف أصنع؟ قال: أصلح نفسك ثلاثاً، وأظنه قال وصم واغتسل، وابرز أنت وهو إلى الجبان، فشبك أصابعك من يدك اليمنى في أصابعه، ثم أنصفه وابدأ بنفسك وقل: اللهم رب السماوات السبع ورب

الأرضين السبع، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إن كان أبو مسروق جحد حقاً وادعى باطلاً، فأنزل عليه حسباناً من السماء أو عذاباً أليماً. ثم رد الدعوة عليه فقل: وإن كان فلان جحد حقاً وادعى باطلاً فأنزل عليه حسباناً من السماء أو عذاباً أليماً. ثم قال لي: فإنك لاتلبث أن ترى ذلك فيه! فوالله ما وجدت خلقاً يجيبني إليه»!

وقال المفيد في تصحيح اعتقادات الإمامية/٧١: «وقال عليه السلام لطائفة من أصحابه: بينوا للناس الهدى الذي أنتم عليه، وبينوا لهم ضلالهم الذي هم عليه، وباهلوهم في علي بن أبي طالب عليه السلام، فأمر بالكلام ودعا إليه وحث عليه».

وقال الحر العاملي في هداية الأمة ٣/١٢١: «تستحب مباهلة العدو والخصم... يستحب غسل المباهلة.. يستحب الصوم قبلها والخروج إلى الجبان..دعاء كل منهما على نفسه سبعين مرة ثم على خصمه سبعين مرة.. أن يشبك كل منهما أصابعه في أصابع الآخر ويدعو بالمأثور.. يستحب كونها بين طلوع الفجر وطلوع الشمس».

وقال السيد السبزواري في تفسيره: مواهب الرحمن ٦/٣١: «المباهلة نوع من الدعاء والإبتهال والتضرع والتبتل إلى الله تعالى لإثبات حق عَلم به. وهي عادة جارية بين الناس في جميع الملل والأقوام ممن يعتقد بوجود عالم الغيب وراء هذا العالم المادي، فتكون نظير صلاة الإستسقاء أو الإستخارة و نحوهما.

والمستفاد من الآيات الشريفة وما ورد في شأنها من السنة المقدسة أنها تتقوم بأمرين: الأول: ثبوت حق علم بأنه حق قد سبق الإعلام به بالحجة والبيان، وبعد اليأس عن الفائدة فيهما يرجع بالدعاء واللعان واللجوء إلى الأمر الغيبي الذي يعترف به الخصمان، و هذا يدل عليه قوله تعالى: فَمَنْ حَاجَّكَ فيه، أي في الحق المعلوم. الثاني: وجود الرابط بين عالم الغيب وعالم المادة، إما في شخص الرسول أو من يقوم مقامه علماً وعملاً، أو حالة الإنكسار والخضوع والتضرع التي تكون رابطة حالية، فإذا تحقق هذان الأمران تجوز المباهلة لإثبات الحق بالتماس من عالم الغيب، فلا تختص المباهلة بمورد خاص...

و للمباهلة آداب خاصة مذكورة في أبواب الدعاء، ولا ريب في تقومها بمن يقوم به

الإحتجاج وإظهار الحق وهو في المقام نفس رسول الله ﷺ.

وحيث إنها تدل على الملاعنة والهلاك يكون إحضار من يريده صاحب الحق أولى في الإحتجاج وأثبت للمدعى وأقطع لدعوى الخصم، ولأن الإجتماع في الدعاء والتأمين عليه مرغوب اليه كثيراً في السنة المقدسة».

المسألة الثانية: قوله تعالى: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ. أي جاءك العلم من الله بأمر عيسى عليه السلام، فصار عندك حجة من الله وبينتها للناس فتمت عليهم الحجة، فمن جادلك ليبطل حجتك بزعمه فهو مكابر، فلا تجادله بل ادعه إلى المباهلة. فطالب الحق يُبين له وتُقام عليه الحجة، لكن المُحَاجّ مجادل، يُعرض عنه، أو يدعى إلى المباهلة.

المسألة الثالثة: المباهلة دعاء، وهي بنفس الوقت منازلة وتوسل. والمنازلة تقتضي أن تضرب الخصم بأقوى أسلحتك. والتوسل إلى الله تعالى في المنازلة يقتضي أن تتقرب إلى الله بأقوى الناس وسيلة عنده ليستجيب دعاءك على خصمك.

ولما قال الله لرسوله ﷺ: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. واختار ﷺ للمباهلة بأمر ربه خاصة عترته، فمعناه أنهم أقوى سلاح رباني، لا يخطئ ولا ينهزم، وأنهم أقرب الناس وسيلة إلى الله تعالى، فلا يخيب من توسل بهم، ولا يرد دعاءه.

المسألة الرابعة: تدل المباهلة على أن الذين باهل الله بهم أفضل أهل الأرض، وكل كلام في تفضيل غيرهم عليهم، أو مساواته بهم، ردٌّ عملي على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ، وصاحبه ذو غرض وذو مرض، وانقطع الخطاب.

المسألة الخامسة: يمثل المباهَل بهم الأمة كلها: المباهل ونفسه والأبناء والنساء. فهم القيادة النبوية وورثتها، وهم البنت والأم والزوجة والأبناء، وهم مكونات المجتمع الإنساني، يباهل بهم قيادة المسيحيين وأبناءهم ونساءهم، ويباهل من ادعى للأم مريم وابنها عيسى ألوهيةً ومقاماً غير صحيح.

المسألة السادسة: قوله: تعَالوا نَدْعُ. معناه: أُحضروا أنتم إلى مكان المنازلة والمباهلة، وأحضروا مكونات دينكم ومجتمعكم. وروي أن كبير القساوسة ومعاونه أحضرا ولديهما: (وغدا العاقب والسيد بابنين لهما، عليهما الدر والحلي وقد حفوا بأبي حارثة) اليعقوبي ٢/٨٢. ولم يقل تعالوا نحضرهم، بل قال ادعوهم للحضور، لأنهم حسب المفروض شخصيات مستقلة يُدعون دعوةً.

المسألة السابعة: تعالوا ندعوهم الحضور في المكان المحدد للمباهلة، وقبلها كانت المناظرة في المسجد، لكن المباهلة ينبغي أن تكون تحت السماء، في مكان اختاره النبي صلى الله عليه وآله يقع اليوم في شارع الستين، ومشى صلى الله عليه وآله أمام المسلمين مسافة، حتى وصلوا إلى قرب المكان فقال لهم قفوا أنتم هنا، وتقدم المباهلون معه فقط!

المسألة الثامنة: قال بعضهم إن المباهلة الملاعنة، فجعل الدعاء على الخصم بمعنى ملاعنته، تشبيهاً بملاعنة الزوج إذا تبرأ من ولده ولاعنَ زوجته. ويصح ذلك مجازاً لأنها دعاء يترتب عليه جعل اللعنة على المبطل. لكن الآية قالت: فنبتهل ولم تقل فنتباهل، أي فندعو، وينتج عنه أن تكون اللعنة على الكاذب.

قال ابن فارس في المقاييس ١/٣١١: (أصول ثلاثة: أحدها التخلية، والثاني جنس من الدعاء، والثالث قلة في الماء.. وأما الآخر فالإبتهال والتضرع في الدعاء. والمباهلة ترجع إلى هذا فإن المتباهلين يدعو كل واحد منهما على صاحبه).

فمعنى تعالوا نبتهل: تعالوا ندعو أن يظهر الله الحق وينتقم من المبطل. وجزم فنبتهل لأنه جواب تعالوا مثل ندعو، وجزم نجعل لأنه جواب نبتهل، وهو يدل على أن الله تعالى جعل اللعنة مترتبة على المباهلة ومحققة بها.

المسألة التاسعة: ذكرت الآية أبناءنا بصيغة الجمع، والمقصود بهم الحسن والحسين عليهما السلام فقط، وهما مثنى، وذكرت نساءنا بالجمع والمقصود فاطمة عليها السلام فقط، وهي مفرد. ومثله كثير في القرآن وفي لغة العرب حيث يذكر الجمع ويقصد به المفرد أو المثنى. وذكرت الآية أنفسنا بالجمع، والمقصود بها شخص واحد هو أمير المؤمنين عليه السلام، ولا

يصح أن تشمل النبي صلى الله عليه وآله لأنه الداعي ولا يدعو نفسه.

قال الشيخ المفيد رحمه الله في الفصول المختارة/٣٨: (قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام: أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن.

قال فقال له الرضا عليه السلام: فضيلته في المباهلة، قال الله جل جلاله: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضع نساءه، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عز وجل، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم الله عز وجل.

قال فقال له المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله ابنيه خاصة وذكر النساء بلفظ الجمع وإنما دعا رسول الله ابنته وحدها، فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون لأمير المؤمنين ما ذكرت من الفضل؟

قال فقال له الرضا عليه السلام: ليس بصحيح ما ذكرت يا أمير المؤمنين وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما يكون الأمر آمراً لغيره، ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة، كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله رجلاً في المباهلة إلا أمير المؤمنين فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه وجعل حكمه ذلك في تنزيله. قال فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال).

وتعبير أنفسنا في الآية، يعني أنه نفس النبي صلى الله عليه وآله إلا ما اختص به من نبوة، وهو يشرح المقصود من أقوال النبي صلى الله عليه وآله: علي مني وأنا منه، ومَن أطاعه أطاعني ومن عصاه عصاني، ومَن سبه سبني، ومَن كنت مولاه فعلي مولاه، وأنا وعلي من شجرة واحدة والناس من شجر شتى، وأنا وعلي كالضوء من الضوء، وكنت وعلياً نوراً قبل أن يخلق الله الخلق، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى..

إلى آخر كلماته المضيئة التي تبين مكانة علي عليه السلام وأنه بحكم نفسه إلا ما استثني.

فلا يبقى مجال لتفضيل غيره عليه، ولا لتقديم غيره عليه في الفضائل، ولا في قيادة الأمة وإمامتها، ولا في الموالاة والمودة ولا في تلقي علم النبي صلى الله عليه وآله؟!

المسألة العاشرة: «الحسنان عليهما السلام أبناء النبي صلى الله عليه وآله بحكم الآية، ولقوله صلى الله عليه وآله: يا علي، ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وجعل ذريته من صلبه، وجعل ذريتي من صلبك، ولولاك ما كانت لي ذرية». الفقيه ٣٦٥/٤.

وقال الإمام الباقر عليه السلام الكافي ٣١٨/٨ في قوله تعالى: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ.. وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ: فسلهم يا أبا الجارود: هل كان يحل لرسول الله صلى الله عليه وآله نكاح حليلتيهما؟ فإن قالوا: نعم كذبوا وفجروا، وإن قالوا: لا، فهما ابناه لصلبه».

وروى مخالفونا قول النبي صلى الله عليه وآله: «كل ولد أم فإن عصبتهم لأبيهم، ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم». كبير الطبراني ٣ /٤٤، الزوائد ٢٢٤/٤ و ٣٠١/٦.

وقال علماؤهم: «وأولاد بناته ينسبون إليه لحديث: إن ابني هذا سيد مشيراً إلى الحسن. وفي حديث: إن الله لم يبعث نبياً قط إلا جعل ذريته من صلبه غيري، فإن الله جعل ذريتي من صلب علي. دون أولاد بنات غيره فينسبون إلى آبائهم. قال تعالى: أُدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ». كشاف القناع ٣١/٥.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار ١٣٩/٦: «قال السخاوي: وقد كنت سئلت عن هذا الحديث وبسطت الكلام عليه، وبينت أنه صالح للحجة».

المسألة الحادية عشرة: الآية نص في التوسل، حتى بالأقل درجة من المتوسَّل: «ثم جثى صلى الله عليه وآله بركبتيه وجعل علياً أمامه بين يديه وفاطمة بين كتفيه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره، وهو يقول لهم: إذا دعوت فأمِّنوا، فقال الأسقف: جثى والله محمد كما يجثو الأنبياء للمباهلة». مناقب آل أبي طالب ١٤٤/٣.

ومعنى: إذا دعوت فأمنوا: أن تأمينهم جزء من الإبتهال، وهو توسل بهم.

هذا، وفي الآية مسائل أخرى مهمة، اكتفينا بما تقدم.

الفصل السبعون

حجة الوداع

١- أجواء حجة الوداع

أ. أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالحج ونزل عليه قوله تعالى: وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. قال الإمام الصادق عليه السلام: «فأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى أصواتهم: بأن رسول الله يحج في عامه هذا، فعلم به من حضر المدينة وأهل العوالي والأعراب، واجتمعوا لحج رسول الله صلى الله عليه وآله.

فكتب إلى من بلغه كتابه ممن دخل في الإسلام: أن رسول الله صلى الله عليه وآله يريد الحج، يؤذنهم بذلك ليحج من أطاق الحج». الكافي: ٤/٢٤٤.

وأرسل النبي صلى الله عليه وآله رُسُلَهُ يدعون الناس الى الحج، وبلغت دعوته أقاصي بلاد الإسلام، فتجهز الناس للخروج معه، وحضر الى المدينة خلق كثير، ووافاه في الطريق خلائق، وكانوا مد البصر، كلهم يريد أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وآله ويعمل مثل عمله. البحار: ٢١/٣٨٤ والصحيح من السيرة: ٣٠/٢٨٨.

ب. في الحج أخبرهم أنه يوشك أن يدعى فيجيب، وأنهم قد لا يرونه بعد عامهم هذا، فسماها الناس حجة الوداع، وأقرّ هذا الإسم أهل البيت عليهم السلام.

ففي الكافي: ٧/٣٧٣ قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال: أيها الناس إسمعوا ما أقول لكم واعقلوه عني، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا، ثم قال: أي يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم

قال: فأي شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشهر، قال: فأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد، قال: فإن دماء كم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقونه، فيسألكم عن أعمالكم. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: اللهم اشهد..».

جـ- هدف النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع: إتمام تبليغ الإسلام، ومنه تبليغ مناسك الحج، حيث قال لهم: خذوا عني مناسك حجكم. حجوا كما رأيتموني أحج.

لكن الهدف الأهم عنده صلى الله عليه وآله التأكيد على خلافة علي والأئمة من عترته عليهم السلام، وتحذير الأمة من مخالفته فيهم بأن من يخالفه فيهم لا يوافيه على الحوض.

ولا ننس أن حجة الوداع كانت بعد شهرين من محاولة اغتياله صلى الله عليه وآله فى رجوعه من تبوك. لقد استبطأت قريش موته لتأخذ دولته كما قال علي عليه السلام، فأعلن قرب وفاته ليطمئنهم بأنه مغادر عن قريب فليكفُّوا عن محاولة اغتياله، أو إعلان الردة وإعادة العرب الى وثنيتهم، بحجة أن محمداً يريد بناء ملك لعترته عليهم السلام!

لكن قريشاً لم تقنع بتطمينه صلى الله عليه وآله، فحاولت اغتياله فى عودته من حجة الوداع!

د. خرج النبي صلى الله عليه وآله من المدينة يوم الخميس السادس والعشرين من ذي القعدة «لأربع بقين منه» وبات في ذي الحليفة «مسجد الشجرة». وفي اليوم التالي أحرم وتحرك بالمسلمين نحو مكة، فوصلها لأربع مضين من ذي الحجة.

أما رجوعه الى المدينة فكان في العشر الأخير من ذي الحجة، ولم أجد من حدده.

وأما عدد الذين حضروا حجة الوداع فتفاوتت الرواية في عددهم بين سبعين ألفاً، ومئة وأربع وعشرين ألفاً.

هـ. روى المسلمون عن النبي صلى الله عليه وآله أحاديث عديدة من حجة الوداع، وأجزاءً من الخطب الست التى خطبها: عندما وصل الى مكة، ثم في عرفات، ثم في منى عند جمرة العقبة يوم العيد وثاني العيد، ثم في اليوم الثالث في مسجد الخيف، ثم في عودته في غدير خم عند الجحفة.

وتضمنت توجيهاته ووصاياه لأمته، وقد أخفى رواة الحكومة منها أكثر ما يتعلق

بأهل البيت عليهم السلام وهو بضع عشرة مادة، وسيأتي ذكر مضامينها.

و. عن جابر قال: «طاف رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة، ليراه الناس وليشرف عليهم ليسألوه، فإن الناس غَشَوْهُ».

أي أحاطوا به وزاحموه. تذكرة الفقهاء: ١١١/٨.

٢- صفة حج النبي صلى الله عليه وآله عند أهل البيت عليهم السلام

في الكافي: ٢٤٤/٤، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لم يحج النبي صلى الله عليه وآله بعد قدومه المدينة إلا واحدة، وقد حج بمكة مع قومه حجات مستسراً في كلها... فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أربع بقين من ذي القعدة، فلما انتهى إلى ذي الحليفة زالت الشمس فاغتسل، ثم خرج حتى أتى المسجد الذي عند الشجرة فصلى فيه الظهر وعزم بالحج مفرداً» سألته: أليلاً أحرم رسول الله أم نهاراً؟ فقال: نهاراً. قلت: أية ساعة؟ قال: صلاة الظهر «وخرج حتى انتهى إلى البيداء عند الميل الأول، فصُفَّ له سماطان فلبى بالحج مفرداً، وساق الهدي ستاً وستين، حتى انتهى إلى مكة في سلخ أربع من ذي الحجة، فطاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه، وقد كان استلمه في أول طوافه.

ثم قال: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ الله. فأبدأ بما بدأ الله تعالى به. وإن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شئ صنعه المشركون، فأنزل الله عز وجل: إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيتَ أَوِاعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا. ثم أتى الصفا فصعد عليه، واستقبل الركن اليماني فحمد الله وأثنى عليه ودعا مقدار ما يقرأ سورة البقرة مترسلاً، ثم انحدر إلى المروة فوقف عليها كما وقف على الصفا، ثم انحدر وعاد إلى الصفا فوقف عليها، ثم انحدر إلى المروة حتى فرغ من سعيه. فلما فرغ من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن هذا جبرئيل وأومأ بيده إلى خلفه يأمرني أن آمر من لم يسق هدياً أن يحل، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لصنعت مثل ما

أمرتكم، ولكني سقت الهدي، ولا ينبغي لسائق الهدي أن يحل حتى يبلغ الهدي محله.

قال: فقال له رجل من القوم«عمر»: لنخرجن حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر! فقال له رسول الله ﷺ: أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً! فقال له سراقة بن مالك بن جعشم الكناني: يا رسول الله علمنا ديننا كأنا خلقنا اليوم، فهذا الذي أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل؟ فقال له رسول الله ﷺ: بل هو للأبد إلى يوم القيامة ثم شبك أصابعه وقال: دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة.

قال: وقدم علي عليه السلام من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة، فدخل على فاطمة سلام الله عليها وهي قد أحلت، فوجد ريحاً طيبة ووجد عليها ثياباً مصبوغة فقال: ما هذا يا فاطمة؟ فقالت أمرنا بهذا رسول الله ﷺ.

فخرج علي عليه السلام إلى رسول الله ﷺ مستفتياً فقال: يا رسول الله إني رأيت فاطمة قد أحلت وعليها ثياب مصبوغة؟ فقال رسول الله ﷺ: أنا أمرت الناس بذلك فأنت يا علي بمَ أهللت؟ قال: يا رسول الله إهلالاً كإهلال النبي، فقال له رسول الله ﷺ: قُرَّ على إحرامك مثلي، وأنت شريكي في هديي.

قال: ونزل رسول الله ﷺ بمكة بالبطحاء هو وأصحابه، ولم ينزل الدور، فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا ويهلوا بالحج، وهو قول الله عز وجل الذي أنزل على نبيه ﷺ: فاتَّبِعُوا مِلَّةَ إبْرَاهِيم.

فخرج النبي ﷺ وأصحابه مُهِلِّين بالحج حتى أتى منى فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر، ثم غدا والناس معه، وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهي جُمع ويمنعون الناس أن يفيضوا منها، فأقبل رسول الله ﷺ وقريش ترجو أن تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون، فأنزل الله تعالى عليه: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ، يعني إبراهيم وإسماعيل وإسحاق في إفاضتهم منها ومن كان بعدهم، فما رأت قريش أن قبة رسول الله ﷺ قد مضت كأنه دخل في أنفسهم شئ للذي كانوا يرجون من الإفاضة من مكانهم، حتى انتهى إلى نمرة، وهي بطن عرنة بحيال الأراك، فضربت قبته، وضرب الناس أخبيتهم عندها.

فلما زالت الشمس خرج رسول الله ﷺ ومعه قريش، وقد اغتسل وقطع التلبية، حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وأمرهم ونهاهم، ثم صلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم مضى إلى الموقف فوقف به، فجعل الناس يبتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها فنحاها، ففعلوا مثل ذلك فقال: أيها الناس ليس موضع أخفاف ناقتي بالموقف، ولكن هذا كله وأومأ بيده إلى الموقف، فتفرق الناس. وفعل مثل ذلك بالمزدلفة، فوقف الناس حتى وقع القرص قرص الشمس، ثم أفاض وأمر الناس بالدعة حتى انتهى إلى المزدلفة، وهو المشعر الحرام فصلى المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين، ثم أقام حتى صلى فيها الفجر، وعجل ضعفاء بني هاشم بليل وأمرهم أن لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس، فلما أضاء له النهار أفاض، حتى انتهى إلى منى فرمى جمرة العقبة.

وكان الهدي الذي جاء به رسول الله ﷺ ستاً وستين وجاء علي بأربع وثلاثين فنحر رسول الله ﷺ ستة وستين ونحر علي عليه السلام أربعة وثلاثين بدنة، وأمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم، ثم تطرح في برمة ثم تطبخ، فأكل رسول الله ﷺ وعلي وحَسَيا من مرقها، ولم يعطيا الجزارين جلودها ولا جلالها ولا قلائدها وتصدق به، وحلق، وزار البيت ورجع إلى منى، وأقام بها حتى كان اليوم الثالث من آخر أيام التشريق.

ثم رمى الجمار ونفر، حتى انتهى إلى الأبطح، فقالت له عايشة: يا رسول الله ترجع نساؤك بحجة وعمرة معاً وأرجع بحجة؟ فأقام بالأبطح وبعث معها عبدالرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم، فأهلت بعمرة ثم جاءت وطافت بالبيت وصلت ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السلام وسعت بين الصفا والمروة، ثم أتت النبي ﷺ فارتحل من يومه، ولم يدخل المسجد الحرام ولم يطف بالبيت. ودخل من أعلى مكة من عقبة المدنيين، وخرج من أسفل مكة من ذي طوى.

وذكر أنه حيث لبى قال: لبيك اللهم لبيك لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك. وكان رسول الله ﷺ يكثر من ذي

المعارج، وكان يلبي كلما لقي راكباً، أو علا أكمةً، أو هبط وادياً، ومن آخر الليل، وفي إدبار الصلوات. فلما دخل مكة دخل من أعلاها من العقبة وخرج حين خرج من ذي طوى، فلما انتهى إلى باب المسجد استقبل الكعبة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على أبيه إبراهيم، ثم أتى الحجر فاستلمه، فلما طاف بالبيت صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم ودخل زمزم فشرب منها، ثم قال: اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء وسقم. فجعل يقول ذلك وهو مستقبل الكعبة ثم قال لأصحابه: ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر، فاستلمه، ثم خرج إلى الصفا.

الذي كان على بُدْن رسول الله ﷺ ناجية بن جندب الخزاعي الأسلمي. والذي حلق رأس النبي ﷺ في حجته معمر بن عبدالله بن حارثة. قال: ولما كان في حجة رسول الله ﷺ وهو يحلقه قالت قريش: أي معمر، أذن رسول الله ﷺ في يدك وفي يدك الموسى! فقال معمر: والله إني لأعده من الله فضلاً عظيماً عَلَيّ، قال: وكان معمر هو الذي يرحل لرسول الله فقال رسول الله ﷺ: يا معمر إن الرحل الليلة لمسترخٍ فقال معمر: بأبي أنت وأمي لقد شددته كما كنت أشده، ولكن بعض من حسدني مكاني منك يا رسول الله أراد أن تستبدل بي، فقال رسول الله ﷺ: ما كنت لأفعل».

وفي الكافي: ٢٥٧/٤، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «لما وقف ﷺ بعرفة وهمَّت الشمس أن تغيب، قال رسول الله ﷺ: يا بلال قل للناس فلينصتوا، فلما نصتوا قال رسول الله ﷺ: إن ربكم تطوَّل عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم وشفع محسنكم في مسيئكم، فأفيضوا مغفوراً لكم، قال: وزاد غير الثمالي أنه قال: إلا أهل التبعات، فإن الله عدل يأخذ للضعيف من القوي.

فلما كانت ليلة جمع لم يزل يناجي ربه ويسأله لأهل التبعات، فلما وقف بجمع قال لبلال: قل للناس فلينصتوا، فلما نصتوا قال: إن ربكم تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم وشفع محسنكم في مسيئكم، فأفيضوا مغفوراً لكم، وضمن لأهل التبعات من عنده الرضا».

أقول: معناه أن الله تعالى ضمن لمن شملته المغفرة في عرفات أن يرْضِي عنه من له

عليه حق، فيعطيه حتى يسقط حقه عنه. ولا يمكن أن يكون هذا الحكم لكل من حج، لأنه يحج أناسٌ مشهود لهم من النبي صلى الله عليه وآله بأنهم مجرمون من أهل النار.

٣- خطب النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع

مع أن المسلمين اهتموا بحجة الوداع ورووا منها أحاديث كثيرةً، لكن رواة السلطة القرشية نَتَفُوا الأحاديث وجَزَّؤوها، وخلطوا بين مضامينها!

وسبب ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله ركز فيها على مكانة عترته عليهم السلام، وخصهم بكلام بليغ كثير، فتعمدوا إهمال ذلك لأنه إدانة لنظام الخلافة القرشي الذي قام أساساً على إقصاء العترة عليهم السلام. فذنب أحاديث حجة الوداع أن النبي صلى الله عليه وآله أنها تأمر بطاعة أهل بيته عليهم السلام، وتحذر قريشاً والصحابة من معصيتهم!

وقد راجعتُ نصوص هذه الخطب في أكثر من مائة مصدر من مصادرهم فوجدت أنها تشكل منظومة كاملة في حقوق الإنسان واحترام حريته ودمه وملكيته وكرامته، وفي مكانة القرآن والعترة!

واليك فهرساً بها، وقد أفردنا بشارته صلى الله عليه وآله بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام:

١- خطبة النبي صلى الله عليه وآله في عرفات

حسب رواية ابن شعبة الحراني رحمه الله في تحف العقول/٣٠: «الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على العمل بطاعته، وأستفتح الله بالذي هو خير.

أما بعد: أيها الناس! إسمعوا مني ما أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيها الناس: إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب. وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب.

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قَوَدٌ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن ازداد فهو من الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه قد رضي بأن يطاع فيما سوى ذلك، فيما تحتقرون من أعمالكم.

أيها الناس: إنما النسئ زيادة فى الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً، ليواطؤوا عدة ماحرم الله. وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم ثلاثة متوالية، وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حقاً، حقكم عليهن أن لايوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، وألا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإذا انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكتاب الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس: إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا تجوز لوارث وصية فى

أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر.

من ادَّعي إلى غير أبيه، ومن تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. والسلام عليكم ورحمة الله».

٢- من خطب النبي ﷺ في منى:

في تفسير علي بن إبراهيم: ١٧١/١: «وحج رسول الله ﷺ حجة الوداع لتمام عشر حجج من مقدمه المدينة، فكان من قوله بمنى أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس: إسمعوا قولي واعقلوه عني، فإني لا أدري ألقاكم بعد عامي هذا.

ثم قال: هل تعلمون أي يوم أعظم حرمة؟ قال الناس: هذا اليوم. قال: فأي شهر؟ قال الناس: هذا. قال: وأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: بلدنا هذا. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم. ألا هل بلغت أيها الناس؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد. ثم قال: ألا وكل مأثرة أو بدعة كانت في الجاهلية، أو دم أو مال فهو تحت قدمي هاتين، ليس أحد أكرم من أحد إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وكل رباً كان في الجاهلية فهو موضوع، وأول موضوع منه ربا العباس بن عبدالمطلب. ألا وكل دم كان في الجاهلية فهو موضوع، وأول موضوع دم ربيعة. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه، ولكنه راض بما تحتقرون من أعمالكم، ألا وإنه إذا أطيع فقد عبد!

ألا أيها الناس: إن المسلم أخو المسلم حقاً، لايحل لامرئ مسلم دم امرئ مسلم وماله، إلا ما أعطاه بطيبة نفس منه. وإني أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله. ألا هل بلغت أيها الناس؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: أيها الناس: إحفظوا قولي تنتفعوا به بعدي وافهموه تنعشوا، ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا، فإن فعلتم ذلك ولتفعلن! لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف! ثم التفت عن يمينه فسكت ساعة ثم قال: إن شاء الله، أو علي بن أبي طالب.

ثم قال: ألا وإني قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا، ومن خالفهما فقد هلك. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد.

ثم قال: ألا وإنه سيرد عَلَيَّ الحوض منكم رجال فيدفعون عني، فأقول: رب أصحابي؟ فيقول: يامحمد إنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك! أقول: سحقاً سحقاً.

فلما كان آخر يوم من أيام التشريق أنزل الله: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ، فقال رسول الله ﷺ: نُعِيتْ إليَّ نفسي. ثم نادى الصلاة جامعة في مسجد الخَيف، فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لايغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين ولزم جماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم. المؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

أيها الناس: إني تارك فيكم الثقلين. قالوا: يا رسول الله وما الثقلان؟ قال: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض كإصبعي هاتين وجمع بين سبابتيه، ولا أقول كهاتين وجمع سبابته والوسطى فَتَفْضُلُ هذه على هذه! فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته! فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لايردُّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً! فأنزل الله على نبيه في ذلك: أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ. أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ. الزخرف: ٧٩-٨٠.

وفي بصائر الدرجات/٤٣٣: «عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام دعا رسول الله أصحابه بمنى وقال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين، أمَا إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض.

ثم قال: أيها الناس، إني تارك فيكم حرمات الله: كتاب الله، وعترتي، والكعبة البيت الحرام. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما كتاب الله فحرفوا، وأما الكعبة فهدموا، وأما العترة فقتلوا، وكل ودايع الله فقد تَبَّروا»!

وفي الخصال/٤٨٦، بسنده عن عبدالله بن عمر قال: «نزلت هذه السورة: إذا جاء نصر الله والفتح، على رسول الله صلى الله عليه وآله في أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع، فركب راحلته العضباء فحمد الله وأثنى عليه..الى آخر رواية القمي».

وفي الكافي: ٤٠٣/١: «قال سفيان الثوري «لصاحبه»: إذهب بنا إلى جعفر بن محمد، قال فذهبت معه إليه فوجدناه قد ركب دابته، فقال له سفيان: يا أبا عبدالله حدثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف. قال: دعني حتى أذهب في حاجتي فإني قد ركبت فإذا جئت حدثتك. فقال: أسألك بقرابتك من رسول الله لما حدثتني. قال: فنزل فقال له سفيان: مر لي بدواة وقرطاس حتى أثبته، فدعا به ثم قال أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف: نضَّرَ الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم تبلغه. يا أيها الناس: ليبلغ الشاهد الغائب، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه: ثلاثٌ لايغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم. المؤمنون إخوةٌ تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم...

فكتبه سفيان ثم عرضه عليه، وركب أبو عبدالله وجئت أنا وسفيان، فلما كنا في بعض الطريق قال لي: كما أنت، حتى أنظر في هذا الحديث. قلت له: قد والله ألزم أبو عبدالله رقبتك شيئاً، لايذهب من رقبتك أبداً! فقال: وأي شئ ذلك؟ فقلت له: ثلاث لايغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، قد

عرفناه. والنصيحة لأئمة المسلمين، من هؤلاء الأئمة الذين يجب علينا نصيحتهم؟ معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم، وكل من لاتجوز الصلاة خلفهم؟ وقوله: واللزوم لجماعتهم، فأي الجماعة؟ مُرْجِئٌ يقول: من لم يصلِّ ولم يصُم ولم يغتسل من جنابة، وهادم الكعبة وناكح أمه، فهو على إيمان جبرئيل وميكائيل؟! أو قدري يقول لايكون ما شاء الله عزوجل ويكون ما شاء إبليس؟ أو حروري يتبرأ من علي بن أبي طالب ويشهد عليه بالكفر؟ أو جهمي يقول إنما هي معرفة الله وحده ليس الإيمان شئ غيرها؟!

قال: ويحك وأي شئ يقولون؟! فقلت: يقولون: إن علي بن أبي طالب والله الإمام الذي وجب علينا نصيحته. ولزوم جماعتهم: أهل بيته!

قال: فأخذ الكتاب فخرقه، ثم قال: لاتخبر بها أحداً»! .انتهى.

وفي الكافي: ٧٤/٢، **عن الإمام الباقر**عليه السلام **قال**: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع فقال: يا أيها الناس والله ما من شئ يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار، إلا وقد أمرتكم به، وما من شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه. ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحمل أحدكم استبطاء شئ من الرزق أن يطلبه بغير حله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته». راجع في تفسيرالقمي: ٣٠٣/٢، خطبته صلى الله عليه وآله في مكة، وقد أخذ بحلقة الكعبة. وفي: ٤٤٧/٢، خطبته صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف.

٣- ومن مصادر السنيين

في سنن الدارمي: ٤٧/٢: «حتى إذا زاغت يعني الشمس «يوم عرفة» أمر بالقصواء فرُحِّلَتْ له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس، وقال: إن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا إن كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة... فاتقوا الله في النساء، فإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله..

أنتم مسؤلون عني فما أنتم قائلون؟قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة فرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد».

وفي صحيح بخاري: ١٢٦/٥: **عن أبي بكرة عن النبي ﷺ قال**: «الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس ذا الحجة؟ قلنا: بلى. قال: فأي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس البلدة؟قلنا: بلى. قال: فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه! قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم- قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم- عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم. ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه». وروته المصادر: «كفاراً» ورواها بخاري وقليل غيره«ضلالاً»! أيضاً في صحيحه: ٢٤/١.

وفي صحيح مسلم: ٤١/٤: «حتى أتى عرفة..فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرُحِّلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله». فحذف وصية النبي ﷺ بعترته!

وفي ابن ماجة: ١٠٢٤/٢ **والحاكم**: ٧٧/١: «خطب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس: إني فرط لكم على الحوض، وإن سعته ما بين الكوفة إلى الحجر الأسود، وآنيته كعدد النجوم، وإني رأيت أناساً من أمتي «أصلها أصحابي» لما دنوا مني خرج عليهم رجل فمال بهم عني، ثم أقبلت زمرة أخرى ففعل بهم كذلك فلم يفلت إلا كمثل همل النعم! فقال أبو بكر: لعلي منهم يا نبي الله؟! قال: لا»!

وواضحٌ أن الراوي تعمد ذكر أبي بكر ليخرجه من الصحابة المطرودين!

وفي ابن ماجة: ١٠١٦/٢، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ وهو على ناقته المخضرمة بعرفات.. «ألا وإني مستنقذ أناساً، ومستنقَذٌ مني أناس، فأقول: يا رب أصيحابي! فيقول: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك»!

وفي سنن ابن ماجة: ١٣٠٠/٢: «عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: ويحكم أو ويلكم! لاترجعوا بعدي كفاراً..».

وفي سنن الترمذي: ٦٢/٢، **عن أبي أمامة**: «سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: إتقوا الله ربكم، وصلُّوا خَمْسَكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم. قال: قلت لأبي أمامة: منذ كم سمعت هذا الحديث؟ قال: سمعت وأنا ابن ثلاثين سنة».

وفي مسند أحمد: ٤١٢/٥: «فقال...ألا وإني فرطكم على الحوض أنظركم وإني مكاثرٌ بكم الأمم، فلا تسوِّدُوا وجهي! ألا وقد رأيتموني وسمعتم مني وستسألون عني فمن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار. ألا وإني مستنقذٌ رجالاً أو أناساً، ومستنقَذٌ مني آخرون فأقول: يا رب أصحابي..الخ.»!

وفي مجمع الزوائد: ٢٦٥/٣، **عن الرقاشي قال**: «كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله في وسط أيام التشريق أذود عنه الناس فقال..». وفيه: «ألا لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض... أيها الناس: إن النساء عندكم عوان، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله... لايحل لامرئ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه. أيها الناس: إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله فاعملوا به». **ولم يذكر الراوي أهل بيته عليهم السلام!**

٤- بشارة النبي ﷺ في حجة الوداع بالأئمة الإثني عشر بعده

كان من الواضح للمسلمين أن ولاية الأمر بعد النبي ﷺ لعترته عليهم السلام فقد أمره الله تعالى أن يبلغ الأمة ولايتهم، على سنته تعالى في أنبيائه السابقين الذين ورَّث عترتهم الكتاب والحكم، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. «آل عمران: ٣٤».

ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ. فاطر: ٣٢.

والذين اصطفاهم الله علي وأبناؤه من فاطمة عليهم السلام، والسابقون بالخيرات الأئمة المعصومون عليهم السلام منهم. والمقتصد: هو المؤمن بهم. والظالم لنفسه: من حسدهم وأنكرهم! ولا يستقيم معنى الآية بتفسير آخر.

وقد بَلَّغَ النبي صلى الله عليه وآله طوال نبوته ولاية عترته بالتدريج والحكمة، بالتلويح والتصريح، لعلمه بحسد قريش لهم، وقد روت مصادرهم أنه صلى الله عليه وآله بشر بالأئمة الإثني عشر في خطب حجة الوداع، لكنهم أبهموا وحذفوا منها! **ففي صحيح بخاري**: ١٢٧/٨، **عن**: «جابر بن سمرة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش»!

وفي مسلم: ٣/٦: «لايزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش»!

ثم روى ثانية فيها: «ثم تكلم بشئ لم أفهمه».

وثالثة فيها: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى إثني عشر خليفة، فقال كلمة صَمَّنِيها الناس! فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش».

ولم يقل بخاري إن هذا الحديث من خطب حجة الوداع! لكن عدداً من المصادر قالته، **كمسند أحمد**: ٩٣/٥ و٩٦ و٩٩: «**عن جابر بن سمرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله بعرفات**». وفي/٨٧: «يقول في حجة الوداع». وفي/٩٩: «سمعت رسول الله يخطب بمنى». وهذا يعنى أنه صلى الله عليه وآله كرره في عرفات ومنى، ثم أعلنه صريحاً في غدير خم!

وأصل الحديث: اثنا عشر إماماً كلهم من أهل بيتي، «في مسند أحمد: ١٠٠/٥ و١٠٧»، لكن السلطة لا تريد العترة فقال الراوي: «ثم قال كلمة لم أفهمها، قلت لأبي: ما قال؟ قال: قال كلهم من قريش». **وفي الحاكم**: ٦١٧/٣: «وقال كلمة خفيت علي، وكان أبي أدنى إليه مجلساً مني فقلت: ما قال؟ فقال كلهم من قريش».

وفي أحمد: ٩٠/٥ و٩٨، أن النبي ﷺ أخفاها وخفض بها صوته وهمس بها همساً!

وفي الحاكم: ٦١٨/٣: «ثم قال كلمة وخفض بها صوته، فقلت لعمي وكان أمامي: ما قال يا عم؟ قال: قال يا بني: كلهم من قريش».

وفي الطبراني الكبير: ٢١٣/٢و٢١٤: «قال ﷺ: يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً لايضرهم من خذلهم، ثم همس رسول الله ﷺ بكلمة لم أسمعها، فقلت لأبي: ما الكلمة التي همس بها النبي؟ قال أبي: كلهم من قريش».

وقالت روايات أخرى إن الذي ضيع الكلمة هم الناس، وليس الراوي ولا النبي ﷺ! فالناس المحرمون لربهم، المنتظرون لكل كلمة تصدر من نبيهم، صاروا عند الكلمة الحساسة مشاغبين! يلغطون، ويضجون، ويكبرون، ويتكلمون ويقومون ويقعدون!

ففي سنن أبي داود: ٣٠٩/٢: «قال: فكبر الناس وضجوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبي: يا أبة ما قال؟ قال: كلهم من قريش».

و مثله أحمد: ٩٨/٥. وفيه: «ثم قال كلمة أصَمَّنِيها الناس، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش». وفي رواية مسلم المتقدمة: «صَمَّنيها الناس».

وفي رواية أحمد: ٩٣/٥: «وضج الناس..ثم لغط القوم وتكلموا فلم أفهم قوله بعد كلهم». وفي نفس الصفحة: «لايزال هذا الدين عزيزاً منيعاً، ينصرون على من ناواهم عليه إلى اثني عشر خليفة. قال فجعل الناس يقومون ويقعدون...»!

فهل سمعت بأمة يودعها نبيها، ويبشرها بأن الله عز وجل حلَّ مشكلة القيادة فيها وعين اثني عشر إماماً ربانياً، ثم لم يحدد لها هؤلاء الأئمة، لا بأسمائهم ولا بأسرتهم! بل جعلهم ضائعين في عشرين قبيلة! ولم يسأله أحد من أمته من هم؟!

إنها فضيحة وراءها قريش بكيدها وخططها ضد النبي ﷺ وعترته!

إن زعمهم أن الأئمة الربانيين ضاعوا في قريش، هو نفس كلامهم في السقيفة حيث قالوا إن قريشاً تأبى أن تجمع لبني هاشم بين النبوة والخلافة، فيجب أن تدور الخلافة بين بطون قريش العشرين! وهم بتهمتهم للنبي ﷺ بأنه ضيع هوية الأئمة من بعده، يتهمون ربهم سبحانه وتعالى وينسبون اليه أنه جعل في هذه الأمة اثني عشر

إماماً مجهولين في عشرين قبيلة! وأشعل الصراع بين هذه القبائل على الخلافة ورئاسة الدولة، خاصة وهم يتحاربون سنين على فرس وبعير!

فالصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله حددهم بعترته عليهم السلام وسماهم: علياً والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين عليهم السلام، لكنهم تعمدوا تضييعهم!

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم! بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لاتصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم** «نهج البلاغة: ٨٢/١ و٢٧/٢». وقال عليه السلام أيضاً: «والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا، فكانوا كما قال الأول:

أدَمْتَ لعَمري شُرْبَك المحضَ صابحاً ... وأكلَك بالزُّبد المَقَشَّرة البُجْرا

ونحن وهبناك العلاءَ ولم تكنْ ... علياً وحُظْنا حولك الجُرْدَ والسُّمْرا

هذا، وقد تحير الشراح السنيون في الأئمة الإثني عشر، وحاولوا تطبيقهم على خلفائهم فلم يستطيعوا! واعترف ابن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ في عارضة الأحوذي، بأن تطبيق الحديث على خلفائهم لايصح!

كما أخفوا أحاديث أن الأئمة من أهل البيت صلى الله عليه وآله، وأحرقوها، أو أنكروها.

قال ابن مسعود: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الأئمة بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين، والتاسع مهديهم». كفاية الأثر/٣٣.

وقد كتبنا رسالة خاصة في: «بشارة النبي صلى الله عليه وآله بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام».

٥- تحذير النبي صلى الله عليه وآله لقريش والصحابة أن يطغوا بعده

سبب التحذير النبوي أن قريشاً لها موقع القيادة في العرب، فقبائل العرب تَبَعٌ لها، والخطر الذي يخشاه على أهل بيته إنما هو من قريش وحدها، والتحريف الذي يخشاه على الإسلام، والظلم على المسلمين، إنما هو من قريش وحدها!

لـذا قـال لهمﷺ: «يـا معشر قريش لاتجيـؤوا بالدنيـا تحملونها علـى رقابكم، وتجيء الناس بالآخرة، فإني لا أغنى عنكم من الله شيئاً».

وهـذا نفـس تحذيرهﷺللصحابـة من الـصراع على السـلطة كقولـه: «ويحكم أو ويلكـم لاترجعوا بعدي كفـاراً يضرب بعضكم رقـاب بعض».«ابن ماجـة: ١٣٠٠/٢».

وقولـهﷺ: «لاترجعـوا بعدي كفـاراً يضرب بعضكـم رقاب بعض بالسـيف على الدنيا فإن فعلتم ذلك وَلَتَفْعَلُنَّ».تفسيرالقمي: ١٧١٧/١.

فأخبرهـم أنهم سـيفعلون! واسـتعمل بلاغتـهﷺوكل موجبات الخـوف والحذر ليقيـم عليهم الحجة فلايقولون يوم القيامة: لماذا لم تحذرنا؟! فالذين حذرهم صحابته فقط! لا اليهود، ولا الروم، ولا القبائل العربية، ولا حتى زعماء قريش بدون شركائهم من الصحابة!

ذلك أن الخوف من الإقتتال بعده ليس من القبائل التى خضعت للإسلام طوعاً أو كرهـاً، فهي مهما كانت كبـيرة وموحدة مثل هوازن وغطفان..لاتطمح إلى قيادة هذه الدولة، وإن طمحت فلا حظَّ لها في النجاح إلا بواسطة الصحابة!

واليهود انكسروا وأجلى النبيﷺقسماً منهم من الجزيرة، ولم تبق لهم قوة عسكرية تذكـر، ومكائدهم لاحظَّ لها في النجاح إلا بواسـطة الصحابـة، الذين تعاهدوا معهم سراً! سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأمرِوَاللهُ يعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ. محمّد: ٢٦.

وزعـماء قريـش في مكة، مع أنهم يملكون نحو ثلاثـة آلاف مقاتل، لكنهم لا طريق لهـم الى قيادة الدولة إلا بالصحابة القرشـيين! فلايسـتطيعون أن يدَّعوا حقاً في قيادة دولـة النبيﷺالتي كانوا أعداؤهـا! لهذا كان تحذيرهﷺمن الصراع على السـلطة بعده، محصوراً بهؤلاء الصحابة المهاجرين، ثم بالأنصار فقط!

لكنك تقرأ في مصادر السـلطة عشرات الأحاديـث في مدح قريش، وأن القيادة لهم دون غيرهـم! ولا تـرى من أحاديث تحذيره لهم إلا ما أفلت من الرقابة، فقد حرفوها أو جعلوها تحذيراً لبني هاشم بأن لا يطمعوا في الدنيا، لأنه لايغني عنهم من الله شيئاً! صحيح بخاري: ١٧/٦.

أو جعلوها تحذيراً لفاطمة عليها السلام بأنها لو سرقت لقطع يدها! «صحيح بخاري: ١٥١/٤ و٩٧/٥ و١٦/٨». وتحذيراً لبني عبدالمطلب، بنحو هذا!

ومما أفلت وكان حجة دامغة وما زال، تحذير النبي صلى الله عليه وآله لصحابته في حجة الوداع رسمه ببلاغته النبوية لوحةً خالدة لاتنقصها إلا الأسماء، أظهرت المصير الجهنمي الذي يمشي إليه هؤلاء الصحابة! ورسم مجيئهم الى حوض الكوثر يوم المحشر، فيأتي النداء الإلهي بمنعه من الشفاعة لهم ومنعهم من ورود الحوض، ثم يؤمر بهم إلى جهنم!

إنها صورة رهيبة نزل بها جبرئيل عليه السلام ليبلغها النبي صلى الله عليه وآله إلى الأمة في حجة الوداع! تجسد الكارثة على صحابته، جزاءً لهم على الكارثة التي سينزلونها في أمته بعده! ولا ينجو من هؤلاء المجرمين إلا مثل «هَمَل النَّعم» كما في رواية بخاري، أي الغنم المنفردة عن القطيع! ومعناه أن قطيع الصحابة في النار، ولا يفلت منهم إلا قلة مخالفون لرأي جمهورهم!

وهي حقيقةٌ مذهلةٌ، صعبة التصديق على المسلم السني المسكين، الذي رباه أبواه على حب كل الصحابة، وخير القرون، والجيل الفريد، والصحابة العدول، وأصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم.. وزرعوا في ذهنه من صغره الصور المثالية لزيد وعمرو، فإذا به يفاجأ بصورة مرعبة عنهم!

ولو كان المتكلم غير رسول الله صلى الله عليه وآله لما تردد السني في الحكم عليه بأنه عدو الإسلام، يريد أن يكيد له بالطعن في صحابة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله!

ولو كان الراوي غير البخاري، لما ترددوا في تضعيف حديثه واتهامه!

لكن المتكلم هو الرسول صلى الله عليه وآله يخبر عن وحي ربه عز وجل، وعن حدث سوف يحدث لامحالة!

والراوي للكارثة البخاري الذي أعطوا كتابه درجة العصمة من الجلد الى الجلد!

إنها جرعةٌ مُرَّةٌ مذهلة للسني المسكين، الذي تعلَّم أن الحقيقة دائماً حلوة، وأن الحق دائماً مفصلٌ على قامة الصحابة!

ولم يكتف النبيﷺ بذلك، حتى أوقف المسلمين في الجحفة وأخذ بيد علي وأعلنه إماماً بعده، وجعل له الولاية على أمته، ونصب له خيمة وأمرهم أن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ويباركوا له ولايته عليهم، فهنؤوه وباركوا له وبخبخوا له، وأمر نساءه أن يهنئنه فجئن إلى باب خيمته وهنأنه وباركن له!

ثم أراد النبيﷺ قبيل وفاته، أن يبعد هؤلاء الصحابة بعيداً عن المدينة، فأرسلهم جميعاً في جيش أسامة الى مؤتة قرب القدس، وكان الجيش ثلاثة آلاف فيهم سبع مئة من قريش الطلقاء والمهاجرين. لكنهم اعترضوا على قيادة أسامة بن السبع عشرة سنة، وسوفوا وتعللوا لمدة أسبوعين حتى توفي النبيﷺ!

ثم أراد النبيﷺ في مرض وفاته، أن يؤكد عليهم الحجة بوثيقة مكتوبة، فطلب منهم أن يأتوه بدواة وقرطاس، ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً.

ولكنهم رفضوا ذلك بشدة، ورفعوا في وجهه القرآن فقالوا له: حسبنا كتاب الله!

ومعناه: أيها الرسول لانريد أن تكتب لنا أطيعوا بعدي علياً، ثم أولاد ابنتي فاطمة حسناً ثم حسيناً، ثم تسعة من ذرية الحسين!

وغضبوا ولغطوا وصاحوا بالحاضرين: لاتقربوا له دواة ولا قرطاساً!

فغضب النبيﷺ وطردهم، وقال لهم: قوموا عني فما أنا فيه من اعترافكم بنبوتي خير مما تدعونني اليه لأن أصرَّ عليكم، فتعلنوا الردة!

فاعجب لأمة تنقلب على نبيها في حياته!

٦- عقوبة المخالفين لوصية النبي ﷺ في عترته عليهم السلام

من الأساليب النبوية المبتكرة في خطب حجة الوداع، أنهﷺ بعد حديثه عن أهل بيتهعليهم السلام، أعلن مبدأ: «**لعن من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه**»!

ففي مسند أحمد: ١٨٦/٤: «خطبنا رسول اللهﷺ وهو على ناقته فقال: ألا إن الصدقة لاتحل لي ولا لأهل بيتي، وأخذ وبرة من كاهل ناقته فقال: ولا ما يساوي هذه، أو ما يزن هذه. لعن الله من ادُعيَ إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه»! **وسيأتي في فصل جيش أسامة تفسير النبيﷺ لهذه اللعنة بأنها على من ترك ولاية أهل بيته.**

٧- قريش تكتب معاهدة لأخذ خلافة النبي ﷺ من بني هاشم

كانت قريش في حجة الوداع مستنفرة خوفاً من فرض النبي ﷺ خلافة عترته! وكان المتآمرون لقتل النبي ﷺ في طريق تبوك موجودين معه في حجة الوداع! وقد فرحوا لأنه ﷺ لم يستطع أن يكشف أسماءهم، ولا أن يعاقبهم على مؤامرة تبوك! واعتبروا ذلك انتصاراً بالحد الأدنى عليه ﷺ! وكانوا يرون أنه ماضٍ في تركيز خلافة علي، فقد أشاد به في طريق تبوك، وفي المدينة بعد عودته، وسحب سورة براءة من أبي بكر وبعثه بها، لأن جبرئيل عليه السلام أمره بأنه لا يبلغ عنه إلا هو أو رجل منه! ثم أشركه في أضاحيه لأنهما من ولد عبدالمطلب، وجعلها مئة ناقة على عدد نذر عبدالمطلب عن أبيه عبدالله عليهما السلام.

ثم خص ابنته فاطمة عليها السلام بأضحية وقال لها قومي فاشهدي أضحيتك، «المغني: ١٥٦/١» بينما ذبح عن كل نسائه بقرة المغني: ٥٠١/٣.

وتواصلت أحاديثه في مدح علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال إن فاطمة سيدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وإنهما إمامان قاما أو قعدا، وإن علياً أسد الله وأسد رسوله، وولي المؤمنين بعده.

ثم أكد على ميزانية «الخمس» التي شرعت من أول الهجرة لبني هاشم خاصة لينزههم عن الزكوات التي هي أوساخ الناس، وهذا أقصى الرفعة لهم!

ثم لم يرض بذلك حتى قرن عترته بالقرآن وأوصىٰ بهما الأمة، ثم بشر باثنى عشر إماماً ربانيين من عترته، أي أن إمامتهم من الله! فماذا بقي لقبائل قريش؟!

ثم تراه يتعمد الحديث عن ظلم قريش ومحاصرتهم له ولبني هاشم سنين في شعب أبي طالب، فقد أعلن يوم التروية: «منزلنا غداً إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر». «صحيح بخاري: ١٥٨/٢» ثم كرره بعد عرفات، «بخاري: ٢٤٧/٤». وكان أكد عليه يوم فتح مكة!

فلا حل عند قريش في مواجهة هذا الإصرار النبوي إلا مواصلة العمل لقتل محمد! فإن لم يمكن فبالحيلولة بينه وبين إعلان علي خليفة، بالتشويش على

كلامه وبالقول للناس إنه لم يقل، وبالتهديد بإعلان الردة عندما يلزم ذلك!

وهو الأمر الذي يخاف منه النبي صلى الله عليه وآله كثيراً!

إن قراءة نصوص خطب النبي صلى الله عليه وآله في عرفات حتى برواية السلطة، يكفي لمعرفة الجو الذي أوجدته قريش حول النبي صلى الله عليه وآله، وكيف كانت تترقب كلماته لتشوش على ما لايناسبها وترفضه، وتأخذ ما يناسبها وتضخمه!

فقد كان يوم عرفات أهدأ مكان وأنسبه لأن يوصل النبي صلى الله عليه وآله ما يريده الى المحرمين الواقفين لربهم، فركب ناقته ليشاهدوه ويسمعوه، وكان صوته يصل الى أكثرهم، ودعا برجل جهوري الصوت فكان يُلقي الجملة ويقول له: أُصرخ بها، فيصرخ ويسمعها من لم يسمعها مباشرة.

لكن ما إن بشر أمته بالأئمة الإثني عشر من عترته، حتى ارتفعت الضجة واللغط «**فضجوا وقاموا وقعدو وكبروا ولغطوا**» وقال راوي قريش إن النبي قال: اثنا عشر إماماً، ثم قال كلمة لم أفهمها فسألت عمر فقال: كلهم من قريش!

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن العرب كرهت أمر محمد صلى الله عليه وآله وحسدته على ما آتاه الله من فضله واستطالت أيامه! حتى قذفت زوجته ونفرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها وجسيم مننه عندها! وأجمعت مذ كان حياً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته»! شرح النهج: ٢٠/٢٩٨.

ولم تكتف قريش بأعمالها لعزل العترة، فكتبت معاهدة بذلك فى الكعبة!

ففي الكافي: ٤/٥٤٥: عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كنت دخلت مع أبي الكعبة فصلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً! قال قلت: ومن كان؟ قال: كان الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بن الحبيبة»!

ففي تفسير القمي: ١/١٧٣ «فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته! فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً: إن مات محمد أو قتل أن لا يردُّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً.».

وفي الإستغاثة: ٦٦/٢: «وكتبوا بينهم صحيفة بذلك، ثم جعلوا أبا عبيدة بينهم أميناً على تلك الصحيفة، وهي الصحيفة التي روت العامة أن أمير المؤمنين دخل على عمر وهو مسجى فقال: ما أبالي أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى، وكان عمر كاتب الصحيفة فلما أودعوه الصحيفة خرجوا من الكعبة الشريفة ودخلوا المسجد ورسول الله ﷺ فيه جالساً فنظر إلى أبي عبيدة فقال: هذا أمين هذه الأمة على باطلها! يعني أمين النفر الذين كتبوا الصحيفة! فروت العامة أن رسول الله قال: أبو عبيدة أمين هذه الأمة»!

والمعنى أن النبي ﷺ قالها باستنكار، وليس مدحاً لأبي عبيدة!

وعُرفت الصحيفة التى كتبوها فى حجة الوداع بالصحيفة الملعونة الثانية، والأولى صحيفة مقاطعة المشركين لبني هاشم حتى يسلموهم النبي ﷺ!

وفي مختصر بصائر الدرجات/١٩: «عن أبان بن تغلب عن أبي عبدالله عليه السلام قال إنه بلغ رسول الله عن بطنين من قريش كلام تكلموا به فقالوا: يرى محمد أن لو قد قضى أن هذا الأمر يعود فى أهل بيته من بعده! فأعلم رسول الله ﷺ ذلك فباح في مجمع من قريش بما كان يكتمه فقال: كيف أنتم معاشر قريش وقد كفرتم بعدي ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف؟!

قال: فنزل جبرئيل فقال: يا محمد قل إن شاء الله أو يكون ذلك علي بن أبي طالب إن شاء الله. فقال رسول الله ﷺ: أو يكون ذلك علي بن أبي طالب إن شاء الله. فقال جبرئيل: واحدة لك واثنتان لعلي بن أبي طالب، وموعدكم السلم! قال أبان: جعلت فداك وأين السلم؟ فقال: يا أبان السلم من ظهر الكوفة».

وفي تفسير العياشي: ٣٣٤/١: «عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ قال: حيث كان رسول الله ﷺ بين أظهرهم. فَعَمُوا وَصَمُّوا: حيث قبض رسول الله! ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيهِمْ: حيث قام أمير المؤمنين عليه السلام. قال: ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا.. إلى الساعة»!

وسيأتي أن أبي بن كعب رضي الله عنه كان يسميهم أصحاب العقدة!

٨ - نتيجة حجة الوداع عند قريش وعند النبي صلى الله عليه وآله

كان زعماء قريش يتكلمون عن خلافة النبي صلى الله عليه وآله وميله الى ابن عمه وعترته وكأنهم لم يشموا رائحة الإسلام! وكأن محمداً صلى الله عليه وآله هو الذي يعطي الإمامة والخلافة من عنده، فأعطاها لبني هاشم تعصباً لهم وظلماً لقبائل قريش!

واعتبر القرشيون أن حجة الوداع مرَّت بسلام، فقد تحدث النبي صلى الله عليه وآله كثيراً عن عترته، والأئمة منهم الى آخر الدهر.. الخ. لكن كانوا مرتاحين لأنه لم يطلب منهم أن يبايعوا علياً كبير أهل البيت بصفته الإمام الأول من أئمة العترة عليهم السلام.

أما النبي صلى الله عليه وآله فاعتبر أنه بلَّغَ رسالة ربه في عترته بأقصى ما يمكنه، وأن قريشاً لا تتحمل أكثر من ذلك! ولو طلب منها بيعة علي بعده، لطعنت في نبوته وقالت إنه ينطق عن الهوى، ويريد إقامة ملك لبني هاشم كملك كسرى وقيصر، وقادت حركة ردة في العرب بتخويفهم من ملك بني هاشم بعد النبي صلى الله عليه وآله، لأنه ملك يبدأ بعلي وهو في الثلاثينات من عمره، ثم يكون للحسن والحسين وهما دون العاشرة، ثم لا يخرج من أبناء فاطمة إلى يوم القيامة، وتكون بطون قريش محكومة لبني هاشم ولا يكون لها شئ!

لذلك أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يؤخر بقية تفسيره للولاية وإعلانه علياً عليه السلام خليفته الى المدينة، لكن جاءه الأمر الإلهي بأن يبلغ ذلك في طريق عودته من حجة الوداع عند غدير خم، ووعده بعصمته من الناس وحفظ نبوته، فصدع بأمر ربه.

ففي الكافي: ٢٨٩/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «أمر الله عزوجل رسوله بولاية علي وأنزل عليه: إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ وفرض ولاية أولي الأمر فلم يدروا ما هي؟ فأمر الله محمداً صلى الله عليه وآله أن يفسر لهم الولاية كما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج.

فلما أتاه ذلك من الله ضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله، وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه! فضاق صدره وراجع ربه عزوجل فأوحى الله عزوجل إليه: يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيك مِنْ رَبِّك وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يعْصِمُك مِنَ النَّاسِ.. فصدع بأمر الله تعالى ذكره، فقام بولاية علي عليه السلام يوم غدير خم، فنادى الصلاة جامعة، وأمر

الناس أن يبلغ الشاهد الغائب.

وقال أبو جعفر عليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي. قال أبو جعفر عليه السلام: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض».

وفي تفسير العياشي: ٣٣١/١، عن ابن عباس وجابر بن عبدالله قالا: «أمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله أن ينصب علياً عليه السلام علماً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه! فأوحى الله إليه: يَاأَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ.. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله بولايته يوم غدير خم».

وفي إقبال الأعمال: ٢٤١/٢: «فخرجنا إلى مكة مع النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع، فنزل جبرئيل فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول: أنصب علياً علماً للناس! فبكى النبي صلى الله عليه وآله حتى اخضلت لحيته وقال: يا جبرئيل إن قومي حديثو عهد بالجاهلية، ضربتهم على الدين طوعاً وكرهاً حتى انقادوا لي، فكيف إذا حملت على رقابهم غيري، قال: فصعد جبرئيل».

أقول: نصَّ حديث الإمام الباقر عليه السلام على أن فريضة الولاية لأولي الأمر من أهل البيت عليهم السلام نزلت في المدينة قبل حجة الوداع، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بتفسيرها للمسلمين، لأن آية: يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمرِ مِنْكُمْ.. في سورة النساء، وقد نزلت قبل حجة الوداع. وكانت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في حق علي والعترة عليهم السلام تفسيراً لها، ومنها بشارته بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام في حجة الوداع.

ومعنى قوله عليه السلام: «وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه: يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ.. أنه قال لجبرئيل إن قومي حديثو عهد بالإسلام وأخشى أن يرتدوا! فسكت جبرئيل ففهم منه الرخصة بأن يواصل خطته التدريجية في التفسير، حتى نزل جبرئيل عليه السلام في غدير خم بآية التبليغ، وفيها تشديد على التبليغ ووعد بعصمته من ارتداد الناس عن نبوته! فأمر حينئذ بإيقاف المسلمين وبلغهم أمر ربه.

الفصل الحادي والسبعون

بيعة علي عليه السلام يوم الغدير

١- حديث الغدير في بيعة علي عليه السلام صحيح متواتر عندهم

حديث الغدير يهز المنكرين ويحيرهم، لأنه عندهم صحيحٌ متواترٌ، خاصة أنه حدث مستقل. وقد سمعت أحد علماء السلطة يقول متعجباً: لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله أي شغل ولا هدف آخر في نزوله وخطبته في غدير خم، إلا البيعة لعلي!

ومن أصح رواياته عندهم حديث أبي هريرة في فضل صوم يوم الغدير شكراً لله تعالى، ونصه: «من صام يوم ثماني عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم! فأنزل الله عز وجل: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا». تاريخ دمشق: ٢٣٣/٤٢، تاريخ بغداد: ٢٤٨/٨ والمنتظم: ٢٣٣/٥.

وقد استقصى السيد الميلاني مصادره، وكلماتهم فيه، في نفحات الأزهار: ٢٦٢/٨.

وأورد الأميني في الغدير: ٢٣٦/١ عدداً من علماء السنة رووه، وقال: «رواية أبي هريرة صحيحة الإسناد عند أساتذة الفن، منصوص على رجالها بالتوثيق..

ومع صحة حديث تاريخ بغداد ودمشق، على شرط البخاري ومسلم، فقد حاول الذهبي الطعن فيه بدون دليل، إلا التعصب»!

وأما ابن كثير فزوَّر الحديث وكذب جهاراً نهاراً، فزعم أن النبي ﷺ بين في خطبته يوم الغدير أشياء، ثم عالج مشكلة كانت بين علي وكثير من الناس! وكلاهما كذب، فلم يبين فيها إلا ما يتصل بولاية علي عليه السلام، ولم يكن فيها أي معالجة للمشكلة المزعومة بين علي عليه السلام وأحد من الصحابة!

قال في النهاية: ٤٠٨/٥: «لما تفرغ النبي من بيان المناسك ورجع إلى المدينة خطب خطبة عظيمة الشأن في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بغدير خم، تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء، وذكر في فضل علي بن أبي طالب وأمانته وعدله وقربه إليه، وأزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه، وقد اعتنى بأمر حديث غدير خم أبو جعفر الطبري، فجمع فيه مجلدين، وأورد فيها طرقه وألفاظه، وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة». يحاول بذلك ابن كثير أن يصوِّر القضية بأن كثيراً من المسلمين كانوا غاضبين على علي متحاملين عليه، فأوقفهم النبي ﷺ في غدير خم ليرضِّيهم عنه ويزيح «ما في نفوس كثير من الناس منه»! و«أشياء» من هذا القبيل!

وارتكب العجلوني شبيهاً بتزوير ابن كثير «كشف الخفاء: ٢٥٨/٢» ونقل تكذيب الذهبي للحديث بدليل واهٍ ولم يؤيده، لكنه لم يذكر أسانيده الصحيحة!

وارتكب التحريف قبلهم الحسن البصري، وهو من رواة السلطة القدماء، لكن المحرفين جميعاً لم يبلغوا جناية ابن كثير! ولهذا يحبه الوهابية، وينشرون كتبه؟!

ومن رواياته الصحيحة عندهم، ما رواه مسلم في صحيحه: ١٢٢/٧: «عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً. حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تكلفونيه. ثم قال: قام رسول الله

يومـاً فينـا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة، فحمـد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشـك أن يأتي رسـول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسـكوا بـه فحث على كتـاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتـي، أذكركم الله فى أهل بيتي ثلاثاً، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نسـاؤه من أهل بيته؟ قال: نسـاؤه مـن أهل بيتـه؟! ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قـال: ومن هم؟ قال: هم آل عـلي وآل عقيـل وآل جعفر وآل عباس. قـال: كل هؤلاء حرم الصدقـة؟ قال: نعم». «ورواه أحمـد: ٣٦٦/٢، الحاكم: ١٤٨/٢»، **وفيهما وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض. وهو إخبارٌ بوجود إمام من أهل بيته ﷺ إلى يوم القيامة.**

٢- جبرئيل ينزل بآية التبليغ ويوقف قافلة النبي ﷺ

كان جبرئيل عليه السلام ينـزل علـى النبي ﷺ بأوامـر ربه طـوال حجة الـوداع، وقد يملى عليـه عبارات من خطبه. وكان قال لـه في المدينة: إن الله عز وجل يقول لك إنه قد دنا أجلـك، ويأمـرك أن تدل أمتك على وليهـم، فاعهد عهدك واعمد الـى ماعندك من العلم وميراث الأنبياء فورثه علياً وأقمه للناس علماً، فإني لم أقبض نبياً من أنبيائي إلا بعد إكمال ديني، ولم أترك أرضي بغير حجة على خلقي.. الخ.

ففـى دعائـم الإسـلام: ١٤/١، أن رجلاً قال للإمـام الباقر عليه السلام: «يا ابن رسـول الله إن الحسـن البـصري حدثنـا أن رسـول الله ﷺ قال: إن الله أرسـلني برسـالة فضـاق بها صـدري، وخشـيت أن يكذبنـي النـاس، فتواعـدني إن لم أبلغهـا أن يعذبنـي؟ قال له أبوجعفر: فهل حدثكم بالرسالة؟ قال: لا، قال: أما والله إنه ليعلم ما هي ولكنه كتمها متعمداً! قال الرجل: يا ابن رسـول الله جعلني الله فداك وما هي؟ فقال: إن الله تبارك وتعالـى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه، فلم يـدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون، فأمر الله عز وجـل محمـداً نبيه ﷺ أن يبين لهم كيف يصلـون، فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسّراً، وفرض الصلاة في القرآن جملة، ففسرها رسول الله ﷺ فى سـنته وأعلمهم بالذي أمرهم به من الصلاة التي فرض الله عليهم. وأمر بالزكاة فلم

يدروا ما هي ففسرها رسول الله وأعلمهم بها يؤخذ من الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلا فسره لأمته وبينه لهم. وفرض عليهم الصوم فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون، ففسره لهم رسول الله ﷺ وبين لهم ما يتقون في الصوم وكيف يصومون. وأمر بالحج فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم كيف يحجون حتى أوضح لهم ذلك في سنته.

وأمر الله عز وجل بالولاية فقال: إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. ففرض الله ولاية ولاة الأمر فلم يدروا ما هي، فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم ما الولاية مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله عز وجل ضاق به رسول الله ﷺ ذرعاً وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه، فضاق صدره وراجع ربه فأوحى إليه: يأَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيك مِنْ رَبِّك وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يعْصِمُك مِنَ النَّاسِ، فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم غدير خم ونادى لذلك: الصلاة جامعة وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب. وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى. وكانت الولاية آخر الفرائض فأنزل الله عز وجل: الْيوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلام دِينًا، قال أبو جعفر: يقول الله عز وجل: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض».

ونحوه في: ٢/٢٧٦، وفيه: «فقال رسول الله ﷺ: يا جبرائيل أمتي حديثة عهدٍ بجاهلية، وأخاف عليهم أن يرتدوا، فأنزل الله عز وجل: يأَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيك مِنْ رَبِّك - في علي - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يعْصِمُك مِنَ النَّاسِ. فلم يجد رسول الله ﷺ بداً من أن جمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عز وجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، أفلستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأني مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي عليه السلام فأقامه ورفع يده بيده وقال: فمن كنت مولاه

فعلي مولاه، ومن كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: فوجبت ولاية علي عليه السلام على كل مسلم ومسلمة».

ونحوه العياشي: ٣٣٣/١، **وفيه**: «فقام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى، كان يروي عن الحسن البصرى..إلى آخر ما تقدم».

وفي شرح الأخبار: ١٠٤/١: «قال جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن آبائه صلوات الله عليهم أجمعين: إن آخر ما أنزل الله عزوجل من الفرائض ولاية علي عليه السلام فخاف رسول الله صلى الله عليه وآله إن بلغها الناس أن يكذبوه ويرتد أكثرهم حسداً له، لما علمه في صدور كثير منهم له! فلما حج حجة الوداع وخطب بالناس بعرفة، وقد اجتمعوا من كل أفق لشهود الحج معه، علمهم في خطبته معالم دينهم وأوصاهم وقال فى خطبته: إني خشيت ألا أراكم ولا تروني بعد يومي هذا في مقامي هذا، وقد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به بعدي لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا عَلَيَّ الحوض، حبل ممدود من السماء إليكم طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، وأجمل صلى الله عليه وآله ذكر الولاية في أهل بيته إذ علم أن ليس فيهم أحد ينازع فيها علياً عليه السلام وأن الناس إن سلموها لهم سلموها لعلي عليه السلام، واتقى عليه وعليهم أن يقيمه هو بنفسه. فلما قضى حجه وانصرف وصار إلى غدير خم أنزل الله عزوجل عليه: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيك مِنْ رَبِّك وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يعْصِمُك مِنَ النَّاسِ، فقام بولاية علي عليه السلام ونص عليه كما أمر الله تعالى فأنزل الله عزوجل: الْيَوْمَ أَكمَلْتُ لَكمْ دِينَكمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكمُ الإسلام دِيناً».

٣- خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم الغدير

جاءه جبرئيل عليه السلام بآية التبليغ وهو في كراع الغميم، لخمس ساعات مضت من النهار، فخشع لربه وتَسَمَّرَ في مكانه، وأصدر أمره إلى المسلمين بالتوقف، وكان أولهم قد وصل إلى مشارف الجحفة، وهي بلدةٌ عامرة على بعد ميلين أو أقل، لكنه صلى الله عليه وآله أراد تنفيذ الأمر الإلهي فوراً في المكان الذى نزل فيه الوحي، ونادى مناديه:

أيها الناس أجيبوا داعي الله، وأمرهم أن يوقفوا من تأخر من المسلمين ويردوا من تقدم منهم. وتقدم نحو دوحة غدير خم وأمرهم أن يكسحوا تحت الأشجار لتكون مكاناً لخطبته وللصلاة في ذلك الهجير، فنصبوا له أحجاراً كهيئة المنبر، ووضعوا عليها حدائج الإبل فصارت أكثر ارتفاعاً، ووردوا ماء الغدير فشربوا منه وتوضؤوا. ولم يتسع لهم المكان تحت دوحة الغدير، وكانت ستَّ أشجارٍ كبيرة، فجلس بعضهم في الشمس، أو استظل بناقته.

عرفوا أن أمراً حدث، وأن النبيﷺ سيخطب، فقد نزل عليه وحي أوجب أن يوقفهم في هذا الهجير، قبل محطة الجحفة القريبة! وصعدﷺ منبر الأحجار والأحداج، وبدأ باسم الله تعالى وأخذ يرتل قصيدته في حمده والثناء عليه، ويشهد الله تعالى والناس على عبوديته المطلقة لربه العظيم عزوجل. ثم قدم لهم عذره لأنه اضطر أن ينزلهم في مكان قليل الماء والشجر، ولم يمهلهم إلى الجحفة المناسبة لنزول مثل هذا القافلة الكبيرة، وكلفهم الإستماع إليه في حر الظهيرة!

أخبرهمﷺ أن جبرئيلعليه السلام أمره أن يفسر للمسلمين فريضة الولاية ويقيم علياً إماماً بعده للناس، قال لهم: إن الله عزوجل بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً وخفت الناس أن يكذبوني، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لسانط: أمتي حديثو عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي، يقول قائل ويقول قائل! فأتتني عزيمة من الله بَتْلة«قاطعة» في هذا المكان وتوعدني إن لم أبلِّغها ليعذبني! وقد ضمن لي العصمة من الناس وهو الكافي الكريم، فأوحى إليّ: يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، ثم قالﷺ: «لاإله إلا هو، لايؤمن مكره، ولا يخاف جوره أقرُّ له على نفسي بالعبودية وأشهد له بالربوبية، وأؤدي ما أوحى إليّ حذراً من أن لاأفعل فتحل بي منه قارعةٌ، لايدفعها عني أحدٌ، وإن عظمت حيلته.

أيها الناس: إني أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم قائلون؟

فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت.

فقال: أليس تشهدون أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الجنة حقٌ وأن النار حقٌ وأن البعث حق؟

قالوا: بلى يا رسول الله. فأومأ رسول الله إلى صدره وقال: وأنا معكم.

قال ﷺ: أنا لكم فرط وأنتم واردون عليَّ الحوض، وسعته ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب قِدْحان، ماؤه أشد بياضاً من الفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فقام رجل فقال: يا رسول الله وما الثقلان؟

قال: الأكبر كتاب الله طرفه بيد الله وسبب طرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تزلوا ولا تضلوا. والأصغر: عترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي «ثلاثاً» وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، سألت ربي ذلك لهما، فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تتخلفوا عنهم فتضلوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس: ألستم تعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين وأني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: قم يا علي، فقام علي عن يمين النبي ﷺ فأخذ بيده ورفعها حتى بان بياض إبطيهما، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار.

فاعلموا معاشر الناس أن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً مفترضةً طاعته على المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى البادي والحاضر، وعلى الأعجمي والعربي، والحر والمملوك والصغير والكبير.

فقام أحدهم فسأله وقال: يا رسول الله ولاؤه كماذا؟ فقال ﷺ: ولاؤه كولائي، من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه»!

وأفاض النبي ﷺ في بيان مكانة علي والعترة والأئمة الإثني عشر من بعده: علي والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين واحدٌ بعد واحد مع القرآن والقرآن معهم، لايفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على حوضي.

ثم أشهد المسلمين مراتٍ أنه قد بلغ عن ربه، فشهدوا له، وأمرهم أن يبلغ الشاهد

الغائب، فوعدوه. وقام إليه آخرون فسألوه، فأجابهم.

وما إن أتم خطبته حتى نزل جبرئيل بقوله تعالى: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا، فكبر رسول الله ﷺ وقال: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي وولاية علي بعدي. ونزل عن المنبر وأمر أن تنصب لعلي خيمة ويهنئه المسلمون بولايته عليهم ويبايعوه على الولاية، وأمر نساءه فجئن إلى باب الخيمة وهنأنه!

وكان من أوائل المهنئين عمر بن الخطاب فقال له: بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!

وجاء حسان بن ثابت وقال: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً:

يناديهمُ يوم الغدير نبيُهُمْ	بخمٍّ فأسمع بالرسول مناديا
يقول فمن مولاكمُ ووليكمْ	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولم ترمنا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه	فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه	وكن للذي عادى علياً معاديا

راجع: كمال الدين/٢٧٦، أمالي الصدوق/٥٠، الإحتجاج: ٧٠/١، روضة الواعظين/ ٨٩، المسترشد/١١٧ والكافي: ١٤٨/٤، الفقيه: ٩٠/٢، تهذيب الأحكام: ٣٠٥/٤ وثواب الأعمال/٧٤ وغيرها.

وفي كتاب الغيبة للنعماني/٧٤: «أن معاوية لما دعا أبا الدرداء وأبا هريرة ونحن مع أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه بصفين، فحملهما الرسالة إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وأدياها إليه قال: قد بلغتماني ما أرسلكما به معاوية، فاستمعا مني وأبلغاه عني كما بلغتماني». قالا: نعم. وجاء في جوابه قوله عليه السلام: «فنصبني رسول الله بغدير خم وقال: إن الله عز وجل أرسلني برسالة ضاق بها صدري وظننت أن الناس يكذبوني، فأوعدني لأبلغنها أو ليعذبني! قم يا علي، ثم نادى

بأعلى صوته بعد أن أمر أن ينادي بالصلاة جامعة فصلى بهم الظهر ثم قال:

أيها الناس، إن الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم منهم بأنفسهم، من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

فقام إليه سلمان الفارسي فقال: يا رسول الله، ولاء ماذا؟ فقال: من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه، فأنزل الله عز وجل: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينًا، فقال له سلمان: يا رسول الله، أنزلت هذه الآيات في علي؟ قال: بل فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. فقال: يا رسول الله، بينهم لي. قال: علي أخي ووصيي وصهري ووارثي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي، وأحد عشر إماماً من ولدي، أولهم ابني حسن، ثم ابني حسين، ثم تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحد، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا على الحوض...

يا أيها الناس، إني قد أعلمتكم مفزعكم بعدي، وإمامكم ووليكم وهاديكم بعدي، وهو علي بن أبي طالب أخي، وهو فيكم بمنزلتي فقلدوه دينكم وأطيعوه في جميع أموركم، فإن عنده جميع ما علمني الله عز وجل، أمرني الله عز وجل أن أعلمه إياه وأن أعلمكم أنه عنده، فاسألوه وتعلموا منه ومن أوصيائه، ولا تعلموهم ولا تتقدموا عليهم ولا تتخلفوا عنهم، فإنهم مع الحق والحق معهم، لا يزايلهم ولا يزايلونه». انتهى.

هذه خلاصة خطبة الغدير، وهي أطول من ذلك، فقد روتها مصادرنا بصفحات وروتها مصادر السلطة بصفحة، والمطلب الأساسي فيها حديث الثقلين، وولاية أولهم علي عليه السلام، وبخبخة عمر بن الخطاب! راجع: كمال الدين/٢٧٦، الإحتجاج: ٧٠/١، روضة الواعظين/٨٩، المسترشد/١١٧ وغيرها.

٤- أمر النبي صلى الله عليه وآله بنصب خيمة لعلي عليه السلام وتهنئته ومبايعته

ظهرت عصمة الله لرسوله صلى الله عليه وآله من الناس يوم الغدير! فقد كمَّمَ أفواه قريش عن المعارضة وفتحها للموافقة فقالوا جميعاً: نشهد أنك بلغت عن ربك وأنك نعم الرسول، سمعنا لك وأطعنا! وكبروا مع المكبرين عندما نزلت آية: ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي

ثم أصغوا جميعاً إلى قصيدة حسان في وصف نداء النبي صلى الله عليه وآله وإبلاغه عن ربه ولاية علي عليه السلام. ثم تهافتوا مع المهنئين إلى خيمة علي عليه السلام، واستمرت التهنئة من بعد صلاة العصر إلى ما شاء الله، وبعد صلاة المغرب والعشاء ليلة التاسع عشر من ذي الحجة، فقد بات النبي صلى الله عليه وآله في غدير خم، وقيل بقي فيه يومان!

في مسارِّ الشيعة للمفيد/٣٨: «وفي اليوم الثامن عشر منه سنة عشر من الهجرة عقد رسول الله صلى الله عليه وآله لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب العهد بالإمامة في رقاب الأمة كافة، وذلك بغدير خم عند مرجعه من حجة الوداع، حين جمع الناس فخطبهم ووعظهم ونعى إليهم نفسه، ثم قررهم على فرض طاعته حسب ما نزل به القرآن وقال لهم... ثم نزل فأمر الكافة بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين تهنئة له بالمقام، وكان أول من هنأه بذلك عمر بن الخطاب».

وفي الإرشاد: ١٧٦/١: «ثم زالت الشمس فأذن مؤذنه لصلاة الفرض، فصلى بهم الظهر، وجلس صلى الله عليه وآله في خيمته وأمر علياً عليه السلام أن يجلس في خيمة له بإزائه، ثم أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنؤوه بالمقام، ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلهم، ثم أمر أزواجه وجميع نساء المؤمنين معه أن يدخلن عليه ويسلمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن.

وكان ممن أطنب في تهنئته بالمقام عمر بن الخطاب فأظهر له المسرة به وقال فيما قال: بخ بخ يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة»!

وفي كتاب سليم بن قيس/٣٥٦: «وأمر بنصب خيمة وأمر علياً عليه السلام أن يدخل فيها وأول من أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله هما أبو بكر وعمر، فلم يقوما إلا بعد ما سألا رسول الله صلى الله عليه وآله: هل من أمر الله هذه البيعة؟ فأجابهما: نعم من أمر الله جل وعلا واعلما أن من نقض هذه البيعة كافر ومن لم يطع علياً كافر، فإن قول علي قولي وأمره أمري، فمن خالف قول علي وأمره فقد خالفني»!

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢٣٧/٢ عن أبي سعيد الخدري: «ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: يا قوم هنئوني هنئوني، إن الله خصني بالنبوة، وخص أهل بيتي بالإمامة».

٥- حجر من سجيل للمعترضين من قريش!

معنى قوله تعالى: «وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» أنه تعالى تكفل بحفظ نبوة النبي وأن لا تقوم ضده حركة ردة إذا بلغ رسالة ربه في علي والعترة عليهم السلام. فهو ضمان لأن تتحمل قريش تبليغ النبي صلى الله عليه وآله ولاية علي عليه السلام نظرياً، ولا يعني ضمان طاعتها وعدم اعتراضها، ولا عدم محاولتها قتل النبي صلى الله عليه وآله مجدداً!

لذلك بدأ الإعتراض يوم الغدير، ووقعت محاولة قتل النبي صلى الله عليه وآله في طريق عودته من حجة الوداع، لكن لم تحدث حركة ردة عن نبوته صلى الله عليه وآله!

وروت مصادرنا وبعض مصادرهم ما قاله المعترضون القرشيون! واعتراض بعضهم نزول العذاب عليهم! وقد بحثنا ذلك في كتابنا آيات الغدير.

ونكتفي هنا بما رواه في الكافي: ٤٢٢/١ و ٥٧/٨ وتفسير فرات/٥٠٤ وفيه: «طُرحت الأقتاب لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم، قال: فعلا عليها فحمد الله وأثنى عليه، ثم أخذ بعضد علي بن أبي طالب عليه السلام فاستلها فرفعها، ثم قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. فقام إليه أعرابي من أوسط الناس فقال: يا رسول الله دعوتنا أن نشهد أن لاإله إلا الله فشهدنا، وأنك رسول الله فصدقنا، وأمرتنا بالصلاة فصلينا، وبالصيام فصمنا، وبالجهاد فجاهدنا، وبالزكاة فأدينا، قال: ولم يقنعك إلا أن أخذت بيد هذا الغلام على رؤوس الأشهاد فقلت: اللهم من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله! فهذا عن الله أم عنك؟! قال: هذا عن الله، لاعني! قال: آلله الذي لاإله إلا هو لهذا عن الله لاعنك! قال: آلله الذي لاإله إلا هو لهذا عن الله لاعني.

ثم قال ثالثة: آلله الذي لاإله إلا هو لهذا عن ربك لاعنك؟

قال: آلله الذي لاإله إلا هو لهذا عن ربي لاعني.

قال: فقام الأعرابي مسرعاً إلى بعيره وهو يقول: اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذَا هُوَالْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْعَلَينَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. قال: فما استتم الأعرابي الكلمات حتى

نزلت عليه نار من السماء فأحرقته، وأنزل الله في عقب ذلك: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيسَ لَهُ دَافِعٌ. مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ».

وأقدم من روى ذلك من أئمة السنيين أبو عبيد الهروي في: غريب القرآن، قال: «لما بَلَّغَ رسول بغدير خم ما بَلَّغ وشاع ذلك في البلاد أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري فقال: يا محمد! أمرتنا عن الله بشهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبالصلاة، والصوم، والحج، والزكاة، فقبلنا منك ثم لم ترض بذلك حتى رفعت بضبع ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه! فهذا شئ منك أم من الله؟! فقال رسول الله ﷺ: والذي لاإله إلا هو إن هذا إلا من الله. فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فَأَمْطِرْ عَلَينَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ! فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ.. الآية».

٦- نزلت ثلاث آيات في بيعة الغدير

فأولها قوله تعالى: يا أَيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيك مِنْ رَبِّك وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يعْصِمُك مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. المائدة: ٦٧.

والثانية: قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكمْ دِينَكمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكمُ الإسلام دِينًا. «المائدة: ٣». نزلت بعد أن خطب النبي ﷺ ونصب علياً عليه السلام خليفته.

والثالثة: قوله تعالى: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ. لِلْكَافِرِينَ لَيسَ لَهُ دَافِعٌ. «المعارج: ١-٢» نزلت عندما اعترض على النبي ﷺ معترضون من قريش.

وفي كل واحدة منها حديث صحيح في مصادرنا ومصادر أتباع السلطة، وقد فصلناها في رسالة: تفسير آيات الغدير.

٧- محاولة قريش اغتيال النبي ﷺ بعد يوم الغدير!

في **بحار الأنوار**: ٩٧/٢: «فأقبل بعضهم على بعض وقالوا: إن محمداً يريد أن يجعل هذا الأمر في أهل بيته، كسنة كسرى وقيصر إلى آخر الدهر! لا والله مالكم في الحياة من حظ، إن أفضى هذا الأمر إلى علي بن أبي طالب! وإن محمداً عاملكم على ظاهركم وإن علياً يعاملكم على ما يجد في نفسه منكم! فأحسنوا النظر لأنفسكم في ذلك وقدموا رأيكم فيه. ودار الكلام فيما بينهم وأعادوا الخطاب وأجالوا الرأي، فاتفقوا على أن ينفروا بالنبي ﷺ ناقته على عقبة هرشى، وقد كانوا عملوا مثل ذلك في غزوة تبوك، فصرف الله الشر عن نبيه ﷺ».

وفي **تفسير القمي**: ١٧٤/١: «فقال أصحابه الذين ارتدوا بعده: قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال، وقال هاهنا ما قال، وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له! فاجتمعوا أربعة عشر نفراً وتآمروا على قتل رسول الله ﷺ وقعدوا في العقبة وهي عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها، لينفروا ناقة رسول الله ﷺ فلما جن الليل تقدم رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل: يا محمد إن فلاناً وفلاناً وفلاناً قد قعدوا لك، فنظر رسول الله ﷺ فقال: من هذا خلفي؟ فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول الله حذيفة بن اليمان، قال: سمعت ما سمعت؟ قال: بلى. قال: فاكتم، ثم دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم، فلما سمعوا نداء رسول الله ﷺ فروا ودخلوا في غمار الناس، وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها! ولحق الناس برسول الله وطلبوهم وانتهى رسول الله ﷺ إلى رواحلهم فعرفهم، فلما نزل قال: ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمد أو قتل ألا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً؟!

فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فحلفوا أنهم لم يقولوا من ذلك شيئاً ولم يريدوه ولم يكتموا شيئاً من رسول الله ﷺ، فأنزل الله: يا أَيُّهَا النَّبِي جَاهِدِ الْكفَّارَوَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا: أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله ﷺ. وَلَقَدْ قَالُوا كلِمَةَ الْكفْرِوَكفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ ينَالُوا: من

قتل رسول الله ﷺ. وَمَا نَقَمُوا إلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ...

فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وبقي بها محرم والنصف من صفر لا يشتكي شيئاً ثم ابتدأ به الوجع الذي توفي فيه ﷺ».

وفي كتاب سُلَيم/٢٧١، عن أبي ذر ﷺ أن بعض الصحابة تعاقدوا في الكعبة في حجة الوداع وقالوا: «ما بال هذا الرجل ما زال يرفع خسيسة ابن عمه! وقال أحدهما: إنه ليحسن أمر ابن عمه! وقال الجميع: ما لنا عنده خير ما بقي علي».

وفي الإقبال: ٢٤٩/٢: «فلما كان في تلك الليلة قعد له ﷺ أربعة عشر رجلاً في العقبة ليقتلوه، وهي عقبة بين الجحفة والأبواء، فقعد سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقته، فلما أمسى رسول الله ﷺ صلى وارتحل، وتقدم أصحابه وكان ﷺ على ناقة ناجية، فلما صعد العقبة ناداه جبرئيل: يامحمد إن فلاناً وفلاناً وسماهم كلهم..»!

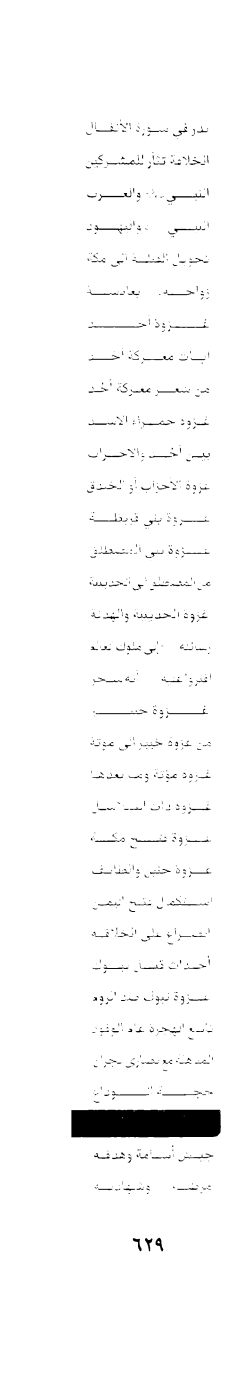

الفصل الثاني والسبعون

جيش أسامة وهدف النبي صلى الله عليه وآله منه

١- عاش النبي صلى الله عليه وآله سبعين يوماً بعد حجة الوداع

عاد النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة من حجة الوداع في أواخر ذي الحجة، وأمضى بقية أيامه في المدينة. وهي نحو سبعين يوماً حسب روايتنا، لأن وفاته صلى الله عليه وآله عندنا في الثامن والعشرين من صفر. ونحو ثمانين يوماً في رواية السلطة، لأن وفاته عندهم في الثاني عشر من ربيع. وفي هذه المدة وقعت أحداث وأمور، ونزلت آيات، وصدرت منه صلى الله عليه وآله خطب وأحاديث!

٢- عَرَضَ الأنصار على النبي صلى الله عليه وآله ثلث أموالهم

في الكافي: ٢٩٣/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فلما قدم المدينة «من حجة الوداع» أتته الأنصار فقالوا: يا رسول الله إن الله جل ذكره قد أحسن إلينا وشرفنا بك وبنزولك بين ظهرانينا، فقد فرح الله صديقنا وكبت عدونا. وقد يأتيك وفود فلا تجد ما تعطيهم فيشمت بك العدو، فنحب أن تأخذ ثلث أموالنا حتى إذا قدم عليك وفد وجدت ما تعطيهم. فلم يردَّ رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم شيئاً، وكان ينتظر مايأتيه من ربه، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: قُلْ لا أَسْئَلُكمْ عَلَيهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، ولم يقبل أموالهم فقال المنافقون: ما أنزل الله هذا على محمد وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه ويحمل علينا أهل بيته! يقول أمس: من كنت مولاه فعلي مولاه واليوم: قُلْ لا أَسْئَلُكمْ عَلَيهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى. ثم [كان] نزل عليه آية الخمس فقالوا يريد أن يعطيهم أموالنا وفيأنا! ثم أتاه جبرئيل فقال: يا محمد إنك قد قضيت نبوتك

واستكملت أيامك، فاجعل الإسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة عند علي عليه السلام، فإني لم أترك الأرض إلا ولي فيها عَلَمٌ تُعرف به طاعتي وتعرف به ولايتي، ويكون حجة لمن يولد بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر.

قال: فأوصى إليه بالإسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة، وأوصى إليه بألف كلمة وألف باب، يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب».

وفي الإرشاد: ١٧٩/١، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أيها الناس، إني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض، ألا وإني سائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يلقياني، وسألت ربي ذلك فأعطانيه. ألا وإني قد تركتهما فيكم: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تسبقوهم فتفرقوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

أيها الناس، لا ألفينكم بعدي ترجعون كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فتلقوني في كتيبة كمجرى السيل الجرار! ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصيي يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله. فكان يقوم مجلساً بعد مجلس بمثل هذا الكلام ونحوه. ثم إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة».

أقول: أكد القرآن على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا يقولون لأممهم إنهم لا يطلبون منهم أجراً على تبليغ الرسالة، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله، **قال تعالى:** قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلا ذِكرَى لِلْعَالَمِينَ. وقال تعالى: وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلا ذِكرٌ لِلْعَالَمِينَ.

لكنه خص هذه الأمة بأن جعل أجر نبيها صلى الله عليه وآله محبتها وطاعتها لعترته عليهم السلام فقال: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ **الشورى: ٢٣.**

ثم بين لهم أن هذا الأجر هو السبيل الى رضا الله تعالى وثوابه فقال: قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً.

ثم قال لهم إن هذا الأجر الذي فرضه الله على هذه الأمة ليس غرماً عليها بل غنمٌ لها، فقال: قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ. أي أنتم المنتفعون به لأنكم بمودتهم وطاعتهم لا تضلون.

وفي تفسير فرات/٣٩٢، عن عطاء بن أبي رباح قال: «قلت لفاطمة بنت الحسين: أخبريني جعلت فداك بحديث أحدث، وأحتج به على الناس. قالت: نعم، أخبرني أبي أن النبي صلى الله عليه وآله كان نازلاً بالمدينة وأن من أتاه من المهاجرين عرضوا أن يفرضوا لرسول الله صلى الله عليه وآله فريضة يستعين بها على من أتاه، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا: قد رأينا ما ينوبك من النوائب، وإنا أتيناك لتفرض فريضة تستعين بها على من أتاك. قال: فأطرق النبي صلى الله عليه وآله طويلاً ثم رفع رأسه فقال: إني لم أؤمر أن آخذ منكم على ما جئتم به شيئاً، إنطلقوا فإني لم أؤمر بشيء وإن أمرت به أعلمتكم. قال: فنزل جبرئيل فقال: يا محمد إن ربك قد سمع مقالة قومك وما عرضوا عليك وقد أنزل الله عليهم فريضة: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى.. قال فخرجوا وهم يقولون: ما أراد رسول الله إلا أن تذل الأشياء وتخضع الرقاب ما دامت السماوات والأرض لبني عبدالمطلب.

قال: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب أن اصعد المنبر وادع الناس إليك ثم قل: أيها الناس من انتقص أجيراً أجره فليتبوأ مقعده من النار! ومن ادعى إلى غير مواليه فليتبوأ مقعده من النار! ومن انتفى من والديه فليتبوأ مقعده من النار! قال: فقام رجل وقال: يا أبا الحسن ما لهن من تأويل؟ فقال: الله ورسوله أعلم. فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال رسول الله: ويل لقريش من تأويلهن، ثلاث مرات! ثم قال: يا علي انطلق فأخبرهم أني أنا الأجير الذي أثبت الله مودته من السماء، ثم أنا وأنت مولى المؤمنين، وأنا وأنت أبوا المؤمنين»!

أقول: يظهر أن هؤلاء قرشيون جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وآله بعد مجيء الأنصار، وطلبوا أن يفرضوا له فريضة في أموالهم، فأجابهم بآية المودة في القربى، فنكصوا!

وفي الكافي: ٢٩٣/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون، ولم يوص إلى ولده ولا إلى ولد موسى، إن الله تعالى له الخيرة يختار من يشاء ممن يشاء. وبشر موسى ويوشع بالمسيح، فلما أن بعث الله عز وجل المسيح قال المسيح لهم إنه سوف يأتي من بعدي نبي إسمه أحمد، من ولد إسماعيل، يجيء بتصديقي وتصديقكم، وعذري وعذركم. وجرت من بعده في الحواريين

في المستحفظين، وإنما سماهم الله تعالى المستحفظين لأنهم استحفظوا الإسم الأكبر وهو الكتاب الذي يعلم به علم كل شئ، الذي كان مع الأنبياء صلوات الله عليهم. يقول الله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ. الكتاب الإسم الأكبر. فلم تنزل الوصية في عالم بعد عالم حتى دفعوها إلى محمد ﷺ.

وكان رسول الله ﷺ يتألفهم ويستعين ببعضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصيه... وقال: إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجل و أهل بيتي عترتي... فلا تسبقوهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم... فوقعت الحجة بقول النبي ﷺ وبالكتاب الذى يقرأه الناس فلم يزل يلقي فضل أهل بيته بالكلام ويبين لهم القرآن. فلما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع نزل عليه جبرئيل فقال: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...

فنادى الناس، فوقعت حسيكة النفاق في قلوب القوم وقالوا: ما أنزل الله جل ذكره هذا على محمد قط، وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه»!

٣- النبي ﷺ يجهر بالحقيقة ويتحدى قريشاً!

وقد بدأ النبي ﷺ هذا التحدي في حجة الوداع بصيغة اللعنة النبوية على من ادعى لغير أبيه، كما تقدم! فقد روى ابن ماجة: ٢/٩٠٥، أنه ﷺ خطبهم في حجة الوداع على راحلته فقال: «ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل» والترمذي: ٢/٢٩٣، أحمد: ٤/٢٣٩، الدارمي: ٢/٢٤٤ و ٣٤٤ والبخاري: ٢/٢٢١، و ٤/٦٧..

واستعمل النبي ﷺ هذا الأسلوب عمداً لتنقله الأجيال ولا تطمسه قريش! وقد روت مصادرهم أنه كتبه في صحيفة صغيرة معلقة في ذؤابة سيفه الذي ورَّثه لعلي عليه السلام، فرواه بخاري في صحيحه: ٤/٦٧، مسلم: ٤/١١٥، بروايات والترمذي: ٣/٢٩٧، وفي تلك الصحيفة لعن من تولى غير مواليه! ويقصد بذلك من تولى غيره وغير علي عليه السلام، لأنهما الأبوان المعنويان لهذه الأمة!

ويدل عليه أن الولد الذي يهرب من أبيه وينتسب الى آخر ويتوب، تقبل توبته! بينما هذا الذي لعنه النبي صلى الله عليه وآله لا يقبل منه صرف أي توبة، ولا عدل أي فدية! فهي عقوبة الردة والخروج من الملة، وليست عقوبة ولد يدعو نفسه لغير أبيه! سنن البيهقي: ٢٦/٨، الزوائد: ٩/١، وكنز العمال: ٨٧٢/٥ و٣٢٤/١٠.

وقد رووا هذه اللعنة بعد ذكر النبي صلى الله عليه وآله لأهل بيته وحقهم في الخمس.

ففي مسند أحمد: ١٨٦/٤: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على ناقته فقال: ألا إن الصدقة لا تحل لي ولا لأهل بيتي، وأخذ وبرة من كاهل ناقته، فقال: ولا ما يساوي هذه أو ما يزن هذه. لعن الله من ادعي إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه»!

وفسرته بذلك مصادرنا. وروت أن النبي صلى الله عليه وآله استعمله عندما كثر طلقاء قريش في المدينة، وتصاعد عملهم ضد أهل بيته عليهم السلام وقالوا: **إنما مثل محمد في بني هاشم كمثل نخلة نبتت في كبا**، أي مزبلة! فبلغ ذلك النبي فغضب وأمر علياً عليه السلام أن يصعد المنبر ويجيبهم وقال له: «يا علي إنطلق حتى تأتي مسجدي ثم تصعد منبري، ثم تدعو الناس إليك، فتحمد الله تعالى وتثني عليه وتصلي عَلَيَّ صلاة كثيرة، ثم تقول: أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره! فأتيت مسجده وصعدت منبره، فلما رأتني قريش ومن كان في المسجد أقبلوا نحوي فحمدت الله وأثنيت عليه، وصليت على رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة كثيرة ثم قلت: أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم وهو يقول لكم: ألا إن لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين ولعنتي، على من انتمى إلى غير أبيه، أو ادعى إلى غير مواليه، أو ظلم أجيراً أجره. قال: فلم يتكلم أحد من القوم إلا عمر بن الخطاب فإنه قال: قد أبلغت يا أبا الحسن ولكنك جئت بكلام غير مفسر، فقلت: أُبلِغُ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته الخبر فقال: إرجع إلى مسجدي حتى تصعد منبري فاحمد الله وأثن عليه وصل على ثم قل: أيها الناس، ما كنا لنجيئكم بشئ إلا وعندنا تأويله وتفسيره، ألا وإني أنا أبوكم، ألا وإني أنا مولاكم ألا وإني أنا أجيركم»! أمالي المفيد/٣٥٣ والطوسي/١٢٣.

٤- جيش أسامة لإفراغ المدينة من خصوم علي عليه السلام

في الإرشاد: ١٧٩/١: «ثم إنه عقد لأسامة بن زيد بن حارثة الإمرة، وندبه أن يخرج بجمهور الأمة إلى حيث أصيب أبوه من بلاد الروم، واجتمع رأيه عليه السلام على إخراج جماعة من متقدمي المهاجرين والأنصار في معسكره، حتى لا يبقى في المدينة عند وفاته صلى الله عليه وآله من يختلف في الرئاسة ويطمع في التقدم على الناس بالإمارة ويستتب الأمر لمن استخلفه من بعده، ولا ينازعه في حقه منازع. فعقد له الأمرة على من ذكرناه وجدَّ صلى الله عليه وآله في إخراجهم، فأمر أسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف، وحث الناس على الخروج إليه والمسير معه وحذرهم من التلوُّم والإبطاء عنه. فبينا هو فى ذلك إذ عرضت له الشكاة التى توفي فيها، فلما أحس بالمرض الذي عراه أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام واتبعه جماعة من الناس وتوجه إلى البقيع، فقال لمن تبعه: إننى قد أمرت بالإستغفار لأهل البقيع، فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم فقال صلى الله عليه وآله: السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها!

ثم استغفر لأهل البقيع طويلاً وأقبل على أمير المؤمنين فقال: إن جبرئيل عليه السلام كان يعرض علي القرآن كل سنة مرة، وقد عرضه عَلَيَّ العام مرتين، ولا أراه إلا لحضور أجلي».

وفي إعلام الورى: ٢٦٣/١: «ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة من حج الوداع بعث بعده أسامة بن زيد وأمره أن يقصد حيث قتل أبوه، وقال له: أوطئ الخيل أواخر الشام من أوائل الروم. وجعل في جيشه وتحت رايته أعيان المهاجرين ووجوه الأنصار وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة. وعسكر أسامة بالجرف فاشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله شكواه التى توفى فيها، وكان يقول في مرضه: نفذوا جيش أسامة ويكرر ذلك، وإنما فعل ذلك لئلا يبقى فى المدينة عند وفاته من يختلف في الإمامة ويطمع في الإمارة، ويستوسق الأمر لأهله».

وفي كتاب سليم بن قيس ﷺ/٤٢٤: «وفي ذلك الجيش أبو بكر وعمر، فقال كل واحد منهما: لاينتهي يستعمل علينا هذا الصبي العبد»!

وقال ابن حجر في فتح الباري: ١١٥/٨، وهو من كبار أئمة السلطة: «وقد أنكر ابن تيمية في كتاب الرد على ابن المطهر أن يكون أبو بكر وعمر في بعث أسامة، ومستند ما ذكرناه ما أخرجه الواقدى بأسانيده في المغازي، وذكره ابن سعد أواخر الترجمة النبوية بغير إسناد، وذكره ابن إسحاق في السيرة المشهورة ولفظه: بدأ برسول الله ﷺ وجعه يوم الأربعاء فأصبح يوم الخميس فعقد لأسامة فقال: أُغز في سبيل الله وسر إلى موضع مقتل أبيك، فقد وليتك هذا الجيش. فذكر القصة وفيها: لم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر وعمر.. وعند الواقدي أن عدة ذلك الجيش كانت ثلاثة آلاف، فيهم سبعمائة من قريش».

أقول: أوردنا كلام ابن حجر لإثبات أن النبي ﷺ تعمد أن يفرغ المدينة من القرشيين، ومن كل من يمكن أن يعارض استخلاف علي ﷺ.

وتعمد أن يؤمِّر عليهم أسامة الشاب الأسود ابن الثمان أو السبع عشرة سنة، حتى لايعترض أحد على سن علي ﷺ الذي كان في الثالثة والثلاثين من عمره.

كما نلاحظ أن النبي ﷺ أخبر عن النتائج السيئة لما يجري حوله، وأطلق تحذيره لأجيال الأمة من الفتن التي سيسببها طمع قريش في خلافته!

وروى ابن هشام: ١٠٥٧/٤ قوله ﷺ لعائشة لما رجع من البقيع وتحدث عن الفتن: «ما ضرك لو مِتِّ قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك؟ قالت قلت: والله لكأني بك لو قد فعلتُ ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك»!

٥- أمير المؤمنين ﷺ يصف عملهم لإفشال جيش أسامة

في الخصال/٣٧١، عن أمير المؤمنين ﷺ، في جوابه للحبر اليهودي عن امتحانات الله للوصي النبي، قال ﷺ: «وأما الثانية يا أخا اليهود، فإن رسول الله ﷺ أمَّرني في حياته على جميع أمته، وأخذ على من حضره منهم البيعة بالسمع والطاعة لأمري، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب في ذلك، فكنت المؤدي إليهم عن رسول الله ﷺ أمره

إذا حضرتـه، والأمـير علـى مـن حضرني منهـم إذا فارقتـه، لا تختلـج في نفسي منازعة أحد من الخلق لي في شـئ من الأمور، في حياة النبيﷺ ولا بعد وفاته.

ثم أمر رسول اللهﷺ بتوجيه الجيش الذي وجهه مع أسامة بن زيد، عند الذي أحـدث الله بـه من المرض الذي توفاه فيه، فلم يـدع النبي أحداً من أفناء العرب ولا مـن الأوس والخـزرج وغيرهـم مـن سـائر النـاس، ممن يخاف علـى نقضه ومنازعتـه، ولا أحـداً ممن يـراني بعين البغضاء ممـن قد وترته بقتـل أبيه أو أخيه أو حميمـه، إلا وجهه في ذلـك الجيش، ولا من المهاجرين والأنصار والمسـلمين وغيرهـم، والمؤلفـة قلوبهم والمنافقـين، لتصفو قلوب من يبقـى معي بحضرته، ولئلا يقول قائل شيئاً مما أكرهه، ولا يدفعني دافع من الولاية والقيام بأمر رعيته من بعده. ثم كان آخر ما تكلم به في شئ من أمر أمته أن يمضي جيش أسامة ولا يتخلـف عنه أحد ممن أنهض معه، وتقدم في ذلك أشـد التقـدم، وأوعز فيه أبلغ الإيعاز، وأكد فيه أكثر التأكيد!

فلـم أشـعر بعد أن قبض النبيﷺ إلا برجال من بعث أسـامة بن زيد وأهل عسكره، قد تركوا مراكزهم وأخلوا مواضعهم، وخالفوا أمر رسول اللهﷺ فيما أنهضهـم لـه وأمرهـم به، وتقـدم إليهم مـن ملازمـة أميرهم والسـير معه تحت لوائـه، حتى ينفـذ لوجهه الذى أنفـذه إليه، فخلفـوا أميرهم مقيماً في عسـكره، وأقبلـوا يتبـادرون علـى الخيـل ركضاً إلـى حل عقـدة عقدهـا الله عز وجل لي ولرسـولهﷺ فى أعناقهـم، فحلوهـا، وعهـد عاهـدوا الله ورسـوله فنكثـوه، وعقدوا لأنفسـهم عقـداً ضجت به أصواتهـم، واختصت بـه آراؤهم، من غير مناظرة لأحد منا بني عبدالمطلب، أو مشاركة في رأي، أو استقالة لما في أعناقهم من بيعتي! فعلوا ذلك وأنا برسول اللهﷺ مشغول، وبتجهيزه عن سائر الأشياء مصدود، فإنه كان أهمها وأحق ما بدئ به منها!

فـكان هـذا يا أخـا اليهود أقرح ما ورد علـى قلبي مع الذي أنـا فيه من عظيم الرزيـة وفاجع المصيبـة، وفقد من لا خلف منه إلا الله تبـارك وتعالى، فصبرت

عليها إذ أتت بعد أختها على تقاربها وسرعة اتصالها». والإختصاص/١٧٠.

وفي المراجعات/٣٦٥: «سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى غزو الروم، وهي آخر السرايا على عهد النبيﷺ وقد اهتم فيها بأبي وأمي اهتماماً عظيماً فأمر أصحابه بالتهيؤ لها وحضهم على ذلك، ثم عبأهم بنفسه الزكية إرهافاً لعزائمهم واستنهاضاً لهممهم، فلم يبق أحداً من وجوه المهاجرين والأنصار، كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم، إلا وقد عبأه بالجيش... فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف، ثم تثاقلوا هناك فلم يبرحوا، مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب إسراعهم... وطعن قوم منهم في تأمير أسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقالوا في ذلك فأكثروا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالإمارة... حتى غضبﷺ من طعنهم غضباً شديداً، فخرج بأبي وأمي معصب الرأس مدثراً بقطيفته محموماً ألماً... فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال فيما أجمع أهل الأخبار على نقله واتفق أولوا العلم على صدوره: أيها الناس ما مقالةٌ بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله! وأيم الله إنه كان لخليقاً بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق بها! وحضهم على المبادرة إلى السير فجعلوا يودعونه ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل.

ثم ثقل في مرضه فجعل يقول: جهزوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة، أرسلوا بعث أسامة.. لعن الله من تخلف عنه... وقد تعلم أنهم إنما تثاقلوا عن السير أولاً، وتخلفوا عن الجيش أخيراً، ليحكموا قواعد سياستهم ويقيموا عمدها، ترجيحاً منهم لذلك على التعبد بالنص.

وإنما أمَّر عليهم أسامة وهو ابن سبع عشرة سنة، ليأ لأعِنَّة البعض، ورداً لجِمَاح أهل الجماح منهم، واحتياطاً على الأمن في المستقبل من نزاع أهل التنافس.. لكنهم فطنوا إلى ما دبرﷺ فطعنوا في تأمير أسامة وتثاقلوا عن السير معه، فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبيﷺ بربه...

فهذه خمسة أمور في هذه السرية لم يتعبدوا فيها بالنصوص الجلية، إيثاراً لرأيهم في

الأمور السياسية، وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبد بنصوصه ﷺ».

وفي منهاج الكرامة/١٠٠: «وقال رسول الله ﷺ في مرض موته مرة بعد أخرى مكرراً لذلك: أنفذوا جيش أسامة! لعن الله المتخلف عن جيش أسامة! وكان الثلاثة معه».

وفي تقريب المعارف/٣١٤: «ولا فرق بين خلافه ﷺ فيما أمر به من المسير مع أسامة، وبين خلافه فيما أمر به من الصلاة والزكاة والإمامة، وذلك فسق لاشبهة فيه، ودعوى خروج أبي بكر من البعث لايفي شيئاً، لثبوت الرواية به».

وفي الإرشاد: ١٨٢/١: «واستمر به المرض أياماً وثقل ﷺ، فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله مغمور بالمرض فنادى: الصلاة يرحمكم الله، فأوذن رسول الله بندائه فقال: يصلي بالناس بعضهم فإنني مشغول بنفسي. فقالت عائشة: مروا أبا بكر! وقالت حفصة: مروا عمر! فقال رسول الله ﷺ حين سمع كلامهما، ورأى حرص كل واحدة منهما على التنويه بأبيها وافتتانهما بذلك ورسول الله ﷺ حي: أُكففن فإنكن صويحبات يوسف!

ثم قام ﷺ مبادراً خوفاً من تقدم أحد الرجلين وقد كان أمرهما بالخروج إلى أسامة، ولم يكن عنده أنهما قد تخلفا، فلما سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنهما متأخران عن أمره، فبدر لكف الفتنة وإزالة الشبهة، فقام وإنه لايستقل على الأرض من الضعف، فأخذ بيده علي بن أبي طالب والفضل بن عباس فاعتمدهما ورجلاه تخطان الأرض من الضعف! فلما خرج إلى المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب، فأومأ إليه بيده أن تأخر عنه، فتأخر أبو بكر وقام رسول الله ﷺ مقامه فكبر فابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأ بها أبو بكر، ولم يبن على ما مضى من فعاله. فلما سلَّم النبي ﷺ من الصلاة انصرف إلى منزله، واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضر المسجد من المسلمين، ثم قال: ألم آمر أن تنفذوا جيش أسامة! قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فلم تأخرتم عن أمري؟ فقال أبو بكر: إنني كنت خرجت ثم عدت لأجدد بك عهداً. وقال عمر: يا رسول الله، لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب! فقال النبي ﷺ:

فأنفذوا جيش أسامة، فأنفذوا جيش أسامة يكررها ثلاث مرات، ثم أغمي عليه من التعب الذي لحقه والأسف، فمكث هنيهة مغمي عليه، وبكى المسلمون، وارتفع النحيب من أزواجه وولده والنساء المسلمات ومن حضر من المسلمين».

٦- حذيفة يصف تسلل أبي بكروعمرليلاً الى المدينة

« أراد النبيﷺ أن تفرغ المدينة من دعاة الفتنة وأرسلهم جميعاً في جيش أسامة إلى فلسطين، وفيهم سبع مئة رجل من قريش! وأمره بالتحرك ولعن من تخلف عن جيش أسامة! فافتعلوا المشاكل والأعذار حتى سوفوا الوقت وأفشلوا برنامج النبيﷺ، وتسللوا من معسكره من الجرف لواذاً عائدين إلى المدينة!

وقد روى في إرشاد القلوب: ٢/٢٣٧ والدرجات الرفيعة/٢٩٠، أن حذيفة صاحب سر رسول اللهﷺ كان حاكم المدائن فلما جاءه خبر بيعة أمير المؤمنينعليه السلام فرح بذلك، وصعد المنبر ودعا الناس الى بيعته وخطب خطبة طويلة، بين فيها فضائل عليعليه السلام وكشف مؤامرة قريش على عترة النبيﷺ. ومما قالهرحمه الله: «وأمرﷺ أسامة بن زيد فعسكر بهم على أميال من المدينة، فأقام بمكانه الذي حد له رسول اللهﷺ منتظراً القوم أن يرافقوه إذا فرغوا من أمورهم وقضاء حوائجهم، وإنما أراد رسول اللهﷺ بما صنع من ذلك أن تخلو المدينة منهم ولا يبقى بها أحد من المنافقين. قال: فهم على ذلك من شأنهم ورسول اللهﷺ دائب يحثهم ويأمرهم بالخروج والتعجيل إلى الوجه الذي ندبهم إليه، إذ مرض رسول الله مرضه الذي توفي فيه، فلما رأوا ذلك تباطؤوا عما أمرهم رسول الله من الخروج، فأمر قيس بن سعد بن عبادة وكان سياف رسول الله والحباب بن المنذر في جماعة من الأنصار أن يرحلوا بهم إلى عسكرهم، فأخرجهم قيس بن سعد والحباب بن المنذر حتى ألحقاهم بمعسكرهم، وقالا لأسامة: إن رسول اللهﷺ لم يرخص لك في التخلف فسر من وقتك هذا، ليعلم رسول الله ذلك. فارتحل بهم أسامة وانصرف قيس بن سعد والحباب بن المنذر إلى رسول الله فأعلماه برحلة القوم، فقال لهم: إن القوم غير سائرين من مكانهم!

قال: فخلا أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بأسامة وجماعة من أصحابه فقالوا: إلى أين ننطلق ونخلي المدينة، ونحن أحوج ما كنا إليها وإلى المقام بها؟!

قالوا: إن رسول الله قد نزل به الموت، ووالله لئن خلينا المدينة ليحدثن بها أمور لايمكن إصلاحها! ننظر ما يكون من أمر رسول الله ﷺ ثم المسير بين أيدينا!

قال: فرجع القوم إلى المعسكر الأول فأقاموا به، فبعثوا رسولاً يتعرف لهم بالخبر من أمر رسول الله ﷺ فأتى الرسول عائشة فسألها عن ذلك سراً فقالت: إمض إلى أبي بكر وعمر ومن معهما فقل لهما: إن رسول الله قد ثقل ولا يبرحن أحد منكم! وأنا أعلمكم بالخبر وقتاً بعد وقت! واشتدت علة رسول الله ﷺ فدعت عائشة صهيباً فقالت: إمض إلى أبي بكر وأعلمه أن محمداً في حال لاترجى، فهلموا إلينا أنت وعمر وأبو عبيدة ومن رأيتم أن يدخل معكم، وليكن دخولكم المدينة بالليل سراً! قال: فأتاهم بالخبر فأخذوا بيد صهيب فأدخلوه إلى أسامة بن زيد فأخبروه الخبر وقالوا له كيف ينبغي لنا أن نتخلف عن مشاهدة رسول الله، واستأذنوه للدخول فأذن لهم بالدخول، وأمرهم أن لا يعلم أحد بدخولهم، وقال: إن عوفي رسول الله ﷺ رجعتم إلى عسكركم، وإن حدث حادث الموت عرفونا ذلك لنكون فى جماعة الناس، فدخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ليلاً المدينة ورسول الله ﷺ قد ثقل.

قال: فأفاق بعض الإفاقة فقال: لقد طرق ليلتنا هذه المدينة شر عظيم! فقيل له وما هو يا رسول الله؟ قال فقال: إن الذين كانوا في جيش أسامة قد رجع منهم نفر يخالفون أمري، ألا إني إلى الله منهم بريء!

ويحكم نفذوا جيش أسامة! فلم يزل يقول ذلك حتى قالها مرات كثيرة.

قال: وكان بلال مؤذن رسول الله ﷺ يؤذن بالصلاة في كل وقت صلاة، فإن قدر رسول الله ﷺ على الخروج تحامل وخرج وصلى بالناس، وإن هو لم يقدر على الخروج أمر علي بن أبي طالب فصلى بالناس، وكان علي عليه السلام والفضل بن العباس لا يزايلانه في مرضه ذلك. فلما أصبح

رسول الله ﷺ من ليلته تلك التي قدم فيها القوم الذين كانوا تحت يدي أسامة، أذن بلال ثم أتاه يخبره كعادته فوجده قد ثقل فمنع من الدخول إليه، فأمرت عائشة صهيباً أن يمضي إلى أبيها فيعلمه أن رسول الله قد ثقل، وليس يطيق النهوض إلى المسجد وعلي بن أبي طالب قد شغل به وبمشاهدته عن الصلاة بالناس، فاخرج أنت إلى المسجد وصل بالناس فإنها حالة تهيئك وحجة لك بعد اليوم.

قال: ولم يشعر الناس وهم في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ أو علياً عليه السلام يصلي بهم كعادته التي عرفوها في مرضه، إذ دخل أبو بكر المسجد وقال: إن رسول الله قد ثقل وقد أمرني أن أصلي بالناس! فقال له رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: وأنّى لك ذلك وأنت في جيش أسامة! لا والله ما أعلم أحداً بعث إليك ولا أمرك بالصلاة! ثم نادى الناس بلالاً فقال: على رسلكم رحمكم الله لأستأذن رسول الله ﷺ في ذلك، ثم أسرع حتى أتى الباب فدقه دقاً شديداً، فسمعه رسول الله فقال: ما هذا الدق العنيف فانظروا ما هو؟ قال فخرج الفضل بن العباس ففتح الباب فإذا بلال فقال: ما وراءك يا بلال؟ فقال: إن أبا بكر دخل المسجد وتقدم حتى وقف في مقام رسول الله، وزعم أن رسول الله أمره بذلك! فقال أوليس أبو بكر مع أسامة في الجيش! هذا والله هو الشر العظيم الذي طرق البارحة المدينة! لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بذلك!

ودخل الفضل وأدخل بلالاً معه فقال ﷺ: ما وراءك يا بلال؟ فأخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال: أقيموني أخرجوني إلى المسجد والذي نفسي بيده قد نزلت بالإسلام نازلة وفتنة عظيمة من الفتن!

ثم خرج ﷺ معصوب الرأس يتهادى بين علي عليه السلام والفضل بن عباس ورجلاه تجران في الأرض، حتى دخل المسجد وأبو بكر قائم في مقام رسول الله ﷺ وقد طاف به عمر وأبو عبيدة وسالم وصهيب والنفر الذين دخلوا، وأكثر الناس قد وقفوا عن الصلاة ينتظرون ما يأتي به بلال، فلما رأى الناس رسول الله ﷺ قد دخل المسجد وهو بتلك الحالة العظيمة من المرض أعظموا ذلك، وتقدم رسول الله ﷺ فجذب أبا بكر من ردائه فنحاه عن المحراب، وأقبل أبو بكر والنفر

الذيـن كانوا معـه، فتواروا خلف رسـول الله ﷺ! وأقبل النـاس فصلوا خلف رسول الله وهو جالس وبلال يسمع الناس التكبير حتى قضى صلاته، ثم التفت فلم ير أبا بكر! فقال: أيها الناس لا تعجبون من ابن أبي قحافة وأصحابه الذين أنفذتهم وجعلتهم تحت يدي أسـامة، وأمرتهم بالمسـير إلى الوجه الذي وجهوا إليه فخالفوا ذلك ورجعوا إلى المدينة ابتغاء الفتنة، ألا وإن الله قد أركسهم فيها!

أعرجـوابي إلى المنبر فقام وهو مربوط حتى قعـد على أدنى مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنني قد جاءني من أمر ربي ما الناس صائرون إليه وإني قد تركتكم على المحجة الواضحة ليلها كنهارها، فلا تختلفوا من بعدي كما اختلف من كان قبلكم من بني إسرائيل!

أيها الناس: لا أحِلُّ لكم إلا ما أحله القرآن ولا أحَرِّم عليكم إلا ما حرَّمه القرآن وإني مخلِّف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي هما الخليفتان، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فأسألكم ماذا خلفتموني فيهـما. وليذادن يومئـذ رجال عن حوضي كما تذاد الغريبة مـن الإبل، فيقول أنا فـلان وأنـا فلان، فأقـول أما الأسـماء فقد عرفـت ولكنكم ارتددتـم من بعدي فسحقاً لكم سحقاً!

ثـم نزل عن المنـبر وعاد إلى حجرته. ولم يظهر أبو بكـر وأصحابه حتى قبض رسـول الله ﷺ! وكان من الأنصار سـعد وغيرهم من السـقيفة ما كان، فمنعوا أهل بيت نبيهم ﷺ حقوقهم التي جعلها الله عز وجل لهم».

٧- أبو بكر وعمر يظهران الندم على تركهما جيش أسامة!

في **الخصـال**/١٧١: «عـن جابـر بن عبدالله قال: شـهدت عمر عنـد موته يقول: أتوب إلى الله من ثلاث: من ردي رقيق اليمن، ومن رجوعي عن جيش أسامة بعـد أن أمَّره رسـول الله علينا، ومـن تعاقدنا على أهل هذا البيـت إن قبض الله رسوله لا نولي منهم أحداً». وروي نحوه عن الإمام الباقر عليه السلام.

وفي الإيضاح/١٥٩، عن إياس بن قبيصة الأسدي، من حديث قال: «سمعت أبا بكر يقول.. وأما الثلاث اللاتي لم أفعلهن وليتني كنت فعلتهن، فوددت أني كنت أقدت من خالد بن الوليد بمالك بن نويرة، ووددت أني لم أتخلف عن بعث أسامة، ووددت أني كنت قتلت عيينة بن حصين وطلحة بن خويلد».

٨- الرواية الرسمية لجيش أسامة

في سيرة ابن هشام: ١٠٢٥/٤ و١٠٦٤: «ثم قفل رسول الله ﷺ فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفراً، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمَّر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون...

استبطأ الناس في بعث أسامة بن زيد وهو في وجعه، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر، وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمَّر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار! فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال: أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله وإنه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها! قال: ثم نزل رسول الله ﷺ وانكمش الناس في جهازهم، واستعز برسول الله ﷺ وجعه، فخرج أسامة وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف من المدينة على فرسخ «نحو٦ كيلومتر» فضرب به عسكره، وتتامَّ إليه الناس، وثقل رسول الله ﷺ فأقام أسامة والناس لينظروا ما الله قاض في رسول الله ﷺ».

وفي صحيح بخاري: ١٧٥/١، **عن عائشة:** «لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر أن يصلي بالناس، فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى ما يقم مقامك لايسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقال: مروا أبا بكر يصلي، فقلت لحفصة، قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر. قال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس! فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ في نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ورجلاه يخطان في الأرض، حتى دخل المسجد، فلما سمع أبو بكر حسه ذهب

أبو بكر يتأخر فأومأ إليه رسول الله ﷺ فجاء رسول الله حتى جلس عن يسار أبي بكر فكان أبو بكر يصلي قائماً، وكان رسول الله يصلي قاعداً يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله ﷺ والناس مقتدون بصلاة أبي بكر»!

٩- رد قولهم إن النبي ﷺ نصب أبا بكر للصلاة

رد علماؤنا روايتهم بأن النبي ﷺ أمر أن يصلي أبو بكر بالناس، وقال السيد الميلاني في إبطال ما استدل به لإمامة أبي بكر/٣٣: «أما أن النبي ﷺ كان يؤكد على بعث أسامة، وإلى آخر لحظة من حياته، فلم يخالف فيه أحد ولا خلاف فيه أبداً، وهو مذكور في كتبنا وفي كتبهم.. وأما أن كبار الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر كانا في هذا البعث، فهذا أيضاً ثابت بالكتب المعتبرة التي نقلت هذا الخبر، فكيف يأمر رسول الله ﷺ بخروج أبي بكر في بعث أسامة ويؤكد على خروجه إلى آخر لحظة من حياته، ومع ذلك يأمر أبا بكر أن يصلي في مكانه؟

وهنا يضطر مثل ابن تيمية لأن ينكر وجود أبي بكر في بعث أسامة، ويقول هذا كذب، لأنه يعلم بأن وجود أبي بكر في بعث أسامة يعني كذب خبر إرسال أبي بكر إلى الصلاة..ولذا لما توفي رسول الله ﷺ كان أسامة بجيشه في خارج المدينة، ولذا لما ولي أبو بكر اعترض أسامة ولم يبايع أبا بكر قال: أنا أمير على أبي بكر وكيف أبايعه؟ولذا لما سير أبو بكر أسامة بما أمره رسول الله به استأذن منه إبقاء عمر في المدينة المنورة ليكون معه في تطبيق الخطط المدبرة.فالقرائن الداخلية والخارجية تقتضي كذب هذا خبر أن النبي ﷺ أرسل أبا بكر إلى الصلاة».

وقال السيد الميلاني في رسالة في صلاة أبي بكر: ٧٦: «خرج معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام ورجل آخر وهو في آخر رمق من حياته ليصرفه «أبا بكر» عن المحراب.. ويعلن بأن صلاته لم تكن بأمر منه بل من غيره»!

وقال كبير أئمة الزيدية الهادي يحيى بن الحسين في تثبيت الإمامة/١٨: «وكيف تنعقد بيعة لمن هو في بيعة غيره؟ ألم يكن رسول الله ﷺ وجه أبا بكر وعمر

وغيرهما في جيش أسامة بن زيد قبل وفاته صلوات الله عليه، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ويصلوا بصلاته ويأتمروا بأمره؟ وقال ﷺ: أنفذوا جيش أسامة ولا يتخلف إلا من كان عاصياً لله ولرسوله. فلما صار أسامة بعسكره على أميال من المدينة بلغهم مرض رسول الله ﷺ فرجع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ تغير لونه وقال: اللهم إني لا آذن لأحد أن يتخلف عن جيش أسامة! وهمَّ أبو بكر بالرجوع إلى أسامة واللحوق به فمنعه عمر!

ثم قال: وقال عمر لأبي بكر: أُكتب إلى أسامة بن زيد يقدم عليك، فإن في قدومه عليك قطع الشنعة عنا! فكتب إليه أبو بكر: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى أسامة بن زيد: أما بعد، فانظر إذا أتاك كتابي هذا فأقبل إليّ أنت ومن معك، فإن المسلمين قد اجتمعوا عَلَيَّ، وولوني أمرهم، فلا تتخلفن فتعصيني ويأتيك ما تكره، والسلام. فأجابه أسامة بن زيد، وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله أسامة بن زيد عامل رسول الله ﷺ على غزوة الشام إلى أبي بكر بن أبى قحافة، أما بعد فقد أتاني كتابك ينقض أوله آخره! ذكرت فى أوله: أنك خليفة رسول الله ﷺ وذكرت في آخره أن الناس قد اجتمعوا عليك، وولوك أمرهم ورضوا بك! واعلم أني ومن معي من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين ما رضيناك ولا وليناك أمرنا، فاتق الله ربك، وإذا قرأت كتابي هذا فأقدم إلى ديوانك الذي بعثك فيه النبي ﷺ ولا تعصه، وأن تدفع الحق إلى أهله فإنهم أحق به منك، وقد علمت ما قال رسول الله في علي يوم الغدير وما طال العهد فتنسى؟! فانظر أن تلحق بمركزك ولا تتخلف فتعصي الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وتعصي من استخلفه رسول الله عليك وعلى صاحبك، فإن رسول الله ﷺ استخلفني عليكم ولم يعزلني، وقد علمت كراهة رسول الله لرجوعكم مني إلى المدينة وقال: لا يتخلفن أحد عن جيش أسامة إلا كان عاصياً لله ولرسوله! فيالك الويل يا ابن أبي قحافة! تعدل نفسك بعلي بن أبي طالب وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيه وابن عمه وأبو ولديه؟! فاتق الله أنت وصاحبك فإنه لكما بالمرصاد وأنتما منه في غرور!

والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما تركت أمة وصي رسولها ولا نقضوا عهده إلا استوجبوا من الله اللعنة والسخط!

فلما وصل الكتاب إلى أبي بكر هم أن يخلعها من عنقه فقال عمر: لا تفعل، قميص قمصك الله تعالى لا تخلعه فتندم! فقال له: يا عمر أكفرٌ بعد إسلام؟ فألح عليه عمر وقال: أُكتب إليه وإلى فلان وأمر فلاناً وفلاناً وفلاناً جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يكتبوا إليه أن أقدم، ولا تفرق جماعة المسلمين!

فلما وصلت كتبهم قدم المدينة ودخل إلى علي عليه السلام فعزاه عن رسول الله ﷺ وبكى بكاءً شديداً وضم الحسن والحسين إلى صدره وقال: يا علي ما هذا؟! قال: هو ما أنت ترى! قال: فما تأمرني؟ فأخبره بما عهد إليه رسول الله ﷺ من تركهم حتى يجد أعواناً! ثم أتى أبو بكر إلى أسامة وسأله البيعة؟ فقال له أسامة: إن رسول الله أمَّرني عليك فمن أمَّرك عَلَيَّ؟ والله لا أبايعك أبداً ولا حللت لك عهدي فلا صلاة لك إلا بصلاتي! أفلا يرى من عقل أن أسامة أمير على أبي بكر وهو أحق بهذا الأمر وأولى منه، لأن رسول الله ﷺ مات وهو عليه أمير، ولم يعزله عن إمرته. فأين الإجماع والرضا مع هذه الأخبار؟!».

وقال في تثبيت الإمامة/٢٢: «فسألناهم البينة من غير أهل مقالتهم على أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر بالصلاة بالناس؟ فلم يأتوا بالبينة على ذلك! وأجمعت الثلاث الفرق التي خالفتهم أن عائشة هي التي أمرت بلالاً عندما آذن رسول الله ﷺ فقالت: مر أبا بكر أن يصلي بالناس! فبطلت حجة من زعم أن رسول الله أمر أبا بكر بالصلاة، ولم نجد أحداً يشهد لها على هذا الإدعاء!

ثم أجمع جميع أصحاب محمد ﷺ على أنه لما أفاق من غشيته سأل: من المتولي للصلاة؟ فقالوا: أبو بكر. فنهض ﷺ متوكئاً على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه... تخط الأرض قدماه حتى جر أبا بكر من المحراب فأخره وتقدم ﷺ فصلى بالناس».

الفصل الثالث والسبعون

مرض النبي صلى الله عليه وآله وشهادته

١ - النبي صلى الله عليه وآله يزور البقيع ويحذر صحابته!

لَمّا أحس بالمرض أخذ بيد علي عليه السلام واتبعه جماعة من الناس، وذهب الى البقيع فاستغفر لأهله وقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى»! الإرشاد: ١٧٩/١ والإفصاح/٥٠.

وفي كنز الفوائد/٦٠، أنه قال لأصحابه في مرضه الذي توفي فيه: «أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»!

وقال لهم: «إنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لا يزالون مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»!

وقال لهم: «ألا لأخبرنكم ترتدون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض! ألا إني قد شهدت وغبتم»!

وقال لهم: «ستتبعون سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم. فقالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟!».

«وسمعهم يذكرون فتنة الدجال فقال لهم: إني لفتنة بعضكم أخوف مني من فتنة الدجال»!

وروت نحوه مصادر السلطة، ففي مسند أحمد: ٤٨٩/٣ عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله من جوف الليل «يقصد أيقظني» فقال: يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: السلام عليكم

يـا أهـل المقابـر، ليهْنِ لكم ما أصبحتم فيـه مما أصبح فيه النـاس! لو تعلمون ما نجاكـم الله منـه! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبـع أولها آخرها، الآخرة شر مـن الأولى! قال: ثم أقبل عليَّ فقال: يا أبـا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيـا والخلد فيهـا ثم الجنة، وخيرت بين ذلك وبين لقـاء ربي عز وجل والجنة، قـال قلـت: بأبي وأمي فخـذ مفاتيح الدنيا والخلد فيها ثم الجنـة. قال: لا والله يا أبـا مويهبـة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة. ثم اسـتغفر لأهـل البقيع ثم انصرف، فبدأ رسـول الله ﷺ في وجعه الذي قبضه الله عز وجل فيه». وابن هشـام: ١٠٥٦/٤، الدارمي: ٣٦/١، الحاكم: ٥٥/٣، الطبراني الكبير: ٣٤٧/٢٢، الطبقات: ٢٠٤/٢.

وهـذا تأكيـد ما عليه مزيـد من النبي ﷺ بـأن الفتنة تنتظر وفاتـه، وأن الموتى أحسن حالاً ممن سيقع فيها! ولا تفسير لها إلا أن الحكم سينحرف من بعده!

لكن السلطة القرشية تغمض عيونها عما ترويه، وتقول: إن الأمور سارت بعد النبي ﷺ بأفضل ما يكون، وإن خير القرون قرن صحابته!

٢- مدة مرض النبي ﷺ

تفاوتـت الروايـة في مدة مرض النبي ﷺ بـين ثلاثة عشر وثمانيـة عشر يوماً، والأخير أرجح، لأن وفاته كانت يوم الإثنين، وبدأ مرضه يوم السبت.

والمشـهور عندنـا أن وفاته ﷺ كانـت في الثامـن والعشرين مـن صفر، وعند أتباع المذاهب أنها في الثاني عشر من ربيع الأول.

وكان مرضه ﷺ الحمـى والصداع، وقد نفى أئمتنا عليهم السلام أن يكون مرضه ذات الجنب أي التهاب الرئة، ففي الكافي: ١٩٣/٨، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«اشـتكى رسـول الله ﷺ فقالت له عائشـة: بك ذات الجنب؟ فقال: أنا أكرم على الله عز وجل من أن يبتليني بذات الجنب».

لكن عائشة قالت: «ما مات رسول الله إلا من ذات الجنب»! الزوائد: ٣٤/٩.

٣- مات النبي ﷺ شهيداً بالسُّمّ!

قال الله تعالى: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيئًا وَسَيجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ.

فأخبر عز وجل بأن وفاته ﷺ ستكون بالموت الطبيعي أو بالقتل، وهذا الترديد من الله العليم بكل شئ، يعني فتح الباب لاحتمال قتله بالسيف أو السُّم.

وقد أهدت له يهودية بعد فتح خيبر شاة مسمومة، وأكلوا منها لقمة أو شموا رائحتها فأخبره الله تعالى بأنها مسمومة، وزعموا أنه أكل منها وأن ذلك السم كان يعاوده سنوياً. أبوداود: ٢/٣٧٠ وابن ماجة: ٢/١١٧٤.

وقال في شفاء السقام/٣٣٢: «قال العلماء: فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة».

لكن أحاديثنا نفت أن يكون النبي ﷺ أكل من تلك الشاة، **ففي الثاقب لابن حمزة/٨١:** «فلما وضعت الشاة بين يديه ﷺ، تكلمت كتفها فقال: مه يا محمد لا تأكلني، فإني مسمومة». فالصحيح أنه ﷺ لم يأكل منها.



وروينا أنه مات مسموماً من غير لحم الشاة، بالدواء الذي لُدَّ به في مرضه! واللُّدود دواء كالمرهم يوضع في الفم! وقد روته عامة مصادرهم.

وخلاصة القصة: أن النبي ﷺ كان يغشى عليه من شدة الحمى لدقائق ويفيق، فأحس بأن بعض من حوله يريدون أن يسقوه دواء عندما يغمى عليه، فنهاهم وشدد نهيه عليهم، ومع ذلك عصوه ووضعوا في فمه دواء كالمرهم عندما أغمي عليه فرفضه فوضعوه في فمه بالقوة! فأفاق ﷺ ووبخهم على عملهم، وأمر كل من كان حاضراً أن يشرب من ذلك الدواء، ما عدا بني هاشم!

قال البخاري: ٧/١٧: «قالت عائشة: لددناه في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني فقلنا كراهية المريض للدواء. فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدوني؟! قلنا: كراهية المريض للدواء. فقال: لايبقى في البيت أحد إلا لد وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهدكم»! «ورواه في: ٨/٤٠ و٤٢» **وفيه أنه أحس باللد فنهاهم فلم يمتنعوا فعاقبهم!**

وفي رواية الحاكم: ٤/٢٠٢: « والذي نفسي بيده لايبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمِّي

قال فرأيتهم يلدونهم رجلاً رجلاً قالت عائشة: ومن في البيت يومئذ فيذكر فضلهم، فلُدَّ الرجال أجمعون وبلغ اللدود أزواج النبي فلددن امرأة امرأة»!

ويظهر أنهم لدوه مرتين! أولاهما في أول مرضه ﷺ، كما في مسند أحمد: ٤٣٨/٦: عن أسماء بنت عميس قالت: أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فاشتد مرضه حتى أغمي عليه، فتشاور نساؤه في لده فلدوه، فلما أفاق قال: ما هذا؟! فقلنا: هذا فعل نساء جئن من ههنا، وأشرن إلى أرض الحبشة وكانت أسماء بنت عميس فيهن. قالوا: كنا نتهم فيك ذات الجنب يا رسول الله! قال: إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقرفني به! لا يبقين في هذا البيت أحد إلا التدَّ إلا عمُّ رسول الله يعني العباس! قال فلقد التدت ميمونة يومئذ وإنها لصائمة لعزمة رسول الله.

والمرة الثانية التي رواها بخاري ومسلم في آخر مرضه يوم الأحد: «ونزل أسامة يوم الأحد، ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور وهو اليوم الذي لدُّوه فيه، فدخل على رسول الله ﷺ وعيناه تهملان». الطبقات: ١٩٠/٢، تاريخ دمشق: ٥٦/٢، عيون الأثر: ٣٥٢/٢، الإمتاع: ٥٢٠/١٤ وسبل الهدى: ٢٤٩/٦.

وقد اضطربت رواياتهم فيمن وضع الدواء في فم النبي ﷺ بالقوة، وسألهم هو فأشاروا في المرة الأولى الى أسماء بنت عميس، وقالوا له في الثانية إنه العباس، والصحيح أنهما عائشة وحفصة. كما تحير الفقهاء في يمينه ﷺ بمعاقبة جميع من حضر وغرضه من ذلك! ولا تفسير له إلا أن النبي ﷺ أراد أن يفهم أجيال الأمة أنه مات مسموماً، وأن الحاضرين غير بني هاشم، متهمون بدمه!

ومما يدل على أن النبي ﷺ مات مسموماً قول الإمام الحسن عليه السلام بسند صحيح «إني أموت بالسم كما مات رسول الله ﷺ! فقالوا: ومن يفعل ذلك؟! قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث بن قيس، فإن معاوية يدس إليها ويأمرها بذلك. قالوا: أخرجها من منزلك وباعدها من نفسك! قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعد شيئاً، ولو أخرجتها ما قتلني غيرها وكان لها عذر عند الناس»!

وفي كتاب سليم/٣٦٣: «فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يبكي فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله أتُقتل؟ قال: نعم أهلك شهيداً بالسم! وتُقتل أنت بالسيف وتُخضب لحيتك من دم رأسك، ويقتل ابني الحسن بالسم، ويقتل ابني الحسين بالسيف، يقتله طاغ ابن طاغ، دعي ابن دعي»! وما رواه العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «تدرون مات النبي صلى الله عليه وآله أو قتل؟ إن الله يقول: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ. فسُمَّ قبل الموت، إنهما سقتاه».

وما رواه وصححه مجمع الزوائد: ٣٤/٨، عن ابن مسعود قال: «لإن أحلف تسعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله قتل قتلاً أحب إلي من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك بأن الله عزوجل جعله نبياً واتخذه شهيداً! قال الأعمش: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: كانوا يرون أن اليهود سموه»!

ومما يؤيد موته بالسم، أنه سقي ذلك الدواء يوم الأحد، وتقيأ دماً يوم الإثنين! قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ٢٦٦/١٠: «يروى أنه صلى الله عليه وآله قذف دماً يسيراً وقت موته ومن قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب، وأن القرحة التي كانت في الغشاء المستبطن للأضلاع انفجرت في تلك الحال وكانت فيها نفسه».

وبما أنه صلى الله عليه وآله نفى أن يكون مرضه ذات الرئة، فالمرجح أنه قذف دماً يوم الإثنين مما سقي يوم الأحد!

٤- جاء الأنصار يبكون، فخطب فيهم النبي صلى الله عليه وآله

في أمالي المفيد/٤٦: «عن عبدالله بن عباس قال: إن علي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب والفضل بن العباس، دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه فقالوا: يا رسول الله هذه الأنصار في المسجد تبكي رجالها ونساؤها عليك. فقال: وما يبكيهم؟ قالوا: يخافون أن تموت. قال صلى الله عليه وآله: أعطوني أيديكم فخرج في ملحفة وعصابة حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فما تنكرون من موت نبيكم؟ ألم أُنْعَ إليكم وتُنْع إليكم أنفسكم؟ لو خُلِّدَ أحد قبلي ثم بعث إليه لخلدت فيكم. ألا إني لاحق بربي وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به

لن تضلوا: كتاب الله تعالى بين أظهركم، تقرؤونه صباحاً ومساءً، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله، وقد خلفت فيكم عترتي أهل بيتي وأنا أوصيكم بهم، ثم أوصيكم بهذا الحي من الأنصار، فقد عرفتم بلاهم عند الله عزوجل وعند رسوله وعند المؤمنين، ألم يوسعوا في الديار ويشاطروا الثمار ويؤثروا وبهم الخصاصة؟

فمن ولي منكم أمراً يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسن الأنصار، وليتجاوز عن مسيئهم. وكان آخر مجلس جلسه حتى لقي الله عزوجل».

٥- الأمة تواجه رسولها بالإنقلاب عليه!

روت كل المصادر حديث الإنقلاب على النبيﷺ الذى قاده عمر بن الخطاب بمناصرة طلقاء قريش، فقد وقف في وجه النبيﷺ في مرضه وردَّ عليه ومنعه أن يكتب لأمته عهداً يؤمِّنُها من الضلال، ويجعلها سيدة العالم!

وبمجرد أن أمر النبيﷺ بذلك أعلن عمر رفضه، وصاح: حسبنا كتاب الله.. وصاح خلفه القرشيون الطلقاء: **القول ما قاله عمر، لا تقربوا له شيئاً!**

قال البخاري: ٣٦/١: «عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبيﷺ وجعه قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا! فاختلفوا: وكثر اللغط! قالﷺ: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع. فخرج ابن عباس يقول: إن الرزيئة كل الرزيئة ما حال بين رسول اللهﷺ وبين كتابه».

«فلما أكثروا اللغو والإختلاف قال رسول الله: قوموا». بخاري: ١٣٧/٥.

وفي مسلم: ٧٥/٥: «عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ! قال: قال رسول اللهﷺ: إئتوني بالكتف والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فقالوا: إن رسول الله يهجر! وفي رواية أخرى: فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله».

وفي مسند أحمد: ٣٤٦/٣: «دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لايضلون بعده قال فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها»!

وفي مجمع الزوائد: ٣٣/٩: «عن عمر بن الخطاب قال: لما مرض النبي قال: أُدعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتاباً لاتضلون بعدي أبداً، فكرهنا ذلك أشد الكراهة! ثم قال: أُدعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده أبداً! فقال النسوة من وراء الستر: ألاتسمعون ما يقول رسول الله؟ فقلت: إنكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله عصرتن أعينكن وإذا صح ركبتن رقبته. فقال رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم»!

وقد وصف المحامي الأردني أحمد حسين يعقوب/١٨٢، أجواء المواجهة في كتابه القيم: عدالة الصحابة، فكتب تحت عنوان: المواجهة الصاخبة:

«النبي على فراش الموت، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه. النبي على علم بمستقبل هذه الأمة وقد أدى دوره كاملاً وبلغ رسالات ربه، وبين لهم كل شئ على الإطلاق، وهو على علم تام بما يجري حوله، ومدرك أنه السكون الذي يسبق الإنفجار، فينسف الشرعية السياسية والمرجعية! وبنسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي للدعوة والدولة.

ولكن مثل النبي لاينحني أمام العاصفة، ولا يقعده شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة! وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة، بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهتدي وحتى لاتضل، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تتربص بها وتنتظر موت النبي لتفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام وتعيق حركته وتغير مساره!

النبي على فراش المرض، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة، وقد أصر النبي على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام، فقال: قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي؟ من يرفض التأمين ضد

الضلالة؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟

ثم، إن من حق أي مسلم أن يوصي، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته، والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله!

هذا إذا افترضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي، وليس نبياً وقائداً للأمة.

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله!

فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، ومنهم من يقول: القول ما قاله عمر!

فلما أكثروا اللغو والإختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا عني!

وفي رواية ثانية أن الرسول عندما قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، تنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا هجر رسول الله! قال النبي: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه!.

وفي رواية ثالثة، قال النبي: إئتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا: إن رسول الله يهجر.

وفي رواية رابعة للبخاري: إن النبي قال: إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وأكثروا اللغط! قال النبي: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع.

رواية بلفظ خامس للبخاري: قال النبي: إئتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شأنه أهجر؟ إستفهموه. فذهبوا يرددون عليه فقال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.

رواية بلفظ سادس للبخاري: قال النبي: إئتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما له أهجر، استفهموه، فقال النبي: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه.

رواية بلفظ سابع للبخاري: قال النبي: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده.

قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله! واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والإختلاف عند النبي قال: قوموا عني. وفي رواية أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر.

وقد اعترف الفاروق أنه صد النبي عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر لعلي!

تحليل المواجهة:

أطراف المواجهة: الطرف الأول، محمد رسول الله وخاتم النبيين وإمام الدولة الإسلامية «رئيسها». الطرف الثاني، عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة، ووزير من أبرز وزراء دولة النبي، والخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد.

مكان المواجهة: بيت النبي.

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم.

النتائج الأولية للمواجهة:

١ - الإنقسام: إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين: القسم الأول: يؤيد الفاروق فيما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد. وحجة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة، وأحد وزراء النبي، ومشفق على الإسلام، وأن النبي مريض، وبالتالي فلا داعي لإزعاجه بكتابة هذا الكتاب. ثم إن القرآن وحده يكفي، فهو التأمين ضد الضلالة، ولا داعي لأي كتاب آخر يكتبه النبي!

القسم الثاني: يرفض المواجهة أصلاً بين التابع والمتبوع وبين نبي ومصدق به وبين رسول يتلقى تعليماته من الله، وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت وبين واحد من وزرائه.

ويرى هذا القسم أن تتاح الفرصة للنبي ليقول ما يريد، ولكتابة ما يريد لأنه نبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله، ولأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله.

ثم على الأقل، لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره، ومن حقه أن يقول ما

يشاء وأن يكتب ما يشاء. ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته فهو صاحب البيت ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته.

٢- بروز قوة هائلة جديدة: برز الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين بمواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه»! انتهى كلام المحامي الأردني.

أقول: جاء انقلاب يوم الخميس نتيجة صراع قريش مع النبيﷺ الذى أخذ منحى جديداً بعد فتح مكة، فقد قرر زعماء قريش أن يخوضوا مع النبيﷺ المواجهة حول خلافته وأن تكون بزعامة عمر! وكثفوا وجود الطلقاء في المدينة لشد ظهر عمر فبلغوا ألوفاً! لأن الذين كتب النبيﷺ أسماءهم منهم في جيش أسامة كانوا سبع مئة! فتح الباري: ١١٦/٨.

وقد أخبر الله تعالى نبيهﷺ أن أمته ستختلف بعده كالأمم السابقة: «وَلَوْشَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْشَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ». البقرة: ٢٥٣.

فكان النبيﷺ يؤكد على مكانة أهل بيته عليهم السلام ويحذر أمته أن يرتدوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، لأجل الحكم والخلافة! وخطب فيهم في حجة الوداع خمس خطب بيَّنَ فيها كل ما ينبغي بيانه وبشرهم بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام من عترته بعده، وأكد على وجوب اتباعهم وإلا وقعوا في الضلال والإنهيار!

«وفي خطبته السادسة بغدير خم أخذ بيد عليعليه السلام وأصعده المنبر وأعلنه خليفته، وأمرهم أن يهنئوه ويبايعوه ففعلوا، وكان عمر أول المهنئين! فقال كما في حديثهم الصحيح: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم».

وفى مرض وفاتهﷺ أمره ربه عز وجل أن يدعو أصحابه وأهل الحل والعقد من أمته ويتم عليهم الحجة، فعرض عليهم أعظم عرض قدمه نبي لأمته! أن يضمن لهم أن يكونوا سادة العالم إلى يوم القيامة، بشرط أن يقبلوا حكم الله

ورسوله ﷺ، ويلتزموا بتنفيذ عهد يكتبه لهم! فانبرى له عمر بالنيابة عن قريش فرد عليه، وأعلن رفضهم لعرضه!

فشد ظهر عمر أكثر الحاضرين وصاحوا في وجهه ﷺ: القول ما قاله عمر، أي لا نريد أن تكتب لنا كتاباً، ولا نريد أمانك من الضلال! فقد غلب عليك الوجع وفقدت الصلاحية العقلية فأنت تهذي! فردوا عليه وأهانوه ﷺ، وحكموا عليه بأنه فقد عقله فهو يهذي! واختاروا الضلال عن عمد وإصرار، وأن يصادروا من نبيهم ﷺ قيادة الأمة ويعطوها إلى عمر، زعيم قريش الجديد!

واضطر النبي المظلوم ﷺ إلى السكوت، لأنهم خيروه بين الكف عن كتابة عهده وبين أن يعلنوا الردة، وأنه ليس نبياً بل أراد تأسيس ملك لأسرته كملك كسرى وقيصر! فاليوم ابن عمه علي ابن الثلاث والثلاثين سنة ثم من بعده أولاد ابنته الذين هم دون العاشرة، وإن دخلت الخلافة فيهم فلن تخرج منهم، ولن يصل إلى قبائل قريش شيء، وهذا ظلم لقريش ما بعده ظلم!

لهذا، تقدم عمر بتخويل زعماء قريش، وواجهه بالقول إن بني هاشم تكفيهم النبوة، والخلافة يجب أن تكون لبقية البطون، وبنو هاشم فيها كغيرهم لا أكثر!

قال عمر، شرح النهج: ٢١/١٢ لعبدالله بن عباس: «يا عبدالله عليك دماء البدن إن كتمتنيها! هل بقي في نفسه (علي) شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم، قال: أيزعم أن رسول الله نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعيه فقال: صدق. فقال عمر: لقد كان من رسول الله في أمره ذَرْوٌ (طرف) من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام! لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله أني علمت ما في نفسه، فأمسك». **ثم قال ابن أبي الحديد:** ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً.

لكنهم حذفوه من تاريخ بغداد! ولعل السبب أن عمر صرح فيه بأنه منع النبي ﷺ أن

يكتب الكتاب لعلي عليه السلام بالخلافة، وادعى أن دافعه لمواجهة النبي صلى الله عليه وآله الإشفاق على الإسلام، لأن قريشاً والعرب لا يطيعون علياً عليه السلام!

وهكذا اعتبرت قريش أنها انتصرت على النبي صلى الله عليه وآله في مرض وفاته، فمنعته من كتابة عهده لعترته! وما إن أغمض عينيه صلى الله عليه وآله حتى سارعت بالصفق على يد خليفتها، وأسست نظام الخلافة القرشي على قانون الغلبة والتسلط! وفتحت بذلك صراعاً على السلطة لم تعرف أمة بعد رسولها أكثر منه سفكاً للدماء! وكان نتيجة هذا النظام بعض فتوحات على غير منهج، ثم غلبة غلمان بني أمية على الخلافة، ثم غلمان بني العباس، ثم غلمان الشراكسة والعثمانيين، حتى انهارت الخلافة ودفنها الغربيون في استانبول!

كانت المدة بين يوم الغدير يوم الخميس ١٨ ذي الحجة، وبين يوم الخميس يوم الرزية ٢٤ صفر من نفس السنة ستاً وستين يوماً فقط! نشط فيها القرشيون ضد خلافة عترة النبي صلى الله عليه وآله ووقعت أحداث ونزلت آيات، وصدرت من النبي صلى الله عليه وآله خطب وأحاديث! ومن أبرزها دعوتهم الى كتابة عهده، فأفشلوها كما رأيت!

وقبلها إرسالهم في جيش أسامة ليخلو الجو منهم في المدينة، فيرتب الخلافة قبل وفاته! فأفشلوا جيش أسامة كما رأيت، وكان لحفصة وعائشة دور خطير كما قال الله تعالى: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَمَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِك ظَهِيرٌ.

وتدل رواية سُليم بن قيس/٣٢٤، على أن النبي صلى الله عليه وآله حاول في آخر يوم من حياته الشريفة أيضاً أن يكتب عهده فوقف عمر نفس الموقف! قال سليم: «كنت عند عبدالله بن عباس في بيته وعنده رهط من الشيعة: قال فذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وموته فبكى ابن عباس وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الإثنين وهو اليوم الذي قبض فيه وحوله أهل بيته وثلاثون رجلاً من أصحابه: إيتوني بكتف أكتب لكم فيه كتاباً لن تضلوا بعدي ولن تختلفوا بعدي! فمنعهم رجل فقال: إن رسول الله يهجر! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إني أراكم تخالفوني وأنا

حي فكيف بعد موتي! قال سليم: ثم أقبل على ابن عباس فقال: يا سليم، لولا ما قال ذلك الرجل لكتب لنا كتاباً لا يضل أحد ولا يختلف! فقال رجل من القوم: ومن ذلك الرجل؟ فقال: ليس إلى ذلك سبيل. فخلوت بابن عباس بعد ما قام القوم فقال: هو عمر. فقلت: صدقت قد سمعت علياً وسلمان وأباذر والمقداد يقولون إنه عمر. فقال: يا سليم أكتم إلا ممن تثق بهم من إخوانك، فإن قلوب هذه الأمة أشربت حب هذين الرجلين كما أشربت قلوب بني إسرائيل حب العجل»!

كما يدل قول الطبري الشيعي في المسترشد/٦٨٠، على غضب النبي صلى الله عليه وآله وحزنه عندما أمرهم بالقبول بعهده فعصوه! قال: «أليس قال الرسول صلى الله عليه وآله وقد تغرغر «شرق بكلماته حزناً» إيتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم ما لا تضلون معه بعدي. فقال الثاني: هجر رسول الله، ثم قال: حسبنا كتاب الله»!

أقول: عملت السلطة بكل حيلة لإخفاء هذه القضية وتغييبها، وتفسير ما أفلت منها لمصلحتها، ثم دافعوا عن قادة الإنقلاب وجعلوا فعلهم صواباً، وجعلوا أمر النبي صلى الله عليه وآله بالكتابة خطأ! **وهنا بحوث مهمة.** راجع: ألف سؤال وإشكال: ٣٦٩/٢.

٦- وصايا النبي صلى الله عليه وآله العامة والخاصة

مع أن زعماء قريش منعوا النبي صلى الله عليه وآله من كتابة عهده لأمته، فقد صدرت عنه مجموعة وصايا: منها للمسلمين، ومنها لعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام.

ومنها وصيته صلى الله عليه وآله التي نزل بها جبرئيل، وشهد عليها هو والملائكة عليهم السلام.

ومنها عهد الله تعالى للأئمة عليهم السلام الذي جاء به جبرئيل عليه السلام في صحف مختومة لكل إمام باسمه.

ومنها عهد الله تعالى الى الأئمة من ذرية فاطمة عليها السلام في اللوح الذي جاء به جبرئيل عليه السلام هدية من الله تعالى لفاطمة عليها السلام.

هذا مضافاً الى تأكيداته المتواصلة على الثقلين والخليفتين بعده: كتاب الله وعترته أهل بيته عليهم السلام، وعلى علي عليه السلام بصفته أول العترة.

ولا يتسع المجال لتفصيل هذه الوصايا النبوية، التي أخفاها رواة السلطة، لكن بقي منها ما فيه بلاغ لمن كان له قلب.

٧- تأكيداته الأخيرة على علي والعترة عليهم السلام

في أمالي المفيد/١٣٤، عن أبي سعيد الخدري: «إن آخر خطبة خطبنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله لخطبة خطبنا في مرضه الذي توفي فيه، خرج متوكياً على علي بن أبي طالب وميمونة مولاته، فجلس على المنبر ثم قال: يا أيها الناس إني تارك فيكم الثقلين وسكت. فقام رجل فقال: يا رسول الله ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمر وجهه ثم سكن، وقال: ما ذكرتهما إلا وأنا أريد أن أخبركم بهما ولكن رَبَوْتُ فلم أستطع: سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم تعملون فيه كذا، ألا وهو القرآن، والثقل الأصغر أهل بيتي. ثم قال: وأيم الله إني لأقول لكم هذا ورجال في أصلاب أهل الشرك أرجى عندي من كثير منكم! ثم قال: والله لايحبهم عبد إلا أعطاه الله نوراً يوم القيامة حتى يرد عليَّ الحوض، ولا يبغضهم عبد إلا احتجب الله عنه يوم القيامة»!

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢/٢١٧: «حلية الأولياء، وفضايل السمعاني، وكتاب الطبراني، والنطنزي، بالإسناد عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن الحسن بن علي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُدعوا لي سيد العرب يعني علياً، فقالت عايشة: ألست سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب. فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه فقال: معاشر الأنصار على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده. قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: هذا علي فأحبوه لحبي وأكرموه لكرامتي، فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عزوجل.. وفي رواية: فقالت عايشة: وما السيد؟ قال: من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي».

وفي كفاية الأثر/٤١: عن سلمان الفارسي قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: معاشر الناس إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي

خيراً، وإياكم والبدع، فإن كل بدعة ضلالة والضلالة وأهلها في النار.

معاشر الناس: من افتقد الشمس فليتمسك بالقمر، ومن افتقد القمر فليتمسك بالفرقدين، فإذا فقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة بعدي، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. قال: فلما نزل عن المنبر صلى الله عليه وآله تبعته حتى دخل بيت عائشة فدخلت إليه وقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله سمعتك تقول: إذا افتقدتم الشمس فتمسكوا بالقمر، وإذا افتقدتم القمر فتمسكوا بالفرقدين، وإذا افتقدتم الفرقدين فتمسكوا بالنجوم الزاهرة. قيل: فما الشمس وما القمر وما الفرقدان وما النجوم الزاهرة؟ فقال: أنا الشمس وعلي القمر والحسن والحسين الفرقدان، فإذا افتقدتموني فتمسكوا بعلي بعدي، وإذا افتقدتموه فتمسكوا بالحسن والحسين. وأما النجوم الزاهرة فهم الأئمة التسعة من صلب الحسين تاسعهم مهديهم. ثم قال صلى الله عليه وآله: إنهم هم الأوصياء والخلفاء بعدي، أئمة أبرار، عدد أسباط يعقوب وحواري عيسى.

قلت: فسمهم لي يا رسول الله. قال: أولهم علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي، وبعدهما علي زين العابدين، وبعده محمد بن علي الباقر علم النبيين، والصادق جعفر بن محمد، وابنه كاظم سمي موسى بن عمران والذي يقتل بأرض الغربة، ثم ابنه علي، ثم ابنه محمد، والصادقان علي والحسن، والحجة القائم المنتظر في غيبته، فإنهم عترتي من دمي ولحمي، علمهم علمي وحكمهم حكمي، من آذاني فيهم فلا أناله الله شفاعتي». ومناقب آل أبي طالب: ٢٤٢/١.

وفي كتاب سليم/٣٠٠ و٤١٤، أن أمير المؤمنين ناشد كبار الصحابة، فكان مما قاله: «أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قام خطيباً ولم يخطب بعدها.. ثم دخل بيته فلم يخرج حتى قبضه الله إليه، وقال: يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد عهد إلي اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض؟ فقالوا: اللهم نعم قد شهدنا ذلك.. فقال عليه السلام: حسبي الله».

وفي تفسير العياشي: ٥/١: «عن مسعدة بن صدقة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إن الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب، عليها يستدير محكم

القرآن، وبها نوهت الكتب، ويستبين الإيمان. وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقتدى بالقرآن وآل محمد، وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها: إني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر و الثقل الأصغر، فأما الأكبر فكتاب ربي، وأما الأصغر فعترتي أهل بيتي، فاحفظوني فيهما فلن تضلوا ما تمسكتم بهما».

وفي الكافي: ٤١٤/٢: «عن سليم بن قيس قال: سمعت علياً صلوات الله عليه يقول وأتاه رجل فقال له: ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً وأدنى ما يكون به العبد كافراً وأدنى ما يكون به العبد ضالاً؟ فقال له: قد سألت فافهم الجواب: أما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقر له بالطاعة، ويعرفه نبيه ﷺ فيقر له بالطاعة، ويعرفه إمامه وحجته في أرضه وشاهده على خلقه فيقر له بالطاعة. قلت له: يا أمير المؤمنين وإن جهل جميع الأشياء إلا ما وصفت؟ قال: نعم إذا أُمِرَ أطاع، وإذا نُهِي انتهى.

وأدنى ما يكون به العبد كافراً: من زعم أن شيئاً نهى الله عنه أن الله أمر به، ونصبه ديناً يتولى عليه ويزعم أنه يعبدالذي أمره به، وإنما يعبدالشيطان.

وأدنى ما يكون به العبد ضالاً أن لا يعرف حجة الله تبارك وتعالى وشاهده على عباده، الذى أمر الله عزوجل بطاعته وفرض ولايته.

قلت: يا أمير المؤمنين صفهم لي فقال: الذين قرنهم الله عزوجل بنفسه ونبيه، فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمرِ مِنْكمْ. قلت: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك أوضح لي، فقال: الذين قال رسول الله ﷺ في آخر خطبته يوم قبضه الله عزوجل إليه: إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعدى ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير قد عهد إليّ أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كهاتين، وجمع بين مسبحتيه، ولا أقول كهاتين، وجمع بين المسبحة والوسطى، فتسبق إحداهما الأخرى، فتمسكوا بهما لا تزلوا ولا تضلوا ولا تقدموهم فتضلوا».

وفي المراجعات/٢٧٩: «وحسبك في وجوب اتباع الأئمة من العترة الطاهرة،

اقترانهم بكتاب الله عزوجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكما لا يجوز الرجوع إلى كتاب يخالف في حكمه كتاب الله سبحانه وتعالى، لا يجوز الرجوع إلى إمام يخالف في حكمه أئمة العترة».

أقول: ورد في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وصف القرآن بالثقل الأكبر، ووصف أئمة العترة بالثقل الأصغر. ثم ورد النص على أنهما ليسا متفاوتين كالأصبع الوسطى والسبابة، بل هما متساويان كالسبابتين. وهذا يعني أن الصغر والكبر لا يرجع الى ذاتهما فهما متساويان، بل الى شيئ يتعلق بهما وبنوع علاقة الأمة بهما، أو التكليف والمسؤولية عنهما وما شابه. وعندنا أن النبي صلى الله عليه وآله وكذا عترته عليهم السلام أعظم شأناً وأفضل من القرآن، على عظمته وعلو شأنه.

٨- الوصية التي نزلت من الله تعالى الى الأئمة عليهم السلام

نصت أحاديث وصية النبي صلى الله عليه وآله أنه أملاها على علي عليه السلام فكتبها وأخذ تعهده بها ثم طلب من جبرئيل عليه السلام أن يشهد عليها، فعرج بها ثم جاء بصحيفة مختومة ومعه الملائكة ليشهدوا على تبليغ النبي صلى الله عليه وآله إياها لعلي عليه السلام، وتعهده بتنفيذها!

ففي الكافي: ٢٨١/١، عن الإمام الكاظم أنه سأل أباه الصادق عليهما السلام قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتب الوصية ورسول الله صلى الله عليه وآله المملي عليه وجبرئيل والملائكة المقربون عليهم السلام شهود؟ قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت، ولكن حين نزل برسول الله صلى الله عليه وآله الأمر نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً، نزل به جبرئيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة، فقال جبرئيل: يا محمد، مُرْ بإخراج من عندك إلا وصيك ليقبضها منا، وتشهدنا بدفعك إياها إليه، ضامناً لها، يعني علياً عليه السلام. فأمر النبي صلى الله عليه وآله بإخراج من كان في البيت ما خلا علياً، وفاطمة فيما بين الستر والباب، فقال جبرئيل: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول: هذا كتاب ما كنت عهدت إليك وشرطت عليك وشهدت به عليك، وأشهدت به عليك ملائكتي وكفى بي يا محمد شهيداً. قال: فارتعدت مفاصل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا جبرئيل، ربي هو السلام، ومنه السلام، وإليه يعود السلام، صدق عزوجل وبر،

هات الكتاب، فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: إقرأه، فقرأه حرفاً حرفاً، فقال: يا علي هذا عهد ربي تبارك وتعالى إليّ وشرطه عليّ وأمانته، وقد بلغت ونصحت وأديت. فقال علي: وأنا أشهد لك بأبي وأمي أنت بالبلاغ والنصيحة، والتصديق على ما قلت، ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي. فقال جبرئيل: وأنا لكما على ذلك من الشاهدين. فقال رسول الله: يا علي أخذت وصيتي وعرفتها، وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها؟ فقال علي: نعم بأبي أنت وأمي على ضمانها، وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إني أريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة! فقال علي عليه السلام نعم أشهد. فقال النبي صلى الله عليه وآله: إن جبرئيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن، وهما حاضران معهما الملائكة المقربون لأشهدهم عليك.

فقال: نعم ليشهدوا وأنا بأبي أنت وأمي أشهدهم. فأشهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكان فيما اشترط عليه النبي صلى الله عليه وآله بأمر جبرئيل عليه السلام فيما أمر الله عز وجل أن قال له: يا علي تفي بما فيها من موالاة من والى الله ورسوله، والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله والبراءة منهم. على الصبر منك، وعلى كظم الغيظ، وعلى ذهاب حقك، وغصب خمسك، وانتهاك حرمتك؟

فقال: نعم يا رسول الله. فقال أمير المؤمنين: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد سمعت جبرئيل عليه السلام يقول للنبي صلى الله عليه وآله: يا محمد عَرِّفْه أنه تُنتهك الحرمة، وهي حرمة الله وحرمة رسول الله، وعلى أن تخضب لحيته من رأسه بدم عبيط!

قال أمير المؤمنين عليه السلام: فصعقت حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل، حتى سقطت على وجهي وقلت: نعم قبلت ورضيت، وإن انتهكت الحرمة، وعطلت السنن، ومزق الكتاب، وهدمت الكعبة، وخضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط، صابراً محتسباً أبداً، حتى أقدم عليك! ثم دعا رسول الله فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأعلمهم مثل ما أعلم أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا مثل قوله! فختمت الوصية بخواتيم من ذهب، لم تمسه النار، ودفعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الراوي: فقلت لأبي الحسن «الإمام الكاظم عليه السلام»: بأبي أنت وأمي، ألا تذكر ما كان في الوصية؟ فقال: سنن الله وسنن رسوله. فقلت: أكان في الوصية توثبهم وخلافهم على أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم والله شيئاً شيئاً، وحرفاً حرفاً، أما سمعت قول الله عز وجل: إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ.

والله لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام: أليس قد فهمتما ما تقدمت به إليكما وقبلتماه؟ فقالا: بلى وصبرنا على ما ساءنا وغاظنا»!!

أقول: نقل صاحب البحار رحمه الله أحاديث هذه الوصية: ٤٧٦/٢٢ من كتاب الطُّرف لابن طاووس رحمه الله عن كتاب عيسى بن المستفاد، وهو الراوي الأخير في سند حديث الكليني، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله عنده موته وأخرج من كان عنده في البيت غيري، والبيت فيه جبرئيل والملائكة أسمع الحس ولا أرى شيئاً، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب الوصية من يد جبرئيل مختومة فدفعها إليّ وأمرني أن أفضها ففعلت، وأمرني أن أقرأها فقرأتها فقال: إن جبرئيل عندي، أتاني بها الساعة من عند ربي فقرأتها، فإذا فيها كل ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي به شيئاً شيئاً ما تغادر حرفاً!

وبالإسناد المتقدم عنه عن أبيه عن جده الباقر عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت مسند النبي صلى الله عليه وآله إلى صدري ليلة من الليالي في مرضه، وقد فرغ من وصيته وعنده فاطمة ابنته، وقد أمر أزواجه والنساء أن يخرجن من عنده ففعلن، فقال: يا أبا الحسن تحول من موضعك وكن أمامي، قال ففعلت، وأسنده جبرئيل عليه السلام إلى صدره، وجلس ميكائيل عليه السلام على يمينه فقال: يا علي ضم كفيك بعضها إلى بعض ففعلت، فقال لي: قد عهدت إليك أحدث العهد لك بمحضر أميني رب العالمين: جبرئيل وميكائيل، يا علي بحقهما عليك إلا أنفذت وصيتي على ما فيها وعلى قبولك إياها بالصبر والورع على منهاجي وطريقي، لا طريق فلان وفلان، وخذ ما آتاك الله بقوة. وأدخل يده فيما بين كفي وكفاي مضمومتان، فكأنه أفرغ بينهما شيئاً فقال: يا علي قد أفرغت بين يديك الحكمة وقضاء ما يرد عليك، وما هو وارد لا يعزب عنك من أمرك شيء، وإذا حضرتك الوفاة، فأوص وصيتك

إلى من بعدك على ما أوصيك، واصنع هكذا بلا كتاب ولا صحيفة».

وفيه عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «قال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله في أولها: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وأوصى به، وأسنده بأمر الله إلى وصيه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

وكان في آخر الوصية: شهد جبرئيل وميكائيل وإسرافيل على ما أوصى به محمد إلى علي بن أبي طالب، وقبضه وصيه، وضمانه على ما فيها على ما ضمن يوشع بن نون لموسى بن عمران، وعلى ما ضمن وأدى وصي عيسى بن مريم، وعلى ما ضمن الأوصياء قبلهم، على أن محمد أفضل النبيين وعلياً أفضل الوصيين. وأوصى محمد وسلم إلى علي وأقر علي، وقبض الوصية على ما أوصى به الأنبياء، وسلم محمد الأمر إلى علي بن أبي طالب، وولاه الأمر على أن لانبوة لعلي ولا لغيره بعد محمد، وكفى بالله شهيداً».

وفيه أيضاً: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام حين دفع إليه الوصية: إتخذْ لها جواباً غداً بين يدي الله تبارك وتعالى رب العرش، فإني محاجك يوم القيامة بكتاب الله حلاله وحرامه، ومحكمه ومتشابهه على ما أنزل الله، وعلى ما أمرتك، وعلى فرائض الله كما أنزلت، وعلى الأحكام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتنابه، مع إقامة حدود الله وشروطه، والأمور كلها، وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة لأهلها، وحج البيت، والجهاد في سبيل الله، فما أنت قائل يا علي؟

فقال علي: بأبي أنت وأمي، أرجو بكرامة الله لك ومنزلتك عنده ونعمته عليك، أن يعينني ربي ويثبتني، فلا ألقاك بين يدي الله مقصراً ولا متوانياً ولا مفرطاً، ولا أمغز وجهك، وِقَاهُ وجهي ووجوه آبائي وأمهاتي، بل تجدني بأبي أنت وأمي مشمراً متبعاً لوصيتك ومنهاجك وطريقك ما دمت حياً، حتى أقدم بها عليك، ثم الأول فالأول من ولدي، لا مقصرين ولا مفرطين.

قال علي عليه السلام ثم انكببت على وجهه وعلى صدره وأنا أقول: واوحشتاه بعدك بأبي أنت وأمي، ووحشة ابنتك وبنيك، بل وأطول غمى بعدك يا أخي، انقطعت

من منزلي أخبار السماء، وفقدت بعدك جبرئيل وميكائيل، فلا أحس أثراً ولا أسمع حساً، فأغمي عليه طويلاً، ثم أفاق صلى الله عليه وآله.

قال أبو الحسن: فقلت لأبي: فما كان بعد إفاقته؟ قال: دخل عليه النساء يبكين وارتفعت الأصوات، وضج الناس بالباب من المهاجرين والأنصار، فبيناهم كذلك إذ نودي: أين علي؟ فأقبل حتى دخل عليه، قال علي عليه السلام فانكببت عليه فقال: يا أخي إفهم فَهَّمَك الله وسددك وأرشدك ووفقك وأعانك، وغفر ذنبك ورفع ذكرك، إعلم يا أخي أن القوم سيشغلهم عني ما يشغلهم، فإنما مثلك في الأمة مثل الكعبة نصبها الله للناس علماً، وإنما تؤتى من كل فج عميق ونأي سحيق، ولا تأتي. وإنما أنت علم الهدى ونور الدين وهو نور الله.

يا أخي، والذي بعثني بالحق لقد قدمت إليهم بالوعيد بعد أن أخبرتهم، رجلاً رجلاً، ما افترض الله عليهم من حقك، وألزمهم من طاعتك، وكل أجاب وسلم إليك الأمر، وإني لأعلم خلاف قولهم! فإذا قبضت وفرغت من جميع ما أوصيك به، وغيبتني في قبري فالزم بيتك، واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيله، ثم امض على غير لائمة على ما أمرتك به، وعليك بالصبر على ما ينزل به وبها حتى تقدموا عليَّ».

وفيه عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «قلت لأبي: فما كان بعد خروج الملائكة عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فقال: ثم دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين وقال لمن في بيته: أُخرجوا عني، وقال لأم سلمة: كوني على الباب فلا يقربه أحد ففعلت، ثم قال: يا علي أُدن مني فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلاً، وأخذ بيد علي بيده الأخرى، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام غلبته عبرته، فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمة عليها السلام بكاء شديداً وعلي والحسن والحسين عليهم السلام لبكاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت فاطمة: يا رسول الله قد قطعت قلبي، وأحرقت كبدي لبكائك، يا سيد النبيين من الأولين والآخرين، ويا أمين ربه ورسوله ويا حبيبه ونبيه، من لولدي بعدك؟ ولذل ينزل بي بعدك؟! من لعلي أخيك وناصر الدين؟ من

لوحي الله وأمره؟ ثم بكت وأكبت على وجهه فقبلته، وأكب عليه علي والحسن والحسين، فرفع رأسه ﷺ إليهم ويدها في يده فوضعها في يد علي وقال له: يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله محمد عندك، فاحفظ الله واحفظني فيها وإنك لفاعله. يا علي هذه والله سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين، هذه والله مريم الكبرى. أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم فأعطاني ما سألته.

يا علي، أنفذ لما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرئيل عليه السلام، واعلم يا علي أني راض عمن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته.

يا علي، ويل لمن ظلمها وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن هتك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها.

اللهم إني منهم بريء، وهم مني برآء، ثم ساهم رسول الله ﷺ وضم فاطمة إليه وعلياً والحسن والحسين عليهم السلام وقال: اللهم إني لهم ولمن شايعهم سلم، وزعيم بأنهم يدخلون الجنة، وعدو وحرب لمن عاداهم وظلمهم وتقدمهم أو تأخر عنهم وعن شيعتهم، زعيم بأنهم يدخلون النار. ثم والله يا فاطمة لا أرضى حتى ترضَيْ، ثم لا والله لا أرضىٰ حتى ترضَيْ، ثم لا والله لا أرضى حتى ترضَيْ.

قال عيسى: فسألت موسى عليه السلام وقلت: إن الناس قد أكثروا في أن النبي ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ثم عمر، فأطرق عني طويلاً ثم قال: ليس كما ذكروا، ولكنك يا عيسى كثير البحث عن الأمور، ولا ترضى عنها إلا بكشفها. فقلت: بأبي أنت وأمي إنما أسأل عما أنتفع به في ديني وأتفقه مخافة أن أضل وأنا لا أدري، ولكن متى أجد مثلك يكشفها لي.

فقال: إن النبي ﷺ لما ثقل في مرضه دعا علياً فوضع رأسه في حجره، وأغمي عليه وحضرت الصلاة فأذِّن بها فخرجت عائشة فقالت: يا عمر أُخرج فصل بالناس فقال: أبوك أولى بها، فقالت: صدقت ولكنه رجل لين وأكره أن يواثبه القوم فصلِّ أنت، فقال لها عمر: بل يصلي هو وأنا أكفيه إن

وثب واثب أو تحرك متحرك، مع أن محمداً مغمى عليه لا أراه يفيق منها، والرجل مشغول به لا يقدر أن يفارقه، يريد علياً عليه السلام، فبادره بالصلاة قبل أن يفيق، فإنه إن أفاق خفت أن يأمر علياً بالصلاة، فقد سمعت مناجاته منذ الليلة، وفي آخر كلامه: الصلاة الصلاة! قال: فخرج أبو بكر ليصلي بالناس فأنكر القوم ذلك، ثم ظنوا أنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله! فلم يكبِّر حتى أفاق صلى الله عليه وآله وقال: أُدعوا لي العباس فدعى فحمله هو وعلي فأخرجاه حتى صلى بالناس وإنه لقاعد، ثم حمل فوضع على منبره فلم يجلس بعد ذلك على المنبر، واجتمع له جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتى برزت العواتق من خدورهن، فبين باك وصائح وصارخ ومسترجع والنبي يخطب ساعة ويسكت ساعة، وكان مما ذكر في خطبته أن قال: يا معشر المهاجرين والأنصار ومن حضرني في يومي هذا وفي ساعتي هذه من الجن والإنس: فليبلغ شاهدكم الغائب، ألا قد خلفت فيكم كتاب الله، فيه النور والهدى والبيان، ما فرط الله فيه من شيء، حجة الله لي عليكم، وخلفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى وصيي علي بن أبي طالب، ألا هو حبل الله فاعتصموا به جميعاً ولا تفرقوا عنه.

أيها الناس: ومن كانت له قبلي تبعة فها أنا، ومن كانت له عدة فليأت فيها علي بن أبي طالب، فإنه ضامن لذلك كله حتى لا يبقى لأحد علي تباعة».

أقول: تدل أحاديث وصية النبي صلى الله عليه وآله على أن الإمامة مهمة هداية البشرية بعد النبوة ولها مسؤوليتها الثقيلة وعهدها ميثاقها، وعلومها وأسرارها الربانية.

لكن زعماء قريش قرروا أن لا يفهموا الإمامة وخلافة النبوة إلا رئاسة دولة محمد والتمتع بسلطانه، وقالوا ليس من العدل أن يجمع بنو هاشم النبوة والخلافة! فالنبوة سهمهم والخلافة لبقية البطون!

والله أصدق منهم حيث يقول: أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ.

٩- وصية النبي صلى الله عليه وآله لنسائه وعائشة خاصة

في إرشاد القلوب/٣٣٧ والبحار: ١٠٧/٢٨، عن حذيفة بن اليمان قال: «أمر صلى الله عليه وآله خادمةً لأم سلمة فقال: إجمعي لي هؤلاء يعني نساءه، فجمعتهن له في منزل أم سلمة، فقال لهن: إسمعن ما أقول لكن، وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب فقال لهن: هذا أخي ووصيي ووارثي والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي، فأطعنه فيما يأمركن به، ولا تعصينه فتهلكن لمعصيته.

ثم قال: يا علي أوصيك بهن فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك، وأنفق عليهن من مالك وأمرهن بأمرك وانهن عما يريبك، وخل سبيلهن إن عصينك.

فقال علي عليه السلام يا رسول الله إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي. فقال صلى الله عليه وآله: إرفق بهن ما كان الرفق أمثل، فمن عصاك منهن فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها. قال: كل نساء النبي صلى الله عليه وآله قد صمتن فما يقلن شيئاً، فتكلمت عائشة فقالت: يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بشيء فنخالفه إلى ما سواه! فقال لها: بلى قد خالفت أمرى أشد خلاف! وأيم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصينه بعدي، ولتخرجين من البيت الذي خلفتك فيه متبرجة فيه، قد حف بك فئات من الناس فتخالفينه ظالمة له عاصية لربك ولتنبحنك في طريقك كلاب الحوأب. ألا إن ذلك كائن! ثم قال: قمن فانصرفن إلى منازلكن فقمن فانصرفن».

١٠- النبي صلى الله عليه وآله يخرج عمه العباس من وصيته

في الكافي: ٢٣٦/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا العباس بن عبدالمطلب وأمير المؤمنين عليه السلام فقال للعباس: يا عم محمد تأخذ تراث محمد وتقضي دينه وتنجز عداته؟ فرد عليه فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إنى شيخ كثير العيال قليل المال، من يطيقك وأنت تباري الريح!

قال: فأطرق هنيئة ثم قال: يا عباس أتأخذ تراث محمد، وتنجز عداته وتقضي دينه؟ فقال بأبي أنت وأمي شيخ كثير العيال قليل المال وأنت تباري الريح!

قال صلى الله عليه وآله: أما إني سأعطيها من يأخذها بحقها، ثم قال:

يا علي يا أخا محمد أتنجز عدات محمد وتقضي دينه وتقبض تراثه؟

فقال: نعم، بأبي أنت وأمي ذاك علي ولي. قال: فنظرت إليه حتى نزع خاتمه من إصبعه فقال: تختم بهذا في حياتي! قال: فنظرت إلى الخاتم حين وضعته في إصبعي فتمنيت من جميع ما ترك الخاتم.

ثم صاح: يا بلال عليَّ بالمغفر والدرع والراية والقميص وذي الفقار والسحاب والبرد والأبرقة والقضيب. قال: فوالله ما رأيتها غير ساعتي تلك، يعنى الأبرقة، فجئ بشقة كادت تخطف الأبصار فإذا هي من أبرق الجنة، فقال: يا علي إن جبرئيل أتاني بها وقال: يامحمد إجعلها في حلقة الدرع واستدفر بها مكان المنطقة، ثم دعا بزوجَي نعال عربيين جميعاً، أحدهما مخصوف والآخر غير مخصوف، والقميص الذي أسري به فيه، والقميص الذي خرج فيه يوم أحد، والقلانس الثلاث: قلنسوة السفر وقلنسوة العيدين والجمع، وقلنسوة كان يلبسها ويقعد مع أصحابه. ثم قال: يا بلال علي بالبغلتين الشهباء والدلدل، والناقتين العضباء والقصوى، والفرسين: الجناح كانت توقف بباب المسجد لحوائج رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث الرجل في حاجته فيركبه فيركضه في حاجة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحيزوم وهو الذي كان يقول: أقدم حيزوم، والحمار عفير فقال: إقبضها في حياتي. فذكر أمير المؤمنين عليه السلام أن أول شئ من الدواب توفي عفير ساعة قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، قطع خطامه ثم مر يركض حتى أتى بئر بني خطمة بقباء، فرمى بنفسه فيها فكانت قبره». **وعلل الشرائع**: ١٦٦/١ **والمناقب**: ٢٤٨/٢.

وفي مناقب محمد بن سليمان: ٤٣٢/١: «يا عباس ترثني وتقضي ديني وتنجز عني عداتي؟ قال: بل يعافيك الله يا رسول الله وهل يسع هذا مال بني عبدالمطلب... فقال علي: نعم يا رسول الله. قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: أنت لذاك أنت لذاك يا علي. قال: فمكث علي تسع سنين ينشد الناس في كل موسم: هل يطلب أحد رسول الله صلى الله عليه وآله بدين أو بموعد حتى أنجز عن رسول الله صلى الله عليه وآله عداته وقضاء دينه؟ قال: ثم قام بذلك الحسن من بعد علي عليه السلام».

وفي الإرشاد: ١٨٤/١، قال العباس للنبي ﷺ: «يا رسول الله إن يكن هذا الأمر فينا مستقراً بعدك فبشرنا، وإن كنت تعلم أنا نغلب عليه فأوص بنا، فقال: أنتم المستضعفون من بعدي، وأصمت! فنهض القوم وهم يبكون قد أيسوا من النبي! فلما خرجوا من عنده قال: أُرددوا على أخي علي بن أبي طالب وعمي، فأنفذوا من دعاهما فحضرا، فلما استقر بهما المجلس قال رسول الله ﷺ: يا عباس يا عم رسول الله، تقبل وصيتي وتنجز عدتي وتقضي عني ديني؟ فقال العباس: يا رسول الله، عمك شيخ كبير ذو عيال كثير، وأنت تباري الريح سخاء وكرماً، وعليك وعد لا ينهض به عمك..الى آخر ما تقدم».

١١- قوله ﷺ لفاطمة عليها السلام: أنت أول أهل بيتي لحوقاً بي

روت مصادرنا ومصادرهم حديث عائشة وأنها قالت عن فاطمة الزهراء عليها السلام: «كنَّ أزواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن امرأة، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ما تخطئ مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحب بها ثم قال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبكت بكاءً شديداً فلما رأى جزعها سارَّها الثانية فضحكت! فقلنا: خصَّك رسول الله ﷺ من نسائه بالسِّرار ثم أنت تبكي؟! فضحكت. قلت: ما رأيت ضحكاً أقرب من بكاء، فلما قامت سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله سره. فلما توفي قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما حدثتني بما قال لك. فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارَّني في المرة الأولى فأخبرني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل سنة مرة، وأنه عارضه العام مرتين، وأني أرى الأجل قد اقترب فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك! فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين. فقال: يا بنية لا تجزعي فإني سألت ربي أن يجعلك أول أهل بيتي لحاقاً بي فأخبرني أنه قد استجاب لي، فضحكت ضحكي الذي رأيت».

شرح الأخبار: ٢٣/٣، العمدة/٣٨٦، مسلم: ١٤٣/٧، الآحاد: ٣٦٧/٥ وابن راهويه: ٨/٥/٨.

وفي البحار: ٤٩٠/٢٢، عن الإمام الكاظم عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «لما كانت الليلة التي قبض النبي صلى الله عليه وآله في صبيحتها دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأغلق عليه الباب وعليهم وقال لفاطمة عليها السلام وأدناها منه، فناجى من الليل طويلاً، فلما طال ذلك خرج علي ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وأقاموا بالباب والناس خلف ذلك، ونساء النبي صلى الله عليه وآله ينظرن إلى علي عليه السلام ومعه ابناه فقالت عائشة: لأمر ما أخرجك عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وخلا بابنته دونك في هذه الساعة؟ فقال لها علي عليه السلام قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له، وهو بعض ما كنت فيه، وأبوك وصاحباه قد أسماه! فوجمت أن ترد عليه كلمة!

قال علي عليه السلام فما لبثت أن نادتني فاطمة فدخلت على النبي صلى الله عليه وآله وهو يجود بنفسه، فبكيت ولم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال يجود بنفسه، فقال لي: ما يبكيك يا علي؟ ليس هذا أوان البكاء فقد حان الفراق بيني وبينك، فأستودعك الله يا أخي فقد اختار لي ربي ما عنده، وإنما بكائي وغمي وحزني عليك وعلى هذه أن تضيع بعدي، فقد أجمع القوم على ظلمكم، وقد استودعتكم الله وقبلكم مني وديعة. يا علي إني قد أوصيت فاطمة ابنتي بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليك فأنفذها فهي الصادقة الصدوقة، ثم ضمها إليه وقبل رأسها وقال: فداك أبوك يا فاطمة! فعلا صوتها بالبكاء، ثم ضمها إليه وقبل رأسها وقال: أما والله لينتقمن الله ربي وليغضبن لغضبك! فالويل ثم الويل ثم الويل للظالمين، ثم بكى صلى الله عليه وآله!

قال علي عليه السلام فوالله لقد حسست بضعة مني ذهبت لبكائه حتى هملت عيناه كمثل المطر، حتى بلت دموعه لحيته وملاءة كانت عليه، وهو ملتزم فاطمة عليها السلام ورأسه على صدري وأنا مسنده، والحسن والحسين يقبلان قدميه، وهما يبكيان بأعلى أصواتهما. قال علي عليه السلام فلو قلت إن جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبي صلى الله عليه وآله لقد رأيت من بكائها ما أحسست أن السماوات والأرضين قد بكت لها، ثم قال لها: يا بنية خليفتي عليكم الله وهو خير خليفة، والذي بعثني بالحق لقد بكى لبكائك عرش الله وما حوله من الملائكة، والسماوات والأرضون وما فيها، يا فاطمة والذي بعثني

بالحق نبياً، لقد حرمت الجنة على الخلائق حتى أدخلها، وإنك لأول خلق الله كاسية حالية ناعمة، يا فاطمة فهنيئاً لك.

والذي بعثني بالحق إن الحور العين ليفخرن بك وبقربك منهن، ويتزين لزينتك، والذي بعثني بالحق إنك لسيدة من يدخلها من النساء.

والذي بعثني بالحق إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا صعق، فينادى بها إليك أن ياجهنم يقول لك الجبار: أُسكتي واستقري بعزتي حتى تجوز فاطمة بنت محمد إلى الجنان، ولا يشغلهم قتر ولا ذلة.

والذى بعثني بالحق ليدخل حسن عن يمينك، وحسين عن يسارك، والحور العين يتشرفن من أعلى الجنان فينظرن إليك بين يدي الله في المقام الشريف. ولواء الحمد مع علي بن أبي طالب عليه السلام أمامي، يكسى إذا كسيت ويحلّى إذا حُلّيت. والذي بعثني بالحق لأقومن بالخصومة لأعدائك، ولينالن قوم ابتزوا حقك وقطعوا مودتك وكذبوا علي! وليختلجن دوني فأقول: أمتي! فيقال: إنهم بدلوا بعدك، وصاروا إلى السعير».

وفي كمال الدين/٢٦٢: «عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت سلمان الفارسي رضى الله عنه يقول: كنت جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضته التي قبض فيها، فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك! فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بالبكاء، ثم قال: يا فاطمة أما علمت أنا أهل بيت اختار الله عزوجل لنا الآخرة على الدنيا، وإنه حتم الفناء على جميع خلقه، وإن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارني من خلقه فجعلني نبياً، ثم اطلع إليَّ الأرض اطلاعة ثانية فاختار منها زوجك وأوحى الى أن أزوجك إياه، وأتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمتي. فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء، وأنت أول من يلحق بي من أهلي. ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة

ثالثة فاختارك وولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة وابناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدي أخي علي، ثم حسن ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي إبراهيم. أما تعلمين يا بنية إن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أمتي، وخير أهل بيتي أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً؟!

فاستبشرت فاطمة وفرحت بما قال لها رسول الله ﷺ، ثم قال: يا بنية إن لبعلك مناقب: إيمانه بالله ورسوله قبل كل أحد، فلم يسبقه إلى ذلك أحد من أمتي، وعلمه بكتاب الله عزوجل وسنتي وليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي غير علي عليه السلام، وإن الله جل وعز علمني علماً لا يعلمه غيري، وعلم ملائكته ورسله علماً، فكلما علمه ملائكته ورسله فأنا أعلمه، وأمرني الله أن أعلمه إياه ففعلت، فليس أحد من أمتي يعلم جميع علمي وفهمي وحكمتي غيره. وإنك يا بنية زوجته، وابناه سبطاي حسن وحسين وهما سبطا أمتي، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فإن الله عزوجل آتاه الحكمة وفصل الخطاب...الخ.

ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: يا أخي أنت ستبقى بعدي، وستلقى من قريش شدة من تظاهرهم عليك وظلمهم لك، فإن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم وقاتل من خالفك بمن وافقك، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكفَّ يدك، ولا تلق بها إلى التهلكة، فإنك مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه! فاصبر لظلم قريش إياك، وتظاهرهم عليك فإنك بمنزلة هارون ومن تبعه، وهم بمنزلة العجل ومن تبعه.

يا علي إن الله تبارك وتعالى قد قضى الفرقة والإختلاف على هذه الأمة، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، لايختلف فيه اثنان من هذه الأمة، ولا ينازع فى شئ من أمره، ولايجحد المفضول لذي الفضل فضله. ولو شاء لعجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذَّبَ الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال وجعل

الآخرة دار القرار: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. فقال عليعليه السلام الحمد لله شكراً على نعمائه، وصبراً على بلائه».

أقول: روت مصادر السلطة هذا الحديث وحذفت منه، لكن ما بقي منه حجة كافية لمن يريد الحق! ففي **الطبراني الكبير**: ٥٧/٣: «عن علي بن علي المكي الهلالي عن أبيه قال: دخلت على رسول اللهصلى الله عليه وآله في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة رضي الله عنها عند رأسه، قال: فبكت حتى ارتفع صوتها فرفع رسول اللهصلى الله عليه وآله طرفه إليها فقال: حبيبتي فاطمة ما الذي يبكيك؟ فقالت: أخشى الضيعة من بعدك! فقال: يا حبيبتي أما علمت أن الله عزوجل اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختار منها أباك فبعث برسالته، ثم اطلع اطلاعة فاختار منها بعلك وأوحى إليَّ أن أنكحك إياه. يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحد قبلنا ولا يعطى أحد بعدنا: أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إلى الله عزو جل وأنا أبوك. ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله، وهو عمك حمزة بن عبدالمطلب وهو عم أبيك وعم بعلك. ومنا من له جناحان أخضران يطير في الجنة مع الملائكة حيث يشاء، وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك. ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما والذي بعثني بالحق خير منهما.

يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن منهما مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم صغيراً، ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عزوجل عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً! يقوم بالدين آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان، ويملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً.

يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي، فإن الله عزوجل أرحم بك وأرأف عليك مني وذلك لمكانك من قلبي، وزوَّجك الله زوجاً هو أشرف أهل بيتك حسباً

وأكرمهم منصباً، وأرحمهم بالرعية وأعدلهم بالسوية وأبصرهم بالقضية، وقد سألت ربي عزوجل أن تكوني أول من يلحقني من أهل بيتي!

قال علي رضى الله عنه: فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله لم تبق فاطمة رضي الله عنها بعده إلا خمسة وسبعين يوماً، حتى ألحقها الله عزوجل به».

١٢- وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بتجهيزه

في **روضة الواعظين**/٧١: «قال ابن عباس: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر وقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله من يغسلك منا إذا كان ذلك منك؟ قال: ذاك علي بن أبي طالب، إنه لا يهم بعضو من أعضائي، إلا أعانته الملائكة على ذلك».

وفي كفاية الأثر/١٢٤، **عن عمار، قال**: «لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة دعا بعلي فسارَّه طويلاً ثم قال: يا علي أنت وصيي ووارثي، قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا مت ظهرت لك ضغائن في صدور قوم، وغصب على حقد.

فبكت فاطمة وبكى الحسن والحسين عليهم السلام فقال لفاطمة: يا سيدة النسوان مم بكاؤك؟ قالت: يا أبة أخشى الضيعة بعدك! قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، ولا تبكي ولا تحزني، فإنك سيدة نساء أهل الجنة، وأباك سيد الأنبياء، وابن عمك خير الأوصياء، وابناك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة مطهرون معصومون، ومنا مهدي هذه الأمة. ثم التفت إلى علي عليه السلام فقال: يا علي لايلي غسلي وتكفيني غيرك.

فقال علي عليه السلام يا رسول الله من يناولني الماء فإنك رجل ثقيل لاأستطيع أن أقلبك. فقال: إن جبرئيل معك والفضل يناولك الماء وليغطي عينيه، فإنه لا يرى أحد عورتي إلا انفقأت عينيه».

أي لايرى أحد غير علي عليه السلام بدن النبي صلى الله عليه وآله بعد وفاته صلى الله عليه وآله إلا عمي، وهي خصوصية لبدنه بعد وفاته صلى الله عليه وآله، وخصوصية لعلي عليه السلام.

ويدل على ذلك أن علياً عليه السلام لا يمكن أن ينظر الى عورته صلى الله عليه وآله، وأن الفضل كان

معصوب العينين، فيتعين أن يكون المقصود بدنه صلى الله عليه وآله غير عورته، ويؤيده أن ابن المغازلي روى في المناقب/٩٩، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا يحلُّ لرجل يرَى مُجَرّدي إلاّ علي». والمجرد ما تحت القميص، وهو غير العورة، وقد عبر عنه بالعورة.

وفي أمالي الطوسي/٦٠٠، عن الإمام الباقر عليه السلام عن جده علي عليه السلام قال: «لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه كان رأسه في حجري... فقال: يا علي أجلسني، فأجلسته وأسندته إلى صدري. قال علي عليه السلام فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه ليثقل ضعفاً، وهو يقول يسمع أقصى أهل البيت وأدناهم: أن أخي ووصيي ووزيري وخليفتي في أهلي علي بن أبي طالب، يقضي ديني وينجز موعدي. يا بني هاشم يا بني عبدالمطلب: لا تبغضوا علياً ولا تخالفوا أمره فتضلوا، ولا تحسدوه وترغبوا عنه فتكفروا، أضجعني يا علي فأضجعته.

فقال: يا بلال إئتني بولدَيْ الحسن والحسين، فانطلق فجاء بهما فأسندهما إلى صدره فجعل صلى الله عليه وآله يشمهما، قال علي: فظننت أنهما قد غمّاه فذهبت لآخذهما عنه فقال: دعهما يا علي يشماني وأشمهما ويتزودا مني وأتزود منهما، فسيلقيان من بعدي أمراً عضالاً، فلعن الله من يخيفهما. اللهم إني أستودعكهما وصالح المؤمنين»

وفي الإرشاد: ١٨٤/١: «وكان أمير المؤمنين لا يفارقه إلا لضرورة، فقام في بعض شؤونه، فأفاق عليه السلام إفاقة فافتقد علياً عليه السلام فقال وأزواجه حوله: أُدعوا لي أخي وصاحبي، وعاوده الضعف فأصمت، فقالت عائشة: أُدعوا له أبا بكر، فَدُعِي فدخل عليه فقعد عند رأسه، فلما فتح عينه نظر إليه وأعرض عنه بوجهه، فقام أبو بكر وقال: لو كان له إليَّ حاجة لأفضى بها إليّ.

فلما خرج أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله القول ثانية وقال: أُدعوا لي أخي وصاحبي، فقالت حفصة: أُدعوا له عمر، فدعي فلما حضر رآه النبي صلى الله عليه وآله فأعرض عنه فانصرف، ثم قال عليه السلام: أُدعوا لي أخي وصاحبي، فقالت أم سلمة: أُدعوا له علياً فإنه لا يريد غيره، فدعي أمير المؤمنين فلما دنا منه أومأ إليه، فأكب عليه فناجاه رسول الله صلى الله عليه وآله طويلاً، ثم قام فجلس ناحية حتى أغفى

رسول الله ﷺ، فقال له الناس: ما الذى أوعز إليك يا أبا الحسن؟ فقال: علمني ألف باب فتح لي كل باب ألف باب، ووصاني بما أنا قائم به إن شاء الله.

ثم ثقل ﷺ وحضره الموت وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر عنده. فلما قرب خروج نفسه قال له: ضع رأسي يا علي في حجرك، فقد جاء أمر الله عز وجل، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة، وتول أمري، وصل علي أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى. فأخذ علي عليه السلام رأسه فوضعه في حجره فأغمي عليه ﷺ، فأكبت فاطمة عليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيـضُ يستسـقى الغَمـامُ بوجهـه ثمالُ اليتـامى عصمة للأرامل

ففتح رسول الله ﷺ عينيه وقال بصوت ضئيل: يا بنية هذا قول عمك أبي طالب عليه السلام لا تقوليه ولكن قولي: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.. فبكت طويلاً، فأومأ إليها بالدنو منه، فدنت فأسرَّ إليها شيئاً تهلل له وجهها. ثم قضى ﷺ ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه ففاضت نفسه ﷺ فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثم وجهه وغمضه ومد عليه إزاره».

وفي الكافي: ٢٩٧/١: «عن يونس بن رباط قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبدالله عليه السلام قال له كامل: جعلت فداك حديث رواه فلان؟ فقال: أُذكره، فقال: حدثني أن النبي ﷺ حدث علياً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله ﷺ، كل باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب؟ فقال: لقد كان ذلك. قلت: جعلت فداك فظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم؟ فقال: يا كامل باب أو بابان. فقلت: جعلت فداك، فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا باب أو بابان؟ قال: وما عسيتم أن تروا من فضلنا، ما ترون من فضلنا إلا ألفاً غير معطوفة»!

١٣- صفة احتضاره ووفاته صلى الله عليه وآله

في الفقيه: ١٦٣/٤، **عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال**: «لما حضرت النبي ﷺ الوفاة نزل جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله هل لك في الرجوع إلى الدنيا؟ فقال: لا، قد

بلغت رسالات ربي. فأعادها عليه، فقال: لا، بل الرفيق الأعلى. ثم قال النبي صلى الله عليه وآله والمسلمون حوله مجتمعون: أيها الناس إنه لا نبي بعدي، ولا سنة بعد سنتي، فمن ادعى بعد ذلك فدعواه وبدعته في النار فاقتلوه، ومن اتبعه فإنه في النار. أيها الناس: أحيوا القصاص، وأحيوا الحق لصاحب الحق، ولا تفرقوا، أسلموا وسلموا تسلموا: كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ».

وفي أمالي الصدوق/٣٨٤، أنه دخل على الإمام زين العابدين عليه السلام رجلان من قريش فقال: «ألا أحدثكما عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالا: بلى حدثنا عن أبي القاسم. قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام هبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك إكراماً وتفضيلاً لك وخاصة، يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك يا محمد؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: أجدني يا جبرئيل مغموماً، وأجدني يا جبرئيل مكروباً!

فلما كان اليوم الثالث هبط جبرئيل وملك الموت، ومعهما ملك يقال له إسماعيل في الهواء على سبعين ألف ملك، فسبقهم جبرئيل عليه السلام فقال: يا أحمد، إن الله عز وجل أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك خاصة، يسألك عما هو أعلم به منك، فقال: كيف تجدك يا محمد؟ قال: أجدني يا جبرئيل مغموماً، وأجدني ياجبرئيل مكروباً! فاستأذن ملك الموت فقال جبرئيل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك لم يستأذن على أحد قبلك، ولا يستأذن على أحد بعدك. قال: إئذن له، فأذن له جبرئيل فأقبل حتى وقف بين يديه فقال: يا أحمد، إن الله أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك فيما تأمرني، إن أمرتني بقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت تركتها. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أتفعل ذلك يا ملك الموت؟ قال: نعم، بذلك أمرت أن أطيعك فيما تأمرني. فقال له جبرئيل عليه السلام: يا أحمد، إن الله تبارك وتعالى قد اشتاق إلى لقائك. فقال رسول الله للملك الموت: إمض لما أمرت به، فقال جبرئيل عليه السلام: هذا آخر وطئي الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا».

وفي الإرشاد/١٨٧: «ثم قضى صلى الله عليه وآله ويد أمير المؤمنين عليه السلام اليمنى تحت حنكه

ففاضت نفسه فيها، فرفعها إلى وجهه فمسحه بها، ثم وجَّهَه وغمضه، ومد عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره».

١٤- صفة تغسيله وتحنيطه وتكفينه عليه السلام

في **الإرشاد**/١٨٧: «لما أراد أمير المؤمنين غسله صلوات الله عليه، استدعى الفضل بن عباس فأمره أن يناوله الماء لغسله بعد أن عصب عينيه، ثم شق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ به إلى سرته، وتولى عليه السلام غسله وتحنيطه وتكفينه، والفضل يعاطيه الماء ويعينه عليه، فلما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلى عليه وحده، لم يشركه معه أحد في الصلاة عليه». ثم صلى عليه المسلمون كما يأتي.

وفي البحار: ٢٢/٤٩٢، **عن الإمام الكاظم عليه السلام قال**: «قال علي بن أبي طالب عليه السلام: كان في الوصية أن يدفع إليَّ الحنوط، فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته بقليل فقال: يا علي ويا فاطمة هذا حنوطي من الجنة، دفعه إلى جبرئيل وهو يقرئكما السلام ويقول لكما: إقسماه واعزلا منه لي ولكما. قالت: لك ثلثه، وليكن الناظر في الباقي علي بن أبي طالب عليه السلام، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وضمها إليه. وقال: موفقة رشيدة مهدية ملهمة. يا علي قل في الباقي، قال: نصف ما بقي لها، ونصف لمن ترى يا رسول الله، قال: هو لك فاقبضه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي أضمنت ديني تقضيه عني؟ قال: نعم، قال: اللهم فاشهد. ثم قال: يا علي تغسلني ولا يغسلني غيرك فيعمى بصره، قال علي: ولم يا رسول الله؟ قال: كذلك قال جبرئيل عليه السلام عن ربي، إنه لا يرى عورتي «أي بدني» غيرك إلا عمي بصره!

قال علي: فكيف أقوى عليك وحدي؟ قال: يعينك جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وإسماعيل صاحب السماء الدنيا.

قلت: فمن يناولني الماء؟ قال: الفضل بن العباس من غير أن ينظر إلى شئ مني فإنه لا يحل له ولا لغيره من الرجال والنساء النظر إلى عورتي وهي حرام عليهم، فإذا فرغت من غسلي فضعني على لوح، وافرغ عليَّ من بئري بئر غَرْس «قرب مسجد قباء» أربعين دلواً مفتحة الأفواه. قال عيسى: أو قال أربعين قربة شككت أنا في ذلك،

قال: ثم ضع يدك يا علي على صدري، وأحضر معك فاطمة والحسن والحسين من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتي، ثم تفهم عند ذلك مني تفهم ما كان وما هو كائن إن شاء الله تعالى! أقبلتَ يا علي؟ قال: نعم. قال: اللهم فاشهد.

قال: وكان فيما أوصى به رسول الله ﷺ أن يدفن في بيته الذي قبض فيه ويكفن بثلاثة أثواب: أحدها يمان، ولا يدخل قبره غير علي عليه السلام.

ثم قال: يا علي كن أنت وابنتي فاطمة والحسن والحسين وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبر خمساً وانصرف، وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة.

قال علي عليه السلام بأبي أنت وأمي من يؤذنني؟ قال: جبرئيل عليه السلام يؤذنك. قال: ثم من جاء من أهل بيتي يصلون عليَّ فوجاً فوجاً ثم نساؤهم، ثم الناس بعد ذلك».

وفي الطبقات: ٢٨٠/٢، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «غسل النبي ﷺ ثلاث غسلات بماء وسدر، وغسل في قميص، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقباء وكان يشرب منها، وولي على غسله والعباس يصب الماء والفضل محتضنه يقول: أرحني أرحني قُطعت وتيني! إني أجد شيئاً يتنزل عليَّ مرتين».

أقول: عرفت من رواية أهل البيت عليهم السلام أن العباس لم يكن يشارك، بل ابنه الفضل.

وفي دعائم الإسلام: ٢٢٧/١، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «إن رسول الله ﷺ أوصاه بأن يتولى غسله فكان هو الذي وليه، قال: فلما أخذت في غسله سمعت قائلاً من جانب البيت وهو يقول: لاتنزع القميص عنه فغسلته ﷺ في قميصه، وإني لأغسله وأحس يداً مع يدي تتردد عليه، وإذا قلبته أعنت على تقليبه، وقد أردت أن أكبه لوجهه فأغسل ظهره فنوديت لاتكبه، فقلبته لجنبه وغسلت ظهره».

وفي تهذيب الأحكام: ٢٩٦/١، عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب: برد أحمر حبرة، وثوبين أبيضين صحاريين. قلت له وكيف صُلي عليه؟ قال سجي بثوب وجعل وسط البيت، فإذا دخل عليه قوم داروا به وصلوا عليه ودعوا له، ثم يخرجون ويدخل آخرون، ثم دخل علي عليه السلام القبر فوضعه على يديه وأدخل معه الفضل بن عباس، فقال رجل من الأنصار من بني

الخيلاء يقال له أوس بن خولي: أنشدكم الله أن تقطعوا حقنا! فقال له علي عليه السلام أدخل فدخل معها. فسألته: أين وضع السرير؟ فقال: عند رجل القبر وسُلَّ سلاً».

١٥- صفة الصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وآله

في الكافي: ٤٥٠/١، **عن أبي مريم الأنصاري أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام:** «كيف كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله؟ قال: لما غسله أمير المؤمنين عليه السلام وكفنه سجّاه، ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله، ثم وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وسطهم، فقال: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يصَلُّونَ عَلَى النبي، يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، فيقول القوم كما يقول، حتى صلى عليه أهل المدينة وأهل العوالي.

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أتى العباسُ أميرَ المؤمنين عليه السلام فقال: يا علي إن الناس قد اجتمعوا أن يدفنوا رسول الله صلى الله عليه وآله في بقيع المصلى وأن يؤمهم رجل منهم، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الناس فقال: يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله إمام حياً وميتاً، وقال: إني أدفن في البقعة التي أقبض فيها، ثم قام على الباب فصلى عليه، ثم أمر الناس عشرة عشرة يصلون عليه، ثم يخرجون.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قبض النبي صلى الله عليه وآله صلت عليه الملائكة والمهاجرون والأنصار فوجاً فوجاً. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في صحته وسلامته: إنما أنزلت هذه الآية في الصلاة علي بعد قبض الله لي: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يصَلُّونَ عَلَى النبي يا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

أقول: صلى عليه أمير المؤمنين عليه السلام وحده صلاة الجنازة، ثم كانت صلاة المسلمين عليه دعاء، فكانوا يتحلقون حوله وعلي عليه السلام معهم يقرأ الآية: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يصَلُّونَ عَلَى النبي... ويرددونها معه. راجع الحدائق: ٤٥١/١٠.

وفي دعائم الإسلام: ٢٣٤/١: «فخرج علي صلوات الله عليه عليهم فقال: أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إماماً حياً وميتاً، وإنه لم يقبض نبي إلا دفن في البقعة التي مات فيها. قالوا: إصنع ما رأيت. فقام علي على باب البيت فصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله،

وقدم الناس عشرة عشرة، يصلون عليه وينصرفون».

وفي مناقب آل أبي طالب: ٢٠٦/١، **عن الإمام الباقر**عليه السلام **قال**: «فصلوا عليه يوم الإثنين وليلة الثلاثاء حتى الصباح، ويوم الثلاثاء، حتى صلى عليه الأقرباء والخواص. ولم يحضر أهل السقيفة وكان علي عليه السلام أنفذ إليهم بريدة، وإنما تمت بيعتهم بعد دفنه». **وسيأتي سبب عدم حضور أهل السقيفة لمراسم جنازة النبي** صلى الله عليه وآله.

وفي نهج البلاغة: ١٧٢/٢: **قال** عليه السلام: «ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري لقد سالت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي، ولقد وُليت غسله والملائكة أعواني، فضجت الدار والأفنية ملأٌ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمةٌ منهم يصلون عليه، حتى وارياه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً»!

وفي روضة الواعظين/١٧، أن عمار بن ياسر قال للنبي صلى الله عليه وآله: «فداك أبي وأمي يا رسول الله فمن يصلي عليك منا، إذا كان ذلك منك؟ قال: مه رحمك الله، ثم قال لعلي عليه السلام يا بن أبي طالب: إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني وأنِقْ غسلي، وكفِّني في طمري هذين، أو في بياض مصر وبرد يماني، فلا تغال في كفني، واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري فأول من يصلي علي الجبار جل جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جنود من الملائكة لا يحصى عددهم إلا الله جل وعز، ثم الحافُّون بالعرش، ثم سكان أهل سماء سماء».

وفي الإرشاد: ١٨٧/١: «ولما صلى المسلمون عليه أنفذ العباس بن عبد المطلب برجل إلى أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكة ويضرح، وكان ذلك عادة أهل مكة، وأنفذ إلى زيد بن سهل وكان يحفر لأهل المدينة ويلحد، واستدعاهما وقال. اللهم خر لنبيك. فوجد أبو طلحة زيد بن سهل فقيل له: إحتفر لرسول الله صلى الله عليه وآله فحفر له لحداً، ودخل أمير المؤمنين عليه السلام والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد، ليتولوا دفن رسول الله صلى الله عليه وآله فنادت الأنصار من وراء البيت: يا علي، إنا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يذهب

أدخل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله ﷺ.

فقال: ليدخل أوس بن خولي، وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف من الخزرج، فلما دخل قال له علي عليه السلام إنزل القبر فنزل، ووضع أمير المؤمنين عليه السلام رسول الله ﷺ على يديه ودلاه في حفرته، فلما حصل في الأرض قال له: أُخرج فخرج، ونزل علي بن أبي طالب القبر، فكشف عن وجه رسول الله ﷺ ووضع خده على الأرض موجهاً إلى القبلة على يمينه، ثم وضع عليه اللبن، وهال عليه التراب».

وفي أمالي المفيد/١٠٢، عن ابن العباس قال: «لما توفى رسول الله ﷺ تولى غسله علي بن أبي طالب، والعباس معه والفضل بن العباس، فلما فرغ علي عليه السلام من غسله كشف الإزار عن وجهه ثم قال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة والإنباء. خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء. ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع، لأنفدنا عليك ماء الشؤون. ولكن ما لا يرفع كمد وغصص محالفان وهما داء الأجل، وقلاّ لك. بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك واجعلنا من همك. ثم أكب عليه فقبل وجهه ومد الإزار عليه».

أقول: معنى قوله عليه السلام: «انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك: انقطاع وحي النبوة إذ لا نبي بعده ﷺ. أما وحي الإمامة والإلهام، ونزول جبرئيل عليه السلام فمستمر». وقد ذكر القرآن الوحي لأم موسى عليه السلام وللنحل وغيرهما.

١٦- من خصائص النبي ﷺ عند موته!

تضمنت أحاديث وفاة النبي ﷺ مجموعة خصائص له، نذكر منها:

١. ثقل بدنه الشريف ثقلاً غير عادي، «ففي المناقب: ٢٠٥/١»، قال علي عليه السلام «فما تناولت عضواً إلا كأنما كان يقلبه معي ثلاثون رجلاً، حتى فرغت من غسله».

وفي طبقات ابن سعد: ٢٨٠/١، عن الباقر عليه السلام قال: «وولي علي غسله والعباس يصب الماء والفضل محتضنه يقول: أرحني أرحني قُطعت وتيني! إني أجد شيئاً يتنزل عليَّ مرتين»! **وشاهدنا منه ثقل بدنه ﷺ والعباس لم يشترك في تغسيله.**

٢. أن كل ما تحت قميصه عورة، لا يجوز لأحد أن ينظر اليه لئلا يعمى! فكأن فيه نوعاً من الأشعة تسبب فقدان البصر، ولا يتحملها إلا وصيه عليﷺ».

«قال رسول اللهﷺ: يا علي غسلني ولا يغسلني غيرك فيعمى بصره. قال عليﷺ ولمَ يا رسول الله؟ قال: كذلك قال لي جبرئيل عن ربي إنه لا يرى عورتي [مجردي] أحد غيرك إلا عمي بصره» **!جامع أحاديث الشيعة: ١٥٤/٣.**

«فإنه لا يرى أحد عورتي غيرك إلا طمست عيناه.. قلت: فمن يناولني الماء؟ قال: الفضل بن العباس من غير أن ينظر إلى شئ مني، فإنه لا يحل له ولا لغيره من الرجال والنساء النظر إلى عورتي... وأحضر معك فاطمة والحسن والحسين من غير أن ينظروا إلى شئ من عورتي». **المناقب: ٢٠٥/١ والبحار: ٤٩٣/٢٢.**

٣. أن النبيﷺ تكلم بعد موته! وقد عقد في بصائر الدرجات/٢٠٣، باباً روى فيه عشرة أحاديث، ونحوها الكافي: ٢٩٦/١ و ١٥٠/٣.

منها: عن الإمام الصادقﷺ قال: «قال رسول اللهﷺ لعليﷺ إذا أنا مِتُّ فاستق لي ست قرب من ماء بئر غرس فغسلني وكفني، وخذ بمجامع كفني وأجلسني، ثم سلني ما شئت، فوالله لا تسألني عن شئ إلا أجبتك»!

وفي رواية: «وكفِّني ثم أقعدني واسألني، واكتب».

وفي رواية: «فخذني وأجلسني وضع يدك على صدري، وسلني عما بدا لك».

وفي رواية: «وكفني وأقعدني وما أملي عليك فاكتب. قال قلت: ففعل؟ قال: نعم»

وفي رواية: «فأدرجني في أكفاني، ثم ضع فاك على فمي. قال: ففعلت وأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيمة».

وفي الخرائج: ٨٠٠/٢ و ٨٢٧/٢، بروايات، منها: «قال علي بن أبي طالبﷺ: أمرني رسول اللهﷺ إذا توفي أن أستقي سبع قرب من بئر غرس فأغسله بها، فإذا غسلته وفرغت من غسله أخرجت من في البيت، فإذا أخرجتهم قال: فضع فاك على فيّ ثم سلني أخبرك عما هو كائن إلى يوم الساعة من أمر الفتن. قال عليﷺ ففعلت ذلك، فأنبأني بما يكون إلى أن تقوم الساعة، وما من فتنة تكون

إلا وأنا أعرف أهل ضلالتها من أهل حقها».

ومنها: «فغسلني بسبع قرب من بئر غرس، غسلني بثلاث قرب غسلاً، وسُنَّ علي أربعاً سَنّاً، فإذا غسلتني وحنطتني فأقعدني، وضعْ يدك على فؤادي ثم سلني أخبرك بما هو كائن إلى يوم القيامة! قال: ففعلت. وكان علي عليه السلام إذا أخبرنا بشيء يكون قال: هذا مما أخبرني به النبي صلى الله عليه وآله بعد موته»! والمناقب: ٣١٦/١.

١٧- لم يحضر أهل السقيفة مراسم جنازة النبي صلى الله عليه وآله

في الإرشاد: ١٨٧/١: «ولم يحضر دفن رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر الناس، لما جرى بين المهاجرين والأنصار من التشاجر في أمر الخلافة، وفات أكثرهم الصلاة عليه لذلك! وأصبحت فاطمة عليها السلام تنادي: واسوء صباحاه! فسمعها أبو بكر فقال لها: إن صباحك لصباح سوء! واغتنم القوم الفرصة لشغل علي بن أبي طالب برسول الله وانقطاع بني هاشم عنهم بمصابهم برسول الله صلى الله عليه وآله، فتبادروا إلى ولاية الأمر واتفق لأبي بكر ما اتفق، لاختلاف الأنصار فيما بينهم، وكراهة الطلقاء والمؤلفة قلوبهم من تأخر الأمر حتى يفرغ بنو هاشم فيستقر الأمر مقره، فبايعوا أبا بكر لحضوره المكان، وكانت أسباب معروفة تيسر منها للقوم ما راموه».

وفي المناقب: ٢٠٦/١: «ولم يحضر أهل السقيفة، وكان علي عليه السلام أنفذ إليهم بريدة وإنما تمت بيعتهم بعد دفنه».

أقول: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله لبس عمر لباس حربه وخرج شاهراً سيفه يجول أمام بيت النبي صلى الله عليه وآله يهدد من يقول إنه مات، ويعيد تهديده «حتى أزبد شدقاه»!

ففي سنن الدارمي: ٣٩/١: «فقام عمر فقال: إن رسول الله لم يمت، ولكن عرج بروحه كما عرج بروح موسى، والله لا يموت رسول الله حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم! فلم يزل عمر يتكلم حتى أزبد شدقاه مما يتوعد ويقول! فقام العباس فقال: إن رسول الله قد مات، وإنه لبشر». ومسند أحمد: ١٩٦/٣..

وفي شرح النهج: ١٧٨/١: «لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وشاع بين الناس موته طاف

عمر على الناس قائلاً إنه لم يمت ولكنه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه! وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات! فجعل لا يمر بأحد يقول إنه مات إلا ويخبطه ويتوعده، حتى جاء أبو بكر فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لم يمت»!

وسبب هذا الفعل أن عمر خاف أن يبادر بنو هاشم لبيعة علي عليه السلام حيث دعا العباس الى ذلك وقال لعلي عليه السلام «أبسط يدك أبايعك فيقال: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله» «الإمامة لابن قتيبة: ١٢/١». فأراد عمر أن يكسب الوقت حتى يحضر أبو بكر، من بيته في السنح خارج المدينة! فلما اطمأن الى أن علياً عليه السلام لم يقبل البيعة، وجاء أبو بكر وقال إن النبي صلى الله عليه وآله مات، قبل عمر ذلك، وسكت!

وبقي عندهما الخوف من الأنصار أن يبادروا الى بيعة سعد بن عبادة، وكان مريضاً في سقيفته التى تسمى سقيفة بني ساعدة، فسارعا ليصفقا على يد أبي بكر في بيت سعد، بمساعدة اثنين من خصومه الأوس وجمهور الطلقاء!

قال ابن كثير في سيرته: ٤٩١/٤: «توفي رسول الله وأبو بكر في صائفة من المدينة، قال فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال: فداك أبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً، مات محمد ورب الكعبة. فذكر الحديث قال: فانطلق أبو بكر وعمر يتعاديان حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر...».

وفي رواية النسائي في كتاب الوفاة/٧٥: «ثم قال أبو بكر عندكم صاحبكم، وخرج»!

وفي سنن البيهق: ١٤٥/٨: «دونكم صاحبكم، لبني عم رسول الله صلى الله عليه وآله يعني في غسله وما يكون من أمره، ثم خرج»!

وفي مصنف ابن أبي شيبة: ٥٧٢/٨، **عن عروة**: «إن أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي وكانا في الأنصار، فدفن رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يرجعا».

وقد اعترف عمر بغيابهم عن مراسم جنازة النبي صلى الله عليه وآله، ففي الطبقات: ٢٦٢/٢: «عن جابر بن عبدالله الأنصاري أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن

جلوس عند عمر أمير المؤمنين: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله؟ فقال عمر: سل علياً. قال: أين هو؟ قال هو هنا، فسأله فقال علي: أسندته إلى صدري، فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة. فقال كعب كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أمروا وعليه يبعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل علياً. قال فسأله فقال: كنت أغسله وكان العباس جالساً وكان أسامة وشقران يختلفان إلى بالماء».

وفي غيبة النعماني/١٠٠، عن الإمام الصادق عليه السلام أن سكك المدينة يومها كانت خالية قال: «لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله دخل المدينة رجل من ولد داود على دين اليهودية فرأى السكك خالية، فقال لبعض أهل المدينة: ما حالكم؟ فقيل له: توفي رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال الداودي: أما إنه توفي اليوم الذي هو في كتابنا»!

كما تركت عائشة وحفصة جنازة النبي صلى الله عليه وآله من حين وفاته، وخالفتا الحداد الواجب عليهما، وانشغلتا بالذهاب الى بيوت الأنصار لإقناعهم ببيعة أبي بكر!

قالت عائشة: «ما علمنا بدفن رسول الله حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل». الاستيعاب: ١/٤٧، ابن هشام ٤/٣٢١، الطبري: ٣/٢١٣ ودلائل النبوة: ٧/٢٥٦.

ومع ذلك كانت عائشة تتحسر لتجهيز علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وغيابها فقالت: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه». أحكام الجنائز للألباني/٤٩ وصححه.

١٨- دفن النبي صلى الله عليه وآله في بيته وليس في حجرة عائشة

كتبنا في جواهر التاريخ: ٣/٣٠٣، بحثاً مستوفياً تحت عنوان: أين دفن النبي صلى الله عليه وآله؟ وأثبتنا فيه أنه دفن في بيته وفي حجرته الكبيرة، التي كان يستقبل فيها الناس، وكان لها بابان باب الى المسجد وباب الى داخل داره صلى الله عليه وآله. فقد صلى المسلمون على جثمانه الشريف صلى الله عليه وآله، وكانوا يدخلون من باب ويخرجون من آخر.

أما غرفة عائشة فقد نصوا على أنه كان لها باب واحد!

الى آخر الأدلة على أنه لم يدفن فى بيت عائشة، ولا تمرض فيه كما زعموا.

لكن السلطة سيطرت على بيت النبي صلى الله عليه وآله ثم ادعت عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله أعطاها هذه الحجرة، وأشاعت أن النبي صلى الله عليه وآله دفن في حجرة عائشة!

١٩- حُزن أهل البيت على النبي ﷺ وتعزية جبرئيل والخضر لهم

روى الكليني: ٤٤٥/١، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمد عليهم السلام بأطول ليلة، حتى ظنوا أن لا سماء تظلهم ولا أرض تقلهم! لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله! فبيناهم كذلك إذ أتاهم آت لا يرونه ويسمعون كلامه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، ونجاة من كل هلكة، ودرَكاً لما فات: كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيا إلا مَتَاعُ الْغُرُورِ. إن الله اختاركم وفضلكم وطهركم وجعلكم أهل بيت نبيه، واستودعكم علمه وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه وعصا عزه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فتعزوا بعزاء الله، فإن الله لم ينزع منكم رحمته، ولن يزيل عنكم نعمته، فأنتم أهل الله عز وجل الذين بهم تمت النعمة، واجتمعت الفرقة وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياؤه، فمن تولاكم فاز ومن ظلم حقكم زهق. مودتكم من الله واجبة في كتابه على عباده المؤمنين، ثم الله على نصركم إذا يشاء قدير، فاصبروا لعواقب الأمور، فإنها إلى الله تصير. قد قبلكم الله من نبيه وديعة، واستودعكم أولياء المؤمنين في الأرض، فمن أدى أمانته أتاه الله صدقه، فأنتم الأمانة المستودعة، ولكم المودة الواجبة، والطاعة المفروضة، وقد قبض رسول الله وقد أكمل لكم الدين، وبين لكم سبيل المخرج، فلم يترك لجاهل حجة، فمن جهل أو تجاهل أو أنكر أو نسي أو تناسى، فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم. وأستودعكم الله، والسلام عليكم. فسألت أبا جعفر عليه السلام: ممن أتاهم التعزية؟ فقال: من الله تبارك وتعالى على لسان جبريل عليه السلام». ونحوه: ٢٢١/٣ والمناقب: ٨٣/٢..

وفي شرح الأخبار: ٤١٩/٢، أن سفيان بن عيينة قال: «أتينا جعفر بن محمد عليه السلام نعزيه بابنه إسماعيل، فتحدث معنا فذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وقال في الحديث: فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله أتاهم آت يعني أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يسمعون كلامه

ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته: كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ. إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، فالله فارجوه، وإياه فاعبدوه، واعلموا أن المصاب من حرم الثواب، والسلام علكيم ورحمة الله وبركاته. قال سفيان بن عيينة: فقلت لجعفر بن محمد: من كنتم ترون المتكلم؟ قال: كنا نراه جبرائيل عليه السلام».

وفي الأصول الستة عشر/١٢٢: «فسأله يحيى بن أبي القاسم فقال: جعلت فداك ممن آتاهم التعزية؟ قال: من الله عزوجل».

وفي أمالي الصدوق/٣٤٩: «فلما توفي رسول الله صلى الله على روحه الطيب، جاءت التعزية، جاءهم آتٍ يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَة. إن في الله عزوجل عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل ما فات، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال علي بن أبي طالب عليه السلام: هل تدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السلام»

ورواه في كمال الدين/٣٩٢، وقال: «قال مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه: إن أكثر المخالفين يسلمون لنا حديث الخضر عليه السلام ويعتقدون فيه أنه حي غائب عن الأبصار، وأنه حيث ذكر حضر، ولا ينكرون طول حياته، ولا يحملون حديثه على عقولهم. ويدفعون كون القائم عليه السلام وطول حياته في غيبته وعندهم أن قدرة الله عزوجل تتناول إبقاءه إلى يوم النفخ فيالصور، وإبقاء إبليس مع لعنته إلى يوم الوقت المعلوم في غيبته، وأنها لا تتناول إبقاء حجة الله على عباده مدة طويلة في غيبته، مع ورود الأخبار الصحيحة بالنص عليه بعينه واسمه ونسبه عن الله تبارك وتعالى، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن الأئمة عليهم السلام».

ورواه الحاكم وصححه: ٣/٥٧ قال: «لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولايرون الشخص فقالت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته. إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإنما المحروم

من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وفي البحار: ٢١٣/٤٣ عن علي عليه السلام قال: «إن فاطمة عليها السلام لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تقول: وا أبتاه من ربه ما أدناه، وا أبتاه جنان الخلد مثواه، وا أبتاه يكرمه ربه إذ أتاه، يا أبتاه الرسل تسلم عليه حين تلقاه».

وفي البخاري: ١٤٤/٥ عن أنس قال: «لما ثقل النبي جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام واكرب أباه! فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم! فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه. يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟!».

وفي كفاية الأثر /١٩٨، عن محمود بن لبيد قال: «لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، فلما كان في بعض الأيام أتيت قبر حمزة فوجدتها تبكي هناك، فأمهلتها حتى سكتت فأتيتها وسلمت عليها وقلت: يا سيدة النسوان قد والله قطعت أنياط قلبي من بكائك. فقالت: يا با عمرو يحق لي البكاء، ولقد أصبت بخير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله، واشوقاه لي رسول الله، ثم أنشأت عليها السلام تقول:

إذا مات يوماً ميتٌ قلَّ ذكره وذكر أبي إذ مات والله أكثر

قلت: يا سيدتي إني سائلك عن مسألة تلجلج في صدري؟ قالت: سل، قلت: هل نص رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته على علي بالإمامة؟ قالت: واعجباه أنسيتم يوم غدير خم؟! قلت: قد كان ذلك، ولكن أخبريني بما أسرَّ إليك. قالت: أشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: علي خير من أخلفه فيكم، وهو الإمام والخليفة بعدي، وسبطاي وتسعة من صلب الحسين أئمة أبرار، لئن اتبعتموهم وجدتموهم هادين مهديين، ولئن خالفتموهم ليكون الإختلاف فيكم إلى يوم القيامة..الخ.».

قال الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن أصبت بمصيبة في نفسك أو في مالك أو في ولدك، فاذكر مصابك برسول الله صلى الله عليه وآله فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط». الكافي: ٢٢٠/٣.

٢٠- جاؤوا بخبر السقيفة بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله

في الإرشاد: ١٨٩/١: «لما تم لأبي بكر ما تم وبايعه من بايع، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوي قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بمسحاة في يده، فقال له: إن القوم قد بايعوا أبا بكر ووقعت الخذلة في الأنصار لاختلافهم، وبدر الطلقاء بالعقد للرجل خوفاً من إدراككم الأمر! فوضع طرف المسحاة في الأرض ويده عليها، ثم قال: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. الٓمٓ. أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. وقد كان أبو سفيان جاء إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والعباس متوفران على النظر في أمره فنادى:

بني هاشم لاتُطمعوا الناس فيكمُ ... ولاسيما تَيمُ بن مرةَ أو عَدِي

فما الأمر إلا فيكم وإليكم ... وليس لها إلا أبوحسنٍ علي

أبا حسن فاشدد بها كف حازمٍ ... فإنك بالأمر الذي يرتجي ملي

ثم نادى بأعلى صوته: يا بني هاشم يا بني عبدمناف، أرضيتم أن يلي عليكم أبو فصيل «بكر» الرذل بن الرذل! أما والله لئن شئتم لأملأنها خيلاً ورجلاً؟! فناداه أمير المؤمنين عليه السلام: إرجع يا أبا سفيان، فوالله ما تريد الله بما تقول، وما زلت تكيد الإسلام وأهله، ونحن مشاغيل برسول الله صلى الله عليه وآله، وعلى كل امرئ ما اكتسب، وهو ولي ما احتقب! فانصرف أبو سفيان إلى المسجد فوجد بني أمية مجتمعين فيه، فحرضهم على الأمر فلم ينهضوا له».

في نهج البلاغة: ١١٦/١: «لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال عليه السلام: ما قالت الأنصار؟ قالوا قالت: منا أمير ومنكم أمير! قال عليه السلام: فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم! قالوا وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام: لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم. ثم قال عليه السلام: فما ذا قالت قريش؟ قالوا: احتجت بأنها

شجرة الرسول صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»!

وفي نهج البلاغة: ٤٠/١: «ومن خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا له بالخلافة:

أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا عن تيجان المفاخرة. أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها! ومجتنى الثمرة لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضه! فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت! هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه.

بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة». أي اضطراب حبل الدلو في البئر العميقة.

وفي البحار: ٤٩٢/٢٢، **عن الطُّرف، عن الإمام الكاظم عليه السلام قال**: «قال صلى الله عليه وآله: يا علي ما أنت صانع لو قد تأمر القوم عليك بعدي وتقدموا عليك، وبعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة، ثم لببت بثوبك تقاد كما يقاد الشارد من الإبل مذموماً مخذولاً محزوناً مهموماً، وبعد ذلك ينزل بهذه الذل؟! قال: فلما سمعت فاطمة ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله صرخت وبكت، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله لبكائها وقال: يا بنية لا تبكي ولا تؤذي جلساءك من الملائكة، هذا جبرئيل بكى لبكائك وميكائيل وصاحب سر الله إسرافيل! يا بنية لا تبكي فقد بكت السماوات والأرض لبكائك! فقال علي عليه السلام يا رسول الله أنْقَادُ للقوم وأصبر على ما أصابني، من غير بيعة لهم، وما لم أصب أعواناً لم أناجز القوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهم اشهد.

فقال: يا علي ما أنت صانع بالقرآن والعزائم والفرائض؟

فقال: يا رسول الله أجمعه، ثم آتيهم به، فإن قبلوه، وإلا أشهدت الله عز وجل وأشهدتك عليهم. قال: اللهم اشهد».

٢١- ذهول الصحابي البراء بن عازب ﷺ من بيعة الخلسة!

قال الجوهري في كتابه السقيفة/٤٨، وهو من أقدم الكتب في هذا الموضوع: «سمعت البراء بن عازب، يقول: لم أزل لبني هاشم محباً، فلما قبض رسول الله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ! فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي في الحجرة وأتفقد وجوه قريش. فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وعثمان، وإذ قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذ قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر! فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لايمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى!

فأنكرت عقلي! وخرجت أشتد حتى انتهيت إلى بني هاشم والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تربت أيديكم إلى آخر الدهر، أما إني قد أمرتكم فعصيتموني!

فمكثت أكابد ما في نفسي، ورأيت في الليل المقداد، وسلمان، وأباذر، وعبادة بن الصامت، وأبا الهيثم بن التيهان، وحذيفة، وعماراً، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين! فلما كان بليل خرجت إلى المسجد فلما صرت فيه تذكرت أني كنت أسمع همهمة رسول الله ﷺ بالقرآن، فامتنعت من مكاني فخرجت إلى الفضاء فضاء بني قضاعة، وأجد نفراً يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم، فعرفوني وما أعرفهم، فأتيتهم فأجد المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأباذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به، والله ما كذبت ولا كذبت!

وإذ القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين!

ثم قال: إئتوا أبيّ بن كعب فقد علم كما علمت، قال فانطلقنا إلى أبيّ فضربنا عليه بابه حتى صار خلف الباب فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد فقال: ماحاجتكم؟ فقال له:

ماأنا بفاتح بابي وقد عرفت ما جئتم له كأنكم أردتم النظر في هذا العقد؟ فقلنا: نعم، فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم، قال: فالقول ما قال! وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجري على ما هي جارية، ولَما يكون بعدها شر منها، والى الله المشتكى!

وبلغ الخبر أبا بكر وعمر، فأرسلا إلى أبي عبيدة والمغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي؟ فقال المغيرة: الرأى أن تلقوا العباس فتجعلوا له هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه، فتقطعوا به من ناحية علي، ويكون لكم حجة عند الناس على علي، إذا مال معكم العباس. فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة، حتى دخلوا على العباس، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال: إن الله ابتعث لكم محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم، حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم، متفقين غير مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرةً ولا جبناً، وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، وما انفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذ لكم لجأ فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا إليه، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ومكان أهلك، ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم! وعلى رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم!

فاعترض كلامه عمر، وخرج إلى مذهبه في الخشونة والوعيد وإتيان الأمر من أصعب جهاته، فقال: إي والله وأخرى أنا لم نأتكم عن حاجة إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم وعامتهم، ثم سكت». انتهى.

أقول: البراء بن عازب صحابي كبير، وبطولاته في معارك الإسلام مشهورة.

قال الذهبي في سيره: ١٩٤/٣: «البراء بن عازب بن الحارث، الفقيه الكبير، أبو

عمارة الأنصاري الحارثي المدني، نزيل الكوفة، من أعيان الصحابة. روى حديثاً كثيراً وشهد غزوات كثيرة مع النبي صلى الله عليه وآله».

وتدل شهادته على أن خلافة أبي بكر كانت خلسة وفلتةً بعيدة عن النص النبوي ومشورة الأمة! وكانت إجباراً وإرهاباً بالطلقاء الذين خرجوا مسلحين يخبطون من رأوه ويجبرونه على البيعة! وتدل على أنها كانت متزلزلة أياماً، حتى غلبت فيها قريش والطلقاء، وانقسم الأنصار وتحاسدوا وتخاذلوا!

٢٢- خطبة سلمان في اليوم الثالث لوفاة النبي صلى الله عليه وآله

في الإحتجاج: ١٥١/١، **عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام قال**: «خطب الناس سلمان الفارسي رضي الله عنه بعد أن دفن النبي صلى الله عليه وآله بثلاثة أيام فقال فيها:

ألا يا أيها الناس: إسمعوا عني حديثي ثم اعقلوه عني، ألا وإني أوتيت علماً كثيراً، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضايل أمير المؤمنين عليه السلام لقالت طائفة منكم هو مجنون، وقالت طائفة أخرى اللهم اغفر لقاتل سلمان! ألا إن لكم منايا تتبعها بلايا، ألا وإن عند علي عليه السلام علم المنايا والبلايا وميراث الوصايا، وفصل الخطاب، وأصل الأنساب، على منهاج هارون بن عمران من موسى إذ يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وصيي في أهل بيتي، وخليفتي في أمتي وأنت مني بمنزلة هارون من موسى! ولكنكم أخذتم سنة بني إسرائيل فأخطأتم الحق، فأنتم تعلمون ولا تعلمون! أما والله لتركبن طبقاً عن طبق، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة! أما والذي نفس سلمان بيده لو وليتموها علياً لأكلتم من فوقكم ومن تحت أقدامكم، ولو دعوتم الطير لأجابتكم في جو السماء، ولو دعوتم الحيتان من البحار لأتتكم، ولما عال ولي الله، ولا طاش لكم سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله. ولكن أبيتم فوليتموها غيره فأبشروا بالبلايا، واقنطوا من الرخاء، وقد نابذتكم على سواء، فانقطعت العصمة فيما بيني وبينكم من الولاء! عليكم بآل محمد فإنهم القادة إلى الجنة، والدعاة إليها يوم القيامة.

عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فوالله لقد سلمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين مراراً جمة مع نبينا، كل ذلك يأمرنا به ويؤكده علينا! فما بال القوم عرفوا

فضله فحسدوه، وقد حسد هابيل قابيل فقتله، وكفاراً قد ارتدت أمة موسى بن عمران، فأمر هذه الأمة كأمر بني إسرائيل، فأين يذهب بكم!

أيها الناس: ويحكم ما لنا وأبو فلان وفلان! أجهلتم أم تجاهلتم؟ أم حسدتم أم تحاسدتم؟ والله لترتدن كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف، يشهد الشاهد على الناجي بالهلكة، ويشهد الشاهد على الكافر بالنجاة!

ألا وإني أظهرت أمري وسلمت لنبيي ﷺ، واتبعت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علياً أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، وإمام الصديقين، والشهداء والصالحين».

٢٣- خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم السابع لوفاة النبي صلى الله عليه وآله

في الكافي: ١٨/٨ عن جابر بن يزيد الجعفي رضي الله عنه قال: «دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله قد أرمضني اختلاف الشيعة في مذاهبها فقال: يا جابر ألم أقفك على معنى اختلافهم من أين اختلفوا، ومن أي جهة تفرقوا؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله قال: فلا تختلف إذا اختلفوا! يا جابر إن الجاحد لصاحب الزمان كالجاحد لرسول الله ﷺ في أيامه! يا جابر إسمع وعِ، قلت: إذا شئت، قال: إسمع وعِ، وبلغ حيث انتهت بك راحلتك:

إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة، بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله ﷺ، وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه فقال عليه السلام: «مختصراً»:

الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها من الشبه والتشاكل، بل هو الذي لا ينفاوت في ذاته، ولا يتبعض بتجزئة العدد في كماله. فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن، ويكون فيها لا على وجه الممازجة، ويعلمها لا بأداة، لا يكون العلم إلا بها، وليس بينه وبين معلومه علم غيره به. كان عالماً بمعلومه. إن قيل كان، فعلى تأويل أزلية الوجود وإن قيل لم يزل، فعلى تأويل نفي العدم. فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه واتخذ إلهاً غيره، علواً كبيراً.

نحمده بالحمد الذي ارتضاه من خلقه، وأوجب قبوله على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خف ميزانٌ ترفعان منه، وثقل ميزانٌ توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار، والجواز على الصراط. وبالشهادة تدخلون الجنة، وبالصلاة تنالون الرحمة. أكثروا من الصلاة على نبيكم ﷺ: إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يصَلُّونَ عَلَى النبي يا أَيها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

أيها الناس: إنه لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعز من التقوى، ولا معقل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجمل من العافية، ولا وقاية أمنع من السلامة، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضا بالقناعة، ولا كنز أغنى من القنوع، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوأ خفض الدعة، والرغبة مفتاح التعب، والإحتكار مطية النصب، والحسد آفة الدين، والحرص داع إلى التقحم في الذنوب، وهو داعي الحرمان...

إعلموا أيها الناس أنه من مشى على وجه الأرض، فإنه يصير إلى بطنها، والليل والنهار يتنازعان في هدم الأعمار...

وما تناكرتم إلا لما فيكم من المعاصي والذنوب، فما أقرب الراحة من التعب والبؤس من النعيم، وما شر بشر بعده الجنة، وما خير بخير بعده النار، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية، وعند تصحيح الضمائر تبدو الكبائر، تصفية العمل أشد من العمل، وتخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد. هيهات لولا التقى لكنت أدهى العرب.

أيها الناس: إن الله تعالى وعد نبيه محمداً ﷺ الوسيلة ووعده الحق، ولن يخلف الله وعده، ألا وإن الوسيلة أعلى درج الجنة، وذروة ذوائب الزلفة، ونهاية غاية الأمنية، لها ألف مرقاة، ما بين المرقاة إلى المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام، وهو ما بين مرقاة درة إلى مرقاة جوهرة، إلى مرقاة زبرجدة، إلى مرقاة لؤلؤة، إلى مرقاة ياقوتة، إلى مرقاة زمردة، إلى مرقاة مرجانة.. قد أنافت على كل الجنان ورسول الله ﷺ يومئذ

قاعد عليها، مرتدٍ بريطتين: ريطة من رحمة الله وريطة من نور الله، عليه تاج النبوة، وإكليل الرسالة، قد أشرق بنوره الموقف، وأنا يومئذ على الدرجة الرفيعة وهي دون درجته، وعلي ريطتان: ريطة من أرجوان النور وريطة من كافور، والرسل والأنبياء عليهم السلام قد وقفوا على المراقي، وأعلام الأزمنة وحجج الدهور عن أيماننا، وقد تجللهم حلل النور والكرامة، لا يرانا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بهت بأنوارنا، وعجب من ضيائنا وجلالتنا...

ولا مصيبة عظمت ولا رزية جلت كالمصيبة برسول الله صلى الله عليه وآله، لأن الله ختم به الإنذار والإعذار، وقطع به الإحتجاج والعذر بينه وبين خلقه، وجعله بابه الذي بينه وبين عباده، ومهيمنه الذي لا يقبل إلا به، ولا قربة إليه إلا بطاعته، وقال في محكم كتابه: مَنْ يطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيهِمْ حَفِيظًا. فقرن طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوض إليه، وشاهداً له على من اتبعه وعصاه، وبين ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه، والترغيب في تصديقه، والقبول لدعوته: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يحْبِبْكُمُ اللهُ وَيغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، فاتباعه صلى الله عليه وآله محبة الله، ورضاه غفران الذنوب، وكمال الفوز ووجوب الجنة، وفي التولي عنه والإعراض محادة الله وغضبه وسخطه، والبعد منه مسكن النار، وذلك قوله: أُولَئِك يؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يكفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ، يعني الجحود به والعصيان له...

فإن الله تبارك اسمه امتحن بي عباده وقتل بيدي أضداده، وأفنى بسيفي جحاده وجعلني زلفة للمؤمنين وحياض موت على الجبارين، وسيفه على المجرمين، وشد بي أزر رسوله صلى الله عليه وآله وأكرمني بنصره، وشرفني بعلمه وحباني بأحكامه، واختصني بوصيته واصطفاني بخلافته في أمته، فقال صلى الله عليه وآله وقد حشده المهاجرون والأنصار، وانغصت بهم المحافل: أيها الناس إن علياً مني كهارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي! فعقل المؤمنون عن الله نطق الرسول، إذ عرفوني

أني لست بأخيه لأبيه وأمه كما كان هارون أخا موسى لأبيه وأمه، ولا كنت نبياً فأقتضي نبوة، ولكن كان ذلك منه استخلافاً لي كما استخلف موسى هارون عليهما السلام حيث يقول: اُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ.

وقوله صلى الله عليه وآله حين تكلمت طائفة فقالت: نحن موالي رسول الله فخرج رسول الله إلى حجة الوادع ثم صار إلى غدير خم، فأمر فأصلح له شبه المنبر ثم علاه، وأخذ بعضدي حتى رئي بياض إبطيه رافعاً صوته، قائلاً في محفله: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. فكانت على ولايتي ولاية الله وعلى عداوتي عداوة الله. وأنزل الله عز وجل في ذلك اليوم: اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيكُمْ نِعْمَتِي. فكانت ولايتي كمالَ الدين ورضا الرب جل ذكره، وأنزل الله تبارك وتعالى اختصاصاً لي وتكرماً نحلنيه وإعظاماً وتفضيلاً من رسول الله صلى الله عليه وآله منحنيه، وهو قوله تعالى: ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ. في مناقب لو ذكرتها لعظم بها الإرتفاع، فطال لها الإستماع.

ولئن تقمصها دوني الأشقيان ونازعاني فيما ليس لهما بحق، وركباها ضلالة واعتقداها جهاله، فلبئس ما عليه وردا ولبئس ما لأنفسهما مهدا، يتلاعنان في دورهما، ويتبرأ كل واحد منهما من صاحبه، يقول لقرينه إذا التقيا: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين، فيجيبه الأشقى على رثوثة: يا ليتني لم أتخذك خليلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً. فأنا الذكر الذي عنه ضل، والسبيل الذي عنه مال، والإيمان الذي به كفر، والقرآن الذي إياه هجر، والدين الذي به كذب، والصراط الذي عنه نكب.

ولئن رتعا في الحطام المنصرم، والغرور المنقطع، وكانا منه على شفا حفرة من النار، لهما على شر ورود، في أخيب وفود، وألعن مورود، يتصارخان باللعنة ويتناعقان بالحسرة، مالهما من راحة، ولا عن عذابهما من مندوحة.

إن القوم لم يزالوا عباد أصنام وسدنة أوثان، يقيمون لها المناسك، وينصبون لها العتائر، ويتخذون لها القربان، ويجعلون لها البحيرة والوصيلة، والسائبة والحام، ويستقسمون

بـالأزلام، عامهـين عن الله عز ذكره، حائرين عن الرشـاد، مهطعين إلى البعاد، وقد استحوذ عليهم الشيطان، وغمرتهم سـوداء الجاهلية، ورضعوها جهالة، وانفطموهـا ضلالـة، فأخرجنا الله إليهم رحمة، وأطلعنا عليهم رأفة، وأسـفر بنا عـن الحجـب، نوراً لمن اقتبسـه، وفضلاً لمن اتبعـه، وتأييداً لمن صدقـه، فتبوؤوا العـز بعد الذلة، والكثـرة بعد القلة، وهابتهم القلـوب والأبصار، وأذعنت لهم الجبابـرة، وطوائفهـا وصـاروا أهل نعمة مذكـورة، وكرامة ميسـورة وأمن بعد خـوف، وجمـع بعـد كوف، وأضـاءت بنـا مفاخر معد بـن عدنـان، وأولجناهم باب الهدى، وأدخلناهم دار السـلام، وأشـملناهم ثوب الإيمان، وفلجوا بنا في العالمين، وأبدت لهم أيام الرسول آثار الصالحين، من حام مجاهد، ومصل قانت، ومعتكف زاهد، يظهرون الأمانة ويأتون المثابة.

حتـى إذا دعـا الله عز وجـل نبيه ﷺ ورفعه إليه، لم يك ذلـك بعده إلا كلمحة مـن خفقة، أو وميض من برقة، إلـى أن رجعوا على الأعقاب، وانتكصوا على الأدبـار، وطلبـوا بالأوتار، وأظهـروا الكتاب، وردمـوا الباب، وفلـوا الديار، وغيروا آثار رسول الله ﷺ، ورغبوا عن أحكامه، وبعدوا من أنواره، واستبدلوا بمسـتخلفه بديـلاً، اتخذوه وكانـوا ظالمين، وزعمـوا أن من اختـاروا من آل أبي قحافة أولى بمقام رسـول الله ﷺ ممن اختار رسـول الله ﷺ لمقامه! وأن مهاجر آل أبي قحافة خير من المهاجري الأنصاري الرباني، ناموس هاشم بن عبدمناف!

ألا وإن أول شهادة زور وقعت في الإسلام، شهادتهم أن صاحبهم مستخلف رسول الله ﷺ! فلما كان من أمر سعد بن عبادة ما كان، رجعوا عن ذلك وقالوا: إن رسول الله ﷺ مضى ولم يستخلف! فكان رسول الله ﷺ الطيب المبارك أول مشـهود عليه بالزور في الإسـلام! وعن قليل يجدون غب ما يعملون، وسـيجد التالون غب ما أسسه الأولون!

ولئـن كانـوا فـي مندوحة من المهل، وشـفاء من الأجل، وسـعة مـن المنقلب واسـتدراج مـن الغـرور، وسـكون من الحـال، وإدراك مـن الأمل، فقـد أمهل

الله عز وجل شداد بن عاد، وثمود بن عبود، وبلعم بن باعور، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأمدهم بالأموال والأعمار، وأتتهم الأرض ببركاتها، ليذكروا آلاء الله، وليعرفوا الإهابة له، والإنابة إليه، ولينتهوا عن الإستكبار. فلما بلغوا المدة، واستتموا الأكلة، أخذهم الله عز وجل واصطلمهم، فمنهم من حصب، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من أحرقته الظلة، ومنهم من أودته الرجفة، ومنهم من أردته الخسفة: وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ.

ألا وإن لكل أجل كتاباً، فإذا بلغ الكتاب أجله، فلو كشف لك عما هوى إليه الظالمون، وآل إليه الأخسرون، لهربت إلى الله عز وجل مما هم عليه مقيمون وإليه صائرون!

ألا وإني فيكم أيها الناس كهارون في آل فرعون، وكباب حطة في بني إسرائيل، وكسفينة نوح في قوم نوح. إني النبأ العظيم، والصديق الأكبر، وعن قليل ستعلمون ما توعدون، وهل هي إلا كلعقة الآكل، ومذقة الشارب، وخفقة الوسنان، ثم تلزمهم المعرات، خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. فما جزاء من تنكب محجته، وأنكر حجته، وخالف هداته، وحاد عن نوره، واقتحم في ظلمه، واستبدل بالماء السراب وبالنعيم العذاب، وبالفوز الشقاء، وبالسراء الضراء، وبالسعة الضنك، إلا جزاء اقترافه، وسوء خلافه، فليوقنوا بالوعد على حقيقته، وليستيقنوا بما يوعدون: يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ. إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ. يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ. نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ».

٢٤- احتجاج اثني عشر من شخصيات المهاجرين والأنصار

٣- كان كبار الصحابة مذهولين، غاضبين لحركة أهل السقيفة، وأسلوبهم في الخلسة والعنف لأخذ الخلافة! وقد اعترضوا اعلى أبي بكر وعمر رغم الجو الإرهابي القمعي الذى أوجده الطلقاء لفرض خليفتهم!

وفي أول جمعة عندما صعد أبو بكر على منبر النبي صلى الله عليه وآله قام اثنا عشر صحابياً،

وتكلموا بكلام قوي، فأفحموه ومن معه، فانسحبوا من المسجد وظلوا ثلاثة أيام، يحشدون مناصريهم، ثم عادوا بقوة وتهديد!

روى في الإحتجاج: ٩٧/١: «عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنكر على أبي بكر فعله وجلوسه مجلس رسول صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم كان الذي أنكر على أبي بكر اثنا عشر رجلاً. من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبوذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي. ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبيّ بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري.

قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: والله لنأتينه ولننزلنه عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله! وقال آخرون منهم: والله لئن فعلتم ذلك إذاً أعنتم على أنفسكم فقد قال الله عزوجل: ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين لنستشيره ونستطلع رأيه، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين تركت حقاً أنت أحق به وأولى به من غيرك، لأنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: علي مع الحق والحق مع علي يميل مع الحق كيفما مال. ولقد هممنا أن نصير إليه فننزل عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فجئناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فما تأمرنا؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين، وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين بأسيافكم مستعدين للحرب والقتال، وإذاً لأتوني فقالوا لي بايع وإلا قتلناك، فلا بد لي من أدفع القوم عن نفسي، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله أوعز إليَّ قبل وفاته وقال لي: يا أبا الحسن إن الأمة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدي، وإنك مني بمنزلة هارون من موسى، وإن الأمة من بعدي كهارون ومن اتبعه والسامري ومن اتبعه! فقلت: يا رسول الله فما تعهد إليّ إذا كان كذلك؟ فقال: إذا وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد

أعواناً كف يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً.

فلما توفي رسول الله ﷺ اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه، ثم آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن، ففعلت، ثم أخذت بيد فاطمة وابني الحسن والحسين فدرت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي، فما أجابني منهم إلا أربعة رهط سلمان وعمار وأبوذر والمقداد! ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي، فأبوا عليَّ إلا السكوت لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ورسوله ولأهل بيت نبيه! فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرفوه ما سمعتم من قول نبيكم، ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ للعذر، وأبعد لهم من رسول الله ﷺ إذا وردوا عليه.

فسار القوم حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ وكان يوم الجمعة، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأنصار: تقدموا وتكلموا، فقال الأنصار للمهاجرين: بل تكلموا وتقدموا أنتم فإن الله عز وجل بدأ بكم في الكتاب. فأول من تكلم خالد بن سعيد بن العاص، ثم باقي المهاجرين، ثم بعدهم الأنصار.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: إتق الله يا أبا بكر، فقد علمت أن رسول الله ﷺ قال ونحن محتوشوه يوم بني قريظة، حين فتح الله له باب النصر، وقد قتل علي بن أبي طالب يومئذ عدة من صناديد رجالهم وأولي البأس والنجدة منهم: يا معاشر المهاجرين والأنصار إني موصيكم بوصية فاحفظوها، ومودعكم أمراً فاحفظوه، ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي وخليفتي فيكم، بذلك أوصاني ربي. ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي وتوازروه وتنصروه، اختلفتم في أحكامكم، واضطرب عليكم أمر دينكم ووليكم أشراركم.

ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري والعالمون لأمر أمتي من بعدي. اللهم من أطاعهم من أمتي وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي، يدركون به نور الآخرة. اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.

فقال له عمر بن الخطاب: أُسكت يا خالد فلست من أهل المشورة، ولا ممن يقتدى برأيه. فقال له خالد: بل أسكت أنت يا ابن الخطاب، فإنك تنطق على لسان غيرك! وأيم الله لقد علمت قريش أنك من ألأمها حسباً، وأدناها منصباً، وأخسها قدراً، وأخملها ذكراً، وأقلهم غناءً عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وإنك لجبان في الحروب، بخيل بالمال، لئيم العنصر، مالك في قريش من فخر، ولا في الحروب من ذكر، وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان: إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريئ منك إني أخاف الله رب العالمين. فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين. فأبلس عمر، وجلس خالد بن سعيد».

ثم أورد الإمام الصادق عليه السلام خُطَبَهم واحداً واحداً، وقال: «فأفحم أبو بكر على المنبر حتى لم يحر جواباً، ثم قال: وليتكم ولست بخيركم أقيلوني أقيلوني! فقال له عمر بن الخطاب: إنزل عنها يا لكع! إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لمَ أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة. قال: فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله، وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله! فلما كان في اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل فقال لهم: ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنو هاشم؟ وجاءهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل، فخرجوا شاهرين بأسيافهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر: والله يا أصحاب علي لئن ذهب منكم رجل يتكلم بالذي تكلم بالأمس، لنأخذن الذي فيه عيناه. فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال: يا بن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهددوننا، أم بجمعكم تفزعوننا، والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم، وإنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين لأن حجة الله فينا، والله لو لا أني أعلم أن طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي، لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلط عذري. فقام أمير المؤمنين وقال: أجلس يا خالد، فقد عرف الله لك

مقامك وشكر لك سعيك، فجلس! وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر! سمعت رسول الله ﷺ بهاتين الأذنين وإلا صُمَّتا يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار يريدون قتله وقتل من معه، فلست أشك إلّا وإنكم هم! فهمَّ به عمر بن الخطاب، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض، ثم قال: يا بن صهاك الحبشية لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم، لأريتك أينا أضعف ناصراً وأقل عدداً!

ثم التفت إلى أصحابه فقال: إنصرفوا رحمكم الله، فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون، إذ قال له أصحابه: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ. والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله ﷺ أو لقضية أقضيها، فإنه لا يجوز بحجة أقامها رسول الله ﷺ أن يترك الناس في حيرة»!

وعن عبدالله بن عبدالرحمن قال: «ثم إن عمر احتزم بإزاره وجعل يطوف بالمدينة وينادي: ألا إن أبا بكر قد بويع له فهلموا إلى البيعة، فينثال الناس يبايعون فعرف أن جماعة في بيوت مستترون، فكان يقصدهم في جمع كثير ويكبسهم، ويحضرهم المسجد فيبايعون! حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى، فدعا عمر بحطب ونار وقال: والذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه! فقيل له: إن فيه فاطمة بنت رسول الله ﷺ وولد رسول الله وآثار رسول الله ﷺ، وأنكر الناس ذلك من قوله فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم أتروني فعلت ذلك إنما أردت التهويل، فراسلهم على أن ليس إلى خروجي حيلة، لأني في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه وألهتكم الدنيا عنه، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا أدع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن. قال: وخرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إليهم فوقفت خلف الباب ثم قالت: لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤمرونا، ولم تروا لنا حقاً، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم! والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الأسباب بينكم وبين نبيكم! والله

حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والآخرة».

هذا، وفي الموضوع أحاديث وبحوث، لايتسع لها الكتاب.

٢٥- خطبة أخرى لأبي بن كعب ﷺ في إدانة السقيفة

في الإحتجاج١/١٥٣: «لما خطب أبو بكر قام إليه أبيّ بن كعب وكان يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان، وقال: يا معشر المهاجرين الذين اتبعوا مرضاة الله وأثنى الله عليهم في القرآن. ويا معشر الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان، وأثنى الله عليهم في القرآن، تناسيتم أم نسيتم أم بدلتم أم غيرتم أم خذلتم أم عجزتم؟! ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قام فينا مقاماً أقام في علياً فقال: من كنت مولاه فهذا مولاه يعني علياً، ومن كنت نبيه فهذا أميره؟

ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى طاعتك واجبة على من بعدي كطاعتي في حياتي غير أنه لا نبي بعدي؟

ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: أوصيكم بأهل بيتي خيراً فقدموهم ولا تقدموهم، وأمِّروهم ولا تأمروا عليهم؟

ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: أهل بيتي منار الهدى والدالون على الله؟

ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام أنت الهادي لمن ضل؟

ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: علي المحيي لسنتي ومعلم أمتي، والقائم بحجتي، وخير من أخلف من بعدي، وسيد أهل بيتي، وأحب الناس إليّ طاعته كطاعتي على أمتي؟

ألستم تعلمون أنه لم يول على علي أحداً منكم وولاه في كل غيبته عليكم؟

ألستم تعلمون أنه كان منزلهما في أسفارهما واحداً وارتحالهما واحداً؟

ألستم تعلمون أنه قال: إذا غبت فخلفت عليكم علياً فقد خلفت فيكم رجلاً كنفسي؟

ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قبل موته قد جمعنا في بيت ابنته فاطمة فقال لنا: إن الله أوحى إلى موسى بن عمران أن اتخذ أخاً من أهلك فاجعله نبياً،

واجعل أهله لك ولداً، أطهرهم من الآفات، وأخلصهم من الريب، فاتخذ موسى هارون أخاً، وولده أئمة لبني إسرائيل من بعده، الذين يحل لهم في مساجدهم ما يحل لموسى. وأن الله تعالى أوحى إليّ أن أتخذ علياً أخاً كما أن موسى اتخذ هارون أخاً، واتخذ ولده ولداً، فقد طهرتهم كما طهرت ولد هارون، إلا أني قد ختمت بك النبيين، فلا نبي بعدك، فهم الأئمة الهادية!

أفما تبصرون، أفما تفهمون أفما تسمعون! ضربت عليكم الشبهات، فكان مثلكم كمثل رجل في سفر فأصابه عطش شديد، حتى خشى أن يهلك فلقي رجلاً هادياً في الطريق فسأله عن الماء، فقال له أمامك عينان: إحداهما مالحة والأخرى عذبة، فإن أصبت المالحة ضللت، وإن أصبت العذبة هديت ورويت! فهذا مثلكم أيتها الأمة المهملة كما زعمتم! وأيم الله ما أهملتم، لقد نصب لكم علمٌ يحل لكم الحلال ويحرم عليكم الحرام، ولو أطعتموه ما اختلفتم ولا تدابرتم ولا تقاتلتم ولا برئ بعضكم من بعض، فوالله إنكم بعده لناقضون عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنكم على عترته لمختلفون، وإن سئل هذا عن غير ما يعلم أفتى برأيه فقد أبعدتم، وتخارستم وزعمتم أن الخلاف رحمة!



هيهات أبى الكتاب ذلك عليكم يقول الله تعالى جَده: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

ثم أخبرنا باختلافكم فقال سبحانه: وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ، أي للرحمة، وهي آل محمد صلى الله عليه وآله.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي أنت وشيعتك على الفطرة، والناس منها براء، فهلا قبلتم من نبيكم؟! كيف وهو خبركم بانتكاصتكم عن وصيه علي بن أبي طالب، وأمينه ووزيره وأخيه ووليه دونكم أجمعين، وأطهركم قلباً، وأقدمكم سلماً، وأعظمكم وعياً من رسول الله صلى الله عليه وآله، أعطاه تراثه، وأوصاه بعداته، فاستخلفه على أمته، ووضع عنده سره، فهو وليه دونكم أجمعين، وأحق به منكم أكتعين، سيد الوصيين، ووصي خاتم المرسلين، أفضل المتقين، وأطوع الأمة لرب العالمين، سلمتم عليه بإمرة المؤمنين في حياة سيد النبيين، وخاتم المرسلين، فقد أعذر من أنذر وأدى النصيحة من وعظ

وبصَّر من عمى! فقد سمعتم كما سمعنا، ورأيتم كما رأينا، وشهدتم كما شهدنا!

فقام إليه عبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل فقالوا: يا أبيّ أصابك خبل أم بك جنة؟! فقال: بل الخبل فيكم، والله كنت عند رسول الله ﷺ يوماً فألفيته يكلم رجلاً أسمع كلامه ولا أرى شخصه، فقال فيما يخاطبه: ما أنصحه لك ولأمتك وأعلمه بسنتك! فقال رسول الله ﷺ: أفترى أمتي تنقاد له من بعدي؟ قال: يا محمد يتبعه من أمتك أبرارها، ويخالف عليهم من أمتك فجارها، وكذلك أوصياء النبيين من قبلك، يا محمد إن موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون، وكان أعلم بني إسرائيل وأخوفهم لله وأطوعهم له، فأمره الله عز وجل أن يتخذه وصياً كما اتخذت علياً وصياً، وكما أمرت بذلك، فحسده بنو إسرائيل، سبط موسى خاصة، فلعنوه وشتموه وعنفوه ووضعوا له! فإن أخذت أمتك سنن بني إسرائيل كذبوا وصيك وجحدوا إمرته وابتزوا خلافته وغالطوه في علمه! فقلت: يا رسول الله من هذا؟

«فقال رسول لله ﷺ: هذا ملك من ملائكة ربي عز وجل، ينبئني أن أمتي تتخلف على وصيي علي بن أبي طالب، وإني أوصيك يا أبي بوصية إن حفظتها لم تزل بخير: يا أبي عليك بعلي فإنه الهادي المهدي، الناصح لأمتي، المحيي لسنتي، وهو إمامكم بعدي، فمن رضي بذلك لقيني على ما فارقته عليه. يا أبي، ومن غير أو بدل لقيني ناكثاً لبيعتي، عاصياً أمري، جاحداً لنبوتي، لا أشفع له عند ربي، ولا أسقيه من حوضي! فقامت إليه رجال من الأنصار فقالوا: أقعد رحمك الله يا أبي، فقد أديت ما سمعت الذي معك ووفيت بعهدك».

أقول: روينا عن النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام توثيق أبيّ بن كعب الأنصاري رضي الله عنه، وروى **البخاري في صحيحه**: ١٠٢/٦ وروى غيره أن النبي ﷺ أمر الأمة فقال: «خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبيّ بن كعب».

لكنهم لم يأخذوا منه القرآن فكيف يأخذون برأيه في الخلافة؟! وقد كان رضي الله عنه يسمي أصحاب السقيفة: أهل العقدة ويقول: «هلك أصحاب العقدة ورب

الكعبة! يقولها ثلاثاً ثم قال: والله ما عليهم آسى ولكن آسى على من أضلوا! قال قلت من تعني بهذا؟ قال: الأمراء». الحاكم ٢٢٦/٢، أحمد ١٤٠/٥ وتدوين القرآن للمؤلف/٢٥٤.

وفي آخر عمره قرر أُبيٌّ أن يخطب مرة أخرى ويفضحهم فقال: «والله لئن عشت إلى هذه الجمعة لأقولن فيهم قولاً، لا أبالي أستحييتموني عليه أو قتلتموني»! الطبقات ٥٠٠/٣. فمات ﷺ يوم الأربعاء ﷺ! راجع: ألف سؤال وإشكال ٣٤١/١.

إلفات الى أهمية الخرائط التوضيحية لمواقع السيرة

تُبَيِّنُ الخرائط الجغرافية مواقع أحداث السيرة النبوية، فتساعد في فهم مواضيعها. ومن الممكن تجميع الكثير منها من شبكة النت، بالبحث عن أسماء الأماكن الواردة في السيرة. ومن المصادر المفيدة: أطلس السيرة النبوية لشوقي أبو خليل، وأطلس التاريخ الإسلامي للدكتور حسين يونس. وهذه روابطها:

http: //www.waqfeya.net/search.php
337http: //www.waqfeya.net/book.php?bid=
http: //www.islamichistory.net/forum/showthread.php?p=31938

وتبقى الحاجة قائمة الى عمل دقيق في أطلس السيرة النبوية، لبيان مواقع حركة النبي ﷺ طول حياته الشريفة، من سفراته الى الشام في صباه وشبابه، وحركته في مكة الى حراء وغيرها، ثم حركة الإسراء به من المسجد الحرام في مكة، الى كوفان من العراق حيث نزل وصلى في مسجدها، ثم الى بيت المقدس في فلسطين.

ثم هجرته المباركة الى المدينة، ثم تحركاته الكثيرة الى أكثر من عشرين موقعاً في أنحاء الجزيرة، وصلت غرباً الى تبوك عند حدود الأردن، وشرقاً الى حدود اليمن وداخل نجد، وكان ختامها سفره الى مكة لحجة الوداع. لكن ينبغي تحري الدقة في النص الذي يحدد مكان الحدث، والدقة في الخريطة. وكنا اخترنا مجموعة خرائط لهذا الكتاب، لكن منع مانع من نشرها!

✿ ✿

«تم المجلد الثاني وبه تمت السيرة النبوية عند أهل البيت عليهم السلام

والحمدلله رب العالمين»

فهرس الموضوعات

الفصل الأربعون/سورة الأنفال سورة بدر ٥
الأنفال فضحت كثيراً من الصحابة البدريين! ٥
إختلافهم على الغنائم ٥
المؤمنون حقاً لا يختلفون على غنائم! ٦
صحابة يجادلون نبيهم وكأنهم يساقون إلى الموت! ٦
الإمداد الإلهي للمسلمين في بدر ٦
الفرار إلى الصفوف الخلفية كالفرار من المعركة ٧
قاتلَ النبي ﷺ ورمى المشركين بكف حصى ٧
أمر الله المسلمين بطاعة الرسول ﷺ وذكرهم بنعمه عليهم ٨
وحذرهم من خيانة الله ورسوله ﷺ وخيانة أنفسهم ٨
وذكَّر قريشاً بتآمرهم على الرسول ﷺ وعملهم لقتله ٩
وذكَّر قريشاً بتآمرهم ضد الإسلام وهددهم ٩
وشرَّع الله فريضة الخمس لبني هاشم لأنهم أسسوا الأمة والدولة ١٠
وأمر المسلمين بالثبات في الحرب وأن لا يبطروا كالمشركين ١٠
وحذرهم من المنافقين ومرضى القلوب في داخلهم ١١
وحذرهم من عاقبة أعداء الرسل ﷺ ١١
ونبه المسلمين إلى شر الدواب الخائنين ١١
وعلَّم المسلمين قواعد التعامل مع أعدائهم ١٢
وبَخ الذين سارعوا إلى أسر القرشيين قبل أن يثخنوا فيهم ١٣
وأعلن الله وحدة الأمة من المهاجرين والأنصار ١٤
كثرة مكذوبات السلطة عن بدر! ١٥

الصحابة الأبرار الذين استشهدوا في بدر ١٦
سورة الروم بشرت بالنصر في معركة بدر ١٦
بدأ تدهور الأمبراطورية الفارسية من أيام بدر! ١٧

الفصل الحادي والأربعون /«الخلافة الإسلامية» تثأر من بني هاشم لقتلى بدر! ١٩

١. تعصب قريش القبلي أشد من تعصب اليهود القومي ١٩
٢. تأسست الخلافة القرشية على الثأر من بني هاشم! ٢٠
٣. ودون الرواة صفحات طويلة في حزن قريش على قتلى بدر ٢٣
٤. الشيخان يشربان الخمر وينوحان على قتلى بدر! ٢٥
٥. دين قريش القبول بالتناقض! ٢٩

الفصل الثاني والأربعون / النبي ﷺ والعرب من غزوة بدر إلى أحد ٣٣

١- ثلاث غزوات وعدة سرايا في سنة واحدة! ٣٣
٢. غزوة بني سُلَيم ٣٣
٣. غزوة ذات السويق ٣٤
٤. غزوة ذي أمر ٣٥
٥. سرية حارثة بن زيد لاعتراض قافلة قريش ٣٦
٦. محاولة قريش قتل النبي ﷺ ثأراً ببدر ٣٧

الفصل الثالث والأربعون / النبي ﷺ واليهود من غزوة بدر الى أحد ٣٩

١- حاخامات اليهود في زمن النبي ﷺ ٣٩
٢. كعب بن الأشرف رئيس بني النضير ٤٢
٣. غزوة النبي ﷺ ليهود بني قينقاع بضاحية المدينة ٤٥
٤. سارع بنو قينقاع بعد بدر إلى نقض عهدهم ٤٨
٥. رئيس بني قينقاع خير بني يهود ٥٠
٦. غزوة بني النضير ٥١
٧. حاصر النبي ﷺ بني النضير وانتصر عليهم بعلي ﷺ ٥٢
٨. غرور بني النضير عند جلائهم! ٥٣
٩. بداية حشر اليهود بإجلاء بني النضير ٥٣
المسألة الأولى: معنى حشر اليهود وهو موضوع السورة: ٥٥
المسألة الثانية: هل قطع النبي ﷺ نخل بني النضير أو أحرقه؟ ٥٦
المسألة الثالثة: لماذا جعل الله أرض بني النضير ملكاً خاصاً للنبي ﷺ؟ ٥٧
تحقيق هذه الأهداف: ٦٠
من أين يأكلون بحق السماء؟! ٦٠
المسألة الرابعة: مسجد الفضيخ وتحريم الخمر ٦١

الفصل الرابع والأربعون/تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة ٦٢
١- مكة قبل بيت المقدس قبلة آدم ونوح و إبراهيم عليهم السلام ٦٢
٢. الكعبة والأمة الوسط ٦٣
٣. ترك بنو أمية الكعبة وحججوا الناس إلى بيت المقدس! ٦٥
الفصل الخامس والأربعون/زواج النبي ﷺ بعائشة وحفصة ٦٦
زوجات الأنبياء عليهم السلام فيهم الصالحات والطالحات ٦٦
عائلتا عائشة وحفصة ٦٧
مبالغة عائشة في فضائل أبيها وثروته ٦٨
كم كان عمر عائشة لما تزوجها النبي ﷺ ٧٢
ادعت عائشة أنها لم تتزوج قبل النبي ﷺ ٧٣
عائشة أكثر نساء النبي ﷺ كلاماً ٧٤
حَكَمَتْ عائشة في دولة أبيها! ٧٥
قطع عثمان مخصصاتهما فثارتا عليه ٧٥
زعمت أن النبي ﷺ جعل الخلافة لأبيها وأولاده! ٧٧
واشتهرت عائشة بجرأتها على النبي ﷺ ٧٧
وكانت معجبة بطلحة التيمي وابنه موسى ٧٨
أدارت عائشة معركة الجمل سبعة أيام ٧٩
قتل معاوية أخويها وسَكَّتَها ٧٩
نقاط عن حفصة زوجة النبي ﷺ ٨٠
اعترف محبوها أنها كانت تؤذي النبي ﷺ ٨٢
نزلت فيها وفي عائشة آية النهي عن السخرية ٨٤
كانت حفصة عنيفة فقتلت امرأتين! ٨٥
كانت حفصة وعائشة حليفتين ٨٥
تهديد الله تعالى لعائشة وحفصة! ٨٦
أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ٨٧
أم المؤمنين ميمونة من أهل الجنة ٨٨
الفصل السادس والأربعون/غزوة أحد ٩١
١.استعداد قريش لحرب أُحُد ٩١
٢. رؤيا النبي ﷺ واستعداده للدفاع ٩٣
٣. النبي ﷺ يختار مكان معسكره ٩٤
٤. انتصار المسلمين الكاسح في الجولة الأولى ٩٥
٥. هزيمة المسلمين بعد انتصارهم! ٩٨

٦- ثبت مع النبي ﷺ أول الأمر بضعة أشخاص ١٠٠
٧- بقي النبي ﷺ وعلي عليه السلام وحدهما ١٠٢
أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى! ١٠٣
٨- نزل جبرئيل عليه السلام وبقي مع النبي ﷺ حتى انسحب المشركون ١٠٤
٩- ركز المشركون على قتل النبي ﷺ في أحُد فأصابته جراحات ١٠٤
١٠- أشد الأيام على النبي ﷺ ١٠٧
١١- أصعب اللحظات في حياة علي عليه السلام ١٠٨
١٢- قميص النبي ﷺ الذي أصيب به في أحد ١٠٨
١٣- لماذا انسحبت قريش ولم تهاجم المدينة؟! ١٠٩
١٤- علي عليه السلام بطل أحُد وصاحب انتصاراتها ١١٠
١٥- حب علي عليه السلام فريضة لا رخصة فيها ١١٢
١٦- جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام منقضة كالصقر إلى قلب المعركة! ١١٣
١٧- الصحابة الهاربون على جبل أحد ١١٤
١٨- نادى النبي ﷺ الفارين بأسمائهم ١١٥
١٩- ولحقهم علي عليه السلام في أول فرارهم ووبخهم! ١١٥
٢٠- بعض الصحابة الهاربين كفروا وشبعوا كفراً! ١١٦
٢١- قالوا كل التقصير من النبي ﷺ! ١١٧
٢٢- شهادة حمزة عم النبي ﷺ ١١٧
٢٣- شهادة الحاخام مخيريق أفضل بني إسرائيل ١٢٠
٢٤- جهاد أبي دجانة الأنصاري رضي الله عنه ١٢٠
٢٥- جهاد نسيبة أم عمارة بنت كعب المازنية ١٢٢
٢٦- دخل الجنة ولم يصلِّ ركعة ١٢٤
٢٧- شهادة حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه ١٢٤
٢٨- جهاد رُشَيْد الهَجَري في أحُد ١٢٥
٢٩- أبو عزة الذي أراد اغتيال النبي ﷺ ١٢٥
٣٠- النبي ﷺ يُشفي عين قتادة من أجل عروسه ١٢٦
٣١- عندما اضطرب المسلمون قتلوا والد حذيفة خطأ! ١٢٦
٣٢- لعن النبي ﷺ أبا سفيان يوم أحُد ١٢٦
٣٣- لماذا قرر المشركون أن يبقوا عمر بن الخطاب ولا يقتلوه؟ ١٢٧
٣٤- فداءٌ لك يا رسول الله! ١٢٧
٣٥- بركة النبي ﷺ على تمر جابر الأنصاري ١٢٨
٣٦- قرمان مثلٌ لسيئ التوفيق ١٢٨
٣٧- عثمان يؤوي عمه المشرك القاتل! ١٢٩

٣٨- أسماء شهداء أحُد وقتلى المشركين فيها ١٣١

الفصل السابع والأربعون/آيات معركة أحد كشفت أكثرية الصحابة! ١٣٤
ستون آية في معركة أحد ١٣٤
أهم موضوعات آيات أحد ١٣٨
حقائق مهمة في آيات أحُد ١٤٢

الفصل الثامن والأربعون/مختارات من شعر أحد ١٤٧
أكثر القرشيون والمسلمون من الشعر في أحد ١٤٧

الفصل التاسع والأربعون/غزوة حمراء الأسد خاصة بجرحى أُحد! ١٥٩
التدخل الإلهي في انسحاب قريش ١٥٩
غزوة حمراء الأسد خاصة بالمجروحين في أحُد ١٥٩

الفصل الخمسون/أهم الأحداث بين غزوة أحد وغزوة الأحزاب ١٦٢
١- سرية جبل قَطَن ١٦٢
٢- سرية يوم الرجيع ١٦٣
٣- سرية بئر معونة ١٦٤
٤- غزوة بدر الموعد ١٦٥
٥- غزوة دومة الجندل ١٦٨
٦- غزوة ذات الرقاع ١٦٨

الفصل الحادي والخمسون/غزوة الأحزاب أو الخندق ١٧٢
١- تحالف أحزاب العرب واليهود ضد النبي ﷺ ١٧٢
٢- كانت قريش تجمع الأحزاب والنبي ﷺ يحفر الخندق ١٧٤
٣- خطّ النبي ﷺ مكان الخندق وقسّم العمل فيه ١٧٥
٤- محاصرة الأحزاب للمدينة ١٧٦
٥- فرّ أكثر المسلمين في حرب الخندق! ١٨٢
٦- مرضى القلوب يتآمرون على النبي ﷺ مع الأحزاب ١٨٥
٧- يقين النبي ﷺ بالنصر في غزوة الأحزاب وغيرها ١٨٧
٨- من معجزات النبي ﷺ في غزوة الأحزاب ١٨٧
٩- جهاد علي عليه السلام في غزوة الأحزاب ١٨٩
١٠- شهادة سعد بن معاذ بسهم من المشركين ١٩٠
١١- عبور فرسان الأحزاب من ثغرة في الخندق ١٩١
١٢- علي عليه السلام يصف غزوة الأحزاب ومبارزته لعمرو ١٩٤
١٣- حذيفة رضي الله عنه يصف مبارزة علي عليه السلام لعمرو بن ود ١٩٥

١٤- رواية تفسير القمي لمبارزة علي لعمرو ١٩٧
١٥- أخ عمرو بن ود يواجه علياً عليه السلام في مكة! ١٩٩
١٦- شبّه الإمام الصادق عليه السلام يوم الأحزاب بيوم القيامة! ١٩٩
١٧- ضربة علي عليه السلام غيّرت ميزان القوى! ٢٠٠
١٨- رسالة أبي سفيان قبل هروبه بجيش الأحزاب! ٢٠١
١٩- إشادات النبي صلى الله عليه وآله بعلي عليه السلام يوم الأحزاب ٢٠١
٢٠- معنى قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: وإنك لذو قرنيها ٢٠٢
٢١- النبي صلى الله عليه وآله يكشف علاقة عمر بقادة الأحزاب ٢٠٣
٢٢- طعنوا بالنبي صلى الله عليه وآله بأنه فاتته أربع صلوات! ٢٠٦
٢٣- من شعر الأحزاب ومبارزة علي عليه السلام لابن ود ٢٠٧
ثمان مسائل من قتل عمرو بن عبد ود ٢١٠

الفصل الثاني والخمسون / غزوة بني قريظة ٢١٧

١- بنو قريظة آخر من أجلاهم النبي صلى الله عليه وآله من يهود المدينة ٢١٧
٢- بعث النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أمامه فحاصر بني قريظة ٢١٧
٣- بطولة علي عليه السلام في قريظة، ونزول جبرئيل بإمره المؤمنين له ٢١٩
٤- قبول قريظة بالنزول على حكم حليفهم سعد بن معاذ ٢٢٠
٥- المسلمون الأربعة من بني قريظة ٢٢٢
٦- أبو لبابة يخون النبي صلى الله عليه وآله ثم يتوب ٢٢٣
٧- قصة أبي لبابة دليل على أفضلية التوسل ٢٢٥
٨- حاول اليهود أن يجعلوا من قتلى قريظة ظلامة يهودية ٢٢٦
٩- دراسة عمر عند بني قريظة وعلاقته الوطيدة معهم ٢٢٦

الفصل الثالث والخمسون / غزوة بني المصطلق أو المُريسيع ٢٣٠

١. خلاصة الغزوة ٢٣٠
٢. علي عليه السلام صاحب الراية في المريسيع وبطل الفتح ٢٣٢
٣. أرسل النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام لقتال الجن ٢٣٣
٤- زواج النبي صلى الله عليه وآله من جويرية بنت الحارث ٢٣٤
٥- تنظيم الخمس لبني هاشم، والصدقات والفيء للمسلمين ٢٣٥
٦- ابن سلول وسورة المنافقين! ٢٣٦
٧- هبت ريح عند موت يهودي ٢٣٩
٨- ضاعت ناقة النبي صلى الله عليه وآله فأرجف المنافقون ٢٣٩
٩. شبّه النبي صلى الله عليه وآله علياً بعيسى بن مريم عليه السلام ٢٤٠
١٠- الوليد بن عقبة الفاسق بشهادة القرآن! ٢٤١

١١- أرسل النبي ﷺ خالداً فأفسد، فأرسل علياً عليه السلام فأصلح ٢٤١
١٢-كان بنو المصطلق يماطلون في دفع زكاتهم! ٢٤٢
١٣- قصة تأخرعائشة عن النبي ﷺ في غزوة بني المصطلق ٢٤٣
١٤- نزلت آية البراءة في مارية فجعلتها عائشة لها! ٢٤٥

الفصل الرابع والخمسون/ من غزوة بني المصطلق إلى عمرة الحديبية ٢٤٧
١- ثلاث غزوات، وأكثر من عشر سرايا، وعدد من الأحداث! ٢٤٧
٢- تشجيع النبي ﷺ سباق الخيل والإبل ٢٤٨
٣- لم تقع في المدينة زلزلة في عهد النبي ﷺ ٢٤٨
٤- قصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش ٢٤٩
٥- تشديد الحجاب على نساء النبي ﷺ ٢٥٣
٦- غزوة بني لحيان ٢٥٧
٧- غزوة الغابة أو ذي قَرَد ٢٥٩
٨- سرية علي عليه السلام لملاحقة اللصوص العرنيين ٢٦٠
٩- اتهام عائشة للنبي ﷺ بأنه قسي القلب ٢٦١
١٠- ثمامة سيد اليمامة هدية من الله إلى رسوله ﷺ ٢٦١
١١- السنوات العجاف على قريش ٢٦٣
١٢- أبعد أبوبكر ثمامة فاضطهده مسيلمة! ٢٦٤

الفصل الخامس والخمسون/ غزوة الحديبية والهدنة بين النبي و قريش ٢٦٥
١- هدف الحديبية فرض الأمر الواقع على قريش ٢٦٥
٢- توجه النبي ﷺ بالمسلمين إلى العمرة ٢٦٥
٣- استنفرت قريش وبعثت طليعةً لصد النبي ﷺ ٢٦٧
٤- عسكرت قريش في بَلْدَح وعسكر النبي ﷺ في الحديبية ٢٦٨
٥- هدايا خزاعة إلى النبي ﷺ ٢٧٠
٦- ابتلى الله المسلمين بالصيد وهم محرمون ٢٧٠
٧- أرسل النبي ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلى قريش ٢٧٠
٨- حاول مسلمون الذهاب إلى مكة فأسرهم المشركون ٢٧٠
٩- أمر النبي ﷺ عمر بالذهاب فخاف فأرسل عثمان ٢٧١
١٠- مبعوثو قريش إلى النبي ﷺ ٢٧٢
١١- بيعة الرضوان بحضور مفاوض قريش ٢٧٣
١٢- الإشتباكات مع قريش ودور علي عليه السلام فيها ٢٧٤
١٣- بنود معاهدة الحديبية ٢٨٠
١٤- غضبَ عمر وانشق على النبي ﷺ! ٢٨١

١٥- بقي عمر غاضباً ولم يبايع بيعة الرضوان ٢٨٤
١٦- عقدة عمر من شجرة بيعة الرضوان! ٢٨٥
١٧- رؤيا النبي ﷺ كانت في الحديبية وليس في المدينة ٢٨٦
١٨- أمر النبي ﷺ بالإحلال من الإحرام ونحر الضحايا ٢٨٧
١٩- نزلت سورة الفتح في عودة النبي ﷺ من الحديبية ٢٨٨
٢٠- أهم موضوعات سورة الفتح ٢٨٩
٢١- الصحابة في سورة الفتح وبيعة الرضوان ٢٩١
٢٢- ما جرى لأبي جندل وأبي بصير والمستضعفين بمكة ٢٩٢
٢٣- النتائج الكبرى لمعاهدة الحديبية ٢٩٥
٢٤- لم تشارك قبائل العرب في غزوة الحديبية ٢٩٦

الفصل السادس والخمسون/ بعد الحديبية راسل النبي ﷺ ملوك العالم ٢٩٧

الفصل السابع والخمسون/ بعد الحديبية افتروا على النبي ﷺ أنه سحر ٣٠٠

قصة افترائهم أن النبي ﷺ مسحور ٣٠٠
رد علمائنا لهذه الفرية ٣٠٤
رد بعض علماء السنيين لهذه الفرية ٣٠٦

الفصل الثامن والخمسون/ غزوة خيبر ٣٠٨

١- محافظة خيبر ٣٠٨
٢- بعد عودته من الحديبية بعشرين يوماً توجه ﷺ إلى خيبر ٣٠٩
٣- سبب حرب النبي ﷺ يهودَ خيبر ٣١٠
٤- وصول النبي ﷺ إلى خيبر ٣١١
٥- نداء النبي ﷺ بالأمان لأهل خيبر ٣١٣
٦- فتح علي عليه السلام كل حصون خيبر؟ ٣١٣
٧- طريقة القتال في فتح النبي ﷺ حصون خيبر ٣١٥
٨- طالت محاصرة حصن خيبر وظهرت هزيمة المسلمين! ٣١٨
٩- مَرِضَ علي عليه السلام بالرَّمَد والنبي ﷺ بالصداع! ٣٢٠
١٠- غَضِبَ النبي ﷺ من فرار الصحابة وبشرهم بالفتح غداً! ٣٢١
١١- قال النبي ﷺ لأصحابه الفارين: أميطوا عني! ٣٢٢
١٢- أعطى النبي ﷺ الراية لعلي عليه السلام ودعا له ٣٢٣
١٣- وصل علي عليه السلام إلى الحصن قبل الجيش! ٣٢٥
١٤- اليهود يعرفون أن نهايتهم على يد حيدرة ٣٢٥
١٥- عَبَرَ الخندق وقصد مرحباً وفرسانه! ٣٢٦
١٦- بعد قتله مرحباً هاجم الحصن وقلع بابه! ٣٢٧

١٧- الباب الذي تترس به عليه السلام غير الباب الذي قلعه ٣٣٠
١٨- وكان أمير المؤمنين عليه السلام قلع باب حصن ناعم أيضاً! ٣٣١
١٩- وتلقاه النبي صلى الله عليه وآله وبشره بنزول الوحي فيه! ٣٣٢
٢٠- ثم فتح النبي صلى الله عليه وآله حصني السلالم والوطيح ٣٣٣
٢١- أوسمة النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام في خيبر ٣٣٣
٢٢- أفٍّ وتُفٍّ لمن ينكر فضائل علي عليه السلام! ٣٣٥
٢٣- قريش تفرح لساعات بخبر انتصار اليهود على النبي صلى الله عليه وآله ٣٣٦
٢٤- كنوز آل أبي الحقيق ٣٣٧
٢٥- زواج النبي صلى الله عليه وآله بصفية بنت حُيَيّ بن أخطب ٣٣٨
٢٦- ما أدري بأيهما أنا أسَرّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟ ٣٣٨
٢٧- أسلم أبو موسى الأشعري أيام فتح خيبر ٣٣٩
٢٨- أسلم أبوهريرة أيام فتح خيبر ٣٤٠

الفصل التاسع والخمسون/ من غزوة خيبر إلى غزوة مؤتة ٣٤٥

١- فدك خالصةً للنبي صلى الله عليه وآله ٣٤٥
٢- فدك رمزٌ لظلامة الإمامة ٣٤٥
٣- غيروا إسم فدك وسموها «الحائط»! ٣٤٧
٤- فتح النبي صلى الله عليه وآله وادي القرى ٣٤٩
٥- رواية أن النبي صلى الله عليه وآله نام عن صلاة الصبح ٣٥٠
٦- نظر إلى أحُد وقال: هذا جبل يحبنا ٣٥١
٧- قضى الله بزوال دولة فارس فَقَتَلَ ابنُ كسرى أباه! ٣٥١
٨- هدايا المقوقس ملك مصر إلى النبي صلى الله عليه وآله ٣٥٤
٩- وفاة النجاشي وصلاة النبي صلى الله عليه وآله عليه ٣٥٦
١٠- سرايا قبل سفر النبي صلى الله عليه وآله إلى عمرة القضاء ٣٥٧
١١- هل شققت عن قلبه يا أسامة؟ ٣٥٨
١٢- عيينة بن حصن يواصل الغارة على المسلمين ٣٥٩
النبي صلى الله عليه وآله يتوجه إلى عمرة القضاء ٣٦٠
زواج النبي صلى الله عليه وآله بميمونة بنت الحارث ٣٦٢
إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص! ٣٦٣

الفصل الستون/ غزوة مؤتة وما بعدها إلى فتح مكة ٣٦٤

١- موقع مؤتة والكرك والمزار ٣٦٤
٢- انحسر خطر الفُرس عن النبي صلى الله عليه وآله وتعاظم خطر الروم ٣٦٥
٣- غزوة مؤتة رسالة من النبي صلى الله عليه وآله إلى هرقل ٣٦٧

٤- جعفر بن أبي طالب عليه السلام قائد جيش مؤتة ٣٦٨
٥- وصية النبي صلى الله عليه وآله لجيش مؤتة ٣٦٩
٦- واجهتهم سرية رومية في وادي القرى ٣٧٠
٧- ثم فاجأهم الروم فانحازوا إلى مؤتة ٣٧١
٨- سبب تحريف السلطة معركة مؤتة ٣٧١
٩- القتال سبعة أيام في مؤتة كذبة من أجل خالد! ٣٧٣
١٠- وصف النبي صلى الله عليه وآله المعركة للمسلمين وصفاً حياً ٣٧٤
١١- توبيخ المسلمين لخالد وجيش مؤتة ٣٧٦
١٢- رغم الهزيمة وصلت رسالة النبي صلى الله عليه وآله إلى هرقل! ٣٧٧
١٣. من مناقب جعفر بن أبي طالب عليه السلام ٣٧٩
١٤. حول جناحي جعفر الطيار عليه السلام ٣٨٤
١٥. حنين الجذع الذي كان يتكئ عليه النبي صلى الله عليه وآله ويخطب ٣٨٧

الفصل الحادي والستون / غزوة ذات السلاسل التي حذفوها من السيرة! ٣٨٩
١. غزوة ذات السلاسل برواية أهل البيت عليهم السلام ٣٨٩
٢. ملاحظات على تحريفهم ذات السلاسل ٣٩٤

الفصل الثاني والستون / غزوة فتح مكة ٣٩٨
١- قريش تنقض معاهدة الحديبية ٣٩٨
٢- خزاعة تطالب النبي صلى الله عليه وآله بنصرتها وفاءً بحلفهم ٤٠١
٣- أحست قريش بجريمتها فحاولت أن تسترضي النبي صلى الله عليه وآله ٤٠٣
٤- النبي صلى الله عليه وآله يتجهز لغزو مكة ويخفي مقصده ٤٠٤
٥- الوَحْيُ يكشف خيانة بعض الصحابة ٤٠٥
٦- جاءت القبائل إلى المدينة وتحرك النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة ٤٠٨
٧- فاجأ النبي صلى الله عليه وآله قريشاً وعسكر قرب مكة ٤٠٩
٨- أرسل النبي صلى الله عليه وآله الأمان إلى أهل مكة مع أبي سفيان ٤١٣
٩- نصب النبي صلى الله عليه وآله خيمته عند قبر خديجة عليها السلام! ٤١٣
١٠- قريش تسترحم النبي صلى الله عليه وآله بشعر ضرار بن الخطاب ٤١٤
١١- طاف النبي صلى الله عليه وآله بالبيت وحطّم الأصنام ٤١٦
١٢- جبرئيل يفضح زعماء قريش ٤١٧
١٣- خطبة النبي صلى الله عليه وآله في فتح مكة وإعلانه العفو عن الطلقاء ٤١٩
١٤- الذين هدر النبي صلى الله عليه وآله دمهم ٤٢٠
١٥- علي عليه السلام ينفذ أمر النبي صلى الله عليه وآله فتعترضه أخته أم هاني! ٤٢٦
١٦- النبي صلى الله عليه وآله ينصب حاكماً لمكة ٤٢٨

١٧- بعث النبي ﷺ سرايا إلى المناطق القريبة من مكة ٤٢٨
١٨- بعث خالد بن الوليد في سرية فغدر بهم ٤٢٩
قتل خالد عاشقاً غريباً ولم يرحمه ٤٣١
١٩- قريش تعزل أبا سفيان وتنصب بدله سهيل بن عمرو ٤٣١

الفصل الثالث والستون/غزوة حنين والطائف ٤٣٦
١- أسباب غزوة فتح مكة وغزوة حنين والطائف ٤٣٦
٢- أخذ النبي ﷺ قريشاً معه إلى حرب هوازن ٤٣٧
٣- دريد بن الصمة ينصح هوازن فلا يقبلون! ٤٣٨
٤- أدلة تآمر طلقاء قريش مع هوازن على النبي ﷺ ٤٣٩
٥- فرَّ الجميع وثبت النبي ﷺ وبنو هاشم فقط! ٤٤٢
٦- نزلت الملائكة والسكينة على الثابتين خاصة! ٤٤٤
٧- قاتلَ علي عليه السلام وحده ونزلت الملائكة! ٤٤٤
رجع المنهزمون فرأوا الأسرى حول النبي ﷺ ٤٤٧
٨- هزيمة هوازن وغنائم المسلمين منها ٤٤٨
غنائم هوازن الوافرة ٤٤٨
٩- النبي ﷺ يحاصر قبيلة ثقيف في الطائف ٤٤٩
١٠- النبي ﷺ يفك الحصار عن الطائف ٤٥١
١١- سياسة الإسلام العجيبة مع قريش وثقيف ٤٥٤
١٢- النبي ﷺ في الجعرانة يقسم الغنائم ويُحرم للعمرة ٤٥٦
١٣- وفد هوازن والشيماء حاضنة النبي ﷺ ٤٥٨
١٤- مالك بن عوف مسلماً! ٤٥٩
١٥- الأنصار يسقطون في امتحان المال ٤٦٠
١٦- ولادة الخوارج في الجعرانة ٤٦٢
١٧- اعتمر النبي ﷺ من الجعرانة، ثم رجع إلى المدينة ٤٦٣

الفصل الرابع والستون/استكمال فتح اليمن بعد حنين ٤٦٤
١- ضعف الحكام الفرس في اليمن ٤٦٤
٢- ضعف سلطة باذان وتفكك اليمن ٤٦٥
٣- فتح علي عليه السلام لليمن ٤٦٦
٤- أهدى علي عليه السلام إلى النبي ﷺ أفراساً من اليمن ٤٧٢
٥- وأرسل النبي ﷺ علياً عليه السلام قاضياً إلى اليمن ٤٧٢
٦- ثم أرسله النبي ﷺ إلى اليمن ليصلح بينهم ٤٧٣
٧- ثم أرسله النبي ﷺ إلى اليمن عندما ارتد ابن معديكرب ٤٧٣

٨- الأسود العنسي يدعي النبوة في اليمن ٤٧٦

الفصل الخامس والستون/أزواج النبي ﷺ يشاركن في الصراع على الخلافة ٤٧٨

١- نشاط زعماء قريش بعد هزيمتهم ٤٧٨
٢- كانت ولادة ابراهيم بن النبي ﷺ كارثة على قريش! ٤٨١
٣- سورة التحريم كشفت الحزب القرشي في بيت النبي ﷺ ٤٨٢
٤- اتهامهم مارية وتبرئة الله لها ٤٨٤
٥- إبراهيم بن رسول الله ﷺ ٤٨٨
٦- ساءت علاقة النبي ﷺ بزوجاته فهجرهن! ٤٩١
٧- ملاحظات حول سورة التحريم وهجر النبي ﷺ لأزواجه ٤٩١

الفصل السادس والستون/أحداث قبل غزوة تبوك ٤٩٤

١- توبة كعب بن زهير ومدحه للنبي ﷺ ٤٩٤
٢- انضمام البحرين وعُمَان إلى دولة النبي ﷺ ٤٩٥
٣- سرية علي عليه السلام لمنع تحويل طيئ إلى قاعدة للروم ٤٩٦

الفصل السابع والستون/غزوة تبوك لمواجهة الروم ٤٩٩

١- ملك دومة الجندل أكيدر بن عبدالملك ٤٩٩
٢- غزوة النبي ﷺ لدومة الجندل في السنة الخامسة ٥٠٠
٣- الوضع السياسي للروم عند غزوة تبوك ٥٠١
٤- النبي ﷺ يعمل لنقل المعركة إلى الشام وحصرها بالروم ٥٠٣
٥- تبوك والثأر لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ٥٠٤
٦- هرقل يحرك المنافقين والأكيدر لحرب النبي ﷺ ٥٠٥
٧- أكبر جيش في تاريخ الجزيرة ٥٠٦
٨- أخبر النبي ﷺ المسلمين بمدة الغزوة ونتيجتها ٥٠٧
٩- عَسْكَرَ النبي ﷺ في ثنية الوداع ٥١٢
١٠- استخلف علياً عليه السلام وودعه وناجاه ٥١٣
١١- أبوذر تأخر به بعيره ٥١٦
١٢- في ذهابه ﷺ إلى تبوك أَسَرَ الأكيدر وأطلقه ٥٢٠
١٣- راسل النبي ﷺ هرقل من تبوك ٥٢١
١٤- انتقم هرقل من يوحنا فقتله ولم ينتقم من الأكيدر! ٥٢٣
١٥- مؤامرة الصحابة العدول لقتل النبي ﷺ في عودته من تبوك! ٥٢٤
١٦- في تلك الفترة حاول المنافقون قتل علي عليه السلام في المدينة! ٥٣٠
١٧- نهاهم النبي ﷺ عن الشرب قبله، فعصوهُ فلعنهم ٥٣٣
١٨- نزول سورة التوبة في طريق العودة من تبوك ٥٣٥

١٩- عودة النبي ﷺ إلى المدينة ٥٣٧
٢٠- المتخلفون الثلاثة الذين تاب الله عليهم ٥٣٩
٢١- النبي ﷺ يرد على حُسَّاد علي عليه السلام في طريق تبوك ٥٤٠
٢٢- متفرقات من تبوك ٥٤٢
٢٣- تذكير ببعض مكذوبات الحكومات عن تبوك ٥٤٥
٢٤- بعد تبوك مات ابن سلول كبير المنافقين المدنيين ٥٤٥
٢٥- وفد ثقيف بعد تبوك ٥٤٦
٢٦- خضوع العرب للنبي ﷺ بعد فتح مكة وتبوك ٥٤٨
٢٧- بعث النبي ﷺ أبابكر بسورة براءة ثم سحبها منه ٥٥٠

الفصل الثامن والستون / السنة التاسعة للهجرة: عام الوفود ٥٥٤

١- وفادة قبائل العرب الى رسول الله ﷺ ٥٥٤
٢- ملاحظات حول الوفود الى النبي ﷺ ٥٥٦
٣- عدي بن حاتم الطائي ٥٥٧
٤- وفد عبدالقيس من هَجَر ٥٥٩
٥- الجارود بن المنذر من عبدالقيس ٥٦٠
٦- أشهر وفود اليمن ٥٦٤
٧- السائب الأشعري جد الأشعريين القميين ٥٦٦
٨- الرجل اليماني المجادل السخي ٥٦٦
٩- عمرو بن معدي كرب الفارس المشهور ٥٦٦
١٠- وفد قبيلة النخع الى النبي ﷺ ٥٦٧
١١- كان النبي ﷺ يهدد من يخاف عصيانهم بعلي عليه السلام ٥٦٨
١٢- مالك بن نويرة رضي الله عنه من وفود بني تميم ٥٦٩
١٣- صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ٥٧٠
١٤- النابغة الجعدي الشاعر المتأله ٥٧١
١٥- من الوفود المكذوبة وفد تميم الداري ٥٧٢
١٦- من الوفود المكذوبة وفد أبي رزين ٥٧٤

الفصل التاسع والستون / مباهلة النبي ﷺ مع نصارى نجران ٥٧٥

١. نجران العاصمة الدينية للمسيحية في الجزيرة ٥٧٥
٢. رسالة النبي ﷺ الى أسقف نجران وأهلها ٥٧٦
٣. أمهل النبي ﷺ وفدهم ثلاثاً ثم ناظرهم ٥٧٧
٤. كتاب الصلح مع أهل نجران ٥٨٢
٥. سمع اليهود بمجيء وفد النصارى فحضروا معهم ٥٨٢

٦. مستحبات يوم المباهلة ٥٨٤
٧. مسائل في المباهلة ٥٨٥

الفصل السبعون/ حجة الوداع ٥٩١
١- أجواء حجة الوداع ٥٩١
٢- صفة حج النبي ﷺ عند أهل البيت عليهم السلام ٥٩٣
٣- خطب النبي ﷺ في حجة الوداع ٥٩٧
١- خطبة النبي ﷺ في عرفات ٥٩٧
٢- من خطب النبي ﷺ في منى: ٥٩٩
٣- ومن مصادر السنيين ٦٠٢
٤- بشارة النبي ﷺ في حجة الوداع بالأئمة الإثني عشر بعده ٦٠٤
٥- تحذير النبي ﷺ لقريش والصحابة أن يطغوا بعده ٦٠٧
٦- عقوبة المخالفين لوصية النبي ﷺ في عترته عليهم السلام ٦١٠
٧- قريش تكتب معاهدة لأخذ خلافة النبي ﷺ من بني هاشم ٦١١
٨ - نتيجة حجة الوداع عند قريش وعند النبي ﷺ ٦١٤

الفصل الحادي والسبعون/ بيعة علي عليه السلام يوم الغدير ٦١٦
١- حديث الغدير في بيعة علي عليه السلام صحيح متواتر عندهم ٦١٦
٢- جبرئيل ينزل بآية التبليغ ويوقف قافلة النبي ﷺ ٦١٨
٣- خطبة النبي ﷺ يوم الغدير ٦٢٠
٤- أمر النبي ﷺ بنصب خيمة لعلي عليه السلام وتهنئته ومبايعته ٦٢٤
٥- حجر من سجيل للمعترضين من قريش! ٦٢٦
٦- نزلت ثلاث آيات في بيعة الغدير ٦٢٧
٧- محاولة قريش اغتيال النبي ﷺ بعد يوم الغدير! ٦٢٨

الفصل الثاني والسبعون/ جيش أسامة وهدف النبي صلى الله عليه وآله منه ٦٣٠
١- عاش النبي ﷺ سبعين يوماً بعد حجة الوداع ٦٣٠
٢- عَرَضَ الأنصار على النبي ﷺ ثلث أموالهم ٦٣٠
٣- النبي ﷺ يجهر بالحقيقة ويتحدى قريشاً! ٦٣٣
٤- جيش أسامة لإفراغ المدينة من خصوم علي عليه السلام ٦٣٥
٥- أمير المؤمنين عليه السلام يصف عملهم لإفشال جيش أسامة ٦٣٦
٦- حذيفة يصف تسلل أبي بكر وعمر ليلاً الى المدينة ٦٤٠
٧- أبو بكر وعمر يظهران الندم على تركهما جيش أسامة! ٦٤٣
٨- الرواية الرسمية لجيش أسامة ٦٤٤
٩- رد قولهم إن النبي ﷺ نصب أبا بكر للصلاة ٦٤٥

الفصل الثالث والسبعون / مرض النبي ﷺ وشهادته ٦٤٨
١ - النبي ﷺ يزور البقيع ويحذر صحابته! ٦٤٨
٢- مدة مرض النبي ﷺ ٦٤٩
٣- مات النبي ﷺ شهيداً بالسُّمّ! ٦٥٠
٤- جاء الأنصار يبكون، فخطب فيهم النبي ﷺ ٦٥٢
٥- الأمة تواجه رسولها بالإنقلاب عليه! ٦٥٣
٦- وصايا النبي ﷺ العامة والخاصة ٦٦٠
٧- تأكيداته الأخيرة على علي والعترة عليهم السلام ٦٦١
٨- الوصية التي نزلت من الله تعالى الى الأئمة عليهم السلام ٦٦٤
٩- وصية النبي ﷺ لنسائه وعائشة خاصة ٦٧١
١٠- النبي ﷺ يخرج عمه العباس من وصيته ٦٧١
١١- قوله ﷺ لفاطمة عليها السلام: أنت أول أهل بيتي لحوقاً بي ٦٧٣
١٢- وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام بتجهيزه ٦٧٨
١٣- صفة احتضاره ووفاته ﷺ ٦٨٠
١٤- صفة تغسيله وتحنيطه وتكفينه ﷺ ٦٨٢
١٥- صفة الصلاة عليه ودفنه ﷺ ٦٨٤
١٦- من خصائص النبي ﷺ عند موته! ٦٨٦
١٧- لم يحضر أهل السقيفة مراسم جنازة النبي ﷺ ٦٨٨
١٨- دفن النبي ﷺ في بيته وليس في حجرة عائشة ٦٩٠
١٩- حُزن أهل البيت على النبي ﷺ وتعزية جبرئيل والخضر لهم ٦٩١
٢٠- جاؤوا بخبر السقيفة بعد دفن النبي ﷺ ٦٩٤
٢١- ذهول الصحابي البراء بن عازب رضي الله عنه من بيعة الخلسة! ٦٩٦
٢٢- خطبة سلمان في اليوم الثالث لوفاة النبي ﷺ ٦٩٨
٢٣- خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم السابع لوفاة النبي ﷺ ٦٩٩
٢٤- احتجاج اثني عشر من شخصيات المهاجرين والأنصار ٧٠٤
٢٥- خطبة أخرى لأبي بن كعب رضي الله عنه في إدانة السقيفة ٧٠٩



سيرة ابن هشام هي السيرة الرسمية عند جمهور المسلمين، وقد أخذها من سيرة ابن إسحاق وصاغها كما تريد الخلافة العباسية . وقد ألف علماء الشيعة عدداً من الكتب في السيرة ، وهي بشكل عام نقد للسيرة الرسمية.

أما هذه السيرة فهي تتحرى رواية أهل البيت عليهم السلام ورأي علماء مذهبهم في أحداث السيرة النبوية.





دار المعروف للطباعة والنشر
إيران-قم-شارع مصلّى القدس-رقم ٦٨٢
تلفون: ٠٠٩٨ (٠) ٢٥ ٣٢٩٣٩١٤٠